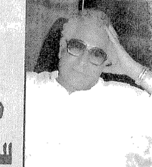


المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٥٧) المجلد (٦١) العام [٦٥] المحرم ١٤٢٠ هـ - ابريل / مايو ١٩٩٩م



أنيس منصور للمنهل:

وُلدْتُ والكتابُ فى يدي

التعريف والتنكير فى القرآن الكريم

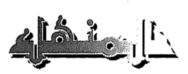
الاستشراق والظاهرة الإسلامية

العولمة .. مالها وماعليها

عام جديد .. وأمل سعيد

سحر خليفة:

لا يمكن تحرير الوطن .. ونصفه نائم !



مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

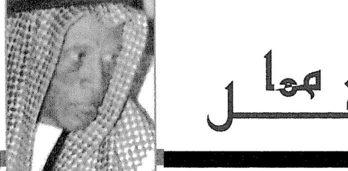
السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ٢٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال





خصائص المنهل

يعنى المنهل دائما بأن يجمع بين دفتيه انتاج «القاعدة» وانتاج «القمة».. و«القاعدة» هنا هى براعم الأدب وشداته وهواته من ناشئة البلاد، ذوو الطموح الفطرى الى ارتياد مناهل الادب، والعروج الى قممه.. و«القمة» هم كبار رجال الفكر والأدب.

وطريقة الجمع بين هاتين: (القاعدة) و(القمة) تمثل العمق في فلسفة المنهل لرقي مستوى آدابنا وتفكيرنا.. على منهج حديث جامع.. شداة الادب وناشئته وهواته اعتاد المنهل أن يسايرهم في مسيرة هوايتهم، خطوة فخطوة، آخذا بأضباعهم الى الامام، راسما لهم معالم الطريق، وفاتحا لهم أبواب الكتابة والشعر، متدرجا بهم، كما يتدرج الوالد الشفوق بابنائه الصغار في معارج الحياة خطوة فخطوة.. نشذب ما يحتاج الى تشذيب من انتاجهم البسيط، ونُقوِّم ما يستدعى التقويم، ونشجع بالنشر ما يستحق التشجيع والنشر.. اما كبار رجال الفكر والادب، فلهم «التقدمة» والتقدير، فهم الرواد والقادة والماهدون وهم نبراس القراء ومنار هواة الأدب الصغار.. فيما ينشر لهم بالمنهل من مقالات وقصائد وقصص وملاحظات ونقدات.. وهكذا تلتقى (القاعدة) و(القمة) الادبيتان والفكريتان على صفحات هذه المجلة في كثير من الاحيان.. وفي التقائهما رفع لمستوى الأدب من جانبيه: الابتدائى والعالي، على السواء على ما يترائ لنا ونسير عليه.

«عبدالقدوس الأنصاري»

(المحرم ١٣٩٢هـ/ فبراير مارس ١٩٧٢م)

بسم الله الرحمن الرحيم

لقطة الشهر



{واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا}

بريشة الفنانة الاماراتية: شيخة حسن

اشــارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

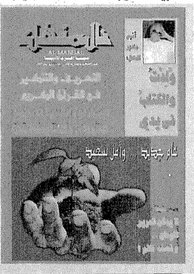
صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

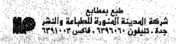
نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد

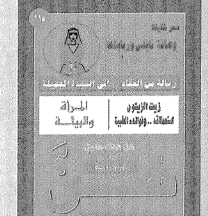

طبع بمطابع
شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
جدة - تليفون ٦٣٩٦٠٦٠ - فاكس ٦٣٩١٠٠٣

الفهرس



العدد: (٥٥٧)
المجلد: (٦١)
العام: (٦٥)





وكـلاء التوزيـع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

منهليات

عام جديد .. وأمل سعيد

مع اشراقة فجر عام هجري جديد، ومع ميلاد شهره المحرم يتطلع العالم العربي الاسلامي الى أمل يتجدد كل يوم في عروقه لأن يصبح عاما مليئا بالحب والخير والنماء، تُمحى فيه الحروب المدمرة، والصدامات الوحشية، والكيد المتوالى على الاسلام والمسلمين من غيرهم.

يطل علينا عام جديد .. لنا فيه أمنيات كثيرة.. نأمل أن نرى نُصرة الحق تتهادى في أرجاء العالم.. فينتصف المظلومون.. ويعود الحق لذويه.. وترتفع رايات الايمان خفاقة فوق أرجاء المعمورة.. ونتمنى الخير كل الخير لكل مسلم وعربي في الدنيا بأجمعها.

والمنهل وهي تخطو بخطوات ثابتة واثقة لعامها الخامس والستين - من عمرها المديد - رافعة شعارها الدائم (إلى الأمام على الدوام) هذا الشعار الذى أطلقه مؤسسها منذ أربعة وستين عاما يحمل في طياته التحدي والاستمرارية لهذا العمل الصحفي العملاق.

مواصلة العطاء دون توقف في خضم ما شهدته مثيلاتها من توقف بسبب ظروف قد تكون مالية أو غيرها.

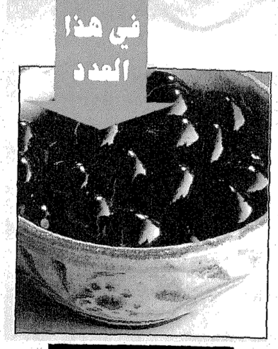
مجددين العهد - كأسرة لتحرير المجلة - على التواصل والاستمرارية واضعين نصب أعيننا قُرَّاء وكتَّاب هذه المجلة ملتفين بهم ومعهم حول رباط الفكر والمعرفة والعلم، عاقدين العزم على أن تواصل المنهل المسيرة مواكبة لتطور مهنة الصحافة في الداخل والخارج.

والمنهل دائما منكم وإليكم ..

ونسأل الله جلت قدرته التوفيق والسداد.

رئيس التحرير

في هذا العدد



فقرات مستلة

** «**لقد رفض أغلب المستشرقين اطلاق مصطلح (الأصولية) بمعناه الغربي**» ..

مقال: مصطلح الأصولية - ص ٣٨

** «**وإذا قلنا سنتمسك بثقافتنا وتقاليدنا فإن من المحتم علينا أن نطور هذه الثقافة**»

مقال: العولمة - ص ٤٦

** «**التذوق هو موقف جمالي وهو انتباه وتأمل متعاطف منزه عن الغرض**»

مقال: التذوق الجمالي والبيئة - ص ٦٠

** «**إن الشباب هم نتاج واضح لاستثمار الأمة**».

مقال: هل هناك حلول - ص ١٣٨

٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

مكتبة كبرى لسمو الأمير «بندر بن سلطان» بأصيلة في المغرب



أشرف سمو الأمير «بندر بن سلطان» سفير المملكة العربية السعودية في أمريكا على وضع حجر الأساس لإنشاء مكتبة كبرى بالمملكة المغربية تحتضن رحابها مدينة «أصيلة» المعروفة عالميا بموسمها الثقافي وتحمل المكتبة اسم سموه.

ويعتبر إحداث هذه المكتبة حدثا ثقافيا وفكريا، أشاد به المفكرون والكتاب والعلماء الذين حضروا حفل التدشين، خاصة وأن هذه المكتبة التي تضم قسما خاصا للدراسات العربية والإفريقية ستشكل مرجعا للباحثين والدارسين والأكاديميين. كما أنها ستعمل على توفير مراكز الثقافة والتوثيق للباحثين العرب والأفارقة وغيرهم. وسيشرف على إنجاز هذا المشروع قسم الدراسات الشرقية بجامعة «اكسفورد» البريطانية، وتتعدى مساحته نصف هكتار.

وتفضل سمو الأمير «بندر بن سلطان» بتمويل ترميم «قصر الثقافة» بنفس المدينة حيث سيتحول إلى مجمع لتلاقي المفكرين والمبدعين في شتى بقاع العالم. وهي مبادرة نالت تنويه ضيوف وسكان «أصيلة» الذين عبروا للأمير عن شكرهم وامتنانهم له ولمجهوداته في سبيل إنقاذ المقومات التاريخية والثقافية والفكرية للمدينة.. ولتشريفه بحضوره الشخصي دورة هذه السنة من موسم أصيلة الثقافي الذي وصل محطته العشرين. ويعد صاحب السمو الملكي الأمير «بندر بن سلطان بن عبد العزيز» رئيس مجلس أمناء «مؤسسة منتدى أصيلة».

وقد أكد الأمير أن المغرب يعد أفضل جسر للتقارب الثقافي ومرجعا تاريخيا في إرساء قواعد التعاون بين شعوب القارة الإفريقية والعالم العربي، وأضاف بأن منتدى «أصيلة» يعتبر أحد الركائز الأساسية لتطوير الحوار العربي الإفريقي مشيرا إلى أن الفكر والأدب والإبداع قد يحقق ما لم تستطع تحقيقه السياسة والدبلوماسية.

سعيد بونوار ـ المغرب ـ

المنهل في نظر محبيه



كانت ومازالت هذه المجلة على صاحبها ومنشئها الرائد الراحل الاستاذ عبد القدوس الانصاري شآبيب الرحمة والمغفرة مرتعاً خصباً لمحبي الأدب ورواد الكلمة الطيبة والفكر النيِّر جامعة فاتحة صدرها رحيب جنابها لكل واعد من شداة الادب ومحبي رياضه؟.

وقد تخرج فيها عشرات الأدباء من شعراء وقصاصين وباحثين ونقاد منهم من قضي نحبه ومنهم من لا يزال عطاؤه مستمراً؟

وقد كان لكاتب هذه السطور شرف التلمذة على يد صاحب هذه المجلة الرائدة - رحمه الله - من خلال المشاركة بالكتابة فيها من بداية الثمانينيات وحتى توفاه الله مغفوراً له إن شاء الله. وقد كان - رحمه الله - نعم الموجه للاقلام الناشئه مستقيم الفكر والهدف واضح الرؤية مخلص العمل والنية محبوباً لدى الجميع عصامي في سيرته ومساره بذل من أجل استمرارية المنهل وعدم توقفها ما الله به عليم رغم شح الموارد المالية إبان صدورها وبعد صدورها وبقوة العزيمة ووقوف المحبين الخلص الى جانبه - وما أقلهم في هذا الزمان - ظلت المنهل كالطود الأشم لا تزحزحه العواصف ولا تقف في طريقه العقبات رغم كثرها!.

وخلفه من بعده من كان خير خلف لخير سلف ابنه الأديب/ نبيه الانصاري وأحفاده زهير وإخوانه تابعوا مسيرتها لتبقى كما شاء لها منشؤها علماً من أعلام الادب السعودي ورائدة من رواده وعلامه بارزه في سمائه وما أحسبها - ولله الحمد - الا كذلك شامخة البنيان عالية الهمم لها من شعارها المعروف (الى الامام على الدوام نصيب وافر).

إنني ومن تتلمذ على يد صاحب هذه المجلة ومن أحبه ورافقه وعرف وفاءه وصدقه وحسن تعامله واستقامته في القول والعمل وحرصه الدؤوب على ما ينفع البلاد والعباد مطالبون بأن تظل هذه المحبة ماثلة في اذهاننا لاهجة بالدعاء الدائم له ترحما ومغفرة والوقوف الى جامعتنا الحبيبة (المنهل) بالكتابة فيها ودعمها ماديا عن طريق الاشتراكات والاعلانات التي هي عصب كل مطبوعه وكل ما يؤدي الى نفعها مادياً ومعنوياً فهي بحاجه الى هذا العون لعلمي بقلة مواردها وضآلة مدخولاتها خاصة مع متطلبات الطباعة الحديثة وما يدخل في شؤونها من فرز الالوان الى غير ذلك من توظيف وخلافه.

نعم هي بحاجة الينا، الى رفاق الدرب والمحبة، إلى تلاميذها من اصدقاء أصفياء وكتاب أوفياء وغيرهم، الى من أحب الانصاري صدقاً وحقيقة وعرف جهاده وكفاحه وصبره وجلده وأدبه وعلمه نعم اليهم ذلك فالمنهل منا والينا واستمرارية نجاحه وتألقه مفخرة لنا ومشعلا وضاء في سماء الأدب السعودي في الداخل والخارج.

ورحم الله استاذنا ومعلمنا وعالمنا الجليل وباحثنا القدير ولغوينا الضليع ومؤرخنا وأديبنا النحرير عبد القدوس الانصاري واسكنه فسيح جناته لقاء ما قدم وأخرج لنا من تراث أدبي وتاريخي سيظل خالدا ينهل منه كل طالب علم على مر التاريخ والعصور. وبالله التوفيق.

على خضران القرني

«نائب رئيس النادي الادبي بالطائف»

المنهل:

لا يسعها إلا أن تتقدم بخالص الشكر والتقدير الى الأديب الأستاذ/ على خضران القرني - نائب رئيس النادي الأدبي بالطائف - والى كل محبي المعرفة والعلم - على ما أبداه تجاه مجلته المنهل وصاحبها - متمنيا له ولناديه الأدبي والى كل من يسعى على درب العلم والعلماء كل التوفيق والتقدم والرقي والازدهار.

الهندسة الوراثية ما لها وما عليها

في جامعة الأزهر عقدت مؤخراً ندوة بعنوان: «الآثار الدينية والأخلاقية لأبحاث الهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية».

في العقد الأخير من هذا القرن تكشفت وتتابعت دراسات وأبحاث الهندسة الوراثية، وتنوعت وتوسعت تطبيقاتها، على الانسان والحيوان والنبات.

وظهر جدل كبير حول مدى استخدامات هذه التقنية الحديثة، وما حدود الإفادة منها.. لا سيما وهى سلاح ذو حدين، وكان التخوف الاكبر في أن يخرج أصحاب هذه التقنية في التعامل معها عن الدائرة الاخلاقية والانسانية.. لهذا، ظهرت اصوات عدة تنادي بضرورة التزام هذه التقنية الحديثة بالجانب الاخلاقى والانساني.

وتناغماً مع هذا الجهد المبذول نحو الالتزام جاءت هذه الندوة لتأطير الجانبين (العلمي والأخلاقي) في اطار واحد ليكون النفع أفضل واشمل.

وجمعت الندوة بين الأطباء والأساتذة المختصين في علم الوراثة وعلماء الدين.

تحدث الاطباء والمختصون حول الهندسة الوراثية وتقنيتها وما تستطيع ان تقدمه للانسانية من خدمات جليلة، ويترتب عليها تحقيق انجازات مستقبلية في الاعراض التشخيصية والعلاجية في الانسان والحيوان، والزراعة والصناعة والبيئة.. وعن طريق الهندسة الوراثية أمكن القضاء على الامراض الوراثية، وذلك بالتوصل إلى الجين الحامل للمرض، وغيرها من الأمراض.

وعلماء الدين تركز حديثهم حول ضرورة التزام هذا العلم بالناحية الاخلاقية والاجتماعية والانسانية والدينية.. وبناء على القاعدة الشرعية (لا ضرر ولا ضرار) يكون التعامل مع معطيات هذا العلم الحديث.

الى العلامة الدكتور محمد رجب البيومي

لقد قرأت ما سطرة العلامة الأديب الأستاذ محمد رجب البيومي في المجلة المحبوبة (المنهل) العدد ٥٥٢ عن الاستاذ الكبير أحمد شفيع السيد وإذا بي وأنا أقرأ فهارس الموضوعات قبل قراءتي للمجلة أجد أن الدكتور/ البيومى يكتب عن الاستاذ أحمد شفيع، قلت: إن الدكتور البيومى قد كتب مقالين سابقين بمجلة الأزهر قديماً عن الأستاذ أحمد شفيع وقد قرأتهما في حينهما عدد جمادى الاولى سنة ١٤٠٨هـ وعدد جمادى الآخرة سنة ١٤٠٨هـ وقلت: هذا ليس من دأب الدكتور البيومى ولا من أخلاقه أن يكتب المقالة ثم ينشرها في مجلتين. وقرأت (المنهل) وإذا بى أجد تغيُّرا ملحوظاً من حيث الصياغة ومن حيث الكتابة وتغايراً في تناول الشخصية، وأقول سبحان من علّم هذا الرجل العلم وبوأه هذه المرتبة العالية.

وقد أعطى الدكتور/ البيومى أسلوباً أخاذاً وعبارة حلوة فهو أديب مطبوع ومؤلفاته الكثيرة تشهد بذلك، ولا أخفى ما بنفسى فأنا شديد الإعجاب بكل ما يسطره وأقرأ له في عدد من المجلات وأتابع كتاباته في دأب ومن هذه المجلات (مجلة الأزهر الغراء) يكشف لنا الدكتور البيومى فيها عن شخصيات عظيمة تلقت تعليمها في الأزهر وتخرجت منه، تحت عنوان (من أعلام الأزهر) ويتطرق لشخصيات نسيها العلماء ونسيها الطلاب أيضاً وكم تمنيت من الله تعالى وسألته راجياً أن يقيض من العلماء من يكشف لنا عن هؤلاء الأعلام ويجليهم لنا، فاستجاب الله الدعاء، وقيض الدكتور البيومى فهو يكتب لنا عن شخصيات فريدة في علمها وعملها، في أنصع صورة وأجلى بيان وكذلك مجلة (منبر الاسلام) ومجلة (المنهل) وأحياناً في مجلة (الوعى الاسلامي) ومجلة (منار الاسلام) ومجلة (التصوف الاسلامي).

أسأل الله العليّ القدير أن يديم للدكتور البيومي الصحة والعافية وطول الأجل ليمتعنا بما يكتبه ويسطره من علم وأدب رصين.. اللهم آمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

«ابراهيم مصطفى فتح الباب»
- مصــر -

ندوة الرحلات الى شبه الجزيرة العربية

انطلاقا من اهتمام دارة الملك عبد العزيز في العناية بتاريخنا وتراثنا الوطني، ودعما للمشروعات العلمية التي تعنى بتحقيقها، تنظم الدارة ندوة «الرحلات الى شبه الجزيرة العربية» بمدينة الرياض وذلك في الفترة من ٧ ـ ١٤٢٠/٨/٩هـ الموافق ١٣ ـ ١٩٩٩/١١/١٥م.

الأهداف العامة للندوة:

١ ـ التعرف على الرحالة والمبعوثين على مختلف اجناسهم الذين زاروا شبه الجزيرة العربية منذ بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي وحصر ما كتبوه عن المنطقة.

٢ ـ التعرف على دوافع الرحالة، والمبعوثين، وأهدافهم من خلال ما ظهر من أوراقهم، وما صدر من مؤلفاتهم.

٣ ـ التعرف على تاريخ المنطقة الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي من خلال كتابات الرحالة والمبعوثين وتقاريرهم، ومشاهداتهم، ووثائقهم.

٤ ـ إلقاء الضوء على القيمة العلمية لكتابات الرحالة والمبعوثين والمهتمين بها بوصفها مصدراً من مصادر تاريخ شبه الجزيرة العربية.

٥ ـ دراسة هذه الكتابات، وتقديم التحليل المناسب لها.

٦ ـ تقويم كتابات الرحالة، والمبعوثين، وتصحيح أخطائها ومغالطاتها.

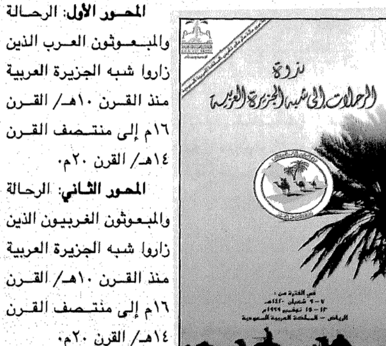
٧ ـ تقويم ما ترجم من كتابات الرحالة والمبعوثين.

محاور وموضوعات الندوة:

تناقش الندوة المحاور والموضوعات الأساسية التالية:

المحور الأول: الرحالة والمبعوثون العرب الذين زاروا شبه الجزيرة العربية منذ القرن ١٠هـ/ القرن ١٦م إلى منتصف القرن ١٤هـ/ القرن ٢٠م.

المحور الثاني: الرحالة والمبعوثون الغربيون الذين زاروا شبه الجزيرة العربية منذ القرن ١٠هـ/ القرن ١٦م إلى منتصف القرن ١٤هـ/ القرن ٢٠م.



المحور الثالث: الرحالة والمبعوثون الآسيويون الذين زاروا شبه الجزيرة العربية منذ القرن ١٠هـ/ القرن ١٦م إلى منتصف القرن ١٤هـ/ القرن ٢٠م.

المحور الرابع: دوافع الرحالة والمبعوثين وأهدافهم.

المحور الخامس:

١ ـ قيمة الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بوصفها مصدراً من مصادر جغرافية شبه الجزيرة العربية وتاريخها الاقتصادي والسياسي.

٢ ـ تقويم الرحلات المترجمة الى اللغة العربية.

بحوث الندوة:

يراعي في البحوث المقدمة ما يلي:

١ أن يكون البحث أصيلا ولم يسبق نشره أو الاشتراك به في ندوة اخري.

ـ أن يكون البحث موافقاً لأهداف الندوة وضمن محاورها.

ـ أن يكتب البحث باللغة العربية أو الإنجليزية على صفحة قياس (A4)وأن ترسم الخرائط والأشكال بطريقة علمية على ورق الكلك الشفاف وأن تكون الصور واللوحات التوضيحية أصلية.

ـ أن يرفق ملخص للبحث في حدود ٢٥٠ كلمة.

ـ أن يرفق مع البحث قرص حاسب آلي على برنامج (Mac) أو (Microsoft Word) .

ـ آخر موعد لتلقي الابحاث نهاية ربيع الآخر ١٤٢٠هـ الموافق ١١ أغسطس ١٩٩٩م.

المراسلات:

ـ اللجنة التحضيرية لندوة (الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية) دارة الملك عبد العزيز ـ ص.ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١

أعلام الألفية الجديدة

الإعلام العربي الإسلامي يعيش حاضراً من التحديات، إما أن يحقق فيها وجوده ويثبت ذاتيته كإعلام له خصوصيته وهويته العربية الاسلامية التى ينبغى الحفاظ عليها نقية طاهرة، أو يذوب في السيل الجارف لإعلام الغرب.

وهذا الموضوع بكل جزئياته وتفاصيله ناقشته الندوة التى عقدت بعنوان (الاسلام والرد على افتراءات الاعلام الغربي) وقد عقدت الندوة في المجلس الاعلى للشئون الاسلامية.

ركز المشاركون في اعمال هذه الندوة على ضرورة أن يكون إعلامنا على مستوى المسئولية العلمية والثقافية والفكرية والأخلاقية وبخاصة فيما يتعلق بمجموعة الدعاوى والأكاذيب الذى ينشرها أعداء الاسلام على المسلمين مما ينبغى تتبعها والرد عليها.

وعلى الاعلام الاسلامى والعربى تقع مسئولية جمع الكلمة، والدعوة الى الوحدة، ونشر الحق والخير بين الناس، والابتعاد عن التبذل، وعن كل ما يحطم الشخصية المسلمة.

إصدارات

مجلة الأدب الاسلامي
العدد العشرون العام ١٤١٩هـ

بهذا العدد العشرين أكملت مجلة الأدب الإسلامي الفصلية سنتها الخامسة، وقد اشتمل هذا العدد على موضوعات كثيرة متنوعة.. فمن المقالات والبحوث: نحو منهج إسلامي في المسرح للدكتور غازي طليمات، ونظرات في الشعر العربي في القرن العشرين للأستاذ الأديب راضي صدوق. وقراءة في ديوان مدائن الفجر للأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين، كما تضمن حواراً مع الدكتور حسن بن فهد الهويمل.

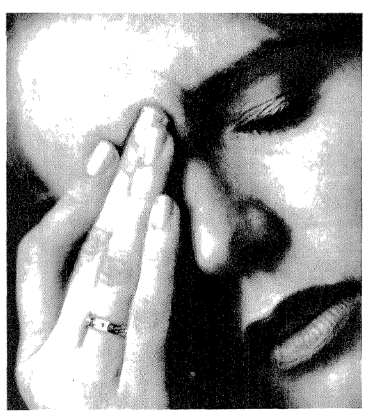
أما في مجال الإبداع فنحن نقرأ قصيدة لفواز الشروقي بعنوان: «دموع من أجل ليلى»، وقصيدة لرفعت المرصفي بعنوان: «رباعيات إلى الوجه الجميل» وقصيدة «رحلت يا أسد الآداب» لخليفة بن عربي، كما تضمنت قصيدة طويلة بعنوان «ستار» للدكتور حيدر الغدير عن نزار قباني.

وفي مجال القصة تضمن العدد قصة مترجمة عن الأدب الأردي بعنوان «الستار» ترجمة د. سمير عبد الحميد، وقصة أخرى بعنوان «عرف الديك» لحسني سيد لبيب، وفي العدد مسرحية عنوانها «الرضا» لفيصل غمري.

هذا بالإضافة إلى الأبواب الثابتة مثل تراث الشعر والنثر، وعنوانه في هذا العدد «بر الآباء» ومكتبة الأدب الإسلامي، وردود ومناقشات، والأقلام الواعدة، وأخبار الأدب الإسلامي.

أما الورقة الأخيرة فهي بعنوان «العقاد يتحدث إلى كتبه» للدكتور عبد الرزاق بن حمود الزهراني ويلي ذلك كشاف عام بالموضوعات والكتاب للأعداد الأربعة الأخيرة ١٧ - ٢٠ المجلد الخامس.

الساعة ا
على الاي



النوم حاجة يومية وتوقيته مبرمج فى الداخل

ادرك علماء الفسيولوجيا منذ فتره طويلة، اهمية ايقاعات البيئة ودوراتها، خاصة تعاقب الليل والنهار كل اربع وعشرين ساعة، كعامل يؤثر في حياة الانسان ويحددها، فالانسان شأنه في ذلك شأن بقية المخلوقات، يخضع للتناوب في كثير من وظائفه الفسيولوجيه، كتناوب النوم واليقظة وتكوين النشا الحيواني في الكبد والتقلبات في درجة الحرارة، فكل هذه العمليات تحدث بانتظام كل اربع وعشرين ساعة.

ولما كانت هذه التغيرات تجري وفقاً لما يدعى «دورة يومية» وتحدث ـ بصرف النظر عن ترابطها أو استقلالها ـ على امتداد دورة الليل والنهار، أي طيلة أربع وعشرين ساعة، فإنها تشكل أساس ما يدعى «الساعة البيولوجية».

ولهذه الايقاعات اليومية اهمية بالغة، فإذا توقفت أو حتى اختلت على نحو سريع أو مفاجيء، فإن ذلك قد يؤدي الى اضطرابات فسيولوجية وسيكولوجية عنيفة، ومن المعتقد أن العوامل البيئية على سطح الأرض، وخاصة تعاقب الليل والنهار، هي بمثابة جهاز للتزامن، فهي تحقق تزامن فترات الايقاعات البشرية اليومية مع الأربع وعشرين ساعة في مقياس الوقت المحلى.

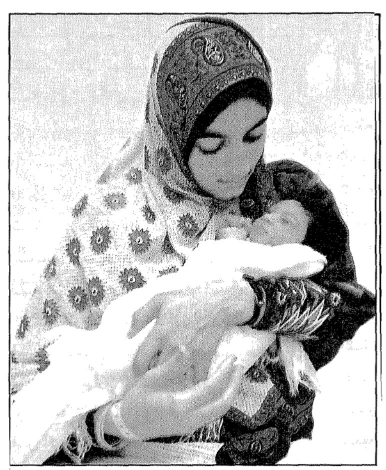
كلنا يعرف مثلا أن من المستحيل أن يحرم الانسان تماماً من النوم لعدة أيام دون أن يتأثر عمله واداؤه بصورة واضحة، وإذا سافر بالطائرة في رحلة لا تستغرق الا بضع ساعات من الشرق الى الغرب أو بالعكس، فإن حرارة الجسم قد لا يمكنها التكيف مع التوقيت المحلى الجديد الا بعد فترة تمتد الى خمسة عشر يوماً، وهي الظاهرة

محمد عوده جمعة
ـ الاردن ـ

بيولوجيه وتأثيرها

قاعـــات اليـــومية

التي تعرف علميا باسم «قصور النفاثات» أى القصور الناجم عن استخدام الطائرات النفاثة، إن الاشخاص الذين يستخدمون الطائرات النفاثة للسفر الى بلاد يختلف توقيتها عن توقيت مكان الاقامة الاصلي، يحدث لديهم هذا القصور الزمني بسبب الانفصام بين الساعات الزمنية وساعات الجسم الداخلية التي تنظم حياة الانسان اليومية، فعند وقت معين من الليل يتسلل الى جسم الانسان الاحساس بالتعب والخمول حتى يذهب الى النوم، وفي الصباح الباكر تبدأ هذه الساعة في ايقاظه لكي يبدأ يوماً جديداً مشرقاً، يحدث ذلك حتى لو لم ينم بقدر كاف اثناء الليل، لكن اذا تغيرت طبيعة حياة الانسان وانتقل الى منطقة ذات توقيت مختلف فإنه يصاب لعدة ايام باعراض القصور الزمني، وهي الاحساس بالتعب في اوقات غير مناسبة وعدم القدرة على النوم في الليل، وعدم الاحساس بالجوع في الاوقات المعتادة والشعور



الطفولة والأمومة تناسق متكامل .. وسبحان الله الخالق

بالقلق وزيادة الحساسية.

وقد تأسس حديثاً علم جديد يسمى «كرونوبيولوجي» أي التأثير الدوائى بدالة الزمن، فقد لوحظ أن الجسم عندما يكون خاضعاً للتزامن

(أي عندما يكون خاضعاً للدورة اليومية العادية التي يبلغ طولها ٢٤ ساعة) فإن تأثير كثير من الأدوية يتفاوت بحسب وقت تعاطيها، ويترتب على ذلك أن اى تغير في مدة دورة النوم واليقظة أو في أى دورة اخرى من دورات الجسم، قد يؤثر على فاعلية الدواء فيغير أو يعكس تأثيره العلاجى.

وقد اجريت التجارب على استخدام الهيبارين في الاوعية الدموية لمنع تخثر الدم عن طريق تثبيت مضخة في جسم المريض تحقنه بصورة منتظمة بقدر ثابت من الهيبارين، وقد ظهر من هذه التجارب أن حقن الهيبارين في فترة منتصف الليل يؤدي الى حدوث نزيف داخلي، بينما يؤدي حقنه في النهار المبكر الى تخثر (تجلط) الدم في العروق، وقد نبهت هذه التجارب الى ضرورة التحكم في مقدار الهيبارين الذي يجب اعطاؤه للمريض المصاب بالجلطة في كل ساعة اثناء النهار سواء بالزيادة أو النقصان.

كذلك اوضحت الدراسات أن فاعلية العقاقير المستخدمة في علاج الاورام السرطانية في حيوانات التجارب تختلف من وقت الى آخر، فقد تبين أن الآثار الجانبية لهذه العقاقير تكون في بعض الاحيان قليلة جدا عند استعمالها في وقت معين من اليوم، وعند تطبيق هذه المشاهدات على الانسان، لوحظ أن علاج الثدي المصاب بالسرطان باستخدام الاشعة والعقاقير عند الساعة السادسة صباحاً اقل فاعلية عنه إذا أجري اثناء الليل، وهذا يعتبر بداية الطريق في نظام جديد لعلاج مثل هذه الحالات، وهو ما يسمى بالعلاج بـ(دالة الزمن) من اجل زيادة فاعلية الدواء، وقد افاد هذا العلم الجديد في التشخيص المبكر لسرطان الثدي عند السيدات قبل انتشاره وتحوله الى نوع خبيث.

ومن الممكن قياس درجة حرارة الثدي كل نصف ساعة بواسطة اجهزة دقيقة حساسة لتغيرات درجات الحرارة مع تدوينها اثناء ساعات اليوم بواسطة الكمبيوتر، وتساعد هذه الطريقة على اكتشاف اى تغيرات غير طبيعية في انسجة الثدي، وبدأت الدراسة باكتشاف أن درجة حرارة الثدى تتغير خلال الـ ٢٤ ساعة من اليوم، وخلال ايام الدورة الشهرية، إن خلاصة هذه التجارب هو أن تغيرات درجة حرارة الثدي المصاب بالورم السرطاني تعطى صورة مختلفة تماماً عن تلك التي تظهر في الثدي السليم اثناء مرحلة الدورة الشهرية.

إن الدور الذي تؤديه الساعة البيولوجية في حياتنا لا يقتصر على التطبيقات العلاجية والتشخيصية، انما لها تأثير ايضاً على تكاثر النباتات والحشرات، فقد ادرك العلماء منذ مدة طويلة أن الحيوانات والنباتات تبدر منها أنواع من السلوك ترتبط بدورات معينة، وهذا السلوك ليس سببه حافز خارجي كشروق الشمس مثلا، وانما يحدث نتيجة لوجود منبه داخلي أو ساعة بيولوجية، فقد لوحظ أن بعض النباتات ترتفع اوراقها نحو السماء قبل شروق الشمس بساعة كي تلتقط اولى الفوتونات، وهذه الدورات تستمر حتى وإن عاشت النباتات والحيوانات في ظلام دامس.



وقد توصل العلماء الى اكتشاف الجين الذي يتحكم في الزمن البيولوجي للنبات، فهذا الجين يسيطر على الايقاعات البيولوجية للنباتات المختلفة، وهو الذى يحدد حركة الاوراق وتفتح المسام يومياً، وهو الذي يضع الجدول الزمني لتفتح الزهور ودورات التخليق الضوئي، ويعتقد العلماء أن بامكانهم الاعتماد على هذا الجين في زراعة البساتين ونباتات الزينة، بل انهم ينوون استغلاله في الزراعة بصفة عامة وتجربته على الانسان، ويرى كثير من الباحثين أن بعض الامراض والعلل التى يعانى منها عدد غير قليل من الناس، بما في ذلك بعض اشكال الاكتئاب النفسي، سببها خلل في الساعة البيولوجية.

وفي السنوات الاخيرة وجد العلماء جينات معينة تتحكم في الايقاعات البيولوجية لذباب الفاكهة وعفن الخبز والبكتيريا، وهي الكائنات التى تتكاثر ويحدث لها دورات نمو فجائية في اوقات محددة من النهار، واعتمدوا في ابحاثهم على المقارنة بين الكائنات التى تعيش في اطار جدول زمني معين وبين الكائنات التى تعيش خارج هذا الجدول وتحققوا من نوعية الجينات التى اختلفت عن غيرها، الا أن هذا البحث كان اكثر صعوبة فيما يتعلق بالنباتات لأن الايقاعات اليومية الاساسية كتلك التى تتحكم في التخليق الضوئى تشغيلا وايقافاً، تصعب رؤيتها وتميزها في النباتات.

التعريف والتنكير في القرآن الكريم

يتحدث الزمخشري عن المعاني الإضافية للتعريف، وعنده أن:

أ ـ التعريف بأل أو اللام قد يأتي (للعهد) كقوله تعالى {وليس الذكر كالأنثى} جاء في الكشاف: معناه: وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها، ونحوه (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإنّ الجحيم هي المأوي} جاء في الكشاف: «والمعنى: فإن الجحيم مأواه كما تقول للرجل: غضّ الطرف تريد طرفك، وليس الألف واللام بدلا من الإضافة ولكن لما علم أن الطاغي هو صاحب المأوى وأنه لا يغض الرجل لطرف غيره تركت الإضافة، ودخول حرف التعريف في المأوى والطرف للتعريف لأنهما معروفان».

ب ـ وقد يكون التعريف (بأل) مفيداً للجنس، كقوله تعالى: {والسلام عليَّ يوم وُلِدْتُ ويوم أموتُ ويوم أبْعثُ حيّاً} جاء في الكشاف: وتحقيقه أن اللام للجنس، فإذا قال: وجنس السلام عليَّ خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم، وكقوله تعالى: {يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله}، جاء في الكشاف: فإن قلت لم عرّف الفقراء؟ قلت قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء، وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم لأن الفقر ممّا يتبع الضعف وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر، وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله {وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً} وقال الله سبحانه وتعالى: {الله الذي خلقكم من ضعف} ولو نكر لكان المعنى أنتم بعضُ الفقراء.

واستغراق الجنس مع المفرد أشمل، من ذلك قول الزمخشري في قوله تعالى: (وبشِّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنَّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار).

«اللام في الصالحات ـ للجنس ـ فإن قلت: أي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع؟ قلت: إذا دخلت على المفرد كان صالحاً لأن يراد به الجنس إلى أن يحاط به وأن يراد به بعضه إلى الواحد منه، وإذا دخلت على المجموع صلح أن يراد به جميع الجنس وأن يراد به بعضه لا الى الواحد منه لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحداته[١].

وقد تكون (موصولة) ويكون المشتق معها مرادفاً لفعله نحو {ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين}، جاء في الكشاف: (ـ من الظالمين ـ من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله)، ونحوه (إن

بقلم: د. تامر سلوم سلوم
استاذ البلاغة بجامعة الملك فيصل
ـ السعودية ـ

المصَّدِّقين والمصَّدِّقات وأقرضوا الله قرضا حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم) جاء في الكشاف: «فإن قلت: علام عطف قوله - وأقرضوا - ؟ قلت: على معنى الفعل في المصَّدِّقين لأن اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كأنه قيل: إن الذين اصدقوا وأقرضوا»·

وقد تكون كمالية أو للكمال في الصفة· نحو (وأولئك هم الغافلون) - أي - الكاملون في الغفلة· وكقوله (آلم ذلك الكتاب) معناه: إن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتاباً، على أن هناك دلالات أخرى - وقف عندها الزمخشري - حيث يكون التعريف نائبا عن المضاف إليه، أو يكون مفيداً للإبهام، أو على تأويل التنكير[٢]·

فالتعريف أو اللام من قوله تعالى {وعلّم آدم الأسماء كلها} - الأسماء كلها - أي أسماء المسميات· فحذف المضاف إليه لكونه معلوماً وعوّض منه اللام كقوله تعالى {واشتعل الرأس}·

أما الإبهام فكقوله تعالى {فإذا نزل بساحتهم فساء صباحُ المُنْذَرين} يقول الزمخشري: «والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المُنْذَرين (مبهم) في جنس من أنذروا لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك·

ومن تأويل التنكير قوله تعالى: {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعشيِّ} يقول الزمخشري: بالغداة والعشي - دائبين على الدعاء في كل وقت ·· وإدخال اللام على تأويل التنكير كما قال: والزّيدُ زيدُ المعارك، ونحوه قليل في كلامهم·

ومما تجدر الإشارة إليه أنه قد يجتمع غرضان أو أكثر في معرض واحد من ذلك[٣]:

أ - جواز العهد والجنس· كقوله تعالى: {ومن النَّاس منْ يقول آمنّا} لام التعريف فيه للجنس ويجوز أن تكون للعهد والإشارة إلى الذين كفروا·

ب - جواز العهد والإنابة من الإضافة· كقوله تعالى {الم غلبت الروم في أدنى الأرض}· يقول الزمخشري: «والأرض أرض العرب لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم - أو أراد أرضهم على إنابة اللام مناب المضاف إليه: أي في أدنى أرضهم إلى عدوّهم»·

جـ - جواز العهد والجنس والنائبة من الإضافة: كقوله تعالى {أنّ لهم جنَّات تجري من تحتها الأنهارُ} يقول الزمخشري: «وأما تعريف الأنهار فأن يراد الجنس··· (الذي) في علم المخاطب أو يراد أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله - واشتعل الرأسُ شيبا - أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله - فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه - ·

د - جواز الجنس أو الإنابة عن الإضافةكقوله تعالى {وأنزل معهم الكتاب بالحق} - الكتاب - يريد الجنس أو مع كل واحد منهم كتابه·

وهناك التعريف باسم الموصول· ومن معانيه الإضافية - عند الزمخشري -

أ - التفخيم أو التعظيم· كقوله تعالى {فأوحى إلى عبده ما أوحى} وقوله {إذ يغشى السِّدرة ما يغشى} وقوله {فلما وضعتها قالتْ: ربِّ إنّي وضعتها أنثى والله أعلمُ بما وضعتْ}·

ب ـ التحقير والتصغير كقوله تعالى {وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كلٌّ له قانتون} جاء في الكشاف: «فإن قلت: كيف جاء بما التي لغير أولي العلم مع قوله قانتون؟ قلت: كأنه جاء بما دون من تحقيراً لهم وتصغيراً لشأنهم كقوله {وجعلوا بينه وبين الجنَّة نسباً}».

جـ ـ التمييز أو التفرقة بالوصف كقوله تعالى {قل يا أيها الكافرون لا أعبدُ ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد} جاء في الكشاف «فإن قلت: فلمَ جاء على ما دون من؟ قلت: لأن المراد الصفة كأنه قال: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق»·

وهناك التعريف باسم الإشارة، ومن معانيه الثانية عند الزمخشري:

أ ـ التوكيد والاستحقاق كقوله تعالى{أولئك على هدى من ربِّهم} جاء في الكشاف: «وفي اسم الاشارة الذي هو ـ أولئك ـ إيذانٌ بأنّ ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم: ولله صعلوكٌ· ثم عدّد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله:

فـذلك إن يهلكْ فـحـسنى ثناؤه

وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مذمما

ب ـ التفخيم والتعظيم· كقوله تعالى: {ربَّنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار} جاء في الكشاف: «وفي ـ هذا ـ ضرب من التعظيم كقوله ـ إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ـ وقوله (قالت فَذَلِكُنَّ الذي لُمْتُنَّني فيه) جاء في الكشاف «قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعاً لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يحب ويتفنن به واستبعاداً لمحله·

جـ ـ التحقير والتصغير كقوله {وما هذه الدنيا إلا لهوٌ ولعبٌ} جاء في الكشاف ـ هذه ـ فيها ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها·

أما التعريف بالإضافة ـ فمن معانيه الثانية التي ذكرها الزمخشري في كتابه (المفرد والمؤلف)·

أ ـ التخصيص كقولك: (غلامُ زيد) لأن الإضافة بمعنى اللام الموضوعة للخصوصية· وقد تصطبغ بروح اعتزالية كقوله تعالى (سبحان ربِّك ربّ العزة عما يصفون} جاء في الكشاف : «أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق·

ب ـ البيان ـ والإضافة فيها مرادفة (من) كقوله تعالى {وما يُتْلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء} جاء في الكشاف: فإن قلت الإضافة في يتامى النساء ما هي؟ قلت: إضافة بمعنى (من) كقولك: عندي سحق عمامة· وقوله تعالى (قالوا أضغاثُ أحلام) والإضافة بمعنى (من) أي أضغاث من أحلام: والمعنى هي أضغاث أحلام·

وقد يختلط هذا المعنى بمعنى آخر كالتبعيض كقوله تعالى (ومن الناس منْ يشتري لهو الحديث)· جاء في الكشاف: «فإن قلت ما معنى إضافة اللهو إلى الحديث؟ قلت: معناها التبيين وهي الإضافة بمعنى منْ وأنْ يضاف الشيء إلى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج، ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل: ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه·

جـ ـ الملابسة: وقد تكون، الإضافة لأدنى ملابسة كقوله تعالى (وجاهدوا في الله حقَّ جهَاده) جاء في

الكشاف: «فإن قلت: ما وجه هذه الإضافة، وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه كما قال:- وجاهدوا في الله - ؟ قلت الإضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص. وفي المفصل «ويضاف الشيء الي غيره بأدنى ملابسة بينها.

د - التفخيم والتعظيم . كقوله تعالى (هذه ناقة الله لكم آية فذروها) جاء في الكشاف: (أضيفت - الناقة - إلى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها). ومن هذا الوادي قوله تعالى {إنما أُمرْتُ أن أعبد ربَّ هذه البلدة} جاء في الكشاف: «البلدة: مكة المكرمة حرمها الله تعالى. اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه وأكرمها عليه وأعظمها عنده. وهكذا قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال: إني أعلمُ أنّك أحبُّ بلاده الله إلى الله، ولولا أنَّ أهلك أخرجوني ما خرجت.

هـ - الاستهزاء والتوبيخ والتهكم كقوله تعالى (ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقُّون فيهم) جاء في الكشاف: شركائي - على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم.

و - الاستحقاق: كقوله تعالى {إذا زُلْزلت الأرض زلزالها} معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة وهو مشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده، ونحوه قولك: أكرم التقي إكرامه وأهن الفاسق إهانته. تريد ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة.

ز - الاستعطاف والتحسر كقوله تعالى {وتولى عنهم وقال: يا أسفا على يوسف} جاء في الكشاف: «يا أسفا - أضاف الأسف وهو اشد الحزن والحسرة إلى نفسه، والألف بدلا من ياء الإضافة - وهو دليل على تمادي أسفه على يوسف وأنه لم يقع فائت عنده موقعه. وأن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولأن الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتب عليها الرزء في ولده. فكان الأسف عليه أسفاً على من لحق به[٤].

وإذا ما انتقلنا إلى ظاهرة (التنكير) فإننا نجد الزمخشري يشير إلى معان ثانية غير التبعيض. كالتقليل، والتكثير والشمول، والتنكير على نيّة التعريف، ومن أجل تنكير آخر، والتخصيص أو النوع والإبهام والتفخيم والتعظيم، والكمال في الصفة[٥].

١ - فمن التنكير الذي يفيد (التقليل) تنكير (شيء) من قوله تعالى: (ولَنَبْلُوَنَّكُمْ بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات) وقوله تعالى {ورضوان من الله أكبر} أي قليل من رضوان الله أعظم من هذا المتاع الكثير[٦].

٢ - التكثير: ومنه قوله تعالى {فيها عينٌ جارية} يريد عيوناً في غاية الكثرة كقوله - علمت نفسٌ - ومنه قوله تعالى {أن تقول نفسٌ يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله} إذ المراد بالتنكير في (نفس) التكثير كما قال الأعشى:

ورب بقيع لو هتفت بجوه
أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا

وهو يريد أفواجا من الكرام ينصرونه لا كريماً واحداً، ونظيره ربّ بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد

اختلس الطعنة ولا يقصد إلا التكثير.

٣ ـ الشمول. ومنه قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة}. ففي تنكير الفاسق والنبأ شياعٌ في الفساق والأنباء كأنه قال أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة. ومنه قوله تعالى {وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون}. قوله ـ على ذهاب به ـ من أوقع النكرات وأحزّها للمفصل. والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطرق من طرقه، وفيه إيذان باقتدار المذهب وأنه لا يتعاي عليه شيء إذا أراده[٧].

٤ ـ على نية التعريف: ومنه قوله تعالى: {قال موعدكم يوم الزينة وأن يُحْشَر الناس ضحى} يقول الزمخشري: «ويجوز على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه[٨].

٥ ـ من أجل تنكير آخر: كقوله تعالى {ربنا هبْ لنا من أزواجنا وذُرِّيَّاتنا قرّة أعين} يقول الزمخشري: فإن قلت: لم قال قرّة أعين فنكر وقلل؟ قلت: أما التنكير فلأجل تنكير القرة لأن المضاف لا سبيل الى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه. كأنه قيل هب لنا منهم سرورا وفرحاً. وكقوله تعالى: {إنما صنعوا كيد ساحر} حيث نكرّ من أجل تنكير المضاف لا منْ أجل تنكيره في نفسه كقول العجاج: «في سعي دنيا طالما قد مدت..» كأنه قيل إن ما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي[٩].

٦ ـ التخصيص أو النوع: كقوله تعالى (فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) جاء في الكشاف ـ فهل إلى خروج ـ أي إلى نوع من الخروج سريع أو بطيء ـ وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وإنما يقولون ذلك تعللا وتحيراً ومنه قوله تعالى (وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذابٌ عظيم)، جاء في الكشاف ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعاً من الأغطية غير ما يتعارفه الناس، وهو غطاء التعامي عن آيات الله، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله[١٠].

٧ ـ الإبهام: من ذلك قوله تعالى {يوم يكشف عن ساق ويُدْعَوْنَ إلى السجود فلا يستطيعون} جاء في الكشاف: فإن قلت: فلم جاءت منكرة في التمثيل؟ قلت: للدلالة على أنه أمر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف.. ومنه تنكير (أرضاً) من قوله تعالى (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا}. جاء في الكشاف: أرضاً ـ أرضاً منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف، ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة[١١].

٨ ـ التفخيم والتعظيم: من ذلك قوله تعالى {ألر. تلك آيات الكتاب وقرآن مبين}. جاء في الكشاف: وتنكير القرآن للتفخيم، وقوله تعالى {وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم}. أيّ من عند أي حكيم وأيّ عليم. وهذا معنى مجيئهما نكرتين[١٢].

٩ ـ الكمال في الصفة: ومنه قوله تعالى {هذا هُدًى} جاء في الكشاف: أي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل تريد كامل في الرجولية وأيما رجل. وكقوله تعالى {يُبشِّرهم ربُّهم برحمة منه

ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم} جاء في الكشاف: «وتنكير المبشر به لوقوفه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف».

وكتنكير (شُغُل) من قوله تعالى {إن أصحاب الجنة اليوم في شُغُل فاكهون} أي في أي شغل، وفي شغل لا يوصف»[١٣].

والشأن في التنكير كالشأن في التعريف فقد يلتقي غرضان أو أكثر في موقف واحد من المواقف الآنفة الذكر. فهناك (الإبهام والتبعيض) كقوله تعالى {أم على قلوب أقفالها} حيث في تنكير القلوب وجهان:

أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك، أو يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين. وهناك (التبعيض والشمول)، كما في قوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنَّ خيراً منهُنَّ} حيث تنكير القوم والنساء يحتمل معنيين: أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض أو أن تقصد إفادة الشياع وأن تصير كل جماعة منه منهيّة عن السخرية. (والنوع والتبعيض) كقوله تعالى (ليمسَّن الذين كفروا منهم عذاب أليم) أي نوع شديد الألم من العذاب ويجوز أن تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم.

والتعظيم والتخصيص كقوله تعالى: {إن الذي فرض عليك القرآن لرادُّك إلى معاد} جاء في الكشاف - إلى معاد - أي معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك.

والتعظيم والتبعيض) كقوله تعالى (فيه شفاء للناس). جاء في الكشاف وتنكير شفاء إما لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لأن فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل. (والكمال في الصفة والتبعيض) كقوله تعالى {وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم}. جاء في الكشاف ونحو التنكير فيه ما في قول كثير:

لئن كان يهدي برد أنيابها العلى

لأفقر مني إنني لفقير

أراد: إنني لفقير بليغ الفقر حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه فيّ وإلا لم يستقم معنى البيت. وكذلك قوله {هذا صراط مستقيم} يريد صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه ويجوز أن يراد هذا بعض الصرط المستقيمة توبيخاً لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه.

- للموضوع صلة -

الهوامش:

(١) الزمخشري: الكشاف - طبعة الحلبي بمصر ١٩٦٦ - ٣٠٤/٣ والكشاف ٢٥٥/١.
(٢) الكشاف: ٦٥/٤ والكشاف ٤٧/٣.
(٣) الكشاف: ٣/ ٢٤١.
(٤) الكشاف ١٥٧/٢ والكشاف ٦٥/٣.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٠٨ والكشاف ٣٢٧/٣ - ٣٢٨ والكشاف ٢٧٩.
(٦) الكشاف ١/ ٢٢٣.
(٧) الكشاف ٣/ ٢٨.
(٨) الكشاف ٢/ ٥٤٢.
(٩) الكشاف ٢/ ٥٤٥.
(١٠) الكشاف ٣/ ٤١٨ والكشاف ١/ ٢٦٥.
(١١) الكشاف ٤/ ١٤٧ والكشاف ٢/ ٣٠٥.
(١٢) الكشاف ٢/ ٣٥٨ والكشاف ٣/ ١٣٧.
(١٣) الكشاف ٣/ ٣٢٦ والكشاف ٣/ ٥١٠ والكشاف ١٨٠/٢.

من أسرار الهجرة

في هذه اللحظات التاريخية المباركة ونحن والعالم الإسلامى أجمع نقف أمام مشارف عام هجرى جديد، فذكرى هجرة الرسول {صلى الله عليه وسلم} تسجل للمسلمين مجداً دائما لا يبيد، وتحرك في نفوسهم واقع القدوة والاتباع وتضع أمام أعينهم معالم الجهاد النبوي الظافر، إن ذكرى الهجرة تهيب بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يترسموا خطاه وأن يسيروا على نهجه حتى يرفعوا راية النصر كما رفعها {صلى الله عليه وسلم}، وفي هذا الجو المشحون بالذكريات الغالية والأمجاد العالية ومع مطلع كل عام هجرى جديد نأمل أن يكون موقظا لشعور الشعوب العربية والإسلامية وحافزا للهمم وهاديا إلى شرف الغاية.

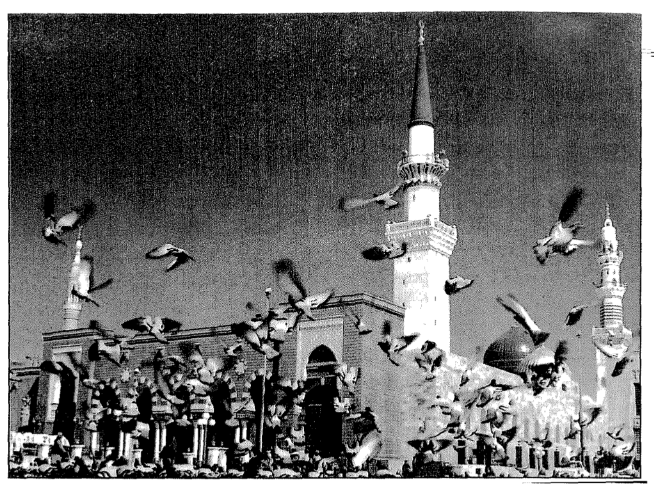
وعند حلول كل عام هجري جديد يستقبله كل مسلم وكل مسلمة، فتعاوده ذكرى هجرة رسول الله سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم}. من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة في سبيل الدين. تلك الهجرة التى استمدت روحها وخطها من وحي الله، ونسجها من خلق رسول الله، واستقرت أحداثها ومقاصدها في قلوب ومسامع الأجيال مثلا مضروبا لقواد الإنسانية عامة وقادة المسلمين خاصة، يستلهمون منها الصبر على المكاره، والاستمساك في مزالق الفتن، والاستبسال في مواطن المحن والاستشهاد في سبيل المبدأ الحق والاعتقاد الصادق.

لقد بلغ الرسول {صلى الله عليه وسلم} رسالة ربه، حين أمره فى قوله سبحانه **{وأنذر عشيرتك الأقربين}** (الشعراء/ ٢١٤). ثم جهر بدعوته، وصدع بالحق الذى جاء به حين نزل عليه قول ربه في القرآن الكريم: **{فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين}** (الحجر/ ٩٤).

وإذا تلمس العرب والمسلمون اليوم أسبابا تصلهم بمستقبل ظافر مشرق مجيد يستعيدون فيه كيانهم الممتاز، ومجدهم السامق وحضارتهم الفريدة، وهم حين يسيرون في سبيل تحقيق هذا الأمل العزيز. فإنهم يجدون من الضرورى المحتم أن يستقرئوا تاريخهم الأغر، وماضيهم المحشود بالمآثر والمفاخر، ليستلهموا منه القبس الذى يضيء لهم درب النصر، ويعلمهم كيف يبنون المستقبل، وهم يضعون في حسابهم سنن الحياة، ونواميس الكون، ويستمدون المعونة ممن تخضع هذه النواميس لإرادته فإنه وحده الذى إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون.

إن هذا الماضى الزاخر بالدروس القيمة، لابد أن يكون ماثلا أمام الأبصار والبصائر فإننا معاشر العرب والمسلمين مشدودون بحبال وثيقة إلى هذا التراث الخالد، وإلى ذلك النبي القائد وصحابته البررة الأماجد، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها وإننا لو استعرضنا الذكريات الاسلامية لوجدنا أن حادث الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة أبرز حادث في تاريخ الإسلام كله.. ذلك أنه كان

بقلم: فيصل صالح أسعد
- جدة -



فرقانا بين عهدين متمايزين في تاريخ الدعوة بل وفي تاريخ العالم كله، عهد كان فيه الحق حبيساً بين شعاب مكة مضغوطا على أنفاسه بالبطش والانتقام، من أعداء الحق وأعوان الشر وعصبة البغي والضلال.. وعهد صار الحق فيه صوته المدوى وكيانه المستقل تعطي للفرد حريته وكرامته وتمنحه أمنه وسعادته، وتهيء للمجتمع ازدهاره وطمأنينته وعزته وسيادته، إن عظمة هذا الحادث لتتألق عبر العصور والدهور بالدرجة التي عبر عن سموها تخير الفاروق عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لعام الهجرة ليكون مبدأ لتاريخ الإسلام إذ بخطوات النبي {صلى الله عليه وسلم} ليلة الهجرة تفتحت مغاليق الخير على البشرية جمعاء.. لتحيل مواتها إلى حياة، وذبولها الى انتعاش وحركة وحيوية.. وكأن أقدام النبي {صلى الله عليه وسلم} كانت تطمس في تلك الليلة الكريمة معالم الضلال والكفر والإلحاد.. فإذا السيل المؤمن بعدها يجرف الوثنية والإباحية والكسروية والقيصرية والعنجهية والجاهلية.. ويقيم مكانها حصون الأخوة الإسلامية والمودة الإنسانية والتعالى على كل قوة بشرية والخضوع التام للجدير بالخضوع والعبودية حتى ظهر الجنى الطيب لما غرسه الرسول المجاهد من عقيدة ومبادىء.

معنى الهجرة في اللغة :

ومفهوم الهجرة اللغوى يوحي بترك الوطن، وعلماء اللغة يقولون: هجرة الشيء تركه إلى غير رجعة والهجرة ضد الوصل، قال ابن منظور في لسان العرب: الهجرة - بكسر الهاء - والهجرة - بضمها - الخروج من أرض إلى أرض. وقد لا يتلفت الهاجر الى المكان الذى يهجره ولا يتذكره، وربما لا يطرأ له على بال، بعكس المهاجر - من هاجر - الذى لا ينسى وطنه، ولذلك يقال: هاجر النبي {صلى الله عليه وسلم} ، ولا يقال: هجر، ويقال: المدينة مهاجر المسلمين ولا يقال: مهجرهم. وقال الأزهري - فيما يحكيه صاحب لسان العرب أيضا - وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوى من باديته إلى المدن، يقال: هاجر الرجل إذا

فعل ذلك، وكذلك كل تارك مسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه فقد هاجر قومه. قال: وسُمِّي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التى نشأوا فيها لله، ولحقوا دارا ليس لهم فيها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة المنورة، فكل من فارق بلده من بدوى أو حضري أو سكن بلداً آخر فهو (مهاجر) والاسم منه (هجرة)، قال الله تعالى: **{ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة}** (النساء/ ١٠٠).

وكل من أقام من البوادى بمباديهم ومحاضرهم في القيظ، ولم يلحقوا بالنبي {صلى الله عليه وسلم} ولم يتحولوا إلى أمصار المسلمين التى أحدثت في الإسلام وإن كانوا مسلمين فهم غير مهاجرين، وليس لهم في الفيء نصيب ويسمون الاعراب. وهناك فرق بين (هاجر) و(تهجر) يوضحه حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حيث يقول: (هاجروا ولا تهجروا).

ومعناه كما شرحه أبو عبيد «اخلصوا الهجرة لله، ولا تشبهوا بالمهاجرين على غير صحة منكم، فهذا هو التهجر، وهو كقولك: فلان يتحلم وليس بحليم ويتشجع وليس بشجاع - لسان العرب مادة هجر.

الهجرة في التاريخ الإسلامي:

من الأمثال الشهيرة لا كرامة لنبي في وطنه لذلك هاجر كل الأنبياء فما من نبي إلا كانت له هجرة، فكان على الأنبياء أن يتركوا القوم الذين أصموا آذانهم وأغلقوا عقولهم عن دعوة هؤلاء الأنبياء الكرام لينطلقوا في الآفاق يبشرون بدين الله ويدعون إلى الله ولقد هاجر الأنبياء جميعهم وسوف أذكر بعض أمثلة لهجرة بعضهم عليهم السلام جميعاً:

١ - هاجر نوح عليه السلام هجرته الكبرى مع الطوفان وترك واديه الذى كان يقيم فيه إلى حيث مقره الجديد الذى استوت فيه سفينته على الجودى.

٢ - وهاجر ابراهيم «أبو الأنبياء» من أرض العراق الى أرض الشام، وكانت حياته سلسلة من السياحات حيث رحل من الشام إلى مصر ثم عاد إلى فلسطين، ثم رحل إلى مكة المكرمة مصطحباً معه وليده إسماعيل وأمه هاجر في واد غير ذي زرع، وكان ذلك بأمر من ربه لحكمة ظهرت فيما بعد حيث أمره الله برفع القواعد من البيت، وأمره أن يؤذن في الناس بالحج اليه. وفي هجرة ابراهيم - عليه السلام - قال الله تعالى: **{وقال إنى مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم}** (العنكبوت/ ٢٦).

٣ - وهجرة موسى - نبيا رسولا - بقومه معروفة وكانت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وقد صحبتها معجزات باهرات آخرها فلق البحر ومروره على أرض ييست بقدرة الله - على الرغم من مرور ملايين السنين لم ينقطع عنها الماء.

٤ - وهاجر عيسى مع أمه حين توجست الخوف من بنى إسرائيل على وحيدها، ففرت به إلى مصر حيث يقول بعض المفسرين ذلك عند قوله تعالى: **{وءاويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين}** (المؤمنون/ ٥٠) وبعضهم يذكر أماكن غير مصر، القرطبي جـ ١٢ ص ١٢٦.

إلا أنهم جميعا متفقون على رحيل مريم بوليدها من المكان الذى ولدت فيه إلى مكان آخر خوفا عليه.

الهجرة تضحية وفداء وتأييد من الله:

الهجرة شهادة صدق وتأييد لصاحبها بأنه يؤثر ما يريده الله على هوى نفسه ويضحي بأعظم محبوب لدى الإنسان وهو الوطن في سبيل العقيدة الصحيحة التى آمن بها، والتى يضحى من أجلها بكل عزيز وغال.

والهجرة بمعناها الأعم ضرب من الجهاد، بل هى قمة الجهاد، وهى باقية غير منقطعة ما دام هناك استضعاف وحيلولة بين المرء وقدرته على الجهر بالحق، قال الله تعالى في شأن هؤلاء الذين يؤثرون البقاء في ظل الذل والاستكانة والخوف: **{إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة**

فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا} (النساء/ ٩٧، ٩٨).

ولقد فهم قوم على عهد النبي {صلى الله عليه وسلم} أن الهجرة انقطعت بالفتح كما يفهم من ظاهر اللفظ فأرشدهم النبي {صلى الله عليه وسلم} إلى أن الهجرة ماضية الى يوم القيامة، أورد ابن عبد البر في كتابه (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) في ترجمة جنادة بن أميمة الأزدي الخبر الآتي: قال جنادة: إن رجالا من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اختلفوا فقال بعضهم: إن الهجرة قد انقطعت. فقال النبي {صلى الله عليه وسلم}«لا تنقطع الهجرة ما كان الجهاد» (الاستيعاب ١/٢٤٩).

دروس وعبر من حادث الهجرة:

أولا: ان أول ما توحي به تلك الذكرى العطرة أن المسلم لا يمكنه أن يرضى بالضيم.. أو يقبل الذل والقيد، إنه يتمتع دائما بالإباء والشمم والعزة والسيادة فإن رسوله العظيم هو الذى علم البشرية كيف تأبى الهوان، مهما تحملت من مصاعب وشدائد ولو كان من هذه المصاعب هجران الوطن وفيه مستقر الآباء والأجداد، ومطمح الآمال والأمجاد ومسكن الأهل والأولاد. ذلك أن المسلم يسترخص كل عزيز ونفيس في سبيل دينه وعقيدته وإبائه وحريته فقد تعلم من الإسلام أنه خلق حراً فلا ينبغي أن يستعبد، وعزيزا فلا ينبغي أن يستذل، بل إن قرآنه يناديه أنه لو خضع للذلة ولم يهاجر فإن مأواه جهنم وبئس المصير: **{إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا}** (النساء/ ٩٧)، وإذا كان المتسلطون الجبارون يحيكون له المؤامرات، ويحكمون من حوله الحلقات، فإن حرارة الإيمان في قلبه تصهر كل قيد ولو كان من حديد وما عليه إلا أن يبذل ما في استطاعته، ثم يلجأ إلى الحفيظ العليم، فإذا هو محفوف بكل عناية محاط بكل رعاية، مؤيد بكل قوى الأرض والسماء. **{ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزا حكيما}** (الفتح/ ٧).

بهذه الدوافع الإيمانية انطلق الرسول وصحبه يهاجرون من بلد ضيقت عليهم الخناق ودبرت لهم المكائد، واتخذت كل وسيلة لإطفاء نور الله.. إلى بلد بايعت ووثقت بيعتها مرتين، وبدا منها الوفاء والإصرار على حماية هذه الدعوة ونشرها في الآفاق، بعد أن حبب الله إليها الإيمان، فنفذ شعاعه إلى أعماقها فاستعدت للتضحية والفداء.

وإذا كان في هذا معنى الإباء عن الضيم والإذلال والاضطهاد فإن فيه بنفس الدرجة إيماء وتوجيها للمسلم ألا يتطرق إليه يأس أو قنوط مهما ادلهم الخطب، ومهما أظلم الليل.. إن الأمل في نصر الله يسير دائما في ركابه ويعيش باستمرار في ظله أينما سار.. وإذا كانت البيئة التى يحيا فيها قد ظهر جدبها، واضمحلت أرضها، فإن أشعة الأمل تخترق حجب الظلام، وتريه المنفذ الذى يخلص منه كريما إلى بيئة أخصب، ووطن أنسب يتمتع فيه بالحرية، ويعيش فيه بعقيدته ومبادئه طليقا من كل قيد بعيدا عن كل ظلم وإجحاف يدعو الى الله في جو من العقل والمنطق والإقناع.. لا تتحكم فيه سيطرة الباغين، ولا رغبة المتسلطين، إن هذا ما كان من سيد الخلق محمد {صلى الله عليه وسلم} من بدء الدعوة كان يمر على أصحابه وهم يعذبون.. وكان يناله قسط كبير من الإيذاء والتهكم فلا يزيد على أن يبدو منه هذا الأمل المشرق في كلمات يخاطب بها قريشا في ثقة من المستقبل ويقين من النصر وبهذا الأمل الحى كان ينصح أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة مرتين قائلا: «تفرقوا في الأرض فإن الله سيجمعكم»، وبهذا الأمل كذلك كان يعرض نفسه على القبائل يدعوها إلى حماية تلك الدعوة الإلهية. ورغم أن معظمهم كان يرده رداً

غير جميل. فما كان يفت في عضده أو ينال من حماسته أو يضعف من عزيمته وبهذا الأمل وبتلك العزيمة الماضية فتح الله أمامه باب المدينة المنورة لتكن منطلقا للدعوة ،وقاعدة تنبعث منها الكتائب الإسلامية المظفرة إلى مختلف الجهات تنشر النور في الآفاق، وتزرع الحب بين الناس وتخرجهم من ظلمات الجهل والكفر والوثنية إلى أضواء الإيمان والعلم والمعرفة والحضارة.

ثانيا: لقد كان من الممكن المستطاع أن ينتصر النبي الكريم {صلى الله عليه وسلم} دون أن يرى هذا الإيذاء وذلك الاضطهاد، ودون أن يخوض تلك المعارك العنيفة مع أعوان الباطل لو أراد الله ذلك فإنه سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فلقد كان من الممكن أن يدعو النبي {صلى الله عليه وسلم} على قومه المعاندين فيلحق بهم ما لحق بالمستهزئين الكفرة السابقين. بل إن ملك الجبال قد أتاه وهو عائد من الطائف يعرض عليه أن يدمدم عليهم الجبال، أو يخسف بهم الأرض فما كان من النبي {صلى الله عليه وسلم} إلا أن قال: «لا بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبده وحده لا شريك له».

لقد كان من الممكن هذا أو ذاك ولكن دين الإسلام بما فيه من صلاحية للتطبيق في كل عصر وحين،، وبما فيه من اتساق مع سنن الكون الماضية عبر التاريخ كله.. أراد الله له أن ينتشر بالجهد البشرى والكفاح الإنساني، المصحوب بمعونة السماء ليخط الطريق أمام الأجيال، طريق النصر الذى لا يحتاج إلى معجزات، ولا يعتمد على الخوارق حتى لا يتعلل الاتباع يوما في إهمالهم لاتخاذ القوة.. بأن المعجزة خاصة بالأنبياء والرسل. لقد رسم الرسول {صلى الله عليه وسلم} بجهاده الفريد، وهمته الوثابة، وتحمله الكبير.. رسم بهذا لأمته والعالم أجمع كيف تنتصر الأمم والشعوب، وكيف يعلو صوت الدعوات الإلهية وكيف تنجح النهضات الاصلاحية إن الجهد والعمل والكفاح ضرورة لا محيص عنها حتى تنزل معونة السماء، هكذا علمنا رسول الله، وهكذا علم الحياة فليتعظ بذلك اتباع رسول الله وليأخذوا منه نبراساً يضيء لهم طريق الكرامة والظفر.

ثالثا: لقد ضرب سيدنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مثلا رائعا للشباب المؤمن حينما طلب منه أن ينام في مرقد النبي {صلى الله عليه وسلم} وهو يرى السيوف تلمع أمام البيت متعطشة للري من دم النبي الذى ينام في هذا الفراش.. لقد أملت عليه العقيدة القوية والايمان الراسخ أن يستجيب للطلب وأن ينفذ الأمر الموكل إليه بلا هيبة ولا تردد حتى ولو كان يشعر أن في استجابته احتمال إهدار دمه وإزهاق روحه وهى أغلى ما يعتز به الإنسان وهكذا يكون الشباب المؤمن يستخدم بسالته وإقدامه وكل طاقاته في سبيل دينه وعقيدته، وإذا تحدثنا عن العقيدة الإسلامية ودورها في ذلك الحادث العظيم.. فإننا نرى كل حركات المشتركين في الحادث نابعة من تلك العقيدة إنه لولاها ما حمل أبو بكر الصديق معه كل ما يملك. ولولاها ما خرجت ابنته أسماء من مكة تحمل المؤونة للرسول وصاحبه في الغار.. ولما تحملت لطمة أبى جهل لعنة الله عليه وهو يسألها عنهما فتقول لا أدري.. وهكذا تستطيع الفتاة المؤمنة أن تقوم بجلائل الأعمال حينما تعمر العقيدة القوية نفسها، وحينما تجد التربية الإسلامية الصحيحة، ولولا العقيدة ما تقبل الأنصار هذا العهد وتلك الحماية، وهم يعلمون يقينا أنها ستكلفهم أموالهم وحياتهم. ولما بدا منهم الإيثار لإخوانهم المهاجرين على نحو لم يحدثنا التاريخ عن شبيه له في عصوره المديدة.. لم نسمع من غيرهم أنهم آووا ونصروا واقتسموا الدور والأموال بروح صافية، ونفوس راضية تستحق الاشادة والثناء من رب الأرض والسماء: **{والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم**

خصاصة، ومن يوق شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون} (الحشر/ ٩).

رابعا: ولولا العقيدة ما استطاع الرسول {صلى الله عليه وسلم} أن يؤلف بين قلوب الأوس والخزرج ولا أن يمسح من نفوسهم آثار الجاهلية بأحقادها وأضغانها وثاراتها.. فإن التالف بينهم كان معجزة لا تحدث إلا بفضل الله وتأثير العقيدة **{وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم}** (الأنفال/ ٦٣)، بل انه لولا العقيدة ما استطاع الحب والألفة والتعاطف أن تجد لها سبيلا سهلة ميسرة بين المهاجرين والأنصار، وللعقيدة شعاعها النفاذ، وسببها الموصول ورباطها المتين، الذى يعلو ويفوق كل رباط جاهلى من مصالح أو قوميات أو عنصريات. لقد وقف كفار مكة الموتورون الباحثون عن كل اتجاه عن محمد وصاحبه اللذين أفلتا من تنفيذ المؤامرة المدبرة بدار الندوة حين مكروا ومكر الله والله خير الماكرين.. وقف هؤلاء القرشيون الموتورون أمام الغار وعلى مرأى النظر يبحثون عنه ويفتشون وكلهم أمل في الفوز بالجعالة القيمة التى رصدتها قريش لمن يأتى بمحمد حيا أو ميتاً.. حينذاك نظر الصديق أبو بكر من الغار فساوره الخوف والقلق على رسول الله وعلى مستقبل الاسلام، فقال يارسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا فيهدىء الرسول الكريم من روع أبى بكر الصديق فيقول له الرسول الواثق من رعاية الله: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا)، وإنه لموقف مشهود مازالت اشعاعاته وهيبته وعظمته تسرى في الكون لتعمق الإيمان بمن خلق هذا الكون.. وإنه ليعتبر وحده انتصارا باهرا على الفئة الباغية الطاغية وكفاه خلودا أن يذكر الله به في كتابه الكريم قائلا: **{إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم}** (التوبة/ ٤٠).

بناء المسجد أول عمل للرسول في المدينة:

لقد كان أول عمل قام به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في دار الهجرة المنورة أن شرع يبنى المسجد ليكون الاجتماع في بيت الله والانطلاق للدولة الجديدة الناشئة من رحاب هذا البيت وباسم رب هذا البيت وليكون تنبيها للبشر أن يحرصوا في بناء الدولة على الأساس الروحى حتى تدوم سيادتها وقوتها، فأية أمة لا تجعل الدين عمادا لها فلن يدوم لها مجدها ولن تستمر حضارتها ولقد وجد في وطنه الجديد مجتمعا مكونا من المهاجرين والأنصار والمنافقين واليهود والمشركين، فأخذ ينظم علاقات هذه الطوائف بعضها ببعض، وقابل كل فرقة بالعلاج الذى يصلحها.. فأما المهاجرون والأنصار فقد جمع بينهما بالمؤاخاة فكانا فريقا واحدا هم عضد الاسلام وحصنه المتين، ولقد أثنى الله عز وجل عليهم في قوله تعالى: **{والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم}** (الأنفال/ ٧٤).

وأما المنافقون فقد تركهم الرسول للأحداث تكشف نواياهم وأحقادهم، فالقرآن الكريم يفضح تصرفاتهم وتحركاتهم وأما اليهود فقد كان المفروض فيهم وهم أهل كتاب سماوى أن يعضدوا هذه الدعوة الإلهية الخاتمة التى يجدون أخبارها عندهم في التوراة ولكن الحقد أعمى أبصارهم والحسد مزق نياط قلوبهم فلم يدخلوا في الدين الجديد ومع ذلك فقد ضرب الرسول المثل الأعلى في معاملتهم وعقد معهم معاهدة سلم وحسن جوار ولكنهم ما لبثوا أن خانوا العهد ونقضوا الميثاق كما هى طبيعتهم الدنيئة دائما، ودبروا للرسول وللاسلام في الخفاء.. فأدبهم رسول الله على خيانتهم، وأما المشركون فقد رأى النبي المربي الحكيم

أن نور الدعوة الباهر لابد أن يضيء أبصارهم وأن يفتح قلوبهم الغُلف لصوت الحق الذى يجهر به القرآن الكريم .. وقد كان .. وظل الرسول [صلى الله عليه وسلم] يبنى ويرفع البناء ويشيد ويدعم الأسس والقواعد لبناء الدولة الاسلامية بالمدينة حتى تكونت للإسلام قوة رادعة تحمي الدعوة في انطلاقها نحو القلوب المتعطشة لهداية السماء..

الهجرة الواجبة والمستمرة:

وبعد هذه الجولة السريعة في رحاب الذكرى العطرة ذكرى هجرة الرسول وأصحابه الكرام تبقى الهجرة الواجبة والدائمة إلى الله سبحانه وتعالى هجرة المعاصى إلى الطاعة والعبادة وتقوى الله. إن من الخطر أن يقلد أهل الإسلام غيرهم، فإنها وإن كانت ظاهرية لكنها تجر إلى مشابهة ومشاكلة في أمور أخرى، تصرف عن حقائق الإسلام إلى أباطيل خصومه، وفي ذلك إضعاف لشخصية المسلم، بل إزهاق لميزاته ومميزاته.

فمن الهجرة المطلوبة في عصرنا ويحتم الإسلام أن نهجر تقاليد غيرنا، وأن نتحفظ في متابعتهم حذرا من الوقوع فيما يخالف أحكام الإسلام، وأعنى هؤلاء الذين فتنوا من المسلمين وافتتنوا بمحاكاة الأمم غير المسلمة في عاداتهم وأزيائهم وسلوكهم حتى فيما ينافى المروءة والغيرة يحسبونه هينا، وهو عند الله عظيم، إذ أن هذا التقليد - دون حذر - طريق انحلال الأمم وفنائها، وتسلط غيرها عليها بعد ذوبان مقوماتها.

وفي ذكرى الهجرة النبوية الشريفة يلزمنا هجرة السوء وتركه أيا كان نوعه أو وصفه ونسقه وأن نهاجر إلى الله بعبادته كما فرض وأمر، وبإحسان معاملة الخلق، كما أرشدنا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] في الكثير من أقواله، بل وفي سلوكه ومودته ومحبته للناس وإيثاره إياهم بكل خير، والوقوف معهم في كل محنة والنزوع بهم الى كل سلوك حميد أو محمود وعلى المسلمين جميعهم أن يهجروا الخيانة ما ظهر منها وما بطن في الأقوال والأفعال، وعليهم الصدق مع الله ومع رسوله لينعموا في دنياهم ويوم لقاء ربهم وليصدق القول العمل، ولنكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ونبتعد عن المراء والجدل لتتوثق صلاتنا، وتزداد مودتنا، وتعود أمتنا إلى متانة بنيانها وحسن أخلاقها وصدق تعاونها، وليدرس أهل الإسلام سيرة الهجرة ومسيرها درس استنباط ليأخذوا منها الهدى والحل لأزماتهم المتلاحقة التى حاقت بالمسلمين فأوهنت البنيان وزلزلت الأقدام وتقلصت الأواصر التى كانت للأمة رباطاً.

لقد أسست الهجرة مجتمع المدينة، تقوده عقيدته وأخلاقه، مجتمعا تطهر من نزوات الطيش والبطش والاستغلال واستقرت فيه الفضائل حتى أشربت بها عقول المسلمين وقلوبهم، فكانوا هداة صالحين قادة، بهم تم البناء وفيهم كمل الدين، وأصبحت بهم المدينة قاعدة لأمة فاضلة لم تلبث أن عبرت هدايتها إلى الآفاق في كل اتجاه.

إن على المسلمين أن يتذكروا ماضيهم ليصلحوا به حاضرهم، ويؤمنوا طريق مستقبلهم، ملتزمين بأوامر الله في القرآن وبسنة رسول الله: إنهم إن فعلوا ذلك ارتفعوا لعمرى فوق الأحداث، وهانت تحت اقدامهم الخطوب، وتلاشت عنهم الكروب، واجتمع شملهم وتوحدت كلمتهم.

ومن هذا المنطلق ونحن على اعتاب عام هجري جديد لأدعو المسلمين عامة وعلماء المسلمين خاصة في كل أقطار الأرض أن ينصحوا الأمة، وأن يفصحوا عن كلمة الله التى حملهم إياها حتى لا تكون فتنة بين المسلمين وأن يكونوا جميعا على قلب رجل واحد.

وأخيرا أسأل الله ولديه الإجابة أن يجعل هلال شهر المحرم الجديد بشيرا لأمة الإسلام بالانتصار ليحل عليها السلام والوئام. إن ربى لسميع الدعاء وإنه لغفور رحيم.

من وحي الهجرة

شعر : رفعت عبدالوهاب المرصفى
- مصر -

رحل الرسـول الى المدينة
ليُعز بالأنصار دينه
هجر الضلال وأهلهُ
ترك التآمر والضغينة
ما كان يبغى أنْ يفارق
مكة لولا الأمانة
ألمُ الفراق يهزه
ويعضُ في النفس الحزينة
لكن أمر الله كان
لحكمة كانت ثمينة
فالناس في أم القرى
بالحق كانت مستهينة
كانوا عبيد حجارة
والفجر عاشوا يعشقونه

* * *

خرج الحبيب معززا
وعيونهم باتت سجينه
وجرى الردى من خلفه
حتى يحيد الكون دونه
هيهات ما يبغى الردى
ما كان شيئا أن يشينه
«فبغار ثور» قلعة
والعنكبوت بنى حصونه
وكبت جياد الغدر لما
هرولت حتى تخونه
وتبدد الحقد الدفين
وصارت الدنيا أمينه
ومضى الضياء يحفه
طُهر السريرة والسكينه
شاء الإله بأن يكون
حبيبه علم السفينه
مازال نورا باقيا
وقلاع إيمان حصينه
لله كانت هجرة
منها الدروس المستبينه
رحل الرسول الى المدينة
وأعزَّ بالأنصار دينهْ



دعوى أهل الجنة

حياة الإنسان في الدنيا رحلة سفر تقدر مدتها بعمره عليها، وخير الناس من طال عمره وحسن عمله وشرهم من طال عمره وساء عمله، ولا يستوى من خاف مقام ربه ونهى نفسه عن الهوى مع من طغى وآثر الحياة الدنيا على الآخرة {فأما من طغى. وآثر الحياة الدنيا، فإن الجحيم هى المأوي، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوي. فإن الجنة هي المأوي}.

وفي القصص النبوي[١] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة}.

فمن أجل النعم وأكرمها دخول الجنة - كما تقدم - وفيها ما فيها من رؤية الله وكلامه لأهلها ولذلك بعد استقرار أهل الجنة فيها يقولون (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن،إن ربنا لغفور شكور، الذى أحلّنا دار المقامة من فضله، لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب).

قال ابن كثير فيما معناه[٢] أزاح عنا الخوف من المحذور، وأراحنا مما كنا نتخوفه ونحذره من هموم الدنيا والآخرة، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم، وكأنى بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رءوسهم، ويقولون: الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) وفي رواية: (.. وكأنى أنظر اليهم عند الصيحة، ينفضون رءوسهم من التراب، ويقولون: الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن، إن ربنا لغفور شكور).

ومن دعاء أهل الجنة بعد دخول الجنة وقرارهم بها يقولون (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله). روى أبو هريرة[٣] - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (كل أهل الجنة يرى مقعده من النار، فيقول: لولا أن الله هدانى فيكون له شكرا، وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة، فيقول: لو أن الله هدانى، فيكون له حسرة).

ودعوى أهل الجنة فيها (سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين). قال ابن كثير: أى هذا حال أهل الجنة. قال ابن جريج أخبرت بأن قوله: (دعواهم فيها سبحانك اللهم) قال: إذا مر بهم الطير يشتهونه، قالوا: سبحانك اللهم، وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما يشتهونه، فيسلم عليهم فيردون عليه، فذلك قوله: (وتحيتهم فيها سلام) قال: فاذا أكلوا حمدوا الله، فذلك قوله: (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين).

ونقل ابن قيم الجوزية[٤] عن حفص بن سليمان بن طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال: (سألت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن تفسير: سبحان الله، فقال تنزيه الله عن كل سوء) فأخبر الله - تعالى - عن أول دعواهم إذا استدعوا شيئا قالوا: سبحان الله، وعن آخر دعواهم عندما يحصل لهم، وهو قولهم: الحمد لله رب العالمين.

ومعنى الآية أعم من هذا،



بقلم: أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
- مصر -

والدعـوى مـثل الدعـاء، والدعـاء يراد به الثناء، وفي الحديث أفضل الدعاء الحمد لله رب العالمين. فـهذا دعاء ثناء، وذكر يلهمه الله أهل الجنة، فأخبر سبحانه عن أوله وآخره، فأوله تسبيح وآخره حمد يلهمونهما، كما يلهمون النفس.

الجنة موجودة الآن :

من تمام عـقيـدة المسلم، بل ومن دعـائم الإيمان التصديق بوجود الجنة والنار الآن، وذلك ثابت بالعقل والنقل[٥] (لم يزل أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام، وأهل التصوف والزهد، على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها، إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون - يعنى الجنة والنار - مخلوقة الآن، وقالت بل الله ينشئها يوم القيامة).

وقد جاء في القرآن ما يدل على وجود الجنة والنار الآن من ذلك قوله في سورة البقرة {فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين} قال ابن كثير أرصدت وهيئت، وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك. وقال في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران {واتقوا النار التى أعدت للكافرين} {وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين} أى كما أعدت النار للكافرين، ثم قال: وقد روينا في مسند الإمام أحمد أن هرقل كـتب إلى النبي {صلى الله عليـه وسلم} إنك دعوتنى إلى جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال النبي {صلى الله عليه وسلم}: (سبحان الله، فأين الليل إذا جاء النهار؟).

وروي أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال لهم عمر : أرأيتم إذا جاء النهار أين الليل؟ وإذا جاء الليل أين النهار؟ فقالوا: لقد نزعت مثلها من التوراة.

وقد تحدث القصص النبوى عن صفة الجنة، وقد عقد البخارى بابا فيما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة[٦]، وعرض قصصا في ذلك عن عدد من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ورضى عنهم، من ذلك ما روى عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار).

وعن عمران بن حصين عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر اهلها النساء).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (بينا نحن عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذ قال: بينا أنا نائم، رأيتنى في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته، فوليت مدبرا. فبكى عمر وقال: أعليك أغار يارسول الله).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (قال الله: أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرأوا إن شئتم: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين).

ومن ذلك قوله {صلى الله عليه وسلم}: (إن في الجنة لشجرة يسير الراكب...) ونحو ذلك وعن سهل بن سعد[٧] - رضى الله عنه - عن النبي - قال: (في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون).

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - (كان النبي {صلى الله عليه وسلم} في سفر، فقال: أبرد، ثم قال، حتى فاء الفىء - يعنى للتلول - ثم قال: أبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم) وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: قال النبي {صلى الله عليه وسلم} أبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم).

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة - رضي الله عنه - يقول: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (اشتكت النار الى ربها، فقالت: رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير).

وعن همام عن أبي جمرة الضُّبعي قال: (كنت أجالس ابن عباس بمكة، فأخذتني الحمى، فقال أبردها عنك بماء زمزم، فإن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: هي الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء، أو قال: بماء زمزم - شك همام -).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، قيل: يارسول الله، إن كانت لكافية، قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها).

وفي قصة عن أسامة[٨] - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} (قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجدِّ محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار، فإذا عامة من دخلها النساء).

وفي قصة طويلة - سبق ذكرها - عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: (خسفت الشمس على عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم}) وفيها: (قالوا: يارسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك هذا، ثم رأيناك تكعكعت[٩]، فقال: إنى رأيت الجنة أو أريت الجنة، فتناولت منها عُنقودا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا. ورأيت النار، فلم أر كاليوم منظرا قط..).

ومما أورده ابن كثير[١٠] في وجود الجنة، قد ثبت في الصحيحين عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أنه رأى الجنة والنار ليلة الإسراء) وفي صحيح مسلم عن أبى مسعود: (أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى قناديل معلقة في العرش). وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه، أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إنما نسمة المؤمن في طائر معلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده يوم يبعثه). وعن أبي هريرة مرفوعا: (لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها) الحديث. وفي الصحيحين: (إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار) وقال في صفة سدرة المنتهى: (إن يخرج من أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان. وذكر الباطنين في الجنة) وفي الصحيحين: (ثم أدخلت الجنة، فإذا جنادل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك) وقال لبلال: (دخلت الجنة فسمعت خشف نعليك بين يدي في الجنة) الحديث. وفي الصحيحين: (رأيت عمرو بن عامر بن لحى الخزاعي (ابن قمعة بن خندف أخا بني كعب هؤلاء) يجر قصبه في النار).

وقال في آخر: (ورأيت فيها صاحب المحجن) وأخبر عن الرجل ينحى غصن شوك عن طريق المارة فقال: (فلقد رأيته يستظل به في الجنة) وفي صحيح مسلم عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (والذى نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيت، لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا، قالوا: يارسول الله فما رأيت؟ قال: رأيت الجنة والنار).

وقال: (لما توفي ابراهيم ابن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن له لمرضعا في الجنة). وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أولاد المؤمنين في جبل في الجنة، يكفلهم إبراهيم وسارة، حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة).. وقال الله تعالى: {وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة} الآية، والجمهور على أن هذه الجنة جنة المأوى..

ومما يؤيد وجود الجنة والنار الآن من القصص النبوي[١١] في المسند وصحيح الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء بن عازب قال: (خرجنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في جنازة رجل من

الأنصار - فذكر الحديث بطوله - وفيه: فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها) الحديث.

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال: فيقولان له: انظر الى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدا في الجنة، قال نبي الله {صلى الله عليه وسلم} فيراهما جميعا).

وفي صحيح أبي عوانة الاسفرايني وسنن أبي داود من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه - الطويل في قبض الروح: (ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال هذا كان منزلك لو عصيت الله - تعالى - أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة قال: ربِّ عجل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهلي ومالي، فيقال: اسكن).

جنة الخلد وجنة آدم - عليه السلام - :

اختلف العلماء في الجنة التي أسكنها الله آدم - عليه السلام - في قوله تعالى: {اسكن أنت وزوجك الجنة} هل هي جنة الخلد أم جنة أخرى؟ وهذه هى أهم الآراء في إيجاز[١٢]:

١ - إن الجنة التى أسكنها الله لآدم - عليه السلام - هى جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة، والتى سبق الكلام عليها.

٢ - إن الجنة التى أسكنها الله لآدم - عليه السلام - غير جنة الخلد، جعلها الله له وأسكنه إياها. وهذا قول تكثر عليه الدلائل الشاهدة له، والموجبة للقول به، وهذه الجنة أعدها الله لهما، وجعلها دار ابتلاء، وقيل إنها كانت في السماء، لأنه أهبطهما منها، وقيل إنها كانت في الأرض، لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة، وأن الإهباط حُمل على الانتقال من بقعة إلى أخرى، كما في قوله تعالى: (اهبطوا مصرا).

ونقل عن وهب بن منبه أن آدم - عليه السلام - خلق في الأرض، وفيها سكن، وفيها نصب له الفردوس، وأنه كان بعدن، وأن أربعة أنهار انقسمت من ذلك النهر الذى يسمى فردوس آدم، وهى أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات.

ومن الأدلة على ذلك ما جاء في منتخب كنز العمال[١٣] عن أبى داود الطيالسى، وفي الزوائد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، وعن الضياء المقدسي وغيرهم: (لما نزل بآدم - عليه السلام - الموت قال لبنيه: أي بني إنى أشتهى من ثمر الجنة، فانطلق بنوه يلتمسون..) الخ.

وعن ابن منبه عن أبى هريرة قال[١٤] (واشتهى آدم عند موته قطفا من الجنة التى كان فيها).. ولا يعقل أن يطلب أولاد آدم ذلك من الجنة التى في السماء، وهى جنة الخلد.

٣ - يرى جماعة من العلماء التوقف في هذه المسألة، لأن الكل ممكن والأدلة متعارضة فوجب ترك القطع وأن السكوت عن الكلام في هذا أفضل.. والله أعلم.

الهوامش:

(١) حادى الأرواح ص ١١٩.
(٢) تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ٧٣٠.
(٣) المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٨٩.
(٤) حادى الأرواح ص ٤٥٢.
(٥) حادى الأرواح ص ٣٧.
(٦) فتح الباري جـ ٦ ص ٣١٧ وما بعدها.
(٧) المرجع السابق ص ٣٢٨.
(٨) فتح الباري جـ ٩ ص ٢٩٨.
(٩) تأخرت.
(١٠) آخر الفتن والملاحم جـ ٢ ص ٣٩٤، ٤٠٦.
(١١) حادى الأرواح ص ٤٤ وما بعدها.
(١٢) حادى الأرواح ص ٥٢.
(١٣) جـ ٢ ص ٤٥٣.
(١٤) حادى الأرواح ص ٥٥.

إعجازات نبوية متجددة

إن آيات القرآن العظيم وأحاديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم} هي في الأصل مناهج هداية وتشريع، ومناهج تربية لبناء النفس الإنسانية بناء سويا، يحقق عوامل الأمن والاطمئنان ويبعد عوامل الأذى والفساد، فأسرار الكون التي نكتشفها حيناً بعد حين بواسطة المخترعات المتطورة، وتوسع العلوم المختلفة، نجد أن القرآن الكريم أو الحديث الشريف قد أشار إليها أو أجملها منذ أكثر من أربعة عشر قرناً فتكون هذه إحدى الآيات المعجزة والدلالات الواضحة الجلية عن صدق رسالة الحبيب {صلى الله عليه وسلم} ، إذ أن كل رسول أرسله الله سبحانه وتعالى إلى قوم، قد خصه بآيات معجزة تدل على صدق رسالته، ولو تدبرنا في معجزات الرسل السابقين لوجدنا أنها معجزات خاصة بالأمم التي بعث فيها هؤلاء الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حيث كانت المعجزات من جنس ما برعت فيه هذه الأمم، كما أنها تنتهي بموت الرسول {صلى الله عليه وسلم} الذي ظهرت علي يده.

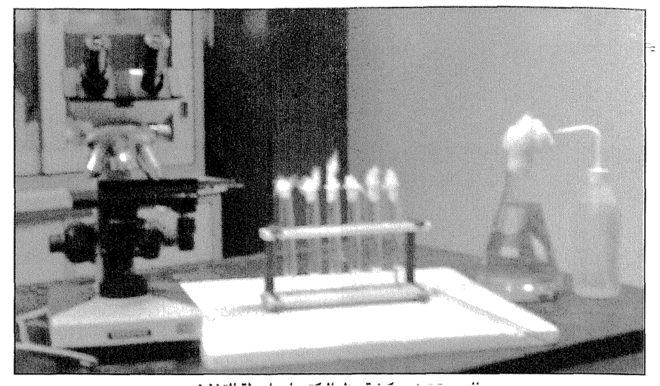
أما القرآن الكريم وأحاديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم} فقد حوت معجزات لا حصر لها تشمل جميع الأمم، والأزمنة والأماكن. فبالفصاحة والبلاغة والبيان تحدى الله بالقرآن الكريم العرب لأنهم أهل فصاحة وبلاغة وبيان، فآمن العرب ليقينهم أنه من عند الله، وآمن به من جاء بعدهم، وأما من لا يتكلمون بالعربية ولا يستشعرون بلاغتها وبيانها وفصاحتها ، وكذلك من لم يعاصروا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولم يشاهدوا معجزاته الحسية، هؤلاء كيف يستدلون على صدق رسالته {صلى الله عليه وسلم} ؟.

تلك هي مهمة القرآن العظيم، والأحاديث الشريفة اللذان تظهر فيهما دلائل الإعجاز المتجدد والعجائب التي لا تنقضي.

وكما سبق أن أشرنا في بداية المقال أن القرآن الكريم وأحاديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم} هي كتب هداية وتشريع لجميع الأمم إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، من عاصر الرسالة ومن جاء بعدها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ونصوص الهدي الإسلامي تتحدى كل البشر، الناطق منهم بالعربية والناطق بالأعجمية، فمعجزاتها مستمرة تحاكي جميع العقول في كل الأماكن والعصور.

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن معجزة نبينا محمد {صلى الله عليه وسلم} أعظم من معجزات كافة الرسل، لأن معجزة كل رسول خاصة بزمان ومكان معينين، وهي معجزات لا يمكن أن يحكى تفاصيلها بدقة، ويخبر عن قوة الإعجاز فيها إلا من شاهدها ورآها بعينه، لذا فإن تأثير هذه المعجزات يقع بشكل واضح في نفوس من رأوها، ويظل هذا التأثير يدهشهم ويحيرهم، بينما لا يقع ذلك التأثير في نفس من لم يشاهدها وتبدأ المعجزات تفقد مصداقيتها وتضعف

بقلم: د. عبدالبديع حمزة زللى
فرع جامعة الملك عبدالعزيز ـ المدينة المنورة



الصورة توضح كيفية عزل البكتيريا بواسطة التخفيف.
الى اليمين دورق يحتوي على لتر واحد من الماء المعقم..
الى اليسار من الدورق مجموعة انابيب تحتوي كل واحدة منها على (٩) ملي لتر من الماء المعقم

وتهن مع مرور الزمن وتوالي الأجيال، لكن معجزات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم} هي معجزات متجددة رأى بعضها صحابة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومن عاش في زمانهم، ورأى بعضها الآخر السلف من قبلنا، ونرى نحن الآن بعضها الآخر، وسيرى معجزات أخرى من يأتي بعدنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[١].

وفي هذا المقال سنكشف عن معجزة نستشفها من حديث نبوي شريف، يدل على حالة نمو وتكاثر الميكروبات في الأوساط الغذائية المختلفة.

وقبل أن نستعرض هذا الحديث، ونكشف عن مدى انسجام الحقائق العلمية المتعلقة بهذا الموضوع مع هذا الحديث نرى أنه من الأفضل كتوطئه ومقدمة للموضوع أن نعرف شيئاً بسيطا عن عالم الكائنات الحية الدقيقة وكيف تتكاثر في الأوساط الغذائية المختلفة.

كنا قد أشرنا في مقال سابق[٢] إن التربة تحتوي على أعداد ضخمة من البكتيريا والكائنات الحية الدقيقة الأخرى، فلو أخذنا حفنة من تراب لأحد الحقول الزراعية، ووضعناها في كفنا، وتأملناها كثيراً، فإننا لا ندرك بأعيننا المجردة سوى حبيبات ساكنة لا تتحرك، ولكن لو أخذنا جزءاً يسيراً جداً من هذه التربة في حجم رأس الدبوس، وفحصناه تحت المجهر (الميكرسكوب) فسوف نشاهد عالماً آخر يزخر بالحركة والنشاط، هذا العالم يشتمل على كائنات حية دقيقة تدب في داخل التربة وتتحرك فيها، ولكن لصغر حجمها فنحن لا ندركها بأعيننا، ولا نحسها بحواسنا الأخرى. هذه الكائنات منها الحية الدقيقة ما هي إلا أمم مختلفة ومتنوعة تشمل البكتيريا، والفطريات، والفيروسات.. تتواجد بأعداد ضخمة قد تصل إلى الملايين في حجم رأس الدبوس.

وقد يحتوي الجرام الواحد من التربة على أجناس وأنواع عديدة من البكتيريا والكائنات الحية الدقيقة، هذه الكائنات منها النافع ومنها الضار المؤذي، وكي يتعرف الإنسان على هذه الأجناس

والأنواع، كان لابد من فصل كل جنس على حدة لتعريفه ودراسته.

فكيف يمكن أن نفصل هذه الكائنات الدقيقة عن بعضها البعض، ونحن نعرف أن حجم رأس الدبوس قد يشتمل على الملايين منها؟.

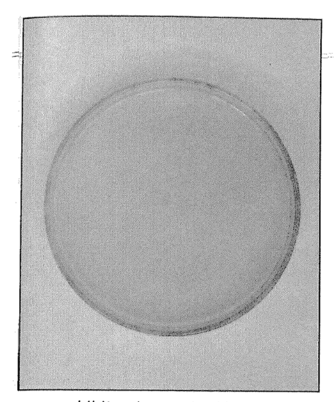
لم يكن الإنسان ليدرك كيف يتعرف على هذه الكائنات وكيف يمكنه أن يفصلها عن بعضها البعض، لو لم تخترع المجاهر، ولو لم تتطور آليات التحليل لمعرفة كمية العناصر والمواد التي تحتاجها هذه الكائنات في الأوساط الغذائية الملائمة لتكاثرها كي يوفر لها الغذاء المناسب بكل دقة لتتكاثر وتنمو فيه حتى يستطيع الإنسان عندئذ أن يدرس جميع مميزاتها وخصائصها. ولم يكن أحد يدرك شيئاً عن هذا العالم الغريب الدقيق للغاية إلا في عام ١٨٥٧ ميلادي أي في أقل من قرنين فقط في حين أننا قد ذكرنا أن آيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم} قد أشارت إلى هذه الكائنات منذ أكثر من أربعة عشر قرناً[٣]، بل وعلى نحو يثير العجب.

إن الأوساط الغذائية (وتسمى أيضاً بالبيئات الغذائية) للكائنات الحية الدقيقة تعتبر مطلباً رئيسياً في المعامل والمختبرات كي تتم دراسة وعزل البكتيريا ومعرفة جنسها ونوعها.

ولقد أدرك العلماء أهم العناصر الغذائية التي تحتاجها الكائنات الحية الدقيقة ومن ذلك المركبات والمواد التي تحتاجها البكتيريا وسميت هذه المحاليل بالمحاليل الغذائية المائية أو المنابت الغذائية، حيث تستطيع أن تتكاثر البكتيريا وتنمو في هذه المنابت بغزارة شديدة طالما وفرت لها الظروف المناسبة للتكاثر والنمو.

وأمكن للعلماء أن يصنعوا نوعين من المنابت الغذائية:

١ ـ المنابت الغذائية المائية (المنابت السائلة)



ـ غذاء البكتريا، وضع على هذا الطبق

٢ ـ المنابت الغذائية الصلبة. وهذا النوع هو نفس النوع الأول سوى أنه يضاف فيه مادة تسمى (آجار) تعمل على تصلب السائل تصلباً بسيطاً فتصبح كالجلي أو الألماسية وهذه المادة لها القدرة على السيولة بالتسخين والتصلب إذا بردت.

ولقد عرف العلماء أن البكتيريا تتكاثر وتنمو بغزارة وتنتشر في جميع أجزاء الأوساط الغذائية المائية أي السائلة، في حين أنها (البكتيريا) لا يمكن أن تنتشر في الأوساط الغذائية الصلبة، فهي على الرغم من أنها تتكاثر وتتضاعف أعدادها مع مرور الزمن إلا أنها تظل باقية ومحبوسة في المكان الذي وقعت فيه ولا يمكنها أن تنتشر في جميع أرجاء الوسط الغذائي الصلب بل أكثر ما يمكن أن تصنعه هو أن تزحف وتنمو فقط حول المكان الذي وقعت فيه، وبواسطة هذه المنابت الصلبة أمكن للعلماء أن يفصلوا ويعزلوا البكتيريا عن بعضها البعض بالرغم من ضخامة عددها في الجرام الواحد من التربة مثلاً.

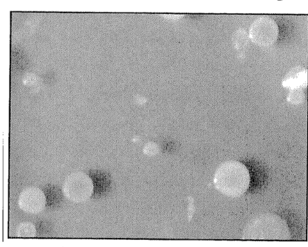
وببساطة يمكن أن تتم عملية عزل أو فصل البكتيريا عن بعضها البعض بواسطة التخفيف

وزراعـتـهـا في المنابت أو الأوسـاط الغـذائيـة الصلبـة ونوضح ذلك بمثال نضربه.

فلو افترضنا أن الجرام الواحد من التربة يحتوي على ٢٠ مليوناً من البكتيريا مكون من أجناس وأنواع مختلفة، علينا أن نفصل هذه الأجناس بواسطة وضع هذا الجرام في لتر واحد من الماء المعقم، ومن المعروف أن اللتر الواحد يشـمل ١٠٠٠ ملي لتـر وعندما نحرك التربة في الماء بأداة معقمة فإننا بذلك نوزع العشرين مليوناً من البكتيريا على الألف ملي لتر وبهذا يصبح كل ملي لتر واحد من محلول الماء يحتوي على عشرين ألف خلية بكتيريا فقط نستمر في عملية التخفيف بأخذ واحـد مللي لتـر من هذا المحلول ووضـعـه في أنبـوب يحتوي على ٩ ملي لتر ماء معقم فنكون بذلك قد عملنا ثاني تخفيف بنسبة ١ إلى ١٠ أي يحتوي الملي الواحد هنا على ٢٠٠٠ خلية بكتيرية في الملي الواحد. وعندئذ يمكننا عزل البكتيريا عن بعضها إذ يؤخذ ملي واحد من التخفيف الأخير الذي يشمل على ٢٠ خلية فقط وينشر فوق سطح الوسط الغذائي الصلب المعقم - الذي سبق صبه في أطباق خاصة تسمى أطباق بتري وهي أطباق لها غطاء محكم. وفائدة التخفيف الشديد يجعل كل خلية بكتيرية تتكاثر بعيدة عن الأخرى على سطح الوسط الغذائي الصلب، وعندما ننشر الملي الواحد من المحلول المخفف فإننا لا ولن نرى في حينه أي بكتيريا على السطح على الرغم من وجـودها ولكن العـشـرين بكتيريا التي وزعت على سطح الوسط الغذائي ستبدأ في التكاثر وتضـاعف أعدادها مع مـرور الزمن، ومن المعروف أن كل خلية بكتيرية تنقسم إلى اثنين في زمن محـدد ثم يصـبح عـددها ٤ ثم ٨ وهكذا، ومنهـا مـا يتضاعف عددها كل ٢٠ دقيقة وفي هذه الحالة لو بدأنا بخلية واحدة فسيصبح عددها بعد ساعة واحدة ٨ في الساعة الثانية يصبح العدد ٦٤ وفي الساعة الثالثة يصـبح العـدد ٥١٢ ... وهكذا حـتى يصـبح العـدد بالملايين في خلال سبع ساعات فمعدل زيادة العدد في السـاعـة الأولى يكون بالآحـاد وفي السـاعـة الثـانيـة بالعـشـرات ثم بالمئـات ثم بالآلاف فـعـشـرات الألوف فمئات الألوف فالملايين.

وهكذا يصـبح نتـاج كل خلية كتلة واضـحـة من الخلايا البكتيرية لنفس الجنس والنوع تسمى مستعمرة حيث تنشأ هذه المستعمرة نتيجة تكاثر وتضاعف أعداد البكتيريا التي وقعت على سطح الوسط الغذائي ويبدأ يظهر تدريجياً شكل ولون المستعمرة حيث تكبر حول نفس المكان ويصبح حجمها مرئياً للعين المجردة مع مرور الزمن.

وكل طراز من البكتيريا يكوّن مستعمرة تختلف عن الأخرى من حيث اللون، والحجم، والقوام، وشكل الحافة، وكل هذه الاختلافات تساعد في التعرف على أنواع البكتيريا وتصنيفها.



- الصورة توضح المستعمرات البكتيرية مكبرة.

وبهذا يمكننا أن نفصل ونعزل الأجناس المختلفة من البكتريا عن بعضها بواسطة إبره معقمة، إذ نأخذ عينة من المستعمرة البرتقالية مثلا (المشار اليها بدائرة في الصورة) ثم ننشرها على سطح وسط غذائي معقم جديد أو ندخلها في وسط غـذائي سـائل فنكون بذلك قد عزلنا هذا الجنس من البكتيريا عن بقية الأجناس الأخرى، ويتم عزل الأجناس الباقية بنفس الطريقة.

وبعد أن عرفنا أسلوب تكاثر ونمو البكتيريا في الأوساط الغذائيةالسائلة والصلبة، نعود الآن إلى موضوع الإعجاز العلمي في الحديث النبوي الشريف الذي أشرنا إليه في بداية هذا المقال.

فقد ورد في صحيح الإمام البخاري، والترمذي والنسائي وفي مسند أبي داود والموطأ للإمام مالك أحاديث عن موضوع الفأرة في السمن.

فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إذا وقعت الفأرة في السمن: فإن كان جامداً فألقوها وما حولها، وإن كان مائعاً فلا تقربوه»[٤].

فلنتأمل قليلا في هذا الحديث الشريف ونتمعن محتواه فالهادي البشير والسراج المنير المبعوث رحمة للعاملين صلوات ربي وسلامه عليه قد خصه المولى بالرأفة والرحمة لجميع البشر فقال سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء آية ١٠٧ (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين). وقال سبحانه أيضاً في سورة التوبة آية ١٢٨ (بالمؤمنين رءوف رحيم). فكل ما يؤذى الإنسان ويضر بصحته قد حذَّر منه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بل ودلَّ على كيفية إبعاد أذاه وضرره، وكل ما يجلب الخير والفلاح للإنسان قد حثَّ عليه وندب في طلبه.

وما من شك أننا كلنا أصبحنا ندرك الأخطار الصحية التي تأتي من الفئران، إذ أن هذه الحيوانات قد تصاب بالكائنات الحية الدقيقة المرضة التي تسبب الأمراض الفتاكة المهلكة، والطاعون هو مثال على مرض خطير ينتشر بواسطة الفئران إلى الإنسان ولهذا فإن الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) قد أمر بقتل الفأرة حتى بالنسبة للمحرم فهناك أحاديث كثيرة وردت في صحيح الإمام البخاري، والإمام مسلم، والنسائي، ومالك، والدارمي تدل على أن الفأرة من الفواسق التي تقتل في الحل والحرم.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قالت حفصة رضي الله تعالى عنها قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «خمس من الدَّواب كلُّهن فاسق يُقْتَلْن في الحرم: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور»[٥].

وقد تقع الفأرة في السمن وهو أحد الأطعمة الرئيسية فتنتقل البكتيريا المرضة من جسم هذا الحيوان إلى السمن ومنه إلى الإنسان فيصاب بالمرض لا قدر الله ، وبهذا فقد حث الحبيب المصطفي (صلى الله عليه وسلم) على إبعاد مصادر الأذى والضرر التى تجلب الأمراض والأسقام للإنسان فحث على قتل الفأرة والفواسق الأخرى.

والمبعوث رحمة للعالمين، يرأف بالناس أن لا تُهدر أموالهم وتُرمى بسبب وقوع الفأرة أو الحشرات أو ما إلى ذلك ولذلك ففي أحاديث كثيرة قد نهى عن ترك الآنية مكشوفة دون غطاء، ولو حدث أن سقطت الفأرة في السمن فاحتمال انتقال البكتيريا المرضة الموجودة في جسم الفأرة إلى جميع أرجاء السمن واردة عندما يكون السمن مائعا، لأن السمن المائع هو عبارة عن وسط غذائي سائل، وعرفنا أن البكتيريا تتكاثر وتنتشر في جميع أجزاء الأوساط الغذائية السائلة، ولهذا فقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أكل هذا السمن، بل لنتمعن ونتدبر في اللفظ الذي قاله الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه إذ قال «فلا تقربوه» فهذا اللفظ الجامع لمعان كثيرة يدلنا على أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم ينهنا فقط من عدم أكل هذا السمن وإنما حذَّر من جميع وسائل الاقتراب منه فالبكتيريا المرضة التي أصابت السمن المائع بعد

انتقالها من جسم الفأرة إليه قد تكاثرت وتضاعفت أعدادها بشكل كبير جداً مما يجعل هذا السمن بؤرة فاسدة مليئة ومكتظة بأعداد خيالية من البكتيريا المرضة المحتملة، لذا فإن لمس هذا السمن أو إدخال اليد فيه يعتبر سببا لنقل الميكروب أو البكتيريا المرضة إلى جسم الإنسان. ولهذا فإن الحبيب المصطفى {صلى الله عليه وسلم} قد كفانا نقل هذا الميكروب بهذه الوسيلة حيث نهى عن كل ما يُقرْب الإنسان من هذا السمن الفاسد.

وفي المقابل نجد ما يثير الدهشة والعجب لكل من لا يعرف حقيقة نمو وتكاثر البكتيريا في الأوساط الغذائية المختلفة، ففي الوقت الذي ينهى فيه الرسول {صلى الله عليه وسلم} من كل ما يقربنا إلى السمن المائع الفاسد الذي فسد بسقوط الفأرة فيه نجد أن الحبيب، قد نهج منهجاً آخر بالنسبة لسقوط الفأرة التي تسقط على السمن الجامد وتموت في مكان وقوعها، إذ لم ينه {صلى الله عليه وسلم} من عدم استعمال هذا السمن ولكن قال «القها وما حولها» ولو رجعنا قليلا إلى ما ذكرناه عن أسلوب وتكاثر البكتيريا في الأوساط الغذائية الصلبة وعرفنا أن البكتيريا عندما تسقط على سطح غذائي صلب فإنها لا تلوث جميع السطح وينحصر التلوث فقط في المكان الذي وقعت فيه هذه البكتيريا. وبالرغم من أنها تنمو وتتكاثر فيه فهي لا تنتشر على جميع السطح بل تزحف بشكل بسيط جداً للغاية حول المكان الذي وقعت فيه ويبقى جميع سطح الوسط الغذائي نقياً خالياً من التلوث الميكروبي.

ولهذا فإن المبعوث رحمة للعالمين خوفاً على هدر الأموال وفي الوقت نفسه ضماناً لعدم نقل الميكروب المرض المصاحب للفأرة إلى جسم الإنسان أمر بأن يتخلص من الفأرة ومن السمن الذي حولها.

وبهذا يظهر للجميع وبشكل واضح جلي أن هذا الحديث يدلنا على أن المبعوث رحمة للعالمين قد دلنا على أسلوب وطبيعة تكاثر الميكروبات في الأوساط الغذائية السائلة والصلبة، ففي الأوساط الغذائية السائلة كالسمن المائع مثلا تعم جميع أجزاءه وتبقى هذه الميكروبات حبيسة لا تتجاوز حول مكان الوقوع في الأوساط الغذائية الصلبة كالسمن الجامد.

وبهذا فإن هذا الحديث قد سبق ما كشفه العلم الحديث عن هذا الموضوع منذ ١٤١٩هـ عام.

الهوامش:

(١) أنظر عبد البديع حمزة زللي (١٤١٩هـ). الجزء الأول من كتاب «وجوه متنوعة من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» الباب الأول فصل حقائق وإعتبارات لابد من معرفتها.

(٢) عبد البديع حمزة زللي (١٤١٨هـ). وبث فيها من كل دابة، مجلة المنهل مجلد ٥٩ العدد ٥٤٧ ص ٥٤ - ٥٧.

(٣) عبد البديع حمزة زللي (١٤١٨هـ): إشارات في القرآن الكريم والحديث إلى الكائنات الحية الدقيقة، مجلة المنهل المجلد ٥٩، العدد ٥٤٨ ص ٥٨ - ٦١.

(٤) لفظ الحديث ورد في سنن أبي داود، أبو داود ابن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢ - ٢٧٥هـ) ، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية. مجلد ٣ ، كتاب الأطعمة باب في الفأرة تقع في السمن حديث رقم ٣٨٤٢.

(٥) أنظر أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٣هـ) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط ١ القاهرة: دار البيان ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، مجلد ٤ ، باب ما يقتل المحرم من الدواب حديث رقم ١٨٢٩.

مصطلح الأصولية

«الأصولية ـ الأصوليون ـ الإسلاميون المتطرفون ـ الاسلام السياسي ـ تسييس الدين ـ الجماعات الاسلامية».

هذه المصطلحات ظهرت بتركيز وتاكيد في وسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، العربية وغير العربية.

وكثر اللغط حول (الأصولية) ومصطلحها، وكثير من وسائل الاعلام الامريكية، والاوروبية حاولت استثمار هذا المصطلح لتضرب به الإسلام والمسلمين، ومحاولة ابعادهم عن الساحة، ووصف المسلمين بأنهم قتلة، ولا يحترمون حقوق الانسان، ومما يؤسف له أن الكثير من وسائل الاعلام العربية أخذت تردد نفس الدعاوى، إما عن جهل أو لأغراض سياسية.

في هذه الدراسة القيمة للاستاذ الدكتور محمد عمارة يحلل هذه الظاهرة، مستنداً على ما قاله الاوروبيون أنفسهم.. في انصاف وحَيدة.

المنهـل

في «الملف» الذي أعدته ونشرته مجلة (الوسط) في أعـدادها السـبـعـة ٩٦ ـ ١٠٢ الصـادرة من ١٩٩٣/١١/٢٩م إلـى ١٩٩٤/١/١٠م عـن رؤيـة الاستشراق المعاصر للظاهرة «الأصولية» الإسلامية وخـاصـة في العـالم العـربي.. طالعنا آراء ثلاثين مستشرقا، من أبرز أعلام الاستشراق المعاصر ـ بل إن من بينهم من هم أبرز المستشرقين المعاصرين بإطلاق.

كذلك مثل هؤلاء المستشرقون أهم شعوب الغرب، المهتمة بالعالم الإسلامى، والمتابعة لقضاياه.. وغطت تخصصاتهم مختلف ميادين وحقول علوم الاستشراق ـ الأكاديمي منها والسياسى.. الأدبى منها واللغوى.. الاجـتـمـاعي منهـا والاقـتـصـادي.. الدينى منهـا والدنيوى.. القديم منها والحديث والمعاصر ـ كما غطت منطلقاتهم أغلب مناهج ومذاهب وفلسفات الغرب في النظر والبحث والتحليل.. وأيضا تنوعت التجارب التاريخية والمعاصرة لشعوب هؤلاء المستشرقين وحكوماتهم وتفاوتت من نزعات وحملات الاستعمار لعالمى العروبة والاسلام.

الأمر الذي جعل ويجعل لهذا «الملف» ميزة البلورة للصـورة الغربيـة، الأقـرب إلى التكامل، عن «الظاهرة الإسـلامـيـة في ديار العـروبة والإسـلام، وفي المهـاجـر التى تعيش فيها أقليات إسلامية».



بقلم المفكر الاسلامي : أ.د. محمد عمارة
ـ مصـر ـ

فهذا «الملف»، ليس رأى مستشرق - مهما بلغ علمه.. وكان حظه من الإنصاف أو التحامل - ولا رأي مؤسسة بحثية - مهما كان حظ موقعها من الصداقة أو العداوة.. ونصيب باحثيها من الموضوعية أو الذاتية - .. وإنما هو «بانوراما» الرؤية الغربية - من روسيا إلى أمريكا - عبر إيطاليا وفرنسا وألمانيا وهولندا وأسبانيا وانجلترا - فكأنه «العدسة الغربية اللامة» للظاهرة الإسلامية بعامة، وفي العالم العربي على وجه الخصوص.. ويكفي - في الدلالة على ذلك - أن تكون هذه «العدسة» قد جمعت رؤى «جاك بيرك» و«مكسيم رودنسون» و«دومينيك شوفالييه» و«بيارتييه» من فرنسا - و«هومى بابا»، و«روبن أوستل»، و«فيردهاليداى»، و«ديريك هوبوود» من انجلترا - و«فيتالى ناوومكين»، و«الكسندر سميرنوف»، و«آرتور سعادييف» من روسيا - و«بيدرومارتينيث مونتانيث»، و«كارمن رويث»، و«مرثيدس ديل آمو»، و«فرناندو دي أغريدا»، و«رودولف بيترز»، و«يان بروفمان»، ويوهانس نانسن» - من هولندا - و«روجر أوين»، و«جون فول»، و«جون إيسبوسيتو»، و«ريتشارد بوليت» من امريكا - و«ايزابيلاكاميرا دافليتو»، و«فرانشيسكو غابرييلي»، ودانييلا آمالدي»، و«آداليندا غاسبارين»، و«سلفاتورى بونو»، و«كلاوديو لوياكونو» - من إيطاليا - و«جودرون كرامر»، و«أردموته هيللر»، و«ستيفان فيلد»، و«أودوشتا ينباغ» - من المانيا - .

يكفي أن تضم هذه «العدسة» رؤى أعلام الاستشراق هؤلاء، لتكون - بحق - «عدسة لامّة» لرؤية الغرب «للشأن الإسلامي، الذى تصاعد الجدل حوله في هذه السنوات».

وبسبب قيمة ومكانة هذه الرؤية الاستشراقية، لأخطر شئوننا المعاصرة، كانت الوقفة الجادة والمتأنية التى وقفتها حيال هذا «الملف» .. والتى أقدم معالمها إلى القارىء في هذه الصفحات.

ولقد آثرت في دراسة هذا الملف، والتقويم لوجهات نظر أصحابه، ان اعتمد منهاج «التفكيك والتركيب» سبيلا «للتحليل والتقويم». الأمر الذى وضع ويضع يدنا على أهم المعالم التى رآها هؤلاء المستشرقون في صورة «الحالة الإسلامية، ورسموها في إجاباتهم على الأسئلة الثلاثة التى سألهم الإجابة عنها مراسلو (الوسط) فيصل جلول (فرنسا)، عمار الجندى (بريطانيا، الولايات المتحدة)، إسماعيل زاير (هولندا)، عرفان رشيد (إيطاليا)، شوقى الريس، طلعت شاهين (إسبانيا)، إيفور تيموفييف (روسيا)، عبد الفتاح خليل (ألمانيا).. وهى الأسئلة التى تقول:

١ - كيف تفسر الظاهرة الأصولية، وما يحدث في العالم العربي اليوم؟.

٢ - ما هو، في رأيك، انعكاس هذه الظاهرة على العلاقة بالغرب، وعلى المهاجرين العرب والمسلمين؟.

٣ - ما الذى يميز الحركات الأصولية بين بلد عربي وآخر، وكيف ترون إلى مستقبل تلك الحركات عموما؟.

ولقد أثمر «التفكيك .. والتركيب .. والتحليل» لإجابات المستشرقين على هذه الأسئلة أثمر «خارطة» الرؤية الاستشراقية للظاهرة الإسلامية تلك التى تميزت في تضاريسها ومعالمها خمس قضايا:

أولها: قضية مصطلح «الأصولية» ومواقف المستشرقين من صدق تعبيره عن الحالة الاسلامية وحركاتها؟.

وثانيها: قضية التنوع والوحدة فى فصائل الحركة الاسلامية وتوجهاتها.. حقيقتها؟.. ومداها؟.. وميادينها؟ ودلالتها؟.

وثالثها: الأسباب الفكرية.. والمادية - التاريخية .. والمعاصرة - الداخلية .. والخارجية - التى أفرزت وأثمرت وأبرزت هذه الحركات الإسلامية، وهذا المد الإسلامي؟.

ورابعها: مشكل العلاقة بين المد الإسلامى وبين

الغـرب؟٠٠ ومـدى مـا فى الحـديث عن خطر المد الإسلامى على الغرب من حقيقـة أو وهم؟٠٠ ومن هو الصانع الحقيقى والأكبر «لصورة هذا الخطر»؟٠

وخامسـها: نظرة على المسـتقبل ٠٠ وهل لهذه الحركات الإسلامية من هذا المستقبل نصيب؟ ٠٠ وإن كـان لها منه نصـيب، فـمـا هو حـجـمه؟٠٠ ومـا هى الشـروط التى لابد من توافـرها حـتـى لا ينبـذ هذا المستقبل تلك الحركات على «قارعة التاريخ» وفق عبارة أحد المستشرقين؟!٠

تلك هى معالم «الخارطة» التى رسمتها إجابات ثلاثين مستشرقا ـ مثلوا مدارس الاستشراق الغربى٠٠ وتيارات حضارته٠٠ وألوان أيديولوجياته ـ ومرجعيات دياناته٠٠ ومصالح دوله وقومياته وتكتلاته٠٠ ودرجات ألوان الطيف في علاقات هذا الغـرب بوطن العروبة وعالم الإسلام٠

وهي «الخارطة» التى أحسبها من أهم الصور التى رسمها علماء الغرب للظاهرة الإسلامية٠٠ التى هى أعظم وأخطر ظواهر العصر الذى نعيش فيه ٠٠ والتى استحقت لذلك، أن نقف أمامها وقفة جادة تليق بما بذل فيها من جهد، وبما لموضوعها من آثار تزلزل واقعنا العربي والإسلامي زلزالا شديدا٠٠!

مصطلح «الأصولية» :

لقد رفض أغلب المستشرقين إطلاق مصطلح «الأصولية» بمعناه الغربي، المحمل بالدلالات السلبية على الحركات الإسلامية٠٠ ورفضوا المساواة بين الاسلام ـ في علاقته بالسياسة والدولة ـ وبين الديانات الأخرى٠٠ وحتى الذين اطلقوا على «حركات العنف والراديكالية» الاسلامية مصطلح «الأصولية»، رفضوا التسوية بينها وبين أصوليات الديانات الأخرى٠٠ وذلك لدورها الإحيائي ـ الأخلاقى والروحي ـ ولبرامجها، التى تصنفها فى «حركات التغيير» وليس فى «التقليد والجمود الأصولى، كما هو حال الأصوليات الغربية ـ ولتميز مرجعيتها الإسلامية عن المرجعيات الدينية للأصوليات الأخرى٠

ولفت كثير من المستشرقين الأنظار إلى ما أسماه أحدهم بـ «الأصوليات الليبرالية الغربية»، الطامعة في اقتصاديات العالم الاسلامى وموقعه الاستراتيجي٠٠ والى حملة هذه «الأصوليات الليبرالية» على العرب والمسلمين، وذلك بإلصاق مصطلح «الأصولية» ـ ذي المعنى السلبي ـ على الحركات المعارضة للنموذج الغربي ـ الذي فشلت تطبيقاته في الواقع العربي ـ والمعارضة لنظم الحكم الفاشلة والعاجزة والفاسدة والتابعة، التى حكمت في حقبة ما بعد الاستقلال٠

نعم ٠٠ رأى أغلب المستشرقين هذه الآراء ٠٠ ولما كنت على يقين من أن هذه الآراء التى ارتآها هؤلاء «العلماء الغربيون» ستصدم كثيرا من «مثقفينا المتغربين» وستبرز التفاوت بين «علم الأئمة» وجهل «المأمومين»! فلقد آثرت عرض آراء علماء الاستشراق في كل هذه القضايا بذات النصوص التى كتبوها، والتى نشرتها (الوسط) في هذا «الملف» الفريد!٠

فأبرز المستشرقين الغربيين ـ إن لم يكن عميدهم ـ «جاك بيرك» يرفض إطلاق مصطلح «الأصولية» على الظاهرة الإسلامية٠٠ ويدعو إلى التمييز، في المد الاسلامى، بين عامة «المسلمين» وبين «الإسلاميين»، الذين يحملون بديلا إسلاميا للمدرسة الغربية ونموذجها في التحديث٠٠ فيقول: «أنا أرفض تعبير «الأصولية» لأنه آت من النزاعات داخل الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية٠٠ هناك مسلمون (العامة)، وهناك الإسلاميون الذين يشددون على قدرة الاسلام على إيجاد حلول مناسبة لمشاكل الحياة اليومية، وقدرته على بناء دولة ومؤسسات، وهؤلاء لا يقفون عند الطبيعة الدينية للإسلام فقط٠ هذه أطروحة من نسميهم الإسلاميين ٠٠ إنها حركات تسعى إلى تقريب

العـالم العـربى مـن منابعـه ولديهم خطابات تجـعلهم مـختلفين بعضـهم عن بعض، لكنهم يلتقون في الدعوة إلى الرجوع إلى الأصول، وبخاصة إلى القرآن الكريم ، ويدعـون إلى إعـادة تأصـيل القـرآن الكريم بـاعتبـاره قادرا على تقديم الحلول للمشاكل التى يطرحـها العـالم المعاصـر، يطرحـون ذلك في مـواجـهة المجتمـعات التى وضـعت نفسـهـا منذ ١٠٠ سنة في مدرسة الغـرب ولم تحقق النجاحات المطلوبة»٠

فـالظاهرة الاسـلامية في رأى «جاك بيرك» ليست «أصولية» بالمعنى السلبي الغربي لهذا المصطلح وإنما هي حركات إسلامية تسعى إلى تقريب مجتمعاتها من منابعهـا، وإقامة دولة ومؤسسات تقدم حلولا لمشكلات العصـر، انطلاقا من مرجعية القرآن الكريم ، بدلا من مـرجعيـة المدرسـة الغـربيـة التي لم تحـقق النجـاحـات المطلوبة على امتداد المائة عام الماضية٠

ومع «جـاك بيـرك» تقف الأغلبيـة السـاحـقـة من المستـشـرقين ـ الذين اسـتطلعت (الوسط) آراءهم ـ فـ «روجر أوين» ـ امـريكا ـ يرى أن مـصطلح «الأصـوليـة» مـصطلح غـربي، أسـيء اسـتـعـمـاله عندمـا أطلق على الحـركـات الإسـلامـيـة العنيـفـة، ويقـول: «أرى أن كلمـة الأصـوليـة أسـيء اسـتـعـمـالهـا لوصـف الفـاعليـة الدينيـة الاسلامية (العنيفة) في الشرق الأوسط، وكانت صيغت أصـلا في الغـرب لوصـف حـركـة قـامت أوائل القـرن الحالي تميزت برفضها عدداً من مظاهر الحياة الحديثة المعاصـرة»٠

فـهو يرفض وصف «الأصولية» بالمعنى الغربي ـ حتى لحركات العنف والراديكالية الإسلامية!٠

ويضـيف «جون إيسبوسيـتو» ـ أمريكا ـ إلى هذا الرأى، التنبيـه على خطأ اعـتبـار الإسـلام مـعـادلا للأصولية، بالمعنى الغربي، فيقول: «من الخطأ اعتبار الاسلام معادلا للأصولية٠٠ واعتبار الأصولية مرادفة للتطرف والإرهاب»٠

أمـا «هوفي بابا» ـ بريطانيا ـ فإنه يضـيف إلى هذه الآراء حقيقـة ملفتـة للأنظار، وذلك عندمـا يتحـدث عن وجـود «أصـولية ليبراليـة» غربيـة هـى التى تقـود حـملة إلصاق مصطلح «الأصولية» ـ بمعانيه الغربية السلبية ـ بالظاهرة الإسلامية في العالم العربي لتفتعل منه عدوا بديلا للشيـوعيـة فـيـقـول: «الأصـوليـة: كلمـة ذات دلالة سلبـيـة تلصق بالعـالم العـربي٠٠ مع أن الظاهرة عالمية٠٠ بل هناك الإرث التحديثي، الذي غدا «أصولية ليبرالية ديمقراطية» نجدها في الولايات المتحدة ومعظم الدول الأوربيـة٠٠ والأصـوليـون الليـبـراليـون الديمقراطيون، الذين ابتهجوا بموت الشيوعية وانتصار القيم الرأسمالية، الليبرالية، يواصلون الترويج للعالم العـربي الاسـلامي كـبـديل من «امـبـراطورية الشـر» السوفياتية، واهتمامـهم بالوطن العربي يعود أساسا إلى غناه بالثروات الطبـيـعـيـة والاسـتراتيـجـيـة، كـمـا سيـتـابعـون مطالبـة المهاجرين، من مـسلمين وغيرهـم، بالتـخلي عن تاريخـهم وثقـافـتـهم والانـدمـاج بالشـعب «المضـيف»، أو بتـحـمـل مـعـاناتهم على يد العنصـرية المؤسساتية والعامة»٠

فنحن ـ برأى المسـتـشـرق البـريطاني ـ أمـام «مؤامرة» «أصولية ليبرالية غربية» على ثروات العالم العربى وموقعه الاستراتيجى وثقافته وتاريخه٠٠ وهى تتوصل إلى تحقيق مقاصدها بهذه الحملة التي تلصق بالعـرب المهـاجـرين الصـفـات السلبـيـة لمصطلح «الأصولية»!٠

أما «روبن أوستل» ـ بريطانيا ـ فيرى في مصطلح «الأصولية» مـصطلحـا عاجـزا عن التعبيـر عن التنوع الموجود في الظاهرة الدينية الإسلامية، فيقول: «لديّ ـ مثل كثيرين ـ مشكلة مع عبارة «الأصولية»، فهى تفتقر إلى التحديد والدقة، وتستخدم على نحو سائب جدا في وصف أفراد وجماعات وحركات شديدة الاختلاف في العالم الاسلامي، مثل:

أ ـ الصحوة الدينية منذ سنة ١٩٧٠م في دول جميع مواطنيها أو معظمهم مسلمون.

ب ـ الأيديولوجيا السياسية الجبارةالتي قبضت على بعض بلدان العالم العربي خلال السنوات العشرين الأخيرة حتى صار الإسلام سمة رئيسية للخطاب السياسى.

جـ ـ الرغبة في وضع الشريعة من جديد موضع التطبيق.

إن الصورة المألوفة للأصول هى نمطية مكرسة واختزالية، وهى عاجزة حتى عن إيضاح التنوع الموجود في الأصولية ذاتها!.

ومن روسيا، يرى «فيتالي ناوومكين» ان وصف «الأصولية بمعناه السلبى الغربي، لا ينطبق على الواقع الإسلامي.. وأن سلبيات الحركات الاسلامية هى «التطرف» أما إيجابياتها فهى: العودة إلى الأصول الدينية، والأصالة الشعبية، ومحاولة إيجاد طريق خاص لتطور المجتمعات العربية والاسلامية.. فيقول: «مصطلح» «الأصولية الإسلامية»: مصطلح أطلق في الغرب، ولا ينطبق بدقة على الحياة الواقعية . ففي الأصولية نفسها شحنة إيجابية وشحنة سلبية. ومن الأصح الحديث عن ظاهرة التحرك الاسلامى أو الإسلام السياسي، مع الانحراف نحو التطرف ـ وهو ما يقصده عادة أولئك الذين يضمنون مفهوم «الأصولية» معنى سلبيا. أما الأصولية نفسها، كعودة إلى الأصول الدينية، وأصالة هذا الشعب أو ذاك، ومحاولا لإيجاد طريق التطور الخاص، فقد يكون له طابع إيجابي أيضا».

فنحن ـ برأي «فيتالى ناوومكين» ـ أمام ظاهرة «التحرك الاسلامى أو الإسلام السياسى» ولسنا امام «أصولية» بالمعنى الغربي.

أما المستشرقة الإسبانية «كارمن رويث» فإنها تنتقد استخدام مصطلح «الأصولية» للتعبير عن الظاهرة الاسلامية، لأنه مصطلح غامض، لا يميز استعماله بين الأصولية التى تمثل الأصالة الحضارية، وبين رد الفعل الراديكالى على العدوان الواقع على الذات الحضارية من الخارج والداخل.. وترى أن الأصولية، بمعناها الشائع، تتعارض مع روح الدين الإسلامى.. ثم تدعو إلى التمييز بين «أصوليات الدول»، التى تتحالف مع القوى الخارجية، وبين «أصوليات الجماعات»، التى تختلف من بلد إلى آخر.. فتقول: «إن لفظة «أصولية» مشوبة ببعض الغموض فهى أحيانا يراد بها التمسك بمبادىء أخلاقية لا يجوز التخلى عنها، وأحيانا أخرى تأتى رديفة للراديكالية السياسية من حيث كونها نمطا أو شكلا لعلاقة بين مواطنين في مجتمع واحد، أو بين دولة وأخرى على الصعيد العالمى.. الأصولية هى الفرع الدينى الطالع من جذع الأصالة بمفهومها الحضاري العام.. والأصولية الراديكالية هى ردة فعل بدائية للدفاع عن الذات إزاء شتى أشكال العدوان والظلم الخارجيين والداخليين أحيانا.. وهى تتعارض أصلا مع روح الدين الإسلامي. وهناك أصوليات الدول، التى تتحالف عادة مع القوى الأجنبية.. وأصوليات الجماعات التى تختلف من بلد إلى آخر، وفيما بينها ضمن بلد معين».

وعلى درب الدعوة إلى التمييز بين «الدين» وبين «الأصولية» بالمعنى الغربي، تمضي المستشرقة الإيطالية «إيزابيلا كاميرادا فليتو».. فالحركات الأصولية، بالمعنى الغربي، هى حركات فاشية رجعية تستخدم الدين درعا وشعارا للتأثير في الناس.. فتقول: «لا أرى ضرورة موضوعية أو فلسفية للربط بين الدين والظاهرة الأصولية، التى هى نتاج منطق سياسي. فأنا أفضل في هذه الحالة، الحديث عن حركات سياسية ذات طابع رجعى أو حتى فاشى في بعض الأحيان، تستخدم الدين درعا وشعارا للتأثير على ذهنية الناس. وهذه الحركات ليست محصورة في العالم الإسلامي فحسب، بل هي موجودة في الغرب أيضا».

أما المستشرق الألماني «أودوشتاينباخ» فيرى أنها حركات «إسلامية» ـ وليست أصولية ـ لأنها حركات سياسية، تسعى للاستيلاء على السلطة كي تطبق مبادىء الدين٠٠ «إنها حركات سياسية ٠٠ هدفها الاستيلاء على السلطة لتطبيق مبادىء الدين٠٠ فالدين يتحول، مع الأصوليين، إلى نوع من الأيديولوجيا٠٠ لذا تراني أقترح ، عوض «الأصولية» مصطلحا آخر هو «الاسلاموية»٠

وإذا كان المستشرق الفرنسي الشهير «مكسيم رودنسون» قد استخدم المصطلح «الأصولية»، فلقد دعا إلى تمييز الأصولية الإسلامية عن الأصوليات الدينية الأخرى، وذلك لتميز الاسلام عن الديانات الأخرى، بأنه دين ودولة، فله أصول في الدولة والسياسة «إن الأصولية الإسلامية متميزة عن الأصوليات الأخرى ـ وخاصة المسيحية ـ بسبب تميز الإسلام٠٠ فليس في المسيحية دولة٠٠ أما الإسلام فالأمر فيه مختلف٠٠ كانت لديه في (المدينة) سلطات سياسية كاملة وسلطات روحية، وكان يرد على كل أنواع الأسئلة التى تطرح، ويقدم حلولا للمشاكل من كل نوع٠٠ وحتي عندما اختلف الوضع، ظل نموذج «المدينة» موجودا على الدوام، وفي كل الظروف التي ساءت فيها الأوضاع، كان التفسير الذى يقدم هو أن ما أصابنا سببه ابتعادنا عن الأصول»٠

ونفس الرأى ـ الذى يميز بين الاسلام والديانات الأخرى ـ يراه المستشرق الهولندي «يان بروخمان»، الذى يقول: «من الناحية النظرية كل المسلمين أصوليون، كما أن الاسلام هو دين ودولة، أما من الناحية العملية، فالأمر ليس كذلك٠ وإذا أخذنا مصر كمثال، نرى أنها دولة إسلامية إداريا، ولكنها ليست ثيوقراطية على الطراز المألوف، بل دولة مدنية٠ وإذا أردنا رصد العلاقة بين الدين والسياسة في العالم الاسلامى، نجد أن الاسلام كدين مرتبط بشكل لا فكاك منه بالسياسة٠ والسبب يرجع الى التاريخ الاسلامى ونشأة هذا الدين، فهو بدأ كدولة ثم انتشر»٠

فنحن امام تميز مصدره الإسلام ذاته، وإذا كانت الأصولية بالمعنى الغربى رفضا للدولة المدنية، ودعوة إلى دولة ثيوقراطية، فإن الدولة الاسلامية هى دولة مدنية مرجعيتها دين الاسلام!٠

أما المستشرق الفرنسي «دومينيك شوفالييه» ، فهو يضيف إلى نفي الشبه بين الأصولية الاسلامية والأصولية المسيحية ـ التى يراها متميزة بالتطرف! ـ ٠٠ يضيف وجهة نظر تقول: إن الظاهرة الإسلامية هى حركة إحياء وتجديد دينى تستهدف التحرير ـ في الأخلاق والسياسة معا ـ وهى ليست بنت السنوات الأخيرة، فالعودة الى الأصول والينابيع قد عرفها العرب والمسلمون منذ تيار الإحياء الدينى الذى قاده محمد عبده ورشيد رضا٠٠ «فالأصولية الإسلامية لا تشبه الاصولية المسيحية، والأخيرة تميزت بالتطرف٠ والفكر الاسلامى الأصولى يقدم نفسه بوصفه عودة الى الأصول، وهذه الظاهرة ليست جديدة، إن الفكر العربى الاسلامى منذ نهاية القرن التاسع عشر، يستند إلى مبدأ الرجوع الى الينابيع وبعض مفكري الأصوليين والحركات الاسلامية مختلفة تماما عن الأصولية الكاثوليكية بزعامة المونسنيور لوفيفر، ولا مجال للمقارنة بين الحركتين، وإذا كان لابد من مقارنة ما، فإن هذه المقارنة تصلح مع حركات التحرير الدينية التى ظهرت في امريكا اللاتينية، لقد نمت الحركات الاسلامية كحركات أخلاقية وسياسية في آن، وهى تلعب دورا على المسرح السياسي»٠

فهي إذن حركات إحياء دينى، والسياسة بُعد من أبعادها٠٠

ومع هذا التحليل يقف المستشرق الإيطالي «سلفاتورى بونو» الذى يرى في الأصولية الاسلامية دعوة إلى العودة لجوهر الدين والأصول والجذور، واعتماد المبادىء الأساسية للإيمان، ووضع كل ذلك في ممارسة إنسانية جادة٠٠ أما «التطرف والعنف

والإرهاب»، فإنها «الصورة» التى يصنعها الاعلام، ويقدمها على أنها الأصولية الاسلامية.

«إن أي معرفة موضوعية، وأبسط نظرة إيجابية إلى الموضوع، تقتضى رفض ما سعت اجهزة الإعلام إلى ترسيخه في اذهان الناس، من ربط بين الأصولية الإسلامية ومعانى التطرف والعنف، وحتى الإرهاب. فالأصولية جوهرها الدين، واساسها العودة إلى الأصول والجذور، واعتماد المبادىء الأساسية للإيمان، وذلك لتأكيد هذه المبادىء وممارستها بجد وصراحة. ويصح هذا أيضا على الديانات السماوية الأخرى التى شهدت عبر تاريخها اتجاهات وحركات أصولية».

وهو نفس ما يقوله المستشرق الروسى «الكسندر سميرنوف»: «لا يجوز الخلط بين الأصولية الإسلامية والتعصب أو التطرف، لأن الأصولية تعبر عن مفهوم أوسع».

وإذ كانت الأصولية ـ برأى المستشرق الأمريكى «جون فول» هى محاولات تغيير اجتماعي ينسجم مع العقيدة والإيمان والتقاليد العريقة.. فإنها ليست كلها رجعية ومحافظة، ولا هى دائما عنيفة وراديكالية.. ففيها ظواهر عديدة، تتعدد بتعدد المناهج والتجارب، في الواقع المتغير، محليا وعالميا. «فالأصولية في العالم الراهن، ليست ظاهرة واحدة، بل تجتمع تحت تلك التسمية مجموعة من التجارب و«الظواهر» التى تعكس مناهج عدة في مقاربة الطبيعة المتغيرة للمجتمعات المحلية والعالمية ولا يجوز اختصار الأصوليات الى نزعات محافظة تبغى إيقاف التطور، كما أنها ليست فقط مساعى رجعية، القصد منها هو إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، إلى ظروف اجتماعية ـ سياسية منقرضة ـ بل إنها محاولات تهدف إلى تغيير المجتمع، بشكل ينسجم مع تصورات معينة، وتقوم هذه التصورات على تقاليد عريقة، وعلى المكانة التي تحتلها العقيدة والإيمان في مجتمع ما. وقد تكون هذه الجهود، الساعية الى التغيير، راديكالية في بعض وجوهها، تميل إلى العنف، وربما كانت أحيانا اخرى برامج هادئة لتحول اجتماعى سلمي.. إنها تختلف من حيث الوسائل التى تلجأ إليها للتغلب على الظروف المكرسة: الهجرة، أو الاصلاح والتجديد».

فالأصولية ـ في هذا الرأى ـ حركة تغيير اجتماعي، مرجعيتها الدين والإيمان الدينى السائد في المجتمع.. فهى إصلاح وتجديد، تختلف وسائله باختلاف التحديات التى تواجهها.

أما المستشرق الإيطالي الشهير «فرانشيسكو غابرييلي» فإنه يفضل «الأصولية» على «القومية» فالاصولية الاسلامية تدعو إلى «الكونية الإسلامية»، فهى أكثر إنسانية وأوسع أفقا من القومية، التى تقف اهتماماتها عند شعب واحد بعينه.. والخيار الدينى ـ عنده ـ أفضل من الخيار القومى ذى الطابع الغربي.. وإذا كنا نرفض من الأصولية «العنف»، فإن القومية ليست أقل عنفا من الحركات الأصولية.. إن النظرية الأصولية.. تنطوى، بشكل من الأشكال، على بعض الإيجابية، قياسا إلى الحركات القومية البحتة التي تتميز بها بعض الدول الغربية.

«الأصولية» تنادى إلى «الكونية الإسلامية» وهى تعبير عن الرغبة في لم شمل كل الشعوب، لا شمل شعب واحد بذاته.

من جانب آخر ليس بإمكاننا أن نغض الطرف عن أحد المظاهر التى تمتاز بها الحركة الأصولية، أي «العنف» الذى يبرز في حالات كثيرة فهذا المظهر يحول الحركات نفسها إلى سبب وحافز للقلق. لكن الرغبة التى يعلن عنها بعض الحركات الأصولية في تطبيق مبادىء الدين، بغض النظر عن الاختلافات والتباينات القومية والاجتماعية، أمر يمثل خيارا إيجابيا، وأنا (والكلام لغابرييلي) أفضله في بعض الأحيان، على خيارات ليست أقل عنفا من الحركات الأصولية نفسها».

ومن إيطاليا ـ أيضا ـ يأتى رأي المستشرق

«كلاوديولو ياكونو» الذى يرفض في الأصولية التعصب ورفض من يمتلك آراء ثقافية وقيما فكرية مغايرة ومختلفة ويدعو إلى العدل والحرية والأصالة في الهوية الثقافية والروحية.. فيقول: «ظاهرة الأصولية فيها إيجابيات كثيرة - منها التعطش إلى العدالة والحرية، ومعاداة أشكال الديكتاتورية والسلطوية، والسعي إلى استعادة الأشكال التقليدية التى تأقلمت مع اصعب الظروف، وصمدت مع مرور الزمن، في كثير من البلاد العربية والإسلامية، وما يلفت النظر أيضا، ويثير الإعجاب بين تجليات الأصولية التي نتفق معها: نزعة المحافظة على الهوية الثقافية والروحية الخاصة، والرغبة في تحقيق ذلك ضمن إطار اجتماعى أقل ظلما وعسفا.. أما الملامح السلبية التى تثير الاستنكار، فتتلخص في حالة التعصب، ورفض من يمتلك آراء ثقافية وقيما فكرية مغايرة ومختلفة».

وعلى حين يتفق المستشرق الألماني «ستيفان فيلد» مع الذين يرفضون التسوية بين الاسلام والأصولية فإنه يدعو إلى عدم اختصاص الأصولية بالمسلمين وبالعالم العربى، ففى الغرب أصولية أكثر عنفا «فالأصولية ليست ظاهرة إسلامية فقط، إنها أيضا ظاهرة مسيحية ويهودية.. وهى ليست حكرا على منطقة محددة.. وإذا ما كانت الأصولية في العالم العربى والاسلامى ترفض العنف في الخطاب العلنى وتمارسه في الخفاء، فإن الأصولية الجديدة في المانيا التى تحرق الأتراك أحياء في بيوتهم - تقر بالعنف في القول وفي الفعل. وعلينا ان نتحاشى كليا الربط بين الدين الاسلامى وبين أفراد وزعماء ، ذلك أن الاسلام أكثر شمولية من ان نحصره في أي شخص أو أي مفكر، ثم إن التراث الاسلامى متعدد ومتنوع فيه المعري وابن رشد وابن خلدون وابن تيمية وابن عربى والجاحظ وغيرهم.. لذا يتحتم علينا أن نخرج الإسلام من الدوائر التى يحصره فيها البعض».

أما المستشرق الهولندى «يوهانس يانسن» فإنه يرى في الأصولية دعوة لتسطيح الدين واختزال روحانيته الواسعة الشاملة، وتحويله إلى مجرد أيديولوجيا تتطلع إلى إجراء تغييرات في نظام الحكم - وهو يراها كذلك في كل الديانات.. «فالظاهرة الأصولية - في كل الديانات - هى دعوة لتسطيح الدين وتقليصه من تقاليد روحية واسعة شاملة إلى أيديولوجيا محددة، تتطلع إلى اجراء تغييرات في نظام الحكم».

ونشذ معه - عن ما يشبه الإجماع من المستشرقين الذين شاركوا في «الملف» فتسوى بين الأصولية العربية والأصوليات الأخرى - المستشرقة الإيطالية «آداليندا غاسباريني» التى تقول: «ليس هناك اختلاف جوهرى بين الأصوليات العربية والأصوليات التى ظهرت وتظهر في أوربا أو في أمريكا، فكل هذه الظواهر ردود فعل تتمسك بزمن غابر، متخلف، قياسا إلى الواقع المعاش».

على حين تراوحت آراء كل الذين عرضوا رأيهم في مصطلح «الأصولية»، بين رفض إطلاقه على الظاهرة الاسلامية أو قبل اطلاقه مع التأكيد على تميز الأصولية الإسلامية عن غيرها.. وذلك لما رأوا فيها من دعوة إلى الإحياء الدينى هى أوسع من الاسلام السياسى ومجرد الأيديولوجيا.. ولما لمحوا في برامجها من دعوة إلى التغيير، ومحاولة لتحرير الذات العربية والإسلامية من قهر النموذج الغربى الذى سعى ويسعى لإلغاء ثقافة المسلمين وتاريخهم.. ولما قالوه عن تميز مرجعيتها - الاسلام - عن المرجعيات الدينية الأخرى، بما له من علاقة بالدولة والسياسة، ومن ثم قيامه بدور النموذج لكل حركات الإحياء والتجديد الاسلامية على مر تاريخ المسلمين.

تلك هى وقفة الاستشراق الغربى المعاصر أمام مصطلح «الأصولية» في علاقته بالحركات الاسلامية.. وهى درس في «الفكر الغربي» نجد أنفسنا مدعويين إلى أن نتعلم منه الكثير؟!.

العولمة

اصطلاح جديد يعني العالمية أو الكوكبية وباللغة الانجليزية Globuleأو Universal ويقصد الغرب بهذا المصطلح أن الغرب قد حقق أهدافا عالية في مجال التكنولوجيا والكومبيوتر، فتطور خلال السنوات الأخيرة تطورا هائلا في حقل الاتصالات والانجازات والمعلومات والانترنت.

ولم تكتف الولايات المتحدة بهذا القدر من إبراز تفوق الغرب بل أضافت أن الغرب قد حقق في السياسة والاقتصاد والثقافة تطورا هائلا وعلى العالم أن يلحق بركاب الولايات المتحدة، وإلا فاته ركب المدنية والرقى، ولهذا يطلق بعض الناس على العولمة: أمركة الكون وهكذا تضع الولايات المتحدة في سلة واحدة كل أمور السياسة والاقتصاد والتكنولوجيا مع الثقافة والسلوك والقيم وهنا نجد أننا نختلف مع الولايات المتحدة اختلافا كبيرا، فالتقدم العلمى جدير بالتقدير والقبول، ولكن الثقافة والسلوك والقيم لابد من التعدد فيه. ولا يمكن التضحية بها.

ويبدو أن هذا الاتجاه من الولايات المتحدة هو امتداد لموقفها من صيحة هانتنجتون عن «صراع الحضارات» واتجاهه بهذا الصراع ضد الإسلام الذى اعتقد الغرب أنه القوة الكبيرة ضد الغرب بعد سقوط الاتحاد السوفييتي.

والعولمة بهذا المعنى خطر على الأديان والقوميات، والإسلام يعلن أن له قيما خاصة لا يمكن أن يتخلى عنها، وهو يرفض كل ما يمس الدين والقومية، ويقرر ان هذا الاتجاه الامريكى خطر على القيم الإنسانية بالشرق التى لا تتمشى مع قيم الغرب وتقاليده، خطر على السلوك الدينى والأخلاق والقيم الاجتماعية والفكر القومي.

وقد انبهر بعض الشرقيين بالتقدم العلمى للغرب فنادى بضرورة أن نلحق بالركب، ونحن مع هؤلاء في مجال العلوم والتكنولوجيا ولكن ليس في مجال الثقافة والسلوك.

وأمامنا مثال شرقى مسلم حافظ على القيم الاسلامية، ومع هذا حقق الكثير في مجال التقدم العلمى، فقد تمكنت ماليزيا خلال ١٥ عاما من تحقيق قاعدة صناعية بلغت صادراتها ما يربو عن ٥٠ مليار دولار أمريكي، وتشمل هذه القاعدة صناعات كثيرة منها صناعة السيارات وأجهزة تحديد المواقع الجغرافية والاستشعار والتحكم عن بعد، ومنها عرض اختبارات جديدة لمرض فقدان المناعة، ويشمل كذلك ابتكار مواد جديدة للبناء والتشييد أخف من المواد المستعملة وأقوى من الحديد.

ثم نريد أن نقرر بصراحة أنه لا يزال امامنا شوط طويل يجب أن ننتهي منه في عالمنا العربي بأسرع ما يمكن.

الخطوة الأولى: في هذا الشوط هى الديمقراطية الحقة، فالأحرار هم الذين يفكرون ويبدعون.

الخطوة الثانية: هى العدالة الاجتماعية التى تقضى على التفاوت الكبير بين الناس في الثراء.

ونريد أن نقضى على نظم التعليم التى تُخرِّج من الجامعة أعدادا من العاطلين فيهم الأطباء والمهندسون ومتخرجون من كليات الزراعة والاعلام.

الخطوة الثالثة: ننشيء سوقا عربية مشتركة تمنحنا الحرية في شئوننا الاقتصادية.

الخطوة الرابعة: تطوير أو خلق جديد لجامعة الدول العربية بحيث يكون العرب ملتزمين بطاعة قراراتها.

ونريد أن نقول للغرب ان لنا قيما وتشريعات إسلامية لا يمكن أن نتخلى عنها، وأننا بالتالى نرفض سلوك الغرب وبخاصة في



بقلم : أ.د. احمد شلبى
- مصر -

العلاقات الأسرية والجنسية، واننا نتمسك بالاخلاق الإسلامية من صدق وأمانة وتعاون وعدل وإيثار وتسامح ومحاربة العدوان والظلم، وقبل هذا أو معه نتمسك بالمبادىء الاسلامية وفي قمتها الإيمان بالله الواحد الاحد وبرسالة محمد {صلى الله عليه وسلم} الخاتمة كما نتمسك بالتشريعات الإسلامية في مختلف الشئون.

ونحن نتمسك بأصول الدين مع الاعتراف بأن ديننا يحارب العدوان والإرهاب ويدعو للحب والتسامح والعدل، ومن هنا فإننا نرفض بكل عزم ربط المتمسك بالأصولية بالارهاب، فالتمسك بالدين مفخرة تقود للخير، والإرهاب من عمل الشيطان وأتباع الشيطان.

ثقافة العالم وجدت من يدافع عنها:

عقد حديثا في «أوتاوا» عاصمة كندا مؤتمر في أوائل يوليو سنة ١٩٩٨م ورفع صيحة تحذير من مخاطر الغزو الأمريكي لعقول شباب العالم ومحاولة «أمركة» الشعوب، ووضّح المؤتمر ان ثقافة «الكاوبوى» و«الجينز» و«الهامبورجر» هى الأساس لثقافات العنف والجنس والمخدرات، والتحرر من جميع القيود بلا ضوابط، وهذه قد اقتحمت عقول الشباب في دول كثيرة وهاجمت قيم هذه الدول ووضعت بدلها قيما أمريكية بديلة مع تناقض القيم الامريكية مع تقاليد وسلوك وأخلاقيات هذه المجتمعات .

وقد حضر مؤتمر «أوتاوا» ٢٢ وزيرا للثقافة من بلاد مختلفة من الشمال والجنوب والشرق والغرب والأغنياء والفقراء، وكلهم يصرخون بضرورة إقامة تحالف يحمى الثقافات المحلية من الزحف الأمريكي، وضرورة احترام السيادة الثقافية والتعددية الثقافية، وأن من الخطر ان تتراجع الثقافات المحلية أمام ثقافة أمريكا، فالثقافة المحلية جزء من سيادة الدول واستقلالها الوطني، وإذا كانت العولمة تسعى لكسر الحواجز التجارية والسياسية وإلى التحرر الاقتصادى والسياسى فإن مؤتمر «أوتاوا» يسعى إلى فرض الحماية، وإلى بناء حائط جديد للحفاظ على ثقافة الشعوب وتراثها من الضياع والذوبان في متاهات الثقافة الأمريكية التى تسعى إلى السيطرة على ثقافة العالم.

وأوضح المؤتمر أن الدول تعلن اهتمامها بالحفاظ على ثقافتها وتقاليدها، وان كانت تريد أن تستفيد من التكنولوجيا الجديدة، فالفيلم وبرامج التليفزيون والكتاب تختلف عن السيارة والدواء والأخشاب والإحساس بالخطر الأمريكي دفع شعوبا كثيرة لإحلال تمردها على هذا الخطر والتمسك بالهوية المحلية والثقافة المحلية والأفكار الوطنية.

ويقول المدير التنفيذي لمنظمة اليونسكو الذى حضر اجتماع «أوتاوا» إن الدراسة التى قام بها خبراء اليونسكو توضح حرص الدول على التمسك بثقافتها، وأن فكرة اقتصاد السوق قد أثرت على ثقافة بعض الدول، ولكن هذه تراجعت وعادت لثقافتها وقررت أن الاقتصاد وتحقيق الربح ليس أهم من الثقافة، وذكر مدير اليونسكو أن دول الاتحاد الأوربي وهى تتجه نحو الوحدة تحافظ على ثقافتها وتعتبرها جزءا مهما من سيادتها واستقلالها الوطني.

تمسكنا بثقافتنا وعاداتنا يستلزم تطويرها:

وإذا كنا سنتمسك بثقافتنا وتقاليدنا فإن من المحتم علينا أن نطور هذه الثقافة لنتخلص من ركام أصابها في الصميم.

ففي التليفزيون لا نحتاج للعديد من القنوات بقدر حاجتنا إلى تحسين ما نقدمه في القنوات القليلة.

والإعلانات التى تشغل وقتا طويلا وهى مكررة ومملّة لابد من السيطرة عليها.

والاحاديث لابد أن تخضع لتخطيط دقيق وأداء حسن، وتعنى بتقديم صنوف التسلية وتعقد صلحا مع الموسيقى الراقية ونشرح موقف الإسلام من الفنون، فقد ظهرت آراء تحرم الغناء والموسيقى بكل أنواعها وتحرم النحت والتصوير، وبالغت بعض البلاد فأمرت بإعدام التليفزيون والفيديو.

وفي الإجازات الصيفية يستعد التليفزيون والاذاعة لاستقبال جمهور التلاميذ الذين يلجئون لهذه الأجهزة بعد الامتحان فتقدم لهم مع التسلية جوانب من الأدب الرفيع والقصة والرواية والتاريخ والأديان والحضارة، فالمعارف الحرة ترسخ في الذهن اكثر مما ترسخ علوم الامتحان.

والكتاب لابد أن يكون جذابا لا من حيث إخراجه فقط بل أيضا من حيث مادته وتخطيطه.

منظمة المؤتمر الاسلامي

والدول الأعضاء بها (دراسة إحصائية)

تعتبر منظمة المؤتمر الاسلامي أول تجمع عالمى معاصر للدول التى ارتضت أن يطلق عليها اسم الدول الاسلامية. وتختلف المصادر العربية (الاسلامية) والغربية (المسيحية) في تحديد ماهية الدولة الاسلامية، وتم وضع عدة معايير لتحديد الدولة الاسلامية في عصرنا الحالي. وأول تلك المعايير هو المعيار الدستوري، فاذا نص دستور دولة ما على أن الاسلام هو دين الدولة الرسمى فهى دولة إسلامية دستوريا، ويلاحظ هنا أن كثيراً من الدول التى يشكل المسلمون غالبية سكانها لا تشتمل دساتيرها على هذا النص، بل إن الكثير منها ينص على علمانية الدولة أى فصل الدين عن نظام الحكم في الدولة.

والمعيار الثاني هو المعيار العددى، والذى بموجبه تكون الدولة إسلامية إذا كان المسلمون بها يشكلون أكثر من نصف عدد سكانها (أي أكثر من ٥٠٪ من مجموع السكان)، ويلاحظ هنا أيضا أن تحديد نسبة المسلمين في كثير من الدول، وخاصة الدول الأفريقية، هو أمر تقريبى، وليس على وجه التحديد، ويعود ذلك إلى عدم وجود إحصائيات رسمية لأصحاب الديانات في تلك الدول، وبالتالى فان الباحث يجد صعوبة في تطبيق هذا المعيار وتحديد الدول الاسلامية من غيرها.

أما المعيار الثالث فيطلق عليه المعيار التنظيمي، ويعنى انضمام الدولة إلى منظمة عالمية معترف بها تجمع في عضويتها الدول التى تستظل بمظلة الاسلام، سواء أكانت دساتيرها تنص على أن الاسلام دينها الرسمى



أم لا، وسواء كان المسلمون يشكلون نسبة الـ ٥٠٪ من سكانها أم لا.

ومنظمة المؤتمر الاسلامي هي تلك المنظمةالعالمية التي استطاعت في عصرنا الحاضر، أن تجمع في عضويتها الدول التى تعيش فيها جماعات إسلامية كبيرة، سواء أكانت تلك الجماعات تشكل غالبية السكان، أم تشكل أكبر مجموعة عقائدية بين أصحاب العقائد المختلفة في الدولة. وقد يتساءل سائل: لماذا لم تسم تلك المنظمة بمنظمة الدول الاسلامية، وللاجابة على هذا التساؤل نقول: إنه قد ثار نقاش كبير في بداية نشأة المنظمة حول هذا الموضوع. ولما كان التفكير في إنشاء المنظمة قد تم خلال أول مؤتمر للقمة الاسلامية الذى ضم ٢٥ دولة، وكان ذلك في سبتمبر ١٩٦٩م، فقد اتفق على أن تكون تلك المنظمة المنبثقة

بقلم: أ.د. عادل طه يونس
كلية التربية للبنات - جدة -

عن المؤتمر الاسلامى الأول هذا هى منظمة المؤتمر الاسلامي.

المؤتمر الأول للقمة الاسلامية الدول التى اشتركت فيه ونتائجه:

أثار حادث إشعال الحريق في المسجد الأقصى المبارك بواسطة مجموعة من اليهود المتطرفين في ٢١ أغسطس ١٩٦٩م، استياء المسلمين في سائر أنحاء العالم، وسارعت الدول الاسلامية والعربية بالتشاور على كافة المستويات، واقترح الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه، الدعوة إلى عقد مؤتمر عاجل لملوك ورؤساء الدول الاسلامية لبحث هذا الحاث المؤلم، وتم توجيه الدعوة لزعماء ست وثلاثين دولة هى:

السعودية - الكويت - العراق - الأردن - لبنان - مصر - سوريا - اليمن الشمالى - اليمن الجنوبي - المغرب - الجزائر - تونس - ليبيا - السودان - موريتانيا - الصومال - إيران - تركيا - أفغانستان - باكستان - اندونسيا - ماليزيا - ماليف - السنغال - تشاد - غينيا - مالي - النيجر - نيجريا - سيراليون - الكميرون - جامبيا - فولتا العليا - ساحل العاج - تنزانيا - الهند.

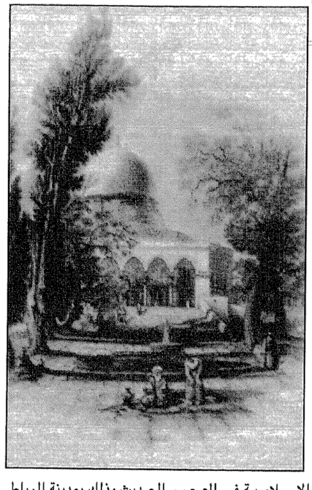
وهي دول يشكل المسلمون غالبية بين سكانها عدا الهند التى بها أقلية مسلمة كبيرة، وكان رئيس جمهوريتها أنذاك من المسلمين.

وقد لبى الدعوة على الفور ٢٥ دولة من تلك الدول هي:

١ - دول عربية (١٤ دولة): السعودية - الكويت - الأردن - لبنان - مصر - اليمن الشمالي - اليمن الجنوبي - المغرب - الجزائر - تونس - ليبيا - السودان - الصومال - موريتانيا.

٢ - دول اسلامية غير عربية (١١ دولة): إيران - تركيا - أفغانستان - باكستان - اندونسيا - ماليزيا - السنغال - تشاد - مالي - النيجر - غينيا.

وتم عقد أول مؤتمر قمة لملوك ورؤساء الدول



الاسلامية في العصر الحديث وذلك بمدينة الرباط بالمغرب في ٢٢ سبتمبر ١٩٦٩م بعد شهر واحد من حادث الحريق المشؤوم.

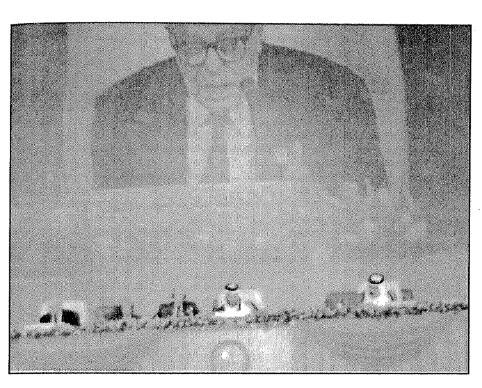
وصدر عن هذا المؤتمر الذى استمر ثلاثة أيام ما عرف باعلان الرباط، والذى حدد الخط الاستراتيجى للعالم الاسلامي، والذى يتمثل في: التضامن الفعال من أجل:

١ - تحرير القدس، ورفض أى حل للقضية الفلسطينية لا يكفل لمدينة القدس وضعها قبل حرب يونيو ١٩٦٧م.

٢ - انسحاب القوات الاسرائيلية من كافة الأراضي المحتلة بعد حرب يونيو ١٩٦٧م.

٣ - توحيد جهود الحكومات والشعوب الاسلامية للحفاظ على السلام والأمن الدوليين.

٤ - توثيق الروابط الأخوية والروحية التى تجمع بين الشعوب الاسلامية، والحفاظ على حريتها واستقلالها، وعلى تراثها الحضارى المشترك القائم بصورة خاصة



على مبادىء العدل والتسامح ونبذ التفرقة العنصرية.

٥ - التأكيد على أن الاسلام هو عامل التقارب والتفاهم بين الشعوب الاسلامية.

وحتى لا تذهب جهود المؤتمر الأول للقمة الاسلامية سدى، قرر المؤتمرون ما يلي:

أولا: بحث موضوع إقامة أمانة دائمة للمؤتمر الاسلامي، مما يمهد لتحويل المؤتمر إلى منظمة عالمية ذات صفة معترف بها من قبل المجتمع الدولي، هي منظمة المؤتمر الاسلامي، وتعتبر الدول الـ ٢٥ التى حضرت المؤتمر الأول هي الدول المؤسسة لهذه المنظمة.

ثانيا: بحث نتائج العمل المشترك الذى قامت به الدول المشتركة في المؤتمر، وذلك في مؤتمر خاص لوزراء خارجية تلك الدول يتم عقده في وقت لاحق.

وقد تم فعلا عقد أول مؤتمر لوزراء خارجية دول المؤتمر الاسلامي في جدة بالمملكة العربية السعودية في مارس ١٩٧٠م بعد ٥ شهور من عقد المؤتمر الاسلامي الأول. وكان هذان القراران هما أهم النتائج التي خرج بها المؤتمر الأول لقمة الدول الاسلامية.

تأسيس منظمة المؤتمر الاسلامي أهدافها ومبادؤها:

كان مؤتمر وزراء خارجية دول المؤتمر الاسلامي الذي عقد في جدة في فبراير ١٩٧٢م (وهو المؤتمر الثالث في سلسلة مؤتمرات وزراء الخارجية) هو المؤتمر الحاسم في مسار حركة التضامن الاسلامي، واشتركت فيه ٢٤ دولة من الدول الخمس والعشرين التى اشتركت في المؤتمر الاسلامي الأول بعد تغيب اليمن الجنوبية عن الحضور، وانضمت لأول مرة ٦ دول جديدة هي: سوريا، قطر، البحرين، الامارات العربية، سلطنة عمان، جمهورية سيراليون، وبذلك أصبح عدد الدول التى حضرت هذا المؤتمر التاريخى ٣٠ دولة عربية وإسلامية، كما حضر كل من فلسطين (ممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية) وجمهورية الكميرون كمراقبين. وتم في هذا الاجتماع توقيع ميثاق إنشاء منظمة المؤتمر الاسلامي، وأعلن رسميا تكوين المنظمة، وأصبحت الدول الثلاثين المذكورة هى الدول المؤسسة لمنظمة المؤتمر الاسلامي. وقد توالى بعد ذلك انضمام الدول إلي عضوية المنظمة حيث ارتفع عدد الدول الأعضاء من ٣٠ دولة في فبراير ١٩٧٢م (وهي الدول المؤسسة للمنظمة) إلى ٥٥ دولة في ديسمبر ١٩٩٧م (وهى الدول التى حضرت مؤتمر القمة الاسلامي الثامن الذى عقد في طهران)، وهذا يدل على أهمية تلك المنظمة، ويؤكد نجاحها وفعاليتها في تجميع الدول التى تقطنها أغلبيات مسلمة، واقتناع تلك الدول بحركة

التضامن الاسلامي التى تتبناها تلك المنظمة على المستوى الرسمي.

ويحدد ميثاق منظمة المؤتمر الاسلامي في مادته الأولى ماهية المنظمة حيث تقرر أن منظمة المؤتمر الاسلامى هى منظمة دولية ذات أهداف متعددة لخدمة الشعوب الاسلامية والانسانية جميعا في نطاق الشريعة الاسلامية.

وتختص المادة الثانية بأهداف ومباديء المنظمة التى يمكن إجمالها فيما يلي:

١ ـ تعزيز التضامن الاسلامي بين الدول الأعضاء.

٢ ـ دعم التعاون بين الدول الاعضاء في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية، وفي المجالات الحيوية الأخرى.

٣ ـ التشاور بين الدول الأعضاء، والعمل على توحيد كلمتها في المنظمات الدولية.

٤ ـ اتخاذ التدابير اللازمة لدعم السلام والأمن الدوليين القائمين على العدل.

٥ ـ المساواة التامة بين الدول الاعضاء، واحترام سيادة واستقلال ووحدة أراضي كل دولة عضو.

٦ ـ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء، والامتناع عن استخدام القوة أو التهديد بها ضد وحدة وسلامة أراضى أي دولة عضو.

٧ ـ حل ما قد ينشأ من منازعات فيما بينها، بحلول سلمية، كالمفاوضة، أو الوساطة، أو التوفيق، أو التحكيم.

٨ ـ حث الدول الأعضاء على استنباط قوانينها ونظمها من الشريعة الاسلامية، والعمل على نشر الحضارة والثقافة الاسلامية في ربوعها.

٩ ـ التشجيع والمساعدة على نشر وتعليم اللغة العربية بين المسلمين، باعتبارها لغة القرآن الكريم.

١٠ ـ العمل على تحقيق نظام اقتصادي دولي جديد بما يتفق مع أهداف الشريعة الاسلامية، وبما يتماشى مع المصالح الاقتصادية للدول الاعضاء.

الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي:

يبلغ عدد الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي الآن خمس وخمسون دولة منهم ٢٢ دولة عربية و٣٣ دولة إسلامية غير عربية، وتنتمى هذه الدول الـ ٥٥ إلى القارات الآتية:

١ ـ قارة آسيا: ٢٧ دولة هي بحسب الحروف الأبجدية:

أذربيجان ـ الأردن ـ أفغانستان ـ الامارات العربية ـ أندونسيا ـ أوزبكستان ـ إيران ـ باكستان ـ البحرين ـ بروناى ـ بنجلاديش ـ تركمانستان ـ تركيا ـ السعودية ـ سوريا ـ طاجكستان ـ العراق ـ عمان ـ فلسطين ـ قطر ـ قيرغيزستان ـ كازاخستان ـ الكويت ـ لبنان ـ المالديف ـ ماليزيا ـ اليمن.

٢ ـ قارة أفريقية: ٢٦ دولة هى بحسب الحروف الابجدية:

أوغندا ـ بنين ـ بوركينا فاسو ـ تشاد ـ توجو ـ تونس ـ الجابون ـ جامبيا ـ الجزائر ـ جيبوتى ـ السنغال ـ السودان ـ سيراليون ـ الصومال ـ غينيا ـ غينيا بيساو ـ جزر القمر ـ الكميرون ـ ليبيا ـ مالي ـ مصر ـ المغرب ـ موريتانيا ـ موزمبيق ـ النيجر ـ نيجريا.

٣ ـ قارة أوربا: دولة واحدة هي: ألبانيا.

٤ ـ أمريكا الجنوبية: دولة واحدة هى: سورينام.

الدول الأسيوية الأعضاء في المنظمة:

تضم منظمة المؤتمر الاسلامي ٢٧ دولة تنتمى إلى قارة آسيا، كما ذكرنا. من تلك الدول ١٢ دولة عربية (بما في ذلك فلسطين التى تنتمى إلى المنظمة كعضو كامل العضوية)،إضافة إلى ١٥ دولة إسلامية غير

عربية، وقد كان عدد الدول الآسيوية بالمنظمة قبل انهيار الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩٠م. هو ٢١ دولة، وبعد استقلال الدول الاسلامية الست التى كانت أجزاء من الاتحاد السوفيتى (وهى أذربيجان وأوزبكستان، وكازاخستان وتركمانستان وطاجكستان وقيرغيزستان)، بدأت تلك الدول في استعارة هويتها الاسلامية التى حاول النظام الشيوعى السابق بها أن يطمس معالمها، ولكن إرادة الله كانت فوق كل الاعتبارات، وعادت رايات الاسلام خفاقة فوق ربوع تلك الدول، وانضمت كلها إلى منظمة المؤتمر الاسلامي لتؤكد هويتها الاسلامية، وارتفع بذلك عدد الدول الاسلامية بقارة آسيا إلى ٢٧ دولة.

وطبقا لاحصاءات وتقديرات عام ١٩٩٦م (١٤١٧هـ) قمنا بحساب أعداد السكان في تلك الدول وأعداد المسلمين بها ونسبتهم المئوية وتوصلنا إلى مجموع عدد سكان الدول الـ ٢٧ الآسيوية وكلهم أعضاء بمنظمة المؤتمر الاسلامي يبلغ نحو ٧٧٥ مليون نسمه منهم حوالى ٦٩٦ مليون مسلم بنسبة مئوية تصل إلى ٩٠٪ والباقى وهم نحو ٧٩ مليون نسمة ينتمون إلى ديانات مختلفة.

الدول الأفريقية الأعضاء في المنظمة:

تضم منظمة المؤتمر الاسلامي حاليا ٢٦ دولة تنتمى إلى قارة أفريقية، كما ذكرنا من تلك الدول ١٠ دول عربية، إضافة إلى ١٦ دولة أفريقية غير عربية تقع في شرق وغرب ووسط القارة جنوب الصحراء الكبرى، وهذه الدول الافريقية غير العربية يمكن تصنيفها كالتالي:

١ ـ دول ذات أغلبية مسلمة باتفاق المصادر الاسلامية والغربية على السواء، مع اختلاف في نسبة المسلمين في كلا المصدرين، ولكنها على وجه العموم تزيد عن ٥٠٪ من مجموع السكان، وعدد تلك الدول ٧ دول هي: تشاد، النيجر، مالي، السنغال، جامبيا، غينيا، نيجيريا.

وتتميز هذه الدول بأن المسلمين في كل منها يمثلون أغلبية بين السكان ويشاركون مشاركة فعالة في سياسات الدولة العليا، ويرأس كل دولة منها رئيس مسلم.

٢ ـ دول ذات أغلبية مسلمة مع اختلاف بين المصادر الاسلامية والغربية فالمصادر الاسلامية (التى نعتمد عليها في دراستنا) تعتبرها ذات أغلبية مسلمة (حيث يشكل المسلمون بكل منها ٥٠٪ من عدد السكان أو أكثر)، بينما تعتبرها المصادر الغربية دولا ذات أقلية مسلمة (المسلمون بكل منها أقل من ٥٠٪)، وعدد تلك الدول أيضا ٧ دول هي: سيراليون ، الكميرون ، غينيابيساو ، بوركينافاسو ، بنين ، توجو، موزمبيق.

وتتميز هذه الدول بأن مشاركة المسلمين في مؤسسات الدولة هى مشاركة ثانوية بالنسبة لغيرهم، وأن رؤساء تلك الدول لا يدينون بالاسلام، ولكنهم متعاطفون تماما مع المسلمين في بلادهم، ويحضرون مؤتمرات القمة ويشاركون فيها مشاركة فعالة، مما يوحي بوجود أغلبية مسلمة بين سكان بلادهم، وإلا لما قبلوا بانضمام دولهم إلى عضوية منظمة المؤتمر الاسلامي، وهم يعلمون بأن الدول الأعضاء في تلك المنظمة توصف بأنها دول إسلامية.

٣ ـ دول ذات أقلية مسلمة باتفاق المصادر الاسلامية والعربية مع اختلاف بينها في نسبة المسلمين، وهذه الدول هي: أوغندا والجابون.

وقد انضمت هاتان الدولتان إلى المنظمة في فبراير ١٩٧٤م حين كان على قمة السلطة في كل منهما رئيس مسلم، ومازال هذا الوضع قائما في الجابون، بينما تغير الوضع في أوغندا حيث يرأسها الآن رئيس مسيحى، ولكنه حافظ على عضوية بلاده في المنظمة، وهو متعاطف تماما مع المسلمين من أبناء بلده

بالرغم من أن عددهم لا يصل إلى نسبة ٥٠٪ من مجموع سكان الدولة.

وطبقا لاحصاءات وتقديرات عام ١٩٩٦م (١٤١٧هـ) واعتمادا على عدد من المصادر الاسلامية المعتدلة لحساب نسبة المسلمين وعددهم في الدول الأفريقية الأعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي، وجدنا أن مجموع عدد سكان الدول الـ ٢٦ الاعضاء في المنظمة يبلغ نحو ٤١٣ مليون نسمة منهم حوالى ٣١٥ مسلم بنسبة تصل إلى ٧٦٪.

الدول الأخرى في المنظمة:

إضافة إلى الدول الآسيوية والأفريقية بالمنظمة توجد دولتان عضوان، إحداهما تنتمى إلى القارة الأوربية وهى ألبانيا (انضمت للمنظمة في أغسطس ١٩٩١م) وعدد سكانها نحو ٥ر٣ مليون نسمة منهم ٤ر٢ مليون مسلم بنسبة ٧٠٪ فهى دولة ذات أغلبية مسلمة، والثانية تنتمى إلى قارة أمريكا الجنوبية وهى جمهورية سورينام (انضمت للمنظمة في ديسمبر ١٩٩٦م) وعدد سكانها نحو نصف مليون نسمة منهم حوالى ١٧٠ ألف مسلم بنسبة تبلغ ٣٤٪ فهى دولة يشكل المسلمون فيها أقلية كبيرة، ولكنها ذات شأن، وتشارك بفعالية في سياسات الدولة ومؤسساتها المختلفة.

خاتمة:

مما سبق يتضح لنا أن المجموع الكلى لسكان الدول الـ ٥٥ الأعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي يبلغ نحو ١١٩٢ مليون نسمة (أي مليار ومائة واثنان وتسعون مليون نسمة) منهم نحو ١٠١٤ مليون مسلم (أي مليار وأربعة عشر مليون مسلم) بنسبة تبلغ ٨٥٪ من مجموع السكان.

ونود أن نشير في ختام هذه الدراسة إلى وجود عدد من الدول الأفريقية تعيش بها أغلبية مسلمة، ولكنها لم تنضم إلى منظمة المؤتمر الاسلامي حتى الآن، وهذه الدول هى:

الدولــــة	عدد سكانهابالمليون	عدد المسلمين بالمليون	نسبتهم المئوية
إريتريا	٩٠٠ر٣	٩٢٥ر٢	٧٥٪
إثيوبيا	١٠٠ر٥٧	٤٠٠ر٣١	٥٥٪
تنزانيا	٠٠٠ر٢٩	٩٨٠ر١٧	٦٢٪
كوت دي فوار	٧٩٠ر١٤	١٣٠ر٨	٥٥٪

والدول الثلاث الأولى ذات أنظمة حكم علمانية متشددة ويرأسها رؤساء مسيحيون متمسكون بنظام الدولة العلمانى ويعارضون انضمام دولهم إلى أي تجمع يقوم على أساس عقائدي، أما الدولة الرابعة (كوت دى فوار أو ساحل العاج) فقد تقدمت بطلب انضمام بصفة مراقب إلى منظمة المؤتمر الاسلامي وذلك أثناء انعقاد مؤتمر القمة الاسلامى الثامن الذى عقد في طهران في ديسمبر ١٩٩٧م. وتم قبول الطلب بالاجماع، وأصبحت كوت دى فوار عضوا مراقبا في المنظمة تمهيدا لانضمامها في وقت لاحق كعضو كامل العضوية لتصبح العضو رقم ٥٦ في منظمة المؤتمر الاسلامي.

الابداعات الأدبية البوسنية

الابداعات الأدبية لأى شعب من الشعوب ليست أمرا عابرا أو زائلا، ولا يمكن أن تمحوها الصدفة المحضة أو هجوم ألد الأعداء. ولا تستطيع القوةالغاشمة أو الصدفة العابرة أو فوات السنوات أن يعمل على تعتيم وحجب الابداعات الأدبية لأى شعب حصل على مكاسب مادية واقتصادية واجتماعية بعد انتصاره على قوى الظلام والجهل والبربرية.

ويظل هذا الانتصار على مر القرون أمانة لدى الأجيال التالية والأزمان الآتية. وهذا هو ما حدث مع الابداعات الأدبية في البوسنة والهرسك.

وهذه الابداعات التي سطرها وابتكرها المسلمون في البوسنة والهرسك لم تنبت من فراغ ولم تكن نباتات برية بلا جذور أو أصول، وانما هي نباتات طبيعية ترعرت في التربة المخضبة بالاسلام آنذاك ومرت بمراحل ازدهار وأفول وتعرضت لشتى التغيرات والتقلبات وربما هذا بالذات هو الذى جعل منها إبداعات أدبية فريدة ومتميزة تتسم بخصائص ومميزات لا تتوفر لابداعات أدبية أبدعتها شعوب مجاورة.

وخلال اطلاعى ودراستى للابداعات الأدبية في البوسنة والهرسك عبر العصور المختلفة والحقب المتباينة لاحظت وجود نفحات عربية اسلامية عطرة تتضوع من عديد هذه الابداعات الادبية. وكان حتما عليّ أن أتابعها وأتتبعها وأدرسها لاعرف مصادرها وجذورها وكذلك لاتبين مدى تعمقها ومقدار استمراريتها. وهذا هو هدفي الأساسي من دراستى التى بين أيديكم.

وبالرغم من أهمية هذه الابداعات الأدبية التى سطرتها أقلام المسلمين في البوسنة والهرسك في مجالات متعددة إلا أنه تبين لي أن الدراسات والأبحاث الحديثة لم تعطها حقها من الدراسة والبحث بل وجرى في كثير من الأحيان إهمال هذه الابداعات واغفالها على نحو عامد وجائر، وفي أحيان أخرى أسيء تقييمها وتقديرها بشكل يفتقد إلى المنطقية والموضوعية.

ويرجع الفضل أولا وأخيرا إلى الأتراك العثمانيين لنشرهم الاسلام في منطقة البوسنة والهرسك وذلك بعد



بقلم :د. جمال الدين سيد محمد
- مصر -

استيلائهم على البوسنة في عام ١٤٦٣م. ثم على الهرسك في عام ١٤٨٢. ومع الحكم العثماني للبوسنة والهرسك تغلغل الاسلام في جنباتها بشكل سلس مكثف دون عقبات أو عوائق تذكر وبذلك أخذت تأثيرات الحضارة الاسلامية في الانتشار والتعمق في كل المجالات.

ويتحتم هنا التنويه الى أنه حدث اعتناق جماعى واختيارى للاسلام من جانب سكان البوسنة والهرسك بعد استيلاء العثمانيين عليها. وقد جرى كذلك التعتيم المتعمد على هذه الظاهرة في أيام الحكم الشيوعى الشمولى «التيتوى» لتلك المناطق بل ومعاقبة كل من تسول له نفسه بالاقتراب منها ومحاولة بحثها ودراستها واستيضاحها. وأصبحت أسباب هذا التعتيم الاعلامى المتعمد معروفة للكافة والخاصة، إلا أن ما يعنينا في هذا الصدد أن الأبحاث والدراسات الأخيرة أكدت واثبتت حقيقة الاعتناق الجماعى الاختيارى للاسلام في البوسنة والهرسك، وأرجعت ذلك إلى أسباب عدة منها - في المقام الأول - الاضطهادات الدينية التى كان يعانى منها آنذاك سكان البوسنة والهرسك، ذلك لأنهم كانوا يتبعون الكنيسة البوسنية ومذهبها يخالف مذهب كنيسة روما الأمر الذى دفع الأخيرة الى استخدام كل أساليب القسر والعنف من أجل إجبار أتباع الكنيسة البوسنية على اعتناق الكاثوليكية. فلما فتح الاتراك العثمانيون هذه المناطق سرعان ما وجد سكان البوسنة والهرسك في اعتناق الاسلام الملاذ والمفر من عنت الكاثوليكية[١].

وباستيلاء العثمانيين على البوسنة والهرسك حلوا محل البيزنطيين في دورهم كوسطاء وناقلين وناشرين لعناصر الحضارة والثقافة بين سكان هذه المنطقة، إلا أننا نجد خلافا بينا في نوعية هذه العناصر ومدى اتساع انتشارها ذلك لان الامبراطورية العثمانية نجحت في تعميق جذور التأثيرات والعناصر العربية الاسلامية بين سكان هذه المنطقة لدرجة أن كثيرا منها استمر متواجدا ومتغلغلا حتى بعد انحسار وزوال السيطرة العثمانية بل وحتى يومنا هذا. والأدلة على ذلك عديدة والأمثلة كثيرة وهو ما يحتاج من جانبنا إلى مزيد من الدراسات والكتابات لتوضيح ذلك.

وقد امتدت فترة الحكم العثماني لمنطقة البوسنة والهرسك ٤١٥ عاما، أي ما يربو على الأربعة قرون. وكعادة العثمانيين حينذاك فقد أحدثوا تغيرات هائلة في جميع جوانب الحياة بهذه المنطقة وتعمقت هذه التغيرات بشكل خاص في المدن التى شيدوها وحملت الطابع العربي الاسلامي الذي يناسب متطلبات الدولة الاسلامية. وجعلوا من هذه المدن الجديدة مراكزا للفكر والثقافة الاسلامية العربية وذلك بعد تشييد العديد من المساجد والمدارس الاسلامية المتنوعة والمكتبات والتكايا وغيرها من المؤسسات الاسلامية الخيرية والأسواق الكبيرة التي تزدهر فيها ألوان التجارة ومختلف الحرف[٢].

ونجم عن اعتناق سكان البوسنة والهرسك للاسلام اتجاههم في ثقافتهم صوب الشرق الاسلامى العربى وتقبلوا في كثير من مجالات النشاط والحياة الأسلوب الاسلامي العربي حسبما نقله العثمانيون. ويضاف إلى ذلك أن العثمانيين نجحوا في استثمار نشاط جزء كبير من المسلمين وغير المسلمين في إقامة وتدعيم وحماية الامبراطورية العثمانية بل وفي نشر

عناصر الحضارة الاسلامية العربية ونفحاتها. وعلى هذا النحو لم يبد سكان البوسنة والهرسك مقاومة تجاه هذه التأثيرات الواردة لهم عن طريق الأتراك العثمانيين بل وتقبلوها بسهولة بالغة. وظلوا لعدة قرون متواجدين وفاعلين في محيط الدائرة الاسلامية الفريدة، ومندمجين اندماجا كاملا في المجتمع العثمانى المتميز حينذاك وربطتهم به مئات المصالح والعلاقات الاقتصادية والثقافية والسياسية والخيوط النفسية السميكة والرقيقة[٣].

وأول ما يسترعى انتباهنا في مجال الثقافة والأدب في البوسنة والهرسك أن اللغة التركية كانت هي اللغة الرسمية تقريبا فى طول الامبراطورية العثمانية وعرضها بينما كانت اللغة العربية، علاوة على استخدامها في الأغراض الدينية اليومية، تستخدم في الأغلب كوسيلة للتعليم والاتصال العلمي. وعلى العكس من ذلك كان للغة الفارسية بعض الأفضلية في مجال الشعر. وفي ظل هذه الظروف كانت الأولوية في الحياة العامة لهذه اللغات الثلاث. ومن أراد أن يصل إلى أعلى المناصب الاجتماعية والسياسية كان عليه أن يعرف هذه اللغات أو واحدة منها على الأقل.

وكانت البوسنة والهرسك آنذاك غنية بالتقاليد الثقافية الاسلامية العربية ونفحاتها، وكانت الكتاتيب والمدارس الاسلامية المتنوعة هى أساس الثقافة الاسلامية العربية. كما انتشرت حينذاك المكتبات العامة والخاصة التى تحتوى على كتب أغلبها باللغات العربية والتركية والفارسية. وبلغ عدد هذه المكتبات حتى بداية القرن التاسع عشر خمس مكتبات عامة وعددا كبيرا من المكتبات الخاصة الحافلة بكتب الدين والأدب والتاريخ والطب البشرى والبيطرى والزراعة وغيرها من العلوم[٤].

وإذا ألقينا نظرة على الابداعات الأدبية في البوسنة والهرسك سنجد أن النفحات والتأثيرات الاسلامية العربية ظاهرة بوضوح في الأدب الشعبى الشفاهى وفي الشعر العاطفى. وفي مجال الابداعات النثرية فهناك القصص البوسنية عن نصر الدين خوجه الرومي، وهو النسخة البوسنية من جحا العربي[٥]. وكانت هذه القصص من أحب الابداعات لدى أفراد الشعب البسطاء. كما ظهرت في الحكايات الخاصة بالجن وأعمال السحر والصعود الى السماء والاتصال بالأرواح وما إلى ذلك.

وتتجلى النفحات والتأثيرات الاسلامية العربية على الابداعات في البوسنة والهرسك بأوضح صورة في تلك الابداعات التى ألفها مسلموها باللغات العربية والتركية والفارسية حينذاك. ويربو عدد المؤلفين البوسنيين بهذه اللغات على ثلاثمائة كاتب ومؤلف كتبوا وأبدعوا في موضوعات ومجالات متعددة منها علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والعقائد والشريعة والتصوف ومختلف علوم الدين والتاريخ وفي علوم اللغة العربية والجغرافيا والحيوان والرياضة والمنطق والوعظ والادارة الحكيمة وتنظيم الدولة والطهارة وخلافه، وكذلك في مختلف الأجناس الأدبية وعلى الأخص في مجال الشعر الذى كان متطورا ومزدهرا في الأدب العربي كشكل من أشكال التعبير[٦]. وفي مجال الابداعات النثرية برز أدب الرحلات وفيه كان المؤلفون يصفون الأماكن البوسنية التى يمر بها الحجاج في طريقهم إلي بيت الله. ومن أبرز الأدباء البوسنيين

الذين كتبوا باللغة العربية: حسن كافي برد شتشاك، مصطفى أيوبوفيتش، محمد بن موسى السرائى، على دده بوشناق، عبد الله بوشناق، محمد بن شلبي، على بن شاكر، فهمى غابي زاده، وغيرهم.

وقد ألف الأدباء المسلمون في البوسنة والهرسك مثل هذه الابداعات الادبية بأجناسها المختلفة وألوانها المتباينة باللغة العربية تطبعا لا طبعا، وذلك ذهابا منهم إلى التفنن في روائع الكلام ومباهاة بقدرتهم على النظم بلغة القرآن. ونجد في هذه الابداعات الأدبية نغمة وطنية جلية وارتباطا واضحا بالوطن.

وقد كان هناك فيما سبق، لسبب أو لآخر، إعراض من جانب الدارسين والنقاد عن دراسة هذه الابداعات الأدبية لمسلمى البوسنة والهرسك وزعم الشيوعيون في حينه بانه أدب لم يأت بجديد وبانه ليس إلا صورة للأدب العربي أو محاكاة له. وهى حجة واهية لان أى أدب يستحق الدراسة والبحث، بصرف النظر عن مغايرته أو مماثلته لغيره، والنقد والدراسة وحدهما هما اللذان يوضحان مدى المغايرة أو المماثلة.

وأمامنا نوع آخر من الابداعات الأدبية للمسلمين في البوسنة والهرسك يحفل بنفحات اسلامية عربية واضحة وهو ما يعرف بالأدب «الهاميادو» أو «الأدب الأعجمي» وهو عبارة عن أدب مؤلف باللغة الأم، أي اللغة البوسنية، ومكتوب بالحروف العربية[٧]. ومن أجناسه الأدبية المشهورة: «القصيدة» وهى شعر للمدح أو الرثاء أو شعر دينى، و«الإلهيات» وهى شعر دينى خالص، و«الحكايات» وهي قصص دينية أو أسطورية، و«العرضحال» وهو عبارة عن شكوى أو دعوى أو التماس أو قصيدة سياسية أو رسالة، و«المحضر» وهو طلب جماعى أو شكوى، وقد استمر هذا النوع من الأدب منذ منتصف القرن السابع عشر وحتى نهاية القرن التاسع عشر[٨].

ويفسر الباحثون ظاهرة الأدب الأعجمى بان المتعلمين تركوا الكتابة باللغة البوسنية للبسطاء الذين لا يملكون حظا واسعا من الثقافة. وكان هؤلاء البسطاء مشغولين أكثر من غيرهم من أفراد الطبقات الحاكمة بهمومهم ومشاغلهم اليومية ويتحملون أعباء الحروب المتكررة على حدود الامبراطورية، ونظرا لانشغالهم بهذه الدوامة الحياتية فقد كانت ابداعاتهم الأدبية، أى هذا «الأدب الأعجمي»، نابعا من احتياجاتهم المباشرة في هذه الحياة وهذه البيئة. ولذا فان قصائد الأدب الأعجمي لا تعكس صراعات عميقة ولا تستند إلى التيارات الفكرية السائدة حينذاك وتختلط لغتها إلى حد كبير بعديد من الكلمات الأجنبية والغريبة[٩]. ولكن في بعض الأحيان كانت هناك ابداعات أدبية تثير الدهشة بنقاء لغتها وقوة تعبيراتها.

وقرر النقاد والباحثون في البوسنة والهرسك أن هذا «الأدب الأعجمي» يمثل أهم عنصر في الحفاظ على الخصائص اللغوية وعلى الثقافة آنذاك. وخلال العصر العثمانى كان هذا النوع من الأدب هو الحارس على الروحانية الذاتية. وفيما بعد كان هذا الأدب هو المنبع الذى كانت جماهير قراء الأدب وجماهير المستمعين له تنهل منه لكى تطفىء حبها للاستطلاع وتروى ظمأها.

ومن أشهر من كتبوا هذا الأدب الأعجمى صالح جاشيفيش ومحمد رشدي ومحمد بك قبطانوفيتش

لوبوشاك ويوسف بك تشنجيتش وحمزه بوذيتش وعبد الرحمن سرى سيكيريتسا ومحمد الهوائى وسعيد وهاب الهامى وغيرهم.

والحقيقة أنه لا يمكننى في هذه العجالة أن أسهب في الكتابة عن كل مظاهر التأثيرات والنفحات الاسلامية العربية التى تتضوع وتحفل بها الابداعات الأدبية في البوسنة والهرسك لأن هذه الظاهرة تحتاج إلى مساحة أكبر ومجال أوسع. ولكنى أود فقط في الختام أن أشير في إيجاز الى بعض النقاط الهامة التى تبينت أنها من أقوى وأهم الأدلة على عمق واستمرارية هذه النفحات والتأثيرات الاسلامية العربية على الابداعات الأدبية في البوسنة والهرسك حتى عصرنا الحديث.

فقد أثبت في معرض دراستى للابداعات الأدبية في البوسنة والهرسك قيام الشخصيات الاسلامية والعربية بمختلف الأدوار الرئيسية والثانوية في كثير من القصص والروايات في النصف الثانى من القرن التاسع عشر[١٠]. وتعددت أسباب هذه الظاهرة الملفتة للنظر، ومن أهمها تأثر مؤلفى هذه القصص والروايات التى قام فيها العرب بادوار رئيسية أو ثانوية بالمذهب الرومانسى وأفكاره، الذى يدفع إلى تمجيد وتعظيم الأحداث التاريخية لأن الأدباء يجدون فيها عزاء عن حاضرهم بل وهو يمنحهم القوة والمقدرة على الاستمرار في النضال من أجل الحاضر والمستقبل ويهبهم الايمان بمستقبل أفضل للشعب والبلاد.

وبالاضافة إلى التأثيرات السابقة التى تشبع بها الأدباء في البوسنة والهرسك خلال فترة الحكم العثمانى فمن أسباب هذه الظاهرة أيضا وجود اتصالات لاحقة بين العرب وبين الشعوب البلقانية، ومنها شعب البوسنة والهرسك بدأت منذ عهد الخلفاء الراشدين وحتى وصول العثمانيين إلى هذه المنطقة، وقد عرضت باسهاب لمثل هذه الحقائق الجديدة المدعمة بالأدلة التاريخية في رسالتى للدكتوراة تحت عنوان: «العربى في النثر باللغة الصربوكرواتية[١١].

ولا يمكن أن نغفل في إطار التأثيرات الاسلامية العربية ونفحاتها على الابداعات الأدبية في البوسنة والهرسك وجود العديد من المصطلحات والتركيبات اللغوية العربية في اللغة البوسنية. والسبب الجوهرى في ذلك يرجع أيضا إلى فترة الحكم العثمانى لهذه المنطقة حيث كانت اللغة العربية هى الناقل الرئيسي ووسيلة التعبير الأساسية عن الثقافة الاسلامية ولذا فان تأثيرها على اللغة البوسنية انتشر وتعمق في كل مجال تقريبا وحتى خارج نطاق الدين. ومن المرجح أن عددا لا بأس به من الكلمات العربية والتعبيرات الاسلامية الموجودة في اللغة البوسنية وخاصة تلك الكلمات التى تتعلق أساسا بالحياة الدينية للمسلمين وبالدين الاسلامى وشعائره وباسماء المسلمين وألقابهم - دخلت إلى اللغة البوسنية مباشرة من اللغة العربية وعن طريق المسلمين البوسنيين أنفسهم الذين تعلموا اللغة العربية واستخدموها في تعاملاتهم[١٢].

وهناك قاموس للمستشرق المعروف عبد الله شكاليتش وعنوانه: «الألفاظ التركية في اللهجات الشعبية والأدب الشعبي لمنطقة البوسنة والهرسك» وحسبما ذكره مؤلف هذا القاموس فهو يحتوى على ٦٥٠٠ كلمة فيها حوالى ٣٨٠٠ كلمة من أصل عربي، ومن هذا يتبين لنا أن أكثر من نصف الكلمات الأجنبية

كلمات عربية الأصل[١٣]. وخلال بحثي في رسالة الدكتوراه عثرت على حوالى ١٢٩ كلمة أخرى من أصل عربي وغير موجودة بالقاموس المذكور.

ومن الغريب أن علماء اللغة بالبوسنة والهرسك كانوا، إلى عهد قريب، يدرجون الكلمات العربية الموجودة باللغة البوسنية تحت اسم «الكلمات التركية» ويرجع هذا الخطأ إلى غياب ونقص الأبحاث المتخصصة والدراسات العلمية الجادة التى تدرس بشكل خاص موضوع الكلمات العربية في اللغة البوسنية. ولكن لابد أن ننوه هنا على الفور الى أنه بدأت في الآونة الأخيرة فحسب تظهر محاولات علمية جادة لالقاء الأضواء على هذا الموضوع.

وأخيرا ظهرت في عام ١٩٦٦م رواية «الدرويش والموت» للأديب البوسنى ميشا (وهى كلمة تدليل لاسم محمد) سليموفيتش. وتقرأ في هذه الرواية البوسنية البسملة في بدايتها ثم فقرات مختلفة من الآيات القرآنية الكريمة. وتقع أحداث الرواية في جو اسلامى دينى متميز ويتفلسف أبطالها بمعان دينية ليس من الصعب تقصى منابعها في الآيات القرآنية وتحفل بالعديد من الأفكار الدينية الاسلامية ولذا وصفها النقاد بأنها رواية اسلامية[١٤].

الهوامش:

(١) محمد فيليبوفيتش، البوسنة والهرسك، سرايفو ١٩٩٧م ص ١٣٣ وما بعدها.

(٢) مصطفى إماموفيتش، تاريخ البشانقة، سرايفو ١٩٩٧، ص ١٣٨.

(٣) ميلينكو فيليبوفيتش، العناصر الشرقية في الحضارة الشعبية للسلاف الجنوبيين، مجلة الفيلولوجيا الشرقية، سرايفو ١٩٧٠، ص ١٠٧ ـ ١٠٩.

(٤) للمؤلف، الأدب اليوغسلافي المعاصر، الكويت ١٩٨٤، ص ٦٧.

(٥) محمد رجب النجار، جحا العربي، الكويت ١٩٧٨، ص ٤٣ وما بعدها.

(٦) محمد بن محمد الخانجى البوسنوى، الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة، القاهرة ١٣٤٩هـ.

(٧) على اسجاقوفيتش، الجواهر ـ مختارات من أدب المسلمين، زغرب ١٩٧٢، ص ٢٥٠.

(٨) محسن رذفيتش، الاطارات الظاهرية والمميزات الداخلية للادب الاعجمي، سرايفو ١٩٧٢، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٩) اسماعيل باليتش، ثقافة البشانقة الاسلامية، وين ١٩٧٣، ص ٥٩.

(١٠) للمؤلف، شخصية البطل العربي في الأدب اليوغسلافي، مجلة العربي العدد ٢٦٢، الكويت سبتمبر ١٩٨٠، ص ١٢٢.

(١١) للمؤلف، العربى في النثر باللغة الصربوكرواتية، رسالة دكتوراة لم تنشر، بلغراد ١٩٧٩، ص ١١٥ وما يليها.

(١٢) توفيق موفيتش، عن الكلمات العربية في اللغة الصربوكرواتية، مجلة الفيلولوجيا الشرقية العدد X1 X -، سرايفو ١٩٦١، ص ٦.

(١٣) عبد الله شكاليتش، الألفاظ التركية في اللغة الصربوكرواتية، سرايفو ١٩٦٥، ص ١١.

(١٤) مدحت بيجيتش، بحث مصائر البشر، مجلة الصدى، سرايفو ١٩٧٢، ص ٦.

التذوق الجمالي والبيئة

هناك دراسات عديدة عن «التذوق الجمالي»، بوصفه موضوعا من موضوعات «الخبرة الجمالية»، وهو المبحث الرئيسي من علم الجمال أو الأستطيقا، الذي يدرس خبرة الإبداع لدى الفنان عند إنتاجه للعمل الفني، وخبرة التلقي لدى جمهور العمل الفني، وموضوع التذوق الجمالي هو موضوع مشترك بين حقول معرفية عديدة، فقد اهتم علم النفس بدراسة «سيكولوجية التذوق الفني»، واهتم علم الاجتماع بدراسة آليات التلقي الاجتماعي عند الاستجابة للأعمال الفنية، وكذلك اهتمت التربية الفنية، بدراسة التذوق الجمالي وكيفية تنميته عند الأطفال، ووسعت من مفهوم التذوق ليشمل تدريب الطفل على تنمية قدراته ومواهبه.

وهذه الدراسة تحاول أن تربط بين مجال التذوق الفني ومجال البيئة، ولم يلتفت كثير من باحثي علم الجمال إلى العلاقة بين هذين المجالين، اللذين يبدو كل منهما منفصلا عن الآخر، بينما هما في الحقيقة متداخلان، ذلك أن «التذوق الجمالي» هو تفاعل الإنسان مع العمل الفني بوصفه منتجاً له، أو مستقبلا له، وقد بينت بحوث الخبرة الجمالية أن الجهد المبذول في إنتاج العمل الفني أو تلقيه هو جهد واحد، السمة التي تغلب على الخبرة الجمالية في الإبداع هي الإرسال، أي توصيل رسالة جمالية من خلال وسائط مادية، بينما تغلب سمة أخرى على الخبرة الجمالية في التلقي، هي الاستقبال، حين يقوم المتلقي بإعادة بناء العمل الفني وفق خبراته وثقافته وتراثه، ليعيد إنتاج العمل الفني، وهذا التفاعل هو خبرة إنسانية، كذلك البيئة هي مجال لتفاعل الإنسان مع المحيط الذي يعيش فيه، وهذا المحيط له مستوياته المتعددة، من مستوى طبيعي، ومستوى اجتماعي، ومستوى تركيبي يجمع بين خصائص المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، وهذا يعنى أن التفاعل سمة إنسانية في التذوق الجمالي، حيث يكشف تفاعل الإنسان مع عناصر الجمال عن عناصر متعددة تحدد مفهوم الجمال لديه مثل العنصر العقلي المعرفي، والعنصر الوجداني، والعنصر الثقافي والاجتماعي ٠٠ وبالتالي كلما ارتفع مستوى التذوق الجمالي وتثقيف الحواس وتدريبها على إدراك عناصر الجمال، ارتقت علاقة الإنسان بالبيئة، واصبح قادراً على تمييز عناصر الجمال فيها، وتنميتها والحد من العناصر التي تشوه المحيط الذي يعيش فيه٠

فالتذوق الجمالي هو أحد محددات السلوك الجمالي، الذي يكتسب المعرفة عن طريق الإدراك والتخيل، وتنمية هذا السلوك تجاه البيئة يتأتى بتنمية التذوق الجمالي٠

التذوق الجمالي:

التذوق هو موقف جمالي وهو «انتباه وتأمل متعاطف منزه عن الغرض»[١]، فحين نتأمل منظراً طبيعياً جميلا، أو لوحة، أو نقرأ قصيدة شعرية، فإننا لا نفكر في المنفعة التي تأتينا من وراء هذا، ويقوم الموقف الجمالي بعزل الموضوع الذي تتأمله الذات، والتركيز عليه، مثلما تركز على منظر فريد للصخور التي تعطى تكوينا ما، أو صورة السحب المتراكمة، وصوت المحيط أو البحر، وتوزيع الألوان في صورة ما، فالتذوق الجمالي لا يسعى إلى تصنيف الأشياء أو دراستها أو الحكم عليها، إنما تأمل الأشياء في ذاتها، لأنها باعثة لنوع خاص من الارتياح نطلق عليه اللذة الجمالية، ويتميز موقف الإنسان المتذوق للجمال بأنه متعاطف مع الموضوع الذي يتذوقه، ويشير هذا

بقلم: د. رمضان بسطاويسى محمد
كلية البنات جامعة عين شمس ـ القاهرة



- رسوم الحناء .. فن يعكس هوية التذوق الجمالي.

التعاطف إلى الطريقة التي نعد بها أنفسنا للاستجابة للموضوع، فعندما ندرك موضوعاً بطريقة جمالية، نفعل ذلك كي نتذوق طابعه الفردي، وندرك سماته المختلفة، وإذا شئنا أن نتذوق الموضوع، فلابد أن نُهيء أنفسنا لنتقبله كما هو، ونهيء أنفسنا لقبول أي شيء قد يقدمه للإدراك، ويقوم المتذوق باستبعاد أية استجابات تعوق تواصله مع الموضوع الذي يتذوقه، أو تؤدي إلى تباعد فهمه، والموقف الجمالي هو أن نستجيب للموضوع الذي نتذوقه بطريقة متوافقة معه.

والمقصود بالتعاطف في التجربة الجمالية هو أن نعطى للموضوع فرصة، لكي يبين لنا كيف يمكنه أن يكون ذا أهمية وطرافة بالنسبة إلى الإدراك ومعنى الانتباه في التذوق، هو أن التذوق ليس نشاطا سلبياً في تأمل العمل الفني أو الطبيعة، وإنما الانتباه الجمالي يكون مصحوباً بنشاط إيجابي، ولذلك فإن «كيت همفز» يعرف التذوق الجمالي بأنه «وعي وتنبه وحيوية»[٢] فالانتباه له درجات، وهو يزداد شدة أو ينقص باختلاف حالات الإدراك الجمالي، وقد يصل إلي حد الاندماج العاطفي مع الموضوع، بحيث نجد أنفسنا نكيف حركاتنا العضلية والجسمية، بحيث نندمج بأحاسيسنا في الموضوع. ولكن التركيز على الموضوع والسلوك الإيجابي إزاءه ليس كل المقصود بالانتباه في التذوق، بل لابد أن نتذوق القيمة الكاملة للموضوع، أي ننتبه إلى تفاصيله التي غالبا ما تكون معقدة وغامضة، والوعي الواضح بهذه التفاصيل يتأتى من تثقيف الحواس أي تدريبها على التقاط التفاصيل، فالعين المدربة على قراءة الأعمال الفنية، تستطيع أن تميز بين الألوان المستخدمة في اللوحة، وتدرك درجاتها .. وكذلك الأذن المدربة على سماع الموسيقى، ندرك التمييز بين قطعة موسيقية وأخرى، ولا توجد بين كل القطع الموسيقية.. وبدون هذا التمييز تكون تجربتنا الجمالية هزيلة، فمثلا إذا قرأ القصيدة إنسان درس الشعر وعرف الإيحاءات والرموز في الشعر، فإنه سوف يهتدي *إلى* تفاصيل لم يكن من قبل يشعر بها، ويدرك حيوية النص الشعري، مما ينعكس على تذوقه الذي يزداد ثراء ووحدة، وبدون تثقيف الحواس، يكون التذوق هزيلا، لأن الإدراك يكون فاقداً إلى التنظيم ولا يشعر بالبناء الذي يربط بين أجزاء الصورة التي يدركها، والعنصر الرئيسي في التذوق الجمالي هو اتخاذ موقف إيجابي نحو ما هو مدرك، اي ما يصل إلينا من خلال معطيات الحواس، والتذوق الجمالي هو تجربة نجد رضا في ممارستها لذاتها، وهذا ما يعطيها قيمة في ذاتها. وهذا يقرب بين الجمال والتذوق، ذلك أن الجمال هو الشيء الذي يجلب لنا الإحساس بالسرور، ويشعر الإنسان باللذة من النظر إليه أو إدراكه ذاته، وهذا ما تؤكده التجربة في الحياة اليومية، فحين ينجذب المرء إلى لون زهرة أو رشاقتها أو تناسقها، أو يندمج في قصة، ويظل مستغرقاً فيها، تكون تلك لحظة في الحياة جديرة أن نمر بها لذاتها، وليس من اجل تحقيق منفعة مباشرة.

وهذا النشاط الجمالي في تذوق الألوان والأصوات والصور هو جزء لا يتجزأ من نسيج الحياة البشرية، وهذا نجده في اختيار الإنسان للملابس، والأدوات التي تنم عن ذوق جمالي، حتى لو كان الإنسان غير واع بذلك، فالإنسان يمارس التذوق الجمالي بشكل فطري، فهو لا يكف عن التطلع إلى العالم والاهتمام بمناظره الطبيعية وأصواته وحركاته، والإنسان يفعل ذلك بشكل

تلقائي، مثلما يفعله الطفل حين تتضح حواسه، ويتطلع للعالم دائماً، بحيث يظهر له العالم جميلا ، ومثيرا للاهتمام.

ويمكن هنا أن نتساءل هل تذوق الإنسان للجمال ثابت أم متغير؟ إن التقاء الإنسان بالموضوع الجمالي، يدخل الإنسان في تجربة، قد تغيره تغييرا عميقا أو بسيطاً، ولكنه يبدل تجاربنا المقبلة في نفس المجال، وتزداد قدرتنا على التمييز واكتشاف التفاصيل التي لم نكن نراها من قبل، فإذا اعتدنا قراءة أعمال روائية أو شعرية ، فإن هذا يغير ذوقنا إلى الأحسن، لأنه يجعلنا ندرك الفروق بين هذه الرواية وتلك، وندرك استخدام الكاتب لأدوات بعينها لابراز حالة الشخصيات وطبيعة العالم الأدبي الذي يقدمه، وهذا يعني أن الذوق الجمالي هو نشاط تراكمي، يكسب الإنسان خبرة به من خلال التكرار لفعل التذوق الجمالي، ولا يقتصر تأثير الذوق الجمالي على تنمية قدرتنا في التواصل مع العمل الفني والاستمتاع به، وإنما قد يغير شخصيتنا وتجربتنا في الحياة، فقراءة رواية قد تعمق من بصيرتنا في إدراك أشياء كثيرة في الحياة، وتجعلنا نلتفت إلى تفاصيل توسع من نطاق تعاطفنا مع البشر والأشياء من حولنا، ومن المستحيل وضع حدود للتأثيرات النفسية التي يمكن أن تكون للعمل الفني.

ولذلك فهناك فرق بين تجربة التذوق الجمالي، والتجربة العملية للإنسان في الحياة اليومية، فالأولى تجربة منزهة عن الغرض والمنفعة، بينما التجربة العملية تتجه نحو تحقيق غاية مباشرة، وإنجاز مصلحة عملية مباشرة، وتتجه للمستقبل، وفي التجربة اليومية لا يستغرق الإنسان بكل انتباهه في الموضوع الذي يدركه بحيث يعزله عن بقية الموضوعات الأخرى كما يحدث في تجربة التذوق الجمالي، ذلك لأن لكل عمل فني إطار يعطيه تنظيمه البنائي الداخلي، ويعزله عن الموضوعات الأخرى، ولذلك فإن نظرة المتذوق ذات طابع انعزالي، بينما نشاط الإنسان في الحياة اليومية ذات طابع ترابطي أي الربط بين العناصر المختلفة للموضوع وعلاقاتها بالموضوعات الأخرى فحين نقرأ رواية يتم عزل الإنسان والموضوع (الرواية) معاً عن التيار المعتاد للتجربة، وحين نعجب بالعمل الفني في ذاته، نفصله عن علاقاته المتبادلة بالأشياء الأخرى[٣].

وقد درس علماء النفس الاستجابات المختلفة للإنسان إزاء العمل الفني، فقد درس إدوارد بلوم ذلك حين اختار استجابات البشر للألوان وبين ذلك في بحثه: المشكلة الادراكية في التذوق الجمالي للألوان المنفردة في الحولية البريطانية لعلم النفس، فبين انه ليس هناك ألوان سارة يرتاح لها الناس جميعا، وإنما هناك طرق مختلفة يستجيب بها الناس للألوان، مثل الاستجابات الترابطية، التي يدرك فيها الإنسان اللون من خلال ارتباطه بفكرة معينة، أو صورة لموضوع معين مر به الإنسان في الماضي، ويقتصر تركيز المرء على اللون بوصفه مثيرا للانفعالات المرتبطة بها، وهذا النوع من الاستجابة الترابطية غير جمالي، ونجده حين يربط الإنسان بين اللون الأسود والموت في بعض الثقافات الشعبية في حضارات معينة، وهناك استجابات ترابطية أخرى، ولكنها تتصف بالبعد الجمالي، وهو ذلك النوع الذي لا ينفصل فيه الترابط عن إدراك اللون، بل يندمج المتلقي في اللون، وتقوى لديه نغمة الإحساس باللون بفضل الترابط، ويعطيه مزيدا من الحيوية والدلالة[٤].

والى جانب النمط الترابطي من الاستجابة الجمالية، توجد انماط اخرى مثل الاستجابة الفسيولوجية، وهي الاستجابة التي تتوقف عند التأثير الجسمي والعضوي للأعمال الفنية فمثلا بعض الألوان تثير الأعصاب أو تهدئها مثل الأحمر والأزرق، والبعض الآخر قد يرفع من ضغط الدم، ولعل هذا التأثير الفسيولوجي للألوان هو الذي جعل علماء التربية ينادون بتغيير لون السبورة من الأسود لألوان أخرى مثل الأخضر أو الأبيض، حيث اهتموا بأثر اللون الأسود على حواس الطفل وهو يتطلع إليه طوال اليوم الدراسي، وهذا النمط من الاستجابة الجمالية يحكم فيه الإنسان على الموضوع من خلال التأثيرات الشخصية فيهم.

وهناك استجابة أخرى وهي الاستجابة الموضوعية التي تتوقف عند الموضوع الذي ندركه ونحلل خصائصه، فحين يستجيب المرء موضوعيا للألوان، إنه يتحدث عن نقاء الألوان، وخصائص كل لون من الناحية العلمية. وهذا النمط من الاستجابة، بالإضافة إلى الاستجابة الفسيولوجية هي أنماط غير جمالية، أي لا تشكل الاستجابة موقفا جماليا، منزهاً عن الغرض، ويجلب السرور والارتياح، والنمط الجمالي للاستجابة

هو النمط الشخصي، الذي يتأمل فيه الإنسان الموضوع الجمالي دون فكرة مسبقة عنه، أو عن تأثيره، فهو يتذوق الموضوع بطريقة مفعمة بالحيوية والعمق، وهو يتميز بنغمة انفعالية قوية، وهنا لا يلتفت المتذوق للاستجابات والتأثيرات الجسمية والعضوية التي يحدثها العمل الفني، وإنما استجاباته تتخذ صورة أخرى، يمكن أن نفهمها حين يتحدث الإنسان عن أن الموضوع الجمالي له حياة مستقلة، وله طابع خاص به، فاللون الأحمر لا يوحي بالسخونة أو يرفع ضغط الدم لديه، وإنما يتحدث عن صفات اخرى مثل صريح ونشط، وذلك لان الاستجابات الشخصية يندمج فيها المرء في الموضوع الجمالي، ويتعاطف معه، ويستجيب له بشكل إيجابي. فالاستجابة الشخصية لا تصرفنا عن الاهتمام بالموضوع الجمالي للاهتمام بفكرة اللون مثلا، أو عن تأثيره على أجسامنا، وإنما تجعلنا نعطي الموضوع الجمالي مكانة مركزية في الوعي[٥]، ويستحوذ علينا بدلا من تحويل الانتباه نحو موضوعات اخرى خارج العمل الفني.

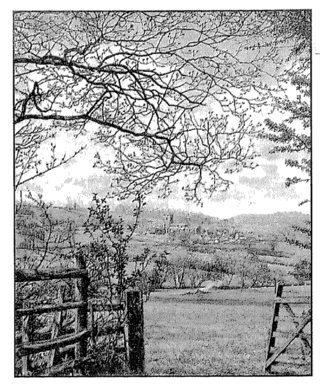
وهذا يختلف عن الاستجابة الموضوعية التي تحلل الموضوع الجمالي بطريقة مجردة، ويعوقنا عن التعاطف الجمالي مع الموضوع.

الجمال الطبيعي والجمال الفني:

ان الإنسان يتذوق الجمال في الطبيعة كما يتذوق الجمال في الفن، فهل هناك فرق بينهما؟

لابد أن نوضح في البداية، أن ما يدرك مباشرة من خلال الحواس هو الجمالي فحسب، فالأصوات والألوان، والملمس وما يتعلق بها من موضوعات الحس هي وحدها التي يمكن أن نطلق عليها موضوعات جمالية، ونحن ندرك الجمال في الطبيعة والفن من خلال الحواس، فعندما ندرك لونا في الطبيعة أو في عمل فني، فإن معناه كله ينحصر في الطريقة التي يبدو لنا عليها فحسب، فليس له معنى وراء ذاته، ولا حاجة إلى تفكير أو نشاط عقلي من اجل الاستمتاع به جماليا، بل كل ما نحتاج إليه هو أن نحس به مباشرة[٦].

وإذا كان الجمال هو الذي يجلب للإنسان الشعور بالرضا واللذة، فإن الطبيعة زاخرة بأمثلة اللذة أو الرضا على المستوى الأول وهو المستوى الحسي



ـ الطبيعة.. وسحر الجمال.

المستمد من إدراك التركيبات المادية والألوان والأصوات، فتركيب ودقة زهرة، أو صورة شاطىء البحر، أو قطعة من الجرانيت المصقول كالزجاج، وألوان الأشياء التي لا حصر لها في الطبيعة[٦]، كل هذه الأمثلة تقف أندادا لنظائرها في الأعمال الفنية من حيث القيم الحسية، والطبيعة تحفل بالقيم الشكلية، وهي القيم الناشئة عن إدراك شتى أنواع العلاقات، والجمال هو إدراك للعلاقات المريحة التي يستجيب لها الإنسان في شتى العناصر سواء أكانت متوافرة في الطبيعة أي من صنع الخالق الأعظم سبحانه أم كان الإنسان الفنان هو الذي صاغها في قوالب مختلفة من الفن التشكيلي والعمارة والموسيقى والشعر والرقص والغناء، والجمال قد يكون صفة للشيء، وهذا ما نجده في الاتجاه الموضوعي الذي يرى أن الذي يجعل الشيء جميلا هو توافر مجموعة من الخصائص، وهناك اتجاه آخر يرى الجمال في الذات المدركة، وهو ما يتمثل في الاتجاه الذاتي أو المثالي، وهناك وجهة نظر ثالثة ترى الجمال في هذا التفاعل بين الذات والشيء المرئي.

وإذا تساءلنا ما هو الجمال؟ فإن تاريخ الفكر يعرض إجابتين، أولاهما: الاتجاه الذي يرى أن الجمال لا يمكن أن يقدم في تصورات، لأنه قيمة في ذاته، وثانيتهما: الاتجاه الذي يرى أن الجمال ليس شيئا في ذاته، وأن له طابعاً عينياً وواقعياً، ويمثل هذا الاتجاه

هيجل الذي يرى أن الجمال نمط معين لتمثيل الحقيقة وإظهارها في طابع حسي.

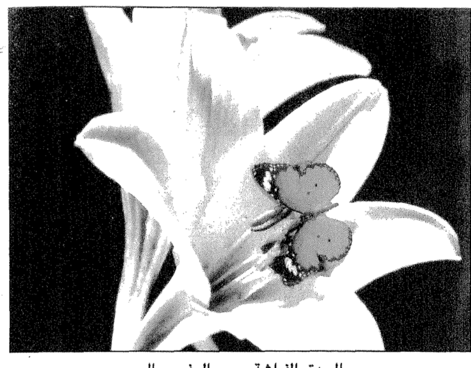
تبين لنا مما سبق أن الذوق هو قدرة الإنسان على الاستجابة للجمال والجمال هو صفة نصف بها سلوك الإنسان، وبدنه، ومظهره، وحكم نطلقه على الأشياء، والجمال هو الحسن، ولذلك فإن الجمال في الإسلام مشتق من الإحسان، وهو أعلى مرتبة من مراتب الإيمان، وقد ورد لفظ الجميل في القرآن الكريم ليصف السلوك الإنساني، {فاصبر صبراً جميلا}، وهو الصبر الذي ليس فيه جزع، أو ضيق، أو حقد، والهجران الجميل هو ترك الناس وفراقهم دون أن نسبب لهم ألما أو مشاحنة.. والشخص الذي يستطيع أن يتصف بهذه الصفة هو الذي يستجيب بحساسية خاصة في تصرفاته، في علاقته بنفسه وبالأخرين، وبالأشياء من حوله، يدرك من خلالها الجمال، ويرعاه وينشره، ويتطلب التذوق الجمالي شمولية النظرة، أي قدرة على الملاحظة والتصميم الجمالي في اكثر من محيط، والذواق هو إنسان نمت حواسه، فأصبح يستجيب للأصوات والأنغام والأشكال والمعاني، يشعر بالجمال ويكره القبح، والخلاصة أن الذوق معناه الاستجابة الوجدانية لمؤثرات الجمال الخارجية، بمعنى انفعال الإنسان وتأثره بالمواقف التي تتوافر فيها العلاقات الجميلة والتي تجعل الإنسان يشعر بالمتعة والارتياح، والتذوق حركة دينامية فاعلة للتأثير والتأثر قوامها عشق الجمال ورفض القبح، والإنسان المتذوق هو الذي تتوافر لديه الحساسية للاستجابة للأعمال الفنية، ويتضمن القدرة على التمييز بين الحسن، والمتوسط في الحسن، والسيء في الأشياء التي يصنعها الإنسان، ويقوم الذوق الجمالي على ثلاثة أشياء:

أولها: تربية الفرد، ذلك أن التذوق ليس مفهوماً نظرياً وإنما مكتسباً، فالتربية تزود الفرد بمعايير الجمال التي يرتاح إليها، وهذه التربية قد تكون غير مقصودة، وذلك حين يستمد الفرد من البيئة التي يعيش فيها مفاهيمه عن الجمال.

ثانيها: الإحساس لدى الفرد، الذي يمكننا من استقبال الموضوعات الجمالية وإدراكها، وهذا الإحساس يمكن تنميته من خلال التدريب على قراءة الأعمال الفنية وسماعها وهو ما قد أوضحناه من قبل تحت مسمى تثقيف الحواس.

ثالثها: فهو منظومة القيم الخلقية التي يتبناها المرء، ذلك لأن المعتقدات والمبادىء الخلقية التي يعتنقها المرء توجه سلوك الفرد، بما في ذلك السلوك الجمالي، وهذه المبادىء هي الإطار الذي يحكم من خلاله الإنسان على الأشياء من حوله، والذوق الجمالي ليس له أهمية في ذاته، وإنما تكمن أهميته فيما يؤدى إليه من ايجاد تغيير في حياتنا.

ويبرز هنا سؤال هل التذوق الجمالي متساو لدى البشر، أم يختلف باختلاف ثقافة كل منهم؟ لا يمكن الادعاء بأن كل إنسان قادر على إدراك الأعمال الفنية وتذوقها، فإذا عرضنا عملا فنياً واحداً على عدد من المشاهدين، سنجد أن هناك استجابات مختلفة باختلاف ثقافة كل مشاهد واهتماماته، ولذلك لابد من توافر بضعة شروط يمكن من خلالها توقع مستوى استجابةالمتذوق ونوعيتها، ومن أهم الشروط، خبراته السابقة في قراءة المادة الوسيطة التي يستخدمها الفنان في توصيل عمله الفني، فهل يمكن للملتقى أن يستجيب لقصيدة باللغة الإنجليزية وهو يجهل هذه



ـ الوردة والفراشة .. جمال في جمال.

اللغة جهلا تاما، كذلك كيف يمكن للمتلقي أن يستجيب لعمل فني من فن التصوير، وهو يجهل طبيعة الألوان واستخدامها، ولا يكفى أن يكون الملتقى قادرا على قراءة لغة الوسيط الجمالي وإنما لابد أن يكون مدرباً على تذوق القطع الفنية، وهذا التدريب يكون من نوعية الخبرةالتي يعيشها الفنان، فتسمح حينئذ بمساعدة المتذوق على إدراك ما ينتجه الفنان ولا يستطيع، أن يتذوق، ويجد له صدى في تجربته في الحياة. ولذلك يؤكد «البرت بارنز» أننا ندرك فقط ما تعلمنا أن نبحث عنه، سواء في الحياة أو الفن، وسواء استخدم الفنان خامة التصوير، أو، الكلمات أو الأنغام الموسيقية، فإنه قد جسد خبرة في عمله، ولكي نتذوق صورته أو قصيدته أو سيمفونيته، لابد لنا من إعادة تشكيل خبرته في أنفسنا قدر المستطاع (محمود بسيوني: مبادىء التربية الفنية ١٩٨٩)، ولذلك فإن الذين يشكون من انهم لا يفهمون الفن، يتأتى من كونهم لا يبذلون جهدا في عملية تحصيل مماثلة للتحصيل الذي مر به الفنان، فالمتعة الجمالية تتطلب ثقافة وخبرة.

ويمكن أن نتساءل ما هي ضرورة الإحساس بالجمال، وتذوق الفنون؟ ويمكن أن نجيب على ذلك فنبين، إذا أردنا تحديد ضرورة الفن، فلابد أن نحدد مكانة الفن في حياتنا اليومية، فلو تأملنا المضمون الكامل للوجود الإنساني، سنجد انه ينطوي على عدد كبير من الاهتمامات والحاجات الإنسانية، تبدأ بالحاجات المادية مثل الطعام والشراب والمأكل والمسكن، ثم تليها القوانين التي تنظم الحاجات المادية بين الأفراد التي تُمَثَّل في الشرائع وقوانين الأسرة والدولة، ثم الحاجة الدينية في نفس كل إنسان التي تجد إشباعها في حياة التقوى[٨]، ثم النشاط العلمي الذي يمارسه الإنسان في جملة المعارف والعلوم، وفي وسط هذه الحاجات والاهتمامات الإنسانية تتم ممارسة، النشاط الفني بشكل غير منفصل نتيجة لحاجات الإنسان الروحية إلى الجمال التي لا يستطيع الإنسان إشباعها في أي اهتمام أو حاجة من الحاجات السابقة. ويمكن هنا أن نتساءل ما هي الضرورةالداخليةالتي تدفعنا إلى الاهتمام بالجمال في زمرة الحاجات السابقة؟، والإجابة على هذا التساؤل إن الحاجات الإنسانية ليست منفصلة عن بعضها، بمعنى أن الإنسان لا يعيش وفق حاجاته المادية فحسب، وإنما يحتاج لإشباع حاجاته الاجتماعية والروحية[٩]، وهذا يعني أن كل دائرة من هذه الحاجات مكملة لبعضها بعضاً، والإنسان - بطبيعته - يسعى دوماً إلى تجاوز الحاجات التي تشغل منزلة دنيا إلى حاجات أسمى، فمثلا الإنسان اصبح لا يستخدم الطعام كما كان يستخدمه الإنسان البدائي، وإنما يطور في أشكال الطهي والتناول وذلك لكي يلبى حاجات أعمق وأوسع، وهذا يبين أن الفن يتدخل في تصميم وجود الإنسان، فلم يعد الإنسان يرتدى أي شيء، وإنما اصبح يلون ويختار أنواعاً مختلفة من الكساء، وهذا يعنى أن الفن مرتبط بدوائر حاجات الإنسان المترابطة والمتشابكة.

الهوامش:

(١) ايتين سوريو: تقابل الفنون، ترجمة بدر الدين القاسم الرفاعي مراجعة عيسى منصور، منشورات وزارةالثقافة دمشق ١٩٩٣م.

(٢) د. أميرة حلمي مطر: مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن دار المعارف القاهرة ١٩٨٩م.

(٣) د. محمود بسيوني: مبادىء التربيةالفنية، دار المعارف القاهرة ١٩٨٩م. تربية الذوق الجمالي دار المعارف القاهرة ١٩٨٦م.

(٤) جان مارى شيفر: الفن في العصر الحديث، الاستطيقا وفلسفةالفن من القرن الثامن عشر وحتى يومنا هذا ترجمة د. فاطمة الجيوشي، دراسات فلسفية[٢٥] منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٦م.

(٥) د. عزت قرني: علم الجمال، محاضرات ونصوص.

(٦) د. مصري عبد الحميد حنورة: سيكولوجية التذوق الفني، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م.

(٧) جيروم ستولنيتز: النقد الفني، دراسة جمالية وفلسفية ترجمة د. فؤاد زكريا، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٤م.

(٨) د. منصور عبد الرحمن: معايير الحكم الجمالي في النقد الأدبي، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف القاهرة ١٩٨٤م.

(٩) Milton C. Nahm: Aesthetic Experience and its Presuppositions Harper.
Brothers Publishers New York 1946

مُعلَّقَة بباب العصر

د. عبدالله الفيفي
كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض

«وهذه مَألَكَةٌ للحارث بن حلزة إلى بني قومه، من مخطوطة قصيدة لم يكتشفها (فريتس كرنكو) في الديوان الذي نشر»

١ ـ ولما أن رأيتُ سراة قومي
مساكى لا يثوبُ لهم زعيمُ

٢ ـ عقرت قصائدي غرْثَى .. عطاشى
لئلا يستبدَّ بها لئيمُ

٣ ـ عقلتُ بداخلي صعباً جلالا
يقول الصامتُ اليوم الحكيمُ

٤ ـ ورحتُ أصورٌّ التهلاك ركباً
بباب العصر والمسعى حطيمُ

٥ ـ واحلامى سكارى لا تُبَارى
ولكنَّ الاداة بها نؤومُ

٦ ـ بنيتُ على الرغائب مُرْجَحنا
من الآتى عليه الورق حُومُ

٧ ـ وما بى عيلةٌ لولا انتسابي
لأذواء عيالهُمُ (حـ ...)

٨ ـ يرون الخطَّة العمياء حلْماً
ويختُون المُبادر إذْ يرومُ

٩ ـ يُوارون الموَارَىَ خوف أن لوْ
تراها الشَّمْسُ وهناً أو تشيْمُ

١٠ ـ يلُوثُون الخباء غياهبيًّا
يمورُ بعالم أكهى يهيْمُ

١١ ـ ويستحيون ان يحيى جديدٌ
٢وهُمْ يرجُون لو بُعث الرَّميْمُ

١٢ ـ وسبحان الذى أغنى وأقنى
لنا الأخرى وللثقلين ديْمُ(*)

١٣ ـ وسبحان الذي ما انفكَّ يُوفى
لنا الإيمانُ والدنيا حرُومُ

* * *

١٤ ـ أَلِكْنِي ـ لا أبا للبين داراً ـ
لوادي السرٍّ مألكة تدُوْمُ

١٥ ـ وأبلغ ظعنهم ظبياً فظبياً
بموماة مجاهلها كتُومُ

١٦ ـ كاصورة بها البيداء تحدُو
وملء عيونها حَداً وبوْم

١٧ ـ كأنَّ سواد ما وأدت وجاشتْ
على التسآد اغربة جثومُ

١٨ ـ وهُنَّ على الرَّجائز واكنات
تطوفُ بهنَّ من سفر هُمُو

١٩ ـ ظهرن بكلة وسدلن اخرى
وثقبت البصائرُ والحُلُو

٢٠ ـ وهُنَّ على الظلام مُطلَّبــــات
ونـعـم الـظُّـلـمُ مـن نـعـم الـظَّـلُـومُ

٢١ ـ علون رباوة وهبطن غــيـبــاً
ولـم يـرجـــــــعن وأتـلّـتْ وُهُـوم

٢٢ ـ تقــول الحــرَّة الوطفــاء ويلي
أمــا في القــوم جـسَّــار حليم

٢٣ ـ يريغ البـسـمـة العـذراء يومـاً
لثـغــر الشـمس فـينا أو يقــيمُ

٢٤ ـ كنُون النِّسوة اجتـاحت حروفي
سُكُونٌ يســتــبــدّ ويســتــديمُ

٢٥ ـ وعندي بالعلى بصــرٌ حــديدٌ
وعـنـدي فـي الـدُّنـى نـظـرٌ سـلـيـمُ

٢٦ ـ ومـــا قـــالتْ غـــداة البين إلا
ليُـنكـأ فـيَّ فـــرَّاسُ كـــــريمُ

٢٧ ـ يدورُ مع المكارم حــيثُ دارتْ
فــتــحــمــده المكارمُ والعُلُومُ

٢٨ ـ ويسـتـبـقى التِّـلاد به طريفٌ
كنصل السـيف قـرضـابُ صـرُوُمُ

٢٩ ـ يعـيـدُ بناء ردهتــه إذا مـــا
تداعى الحيُّ واشــتــدَّتْ غـشُـوم

٣٠ ـ ويسـتـصـفي المعارج للمـعـاني
ولا يرضى لنخلتـــــه تـئـــيْـمُ

٣١ ـ ويبـرأ من غـبـار الدَّهـر وجـهـاً
بغـــــرَّته اهتــــدتْ أممٌ أمــــومُ

٣٢ ـ ويعــرفُ دَاءَهُ من غـــيــر طِبٍّ
كـــفى المرءَ المجـرب مـــا يشـــيمُ

٣٣ ـ فــأبلغ رهطهم والحيُّ شـــعثٌ
فـــقـــد أبرأتُ فــــيـــهم من يلومُ

٣٤ ـ إذا مــا ظلَّ في طخـيــاء قـومي
فـــبُــــدِّل من بني أبـويك روم(*٢)

---

١) البـيت يتـيم في: ملحق ديوان الحـارث: ص ٣٠، (تحقيق/د. أميل بديع يعقوب. ط (١) دار الكتاب العربي ـ بيروت: ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٢) ب: «خبأت قصائدي بالطل تندي»، ج: «خبأت قصائدي والطل فيها»، د: «خبأت قصائدي والطل ينثو».

٣) ج: «عبأت مشاعري همًّا تذري»، د: «عقلت مشاعري صعباً جلالا».

٤) د: «... التهلاك رشداً» ، ب: «والماضي حطيم».

٧) ب: «لاقوام»، د: «لآباء»، ومكان الكلمة الأخيرة في جميع النسخ: فراغ.

٨) د: «ويخشون».

١٠) ج: «يموج»، ب: «بعالم أعمى».

١٢) ج: «وللثقلين حُومُ».

*) كتب على هامشه: «قال الأصمعي في قول علقمة بن عبدة: كأس عزيز من الأعناب عتّقها، لبعض أربابها، حانية حوم

قال: الحوم: الكثيرة، وقال خالد بن كلثوم: الحُوم: التي تحوم في الرأس أي تدور»، (ابن منظور: لسان العرب المحيط: (حوم).

١٤) ج: «... للبين أرضاً».

١٨) الشطر الأول من البيت، والمقابلة له في الأبيات الثلاثة التالية (١٩ ـ ٢١)، تُروى للمثقب العبدي، من مشويته المشهورة.

١٩) ب: «وما كانت مكللة حلوم».

٢١) ج: «واحزألت»، د: «واحزلّت».

٢٣) د: «يعيد البسمة»، ج: «لعرس الشمس».

٢٤) ج: «يستمرّ ويستديم».

٢٦) ب: «ليصحو فيَّ منتفض كريمُ»، ج: «ليصحو فيَّ محتدها الكريمُ»، د: «ليصحو فيَّ فراس كريمُ».

٢٨) ب: «فرند السيف منه لا الرسوم».

٢٩) ج: «جهوم».

٣٠) ب: «تؤوم».

٣٣) د: «جمعهم».

*٢) من الواضح أن قد دارت القصيدة على ألسنة الرواة فدخل عليها ما ليس منها.

أراء لسنك عن علم الجمال في الفن والادب

كان كتاب وشعراء القرن السابع عشر متأثرين برأي الشاعر الروماني هوراس (٦٥ ق٠م ـ ٨ ق.م) الذي وصف الشعر بأنه رسم ناطق والرسم والرسم شعر أخرس٠ وكان لسنك يطالب بأن يكمل احدهما الآخر٠

ويعد لسنك (١٧٢٩ ـ ١٧٨١) أول من وضع لبنات المسرح الواقي الالماني٠

وكان الفنانون التشكيليون يختارون صورا تجريدية لفنهم مثل الشجاعة والحب والحرب والسلم أو النحت٠ وقد دفع ذلك الشعراء الى اعتبار الأفضلية للفن التشكيلي على الادب٠

وحاول الشعراء الاكثار من الجعل والعبارات الوصفية والزخرفية حتى سرى ذلك على أدب ملتون وكلوبشتوك٠

وكان الرسامون والشعراء والنحاتون يطبقون فكرة الموضوع الفني المشترك وطريقة محاكاة البيئة انطلاقا من هدفهم المشترك وجذورهم المشتركة من بيئتهم بحدود العلم والعمل اليدوى في عصرهم٠

لقد وقف لسنك ضد هذا الاتجاه المعادى والضار للفن ونشر لهذا السبب أراءه الادبية حول الفن والمسرح في كتابه (هامبوركنة دراماتوركي)٠

ـ أي فن المسرح الهامبوركي ـ

وقد ركز لسنك دراسته

على الرسم والشعر في كتابه الآخر بعنوان «لاووكوون» *Laokoon*

لقد ظل هذان الكتابان ناقصين ولم يستطع لسنك انجازهما بصورج كاملة، وكان لسنك يريد اصدار الجزء الثاني والثالث من هذين الكتابين ليعالج فيهما الموسيقى وفن الرقص (الدانص)٠

أما كتابه لاووكوون فهو اسم التمثال الاغريقي القديم الذى قام بنحته النحاتون أكياندروس وبوليدوروس وأثينودروس وهو يصور الراهب أبولو الطروادى واسمه لاووكوون مع ولديه وقد التفت حولهما أفعى ضخمة تحاول التهامهم٠

وتروي الاسطورة أن لاووكوون حذر سكان طروادة من الحصان الخشبي الذي تركه الاثينيون أثناء انسحابهم من طروادة حيث كان يختبيء فيه الجنود، وعندما ذهب لاوكوون الى شاطيء البحر ليقم القربان الى اله البحر (بوسابدون) أرسلت أثينا وأبولو اليه ثعبانين لقتله مع ولديه عقابا له وقد تم العثور على هذا التمثال أثناء الحفريات التي جرت في عام ١٥٠٦ ولازال هذا التمثال من مجموعات الفاتيكان الثمينة٠

وقد صمم التمثال بشكل هرمي برز فيه وجه لاوكوون بشكل يلفت النظشر وقد التصق به ولداه، كما

بقلم: د٠ عدنان الرشيد
جامعة الملك سعود ـ الرياض

أن رأس لاوكوون بشكل قمة الهرم ويجذب اليه نظرات المشاهد بشكل مباشر لان وجهه يعبر عن الالم، الا أن النحاتين لم يعبروا في هذا التمثال عن الألم بكل تعابيره، فمثلا لم يفتح الراهب لاوكوون فمه من شدة الالم، فالفم مفتوح بصورة قليلة وبدلا من الصراخ بفعل الالم فقد بدا لاوكوون وهو يزفر ويعبر من أهة موجعة.

لقد استغل الكاتب فنكلمان هذه الفرضية عن «السذاجة النبيلة والعظمة الخفية» التي تتميز بها تماثيل فن النحت الاغريقي، لكي يسند بها آراءه.

فمن رأس لاوكوون نستنتج العظمة والنفس الهادئة على تحمل الالم دون أن يصرخ. وقد جعل من آرائه نقطة انطلاق لتحليلاته حول تعدد تصوير مادة ما بواسطة الرسم وفن الشعر والفنون التشكيلية الاخرى.

وقال لسنك: «ليس العظشمة والنفس الوقورة هما المبدأ الذي يميز فن الاغريق التشكيلي، بل الجمال وعدم الماس بقوانين الجمال اذ هي التي جعلت النحاتين الاغريق يلجأون إلى صياغة شخصية لاوكوون وهو يتأوه ويكتم صراخه الحقيقي رغم أن الصراخ تعبير طبيعي عن الالم الجسدي.

وأشار لسنك الى أن مجرد فتحة الفم الواسعة تعد في فن الرسم تشويها بارزا، أما في النحت فتعد تعميقا للتأثير المتنافر عن العالم، لذلك ينبغي على الفنان أن يسير على قواعد واصول فن الشعر.

وقد أثبت لسنك صحة قوله في كثير من الامثلة لاسيما في شخصية «فيلكونت» في ترجيديا وفوكلس التي تحمل نفس الاسم حيث جعل الشاعر بطله يصرخ، كما أن الفنانين القدامى لم يترددوا من التعبير عن الالم الجسدى لابطالهم بهذه الطريقة.

ووضع لسنك للشعر والفن حدودا معينة.. فمثلا يستطيع الشاعر أن يعبر عن الحدث والموضوع بكل تفاصيله وجزئياته، في حين لا يستطيع الفنان أن يعكس سوى جانب واحد من الموضوع حيث يختار الفنان هذا الجانب ويترك لقوة التعبيرحرية التصرف.

هذه هي أهم آراء لسنك في كتابه لاوكوون التي وردت في الفصل الأول وحتى الفصل السادس. أما الفصول الأخرى فقد ناقش فيها الفرضيات التي تبناها الناقد الانجليزي (سبنس) حيث ادعى سبنس في كتابه ***(Plymatis)*** أي تعدد العلوم والمعارف، بأن الشاعر والنحات والرسام مرتبطون بفنهم ارتباطا وثيقا ويكمل أحدهما الآخر.

وقد حاول سبنس شرح أوصاف الشعراء القدامى وأعمال الفنانين التشكيليين وقام بأعداد دراسة عنها. وأشار لسنك الى أن الادب والفنون التشكيلية لها طرق وأساليب مختلفة فيما يتعلق باختيار الموضوع وصياغته.

أما الفصل السادس عشر من كتاب لاوكوون فقد أوجز فيه لسنك آراءه كما يلي:

«اذا كان صحيحا بأن الرسم يستخدم للمحاكاة وسائل ودلائل اخرى تختلف عن الشعر من مثل تلك الاشكال والالوان التي تنم عن وجود علاقة منسجمة مع المدلولة والمستخدمة في التعبير. ففي هذه الحالة يمكن أن تنشأ عن أفكار ومواضيع تتعلق بالفن لاسيما عند وضع الدلائل بعضها الى جانب البعض الاخر والتي تنسجم أجزاؤها في الخصائص وقد تعبر هذه الدلائل والسمات والملامح المعينة عن الاشياء فقط».

ان الاشياء أو أجزاء الاشياء التي تتواجد بصورة متقاربة، تسمى مجرد مواضيع.

ومعنى ذلك انها مواضيع بخصائصها البارزة والتي تعد أشياء ومواضيع لفن الرسم.

ان الاشياء التي تتواجد بعضها بجانب البعض

الآخر وأجزاء الاشياء التي تتعاقب الواحدة بعد الاخرى، تسعى مواضيع فهي اذن مواضيع للفكرة الحقيقية للشعر.

ويؤكد لسنك على أن المواضيع لا توجد فقط في المكان، بل في الزمان أيضا وينبغي على الفنان التشكيلي أن يملك اللحظة المناسبة لمحاكاة الموضوع. ويستطيع الفنان أن يشير الى هذه المواضيع من خلال الاجسام في المكان المعين ولكن ينبغي عليه أن يختار الجانب الفني للموضوع بحيث يتسنى للمشاهد أن يستنتج من الموضوع الماضي والمستقبل أي ادراك اللحظة المثمرة.

ومن ناحية أخرى فان المواضيع لا تنشأ ذاتيا لوحدها بدون فعل خارجي، بل ترتبط دائما بالاجسام والافكار، ولذلك ينبغي على الشاعر أيضا أن يصور الاجسام والاشياء، الا أنه - أي الفنان - لا يستطيع تحقيق ذلك اذا أراد أن يسخر امكانياته لوصف هذه الاجسام وصفا دقيقا.

ان وصف أي موضوع أو مشهد بالكلمات لا يقربه أبدا الى المشاهد أو المستمع ولكن كيف ينبغي للشاعر محاكاة الاجسام التي تعد ملازمة للموضوع؟ وكنموذج حول امكانية محاكاة الاجسام في المكان بواسطة الشاعر، فان لسنك يستشهد ببعض أجزاء الالياذة لهوميروس ويقول:

«اذا كان هومبروس يريد تجسيد عربة الشمس لالهة الرومان (يوتو) فانه يجعل من الهيبة أحد أبطال الالياذة ان يقوم بتركيب العربة قطعة بعد قطعة.

وعندما يريد هوميروس وضع صورة أكاممنون أمام أعيننا، فانه لا يقوم بوصف جميع تفاصيل الشيء، بل يروي لنا قصة هذا الشيء أو الموضوع ان رأي لسنك يتلخص كما يلي:

«ان على الشاعر الذي يريد تجسيد وتوضيح الموضوع والاشياء أمام أعيننا، عليه أن يفعل ذلك من خلال الموضوع والفكرة كما أن الجمال الجسدى يعتبره لسنك جزءا من الفنون التشكيلية وان العنصر الاساسي للموضوع هو الحركة، حيث أن اضفاء الحركة الى جمال الاشياء والاجسام الساكنة يتحول الى جمال مؤقت».

لقد مارس كتاب لاوكوون النقدى تأثيرا على ادباء ذلك العصر، لاسيما على شخصية كوته وهردر والناقد فيلاند، وقد أشاد كوته في كتابه «شعر وحقيقة» في الجزء الثامن منه بكتاب لسنك. أما فيلاند فقد تخلى عن وصف الاشياء والمواضيع لانه كان يشعر بأن لسنك ربما سيحذره من مغبة ذلك.

أما هردر فقد انتقد بعض آراء لسنك وطور بعض الآراء والمفاهيم الاخرى وأشار هردر: «ليس الموضوع هو الذى يحدد الجوهر الحقيقي للشعر، بل القدرة، ان القدرة ترى من خلال الاذن وتؤثر مباشرة على النفس التي تلتصق بأعماق الكلمات، كما أن القوة السحرية تؤثر على النفس من خلال الخيال والذكرى».

وقد أثرت آراء لسنك الجمالية على الفكر الالماني وعلى كثير من النقاد لاسيما على الناقد المعروف فرانس ميرنك وقد أشاد ميرنك بالتأثير الذى احدثته آراء لسنك على الطبقة البرجوازية الالمانية في القرن الثامن عشر، ان محاكاة الطبيعة في رأى لسنك ينبغي أن لا تفهم على انها مجرد وصف حسب مفهوم الطبيعة، بل العكس، فقد كافح لسنك الادب الوصفي الذى يقترب في اسلوبه من الطبيعة.

ان محاكاة الطبيعة حسب رأى لسنك يمكن أن يطبق على اسس معينة واحدى هذه الأسس الرئيسية هي أولوية الجمال على التعبير في الفن التشكيلي والتي يصعب اليوم تطبيقها بكاملها. كما أن التضييق المجحف على فن الرسم في مختلف الاجزاء أثبت اليوم عدم جدواه.

في الرسالة التاسعة عشرة الادبية أشار لسنك الى اننا لا نتعلم من المسرح ماذا يمثل أمامنا هذا

الممثل أو ذاك، بل ما يقوم به كل شخص تحت تأثير ظروف ومعطيات اجتماعية معينة. كما أن هدف التراجيديا اذا ما أراد المرء أن يجعل منها منبرا للرجال المشهورين.

وكان لسنك يعتمد في مفهومه هذا على أراء أرسطو عن الشعر حيث وضع ارسطو للشاعر مهمات ومؤليات ينبغي عليه أن يتبعها وهي ليس فقط تصوير الاحداث الواقعية، بل ما يتوقع حدوثه من خلال الحدس الاحتمالي أو المستلزمات الاجتماعية، وكان أرسطو ينظر الى المؤرخين نظرة تختلف عن نظرته الى الشاعر، فقد اعتبر أرسطو المؤرخ شخصا يؤرخ الاحداث فقط كما هي، أما الشاعر فهو يصف لنا الاحداث التي يحتمل وقوعها، ولذلك فان الشعر فلسفي وذو مضمون يختلف عن مضمون التاريخ، كما أن الشعر يصف لنا المجال العام في حين أن التاريخ يصف لنا الاحداث الخاصة والفردية، ومن الطبيعي أن كتابة التاريخ لا تصف لنا الاشياء الخاصة والفردية فقط، بل انها تنتقي أحداثا معينة من التاريخ وتعمم عليها الاحكام.

٤ ـ الرسالة السابعة عشرة التي تتناول الادب المتجدد:

استهدف لسنك في مسرحيته أميليا كالوتي وفي مسرحية مينا فون بارنهلم تحريك أقلام الكتاب ولفت انتباههم لسلوك نفس الطريق الذي سلكه من أجل خلق أدب وطني في ألمانيا وخدمة البرجوازية الوطنية الناهضة لمقاومة الاقطاع. وقد حاول ذلك سنوات الكاتب يوهان كريستوف كوجيت في مسرحيته «كاتو الميت»، الا أن هذه المسرحية كانت هزيلة التكوين ضامرة الجناحين وتتسم بالضعف كما في مسرحيته «أكيس» الا أنهما كانتا محاولة لبعث النهضة الادبية في ألمانيا، غير أن لسنك كان الوحيد الذى استطاع وضع اللبنات الاولى الصلبة لاساس الادب الوطني في ألمانيا في مسرحياته التي عرت الاقطاع وألهبت المشاعر الوطنية وربما لأن لسنك كان أكثر وعيا وادراكا من سواه من الكتاب الالمان حينذاك وهنا تكمن عبقريته وثورته الفكرية.

لم يستطع لسنك وكوجيت أن يتعاونا سوية حينذاك لاختلاف وجهات النظر بينهما، كما عبر لسنك عن ذلك في الرسالة السابعة عشرة.

وقد أنكر لسنك على كوجيت خدماته من أجل المسرح في ألمانيا ويعود السبب في ذلك الى اختلاف موقع كل منهما في الطبقة البرجوازية ومسار تطورها.

وينحصر الخلاف بين الكاتبين في تأييد كوجيت للمسرح الفرنسي الكلاسيكي وتأييد لسنك للمسرح الانجليزي أى مسرح شكسبير.

وكان كوجيت يترجم مسرحيات كورنيه وراسين الى فرقة توبيرن المسرحية في لايبزك، وقد وجد لسنك أن هذه المسرحيات لا تلائم ذوق ومستوى الجمهور الالماني لانها كتبت للملوك وليس فيها أي ذكر أو اثارة للشعب.

وقد وحد لسنك في مسرح شكسبير صورة صادقة للمسرح الشعبي الذي يعكس فيه أخلاق ومشاكل جميع الفئات الاجتماعية وأخلاق البشر كما انه يتسم بالحرية في معالجة امور الحياة في كل زمان ومكان لاسيما المساوىء والشرور والجشع والغيرة والرذيلة، ومن هنا بدأ الخلاف بين الاثنين.

ان كفاح لسنك استهدف أيضا التأثيرات الدخيلة على الادب الالماني من خلال الحكم الاقطاعي المطلق الذي انعكس في الادب الفرنسي في القرن الثامن عشر.

وكانت المسرحية المأساة (التراجيديا) الفرنسية لا تعالج سوى الشخصيات الارستقراطية من الملوك والنبلاء، أما أبطال الكوميديا فكانوا من عامة الناس اذ لا يجوز أن يضحك الناس على الملوك. وجاء لسنك وقلب هذه المقاييس وغير هذه القاعدة فأدخل الملوك في الكوميديا والناس البسطاء في التراجيديا، وكان

شكسبير قد فعل ذلك من قبل في مسرحياته وهنا يكمن خلود مسرحه.

٥ـ هامبوركنة دراماتوركي (أو فن المسرح الهامبوركي):

أحدثت حرب الفلاحين الالمانية (١٦١٨ ـ ١٦٤٨) دمارا في أغلب المدن الالمانية والقصور والقلاع والكنائس وغيرها من المنشآت العمرانية، الا أن مدينة هامبورك التي تقع في الشمال ظلت بعيدة عن هجوم الفلاحين عليها فاجتذبت اليها أنظار الادباء والتجار والحرفيين فتم تشييد دار للأوبرا لاسيما بعد النشاط التجاري الذى شهدته المدينة لوجود ميناء هام فيها.

وكانت تعرض على المسرح مسرحيات للكتاب الهولنديين والانجليز بعد أن ظلت المدن الاخرى تعيش على عرض المسرحيات الفرنسية التراجيدية، وطالب لسنك أزاء هذا الوضع تأسيس مسرح وطني في ألمانيا ينهض على أسس علمية سليمة وعرض مسرحيات ناضجة وهادفة ليس هدفها الترفيه عن الجمهور فحسب، بل أيضا تربيته وتوعيته اجتماعياً وفكرياً.

ووضع لسنك خمسة أهداف لتحقيق ذلك:

١ ـ ربط المسرح بالعمل المسرحي.

٢ ـ رفع المستوى الفكرى والاجتماعي للممثل.

٣ ـ تربية الجمهور وتوعيته.

٤ ـ وضع أسس علمية للنقد المسرحي.

٥ ـ وضع نظرية علمية للفن المسرحي.

وصل لسنك الى شامبورك في أوائل نيسان من عام ١٧٦٧، وتم في ذلك الشهر افتتاح المسرح الوطني في المدينة، وفي شهر مارس آيار من نفس العام نشر لسنك القسم الأول من كتابه النقدي (هامبوركنة دراماتوركي) في مجلة المسرح التي كانت تصدر مرتين في الاسبوع في هامبورك.

وفي الفصل الرابع بعد المئة بلغ فيه لسنك نقطة الذروة فيما يتعلق بأنشاء وتطوير المسرح الوطني في ألمانيا، وقد أثرت أراؤه على الممثلين والمخرجين والمختصين بالفن المسرحي والذي يطلق عليهم (دراماتورك).

في عام ١٧٩٩ كتب شلر الى الشاعر كوته رسالة امتدح فيها أراء لسنك حول المسرح والفن والادب، وقال شلر: «انه أجرأ كاتب ظهر في ألمانيا واستطاع أن يعبر عن أرائه بكل شجاعة وصراحة ووضوح، كما شخص في هذه الآراء الاخطاء والامراض التي يعانيها المجتمع الالماني».

وقد أثرت آراء لسنك في كتابه (هامبوركنة دراماتوركي) فيما بعد على عملية الخلق الفني والمسرحي لكل من كوته وشلر وغيرهم من الكتاب والمفكرين الالمان، حيث تعد أراء لسنك أساسا للمسرحية الالمانية ولمسار علم الجمال (أستيتك) في الفن والادب.

ان كتاب هامبوركتة دراماتوركي يتألف من قسمين ويحتوى القسم الاول منه على أراء لسنك عن حالة المسرح الالمانى وكذلك الحالة الادبية في ذلك الوقت. كما ناقش لسنك اسلوب المسرح الفرنسي الذي اتخذه المسرح الألماني نموذجا له.

أما القسم الثاني فيطرح فيه لسنك القواعد الدرامية ويعالج فيه النموذج الافضل، وكان لسنك يطالب بمسرح يقدم المسرحيات الالمانية فقط وينبذ المسرحيات الفرنسية، ورأى لسنك أن هامبورك تفتقر الى اسس انشاء مسرح وطني والى جمهور خاص يتعاطف مع هذا الاتجاه، كما طالب لسنك بتأسيس نقد مسرحي علمي وأكد على افتقار النقاد لمباديء النقد العلمي وطالب بالوحدة الديالكتيكية بين النظرية والتطبيق للنقد الادبي عن الفن (اي الوحدة الجدلية ـ والديالكتيك يعني صراع الاضداد).

وأكد لسنك على أن عرض مسرحية فرنسية لا

تتثير نفس الاعجاب والاحاسيس مثلما تثيره في نفوس الجمهور الفرنسي، لان الكاتب جزء من المجتمع والجمهور الالماني متخلف عن الجمهور الفرنسي بأشواط بعيدة ولا يمكن أن يتجاوب الجمهور الالماني مع المسرحيات الفرنسية التي تعالج مشاكل الفرنسيين وهمومهم. **وشخص لسنك حالة المسرح حينذاك بالنقاط التالية:**

١ ـ عدم وجود مسرحيات وطنية في المانيا.

٢ ـ افتقار مسرح هامبورك الوطني الى جمهور يتجاوب مع محاولات بناء مسرح وطني.

٣ ـ افتقار النقاد الى المبادىء العلمية للنقد العلمي البناء.

٤ ـ تخلف الحالة الاجتماعية والاقتصادية للكتاب الالمان.

كان لسنك يطالب بمسرح تقدمي الاتجاه انساني المضمون كتعبير عن طموحات الطبقة البرجوازية المتنورة، وأشار لسنك الى محاولات كوجيت بهذا الصدد في الرسالة السابعة عشرة حيث قال:

«ان كوجيت لم يكن يريد تحسين مسرحنا القديم، بل أراد أن يصبح مؤسسا لمسرح جديد ولكن أي مسرح جديد؟ انه مسرح فرنسي المضمون ولم يكلف نفسه عناء البحث عما اذا كان هذا المسرح المتفرنس يلائم طريقة تفكير الالمان أم لا؟».

وكافح لسنك التقليد الاعمى للتراجيديا الفرنسية لكل من كورنيه وراسين وقال: «ان التراجيديا الكلاسيكية الفرنسية نشأت في فرنسا على أساس النموذة اليوناني وقواعد أرسطو وبأمر من الكاردينال ريشليه».

وقد نبذ لسنك نظام القواعد الصارمة للمسرحية التي تتقيد بقواعد ارسطو وهي وحدة الزمان ووحدة المكان ووحدة الموضوع. وأشار لسنك الى أن المسرحيات الفرنسية كانت تعكس المثل والقيم التي تميز بها النظام الاقطاعي الذي كان يمثله لويس الرابع عشر في فرنسا، وكافح لسنك أيضا الفن والادب الاقصاعي وقارن ذلك بمؤلفات شكسبير وديدرو واتخذهما نموذجاً له، وكتب لسنك حول ذلك في القسم الرابع عشر من كتابه هامبوركتة دراماتوركي قائلا:

«ان أسماء النبلاد التي يحملها الابطال تستطيع أن تضفي على المسرحية مسحة العظمة والسمو، الا أنها لا تستطيع أن تساهم في هز المشاعر وتحريك العواطف. ان تعاسة هؤلاء الذين تتشابه ظروف تعاستهم معنا ينبغي أن تتغلغل في أعماق نفوسنا، وإذا ما تعاطفنا مع الملوك كبشر مثل الاخرين وليس كملوك فان تعدد حالاتهم وظروفهم سوف لن تكون مهمة بالنسبة لنا بقدر ما ننظر اليهم كبشر مثلنا».

ويطرح لسنك في كتابه آراء عديدة ويتطرق في الفصل ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ الى مسألة الوحدات الثلاث التي وضعها أرسطو، كما أشار الى موضوع ظهور الاشباح على خشبة المسرح كما في بعض مسرحيات شكسبير، كما عالج مفهوم الخوف والنفقة ومسألة استخدام الموسيقى في التعبير عن الموضوع وقد ورد ذلك في الفصل ٢٦ و ٢٧.

ويوجد في الكتاب ملحق خاص لقواعد فن التمثيل. كما امتدح في هذا الملحق فيلاند أول من ترجم أعمال شكسبير الى اللغة الالمانية وجاء ذكر ذلك في الفصل ١٥، وأشار لسنك الى فن اختيار الاسم للمسرحية وذلك في الفصل ٢١. ولم يترك لسنك مسألة أو موضوعاً يتعلق بالمسرحية أو الممثل أو فن المسرح الا وعالجه في هذا الكتاب.

٦ ـ المسرحية والتاريخ:

أكد لسنك على أن الكاتب ليس مؤرخا ولا ينبغي له أن يتقيد بالحقائق التاريخية تقيدا أعمى كما انه لا يكتب ما يخمن وقوعه، بل يجعل الاحداث تقع أمام أبصارنا مرة أخرى ليس انطلاقا من الحقيقة فحسب، بل لهدف أخر اسمى، فالحقيقة التاريخية ليست هي الهدف، بل وسيلة الى الوصول للهدف. ان الكاتب يريد أن يضللنا ومن خلال هذا التضليل يهز مشاعرنا ويشدنا الى الحقيقة.

ان الهدف النهائي اذن، كما يقول لسنك، ليس قيام الكاتب بمهمة المورخ، بل تضليل المشاهدين وهز مشاعرهم وايقاظ المشاهد وتطهير عواطفه ثم تربيته. كما ينبغي على الكاتب أن يجعل من المسرح مدرسة أخلاقية وأن يختار من التاريخ مادة معينة للوصول الى هذا الهدف وأن لا يلتزم باستخدام جميع التفاصيل التاريخية للموضوع دون حذف أو تغيير، كما لا يجوز القيام بتعديلات أو تغييرات في صفات الشخصية التاريخية أو الحدث التاريخي بصورة خاطئة أو معكوسة.

وقد خرق بعض الكتاب الالمان بعد لسنك هذه القواعد بغية المحافظة على الصدق التاريخي لاسيما في شخصية (اكمونت) أحد أبطال حركة التحرر في هولندا وكذلك في شخصية عذراء أورليانز لشلر.

وطالب لسنك الكتاب الالتزام بالحقائق التاريخية اذا كان ذلك ضروريا لتصوير أخلاق وملامح معينة، ولا يجوز التصرف بهذه الملامح والصفات كما يريد الكاتب. ان المؤرخ يصور لنا حالة خاصة، أما مهمة الكاتب فهي ادراك الشيء المميز للظواهر العامة والتعبير عنها.

ان الحقيقة التاريخية ليست هدفه النهائي، بل وسيلة للوصول الى هدفه وان يختار من التاريخ القابل (المغزى) كمادة له ويمزجها مع هدفه ثم يصورها تصويرا أدبيا.

واذا اختار الكاتب مادة من التاريخ ، فينبغي عليه اجراء تعديلات على الاحداث المهمة والضرورية لظاهرة معينة، أي ينبغي عليه ازالة وجهات النظر الاحتياطية التي تبرز في مسار الموضوع التاريخي، ولكن لا يجوز تزوير التاريخ لان الصفات والملامح والمميزات الخاصة ينبغي أن تبقى مقدسة ومصونة.

٧ـ قانون الوحدات الثلاث:

أشار لسنك في الرسالة الادبية السابعة عشرة أثناء مقارنته لمسرحيات شكسبير مع مسرحيات كورنيه «الى أن الانجليزي توصل الى هذه المأساة دائما وبصورة بارزة واختار طريقه الذاتي أما الفرنسي فانه لم يستطع التوصل الى هذا الهدف ابدا رغم انه دخل مباشرة في الطريق المعبد للقدامي».

وأشار لسنك الى قواعد المسرح اليوناني (الاغريقي) القديم الذى كان يتقيد بقانون الوحدات الثلاث تقيدا أعمى وقال: «ان وحدة الموضوع كانت أول قانون درامي للاغريق وينبغي أن يكون للمسرحية فايل وفكرة رئيسية وهدف، ومن وحدة هذا الموضوع تنشأ وحدة المكان ووحدة الزمان. وكان الكورس يقف على خشبة المسرح ويؤدى ذلك في زمن محدد ومكان معين وتدور أحداث ذلك حول موضوع معين»

وانتقد لسنك الفرنسيين لتقيدهم بهذه الوحدات الثلاث دون تعديل أو نقد كما أنهم لم يعتبروا وحدة الموضوع مبدأ مهما وضروريا ووقعوا تحت تأثير البلاط الاقطاعي والملكي وعوضوا عن وحدة الزمان بوحدة الاستمرار أي انهم تحاشوا في مسرحياتهم ذكر شروق وغروب الشمس ولكنهم حافظوا على وحدة المكان حيث اختاروا مكانا محايدا تجرى فيه أحداث الموضوع.

وأنتقد لسنك بعنف المسرح الفرنسي في جميع كتاباته واعتمد في نقده على أراء أرسطو الذي اعتبر أراءه الجمالية نموذجا شرعيا لذلك العصر وأساسا للمضمون التقدمي، للبراجوازية الالمانية.

وقال لسنك: «ان الفرنسيين فهموا الاغريق فهما خاطئا حيث اعتبروا المسألة الثانوية تأتي بالدرجة الاولى وهي مهمة وضرورية وأدركوا أن القواعد التي لم تتبلور أهميتها بوضوح ادراكا خاطئا ثم تمسكوا بالقواعد والقوانين التي كانت تعد شرعية وملائمة لمسرح الاغريق».

ينظر مجموعة مؤلفات لسنك وكذا مؤلفات هردر الكاملة

من الشعر الاسبانى الحديث

ترجمة : سعيد حدّاد
- سـوريا -

لويس غاريتا مونتيرو (*)

الحب الصعب

ربما انك لم تشاهديني
ربما ان احدا لم يشاهدني في غاية الضياع،
ميتا من البرد في تلك الزاوية، لكن الريح
اعتقدت اني كنت حجرا،
وارادت ان تحطم جسدي،
لو كنت استطيع ان التقيك ، لعرفت
انك اذا ظهرت ، سأعرف
كيف اتفاهم معك.

الى فيديريكوغارثيا لوركا

(اذكر نسمة حزينة تمر عبر شجر الزيتون) لوركا

بعد السرعة المتعبة للقطرة الاخيرة،
لا يرجع شيء. وجهك وحده،
يبقى فوق جسر برودواي،
ومن الصعب احتمال كل هذه الوحدة،
وان يغلق المرء عينيه، دون ان يرتاب
في وجودك.
غير معقول،
لسان النار هذا، الذى يقطع الافق
يمتد جامحا فوق القلوب،
متعددة الاشكال.. والجريحة،
والتي تنشق وتظهر
ضحكة متكلفة لقناع مهشم.
وحدها
المدينة تتقنع في رعشة قشعريرة،
وعيناها
افقيتان وعمياوتان،
مثل مشط اسنان يندس في الكتفين
اذ ذاك
تكون الكحول الدم الذى يبسّم الشفاه،
ولان الليل يزحف،
لان الموت يطل فوق ذراع مطويّ
ليترك وحيدا والسنين،
بينما تفتح هارلم قليلا نوافذها.

(*) غاريتا مونتيرو، شاعر أسباني ولد في غرناطة عام ١٩٥٨م، أطلق نظرية «العاصمة الجديدة» التي توجه النظر لوحدة الانسان في عالم التقدم العلمي، الذي جرّد الحياة من انسانيتها.

كاميلو خوسيه ثيلا

قلعة من قلاع اللغة الاسبانية

كاميلو خوسيه ثيلا.. علمٌ شامخ في تاريخ اللغة الاسبانية ومسافر لا يتعب، محب للهدوء والطبيعة والحياة، ذو ابتسامة لطيفة مجردة من السخرية ونظرة جدية ومتعقلة. يُعد من أهم الروائيين الاسبان وأكثرهم شهرة، حصل على كثير من الجوائز، من أهمها جائزة أمير أستورياس لعام ١٩٨٧ وجائزة ثيربانتس لعام ١٩٩٥، كما اعترف العالم كله بمكانته الأدبية حين فاز بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٩م تقديراً لفنه الروائي العظيم.

بداية حياته:

وُلد كاميلو خوسي ثيلا في ١١ أيار عام ١٩١٦م لأب اسباني - كاميلو ثيلا - وأم انكليزية - كاميلا ترولوك - في بادرون (مدينة لاكورونيا) التابعة لاقليم غاليثيا الواقع في الشمال الغربي من اسبانيا، بدأ دراسته الابتدائية في بلدته وانتقل مع أهله الى مدينة مدريد في التاسعة من عمره ودرس في مدارسها وحصل على الثانوية منها وكان للتربية والدراسة في هذه المدارس أثر كبير عليه فقد لقنته العلم وغذت عقله ونمت مداركه ووسعت أفق تخيلاته، وبالرغم من عيشه بعيداً عن مدينته الأصلية فقد تابع زياراته لها واهتمامه بها.

حاجته المادية:

درس الحقوق والطب والفلسفة في جامعة مدريد واضطر ليترك الدراسة خلال الحرب الأهلية الاسبانية التي بدأت عام ١٩٣٦م ودامت ثلاثة أعوام. ومن أجل متابعة حياته في تلك الفترة الزمنية التي كانت صعبة عليه من الناحية المادية فقد قام بممارسة أعمال صحفية وفنية وادارية بالرغم من أنه في الواقع لم يكن يريد أن يعمل في أية وظيفة من هذه الوظائف بل كان يريد الكتابة والتعمق في اللغة الاسبانية التي ولع بها منذ صغره كثيراً.

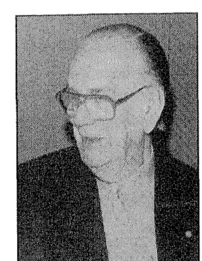
روايته المشهورة:

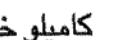
منذ بداياته الأولى في الكتابة، كان «ثيلا» متعاوناً باستمرار مع جريدة «أ ب ث» التي تصدر في العاصمة الاسبانية ولعب أدواراً كثيرة في الجريدة ولقي اعجاب ومحبة هواة مطالعي الصحف ونال شعبية كبيرة في هذا المجال- ألف أول كتاب له في عام ١٩٣٦م، ثم أمضى سنوات الحرب الأهلية بالمطالعة ودراسة اللغة الاسبانية «الكاستيّانو كما تلفظ من قبل أهلها» وكتب باكورة رواياته في عام ١٩٤٢م - حيث كان مريضاً وبحالة خطرة - بدون توقف لأنه كان يريد الانتهاء منها بأسرع وقت ممكن وقد عنونها عائلة باسكوال دوارتي (La Familia de Pascual Duarte) التي حصلت على الرقم الثاني من بين الروايات الاسبانية الأكثر ترجمة في العالم بعد رواية الدون كيخوتي لثيربانتس. ومنذ نشر هذه الرواية التي لاقت اعجاباً كبيراً، لمع نجمه كثيرا وحصل على اعتراف فوري كمجدد في الآداب الاسبانية بعد الحرب الأهلية الاسبانية وبدأت دور النشر بالطلب والالحاح عليه لكتابة روايات وكتب اخرى ولم يتخل منذ ذلك الوقت حتى الآن عن الكتابة التي أصبحت ماءه وهواءه وكل شيء عنده، نشر في عام ١٩٤٣م كتاباً بعنوان بهو الراحة (Pabello'n de reposo) وفي العام التالي نشر كتاباً آخر تحت عنوان «هذه الغيمات التي تمضي»، ثم تلاه بكتاب آخر «مغامرات جديدة».

مسافر لا يتعب:

يعترف ثيلا بدور النساء في حياته ويرى بأن تأخذ المرأة أدواراً في الحياة الاسبانية أكثر مسؤلية مما هي عليه، ويعتبر من الرجال الذين تسحرهم الأرض ومن الذين لهم نظرة خاصة للطبيعة، محب للسفر كثيراً وخاصة مشياً على الأقدام اذا كان ممكنا، وكل سفرة له تعرفه على أمكنة وناس مختلفين. وقد تعرض للكثير من الحوادث من قطاع للطرق ومن السارقين والمجانين وخاصة عندما سافر الى منطقة الكاريا في عام ١٩٤٥م حيث تحادث مع الناس في

بقلم : د. غازي حاتم
- سوريا -




كاميلو خوسيه ثيلا

الطرق والفنادق وكوّن فكرة كتابه الذي عنونه سفرة الى الكاريا (Viage a la slcarria) واعتبر هذا الكتاب حسب النقاد بأنه أفضل كتاب له. وبعد جهد متواصل دام سبع سنوات انجز قصته خلية النحل (La colmena) وكانت انجازاً هاماً له أيضا حيث أعتبرت ثاني عمل بارز له بعد عائلة باسكوال دوارتي، وبعد ذلك سافر الى فينزويلا بتشجيع ومساعدة حكومة تلك البلد ليكتب رواية محلية، وعندما عاد من السفر عام ١٩٥٤م زار جزيرة ميورقة الواقعة في شرق اسبانيا وعاصمة جزر البليار التي تعتبر أكثر المناطق في اسبانيا جذباً للشعراء والكتاب والرسامين وكتب فيها ما خلفته زيارته لتلك البلد في رواية سماها لا كاتيرا (La catirra) وأسس مجلة أدبية في الجزيرة المذكورة وأدارها منذ ذلك الحين حتي اغلاقها في عام ١٩٧٩م.

وبعد ثلاثة أعوام من ذلك انتخب «ثيلا» عضواً في الجمعية الملكية الاسبانية للآداب التي تضم خيرة الكتاب في اللغة الاسبانية وكان الاكاديمي الأقل عمراً، ثم نشر كتابه «سان كاميلو»، وفي عام ١٩٨٣ منحته جامعة سانتياغو دي تشيلي شهادة «الدكتوراه الفخرية» وفي شهر مايو عام ١٩٨٤، حصل على الجائزة الوطنية للآداب تقديرا لروايته رقصة لميتين.

جائزة أمير أستورياس:

واضافة الى شهادات الدكتوراه الفخرية التي استلمها من كثير من الجامعات الاسبانية والامريكية والأوروبية نتيجة أعمال قام بها، فقد قدم له ملك اسبانيا جائزة ايزابيل الكاثوليكية وتسلم كثيراً من الميداليات الذهبية قدمتها له بلديات المدن الاسبانية والامريكية اللاتينية، كان أهمها جائزة امير أستورياس لعام ١٩٨٧م التي تقدم في اقليم أستورياس الواقع في شمال اسبانيا برعاية ولي العهد الاسباني الدون فيليبي دي بوربون للمبدعين في المجالات الثقافية والاجتماعية، وقد آثارت هذه الجائزة عاطفته أكثر من غيرها كما قال في احدى المناسبات، علما بأنها ليست الأهم بين الجوائز التي حصل عليها.

جائزة النوبل:

وفي عام ١٩٨٩م، عاد الى مدريد وأقام في منطقة قريبة من مدريد - وادي الحجارة - وفي التاسع عشر من شهر تشرين الأول من نفس العام، وضع اسمه بين أفضل الأسماء في الآداب للقرن العشرين حيث قامت الأكاديمية السويدية بالاعتراف بمسيرة كاميلو خوسي ثيلا الأدبية بمنحه جائزة نوبل للآداب.

وقد تلقى الخبر في مكان اقامته صباحاً وكانت تلك اللحظة فريدة من نوعها وخاصة عندما حضر اليه وبسرعة فائقة أصدقاؤه ومراسلو الصحافة والتلفاز واحتفلت معه اسبانيا بالكامل حيث قطعت الاذاعة والتلفاز برامجها لتبث هذا الخبر المفرح وأقيمت كثير من البرامج واللقاءات لتغطية الخبر ولايضاح موهبة ثيلا في اللغة والأدب الاسباني. وقد قال ثيلا في احدى المناسبات عن تلك اللحظة بأنه كان يفكر بأن الحصول على جائزة نوبل لم يغير حياته، ولكن يرى الآن عكس ذلك، فمنذ ذلك الوقت، لم يتوقف عن الاجابة عما يطرحه الصحفيون من أسئلة عليه وأصبح وقته ليس ملكا له.

جائزة ثيربانتس:

في التسعينيات، عقد قرانه مع الصحفية مارينا كاستانيو، وحصل على عدة جوائز حيث كانت من نصيبه في العام الماضي جائزة ثيربانتس الأدبية لعام ١٩٩٥م والتي تُمنح من قبل المجمع الملكي للآداب منذ عام ١٩٧٦م في مدريد لأفضل كاتب يساهم في اغناء الأدب الاسباني بأعمال ذات نوعية بارزة وذلك تقديراً لرواياته المتميزة عن الحياة في اسبانيا وقد اعترف غالبية أعضاء المجمع المذكور بأن ثيلا كان من أبرز الذين قدموا انجازات لخدمة اللغة الاسبانية ولاثراء الحياة الثقافية في بلاده، وهكذا وصلت جائزة ثيرفانتس الى ثيلا في حينها لأن كل الأشياء تصل في وقتها كما قال ثيلا حين تلقى خبر فوزه بالجائزة حيث كان متواجداً في مؤسسته التي تحمل اسمه في مدينة لاكورونيا. وقد اعترف جميع أعضاء لجنة التحكيم بأن وصول الجائزة لثيلا كان متأخراً ولكن كانت بمثابة تكريم عادل.

أما ما قاله الكتّاب ذوو الشهرة والشعبية في اسبانيا عن الكاتب ثيلا فكثير وعظيم. قالوا عنه بأنه الروائي الجوهري في الآداب الاسبانية الحديثة، هو الكاتب المبدع الأكثر تمثيلا في اسبانيا، هو أكبر كاتب نثر وقاص في اللغة الاسبانية خلال النصف الأخير من هذا القرن، الى ما هنالك من الأوصاف التي تؤكد براعته في الأدب الاسباني الذي ترك بصمات واضحة في سجلاته.

الحيـــــاة (قصة من القفقاس)

قصة (الحياة) للكاتب الشركسي بوريس بيسلانوفيتش مزيخوف.
وُلد الكاتب في قرية بالقرب من مدينة نالتشيك عاصمة جمهورية كبردينا ـ بلكاريا ذات الحكم الذاتي ضمن جمهورية روسيا الاتحادية، وهو عضو في اتحاد الكتاب الروس واتحاد الصحفيين ورئيس تحرير الجريدة الوحيدة الناطقة بالروسية في الجمهورية المذكورة وعضو في برلمان تلك الجمهورية.
وهذه القصة نشرت في موسكو عام ١٩٨٨ ضمن مجموعة قصصية بعنوان «آن أوان سقوط الأوراق».

تنفس زولتشيف الصعداء بعدما أنهى عملا بدا وكأنه لا طائل منه.

لقد حطمت البقرة سياج مخزن العلف وعملت فيه كما يحلو لها.

نظر العجوز مرة أخرى بتمعن إلى كومة العلف المرتبة ومضى إلى البيت مرتاح البال.

وكان العجوز قد غرس في العام الماضي، وعلى امتداد سور البيت، أشجار الصفصاف وهو يهتم بها الآن بكثير من الحرص.

كان الشتاء بارداً وهذا ما شغل فكر العجوز على غرائسه الصغيرة وما تحملته من البرد. لذلك ذهب إلى الشتلات يتفحص الأغصان الغضة. وكم كانت دهشته عندما شاهد براعم الصفصاف وقد انتفخت وانبثقت تماماً كالزغب الأصفر لصوص خرج لتوه من البيضة. «ها قد حل الربيع، تفتحت البراعم وفقد الشتاء قوته»، هكذا اعتقد زولتشيف.

في الطرف الآخر من البيت وعلى بقعة جافة من الأرض بجانب السور، كانت زوجته تطعم الدجاجات.

ـ إي، يا امرأة، ألم تجد مكاناً آخر لاطعامهن، لقد شغلت دجاجاتك كل البيت، وهل بقي مكان لم تشغله؟ اذبحي ولو واحدة ـ قال زولتشيف ذلك وهو يقترب من زوجته.

ـ هذا ما كان ينقصنا! من في هذا الربيع يذبح دجاجة، عندما لا يستطيع أن يلحق جمع البيض من تحتها. أجابت الزوجة بشدة، لكنها لم تكن غاضبة.

ـ تقولين الربيع؟. هذا جيد، فقد بدأ العلف عندي بالنفاد.

ـ لا بأس، يكفي، فهناك كميات كبيرة من الأعشاب من السنة الماضية وعلى امتداد مجرى النهر.

دخل زولتشيف إلى الغرفة. الربيع ربيع، لكن الطقس بارد، لقد تجمدت الأيدي، جلس بجوار الموقد فتت قطع الخشب وأخذ ينظر إليها: واحدة احترقت بدون لهب وببطء وأخريات اشتعلن بنار زرقاء بارقة.

لقد أهملوا الساعة الجدارية، لذلك فقد أخرج زولتشيف ساعته من جيب الصدر وضبطها.

تحرك بسرعة، لقد حان وقت الصلاة...

وضعت الكنة ـ التي كانت تتحرك بصعوبة ـ أمام العجوز طستاً وابريقاً قصديرياً، ومضت إلى غرفة أخرى، ودعها زولتشيف بنظراته وفكر «إذا لم يكن اليوم، فغداً سوف تضع كنتنا طفلا ـ ليتها تلد صبياً، فعشيرتنا ليست بالكبيرة».

ترجمة : د. فيصل المصطفى الحسن
ـ سـوريا ـ

فرش السجادة على الأرض ووقف على رجليه، مصلباً يديه على بطنه. وهنا تغيرت ملامح وجهه، لمعت عيناه ولامست شفتاه ابتسامة. لقد آمن زولتشيف في تلك اللحظات، بأن العلي يصغي اليه وأن مكاناً أعد له في الجنة. إذ لا يمكن أن يحدث غير ذلك، فخلال كل حياته الطويلة لم يرتكب زولتشيف أية حماقة.

لكن، فجأة تجهم وجهه وتقطبت حواجبه الكثة وزم شفتاه بشدة، شهق وأفرد كتفيه العريضتين، ناظراً إلى الأعلى، ضارعاً وشاكياً، وغير مصدق بأن من كان يصلي له سوف يأخذه إلى جواره.

لقد طلب العجوز اليوم المغفرة لابنه الوحيد كونه لا يطبق شعائر الصوم ولم يصل في حياته ولا مرة واحدة.

وبعد الصلاة، جلس طويلا على السجادة، يسبح وبيده مسبحة.. وأخيراً نهض زولتشيف، لكنه لم يتحرك خطوة واحدة حتى انزلق وسقط على الأرض.

لم تستطع الكنة المذعورة فهم ما حدث فصرخت وتجمدت في مكانها.

- ماما، ماما! أسرعي! أسرعي، ماما! - صاحت الكنة بصوت ليس كصوتها.

دخلت الزوجة، التي أفزعها الصراخ، مسرعةإلى الغرفة وما إن رأت زوجها ممداً على الأرض حتى شحب لونها.

- ماذا به؟ ماذا به؟ أعادت بهدوء نفس العبارة، وهي لا تجرؤ على تصديق ما رأت.

بعد ذلك، فجأة وما أن عاد إليها وعيها حتى صاحت بصوت عال على كنتها - لماذا تقفين هكذا! يجب أن نضعه على السرير، أسرعي إلى الجيران، استدعي الطبيب؟.

كان زولتشيف فاقداً الوعي.

بدأ الناس بالتجمهر واحتشدوا حول السرير الخشبي، الذي كان العجوز ممدداً عليه، غير عارفين ماذا يصنعون، فمنهم من ركض لاستدعاء الطبيب ومنهم من وقف بجانب السرير لا يعرف بماذا يساعد.



بوريس مزيخوف

مرت الدقائق ببطء، حتى خيّل وكأن الزمن أوقف حركته. وأخيراً وصل الطبيب، حيث لم يبق له عمل شيء إلا الاخبار بأن زولتشيف مات بسبب نزيف دموي في الدماغ.

القرية ليست كالمدينة، وأي خبر وخاصة المحزن ينتشر فيها بسرعة فلم تمض ساعة حتى غص الفناء بالناس، ووصلت صيحات وعويل النسوة، من النوافذ المفتوحة، الى البيت.

كنة زولتشيف، التي لم تلحظ أحداً، وقفت عند الباب تبكي بكاءاً مراً.

- اهتمي بنفسك يا عزيزتي - ماذا بامكانك أن تفعلي الآن، إن الحزن ممنوع بالنسبة لك، يجب أن تفكري بالطفل، هكذا حاولت النسوة اقناع الكنة.

...рова прорвала огр...
...в свое удовольствие: не стол...
...разбросала по сторонам и потоптал...
...ик еще раз оглядел аккуратно подпр...
...ена и, довольный, пошел к дому. Вдоль н...
...шлом году он высадил ивовые деревья и тепер...
...ельно осмотрел их — зима была холодной, ...
...покоился, как перенесли ее молодые саженцы.
Он потянулся к ветке и приятно удивился — по...
...вы уже набухли, проклюнулись, словно пушистые ж...
...ые цыплята из яйца. «Это уже весна. Почки трон...
...ись — зима силу потеряла»,— подумал Зулчиф.
У стены дома на пятачке сухой земли жена корми...
...ур.
— Эй, старуха, другого места для кормушки...
...шла? Твои куры весь двор заняли, а что толку? З...
...бы хоть одну,— сказал Зулчиф, подходя к ж...
— Еще этого не хватало! Кто же это весной...
..., когда из-под нее успевай только яйц...
...строго, но беззлобно отвечала она.
...а, говоришь? Это хорошо, а то ...
...атит. Вон в долине ...

شريحة من القصة المترجمة

لكن المرأة الشابة لم تسمع أحداً، فروحها وقلبها انفجرا من الحزن، ولم تستطع فكرياً تقبل ما حدث.

وفي المساء، ساءت حالة كنة زولتشيف، ولم يبق شك عند أحد بأن الولادة قد بدأت، لكن العجوز التي أفقدتها المصيبة صوابها، لم ترغب بسماع شيء عن ذلك.

- أية ولادة، وعندنا في البيت متوفى!.

ولم يستطع أحد اقناعها بأن هذه الحياة الجديدة لا يمكن ايقافها، كما لا يمكن اعادة الحياة للذي مضى لتوه من هذه الحياة.

من: «برناردشو» الاستاذ الى: «جولدنج برايت» التلميذ

حدث أن جمهور النظارة كان يصفق لمسرحية من مسرحيات «برناردشو» تصفيقا بالاجماع، اللهم الا صفير شديد، كان ينبعث وسط القاعة نشازا؛ ثم ألحّ النظارة في طلب المؤلف فظهر «شو» على المسرح وقوبل بعاصفة من التصفيق؛ لكن صاحب الصفير هذا انتظر حتى هدأت الضجة، واتجه نحو «شو» صائحا ساخرا بما يشبه العواء!!

فلم يتردد «شو»، واتجه إلى مصدر الصوت مرددا في لهجة مرحة لا اثر فيها للسخط: يا صاحبي أنت على حق وأنا معك في السخرية؛ ولكن ما عساي أن أصنع - أنا وأنت - أمام هذا الإجماع الجارف من هؤلاء؟!

فضحك النظارة على المشاغب كثيرا .. وكان هذا المشاغب هو: «جولدنج برايت» ذلك التلميذ الذى بدأت معرفته بأستاذه في تلك الليلة وكتب اليه - بعد ذلك - يسأله النصيحة لتسديد خطاه في الصناعة الأدبية، التى اختارها لنفسه، وهى صناعة الكتابة المسرحية والنقد المسرحى، واتصلت الرسائل بين الأديبين:

«جولدنج» التلميذ.

«وبرناردشو» الأستاذ.

حتى أصبحت رسائل «شو» إليه:

* من أندر رسائل الوصايا والنصائح في الآداب العالمية..

* وأندر من ذلك أن تكون مكتوبة إلى تلميذ واحد..

* وأندر من هذا وذاك أن يفلح هذا التلميذ، بفضل ما استفاده من أستاذه، وبفضل كفايته الشخصية، ومثابرته على التعليم والتعلم.

لقد أكدت هذه الرسائل:

* انه لابد للنجاح من الملكة والرغبة والمثابرة إذ لا فائدة من الملكة المستعدة بغير رغبة ومثابرة ولا فائدة من الرغبة والمثابرة بغير ملكة مستعدة للعمل، ولابد من الجمع بين هذه «المؤهلات» لكل نجاح، ولابد للناقد من بعض القدرة على الإنتاج والتأليف، فلا يكفى أن يتعلم النقد بالثناء أو القدْح في إنتاج الآخرين، بل عليه أن يتعلم النقد في نفسه قبل ان يتعلمه في سواه.

وأهم «المؤهلات» اللازمة للناقد اطلاع واف وقدرة على التحليل والمقارنة والموازنه، ثم يصيب أو يخطىء حتى يستقيم له الصواب ويتجنبه الخطأ جهد المستطاع في أعمال الإنسان.

نصح «شو» تلميذه بالإقدام على التأليف فتردد، خوفا من النقد، فكتب اليه يقول: «لو أنني نصحت لك

بقلم: د. أحمد الحفناوي
- مصر -

بالتدريب على ركوب العجلات فوق الجليد لما خطر لك أن تعتذر بالخوف من الوقوع؛ لأنك بالوقوع مرة بعد مرة تتدرب على اجتناب الوقوع!!

وفهم التلميذ من هذه النصيحة أنه يستطيع أن يؤلف الكتاب ويرسله إلى المطابع والمكتبات، وهو ينوى أن يحرقه بعد حين؛ ولكن «شو» عاد ونصحه قائلا: «لا تؤلف كتابا وأنت على نية إحراقه؛ بل اكتبه وأنت تعتقد أنه جدير بالطبع والنشر وانه ناجح وأنه مفيد، ولعلك تؤلفه ولا تجد الناشر الذى يطبعه، فأنت اذن خليق أن تستفيد شيئا من مزاولة التأليف وأن تعاود الكرّة على أمل في النجاح أكبر واقوى، وحذار أن تحرقه وإن خجلت منه؛ بل تحفظه في مكان ثم تعود إليه؛ فربما خجلت في الثلاثين مما كنت تكتبه في العشرين، ولكنك متى بلغت الأربعين كسبت شيئا من احترام الأحلام في سن الشباب وقد تتمكن يومئذ من نشره فترى: أنه جدير بالاقبال.. من يدرى؟ ان الشيء الوحيد الذى أنت على ثقة من درايته: انك تكتب كل يوم وتكتب عاما بعد عام، إلى أن تملك زمام الأستاذية والإتقان».

ثم استطرد «شو» إلى شيء من سيرته فقال: «أما اعتقادك اننى كنت أقدر منك على تطبيق هذه النصائح فكل ما أقوله:

ان الفرق بينى وبينك على ما يظهر ـ أن أباك أيسر حالا من أبى وادنى إلى المعيشة المنتظمة.

لقد تطرقت هذه الرسائل إلى موضوعات الأسرة، فقد شكا التلميذ إلى أستاذه: أن أباه قد تزوج من غير أمه، وأنه ينفر من زوجة أبيه، ويتهمها بتعمد الإساءة إليه، فكتب إليه أستاذه يقول: «هذه إحدى الحالات التى يقسو فيها الأبناء على الآباء، وأول ما ينبغى لك، أن تخلى ذهنك من كل اعتراض علي مركز هذه الزوجة في البيت، ولتكن كيف كانت من قبل، وكيف تكون الآن وليكن شعورك نحوها وشعور اخوتك ما يكون، فان حق أبيك في الحياة السعيدة مع المرأة التى أحبها وتزوج منها، أو حقه في إسعادها، ورعاية مصالحها أمر لا نزاع فيه؛ وإنها ولا ريب دورة من دورات الحوادث التى يؤسف لها ولكنها ليست بإساءة ولا خيانة، وكلما نظرت إليها بعين السخط لم يكن من جرّاء ذلك إلا أن تتورط في الأضرار التي لا تنفع ولا تحسن عقباها إذ لا سبيل إلى الغاء هذا الزواج، ولو كان من المطلوب أو المستحب أن يُلغى، وإنك لا تجنى من تكدير العلاقة بين أبيك وأبنائه الا أن تلجئه إلى طلب العطف من تلك الزوجة، وقد تلجئه إلى تمييزها في شيء أو اكثر بنصيب أكبر.

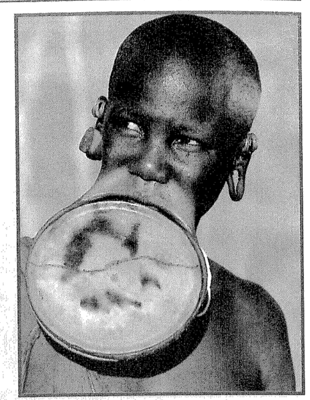
وهذه النصيحة حسنة في مثل هذه القضية، ولكنى ـ وأعتقد أن معى كثيرين ـ أحسب: أن حق الأب في السعادة لا يعفيه من إسعاد أبنائه الصغار ما دام مسئولا عنهم، وما داموا عاجزين عن حماية أنفسهم ومن أهم ما نذكره من هذه النصائح: ما أشار اليه «برناردوشو» من ضرورة التفرقة بين الكتابة الصحفية الحسنة وبين الكتابة الأدبية المختارة ، حيث ذكر:

ان الكتابة الصحفية أنجح ما تكون إذا ارتبطت بساعتها ومناسبتها وإن موضوعات الادب أنجح ما تكون إذا بقيت فيها بقية صالحة بعد المناسبات الموقوته بحوادثها وشخوصها وقد تجمع الكتابة بين المزيتين في الأحوال النادرة، فتنجح في حينها وتنجح في كل حين؟ الا أنها أحوال نادرة لا يقاس عليها.

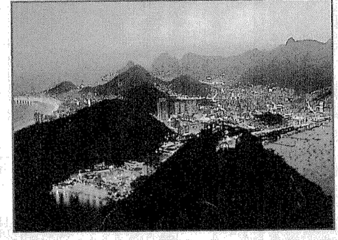
لقد رفض «شو» أن ينشر الفصول التي كتبها في النقد قبل وفاته وكان تلميذه قد اقترح عليه ذلك؛ ولكنها ـ أي هذه الفصول ـ نشرت بعد وفاته فاقبل عليها قراؤه لقيمته وقيمتها.

فهل يا ترى كان الصواب في جانب التلميذ الذى اقترح نشرها؛ أم كان بجانب الأستاذ حين أبى أن ينشرها في حياته؟!.

هنا يتضح أن الصواب مرهون بأوقاته ودواعيه.



في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطيع وجوه الناس
السائح يستقريء
الملامح ويرسم اللوحة



السرُما
قبائل الشفاه المطوطة

مشاهد برازيلية



السائح

البندقية المدينة الطيبة

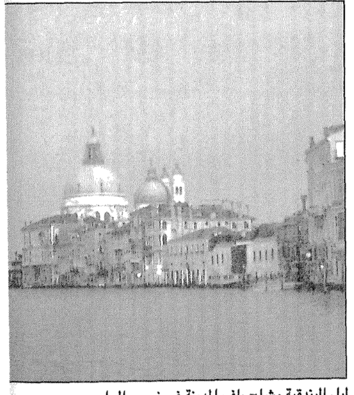


الجندول والبحر احد المعالم الاثرية في البندقية

البندقية مدينة الاساطير بحق ‥ مدينة الدهشة والغرابة، قصورها تبدو وكأنها تنبلج من قلب الماء ‥ بيوتها تطفو على الادرياتيك، وسكانها كما البرمائيات ، يعيشون في البحر من دون أن يكونوا في البحر معجزة المدينة انها مبنية على ١١٨ جزيرة طينية رخوة.

ولربط هذه الجزر اقيمت الجسور الخشبية لتخلق من البقع الطينية العائمة واحدة من أدهش المدن التى عرفها الانسان.

هذه المدينة أجمل مكان تقضي فيه شهر العسل ، فقد رفضت السكك الحديدية وضجيج المطارات وصخب السيارات وبقيت قدر المستطاع امينة لماضيها محافظة على حاضرها.

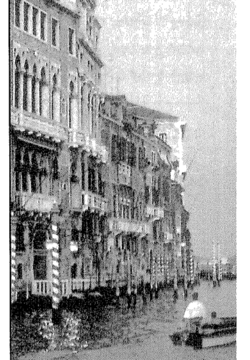


ليل البندقية وشاح يلف المدينة في نسيج الحلم



البندقية كرنفال البحر

جسر الريالتو الشهير





ساحة سان ماركو في البندقية

مشاهد برازيلية

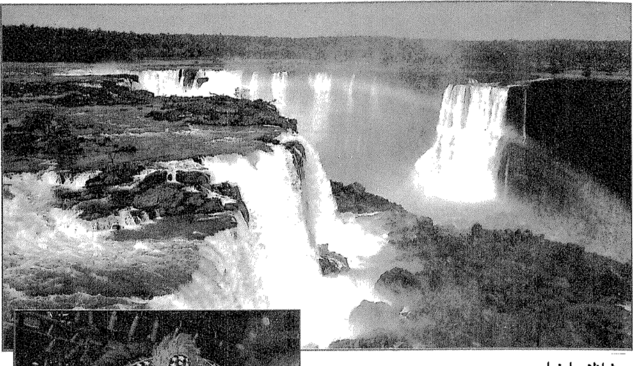
تعد البرازيل، بمناظرها وثقافاتها المتعددة، من اكبر دول امريكا اللاتينية، فمساحتها التي تقدر بـ ٩٦٥ ٥١١ ٨ كلم٢ تعادل مساحة قارة باكملها، وتعج هذه البلاد الفريدة بموارد طبيعية لا حصر لها وبملايين البشر المنتمين الى اعراق شتى يتعايشون بسلام ووئام: فالسود ذوو الاصول الافريقية يتساكنون مع الهنود الاصليين وكذا حال الاوروبيين مع الآسيويين، ويبلغ طول الساحل البرازيلي ٧٣١٠ كلم تصب فيه شبكة كثيفة من الانهار منها خمسون الف كيلومتر من المجارى المائية الصالحة للملاحة واهمها حوض الامازون الاسطوري وحوض توكانتين اراغوايا، ويتبعها في الاهمية حوضا ساو فرانسيسكو ونهر بارانا.

تعد البرازيل، بمناظرها وثقافاتها المتعددة، من اكبر دول امريكا اللاتينية، فمساحتها التي تقدر بـ ٩٦٥ ٥١١ ٨ كلم٢ تعادل مساحة قارة باكملها، وتعج هذه البلاد الفريدة بموارد طبيعية لا حصر لها وبملايين البشر المنتمين الى اعراق شتى يتعايشون بسلام ووئام: فالسود ذوو الاصول الافريقية يتساكنون مع الهنود الاصليين وكذا حال الاوروبيين مع الآسيويين، ويبلغ طول الساحل البرازيلي ٧٣١٠ كلم تصب فيه شبكة كثيفة من الانهار منها خمسون الف كيلومتر من المجارى المائية الصالحة للملاحة واهمها حوض الامازون الاسطوري وحوض توكانتين اراغوايا، ويتبعها في الاهمية حوضا ساو فرانسيسكو ونهر بارانا.

تقع نسبة اكثر من ٩٠ في المائة من اراضي البرازيل في نصف الكرة الجنوبي، وباستطاعة المرء ان يتصور مدى اتساع البلاد عند ادراكه ان الحدود الشمالية تمتد حتي خط العرض الخامس، بينما يمر مدار الجدي الاستوائي عبر مدينة ساو باولو، ورغم ان معظم اراضي البلاد تقع في المناطق الاستوائية، فان البلاد تتسم بمناخات شديدة الاختلاف تتراوح بين الحار الرطب في منطقة الامازون والحار الجاف في المنطقة الشمالية الشرقية والدافىء باستمرار في معظم المناطق الساحلية.

تتوزع البرازيل من الناحية الادارية الى ٢٦ ولاية اضافة الى منطقة برازيليا الاتحادية حيث تقع عاصمة البلاد، وتختلف كل ولاية عن غيرها بخصائصها وتناقضاتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ويمكن اعتبار أي منها عالما قائما بذاته، ويشكل الشباب الاغلبية الساحقة من سكان البرازيل الذين يبلغ عددهم ١٥٦ مليون نسمة ويعتمد نصف السكان في معيشتهم على الزراعة وخاصة منها الزراعات المخصصة للتصدير كالبن والسكر والكاكاو والقطن، لكن البنية الادارية المعقدة تعرقل تطور الانتاج الى حد كبير، والى جانب الثروات الزراعية الهائلة تتمتع البلاد كذلك بثروات معدنية هائلة كالحديد والماس والمنغنيز والرصاص اضافة الى البوكسيت والبترول ساهمت الى جانب جلب العملة الصعبة في ازدهار الحركة الصناعية التى نشأت اساسا باموال المستثمرين

اعداد : الحسان الرزاقي
- المغرب -



ـ شلالات ايغواسو.

ـ احتفال باحد مدارس السامبا.

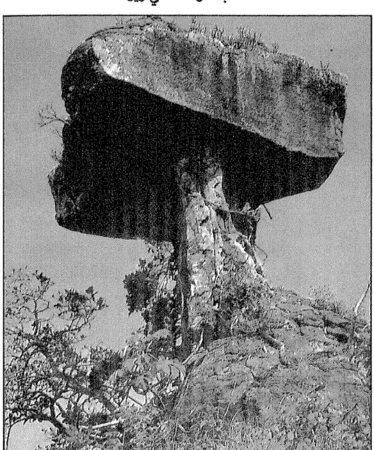
الاجانب، وهكذا ظهرت صناعة النسيج والصناعة الغذائية والتعدين ورغم كل ذلك فمازالت البرازيل تعتبر دولة نامية بسبب عدم توفر رؤوس الاموال والتكنولوجيا وبسبب الفوارق الشاسعة بين الاغنياء والفقراء.

اصبحت البرازيل مستعمرة برتغالية منذ القرن السادس عشر رغم المنافسة الفرنسية الشرسة، وبسبب كونها مصدرا مهما للسكر احتل الهولنديون سواحل البلاد ما بين عامي ١٦٢٤ و ١٦٤٤، ومما يلاحظ ان البرتغاليين كانوا خلال فترة الاحتلال مندمجين بشكل سريع في النسيج الاجتماعي والثقافي البرازيلي خلافا لما حدث في استراليا والولايات المتحدة، مما ولد ثقافة محلية متعددة الاعراق، غير ان المستوطنين سرعان ما شعروا بثقل الحكم البرتغال الجاثم على صدورهم، فقد كانت الضرائب ثقيلة مما اثار سخطا عاما توج بما يسمى بمؤامرة ميناس المستوحاة من مباديء الثورة الفرنسية وحرب الاستقلال الامريكية والتي قادها يواكيم خوسي داسيلفا كزافييه، غير ان البلاد لم تحظ بالاستقلال الا بعد نفي العائلة المالكة في البرتغال بعد غزو نابليون لها سنة ١٨٠٨م وبعد أن رضخ الأمير بدرو وريث العرش البرتغالي الذي كان يحكم البرازيل بصفته نائبا للملك للضغوط القومية المتصاعدة آنذاك فأعلن البرازيل امبراطورية مستقلة، لكن ابنه «دون بدرو الثاني» عزل سنة ١٨٨٩ عندما تحولت البلاد الى جمهورية.

الغابة الامازونية الكثيفة تمثل الجزء الاهم من المنطقة الشمالية البرازيلية ، وهنا تفرض الطبيعة قوانينها الصارمة على النبات والحيوان بل وحتى الانسان مكونة بذلك عالما من التنوع لا مثيل له، وتشكل هذه الغابة اربعين بالمائة من مساحة البلد وتوفر نصف اكسجين الكرة الارضية، ويعيش فيها ١٨٠٠ نوع من الطيور و٢٥٠ نوعا من الحيوانات و١٥٠٠ نوع من الاسماك كما يوجد بها حوض كبير يضم ١٠ أنهر كبرى وشبكة هائلة من المجاري المائية الصغيرة تنتشر بها جزر فائقة الجمال، واشهرها جزيرة ماراجو التي تقع على مصب النهر وهي مهد حضارة الماراجوارا المزدهرة في المنطقة قبل اكتشاف امريكا ومازالت آثارها بادية في فن السيراميك والصناعات التقليدية المحلية ويستمتع الزائرون كثيرا بقطعان الجواميس وهي تسبح على سطح الماء وكذلك الطيور المختلفة الاشكال والالوان وبيوض السلاحف العملاقة اضافة الى الرقصات القبلية التقليدية.

اما المنطقة الشمالية الشرقية فتعتبر مهد الاستعمار الاجنبي للبرازيل خاصة منها ولاية باهيا وقد جلب اليها ملايين العبيد الافارقة للعمل في مزارع قصب السكر في ظروف صعبة وشاقة، والثروة الرئيسية للمنطقة هي الخشب الاحمر أو ما يعرف بخشب البرازيل، والى جانب ذلك تتميز المنطقة بفولكلورها المتنوع وثقافاتها المتعددة من برتغالية وافريقية وهولندية وفرنسية تنعكس بدورها على الفنون والهندسة المعمارية والتقاليد الشعبية، واشهر الظواهر الثقافية والدينية في المنطقة ديانة الكوندومبلي وهي مزيج من الطقوس الافريقية والرموز الكاثوليكية ويحظى كهنة هذه الملة باحترام كبير من الاهالي، ومما يلاحظ في هذا الصدد مشاركة معتنقي الكوندومبلي في قداس الكنسية الكاثوليكية.

- ملعب ماراكانا في ريو.



- تكوين صخري عجيب.

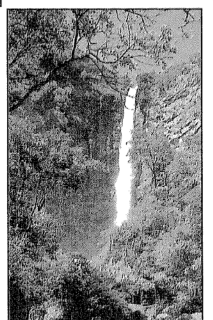


واذا اتجهنا الى الغرب ، نجد عاصمة البلاد : برازيليا التي أنشئت حديثا لتخفيف الضغط على السواحل الشرقية المكتظة بالسكان، وغير بعيد عنها يقع نهر ارغوايا الرائع وواحدة من اعجب محميات الحياة البرية في العالم: مستنقعات «بانتانال» التي لم تكتشف بكاملها حتى الآن وهي عبارة عن أراض مليئة بالمياه والنباتات المتنوعة والطيور على اختلافها والفهود والتماسيح والخنازير على سبيل المثال لا الحصر.

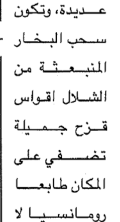
ـ شاطيء كابوبرانكو.

اما المنطقة التي يقصدها الكثير من السياح فهي المنطقة الجنوبية الشرقية وذلك بسبب حركة الحياة الدائبة فيها وتطورها المستمر مقارنة مع باقي مناطق البرازيل، وتقع في هذه الناحية اكبر مدينتين في البلاد: ساو باولو مدينةالصناعة والاعمال وريودي جانيرو المشهورة عالميا بشواطئها الفاتنة وموقعها الجغرافي المتميز فهي تقع بين الجبل والبحر بملايينها الثمانية من البشر الذين لا تخلو منهم الشوارع والشواطئ ليلا أو نهارا، غير ان المعلمة الطبيعية الرئيسية في ريو هي جبل قصب السكر الذي يرتفع ٣٩٦ مترا الى السماء وسط خليج غوانابارا، غير ان ما يجذب الزوار اكثر هو الكرنفال اي كرنفال (ريو) الذي يقام كل سنة في شهر فبراير (شباط) وفي هذا الاحتفال الضخم تتبارى مدارس السامبا المتنافسة في تقديم اكثر العروض غرابة وتميزا وبالطبع لا ينبغي تجاهل رياضة كرة القدم التي تعتبر زادا يوميا للبرازيليين، وتخليدا لهوسهم الشديد بهذه الرياضة الشعبية اقام البرازيليون اكبر ملعب لكرة القدم في العالم وهو استاد ماركانا الذي يتسع لـ ١٨٠ الف متفرج.

والى اقصى الجنوب، وعلى الحدود بين كل من البرازيل والباراغواي والارجنتين تقع شلالات ايغواسو عند التقاء نهري بارانا وايغواسو ويمكن سماع صوت خرير المياه على بعد كيلومترات عديدة، وتكون سحب البخار المنبعثة من الشلال اقواس قزح جميلة تضفي على المكان طابعا رومانسيا لا ينسى.



ـ منظر طبيعي اخاذ.





ـ زي فولكلوري متميز.

السُرما قبائل الشفاه الممط

على طول حدود أثيوبيا مع السودان، تحيا العديد من القبائل البدائية التى اتخذت من الفطرة شعاراً ومن البساطة عنواناً .. غير أن المتأمل في تقاطيع الوجوه، وفي العادات المتوارثة يستطيع أن يستقرىء ملامح الوسامة والغرابة، وذلك من خلال فنونهم البسيطة والرائعة بل والمؤلمة أحيانا، والتى نراها مجسدة ببراعة وإتقان عند أحد أشهر القبائل في تلك المنطقة وهى قبائل السرما.

معاندة الواقع:

وقبائل السُرما تسكن منطقة المستنقعات غرب نهر أومو الذى ينبع من جبال أثيوبيا ويتجه نحو الجنوب لمسافة ٩٠٠ كم حتى مصبه في بحيرة رودولف على الحدود الكينية. وفي هذه المنطقة تبدو الطبيعة وعرة في العديد من صورها، حيث الجبال والصخور، وسرعة جريان النهر وحيواناته المفترسة، والأفاعى الضخمة التى يتراوح طولها في بعض الأحيان ثلاثة أمتار، فضلا عن تلك الحشرة السامة المعروفة بـ «التسى - تسى» فهى وحدها الأصغر والأخطر والأكثر انتشاراً، ولا شك أن كل هذه الأخطار جعلت السرما في عزلة عن أعين العالم المتحضر، ولا يقصدهم الزوار أو الباحثون إلا في النادر، لذلك فهم في الوقت الحاضر من أنقى القبائل البدائية فى تنظيماتها وعاداتها الاجتماعية. كما أن حياتهم تتميز بالهدوء والسكينة فهم مسالمون لا يستخدمون العنف إلا للدفاع عن بقائهم، خاصة إذا تعرضت حياتهم لهزات نتيجة نشوب مصادمات بينهم وبين جيرانهم من قبائل البومي التي تجاورهم من الجنوب، وقبائل «الديزى» التى تجاورهم من الشمال.

وطبقا لآخر إحصاءات المستكشفين يبلغ عدد السُرما بين ثلاثين ألفاً وخمسة وثلاثين ألفاً غير أنه لا تربطهم جميعا أية وحدة سياسية فلا يشار إليهم كشعب أو مملكة بل هم عدد من القبائل المتشابهة من حيث اللغة والنمط المعيشى فقد ذكرت المغامرتان الأمريكيتان «كارول بيكويث» و«أنجيلا فيشر» في تقريرهما الذى اعدتاه بعد آخر جولاتهن الاستكشافية في منطقة السُرما عن هذه القبائل «أنهم مجموعة من المترحلين مديدى القامة، ذوى رؤوس ضيقة، إذ يمثلون نتاجاً سلالياً متنوعاً بين سلالة البحر المتوسط، وزنوج غابات أفريقيا. يتنقل رجالهم بسيقانهم الطويلة حفاةعراة، وتلتف حول أذرعهم أساور عاجية، في حين تتزين نساؤهم بقلائد حول اعناقهن ويسترن عوراتهن برقع جلدية صغيرة ممسكة بخيط رفيع يعقد حول الخصر ومطعمة بحبات اللؤلؤ أو خراطيش الأعيرة النارية الفارغة».

وفي الغالب تتكون منازل السُرما من كوخ أو مجموعة صغيرة من الأكواخ وحظيرة للماشية بنيت جميعها من البوص والطوب اللبن فوق الأراضي المرتفعة البعيدة عن غائلة الفيضان. وفي الوقت الذى تقوم فيه الفتيات الصغيرات بالمساعدة في الأعمال الخفيفة في المنزل مثل طحن الحبوب ونخل الدقيق أو رعاية النباتات في الحقل، يقوم الأولاد الصغار برعي الأغنام والعمل في مجال الدفاع عن القبيلة حيث

اعداد : خالد خلف زيدان
- مصر -

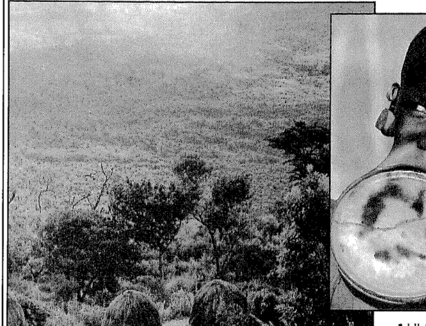
وطة والرسم على الأجسام

يحرصون كآبائهم على إقامة مباريات المبارزة بالعصى.

خداع الأرواح الشريرة:

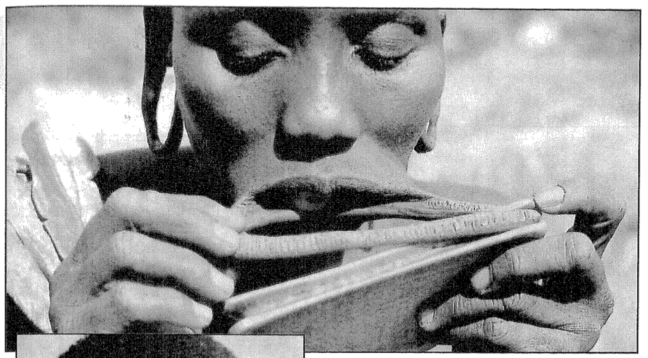
وكعادة القبائل البدائية تمارس قبائل السرما العديد من الفنون المتوارثة التى تنفرد بها عن غيرها، لعل من أشهرها فن الرسم على الجسد الذى يمثل لهم نوعا من الاستمرارية لبعض العادات والتقاليد التى تشير الى الوسامة والشجاعة فهم بفطرتهم ودون أي دراسة فنية تحولوا إلى فنانين مبدعين يخطون على جلودهم السمراء العارية أجمل الخطوط والزخارف التى يغيرون بها من هيئتم حتى لا تعرفهم الأرواح الشريرة وهى أشد ما يرهبون، فهم يؤمنون بأن هذه الأرواح خالدة، وأن الروح إذا فارقت صاحبها اختارت بقعة موحشة ولبثت تنتظر إلى أن تحل في الأجنة حتى تولد من جديد، فإذا طال انتظارها غضبت وإذا غضبت الروح الخفية فليس طريق النجاة من أذاها إلا خداعها عن طريق هذه الزخارف، فباستخدام مادتى الطباشير الحجري والطين المحروق تنساب على الجسد أروع لوحات التنكر والخداع.

- مط الشفة السفلى عن طريق الطبق.

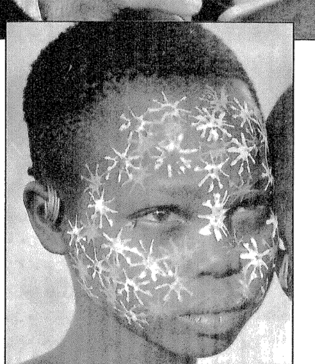


- اكواخ السرما.

وبخلاف خداع الأرواح الشريرة فإن رجال السرما يرون في ممارسة هذا الفن رمزا لرجولتهم ورهبة لأعدائهم. أما النساء فيجدن فيه نوعا من الإغراء فهذه الزخارف تترك في أنفسهن تأثيرا طيبا



ـ ثقب الشفة السفلى وشدها بالطبق.



ـ الزخارف لوحة على الوجه.

يستمدن منه وسامتهن وجمالهن حيث تقوم المرأة برسم وجهها، كما أن الأطفال الصغار يرون في هذا الفن تقليدا لآبائهم واعتزازا بطقوس وشعائر قبيلتهم. ولا يختلف جوهر هذه الزخارف كثيرا في الرجال عنه في النساء أو الأطفال وإن كانت اللوحة تبدو أكثر روعة واكتمالا على أجساد الرجال لشمولها معظم أجزاء الجسم. غير أن هذه اللوحات مهما بلغت من روعة ومهما كان الجهد المبذول فيها، فهي لا تصمد طويلا أمام حمام مائى في نهر أومو أو أحد روافده الجارية.

وتكرس قبائل السرما جل وقتها للرسم على الأجسام بعد حصد المحاصيل الزراعية في شهر أكتوبر، حيث يزداد وقت الفراغ وتتوافر مصادر الرزق. ومن أبرز فنانى السرما المتخصصين في الرسم على الأجسام: «كولى هولى» الذى تمتاز زخارفه بدقة بالغة في اختيار الخطوط وتناسق الألوان، وصديقه «موراديت» الذى يمتاز بفنه ذى الزخارف التى تشكل خطوطا عرضية أو مائلة، كما يستخدم «شنوا» في فنه الأشكال العنكبوتية أو التى على شكل نجوم متداخلة، أما «أوول ريجابى» فيلجأ إلى الزخرفة المتعرجة التى تتخذ شكل حركة الثعبان الملتوية.

مط الشفاه:

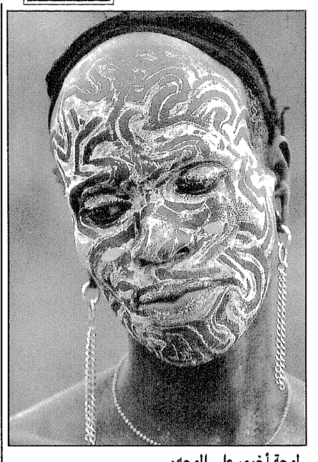
ومن التقاليد الأخرى التى تسترعى الانتباه عن



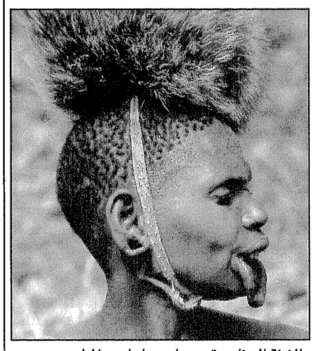
قبائل السرما تقليد «مط الشفاه» الذى تمارسه النساء حيث يشوهن شفاههن بشكل يدعو للإشمئزاز والفضول في آن واحد، إذ على الفتاة عندما تبلغ العشرين من عمرها أن تثقب شفتها السفلى وتتبارى في تمديدها مع قريناتها بوضع طبق صغير للغاية في هذا الثقب، وبالتدريج يتم تغيير الطبق من وقت لآخر بطبق أكبر وهكذا حتى يأخذ الطبق في النهاية أكبر مساحة يمكن لشفاة المرأة تحملها. والحقيقة ان هذا التقليد الغريب المثير للألم قد يؤدى إلى بعض المضاعفات نتيجة التلوث الذى قد يحدث للجرح، غير أنه عندما يندمل ذلك التمزق تكون الشفة السفلى قد مطت وتدلت لأكثر من خمسة وعشرين سنتيمترا.

وتقليد أطباق الشفاه قد يكون عنوانا لجمال المرأة في نظر رجال السرما ومصدرا لثراء أهلها، فهو يعتبر وسيلة لجمع المال لعائلة العروس إذا كلما زاد حجم الطبق أعطى ذلك فرصة لأهلها لمطالبة من يطلب يدها بدفع مهر أكبر وهو ما يتمثل في خمسين رأسا من الماشية، وإذا ما صغر حجم الطبق نسبيا فإن المهر المطلوب يكون أكثر تواضعا، إذ يمكن في هذه الحالة الاكتفاء بنحو ثلاثين أو عشرين رأسا فقط. ويستخدم نساء السرما في صناعة هذه الأطباق الطين المحروق أو الخشب. وفي الغالب لا يلجأن إلى خلعها من شفاههن إلا عند الذهاب إلى النوم، وعند تناول الطعام، وعند تبادل الحديث مع الآخرين.

ويعلل علماء السلالات البشرية هذه التشوهات التى تمارسها نساء السرما لمط شفاههن بأنها «رغبة في عدم مشابهة الحيوانات من حيث منظر الشفاه» أما سكان القبائل أنفسهم فيعللون ذلك بقولهم «إن على الفتاة حين تبلغ سن الزواج أن تمط شفتها السفلى بشكل ظاهر للعيان لكى تبدو قبيحة في نظر الأعداء من القبائل الأخرى التى قد تغير بغتة لسرقتها». وبالتالى فكلما ساهمت هذه التشوهات في تقبيح منظر الفتاة، عزف عنها سارقوها وسما شأنها في نظر خطابها.



ـ لوحة أخرى على الوجه.



ـ الشفة السفلى وقد وصلت مداها من المط.



أحوج الحاج

الأحماض من الجذر الثلاثي (مض) يقال: أحمض القوم: أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث والكلام، فهي مفاكهة ومؤانسة!
وهي لون فكاهيّ فنيّ ساخر، يتناول مظاهر الحياة العاصرة كالمخترعات والمعاني الحديثة، ويصوغها على ألسنة أدباء العربية القدامى في عصورها الأولى الزاهرة بأسلوب حواري قصصي.

* موضوع الأحماض:
تتناول عدداً من مظاهر الثورة المعرفية والتقنية في العصر الحديث كالمخترعات والمعاني العصرية مثل: الكهرباء، والثلاجة، والتلفاز، والهاتف، والسيارة، والطائرة، والحاسوب، والمشروبات الغازية، والعولمة، والدكتوراة، والانترنت!

* أسلوب الأحماض:
يقوم على الحوار، ويفيد من أسلوب المقامات والقصة المعاصرة، ويتسم بالإيجاز والوضوح والرصانة، ويتجاوز حدود الزمان والمكان.

* أهداف الأحماض:
تهدف إلى إمتاع فؤاد المتلقي، وإدخال السرور على نفسه، وإمداد عقله بشحنات من المعرفة الأدبية من خلال الخطوط التالية:
١ ـ تخيّل مواقف الأدباء القدامى من المخترعات الحديثة وردود أفعالهم لو كانت في زمانهم والتعريض بأدباء هذا العصر الذين لم يحتفوا كثيرا بهذه المخترعات المثيرة في أعمالهم الأدبية.
٢ ـ توجيه النقد السّاخر للمظاهر الزائفة في الحياة المعاصرة.
٣ ـ مناقشة بعض القضايا اللغوية المتعلقة بتعريب هذه المخترعات وأوزانها الصرفية، ومثناها وجموعها.
٤ ـ إثراء لغة الناشئين من المتلقين بالمفردات والتراكيب وأساليب البيان العالية.
٥ ـ تقدير الأدباء الأوائل، واستذكار أعمالهم وجهودهم في نهضة العربية والحفاظ عليها.
٦ ـ ربط الواقع المعاصر بالماضي الأصيل الزاهر للإسهام في البناء الحضاري الشامخ للأمة.

إضاءة شخصية:

ـ د. احمد عطية ضيف الله السعودي ـ دكتوراة أدب ونقد.
ـ من مواليد الأردن ١٩٦٠م.
ـ له عدّة مقالات وبحوث منشورة في عدد من الصحف والمجلات المحلية والعربية منها:
* الرأي ـ الدستور ـ اللواء ـ النماء (الأردنية)
* منار الإسلام (الإمارات).
* الأدب الاسلامي (رابطة الأدب الاسلامي)

أخبرنا أبو عثمان الجاحظ[١] قال: سألت ثمامة بن أشرس[٢] عن طبائع أهل «مرو» في البخل لمَ خصّوا به دون سائر الأنام؟ قال: تلك جبلّة مستحكمة فيهم، فلم أرَ الديك في بلدة قط إلا وهو لافظ يأخذُ الحبَّ بمنقاره ثمّ يلفظها قدّام الدجاجة إلا ديكة مرو، فإنها تسلبُ الدجاج ما في مناقيرها من الحب! فعلمتُ أن بخلهم شيء في طبع البلاد، وفي جواهر الماء، فمن ثمَّ عمّ جميع حيوانهم، لأنهم اتصلوا بالروم الذين ابتدعوا «الحيلة الجليلة» لخزن الطعام وحفظه أياماً معدودات، فصاروا أبخل الأمم، فلا تجدُ للجود في لغتهم اسماً!

قال الجاحظ: فقلتُ وكيف يحفظون الأطعمة أياماً معدودات والفساد إليها أسرع؟

قال: يحفظونها في «الثلاجة» مُبَرّدة لا يمسها سوء، وينعمون بها في كلّ آن!

قلت: صنفتُ أكثر من مائة وخمسين كتاباً، وأحطتُ بطبائع الخلق والحيوان، ودوّنت مؤلفات في الزرع والنخل والطب وغش الصناعات، ولكنني لم أسمع بهذه «الثلاجة» من قبلُ، فما الأمر يا ثمامة؟

قال: على رسلك يا أبا عثمان، حفظت شيئاً وغابتْ عنك أشياء!

لقد رأيتُ حيلة العجم بعيني، فإذا هي صندوق طويل مستطيل، تنتج الثلج، وتُقر عين العلج[٣] وماؤها أبرد من الفلج[٤].

قلتُ: وماذا يضعون فيها؟

قال: يجمعون فيها مؤونة الأسبوع مما لذَّ وطاب، وحضر وغاب من الفاكهة والخضروات والمشروبات، وربما حفظوا فيها الأدوية و«السندوتشات» و«السلطات»!

بقلم: د. احمد عطية السعودي
ـ الاردن ـ

ـة إلى اقتنـاء الثلاجة!

قلت: كدرت فهمي، وعكرت ذهني بكلمتين غريبتين، فما السندوتشات؟ وما السلطات؟

قال: تزعمُ أن لك كتباً في طعام الخلق ولا تعرف السندوتشات! إنها شطائر خبز توضع بينها الكوامخ كـ «الفلافل» و«البندورة» و«اللحمة»، ولا أحسب أن عشراً منها تسدُّ جوعتك، وأنت كما قال الشاعر:

تبـارك الله مـا أمـضى أسنتـه
كـأنما كلُّ فك منه طاحـون[٥]!

قال الجاحظ: فخجلت أن أسأله عن «الفلافل» و«البندورة» لما أعرف من حدّة مزاجه، وكثرة لجاجه، فقلت: حسناً، فطيب معدتى بالسلطات؟!

قال: السلطات جمع سلطة أكلة شهية شعبية تشتمل على «البندروة» أو «الطماطم» المقطعة والخيار والبصل والزيت والليمون، وربما أضيف إليهما البقدونس واللبن!

قال الجاحظ فقلت في نفسي: لمَ لا أسأله عن كلّ شيء فلعلي لا ألقاه إلى يوم القيامة! فقلت: وما الفلافل وما البندورة يا أبا أشرس؟

قال: سبحان الله، يا أبا عثمان، تعرف اللوزينج والجوزينج ولا تعرف الفلافل والبندورة؟!

لقد ولى زمن المضيرة[٦] والقديد[٧] والسَّويق[٨] والثريد الذي تتغنى به مع الشاعر:

إذا مـا الخـبـزُ تأدمُـهُ بلحم
فـذاك أمـانة الله الثـريد

وجـاء زمن «المنسف»[٩] و«الكبسة»[١٠] و«الكشرى»[١١]! اذهبْ فسلْ عن دنيا الطعام أصحابك «البخلاء» اللئام!

قال الجاحظ: فعلمتُ أنّه قد ضاق ذرعا بأسئلتي، وواسيت نفسي أننى محقّ في إبداء دهشتي واستغرابي، فانطلقتُ الى «سهل بن هارون»[١٣] وسألته عن حيلة العجم لأنه إن علمَ بها فكأنما حيزتْ له الدنيا بحذافيرها!

قال سهل: يا أبا عثمان، أخبرك ولا تفشي سرّاً؟

قلت: نعم، فأدخلني إلى المطبخ فرأيتها رأي العين، وقلت له: ومن ملكها غيرك؟

قال: الكندي، وزُبيْدة بن حميد، وأحمد بن خلف، وأسد بن جاني ونفرٌ من أهل البصرة المسجديين[١٤].

قلت: وكيف وصلتْ إليكم؟! قال: حملها إلينا تجار «مرو» بوساطة «المبرد»[١٥]، فهو وكيلها العام!

قال الجاحظ فقلت: ويلٌ للعرب من شرّ قد اقترب، إنّ الكرم يحتضر، والسخاء يندثر! ثم صح عزمي على تصنيف كتاب «البخلاء» فألفته، وذكرت في أوله رسالة سهل بن هارون في البخل:

«أخوج الحاجة إلى اقتناء الثلاجة»!!

هوامش:

(١) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، أديب عباسي كبير، من أشهر كتبه: البيان والتبيين، والحيوان، والبخلاء، توفي (٢٥٥هـ).
(٢) ثمامة بن أشرس: من علماء العصر العباسي، واسع العلم، جالس الرشيد والمأمون.
(٣) العلج: الجافي الشديد من الرجال، والواحد من غير العرب.
(٤) الفلج: النهر الصغير.
(٥) البيت لابن هانيء الأندلسي، متنبيء المغرب، ولد بأشبيلية، وتوفي (٩٧٣م).
(٦) المضيرة: طبخ اللحم باللبن البحت الصريح.
(٧) القديد: اللحم المجفف المملح.
(٨) السويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير.
(٩) المنسف أكلة شعبية أردنية.
(١٠) الكبسة أكلة سعودية.
(١١) الكشري: شعبية مصرية.
(١٢) العصيدة: أكلة شعبية في السودان وتشاد وغيرها!
(١٣) سهل بن هارون: كاتب فارسي الأصل، كتب ليحي البرمكي، وله رسالة مشهورة في البخل ذكرها الجاحظ في «البخلاء» قيل إنها تدل على شعوبيته لازدرائه الكرم الذي هو مفخرة العرب، توفي ببغداد (٨٣٠م).
(١٤) هؤلاء مجموعة من البخلاء الذين ذكرهم الجاحظ في «البخلاء».
(١٥) المُبرِّد: أبو العباس، محمد بن يزيد، إمام في النحو واللغة، له «المقتضب» و«الكامل في اللغة والأدب» توفي (٢٨٥هـ ـ ٨٩٨م).

حوار مع الأديب والمفكر الكبير

أنيس منصور

المفكر والاديب والفيلسوف، أستاذنا الكبير أنيس منصور.. دائم البحث والتأمل، يطارد السؤال، يلاحق به أفكاره، فتأتي كتاباته متوهجة دائماً وابداً.

* مفكرنا الكبير عشق العلم والادب منذ نعومة أظفاره؛ فقد نشأ في احضان بيت مثقف واصبح له أسلوبه المميز الفريد، الذى جذب إليه عشاق ومحبى القراءة والتطلع للمعرفة من شتى بقاع الأرض.

أنيس منصور:

أديب وفيلسوف أعطته الصحافة كل ما يتمناه كاتب.. وأعطاه الأدب كل ما يحلم به أديب .. وأعطته الفلسفة كل الاعماق والآفاق والقدرة على النفاذ والفهم والاستيعاب.

ثم انه اتخذ لنفسه شعارا: «أنه لا يكفى أن يكون مفهوما ولا أن يكون مثيرا، وانما ان يكون محبوباً» جميل العبارة، لطيف الألفة، جذاب المودة، وهذا الحب ضرورة لكل مثقف في العالم العربي.

مثلا: كتابه (لأول مرة) عن مدن العالم.. كيف رآها في اول مرة.. كيف كان الانطباع القوى.. والحب من اول نظرة، انه يريد ان يرى وان يعرف وان يفهم.. يبدأ من حب كل شىء، الالفة والتعطش الى المعرفة والقدرة على تلوين كل جميل لابد ان تبدأ من الحب.

كتابه (لأول مرة) فاز بجائزة احسن كتاب عام ١٩٩٥م في الترجمة الذاتية لانه يتحدث عن وجدانه في مواجهة الجديد.. فيرى ان الادب ترجمة ذاتية للكاتب.

واهم كتبه التى تتحدث عن ترجمته الذاتية لعالمية الادب الفلسفي.. وجيله من الادباء والمفكرين في مواجهة عباقرة الفكر والادب والفن والسياسة والدين في مصر فقد جاءت في كتابه (في صالون العقاد ـ كانت لنا ايام) وهو بشهادة النقاد يُعَدّ من احسن ما ظهر في الخمسين عاما الماضية.. ففى صالون العقاد كانت الفلسفة والادب وتاريخ الحضارة.. وفي ضوء العقاد رأى أن هناك عظماء اخرين، تأخر في معرفتهم والالتقاء بهم امثال طه حسين والحكيم والمازنى ولطفى السيد وغيرهم.

وكتب كتابه (هؤلاء العظماء ولدوا معا) العقاد وطه حسين والمازنى وعبد الرحمن الرافعي والفلاسفة ـ الوجوديون ـ هيدجر ومارسيل وفتجنشين ـ والمؤرخ توينبى والاديب كوكتو.. وهتلر ونهرو وشارلى شابلن.. ولدوا معا في عام ١٨٨٩م.

وتجربته النفسية الوجدانية الفريدة العميقة




الاستاذ الأديب أنيس منصور أثناء الحوار مع الزميل مصطفي محمد

الدافئة جاءت في كتاب (طلع البدر علينا) ففى رحلته لأداء العمرة لأول مرة استحضر كل مخاوفه وقلقه الفلسفى وفتح نفسه للفيض الالهي، فعرفت عيناه الدموع، وقلبه فاض حبا وحنانا، وامتلأ قلبه بالخشوع طائفا وساعيا.

وكتابه (حول العالم في ٢٠٠ يوم) الذى حصل على جائزة الدولةالتشجيعية عام ١٩٦٢م كان ولا يزال من اهم وأعظم كتبه عن الرحلات.. فقد كان هاديا ومرشدا لملايين الشباب ان ينظروا حولهم.. ويتساءلوا لماذا لا نسافر.. لا نهاجر؟ وبشهادة اليونسكو كان هذا الكتاب الاكثر انتشارا من اى كتاب عربي، يعاد طبعه كل تسعة اشهر.

هذا الكتاب (حول العالم في ٢٠٠ يوم) هو امتع وابدع واعمق واشمل ما عرف الادب العربى من حكايات ونوادر وحقائق في كثير من دول العالم. واللجنة التي منحته جائزة الدولة التشجيعية عن هذا الكتاب قالت: لأول مرة في تاريخ أدب الرحلات نجد فنا جديدا في الرواية والعرض والاداء.. فعبارته جميلة قوية. ونظرته نافذة عميقة، واحتضانه لموضوعاته رقيق دافىء ساخر. وكان من القلائل في الادب العربي، حديثه وقديمه، الذى توفرت له الدراية الواسعة بالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والادب والتشويق والاثارة في اسرع عبارة وادق وصف، فهو يبهرك، وفي النهاية لا تملك الا ان تعجب وتتعجب لهذه القدرات الفريدة.

- تولّى عشر مرات رئاسة التحرير لعشر مجلات خلال الفترة من ١٩٦٠ الى ١٩٩٨م.
- حققت مبيعات كتبه ما يقارب المليوني كتاب.
- حصل على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٦٢م.

أجراه : مصطفى محمد مصطفى - جدة

المدينة المنورة.. تغمر الزائر لها براحة هائلة لا توصف

ازمة الثقافة نقص في المعلومات الأدبية والفكرية والفنية

ليس من الانصاف ان نصف القنوات الفضائية بأنها شريرة وتافهة

لماذا نخاف من الفضائيات؟

استاذى الكبير:

المملكة العربية السعودية الآن تحتفي وتعيش افراح الذكرى المئوية على تأسيسها.. وطوال هذا الزمن استطاعت المملكة العربية ان تعتلي قمة المجد بازدهارها في كل المجالات والعطاءات.. وقد أضحت بحق معلما يحتذى به في عالمنا العربي والإسلامى الكبير.

وبهذه المناسبة يسعد دارة مجلتكم المنهل أن تحظى بهذا اللقاء.

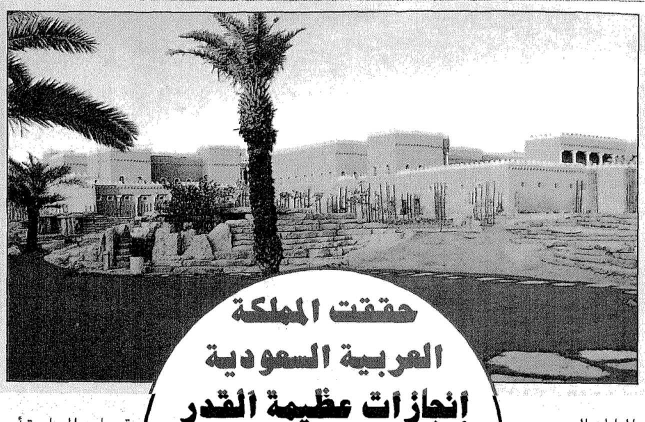
** أولا اسجل اعجابى بمجلة المنهل، فأنا دائما اتابع ما تنشره، فهى مجلة جادة وتقوم بعملية تنوير هائلة فيما يتعلق بدراسة التاريخ والأدب والنقد الادبي وهي من المجلات القليلة التى اذا اقبل القارىء عليها فإنه لا يتركها دون ان يكملها فأنا أجدد اعجابي الشديد بهذه المجلة عظيمة الاحترام، والى اخى الأستاذ نبيه الأنصاري الذى حمل لواء رسالة المنهل بعد والده المغفور له الشيخ عبد القدوس الأنصاري أجمل الاكبار والتقدير، فظلت المنهل ضياء ينير الأدب والفكر في جزيرتنا العربية ومعه ساعده الابن الأستاذ زهير الانصاري.

اما فيما يتعلق بالمملكة وازدهارها.. فأنا عندى تجربة بسيطة جدا، ففى الستينيات جئت الى المملكة لكي أؤدى العمرة واذكر كيف كانت مدينة جدة في ذلك الوقت.. كانت اصغر من ذلك بكثير، وكانت محدودة، وكان بها مطعم واحد على البحر صغير.

فلم تكن بها هذه العمائر الضخمة ولا الشوارع المرصوفة ولا الكورنيش الذى يعتبر متحفا مفتوحا مزدانا بالاعمال الفنية السيريالية والتكعيبية والتعبيرية بما ليس له نظير، لا في العالم العربى ولا في كثير من دول العالم.

هذا هو الجانب الشكلى، لكن هناك جوانب اخرى كثيرة.. المملكة كبرت وامتلأت وارتفعت وازدهرت بالمؤسسات والدوائر الحكومية والجامعات والمعاهد العلمية المتخصصة والمستشفيات والحدائق، واضحت بها نهضة عمرانية فريدة بكل المقاييس من حيث التخطيط والبناء والنظرة المستقبلية والاهتمام بالمواطن تعليميا في الداخل والخارج والاعتناء به صحيا واجتماعيا وثقافيا وفكريا.

واهم من هذا كله، ان كل شيء مخصص لخدمة

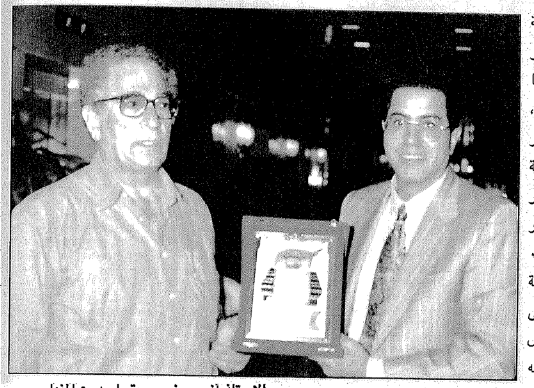


حققت المملكة العربية السعودية إنجازات عظيمة القدر بالنسبة لمواطنيها.. وعظيمة الاحترام بالنسبة لاشقائها العرب

المواطن السعودى.. فالمواطن آمن تماما على صحته واسرته وسكنه وعلى طعامه.. وكل ما تملكه الدولة في خدمة المواطن.. مما جعل المملكة العربية السعودية ـ بما حققته من انجازات ـ عظيمة القدر بالنسبة لمواطنيها وعظيمة الاحترام بالنسبة لاشقائها العرب.. ملكا بعد ملك وولي عهد بعد ولي عهد كلهم أفلحوا أن يجعلوا للمملكة العربية السعودية شأنا عظيما بين الأمم. ونذكر هنا مواقف الملكة العربية السعودية الكريمة مع مصر، ونجدد تقديرنا لهذه المواقف النبيلة للمملكة العربية السعودية تجاه مصر في ازماتها اقتصاديا وسياسيا.

والسعوديون بطبيعتهم لا يحبون ان يذكروا انهم قدموا يد المساعدة أو العون الى أحد.. وهم كذلك بتقاليدهم العربية النبيلة لا يقول أحد ماذا قدم وكيف اعان شقيقه.

إنني اهنيء المملكة العربية السعودية بما انجزت وأهنيء الشعب السعودي بالحكومة الرشيدة القائمة على خدمته وعلى خدمة المسلمين.. ويكفى ان نرى أو نعيد النظر الى ما تحقق من توسعة الحرمين الشريفين الحرم المكى الشريف والحرم النبوي الشريف .. وقد رأيت الإنجازات العظيمة بالنسبة للحرم المكي، فقد جاء وقت كنت أؤدى السعي خارج المسجد والباعة يعترضون الذين يسعون بين الصفا والمروة، والآن نرى ما حدث من توسعة رائعة للحرمين الشريفين، انه اعجاز بكل


الاستاذ آنيس منصور يتسلم درع المنهل

المقاييس.. والمدينة المنورة تزيد المعتمر والحاج دفئا، ففيها روحانية لا توصف، تصيب المعتمر والحاج بالراحة الهائلة.. وانا اذكر عندما كنت أزور الكعبة أهتز.. وعندما ازور المدينة أهتز اكثر لأننى امام سيدنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} شخصية عظيمة باهرة، معروف جهادها من اجل الخير والسلام ورفع قدر الإسلام.. فالمدينة المنورة ادخلت عليها التوسعات الجميلة الضخمة حتى اصبح المسجد النبوى الشريف في حجم المدينة المنورة على ايام الرسول {صلى الله عليه وسلم}.. كما أسعدني الاهتمام برفعة شأن الإسلام متمثلا في طبع المصحف الشريف وطبع الكتب الإسلامية وبناء المساجد.. والمملكة في اقل من مائة عام استطاعت ان تجعل لها مكانا مهيبا رفيعا بين الأمم.

استاذي الكبير:

خادم الحرمين الشريفين ودوره الريادى في اعمار الحرمين الشريفين. ماذا يقول انيس منصور عن هذا الدور؟

** الملك فهد يحفظه الله وُفِّق في اختيار التسميه، إنه خادم الحرمين الشريفين، وخدمة الحرمين الشريفين تشريف عظيم هو أحق به.. وهو أهل له.. وهذا ما يشهد به الجميع.

استاذي الكريم ماذا يعنى لكم مرور مائة عام على فتح مدينة الرياض؟

** سمو الأمير عبد العزيز بن فهد في يوم من الايام اصطحبنى لرؤية الرياض القديمة ورأيت الأماكن التى اقام فيها (جده) الملك عبد العزيز رحمه الله.. والبيوت كيف كانت؟ وصعوبة الحياة آنذاك.. مدينة الرياض الآن تختلف تماماً عن مدينة الرياض التى دخلها الملك عبد العزيز، فأصبحت مدينة الرياض من الضخامة والاتساع بحيث انك لو (حذفت) أو (حجبت) الكلمات والاسماء العربية فانك لن تعرف ان كانت هذه الرياض أو اي مدينة عالمية اخرى.. من الاتساع والنظام والدقة والاضاءة والنظافة والاناقة.. فقد اختلفت الرياض كثيرا،

والسعوديون بما اتاهم الله من خير كثير أفلحوا في ان يجعلوا مدنهم في مصاف المدن العالمية.. مما جعلها تضاهى كبريات المدن العالمية.

استاذي الكريم:

لقد حضرت كثيرا مهرجان التراث للثقافة والفنون (الجنادرية).. ما هي انطباعاتكم الخاصة عن هذا المهرجان؟.

** لقد تحدثت كثيرا عن هذا المهرجان لكن من المؤكد انه اضافة للثقافة السعودية، والحرص في نفس الوقت على ان يكون هناك لقاء بين الادباء والمفكرين العرب وقد نجحت هذه التجربة.. فنحن في مهرجان الجنادرية نلتقى بعدد كبير جدا من الادباء لا نلتقى بهم على مدار السنة.. ومن هذه اللقاءات تولد صداقات وتتلاقح العقول حول كثير من القضايا.

وفي نفس الوقت .. المملكة العربية السعودية لانها تقفز قفزات عالية فهى تخشى ان الاجيال الجديدة لا تعرف كيف كانت صعوبة الحياة في الماضي.. لذا فهم حريصون على تأكيد كيف كان الماضي، ليعرف الشبان الآن كيف استطاعت الدولة ان تحقق حاضرا ومستقبلا باهرا لهم.

سيدى : الثقافة اصبحت وسيلة من وسائل الحياة.. واداة من ادوات التقدم والحضارة.. وليست ترفا.. ولأن علينا ان نحقق الأمن الثقافى - إن صحت هذه التسمية -. كيف يرى سعادتكم ذلك في عالمنا العربي الكبير؟

** نصيب الدول العربية من الثقافة مختلف كماً وكيفاً .. والفضائيات عملت على توثيق عرى الثقافة العربية ونشر الثقافة العالمية ولقد أفلحنا في ان نلتقى في الفضاء في القنوات، ولكن لم نفلح بَعْدُ في أن نلتقي على الارض.. وعلى الاجيال القادمة ان تعالج وتصحح هذا الخطأ.

المفكر الكبير الأستاذ/ انيس منصور:

في وطننا العربى الكبير يوجد الالاف من المثقفين ولدينا من المبدعين الكثير وعلى الرغم من هذا لم نصل بعد للعالمية.. كما يقال؟.

انا ضد توحيد الفضائيات.. وضد توحيد الثقافة العربية العرب ليسو قصرا اتركني وانا حر ومعي.. ضميري ووطنيتي وقوميتي ليس هناك مطلقة نعمة ونقمة.. هناك قدر من الضرر والنفع البراعة ان نحقق قدرا اكبر مما هو انفع وارفع



بعض أعمال الاستاذ الأديب أنيس منصور.

ولم تستطع ثقافتنا اختراق ثقافة الغرب.. لماذا؟!!

** وصلنا للعالمية، نعم وصلنا بقدر محدود، فبعض الاعمال الأدبية الحديثة ترجمت الى اللغات الأوربية، مثل بعض اعمال توفيق الحكيم وطه حسين وبعض كتب العقاد، ثم ان يفوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل، معناه ان هذا الأدب الذى كتبه نجيب محفوظ عن القاهرة وعن شعب القاهرة وهو في نفس الوقت يتكلم عن الشعب المصرى قد لقى عظيم الاحترام من هيئات دولية كبرى وهى مؤسسة نوبل للآداب أو نوبل العالمية للنابغين من ابناء البشرية.

وهذا يعنى ان من أدبائنا من استطاع ويستطيع اختراق جدار العالمية هذا.

استاذي الكريم:

الثورة التقنية التى حدثت في العالم، قلبت جميع المقاييس.. وهى من اهم التحديات التى تواجهها أمتنا.. مما يستوجب الاسراع الى اقصى درجة للحاق بما يحدث في العالم، امتلاكا للتقنية، ومقدرة على استخدامها والافادة منها.

كيف يرى استاذنا انيس منصور هذا؟!.

ولـــدت والـكـتــــــــاب فـــي يـــدي

لم يخطر على بالي قط ان اصبح كاتبا ولي اسلوبي المختلف

** العبرة ليست بما نشتريه، أو نقدر على شرائه أو ما نمتلكه من أدوات ومعطيات التقنية الحديثة، ولكن الفائدة المرجوه تكمن في تطبيق هذه الوسائل الحديثة في العلاقات بين الناس ، والافادة منها لصالح الفرد والمجتمع.

استاذي:

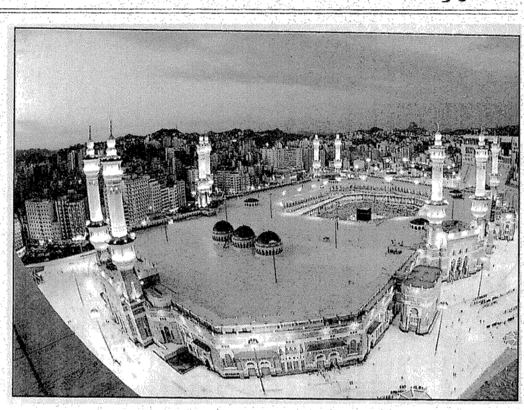
العولمة.. نسمع كثيرا عن ذلك.. ما مدى تأثيرها وتأثرنا بها؟!!

** إن كل الاصوات والاذاعات الموجودة في الدنيا كلها هنا في هذا المكان، وأنت جالس معي الآن، هي في متناول ايدينا من تلفزيون وفضائيات، فالعالم كله اصبح قريبا، فنحن نرى رائد الفضاء وهو يمشى على القمر ويتناثر التراب من حذائه.. البشرية دفعت الوف الملايين من اجل التراب الذى في حذاء رجل الفضاء لاننا لم نكن نعلم ان القمر عليه تراب.. عرفنا الآن ان عليه تراباً، ولكى تصل لهذه الحقيقة دفعت البشرية عشرات السنين من جهود العلماء والوف الملايين من الدولارات.. وتقدر وانت جالس في بيتك ان ترى «العرق» قطرات العرق على جبهة رائد الفضاء.. وبهذا اصبح العالم قرية صغيرة، فعن طريق التكنولوجيا اصبح كل شيء سهلا ميسرا انت عن طريق الكمبيوتر والانترنت تقدر التعرف على أى شيء في اي مكان، لقد أصبحت الكرة الارضية كأنها اسرة، كل هذا نتيجة التكنولوجيا.. ما الذى يعود على الانسان من هذا كله؟.. اصبح العالم الحديث في خدمتك.. انت الآن تسجل من (ركوردر) يابانى أو المانى أو انجليزى.. فالتكنولوجيا الحديثة كلها في خدمة الانسان.. أو بعبارة أخرى ان كل التكنولوجيا ليست الا اطرافا صناعية «بمعنى، انا بعينى المجردة أرى من هنا الى آخر الشارع ولكن بالنظارة أرى الشارع الذى بعده اما بالتلسكوب فإنى أرى القمر.. واذا كان التلسكوب موجوداً في سفينة تدور حول الكرة الارضية فاني أرى الكواكب التى تبعد عنى الوف ملايين السنين الضوئية.. المعنى اذاً ان العلم الحديث ركب ليّ اطرافا صناعية لعينى، أصبحت أرى بها.. بدل أن امشى على رجلى اركب السيارة.. بدل السيارة اركب الطائرة، بدل ان اركب الطائرة اركب سفينة فضاء.. فالسيارات والسفن ليست الا اطرافا صناعية بديلة عن قدمى .. أصبح التليفون عضواً بدل الفم أو الحنجرة وهكذا..

فالتكنولوجيا هى صناعة الاطراف الصناعية

> **السعيد من كان محترفا وفي تكوينه أنه أحد الهواه**

المهرجانات الثقافية.. تولد الصداقات وتعمل على تلاقح العقول حول قضايا تهمنا



التى توسع مجال الرؤية والسماع والحركة للانسان فكلها في خدمة الانسان.. العلم الحديث يمكن أن يكون خادماً مطيعاً لصالح الانسان ويمكن ان يكون سيدا شريرا ايضا. لان السكين التى اقطع بها الطماطم مثلا اقدر أقتل بها.. فهو نفس السلاح.. العبرة في انك كيف تستطيع استخدام هذا السلاح.. فكل هذه الاطراف الصناعية في خدمتى اذا حسنت وصدقت النوايا.

اديبنا الكبير

أنيس منصور:

ازمة كتاب أم أزمة مثقف

وقارىء؟ مصطلح أصبح يتردد كثيرا هذه الأيام.. واسمح لي بوضع السؤال بنفس قوة تردده هذه.. فهل عندنا أزمة كتاب أم أزمة مثقف؟!.

** انا تعرضت لمثل هذا الموضوع.. وعندما تحدثت عن ثقافة الازمة وأزمة الثقافة، اذا قلت بأزمة الثقافة فهذا يعنى أنه يوجد ثقافة لكنها أقل مما يجب. الكتب قليلة والكتّاب قليلون. تنوع قليل - وذلك يعنى ان المثقف عنده ازمة لا يجد وسيلة لحلها.. هذه أزمة الثقافة.. اى نقص المعلومات الادبية والفكرية والفنية ونقص وسائل نشر هذه المعلومات، لكن ثقافة الازمة.. تعنى .. عندما نكون في أزمة يكون هناك أدب يعبر عن هذه الازمة.. مثلا المشكلة الفلسطينية لابد ان يتجه الشعر والمسرح للتعبير عنها، مشكلة احتلال الارض، كل هذه المشاكل اذا عبر عنها الأديب أو الفنان يوصف ادبه وفنه بثقافة الازمة وليست ازمة الثقافة.

التكنولوجيا ليست الا اطرافا صناعية توسع مجال الرؤية والسمع والحركة للانسان

العولمة.. ان تصبح الكرة الارضية كأنها اسرة

أديبنا القدير:

هل هناك أدب عربي عام وادب إسلامي؟.

** أدب اسلامي، يعنى أن قضيته الاولى هى الاسلام، نشره أو توضيحه، قرآنا وسنة.. وتاريخا (ادب اسلامي) في خدمة الاسلام أو للتعبير عن المقاصد النبيلة للديانة الاسلامية.

اما الادب العربي فهو كل ما يكتبه العرب، يستوى في ذلك ان يكون عن الاسلام أو غيره.. أو موقف المستشرقين عن الاسلام في الأطر الادبية المعروفة سواء المقالة أو القصة والمسرحية والرواية والقصيدة والملحمة.. وهى الأطر المعروفة للأدب وكل هذا يسمى الادب العربي، الحديث أو القديم.

المفكر الكبير الاستاذ انيس منصور:

خيبة أمل كبيرة اصابت المثقفين العرب في القنوات الفضائية العربية، البعض يسميها اعلام هاتف! والبعض يطلق عليها ثقافة المقاولات!.

الفضائيات الآن، أصبحت من أخطر أدوات تشكيل العقل الجمعي ـ ايجابا أو سلبا ـ ونحن الآن على اعتاب القرن (٢١) لا نرى بوادر استراتيجية اعلامية هادفة توجه هذه الفضائيات.. والمنهل إذ تطرح هذه القضية، فإنها تمثل واحدة من هواجسها الفكرية والثقافية والاجتماعية.. وعليه، يسعدنا ان نجد رؤيتكم في:

اولا: التقييم الصحيح للشوط الذى قطعته الفضائيات العربية حتى الآن؟.

ثانيا: ما هي الاهداف التي سعت هذه القنوات لتحقيقها؟.

** حسب رؤيتي، ان النتيجة ممتازة جدا.. ويدخل في الاعتبار ان كل قناة تحاول ان تلفت إليها العيون والآذان..

وانا لا أخاف من انفتاح القنوات الفضائية وليس من الإنصاف ان تصف القنوات الفضائية بانها تافهة. وقد رأيت في بعض البرامج في القنوات الفضائية برامج جادة وهادفة.. وادخلت الى جانب هذا أشياء تافهة.. لكن في نفس الوقت ليس كل المشاهدين أو القراء حريصين على القضايا أو النواحى الادبية، فهناك من يريد ان يتسلى مع الاغانى مع الرقص فالتنوع باهتمامات المشاهدين أمر لازم، يجب ان تتنوع موضوعات القنوات وفي نفس الوقت كلما نجحت القناه واصبح لها جمهور اكبر اقبل

افلحنا في ان نلتقي في الفضاء ولم نفلح في الالتقاء على الارض

وصلنا للعالمية بقدر محدود هاجمه الكثير.. ومدحته الغالبية.. خاض معارك عديدة، وكان دائما صاحب القلم والكلمة التى لا يعرف اليأس الى عقله وقلبه طريقا

الصعوبة ليست في أن تكتب أدب الرحلات ولكن الصعوبة ان تجعل الكتابة عن الرحلات ادبا

ما حققه خادم الحرمين الشريفين للحرمين الشريفين يعجز المرء عن وصفه فهو بكل المقاييس.. إعجاز حضارى فريد لا مثيل له

عليها المعلنون، لان المعلن لا يعلن في قناه لا يسمعها ولا يقبل عليها المشاهد، ولا يعلن في مجلة ليست لها قراء.. فهي حريصة على ان تنجح ونجاحها الادبى يؤدى الى نجاحها المادى ويؤدى الى تطويرها.. وصحيح ان هناك بعض التجاوزات.. ولا يوجد إنسان بلا خطيئة سواء الصحف أو المجلات أو التليفزيون لكن المضمون العام انها كلها تتسابق لامتاع وتنوير المشاهد.

ثالثا: استاذي:

هل تحتاج الفضائيات العربية الى اعادة هيكلة تؤمن قدرا من التكاملية والتنسيق لخدمة اهداف اعلامية جادة.. لمصلحة القضايا والثقافة العربية، وكيف يمكن تحقيق ذلك ان كان ضروريا؟.

** أنا ضد توحيد القنوات الفضائية.. وضد توحيد الثقافة العربية.. لابد ان يكون هناك تنوع.. لابد ان يكون هناك استقلال.. وان تكون هناك حرية.. لا أقدر ان اقول ان كل العرب قصَّر.. أو يجب ان تكون هناك دولة تقوم بدور الوصاية عليهم.. ارفض الوصاية.. وأرفض ان يفرض علينا اي شكل من اشكال الوصاية.. اتركني وانا حر ومعى ضميرى ووطنيتى وانا وقوميتى.. وارجو ان لا نفكر في توحيد القنوات العربية.. وإنما كل قناة تستقل بشخصيتها.. أنا وانت مثلا من بلد واحد لكن مختلفين ،انت عربى وانا عربى وانت مسلم وانا مسلم ولكن مختلفين. والاختلاف في صالح الشعوب.. أما ان نكون قالبا واحدا أو زيا موحدا فكريا وادبيا فهذا عودة وانتكاسة الى النظام الشيوعى أو الماركسية البغيضة التى تخلصت منها حتى الشعوب الشيوعية.

سيدى وأخيرا يبقى السؤال:

هل الفضائيات العربية نعمة ام نقمة وما هو مستقبلها؟

** لا تستطيع وصف الفضائيات بهذا التحديد (نعمة ام نقمة) لانه يوجد اشياء كثيرة جدا يمكن أن تكون (نعمة ونقمة) في آن واحد مثلا اذا شرب احد الناس اكثر من عشرين كأسا من المياه مرة واحدة فانه قد يموت، هذا على الرغم من أن المياه سر الحياة، فالعبرة أن (كل ما هو نعمة يمكن ان يكون

نقمة) إذا لم يحسن استعماله، لكن البراعة هى ان تحقق قدرا اكبر مما هو انفع وما هو ارفع.

استاذي:

الامتداد والانتشار الكتابي هل هو تصعيد للوعى الاجتماعي؟٠٠ ام احتراف مهني؟٠٠

** لا عيب في ان يحترف الكاتب، مادامت هذه صنعته التى يجيدها وعندنا من الادباء من لم يعملوا بغير الكتابة، منهم الأستاذ/ العقاد ولا يوجد عنده اي شيء الا الكتابة فهو كاتب محترف ولا عيب في هذا، فهو متفرغ للكتابة في الفن والفكر والادب، والكاتب يجب ان يحترف، ورغم احترافه يجب ان يشعر بمتعة الكتابة كما لو كان هاويا، فالسعيد من كان محترفا وفي تكوينه أنه أحد الهواة.

إني أرى ان الكتابة احتراف٠٠ فكل كاتب حريص على النجاح٠٠ فكُرَةُ القَدَم مثلا كل اللاعبين يلهثون وراء الاحتراف لكي يكسبوا اكثر٠٠ وما يحققه من موارد يدفعه الى النجاح أكثر فأكثر، وطالما انه يعيش من قدمه لابد ان يحسن الاداء، واعتقد ان الاحتراف لا ضرر منه٠٠ وكل الذين اتجهوا للفن هواية لم يحققوا ما حققه المحترفون.

استاذي الكريم:

خلال هذا المشوار الثقافي والفكري الطويل المؤثر والفعال للاستاذ انيس منصور والذي بلغ (١٧٠) كتابا. بمن تأثر؟٠٠ وماذا انجز؟٠٠

** انا مثلى مثل اي كاتب لابد ان يتأثر بعدد كبير من المفكرين والفلاسفة والادباء في طريق طويل، بعضهم عربى وبعضهم اجنبي٠٠ ولكن بمن تأثرت تحديدا فهذا ما لم اصل إليه.

ويمكن ان اقول عن نفسى أننى ولدت والكتاب في يدي، سواء قرأته أم لم اقرأه، لكن اعتدت على ان أجده، وقد وجدت في بيتنا كتبا كثيرة ومتنوعة «فقهية، صوفية، فلسفية ، أدبية ، تاريخية ٠٠ وغيرها» ووجدت كتبا بلغات لا اعرفها ولكن قلبت الصفحات والصور٠٠ المهم انى اعتدت على ان اجد الكتاب في يدى ولم يخطر على بالى اننى في نهاية هذا كله اصبح مؤلفا وله كتب عديدة٠٠ ولابد ان كثيرين ساهموا في تنشئتى وتكوينى، مثلما ان هناك اطعمة كثيرة ساهمت في تكوينى من خضروات وفواكه ومعادن واملاح، كلها ساهمت في التكوين ولكن ايها كان اكثر اثرا فيَّ ، لا اعرف٠٠ كلها تعاونت معا على خلق كاتب له اسلوب مختلف.

الحضارة: شباب ٠٠ رجولة٠٠ كهولة ثم موت الحضارات ينظر إليها نظرة عضوية والبقاء للأقوى

يقول اديبنا الكبير/ نجيب محفوظ (الادب الحداثى مُشَوَّش وغير واضح٠٠ وأن على النقاد أن يشرحوا للناس كيف يتعاملون مع القصيدة الحديثة).

ويقول الشاعر الكبير الجواهري: إن شعراء الحداثة اختاروا السهل!

ما رأى أستاذنا أنيس منصور؟.

** انا متفق مع الاثنين.. لان فيه استسهالا، ولا يتوفر لهذا العمل الحداثي مجهود كبير يبذل في الدراسة، ولا وقت طويل يبذل في التأليف. وانا من انصار ان الكاتب عليه ان يأخذ وقته.. والعمل الابداعي لا مبرر للاستعجال فيه ابدا.

وكان ادباء الاغريق والشاعر اللاتيني بالذات (فيرجيل) كان له نظريته في الكتابة اذ يقول «اكتب القصيدة واتركها في مكان ثلاثة أو اربعة شهور وعد اليها وغير وبدل، لكن اهم شيء ان تختصر».. والمعنى ان تؤلف على مهل، وتأخذ وقتاً في التأمل ثانية، ومرة في المراجعة وبعد ذلك في النشر.. لكن الملاحظ الآن ان الكل مستعجل على النشر، مستعجل على الظهور ولذلك معظم الاعمال الادبية للشبان اعمال مبتسرة لانها ولدت قبل موعدها.

وهذا يفسر لماذا بعضها ضئيل وبعضها صغير وبعضها غامض وبعضها مشوش.

مفكرنا الكبير:

في ظل المتغيرات الدولية والإقليمية.. كيف يرى أستاذنا مستقبل المثقف العربي؟. وعلاقته بالسلطة؟.

** علاقة المثقف بالسلطة علاقة ازلية والخلاف ازلي. مثقف يريد ان ينطلق، وان يقفز فوق الحدود والسدود ولكن مهمة السلطة انها ترعى الحدود بين الناس، وتمسك من يخرج عليها أو من يتجاوزها.. فهذه العلاقة ازلية لكن في نفس الوقت هناك خلاف مستمر بين صاحب السلطة وصاحب القلم. في الازمنة السابقة كان صاحب السلطة فيلسوفا.. وكل رئيس أو ملك يريد ان يكون في نفس الوقت فيلسوفا.. ولقد اخبرنا افلاطون عن الفيلسوف الملك أى الذى تتجمع في يديه الحكمة والسلطة، وكل صاحب حكمة يريد أن يكون ملكا من أجل أن يحقق ويطبق الأفكار التى في رأسه، ولم تجتمع فلسفة وسلطة الا في فترات قليلة.. لا بأن يكون الملك هو نفسه الفيلسوف ولكن بأن يكون الملك أو الحاكم الى جوار الفيلسوف.. فمثلا الاسكندر الاكبر كان الى جواره أرسطو لكن في فترات قليلة، ووجدنا مثلا موسيلينى كان الى جواره الشاعر دمونس، وديجول كان الى جواره الاديب بلروه، هتلر كان الى جواره روزن برج وهكذا.. ففى مصر مثلا في اول قيام الثورة عرضوا رئاسة الجمهورية على لطفى السيد وهو فيلسوف وأحد اساتذة الفلسفة ايمانا منهم بأن من الممكن ان يكون الرجل حكيما فيلسوفا وحاكما عادلا ايضا.. ولما قامت اسرائيل عرضوا على انيشتاين ان يكون اول رئيس للدولة وفي ظنهم ان العالم الكبير يمكن ان يكون حاكما ناجحا.. وهكذا ولكن ليس بالضرورة ان يكون صاحب النظرية أو صاحب الرأى افضل من يطبقها والدليل على ذلك افلاطون له كتاب الجمهورية وفي كتاب الجمهورية يرى ان الفيلسوف الملك أو ان الملك يجب ان يكون فيلسوفا.. كلما طلبوا اليه ان يطبق فلسفته هذه على إحدى الجزر لم يفلح.. اذا ليس بالضرورة ان يكون صاحب الرأي هو صاحب القدرة على تطبيقه.. ولكن هناك حلم مستمر ان يكون الملك فيلسوفا وان يكون الفيلسوف ملكا وبالصدفة لم يجتمع هذا الا في عملة ذهبية كان يحملها الاديب الفرنسي «جوفتاه» كان يضع على العملة صورة الاسكندر الاكبر من ناحية ومن الناحية الاخرى

يضع صورة ارسطو.. وهما لمْ يلتقيا الا في هذا العمل.

اديبنا الكبير:

نسمع كثيرا عن نظرية صراع الحضارات.. نرجو ان نجد رأيكم..؟.

** الكلام عن صراع الحضارات وسيطرة حضارة على بقية الحضارات كلام قديم لكن تجدد هذا الكلام أخيرا حينما ظهر كتاب في امريكا عن صراع الحضارات وقيل في هذا الكتاب ان حضارة من الحضارات سوف تبتلع الحضارات الاخرى.. نحن عندما نرجع للفيلسوف الالمانى (شبنجلر) في كتاب له اسمه «انحلال الغرب» كان من رأيه ان الحضارة الصينية هى التى ستسود العالم، والمستقبل للرجل الاصفر على اساس ان الحضارات الاوربية استهلكت وتعبت ونفقت.. ولابد ان حضارة شابة تنهض وتستوعب كل الحضارات الاخرى.. والصراع قديم بين الحضارات الاسيوية والحضارات الاوربية وبين الافريقية وبين الاوربية وهكذا.. وغاية هذا ان الحضارة أو مجموعة الأفكار أو المشروع الفكرى أو النسق الناجح الذى يملك مبررات النجاح سوف يستقطب بقية الحضارات تماما كما سيطرت الحضارة الامريكية أو الحياة الامريكية على كل الفكر في الدنيا فانتقل البنطلون الجينز والهمبورجر في كل مكان وهذا اسلوب من الزى والاكل والشرب امريكى.. الآن الحضارات الاوربية تحاول ان تسترد قوتها وقدرتها لان عمر الحضارة الامريكية ٢٠٠ سنة لكن الحضارات الاوربية والعربية والفرعونية والبابلية والهندية والاشورية حضارات عريقة.. اما فكرة ان تسيطر حضارة على حضارة أو تأكلها أو تبتلعها فهذا يتوقف على ما اذا كانت حضارة من الحضارات قد اعطت كل ما لديها ووصلت الى مرحلة الشيخوخة وهذا في حد ذاته ايذان بحضارة جديدة.

الفيلسوف الالماني «شبنجلر» تحدث عن الحضارات بان لها ربيعا وخريفا وشتاء وصيفا مثل تطورات «الوليد» طفولة وشباب ورجولة وكهولة ثم يموت، فالحضارات ينظر اليها نظرة عضوية والبقاء للأقوى.

المفكر الكبير:

هناك مقولة تدَّعي .. أن جزءاً من البلاء الذى يتعرض له العالم الاسلامى اليوم مرده الى سلوكيات بعض المسلمين انفسهم مما يؤلب القلوب ضدهم.. ويحرك نزعة المؤامرة عليهم.. ما رأيكم؟.

** هذا يمكن ان يوضع تحت التفسير الدينى للتاريخ.. أى أن كل شيء يحصل لاسباب دينية، الخير أو الشر، وأن الشرور التى تعم البشرية ادت الى كذا وكذا وهذا أحد التفسيرات لكن هناك التفسير السياسى والتاريخى والتفسير الاقتصادى والتفسير النفسي والتفسير الجدلي.

وبعدُ.. وفي نهاية حديثنا الشيق والمبدع.. الذى أضاء لنا بعض الجوانب الثقافية في حياة مفكرنا الكبير انيس منصور.

لا يسعنا الا تقديم جزيل الشكر والعرفان له على سعة صدره وحسن استقباله وحفاوته وعطفه الذى شملنا.

محمود محمد شاكر

محمود محمد شاكر، خليفة مصطفى صادق الرافعي في اتجاهه الفكري، ومنحاه الأسلوبي، على فوارق دقيقة بين التلميذ والأستاذ، إذ ما خلا مكان الرافعي رحمه الله على غير انتظار حتى تنفس خصومه تنفس الراحة المطمئنة لاحتجاب قلم جبار ينسف الصخر بشباة سنّه، ولكنّ الانتظار لم يطل إذ برز محمود شاكر فارساً يحمل الراية عن كفاءة، ويتقدم الى الميدان في بسالة وقد هابه خصومه هيبة راعبة، لأن نظره البعيد كان يتغلغل إلى الخوافى المستترة في الحوالك، فيكشف عنها النقاب في جلجلة صاخبة لا في هدوء وادع، وكم غصّت به حلوق.

على أن محمود شاكر لم يصطف في يفاعته أستاذاً من المشاهير، غير الرافعي، فقد أحسَّ بما يربطهما من وشائج الإخلاص المحتوم للعروبةوالإسلام فمدَّ حبال الود إليه، وتراسل الأستاذ والتلميذ في مسائل شتى أشار إلى بعضها الأستاذ محمد سعيد العريان في كتابه عن الرافعي، وحين أظهر محمود الطبعة الأولى من كتابه عن المتنبى، كان الرافعى أول من تحدث عنه مكبرا، وقد ذكر شاكر أن ثناء الرافعى قد شدّ من أزره، وسدّد من خطاه.

(أول لقاء):

وكنت حريصا على متابعة ما يكتب الأستاذ محمود شاكر في مجلة الرسالة، وقد حدث أنى كتبت مقالا تحت عنوان (انجلترا في مرآة حافظ) بالرسالة، وكتب الأستاذ محمود شاكر مقالا بمجلة الكتاب عن حافظ وشوقى نظر فيه الى الشاعرين نظرة غاضبة ساخطة، فكتب كاتب بالرسالة - يقول إن ما كتبه شاكر بالكتاب يناقض ما كتبه رجب البيومى، كتب ذلك بالرسالة (٢٧/١٠/١٩٤٧م) ثم طلب منى ومن الأستاذ شاكر أن نكرر القول ثانية ليردّ كل منا وجهة نظر صاحبه، وقد دفعنى تحمس شديد الى الرد، وكتبت مقالا ساخن اللهجة، حارّ العبارة، ودفعته للرسالة، وقد قرأه الأستاذ الزيات، وابتسم، ثم قال لي: دع هذا الموضوع يا رجب: أفأنت لا تدرى تهجم شاكر وصياله، دعه واسترح، ولم يكن لى أن أعقب على اقتراح صاحب الرسالة.

وبعد قرابة شهر، كنت بإدارة مجلة الرسالة، فرأيت الأستاذ شاكر يجلس في حجرة الزيات وهو غائب، فسارعت إلى التسليم عليه، وأخذ يتكلم مع جار له عن الحركة الإسلامية في العالم العربى فأفزعنى كل الفزع أن يسلق في حديثه زعماء ممتازين مثل محمد عبده والأفغانى بلسان حاد، وأن يراهم بمنظار أسود لا يظهر ضوءا ما من محاسنهم، وأخذت أستمع دون أن أعترض، ولكن الانفعال هاج بي أخيرا فقلت إن ما يعرفه الناس غير ما تقول، فصاح بحدّة: ومن الناس؟ الشباب مضلّل ! فآثرت السكوت.

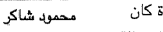
بقلم : أ.د. محمد رجب البيومي
عضو مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر -

(معركة ساخنة) :

مضت ثلاث سنوات، وقرأت في مجلة «المسلمون» هجوماً حادا على كتاب «العدالة الاجتماعية في الاسلام» للأستاذ سيد قطب بقلم الأستاذ محمود شاكر، ووجدت روح الإنصاف في رأيي بعيدة كل البعد فيما كتب الأستاذ شاكر، فرأيت أن أجمع قواى وأردّ عليه، وتذكرت ما قاله الأستاذ الزيات من قبل فترددت أولا، ثم قلت لابدّ من المواجهة، وأخذتُ على نفسى أن أجامل الأستاذ شاكر قدر ما أستطيع ليكون النقد خفيف الوقع لديه، فبدأت المقال بقولي بالعدد (٩٧٣) من الرسالة، الصادرة في ١٩٥٢/٢/٢٥م)

«للأستاذ محمود محمد شاكر منزلة كبيرة لديّ، فأنا أعهده كاتبا قوي الأسلوب، رصين العبارة وأعرفه أبيا مخلصا يتدفق غيرة على الإسلام، وتعصبا لأفذاذه الأبطال، لذلك أقبل على قراءة ما يدبجه يراعه المؤمن في شوق واهتمام، وقد طالعت أخيرا ما كتبه بمجلة المسلمون (العدد الثالث ص ٣٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧١هـ) تحت عنوان «لا تسبوا أصحابى» فوجدت المجال واسعاً للخلاف بيني وبينه، ولم أشأ أن أطوي ما دار بخلدى عن القراء، فرأيت أن أناقش الكاتب الكبير فيما سطّره، راجيا أن يحقق الله الحق بكلمته، فالحق وحده هدف الكرام الكاتبين، وفي طليعتهم الأستاذ الجليل ٠

ثم مضيت أعلن جوهر الخلاف فأحدّد منزلة الصحابي، وأخالف اتجاه الأستاذ فيما ذهب إليه من عدم النقد لمعاوية، فذكرت أن الصحابة رضوان الله عليهم قد نقد بعضهم بعضا، أفيكونون قد خالفوا الحديث النبوي! ثم اننا يجب أن نتجه إلى الحادث المنقود لا إلى صاحب الحدث، فنحقق فيما نسب الى معاوية من العدول عن الشورى في اختيار يزيد، وفيما نسب إليه من استمالة الناس بالأموال ليسكتوا عن كلمة الحق، فإذا كانت أمثال هذه الوقائع مفتراة غير صحيحة جاء الحكم على صاحبها بالبراءة، وإذا كانت ثابتة مؤكدة كان كلام صاحب العدالة الاجتماعية حقا لا مرية فيه٠ على هذا النحو من الحديث دار المقال في ستة أعمدة حافلة بالأدلة الكاشفة، في أسلوب عف نُقدِّر وقوع الخطأ من صاحبه، ويلتمس الصواب»٠


محمود شاكر

ولم يكد المقال يطالع القراء حتى جاء العدد التالى من الرسالة[١] حافلا برد عاصف جعل الأستاذ عنوانه (ذو العقل يشقى) والعنوان وحده يعطى القارىء مبدئيا ما يُنْبىء عن اتجاه شاكر نحو هذا الذى فقد العقل فأشقى العقلاء! وقد استغرق رد الأستاذ عشرة أعمدة ختمها الأستاذ شاكر بقوله (ونصيحتى للأستاذ أن يضع عن يده عبء القلم فانه ثقيل، ولولا الحياء من أن أترك كلامه ومنطقه بلا مجيب لخففت عنه ثقل الكتابة، وثقل الفكر، وثقل القلم جميعا (وأنا لا أدرى ما الفرق بين ثقل الكتابة، وثقل القلم) بالصمت عما جاء به وتدهوره في أمور قلّت معرفته بها ويعجز فكره عن معاناتها»٠

وفي عنوان الرد وختامه مالا يحتاج القارىء معهما إلى مزيد من القول، ولم أطق صبرا على هذا الهجاء القاذف دون جريرة، فكتبت ردا تحت عنوان (أجل ذو العقل يشقى)[٢] قلت فيه «لقد حاولت أن أجد لدى الأستاذ في ردّه الطويل العريض شيئا

يقنع المنصفين فما وجدت غير التنقص والسباب، وقد دعوته في مقالي السابق الى هجر الوعظ والإرشاد في الجدل فصاح يقول من العسير أن أكتب في هذا الموضـوع دون أن أتوشح بذيول الوعظ والإرشاد، واندفع مع ذيوله الضافية إلى أبعد مدى وأقصاه، وهكذا ضاعت الحقائق التاريخية لدى كاتب يُرهَى بنفسه فيقول انه يعرف حق الكلام ويلتزم مقاطعه ومطالعه وحدوده وأن للعقل شرفا لا يرضى معه بالتدهور في مواطيء الغفلة.

وبعد أن نقضت كل ما قال ختمت مقالي بقولي (وقد نصحني الأستاذ أن أضع من يدى عبء القلم، فإنه ثقيل ثقيل، وذكر أن الحياء يمنعه أن يترك كلامى بلا مجيب! وأنا أعجب للحياء الذى يمنع صاحبه من الصمت المريح ثم يدفعه الى السب الجارح والطعن المقذع في كاتب كبير مثل سيد قطب فضلا عما وجهه اليّ من قذائف ظالمة، ثم ما الفرق بيني وبينه حتى يطلب اليّ أن أكف عن الكتابة وما هى مؤلفاته التى تبيح له أن يتقدم اليّ بمثل هذا الأمر؟ لأحفظ له حقه في الارشاد والتوجيه»).

وقد كان الاستاذ شاكر لهذا الوقت لم يصدر غير كتاب واحد عن المتنبي! فكان سؤالي إياه عن مؤلفاته؟ سؤالا موضوعيا لا إجابة عنه إلا بالسكوت!.

(تراجع)

لم أكن أظن الأستاذ الكبير سيرفع الراية سريعا، إذ فوجئت بمقال في العدد التالى تحت عنوان (أعتذر إليك)[٣] يقول فيه بعد مقدمة هادفة:

«كنت أوشك ألا أحمل القلم مرة أخرى للرد على الكاتب في مقاله «أجل ذو العقل يشقى» ولكنى وجدت السبيل قد تيسر لي أن أعتذر عن سيئة اكتسبتها في الإساءة إلى رجل بظهر الغيب لنفس الداء الذى نهيتُ الأستاذ عنه وهو العجلة، وأنا لمْ أقصد نهيته إلا لما فيه الخير لي وله إن شاء الله، وقد تبين لي بعد قراءة كلمته أنى أخطأت أيضا في الذي كتبت به إليه، فوقعت بما كتبت في نفسى ما نهيته عنه، وما كان أغنانى عن هذه الخصلة السيئة التى تجلب عليّ غضب أستاذ فاضل، لم أسمع به ولم أعرفه، ولا أظنه يعرفنى، والأستاذ الفاضل بلا ريب هو عندى أكبر مما ظن في نفسه، وإذا كان هو قادرا على أن يضنّ بكرامته (كما قلت في ردي) فالواجب عليّ أنا من قبله أن أضنّ بكرامته، وإذا كانت كرامته تأبى أن تنزل منزلة يُوجّه إليه من أجلها شيء يقدح فيها، فأنا أيضا أنزهه عما ظن في كلامى من الشتائم والتنقص والسباب (لم يكن ذلك ظنا بل يقينا) وإذا كنت عنده لست مؤرخا، ولم أخط كتابا في التاريخ، وأنى أدخلت نفسي في قوم لست منهم، فأظن أن واجبه على الأقل أن يلغى كلّ ما أقوله بالمرة فإن من الشقاء له أن يتعقب كلام كاتب هذا شأنه.

وختم مقاله بقوله (تقبل إن تفضلت عذرى وشكرى واحترامي وتقديري، وعجزى عن مخالفتك وحبى لرضاك، وقد بلغت منى في مقالك ما شئت، وناصيتى بيدك وفي المثل «ملكت فأسجح» فافعل مؤيدا منصورا والسلام).

ظهر هذا التراجع فلم أغفل عما يحمل من تهكم مستتر، ولكنى وجدت الأستاذ قد قطع عليّ سبيل القول، فلا أعود الى أمر أعلن اعتذاره عن الخوض فيه، وقد قال أستاذى الشيخ أحمد شفيع السيد الأستاذ بكلية اللغة العربية في خطاب أرسله إليّ حيث أقيم، إنّ الرجل قد اعتذر علنا فعليك أن تنهي الجدل.

(تعقيب آخر)

أدلى الأستاذ الكبير على الطنطاوي بدلوه في الدلاء، فذكر في مقال تال[٤] أن الحق ليس في جانب الأستاذ شاكر ولكنه في جانب الأستاذ سيد قطب، فكان ذلك داعيا الى الأستاذ شاكر أن يترك ما فهمته من التهكم المستتر إلى الصراحة الصريحة، فكتب كلمة بدأها بقول أبي تمام[٥]:

أبا جعفر إن الجهالة أمها

ولود وأم العلم جذاء حائل

ثم قال: وأنت تعلم أنّ من أنصب النصب، أن تتصدّى لإفهام من لا يفهم عنك، فإذا بلغ الأمر أن تراه يتصعب لجدالك فاذكر قول من قال «إذا أردت أن تفحم عالما فأحضره جاهلا، وقد لقيت أنا من شر ذلك ما لقيت، فآثرت أن أسلك سبيلى لا يشغلنى عنه متعلق بأذيالي، إرادة أن يصرفني عن الوجه الذى أردت».

(كتاب خاص)

قرأت ما وجهه الأستاذ شاكر بشأنى إلى الأستاذ الطنطاوى، وكان المنطق يقضى أن أرد عليه بالرسالة لأسأله عن تذبذبه بين التوبة عن السباب والرمي بالجهل ثم العودة إليه ولكن الأستاذ سيد قطب كان قد وجه اليّ خطابا[٦] بالرسالة يشير عليّ ألا أعود إلى نقاش لا يهدف إلى تجلية الحقائق بل يكشف عن مرارة الموجدة وسوء الغرض، فقرّ رأيي على أن اكتفى بإرسال خطاب خاص إلى الأستاذ شاكر أقول فيه ما خلاصته.

سيدي الأديب العظيم:

لا تفترض أنّ الذى كتب إليك هذا الخطاب هو من رميته بالجهل والتصدى إلى العلماء ليفحمهم بجهله، ولكن افترض أن الذى كتب إليك قارىء على الشاطىء من قراء الرسالة يعجب لتناقضك لا في المسائل العلمية، فما أهون أن تتسع فيها أبواب الخلاف والتناقض أحيانا، ولكن في مسألة خلقية تتعلق بسلوكك النفسي حين أعلنت في مقالك الأول أنك تعتذر عن السباب والشتائم وأنك تستغفر الله من السرعة التي دفعتك إلى هذه النقيصة، وأنك بذلك أسأت إلى إنسان لم يسلف لك جريرة! وتعاود الاستغفار والتوبة، وما يمر أسبوعان حتى تنسى توبتك التى ارتفعت بها إلى فاطر السموات والأرض لتملأ صفحة من صفحات أدبك بالسبّ ودعوى الجهالة، والتكبر على من تظنه يتطاول الى مقامك العالى، وتلجأ كعادتك الى الاستشهاد بأمثال العرب وأبيات أبى تمام وكأنهما حرز يقيك،

لست أناقشك في العلم والتاريخ! ولكنى بينى وبينك أعرض عليك نمطا من سلوك متناقض لا يرتضيه من يملأ مقالاته بآيات الكتاب وأحاديث الرسول.

هذا آخر المطاف بينى وبين الرجل الكبير، على أنه ظل عظيما في عينى بموقفه من الدخلاء وأعداء العروبة وأذناب الاستشراق، فهو موقف بطولى خطير.

الهوامش:

(١) الرسالة ١٩٥٢/٣/٣م.

(٢) الرسالة ١٩٥٢/٣/١٠م.

(٣) الرسالة ١٩٥٢/٣/١٧م.

(٤) الرسالة ١٩٥٢/٣/٣١م.

(٥) الرسالة ١٩٥٢/٤/٧م.

(٦) الرسالة ١٩٥٢/٣/٢٤م.



الأسس التي قامت عليها الوحدة في المملكة العربية السعودية

تُعدّ فكرة الوحدة من الأفكار السياسية التي تحظى بتأييد كثير من أبناء الأمة العربية والإسلامية، وتطمح إلى تحقيقها الشعوب والمجتمعات الإنسانية؛ لتحقق بها قوتها وعزتها.

والوحدة في منظور الإسلام تبلغ مرتبة التعبد والتدين بها لله تعالى. فقد أمر - سبحانه - بالاجتماع ونهى عن التفرق؛ لأن في الاجتماع قوة وسعادة، وفي التفرق والشتات ضعف وشقاء. قال الله تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا}[١]، ويقول الرسول {صلى الله عليه وسلم} «والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب»[٢].


خادم الحرمين الشريفين

ومن نعم الله العظيمة على بلادنا العزيزة - المملكة العربية السعودية - مهبط الوحي ومهد الرسالة الإسلامية، وأرض الحرمين الشريفين، وقلب العروبة أن منّ الله عليها بوحدة وطنية حديثة، تحققت على ثراها الطاهر - بعون الله وتوفيقه - منذ قرن من الزمان على يد صقر الجزيرة، وجامع شملها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود (١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م - ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)[٣]، فانطلاقا من التوجيهات الإسلامية السامية الداعية إلى الوحدة والائتلاف والاعتصام بحبل الله المتين، وبدافع من إحساسه العميق - رحمه الله - بوجوب إعادة وحدة هذه البلاد التي رآها وقد تفرق شملها، وتمزقت صفوفها، وتزعزع أمنها وعم الانقسام والاضطراب والفوضى أجزاءها - بدافع من ذلك انطلق في الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ، مجاهداً في سبيل الله، ساعياً إلى توحيد أجزاء متفرقة من شبه الجزيرة العربية تحت راية التوحيد. وبعد جهاد استغرق ما يربو على ربع قرن تكلل بنصر الله، فأسس المملكة العربيةالسعودية، ووحد أجزاءها، وقاد سفينتها نحو الأمن والاستقرار والعلم والبناء.

وتوحيد المملكة في عهد الملك عبد العزيز يعد تتويجاً لمسيرة الجهاد التي قادها - رحمه الله - في سبيل تأسيس هذا الكيان الكبير.

فبعد فتح الرياض الذي يعده «أكثر المؤرخين بداية التاريخ الحقيقي للدولة»[٤] ومنطلق مسيرة البناء - اتجهت أعلام التوحيد شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً ترسي دعائم الوحدة وتبسط الأمن في ربوع البلاد، وعندما «تهيأت المناطق والأقاليم للتوحيد والاندماج صدر المرسوم الملكي رقم ٢٧١٦ في ١٣٥١/٥/١٧هـ بتوحيد أجزاء المملكة، وصارت مملكة واحدة باسم «المملكة العربية السعودية» وصار اللقب الرسمي لعبد العزيز هو «ملك المملكة العربية السعودية»، ونص في المادة (٢) منه على أن يسري مفعول هذا



بقلم: د. يحيى بن محمد العطيف
كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - أبها



مؤسس المملكة الملك عبدالعزيز

التحويل ابتداء من تاريخ إعلانه، ونص في المادة (٨) على أن يوم ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١هـ الموافق اليوم الأول من الميزان هو يوم اختيار هذا التوحيد وقد ترتب على هذا التعديل اتخاذ العديد من الإجراءات وكان من بينها: تعديل النظام الأساسي للبلاد في ضوء الوحدة الجديدة، وإحداث تشكيلات إدارية جديدة، تكون اكثر انطباقاً على الحالة الراهنة، واتساقاً مع الأوضاع التي تحتاجها البلاد. وكان أهم ما تضمنته التعليمات الأساسية البنود الآتية:

- المملكة مرتبط بعضها ببعض، ارتباطاً لا يقبل التجزئة ولا الانفصال بوجه من الوجوه.

- الدولة، دولة ملكية شورية، إسلامية، مستقلة في داخليتها وخارجيتها.

- إدارة المملكة بيد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، وهو مقيد بأحكام الشرع.

- جميع أحكام المملكة، تكون منطبقة على كتاب الله، وسنة رسوله وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح[٥].

فهذه التعليمات تجمل الأسس والقواعد التي أقام عليها الملك عبد العزيز دولته ووحد أجزاءها، فهي تقوم على الالتزام بمنهج الإسلام عقيدة وشريعة، فترتكز على عقيدة التوحيد، وتجعل من الشريعة الإسلامية اساساً وإطاراً لجميع احكامها ونظمها. ومما يؤكد هذه الحقيقة قوله - رحمه الله - مخاطبا أعضاء مجلس الشورى في جلسته الافتتاحية في السابع من ربيع الأول سنة ١٣٤٩هـ، راسماً لهم المنهج الصحيح الذي يسيرون عليه: «وإنكم تعلمون أن أساس أحكامنا ونظمنا هو الشرع الإسلامي وأنتم في تلك الدائرة أحرار في سنّ كل نظام وإقرار العمل الذي ترونه موافقاً لصالح البلاد على شرط ألا يكون مخالفاً للشريعة الإسلامية، لأن العمل الذي يخالف الشرع لن يكون مفيداً لأحد، والضرر كل الضرر هو السير على



غير الأساس الذي جاء به نبينا محمد [صلى الله عليه وسلم][٦].

لقد أدرك الملك عبد العزيز أهم خصائص هذه البلاد المتمثلة في منزلتها الدينية باعتبارها مهد الإسلام وأرض الحرمين ومحط أنظار العالم الإسلامي، فعمل على إرساء تلك المكانة، فربط المنزلة السياسية للدولة بمنزلتها الدينية، فأقام الحكم فيها على شريعة الإسلام.

وبهذا استطاع الملك عبد العزيز - بعون الله وتوفيقه - أن يجدد وحدة هذه البلاد، ويعيد مجدها المبني على دعائم الإسلام ومبادئه منذ وحدتها الأولى في فجر الإسلام، ومنذ تأسيس الدولة السعودية الأولى سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م إثر ذلك الاتفاق واللقاء التاريخي الذي تم بمقتضاه تأييد الإمام محمد بن سعود (١١٣٩ - ١١٧٩هـ/ ١٧٢٦ - ١٧٦٥م) دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونصرتها والذب عنها ونشرها.

ولا غرابة أن يؤسس الملك عبد العزيز دولته ويوحدها تحت راية الإسلام وعلى أساس منه، فقد كان التدين وقوة الإيمان من أهم مميزات شخصيته «فقد كان منذ صباه ملتزماً بالتعاليم والآداب الشرعية، متمسكاً بكتاب الله، وسنة رسوله [صلى الله عليه وسلم] محكماً كتاب الله في أموره»[٧].

ويتحدث الملك فيصل - رحمه الله - عن قوة إيمانه، فيقول: «أول المزايا التي يتصف بها والدي قوة الإيمان، فما رأيته منذ نشأت قد ضعف إيمانه بالله أو تخلى عن ثقته بنصر الله»[٨].

وكان الملك عبد العزيز - رحمه الله - شديد الحرص على تطبيق الشريعة الإسلامية. يؤكد هذه الحقيقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حيث يقول بعد أن أشار الى قوة إيمانه وصلته بالله تعالى: «ويشهد التاريخ أن تطبيق الشريعة الإسلامية كان مبدأ اساسياً في حياته - رحمه الله - وكانت كلمة شرع الله تهزه عندما يطلبها خصم من خصم أو يقولها شاك في شكواه أو يطرحها أي شخص للاحتكام في أمر من الأمور، وبذلك عرفت هذه البلاد تحكيم الشريعة الإسلامية الخالدة في الدقيق والجليل، وأصبحت مثالا صادقاً في استتباب الأمن والاستقرار، فأمن الإنسان على نفسه وماله وعرضه، وأصبح المواطنون وغيرهم سواسية أمام شرع الله وحكمه، فالقوي هو الضعيف حتى يؤخذ الحق منه والضعيف هو القوي حتى يؤخذ الحق له.. وبهذه النية الصادقة والالتزام المطلق بمنهاج الشريعة نظرية وتطبيقاً، توحدت المشاعر وسادت الطمأنينة وتحققت آمال هذه البلاد في كيان حقيقي صلب، قام على وحدة القلوب والمشاعر بكل ما تحمله هذه الكلمة من قيم ومعان»[٩].

فالملك فهد - يحفظه الله - يشير في هذا النص إلى عناية الملك عبد العزيز بتطبيق أحكام الشريعة ومبادئها السامية كالعدل والمساواة، وأثر ذلك في وحدة هذه البلاد سياسياً ووجدانياً، وفي أمنها واستقرارها وازدهارها.

وتتمثل الأسس الكبرى التي قامت عليها الدولة السعودية ووحدتها السياسية في ثمانية أصول هي: عقيدة التوحيد، وشريعة الإسلام، وحمل الدعوة الإسلامية ونشرها، وإيجاد بيئة عامة صحيحة صالحة تعين على الاستقامة والصلاح، وتحقيق الوحدة الإيمانية التي هي أساس الوحدة السياسية والاجتماعية والجغرافية، والأخذ بأسباب التقدم والنهضة الشاملة، وتحقيق الشورى، والدفاع عن الدين والمقدسات والوطن والمواطنين والدولة[١٠].

ولا ريب في أن تأسيس المملكة وقيامها على تلك الأسس والأصول قد حقق لها «كل مقومات الوحدة وركائزها التى ينشدها أبناء هذه البلاد من استقرار اجتماعي وفكري وسياسي وتحقيق العدل والنظام وتأمين السبل وتطبيق شريعة الله فكان لذلك أثره في استقرار الأوضاع في شبه الجزيرة العربية»[١١].

وإذا كانت وحدة الدين عاملا رئيساً في تأسيس المملكة وتوحيدها وصفة مشتركة تجمع بين أبناء هذه

البلاد، فإن هناك صفات مشتركة أخرى تجمع بين أجزاء هذا الوطن أسهمت في تعميق وترسيخ الوحدة الوطنية تتمثل في وحدة اللغة والأرض والتاريخ والعادات والتقاليد.

هذا ولم يقف الملك عبد العزيز - رحمه الله - عند تأسيس دولته وتوحيد أجزائها فحسب بل تجاوز ذلك إلى ميادين واسعة وآفاق رحبة من التنمية والبناء. فبعد أن أرسى دعائم الوحدة والأمن والاستقرار في ربوع البلاد اتجه لبناء الوطن وتنميته وتطويره في الميادين العلمية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية[١٢]، فوضع بذلك أسس نهضة حضارية شاملة تستهدف خير المواطن السعودي وسعادته. وخلفه أبناؤه الكرام المخلصون فساروا على نهج المؤسس القائد فشادوا فوق ذلك الأساس حضارة شامخة البنيان تواصلت جهودهم في وضع لبناتها في كافة الميادين حتى بلغت ذروتها في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وهي نهضة حضارية متميزة تجمع بين الأصالة والمعاصرة بين المادة والروح في مزيج متفاعل متناغم، محققة التوازن بين التطور الحضاري وبين الالتزام بمنهج الإسلام وقيمه السامية، وتتمثل في المنجزات الوطنية والمكتسبات الحضارية ، ومظاهر الرقي العلمي والفني والاجتماعي .. التي تنعم بها بلادنا وتتفيأ ظلالها.

وبعد: فإذا كنا نحتفي اليوم بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ، وإذا كان ما تشهده بلادنا اليوم من نهضة وتطور[١٣] يعد ثمرة مرحلة التأسيس والتوحيد ونتيجة التخطيط العلمي المتواصل، فما موقفنا اليوم من هذه المنجزات والمكتسبات الوطنية والحضارية؟.

أقول بإيجاز: إذا كان الرعيل الأول من الآباء والأجداد المعاصرين لحركة التأسيس والتوحيد قد التفوا حول المؤسس القائد، في سبيل تأسيس هذا الكيان الكبير وتوحيده ونهضته؛ فإن مسئولية الأبناء والأحفاد في اليوم وفي الغد مسئولية كبيرة، تتلخص في المحافظة على هذه المنجزات والمكتسبات وتنميتها وتطويرها والإضافة إليها، وهذا إنما يتأتى بالعلم وبالعمل الجاد المثمر، وأبناء هذا الوطن العزيز جديرون بحمل هذه الأمانة، وأداء هذه الرسالة:

وهل ينبت الخطيّ إلا وشيجه

وتغرس إلا في منابتها النخل

الهوامش:

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) المسند: أحمد بن حنبل، تركيا ١٩٨٨، المكتب الإسلامي، بيروت، جـ ٤ /٢٧٨.

(٣) انظر: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز: خير الدين الزركلي، جـ ١/ ٥٨، جـ ٤/ ١٤٣٧، والوجيز في سيرة الملك عبد العزيز: الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط (٢)، (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م)، ص ٩، ١٠؛ والدعوة في عهد الملك عبد العزيز: د. محمد بن ناصر الشثري، الرياض، ط (١)، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، جـ ٥٤/١، ٩٤.

(٤، ٥) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز: جـ ٧٨/١، ٨٩، ٩٠، وانظر: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز؛ جـ ١/ ٣٥٤.

(٦) توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية: عبد الله بن حمد الحقيل، الرياض، ط (١)، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) ص ١٢٣.

(٧) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز: جـ/٦٤.

(٨) من حياة الملك عبد العزيز: عبد العزيز الأحيدب، الرياض، ط (١) ، (١٣٩٩هـ)، ص ٣٧، ٤٣.

(٩) مجلة الدارة، الرياض، العدد (٤) سنة ١٤٠٦هـ.

(١٠) انظر: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز: جـ ١١٢/١، ١١٣.

(١١) توحيد المملكة وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية: ص ٢٤٥.

(١٢) انظر: المرجع السابق، ص ٦٣ وما بعدها.

(١٣) راجع في مظاهر النهضة الحديثة: الفصل الرابع من المرجع السابق ص ١٨٣ وما بعدها.



المكتبات .. في عهد الملك عبد العزيز

منذ أن دخل الملك عبد العزيز الرياض في الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ الموافق ١٩٠٢/١/١٥م وحتى وفاته رحمه الله سنة ١٣٧٣هـ والمملكة العربية السعودية تحت رعايته وحكمه تشهد تطورا هائلا مذهلا في شتى المجالات الإدارية والعلمية والأدبية والطبية وغيرها. وبعد أن أرسى الملك عبد العزيز طيب الله ثراه دعائم الوحدة السياسية للبلاد وجه رحمه الله همه لتنمية البلاد وتطوير الموارد وراحة المواطن والمقيم حتى صار شخصية عالمية تناولها الكثير من الكتاب والمؤلفين بالاطراء والتمجيد والاعجاب.

ويطيب لنا في هذا المقام أن نتحدث عن صورة حضارية مشرفة عن الحياة العلمية والفكرية في عهد الملك عبد العزيز وهي التى تتمثل في المكتبات فى عهده، التى كانت من أهم روافد الحركة العلمية والأدبية التى تطورت بعد ذلك تطورا مذهلا أذهل الباحثين والمؤرخين.

ففي مكة المكرمة عدة مكتبات منها:

١ ـ مكتبة الحرم المكى ويرجع إنشاء هذه المكتبة إلى عهد السلطان العثمانى عبد المجيد رحمه الله الذى أرسل مجموعة نفيسة من مكتبته تحتوى على ٣٦٥٣ كتابا. وفي السيل الكبير الذى وقع بمكة سنة ١٢٧٨هـ دخل السيل إلى المكتبة وأتلف عددا من هذه الكتب فما كان من السلطان عبد المجيد إلا أمر ببناء مكتبة لهذه الكتب ومات رحمه الله قبل أن يرى المشروع النور.

وفي سنة ١٢٩٩هـ خصصت القبة الواقعة قرب باب الدريبة لحفظ الكتب. وفي سنة ١٣٤٦هـ نقلت مكتبة كان قد وقفها والى الحجاز محمد رشدى باشا الشروانى المتوفى سنة ١٢٩٢هـ وعدد كتبها ١٣٦٢ كتابا من المدرسة الواقعة عن يمين الخارج من باب أم هانىء إلى المكتبة التى أصبح اسمها سنة ١٣٥٧هـ مكتبة الحرم المكى.

وفي سنة ١٣٧٢هـ أهدى الشيخ عبد الوهاب الدهلوى مكتبة والده المرحوم الشيخ عبد الستار الدهلوى المتوفى سنة ١٣٥٥هـ التى تحتوى على ١٧١٤ كتابا منها تواريخ مكة المكرمة.

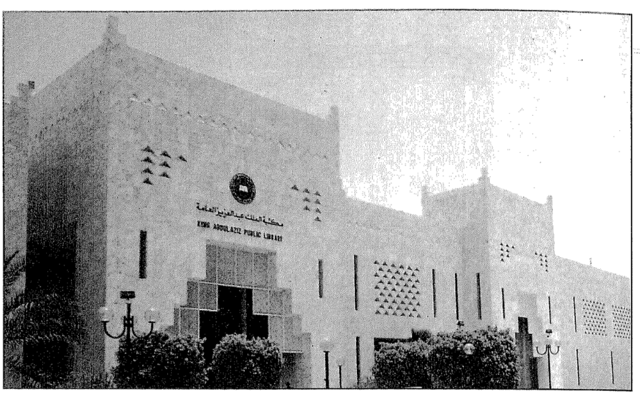
٢ ـ مكتبة الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار وقد زرتها كثيرا عندما كنت أزور صديقى المرحوم أحمد عبد الغفور عطار وقد أفنى حياته وجهده وماله في جمعها وتقديري الخاص لها أنها تحتوى على حوالى عشرين ألف كتاب من أجود ما أخرجته المكتبة العربية. وكان كثير العناية بها حريصا كل الحرص ألا يفوته مرجع أو مصدر هام.

٣ ـ مكتبة مدرسة الفلاح بمكة المكرمة: وقد اطلعت عندما كنت طالبا على معظم محتوياتها وأهم مقتنياتها النثر والشعر السعوديان في عصر الملك عبد العزيز وتحتوى على عدة آلاف كتاب.

٤ ـ مكتبة المدرسة الصولتية وقد زرتها في الثمانينيات الهجرية من القرن الماضى.. ومن المكتبات في جدة مكتبة الشيخ محمد حسين



بقلم : د. طاهر تونسي
جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة



مكتبة الملك عبد العزيز

نصيف التى آلت إلى مكتبة جامعة الملك عبد العزيز.

والمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم تحتوى على عدد هائل من المكتبات أهمها:

١ ـ مكتبة عارف حكمة (أو حكمت على طريقة الأتراك في الرسم) وقد تأسست سنة ١٢٧٠هـ وقد وقف عليها من الكتب العربية والتركية والفارسية ٥١٣٥ مجلدا وقد أشار محمد لبيب البتنوى في رحلته التى طبعها سنة ١٣٢٧هـ أى من حوالى أربعين عاما من تأسيس المكتبة وقال عنها «إنها آية في نظافة مكانها وحسن تنسيقها وترتيب كتبها».

وقد آلت هذه الأيام مكتبة عارف حكمة الى مكتبة الملك عبد العزيز.

٢ ـ مكتبة عالم الاسلام العظيم الشيخ عمر حمدان رحمه الله: وهو عالم الاسلام ومحدث الحرمين الشريفين الشيخ عمر بن حمدان المحرسى رحمه الله الذى تخرج على يديه مئات العلماء ومنهم الشيخ محمد نور سيف والسيد أمين كتبى والسيد علوى مالكى والشيخ يحي أمان المكى والشيخ حسن شاط والشيخ عبد الفتاح راوه. والشيخ عمر بن حمدان آية في الذكاء والحافظة والاطلاع وقد توفى في عهد الملك المؤسس سنة ١٣٦٩هـ وقد كان يدرس رحمه الله في الحرم الشريف بمكة. وبالحرم النبوى وقد كانت مكتبته من أعظم المكتبات في عهد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه وكانت بمدينة الرسول [صلى الله عليه وسلم].

وفي مدينة الرياض عدة مكتبات اشتهرت في عهد الملك عبد العزيز:

١ ـ مكتبة القصر الملكى يقول الاستاذ خير الدين الزركلى «فكان من المكتبات الخاصة بها مكتبة القصر الملكى بما جمعه آل سعود الأولون وما أضيف اليها في عهد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه.

٢ ـ مكتبة الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الفيصل.

٣ ـ المكتبة السعودية العامة: يقول الاستاذ خير الدين الزركلى.. وفي أوائل سنة ١٣٧٢هـ افتتحت في الرياض «المكتبة السعودية العامة» ، وقد بنيت لها دار أثثت تأثيثا حسنا ونقل اليها بعض ما في المكتبات الخاصة وظفرت فيما صورته عنها، بخطوط عدد من المؤلفين النجديين وغيرهم.

وفي نهاية هذه الكلمة عن المكتبات في عهد الملك عبد العزيز لا يفوتنا أن نذكر أن هذه المكتبات في معظمها قد نمت، وزاد عدد المكتبات في المملكة العربية السعودية بعد ذلك حتى عُدَّتْ المملكة العربية السعودية الآن وبحمد الله وتوفيقه من أعظم البلدان ثراء بالكتاب والمخطوطة.

١١٥

سحر خليفة

وصافة نابلس وربابتها



رسالة من العقاد .. الى السيدة الجميلة

زيت الزيتون
استعمالاته .. وفوائده الطبية

المرأة والبيئة

هل هناك حلول

أوراق زوجية

مجلة شهرية ذات أداء متخصص تخاطب عقل المرأة ووجدانها

زيت الزيتون

استعمالاته .. وفوائده الطبية

تعتبر شجرة الزيتون من أقدم النباتات التي عرفها الانسان منذ فجر التاريخ، وغرسها، واستفاد من ثمارها، واستوقد حطبها، واستخرج زيتها، واستضاء به، واستعمله في الأكل والدواء.

ورد ذكرها في كتابات صينية قبل (٥٠٠٠) سنة، وذكرت كثيراً في التوراة وفي الانجيل، وفي المخطوطات الفرعونية والاغريقية والرومانية، وفي سفر القضاة، ويعتقد البعض أن الفينيقيين هم أول من عمل على نشر هذه الشجرة في العالم، وتؤكد المصادر أن فلسطين كانت تصدر الزيتون الى مصر القديمة.

وذكرت شجرة الزيتون في الشعر العربي، وفي السُّنة النبوية، كما جاء ذكره في القرآن الكريم في موضع تكريم واحتفاء.. إنَّ هذه الشواهد تدلل على مدى أهمية هذه الشجرة، وتكريم الرسالات السماوية لها، ادراكاً لأهميتها التغذوية والبايولوجية بالنسبة للانسان.

فما هي شجرة الزيتون؟ وما هو موقعها في كتاب الله وفي السُّنة النبوية؟ وعلى ماذا تحتوي؟ وما هي استعمالاتها وفوائدها الطبية قديماً وحديثاً؟.

«الزيتون» شجر مثمر زيتي من الفصيلة الزيتونية، وثمرة الزيتون وحيدة البذرة، وجلدتها لامعة خضراء، وتتحول الى أسود أرجواني عند النضج، ولا يوجد أي اختلاف بين الزيتون الأخضر والأسود، فكل أنواع الزيتون تكون خضراء أولا ثم تتحول الى سوداء حينما يكتمل نضجها، ويستخرج من هذه الثمار الزيت الذى يستعمل في الأكل، كما يستفاد من الثمار الخضر في الأكل بعد نقعها في الماء مع الملح والليمون والفلفل الحار، حتى تزول منها المادة المرّة وتصبح طرية قابلة للأكل.

وتمتاز شجرة الزيتون بطول عمرها، ولهذا فليس من العجب أبداً أن نجد اشجار زيتون عمرها يزيد على (٦٠٠) سنة في فلسطين، ويمكن للشجرة الواحدة أن تعطي من ١٥ ـ ٢٠ كيلو جرام من الزيتون في العام الواحد، وتعتبر أهم البلدان المنتجة للزيتون هي:

اسبانيا، ايطاليا، اليونان، تركيا، تونس، البرتغال، المغرب، سوريا، الجزائر، الأرجنتين، فرنسا، أمريكا، فلسطين.

محتويات الزيتون:

يحتوي الزيتون على ٨٥٪ من الأملاح المعدنية: (الفسفور، الكبريت، البوتاسيوم، المغنيزيوم، الكالسيوم، الحديد، النحاس، الكلور). وقليل من البروتين، ومعظم الفيتامينات (أ، ب، جـ، د) وتعطي المئة جرام منه (٢٢٤) حرورياً.

مواصفات زيت الزيتون:

«الزيت من الزيتون المعدود من أفضل الأغذية، وله

بقلم : نائلة عثمان العيم
ـ الاردن ـ



*** كرمته الرسالات السماوية.. ادراكاً لأهميته التغذوية**

*** قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «ائتدموا بالزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة»**

فوائد طبية أكثرها في زيته، ويستخرج الزيت من لحمة الزيتون».

أما الزيت الذي يستخرج من بذره فيستعمل في المعامل، مع العلم أن الزيتون الناضج يعطي زيتاً أصفر اللون، حلو المذاق، قليل الحدة، والزيتون غير الناضج يعطي زيتاً أخضر اللون، مشرباً بالحموضة، ان أشعل الزيت فنوره وضّاح منير، وإن وضع بقوارير محكمة الاغلاق ـ حفظ عدة سنين دون أن يتغير لونه.

رأي ابن قيم الجوزية في الزيتون:

قال الطبيب العربي ابن قيم الجوزية: الزيت حار رطب والزيت بحسب زيتونه، فالمعتصر من النضيج أعدله وأجوده، ومن الفج فيه برودة ويبوسة، ومن الزيتون الأحمر متوسط الزيت بين الزيتين، ومن الأسود يسخن ويرطب باعتدال، وينفع من السموم، ويطلق البطن، ويخرج الدود، والعتيق منه أشد تسخيناً وتحليلا، وما استخرج منه بالماء فهو أقل حرارة وألطف، وأبلغ في النفع، وجميع أصنافه ملينة للبشرة وتبطيء الشيب».

الزيتون في السُّنة النبوية المباركة:

في الترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي {صلى الله عليه وسلم}، أنه قال: «كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «ائتدموا بالزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة».

الزيتون في القرآن الكريم:

جاء ذكر الزيتون في القرآن الكريم في ستة مواضع هي:

* في قوله تعالى: {فأنبتنا فيها حباً، وعنباً وقضباً، وزيتوناً ونخلا}.

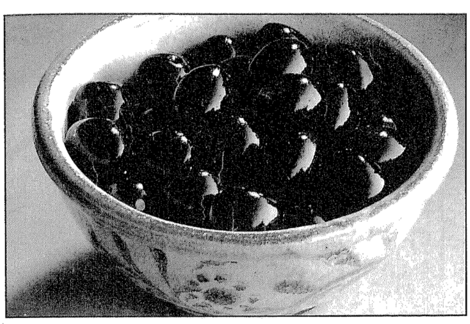
* وقوله تعالى: {ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات}.

* وقوله تعالى: {وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه}.

* وقوله تعالى: {والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمال متشابهاً وغير متشابه}.

* وقوله تعالى: {يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار}.

* وقوله تعالى: {والتين والزيتون وطور سينين}.



والله سبحانه وتعالى أقسم بالتين والزيتون. قال المفسرون: التين والزيتون اسم لهذين المأكولين، وفيهما هذه المنافع الجليلة، وقيل هما جبلان من الأرض المقدسة، فالجبل المختص بالتين لعيسى عليه السلام، والزيتون بالشام مبعث أكثر أنبياء بني اسرائيل، والطور مبعث موسى عليه السلام، والبلد الأمين مبعث محمد {صلى الله عليه وسلم} فيكون المراد من القسم في الحقيقة تعظيم الأنبياء واعلاء درجاتهم.

الزيتون في الطب القديم:

«أثنى الأطباء القدماء كثيراً على الزيتون وزيته وورقه وأجزائه الأخرى ومما جاء في أقوالهم:

- زيت الزيتون يجوِّد الشهوة للطعام، ويقوي المعدة، ويفتح السدد، ويحسن الألوان.
- زيت الزيتون المحلَّى بالكلس هاضم ويسمِّن ويقوي الأعضاء، وهو صالح للبلغميين والمرطوبين.
- الاكثار منه يولد السوداء ويهزل البدن، وربما ولَّد الحكَّة والجرب.
- يوقف السعال ويقطع الربو إذا حرق نوى الزيتون وبُخِّر به بعد ذلك الشخص المصاب.
- اذا ضُمِّدت الاظفار البرصة بلب النوى، قطع برصها وأصلحها اصلاحاً قوياً.
- اذا حرقت قضبان الزيتون، فانه ينتج عنها سائل نتيجة الرطوبة. هذا السائل يعتبر كحل جيد للدمعة والسيل ورخاوة الأجفان.
- ينفع الصداع المزمن والشقيقة والدوار. وذلك بطبخ أي جزء منه، وطلي الرأس به.
- تستخدم الأوراق في علاج ضغط الدم المرتفع وعلاج الاسهال وذلك بوضع ٣٠ جراماً من أوراق الزيتون في نصف لتر ماء، وتُغلى لمدة ١٠ دقائق ثم تصفَّى ويشرب المريض منها ستة أكواب في اليوم.
- ورق الزيتون اذا مضغ أذهب فساد اللثة والقلاع وأورام الحلق.
- اذا دُقَّ وضُمِّد بمائه أو بعصارته منع الحمرة والنملة والقروح والأورام، وختم الجرح.
- اذا دُقت الأوراق والأطراق الغضة ووضعت فوق العُرقوب بأربعة أصابع - من الجانب الوحشي - حتى يقرح جذب ما في عرق النَّسَا وأبرأه.
- ان طبخ ورق الزيتون بالشراب حتى يتهرى سكن النقرس والمفاصل طلاء.
- ان طبخ ورق الزيتون بماء الحصرم حتى يصبح كالمرهم قلع الأسنان طلاء بلا آلة.
- اذا حقن بعصارته أذهب قروح الأمعاء والمعدة.
- ان طبخت أجزاؤه كلها بماء الصَّبر والكُرَّات حتى تمتزج كانت دواء مجرباً لأمراض الباسور.
- اذا مزج رماد ورق الزيتون بالعسل يذهب الثعلبة والحبَّة والسفعة.
- كما يستعمل الصمغ الذي يخرج من شجرة

الزيتون في معالجة الجراح والأسنان المتآكلة ويعمل على قطع السعال المزمن والخُراج البلغمي.

الزيتون واستعمالاته في الطب:

- له دور كبير في رفع مناعة الجسم للأمراض، لاحتوائه على فيتامين (أ) الذي يقوي المناعة.
- يساهم في وقاية الأطفال من الكساح ولين العظام بسبب احتوائه على فيتامين (د).
- يساهم في نمو الدماغ بالنسبة للأطفال الذين يحتاجون الى توفر حامض (اللينولييك واللينولينيك)، وهما من الأحماض الدهنية الأساسية في غذاء وجبة الأم الحامل سواء في طور الحمل أو بعد الولادة بنسبة ١/٦، وهي نسبة مثالية متوفرة في زيت الزيتون، كما أن هذه النسبة يجب أن توضع في نظر الاعتبار حتى بالنسبة للرجل الناضج.
- يحتوي على فيتامين (أ) الفيتامين المخصب والمقوي للنسل.
- لا يرسب المواد الدهنية على جدر الشرايين والتي تسمى بالكولسترول.
- ينظف الكبد وينشط افراز الصفراء التي تلعب دوراً مهماً في هضم الدهون.
- مفتت للحصى. ويستعمل في هذه الحالة - من الداخل - بتناول ملعقة الى ملعقتين من الزيت مرة في الصباح ومرة قبل النوم، ويمكن اضافة عصير الليمون إليه.
- يكسب الجلد ليونة ومرونة من خلال استخدام الصابون الذي يدخل في تركيبته الزيت، وهذا الصابون يعتبر من أفضل أنواع الصابون للجسم.
- يفيد في الوقاية من السموم، فاذا أخذ فنجان زيت يحدث في المعدة طبقة تحول دون امتصاص السموم.
- يفيد في وقف سقوط الشعر، بحيث تفرك جلدة الرأس بزيت الزيتون مساء، لمدة عشرة أيام وتعطى ليلا، وتغسل في الصباح.
- يفيد في معالجة النقرس وذلك بنقع كمية من زهور البابونج اليابسة في زيت الزيتون وتنشر في الشمس أربعة أيام. بعد ذلك تفرك بها مواضع الألم.
- يقي من الاصابة بالامساك ويمنع تكاثر الحموضة في المعدة ولا يسبب أضراراً للدورة الدموية.
- لعلاج تشقيق الأيدي والأرجل من البرد، بحيث تدهن بمزيج من زيت الزيتون والغليسيرين (مقدارين متساويين).
- طارد للديدان، فإذا جاع الشخص ثلاثة أيام ثم شرب الزيت، فإنه يعمل على طرد البكتيريا والجراثيم والديدان.
- للعناية بجلد الوجه والجسم والخراجات والدمامل والبثور، بحيث توضع عليها كمادات من الزيتون الناضج المهروس.

*** يحتوي على معظم الفيتامينات.. وتعطي ال (١٠٠) جم منه (٢٢٤) سُعْراً حراريا**

*** زيت الزيتون وراء ندرة مرض شرايين القلب التاجية في حوض البحر المتوسط**

*** زيت الزيتون: يعمل على خفض ضغط الدم**

*** زيت الزيتون: يعمل على خفض نسبة السكر في الدم**

*** علماء التغذية: ننصح بضرورة استخدام زيت الزيتون في عملية الطهي لمختلف الأطعمة**

- يستعمل ضد تشنج المعدة والأمعاء والقولنج والنزلات وذلك بدلك المكان دلكاً قوياً.

- يستعمل لمعالجة (الروماتيزما) والتهاب الأعصاب والتواء المفصل، وذلك بعمل مرهم من رأس ثوم يبشر في (٢٠٠) جرام من زيت الزيتون وبعد نقعه بيومين أو ثلاثة يفرك به مكان الوجع عدة مرات.

- يستعمل ورق الزيتون المغلي لخفض ضغط الدم العالي ولعلاج الاسهال، وذلك بوضع (٣٠) جراماً من أوراق الزيتون في نصف لتر ماء وتغلى لمدة (١٠) دقائق ثم تصفى ويشرب بعد ذلك المريض منها ستة أكواب في اليوم.

رأي الأطباء الغربيين بالزيت:

لكن ماذا يقول أطباء الغرب عن زيت الزيتون؟

لخص الدكتور (تريفسيلد) من جامعة (نيويورك) فوائد زيت الزيتون في بحث نشر في مجلة (جاما) الأمريكية الشهيرة عام ١٩٩٠، بالقول: «لقد أكدت الدراسات الحديثة التأثيرات المفيدة لزيت الزيتون في أمراض شرايين القلب، ورغم أن البحث قد تركز أساساً على دهون الدم، الا أن عدداً من الدراسات العلمية قد أشارت الى فوائد زيت الزيتون عند مرضى السكري والمصابين بارتفاع ضغط الدم».

وقد أظهرت دراسة أخرى نشرت في نفس المجلة وفي نفس العام تؤكد أن مستوى ضغط الدم، وسكر الدم، والكولسترول كان أقل عند الذين كانوا يكثرون من تناول زيت الزيتون، وقد أجريت تلك الدراسة على أكثر من مائة الف شخص.

زيت الزيتون وارتفاع ضغط الدم:

كما أجرى الدكتور (ويليامز) من جامعة (ستانفورد) الأمريكية دراسة على (٧٦) شخصاً غير مصاب بأية أمراض قلبية لمعرفة تأثير الزيتون على ضغط الدم، فوجد أن ضغط الدم قد انخفض بشكل واضح عند الذين تناولوا زيت الزيتون في غذائهم اليومي، وكان انخفاض ضغط الدم أشد وضوحاً عند الذين تناولوا (٤٠) جراماً من زيت الزيتون يومياً.

زيت الزيتون ومرض السكر:

وأوصى (الاتحاد الأمريكي لمرضى السكر) المصابين بمرض السكر بتناول حمية تعطى فيها الدهون بنسبة (٣٠٪) من الحريرات على ألا تتجاوز نسبة الدهون المشبعة (كالدهون الحيوانية) عن (١٠٪) وأن تكون باقي الدهون على شكل زيت زيتون وزيت ذرة، أو زيت دوار عباد الشمس.

أهمية زيت الزيتون في الطهي:

لقد دهش الباحثون حديثاً حينما اكتشفوا أن سكان جزيرة «كريت» في البحر المتوسط، هم أقل الناس اصابة بأمراض القلب والسرطان في العالم أجمع.

ودهشوا أكثر حينما عرفوا أن أهالي جزيرة «كريت» يستهلكون زيت الزيتون أكثر من أي شعب آخر. فحوالي (٣٢٪) من السعرات الحرارية التي يتناولونها يومياً تأتي من زيت الزيتون.

وبناء على ذلك اقترحت لجنة الاستقصاءات عن التغذية والاحتياجات الانسانية في مجلس الشيوخ الأمريكي وجبة مثالية شبيهة بالتي يتناولها سكان حوض البحر المتوسط في الماضي القريب. وفعلا كانوا يستهلكون كاربوهيدرات مركبة كثيرة ولحماً قليلا وكثيراً من زيت النبات المكون من زيت الزيتون تقريباً.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور (أهرنس) من جامعة (كوفلر) بنيويورك: «إننا ندرك تماماً أن استعمال سكان حوض البحر المتوسط لزيت الزيتون كمصدر أساسي للدهون في الغذاء هو السبب وراء ندرة مرض شرايين القلب التاجية عندهم.

وينبه الدكتور (ويليام كاستللي) مدير دراسة فرامنجهام الشهيرة الى فوائد استعمال زيت الزيتون في حوض البحر المتوسط فيقول: «رغم أن الناس في حوض البحر المتوسط يتناولون بعض الدهون المشبعة (السيئة) المتوافرة في لحم الخروف والقشدة والسمن والجبن، الا أنهم يستعملون زيت الزيتون بشكل رئيسي في طهي الطعام، وهذا ما يجعل امراض شرايين القلب التاجية قليلة الحدوث عندهم».

ويقول أيضاً «أفضل طريقة لطهي الطعام وتحضير المأكولات هي باستعمال زيت الزيتون بشكل أساسي، واستعمال كميات قليلة من زيت الذرة أو دوار (عباد الشمس)، فالجسم لا يحتاج إلا الى كميات قليلة من النوعين الأخيرين».

لذلك يطمئن الدكتور (كاستللي) الذين يستعملون زيت الزيتون ويقول:

«إن هناك زيتاً وحيداً يتمتع بأطول سجل من سلامة الاستعمال في التاريخ هو زيت الزيتون، فلقد تناول زيت الزيتون أجيال وأجيال، وامتاز هؤلاء بصحة الأبدان، وندرة جلطة القلب عندهم، وهذا السجل الحافل بمآثر زيت الزيتون يجعلنا نطمئن لاستعماله، ونُقبل عليه بشغف كبير».

نصيحة علماء التغذية:

وقد نصحت مجموعة من علماء التغذية في الولايات المتحدة الأمريكية بضرورة استخدام زيت الزيتون في عملية الطهي لمختلف الأطعمة، بدلا من السمن الطبيعي أو الصناعي. وأوضح تقرير أعدته هذه المجموعة من العلماء أن «استعمال الزبدة في الطهي يؤدي الى الاصابة بأمراض القلب المختلفة، كما أن الطهي بالسمن الصناعي يؤدي الى الاصابة بمرض السرطان».

مزيداً من الاهتمام بهذه الشجرة:

هذه هي شجرة الزيتون التي كرّمتها الرسالات السماوية والتي وصفها الله تعالى في سورة النور (آية ٣٥) بأنها «شجرة مباركة» لذلك جاء اهتمام الانسان بها ادراكاً لأهميتها وتركيبتها الغذائية، لذلك لفتت انتباه الأطباء والباحثين في عصرنا الحاضر بأنها ستكون الحل العلمي الناجح في القرن الواحد والعشرين لمشكلة أمراض الحضارة باعتبار زيتها الأنسب للتغذية الانسانية وللوقاية من الأمراض التي أفرزتها حضارة القرن العشرين.

وأخيراً نطالب وزارة الزراعة الفلسطينية بتوعية الناس برعاية هذه الشجرة والاهتمام بها، وحثهم على استثمار المزيد من الأراضي غير المزروعة بزراعتها بأشجار الزيتون.

فالشجرة مباركة.. وفي زيتها المبارك دواء.. ومبارك من يزرعها.

المراجع:

* أحمد قداحة ـ قاموس الغذاء والتداوي بالنبات ـ دار النفائس ـ بيروت ط ٨ ـ ١٩٩٥.
* ابن قيم الجوزية ـ الطب النبوي.
* سنن ابن ماجة ـ صحيح الجامع الصغير ١٨.
* الآيات القرآنية من السور التالية وبالترتيب: «سورة عبس الآية ٢٧ ـ ٢٩ ، سورة النحل الآية ١١ ، سورة الأنعام الآية ٩٩ ، سورة الأنعام الآية ١٤١ ، سورة النور الآية ٣٥ ، سورة التين الآية ١، ٢.
* تفسير الفخر الرازي ٩/٣٢.
* مجلة غذاؤنا والمستقبل ـ العدد الأول ١٩٩٣.
* مجلة العربي ـ العدد ٤١١ ـ ١٩٩٣.
* جريدة الأهرام القاهرية ٧/٨ /١٩٨٧.

حوار مع:

وصافة نابلس وربابتها .. سحر خليفة

**** متى ينتفض قلبك ؟ وما لون نبضك؟**

* حين أحب، كنت طفلة بكّاءة، ثم قساني الزمن والتجارب فصرت لا أبكي .. قليلا ما أبكي الآن لموهبة تتفتح، لا أبكي أمام المواهب التى تبوأت مكانها، أما المواهب السيئة فلا أملك أمامها إلا الشجن.

ولون نبضي أظنة أحمر قانياً، لأنى عصبية، وضعنى أهلى عند الراهبات لأكون مهذبة فنشأت في بيئة محافظة جدا.

أحب الضحك، وأحب منْ يضحكني.. حتى شخصياتى الروائية تجدها خفيفة الدم مثل «خضرة، سعدية، نزهة، والداية».. ولا أحب الشخصيات ثقيلة الدم.

**** من فتح عينيك وقلبك لكتابة الرواية؟**

* أولى رواياتى كتبتها وكان عمرى ثلاثين عاماً، كتبتها في الخفاء، هى (بعد الهزيمة)، صادرها الإسرائيليون.. كنت أقرأ لكثيرين، ديستويفسكى، تولستوى، هيمنجواى، سيمون دى بوفوار، ألبيركامي، وسارتر، في محاولة للهروب من الواقع الذى نعيشه ولا نرضى عنه، ثم تولدت عندى رغبة في أن أكتب، لم ينصحنى أحد بأن أكتب، ورحت أكتب حتى حققت وجودى بنفسي.. لم أكن أتوقع أبداً أن أصير كاتبة.

**** هل ترين روائية عربية غيرك، فيك بعض ملامحها؟**

* لا .. فالظروف التى عاشتها أى روائية عربية تختلف عني، ربما أعجب برواية أو مشهد ـ لكنى لا أحس بأنه مني، لأنها ليست تجربتى.. الجو الذى أكتب عنه مختلف تماماً ـ لأن التجربة الفلسطينية مختلفة تماماً ـ حتي ليّانه بدر حين كتبت عن تجربة الفلسطينيات في الشتات تختلف تجربتها واسلوبها ونبض الشارع ونبض شخصياتها، فالكاتب يفرز شخصيته، وهذا لا يعنى عدم إعجابي بهن.. لا، فكثيرات أعجب بهن ـ ولكن لابد أن يكون لكل كاتب شخصيته المتميزة.

**** الروائيات الفلسطينيات ـ غيرك ـ منْ؟.**

* هناك ليانه بدر في الشتات، وسحر خليفة ، وهناك كثيرات ـ ولكن لم تبرز روائية غيرى لأن كتابة الرواية أمر صعب للغاية.

**** فى أعمالك الأخيرة إدانة للمرأة الفلسطينية.. أم أنها إدانة للمجتمع كله؟**

* كانت هناك محاولة لتفسير الوضع بشكل واقعى وبدون التهويم في خيالات ورؤى مقصود فيها الإعلان عن بطولات في المجتمع الفلسطينى الذى هو جزء من المجتمع العربى، وهذه التهويمات مع أنها تبدو على السطح أنها تضفى هالة إيجابية ـ إعلامياً ـ إلا أنها تحيد الأنظار، وتحرفها عن مناقشة الموضوعات التنموية للأوضاع الاجتماعية ـ وتحديداً أنا معنية في السنوات الأخيرة في أعمالى الأخيرة بوضع المرأة، من موقف أيدولوجي يرى أنه «لا يمكن تحرير الوطن ونصفه نائم»، لا يمكن ان نسمو بانفسنا والمرأة ترسف بأغلال التقليد والتخلف الاقتصادى والاجتماعى

حوار : مجدي إبراهيم
ـ مصر ـ



سحر خليفة:

هى أهم من تناول تفاصيل الحياة داخل الأرض المحتلة، ورصدت حياة الانسان الفلسطيني اليومية فيها، من خلال رواياتها الخمس (لم نعد جوارى لكم، الصبّار، عبّاد الشمس، مذكرات امرأة غير واقعية، وباب الساحة).

وهي التي تنبأت بالانتفاضة في روايتها «عباد الشمس» في أوائل الثمانينيات، وهى التى تعتز بانتسابها الى الضفة الشرقية، وبأن مولدها في الأرض المحتلة.

درست في جامعة «بيرزيت»، وحصلت على درجة الماجستير في الأدب الأمريكي، وعلى الدكتوراه في الأدب النسائى والدراسات الإنسانية من جامعة «أيوا» الأمريكية.

ترجمت أعمالها الروائية الى العديد من اللغات العالمية.

ومازالت تعيش حتى اليوم داخل الأرض المحتلة، لم تبرح مكانها، ولم تهاجر مع من هاجروا.

والسياسى، «نزهة» تعبِّر عن عيِّنة من النساء اللاتى أطاح بهن المجتمع، لأنه غير قادر على تلبية احتياجاتهن الأساسية، إذا تتبعت طفولة نزهة من الصغر تجد أن انحرافها كان جبريا، بغير إرادتها.. بدأ جبرياً، لم تستطع المقاومة لأن شخصيتها الفطرية تفتقد إرادة المقاومة مثل شخصية «سعدية» في روايتى (عباد الشمس)، شخصيتها قادرة على المقاومة والانتاج.. وشخصية نزهة، تختلف عن شخصة سعدية، لم يكن عندها إمكانية للمقاومة والانتاج بالطريقة التى انتهجتها سعدية.

رواياتى الأخيرة، ليست إدانة للمرأة الفلسطينية بقدر ما هى تفسير لأوضاع المرأة، وإدانة للتخلف الاجتماعى الذى لا يستطيع أن ينظر إلى قضاياه التنموية بشكله الحقيقى.

«العمالة العربية في إسرائيل»

**** اتهمت بالدفاع عن العملاء، بعد رواية «الصبّار» فما دفاعك؟.**

* لا يتهمنى سوى المزايدون، أو منْ لا يدرى شيئاً عن الأوضاع الداخلية في فلسطين، لا يمكن أن أكتب رواية بدون دراسة ومسح، كنت أعتمد في أدبى على البحث الميداني.

بعد «الصبّار» اتهمت بالدفاع ـ ليس عن العملاء ـ بل عن عمالة العرب في إسرائيل، كل التنظيمات الفلسطينية والعالمية ومنظمات حقوق الإنسان، عندما تغلق اسرائيل المصانع في وجه العمال العرب يقيمونها قيامة ولا يقعدونها ويتهمون اسرائيل باضطهادهم، وكأن هذا شيء مشروع وحق طبيعى.. لم يكن ينظر إليه في البداية كحق من حقوق العمال الفلسطينيين في الصناعة الاسرائيلية، كان ينظر اليه كتهمة وعمالة وسفالة، كان يدان كنموذج لعمالة الفلسطينيين كلهم.. حين سمعت هذه التهمة في أوائل السبعينيات، وكان بهاء الدين نشر مقالا قال فيه الكثير عن عمل الفلسطينيين في الصناعة الاسرائيلية، فأحببت أن أفسر الظاهرة تفسيراً من بطن المجتمع العربي، وأخذت المجتمع الفلسطينى كعينة وأبرزت الوضع بواقعه الحقيقى لأقول للعالم العربي:

إذا أردتم رؤية المشاكل التى نعانى منها والتى تضطر عمالنا للعمل في صناعة المحتل، فأنتم عندكم نفس التركيبة الاجتماعية التى لو مررتم بنفس تجربتنا الاحتلالية لعملتم في صناعة الإسرائيليين.

أنا لا أدافع عن نفسي، أنا أضع المتهمين فى قفص الاتهام لإنهم هم المزايدون، بدلا من أن يتعلموا ممن يبذلون مجهوداً وينزلون للواقع فهم يزايدون، أنا أرجع الاتهام إليهم وأقول لهم: أنتم المزايدون، ولما

** اتهموني بالدفاع عن العملاء

** لم تبرز روائية فلسطينية غيري لهذا السبب

** لا تتغنوا بأمجاد شعبي، نحن نعاني .. لسنا أبطالا، ولا معجزات لنا

** لا يمكن تحرير الوطن، ونصفه نائم!

عرفتم صرتم تصفقون للعمل في إسرائيل، وأصبحتم تدافعون عنهم وكأنه حق مشروع.

واتهمت بإظهار الشخصيات البطولية كخلفية الرواية (باب الساحة) بينما يختفي الجانب المضيء؛ الجانب المأساوي للانتفاضة؟.

* حين نحضر مؤتمرا كعرب نهتم بالتفاصيل والهوامش، لا نأخذ لب الموضوع الذي نسلط الأضواء عليه.. ما هو وضع المرأة الفلسطينية في الانتفاضة؟ في روايتى «باب الساحة» تقوم البنت التى تعمل في جمعية بسؤال السيدات عن وضع المرأة وتسألهم عن رأيهم في الانتفاضة، ومردودها على المرأة الفلسطينية.. هذا هو محور روايتى، وضع المرأة الفلسطينية تحت الانتفاضة، حاولت أن أعطى نماذج من النساء، وأبين للقارىء كم هن مقموعات ومدُاس عليهن، إنهن «مدعوسات»، الداية مدعوسة، وسمر وأمها - حتى أم حسام البطل، ونزهة وامها كذلك، كلهن مدعوسات رغم عطائهن للوطن لم يعترف بعطائهن لإن إطار المرأة العربية لا يمنحها حيزاً يتسع لبطولتها وعطائها، وهى بهذا الإطار محددة، وتفاصيل البطولة والعطاء وكأنها تخرج من خارج الإطار فلا تظهر في الصورة.

هذا هو الوضع العربي، حاولت أن أبلور من خلال شخصية نُزهة أنه رغم استمرار الثورة الفلسطينية إلا أن هناك قصورا في فهم هذا الإطار المحجوزة فيه طاقات المرأة من حيث الإبداع والعطاء والأخذ، وما هى حقوقها وما واجباتها - حتى شخصية حسام - التى تصور المناضل الثورى في عقله إطار من القيم والتقاليد التى تحجب عنه رؤية الواقع لشعب نصفه المرأة.. وكان السؤال الذى طرحته اسرة نزهة وأمها هو أكبر محك عملى لقدرة حسام على استيعاب هذا الواقع.

«فن النكبة ، ونكبة الفن»

**** نكبتكم أفرزت جيلا عظيماً من الأدباء، ونكبتنا في مصر خلقت جيلا لامعا ومعطاء.. هل لابد من نكبات أو كوارث ليتفجر جيل جديد؟**

* لا ، لابد أن يكون هناك تزامناً ما بين الموهبة وما بين الزمن المناسب والقيام بالفعل المناسب.. على سبيل المثال، حين ظهرت جوقة الفنانين عبد الوهاب وام كلثوم وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ وفايزة أحمد.. نخبة من أحلى الأصوات ومن أرقى الموسيقى والمعانى التى استمتعنا بها طوال الستينيات وأواسط السبعينيات.. هذا الجيل راح الواحد بعد الآخر، والنكبات التى رأيناها بعد السبعينيات لا تقل عن النكبات التى قبل ذلك.. لماذا أصبحت الموسيقى الآن هابطة، ورقيعة؟ لماذا لا يوجد التجاوز حاليا؟ لماذا لا تتواجد المواهب الآن؟ وفي الأدب نجد يوسف إدريس وصنع الله ابراهيم ويحيى الطاهر عبد الله وابراهيم أصلان ويوسف القعيد وجمال الغيطانى، أعطوا ومازالوا.

**** ألا يوجد من شعراء فلسطين سوى محمود درويش وسميح القاسم؟.**

* محمود درويش هو القمة عندنا، وهناك آخرون- لكن محمود يتميز بالقوة والجزالة والتميز الشعرى على مستوى عالمي، وقد جاء في فترة يلتهم العرب فيها الشعر التهاماً. أما الآن فلم يعد للشعر نفس القداسة، وانتقل الاهتمام للرواية وأصبح القارىء يلجأ للكتب التى تفسر له الظواهر التى يعيشها.. تغير المزاج.

الشعر كان يشبعنا، لما خرجنا من مرحلة الرومانسية الفورية، وجدنا الرومانسية نزلت على

رأسنا كالزلزال وصرنا تحته ضحايا ركام من التفسيرات والأحلام والنزهات التى بلا معنى ولا وجود إلا في مخيلتنا، صار ذوق القارىء محسوساً أكثر، أصبح يطلب شيئاً مادياً يفسر له الظواهر ويغنى تجربته الإنسانية بشيء مفهوم أكثر من الهالات الشعرية التى يعطيها الشعر.

أظن أننا في هذه المرحلة كقراء وكتّاب ومواطنين عرب تجاوزنا مرحلة الشعر والرومانسية ودخلنا في مرحلة تفسير الظواهر الاجتماعية والانسانية، وفي مجال الأدب الرواية هي التى تستطيع التعبير عنها، أقدر من أى فن أدبى آخر، تصور وتفسر، وفيها لمسات شعرية أيضاً.

حين تسألنى عن محمود درويش وسميح القاسم، ولماذا تصدَّرا الأدب الفلسطينى في الستينيات، أقول لك أن المزاج آنذاك كان شعرياً وبطولياً ورومانسياً، محمود أقوى، الكل يؤمن بهذا - وأنا شخصياً لا أقرأ الشعر، طلقته منذ سنين، أفضل أن أقرأ مقالا يفسر لى الأمور أو يشحننى.

الثورات تشحن الأفكار بالمخيلة وبتجاوز الواقع، والأفكار الثورية تعطى دفعة، إنما وجود الموهبة التى تلتقط هذا الإشعاع يعتمد على الطبيعة والامكانيات المتوفرة لدى هذه الموهبة في أنها تتصادم مع الواقع وتبرز، لأن الشخصية هنا ليست صدامية لتبرز رغم كل العوائق، أتذكر أنهم كانوا يقولون عن عبد الوهاب وعبد الحليم أنهما ليسا موهوبين فقط - بل أذكياء، يعرفان نبض السوق، من أين تؤكل الكتف على الصعيد التجارى وعلى صعيد الذوق، فلا يكفى عند الفنان أن يكون موهوباً - لابد أيضاً من الامكانيات ليدفع نفسه بنفسه - لابد من توافر عدة عناصر لتبرز الموهبة، الموهبة الفطرية، الظرف الزماني والمكاني.

«لا تلقوا بعجزكم على ظهورنا»

**** والأوضاع الآن داخل الأرض المحتلة؟..**

* صعبة وسيئة جدا، وأمقت الإعلام المزيف عن بطولات الشعوب اللانهائية، أمقتها وأعتبرها هروباً من الاعلاميين لإسقاط همومهم على حفنة الشعب الفلسطينى تحت الاحتلال، ويتوقعون منه المعجزات سنة وراء سنة، أكره المؤتمرات العربية التى نُدعى إليها وأهزأ بها، نأتى إليها لنمثل الداخل ونسمع أمجاداً عن أعمالنا البطولية الخارقة بدلا من أن نتحدث عن مآسينا، وهزائمنا بينما هم يتغنون بأمجادنا.. إننا نعاني، نحن لسنا أبطالا ولا معجزات لنا.. أقول لهم:

- انكم تلقون بعجزكم على ظهورنا لنحرر أنفسنا ونحرركم، أنا أسخر من مواقف كهذه.



- محمود درويش



- ليّانة بدر

طالما أنكم تلبسوننا هالات وعباءات أكبر منا، وتلبسون كل الشهداء انجازات أكثر مما قدروا على تحقيقها، كل هذا لا يخدم شيئاً، هو يخدمنا في الهروب من واقعنا، ويزيد مآسينا وعجزنا، ولا يتسبب إلا في مزيد من المواجع والتراجع عن التنمية، لابد أن نضع أصابعنا على الوجع ونقول هذا خطأ، وعلينا أن نردم الخطأ.

**** مم تخافين؟ متى يتسرب الخوف إلى داخلك؟**

* أخاف من الشوارع الخالية ومن الأماكن المظلمة التى لا أعرفها، أخاف من صوت الرصاص حين يطلع فجأة أو صوت إنفجار رغم أنه بحياتنا دائماً.

ولا أعرف أن أكتب إلا في بلدى، لم أفكر في الخروج مع منْ خرجوا، لا أحب أن أموت سوى في بلدي.

عيادة المريض في الشعر العربي القديم

كانت للعرب في جاهليتهم جوانب خلقية سامية ظهرت جلية من خلال تراثهم الشعري؛ فهم أمة أبية وغيورة، ترفض الضيم، وتنصر المظلوم، وتنجد المستجير، وتحسن الجوار، تمتع أبناؤها بالشجاعة والكرم والأمانة والوفاء والحلم والحكمة، ومع كل ذلك لا نجد في تراثهم الشعري هذا ما يتصل بعيادة المريض.

ولما جاء الإسلام ذلك الدين القيم ليتمم مكارم الأخلاق حث على زيارة المريض لما تضفيه على نفسيته من أثر طيب فهي تشعره بمشاركة من حوله وجدانياً له، ومن ثم فهي ترفع من معنوياته وتشد من أزره وتخفف من معاناته، فقد ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم! مرضت فلم تعدني. قال: يارب! كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين. قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده. أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده»[1]، وقد ورد في صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال: «أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني»[2]، وغير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة.

ونظراً لما تحدثه العيادة من ذلك الأثر النفسي الطيب فقد عبر الشعراء عن ذلك في أشعارهم فيرى مهيار الديلمي (٠٠٠ ـ ٤٢٨هـ) أن أحد عائديه في أثناء مرضه كان شفاء له من دائه حتى أنه بمجرد ظهور وجهه الحسن ظهر العبوس في وجه المرض استعداداً للرحيل، وهكذا يكون بعض الزائرين أطباء يقول[3]:

فكنت لداء جئتني منه عائداً
شفاء وبعضُ العائدين طبيبُ
ولمّا جلا لي حُسنُ وجهك بِشْرَه
تبيّن في وجه السَّقام قُطُوبُ

ويرى صفي الدين الحلّي (٦٧٧ ـ ٧٥٠هـ) أن زيارة رئيس له في أثناء مرضه قد أعادت له الروح بعد أن يئس الناس من شفائه وعدّوه في عِداد الموتى يقول[4]:

أعدْتَ لي الرُّوح، إذ زرتني
وقد يئس النَّاسُ من رجعتي

ولقد نسج الشعراء أرق الأبيات لمواساة مرضاهم والتخفيف من آلامهم فها هو ذا البحتري (٢٠٦ ـ ٢٨٦هـ) يواسي إبراهيم بن المدبِّر في مرضه ويذكر أن المرض لا يؤثر في الكرام، فشجرة الأراكة اللينة الطويلة الساق الطيبة الرائحة لا تخشى الرياح الحارة، والحُمّى لا تصيب إلا الصفوة، فهي لا تصيب الكلاب وإنما تصيب أعتى الأسود يقول[5]:

ولست ترى عُود الأراكة خائفاً
سمُوم الرِّياح الآخذات من الرَّند
وما الكلبُ محموماً وإن طال عمرُه
ألا إنما الحُمَّى على الأسَد الورْد

ويواسي أحمد بن عبد ربه (٢٤٦ ـ ٣٢٨هـ) مريضاً له يقول[6]:

لا غرو إن نال منك السَّقَمُ والضَّررُ
قد تكسفُ الشَّمسُ لا بل يُخسفُ القمرُ
يا غُرَّة القمر الذاوي غضارتها
فدا لنورك منِّي السَّمع والبصرُ

بقلم: د. ورد محمدي مكاوي عزب
جامعة الملك فيصل ـ الاحساء



إن يُمسى جسمُك موعوكاً بصالية
فهكذا يُوعك الضُرغامة الهصرُ

فلا عجب إن كان المرض قد أصابك فهذا أمر عارض فالشمس تكسف أحياناً ويحجب ضوؤها وكذلك القمر قد يخسف أحيانا ويحجب نوره، وإن أصابتك الحمى فهكذا تصاب الأسود، والشاعر يفدى نضرة وجه المريض بأغلى ما يملك وهو سمعه وبصره.

ويواسي أبو هلال العسكرى (٠٠٠ ـ بعد ٣٩٥هـ) مريضاً له متناولا نفس المعانى الجميلة يقول[٧]:

ولا غَروَ أن يغشاك عارضُ علّة
فإنى رأيتُ الورد يغشى الغضنفرا
ولو كنتَ نجماً ما كسَفْتَ وإنما
كسُوفك إن أمسيت بدراً مُنورا

فليس بغريب أن تغشاك علة عارضة فالحمى تغشى الأسود ويستخدم الشاعر إنى ورأيت للتأكيد ثم يأتى بصورة أخرى يستمدها من الآفاق فلو كان المريض نجماً ما تعرض للكسوف وإنما هو قمر منير.

وقد يتمنى الشاعر أن يتحمل المرض بدلا من المريض فالبحترى في مواساته لإبراهيم بن المدبِّر يفديه بنفسه وبأنفس العواد قبل أن يفديه بمالهم قديمه وحديثه، ويتمنى أن يتحمل العواد ما به من مرض، وإن خافوا ذلك فيتحمله عنه وحده يقول[٨]:

بأنفسنا لا بالطّوارف والتّلد
نقيك الذى تخفى من الشكْو أو تُبْدى
بنا معشر العُوّاد ما بك من أذى
وإن أشفقوا ممّا أقولُ فبى وحدى

ويتمنى أبو بكر بن دريد (٢٢٣ ـ ٣٢١هـ) لو أن يتحمل المرض المؤلم عن مريض له في سبيل أن يُشْفى ويُبْرأ يقول[٩]:

بنا لا بك الوصبُ المؤلمُ
ونفسك من صرفه تسلمُ

ويواسى صفى الدين الحلى حبيبته فلو يستطيع أن يتحمل عنها مرضها لرمى بقلبه في نار حمتها ليحترق بدلا منها وفداء لها يقول[١٠]:

لو أستطيع بقلبى عنك حمل أذى
جعلته في لظى حُمَّاك يرتمضُ

وعندما يمن الله على المريض ويبدأ في التماثل للشفاء يقرن الزوار المواساة بالتهنئة فها هو ذا أبو تمام (١٨٨ ـ ٢٣١هـ) يواسى أحمد بن أبى دواد مهنئاً إياه يقول[١١]:

سُقْمٌ أتيح له بُرْء فدعدعهُ
والرمحُ ينآدُ حيناً ثمَّ يعتدلُ
وحال لونٌ فردُّ اللهُ نَضْرتهُ
والنَّجْمُ يخمدُ شيئاً ثم يشتعلُ
أجرٌ أتاك ولم تعمل له وبلا
فكرُ المقيم على توحيده عملُ

لقد برئت من المرض فأنت كالرمح الذى ينحنى حيناً ثم يستقيم ورد الله عليك نضرتك فأنت كالنجم الذى يخبو نوره شيئاً ثم يتوهج وإن ما أصابك من مرض لمن أفضل الأشياء التى يؤجر عليها صاحبها بعد التوحيد.

وتواسي عريب المأمونية (١٨١ ـ ٢٧٧هـ) الخليفة العباسى المتوكل على الله (جعفر بن محمد بن هارون الرشيد) مهنئة إياه بالتماثل للشفاء تقول[١٢]:

أتونى فقالوا بالخليفة علّةٌ
فقلتُ ونارُ الشّوق تقدحُ فَي صدري
ألا ليت لى حُمَّى الخليفة جعفر
فكانت بى الحمَّى وكان له أجرى
مرضتَ فأمرضت البرية كلها
وأظلمت الأبصارُ من شدَّة الذُّعر
فلما استبان الناسُ منك إفاقة
أقاموا وكانوا كالقيام على الجمر
سلامة دنيانا سلامة جعفر
فدام معافى سالماً آخر الدَّهر

تخاطب الشاعرة الخليفة قائلة: لما نبئت بمرضك تمنيت أن تكون الحمى بى وتسلم أنت وتفوز بالأجر، فمرضك أمرض كافة الخلق وأظلم الدنيا في أعينهم من شدة الذعر، وبمجرد أن شاهد الناس إفاقتك هبوا قياماً فرحين، فسلامة دنيانا هى سلامتك.

وعلى الرغم من أن عيادة المريض ومواساته واجبة إلا أن لتلك العيادة آداباً لم يغفلها الشعراء فيقول أحدهم[١٣]:

حق العيادة يومٌ بعد يومين
وجلسةٌ لك مثل اللحظ بالعين
لا تبرمنّ مريضاً في مساءلة
يكفيك من ذاك تسآلٌ بحرفين

لقد حدد الشاعر آداب الزيارة تحديداً واضحاً، فهى يوم بعد يومين، وجلسة قصيرة مثل لمح البصر، وتخفيف في سؤال المريض فيكتفى بكلمة من حرفين حتى لا يتضجر وتزداد آلامه وتأتى الزيارة بنتائج عكسية.

ولقد أضاف أبو العلاء المعرى (٣٦٣ - ٤٤٩هـ) لتلك الآداب آداباً أخرى وهى مساعدة المريض الفقير بالمال حتى ولو كان ذلك المال يسيراً يقول[١٤]:

إذا عُـدت في مـرض مُكْثـراً
فـخـفف وخَفّ أن يُمل العليـلا
وإذا كـان ذا فـاقـة مـقـتـرا
فـأسـعف وإن كـان نيـلا قليـلا

أما إذا أثقل أحد الزوار ولم يلتزم بآداب الزيارة فيكون أشد وطأة على المريض من المرض وخاصة إن لم يفهم ذلك تلميحاً ولا تصريحاً فها هو ذا البهاء زهير (٥٨١ - ٦٥٦هـ) قد ضاق ذرعاً من زائر ثقيل عاده في أثناء مرضه يقول[١٥]:

وعـائـد هـو سُـقـمُ
لكل جـسـم صـحـيـح
لا بـالإشـارة يـدرى
ولا بـالـكـلام الـصـريـح
وليس يـخـرجُ حـتّـى
تـكـاد تـخـرجُ روحـى

والطامة الكبرى أن يكون أحد الزوار شامتاً، فيزداد المريض مرضاً على مرض وآلاماً فوق آلام، يقول ابن المعتز (٢٤٧ - ٢٩٦هـ) في ذلك [١٦]:

يا عـائداً قـد جـاء يشـمتُ بى
قـد زدت في سُـقـمى وأوجـاعى

وإذا كان بعض المرضى قد حظوا بمن يعودهم ويواسيهم، وعبروا عن فرحتهم ومدى سعادتهم بتلك العيادة، إلا أنه على صعيد آخر هناك تعساء لم يحظوا بأدنى اهتمام، ولم يجدوا من يسأل عنهم، فراحوا ينظمون أشعاراً يبثون فيها حرارة آلامهم وأحزانهم وشكواهم في صورة عتاب مرير كما فعل عبد الله بن مصعب (١١١ - ١٨٤هـ) إذ يقول[١٧]:

مـالى مـرضتُ فلمْ يعـدنى عـائدٌ
منكم، ويمرض كلبكم فـأعـودُ!

فالشاعر يعقد مقارنة مؤسفة تظهر الفرق بين مشاعره نحو أحبابه ومشاعرهم نحوه، لقد مرض فلم يعده أحد منهم في حين أنه إذا مرض كلبهم وهو ليس بإنسان يعوده ويسأل عنه حباً فيهم وكرامة لهم، فمنزلته عند هؤلاء الأحباب أدنى من منزلة كلبهم عنده، فما أعظم اهتمامه بهم وما أشد قسوتهم وجفائهم وغلظتهم وإهمالهم له.

ويردد صفي الدين الحلى نفس المعنى في ثوب مختلف شاكياً أيضاً عدم زيارته في أثناء مرضه يقول:

أعـودُ حـمـاركم في كل يوم
إذا مـا ضَـرّه فـرطُ الشـعـيـر
ويُمـرضنى التـألم من جـفـاكم
فلم أر عـائداً من زفـيـرى
فـإن يك حقُّ جـزاي منكمْ
لإفـراط المحـبّـة في ضـمـيـرى
فـشكراً للـمـحـبّـة إذ حططتم
بهـا الأصحـاب عن قـدر الحـمـيـر

ويقرع ابن الرومى جيرانه لتخلفهم عن زيارته فى مرضه، فهم أناس لا نخوة فيهم، لا يعودون جارهم العليل، ولا يسدون حاجة ضيفهم، ويبادلهم احتقارا باحتقار، فزيارتهم لا وزن لها ولا قيمة فهى لن تطيل عمر المريض، وعدم زيارتهم لن تقصر من أجله يقول[١٨]:

جـاركم لا يعـاد من علله
وضـيـفكم لا يُسـدُّ من خُلله
لا إن جـفـوتم قـضـى العليلُ ولا
إن عـدتمْ تُنسـئـون في أجله

أما جحظة البرمكى (٢٢٤ - ٣٢٤هـ) فيشكو ويعاتب مندهشاً من هؤلاء الأصدقاء الذين بخلوا عليه بالعيادة وهى كسب لهم فسينالون بها أجراً وثواباً رغم أنها لن تكلفهم شيئاً، فهى بالنسبة لهم مغنم دون أدنى مغرم يقول[١٩]:

مـرضتُ فلم يكنْ في الأرض حـرٌ
يُشـرفنى ببـر أو سـلام
وضنُّوا بـالعـيـادة وهى أجـرٌ
كـأنّ عـيـادتى بذلُ الطعـام

ونظراً لما تسببه عدم العيادة من آلام نفسية للمرضى فهناك من الشعراء من واسى هؤلاء الذين لم يحظوا بالعيادة والسؤال كما فعل أبو الحسن بن ثابت البغدادى مؤكداً أن المرء لا يجب أن يحزن إذا لم يجد من يعوده،



فهناك صنف من الناس يصل المرء إذا كان صحيحاً لا يعاني حتى إذا اعتل وقلب له الدهر ظهر المجن فإذا بهؤلاء الناس يجفونه، فلا تبتئس لأن الدنيا لا أمان لها، فالأحوال ستتغير وتشفى أنت ويمرضون هم وتجفوهم كما جفوك، وإن عاتبوك سيكون ردك حاضراً فواحدة بواحدة يقول[٢٠]:

أين من كان واصلا لك في الصحة
حتى إذا اعتللت جفاكا
كلُّ من لم يعدك في حالة السقـ
ـم تمنى لك الردى والهلاكا
حذراً أن يراك يوماً من الدهـ
ـر صحيحاً فيستحي أن يراكا
قلتُ لا يعجَلنَّ فإنَّ رحا الدهـ
ـر بأنيابه تزورُ عداكا
سوف تبرا ويمرضون وتجفو
هم فإن عاتبوا فقل ذا بذاكا

وهناك من الشعراء من اعتذر عن عدم زيارة مريضه بطرق فيها لطف فها هو ذا المعتمد بن عباد (٤٣١ - ٤٨٨هـ) يقول[٢١]:

مرضت فأمسكتُ الزيارة عامداً
وما عن قلى أمسكتها إلا ولا هجر
ولكنني أشفقتُ من أن أزوركمُ
فأبصرُ آثار الكسوف على البدر

لقد امتنع عن الزيارة متعمداً إشفاقاً من أن يراه متعباً مكدوداً، وليس عن بغض ولا تقصير ولا قطيعة.

ويكرر ابن زريق (٠٠٠ - ٨٠٣هـ) نفس المعنى في اعتذاره عن ترك زيارة مريض له يقول[٢٢]:

يا مريضاً بسقمه
مرض الحلمُ والوفا
لم يكن تركي العيا
دة هجراً ولا جفا
لم أطق أن أراك - يا
أكرم الناس - مُدْنَفَا

وبعد .. فهل سنعود مرضانا ونلتزم بآداب العيادة لنمسح دموعهم ونكسب غنماً دون أدنى غُرْم؟!

الهوامش:

(١) صحيح مسلم، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، جـ ٤ ، ص ١٩٩٠، ط ٢ دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٢م.

(٢) صحيح البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري، جـ ٧، ص ١٥٠، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) مختارات البارودي من شعر بني أمية وبني العباس، محمود سامي البارودي، جـ ٢، ص ٢٨٧، ط المكتبة الجامعية، مكة المكرمة ١٩٨٤م.

(٤) ديوان صفي الدين الحلي، ص ٢٤٣، ط دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٣م.

(٥) ديوان البحتري، شرح وتعليق د. محمد التونجي، جـ ١ ، ص ٣٦٧، ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٤م.

(٦) ديوان ابن عبد ربه ، تحقيق د. محمد رضوان الداية، ص ٧١، ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٩م.

(٧) ديوان المعاني، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، جـ ٢ ، ص ١٦٧، ط عالم الكتب، بيروت.

(٨) ديوان البحتري، جـ ١ ، ص ٣٦٧.

(٩) الأمالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، جـ ١ ، ص ٣٣، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٠) ديوان صفي الدين الحلي، ص ٤٧٢.

(١١) شرح ديوان أبي تمام، إيليا الحاوي، ص ٤٣٩، ط دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٨١م.

(١٢) الاماء الشواعر، أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق د. نوري حمودي القيسي، د. يونس أحمد السامرائي، ص ١٠٣، ط عالم الكتب، ١٩٨٤م.

(١٣) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهاني، جـ ٢ ، ص ٤٣٩، ط دار مكتبة الحياة، بيروت.

(١٤) لزوم مالا يلزم (اللزوميات)، أبو العلاء المعري، جـ ٢، ص ٢٢٠، ط دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.

(١٥) ديوان البهاء زهير، ص ٣٨، ط دار المعارف بمصر، القاهرة.

(١٦) ديوان ابن المعتز، ص ٣١١، ط دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

(١٧) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، جـ ١ ص ٤٦، ط ٥ دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت ١٩٨١م.

(١٨) ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج، جـ ٣ ص ١٠٠، ط ١ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤م.

(١٩) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء جـ ٢، ص ٤٣٩.

(٢٠) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، جـ ٤ ، ص ١٥٨، ط ٢ دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م.

(٢١) ديوان الصبابة، شهاب الدين أحمد بن حجلة المغربي، ص ١٥٣، ط دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٤م.

(٢٢) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، جـ ٢ ص ٣٧٦.

المرأة والبيئة

بيئة واحدة.. لا يوجد إلا بيئة واحدة علينا جميعا، أن نتشارك فيها، وعلينا أيضا أن نتقاسم مسئولية الحفاظ عليها، وإنها لمسؤولية خطرية حقا. إن بعض الناس بسبب كونهم يمتلكون أكثر أو لأنهم في مناصب أفضل يتوقع منهم المساهمة بشكل أكبر في الحفاظ على البيئة، في حين لا يتوقع من الآخرين إلا القليل، لكن كل فرد يمكنه المساهمة بشيء، ولا يوجد على الإطلاق إنسان لديه الحق في أن يجلس مكتوف اليدين لا يفعل شيئا أي شيء حتى ولو النزر اليسير.

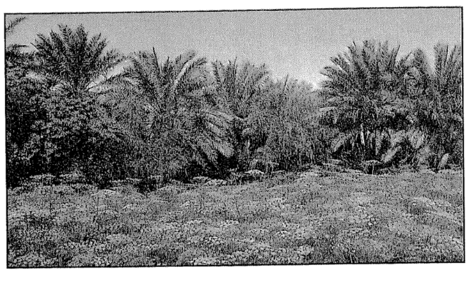
دعونا نفكر ماذا نقصد بمصطلح «البيئة» إنه يعنى بشكل أساسى الأشياء التى تحيط بنا، وهذه الأشياء ربما تكون أشياء مادية محسوسة مثل البيوت والمتاجر والمزارع والغابات، أو ربما تكون عناصر إنسانية مثل الثراء والفقر والحرية والتقييد والجهل والمعرفة، وهنا تجدر الإشارة الى أنه لا توجد حواجز تفصل بين قسم من اقسام البيئة وآخر، دعونا لوهلة نفكر في مجموعة من الحدائق وكل حديقة تمتلكها عائلة تكون حرة في أن تفعل بها ما تشاء، ودعونا نفترض أن إحدى العائلات يصدر عنها ضوضاء وإزعاج كبيران يمنعان العائلات المجاورة من أن تفعل ما ترغب في حدائقها مثل الاسترخاء والاستمتاع بالسلام والهدوء، وأن عائلة اخرى تترك الأكياس البلاستيكية والجرائد ملقاة في كل مكان لتأتى الرياح فتحملها الى الحدائق الأخرى وتجعلها تبدو كأنها مكب نفايات، وأن حديقة مهملة تنمو بشكل عشوائي وكثيف فتحمل الرياح بذور الأعشاب الضارة منها إلى الحدائق المجاورة حيث التربة محروثة جيدا فتنمو بشكل سريع وتبدأ بمنافسة الأزهار الجميلة، وأن أشجارا مزروعة على حدود إحدى الحدائق تضرب بجذورها عميقا وبشكل واسع ممتد فتستنزف حيوية وخيرات تربة الحدائق المجاورة، الفكرة هى أن حديقة واحدة لا يمكنها أن تحيا بمعزل عن بقية الحدائق، وعلى هذا النحو فإن دولة واحدة أو قارة واحدة لا يمكنها إلا أن تؤثر وتتأثر بالدول أو القارات الأخرى، إن هنالك بيئة واحدة فقط وعلينا أن نتشارك فيها، هذه المشاركة تتجسد في سلوك، وهذا السلوك يجب أن يُعلم، ليس فقط في حصة الدرس ولكن في البيت أيضا، وهذا هو المكان الذى يمكن للمرأة فيه أن تساهم بشكل كبير في حماية البيئة.

إن على الطفل أن يتعلم بالقدوة والتوجيه واقتراح التفضيلات أن يشارك أقرانه في ألعابه، وأن يشاركهم في المساحة، وفي أفراحه، ويشاركهم أحزانه، والمشاركة تعني أن يكون الواحد حساسا تجاه حاجات وأمزجة الآخرين، إنها تعني أن ندرك أن الشخص المريض لا يطيق الضجيج، وأن الشخص المرهق سوف يقدر المساعدة البسيطة، وأن الوحيد يتوق إلى زيارة، لهذا فإن الأشخاص الذين يتعلمون كيف يراعون الآخرين لن يساهموا في تلويث البيئة، وكذلك سيفعل الذين تعلموا كيف يحترمون ويحبون جميع اجناس الطبيعة من النباتات والأزهار والأشجار إلى الفراشات والطيور والنمور.

خلال السنوات الأولى من حياة الطفل تكون الأم صاحبة المركز الأفضل الذي يمكنها من غرس مثل هذا السلوك في ذهن اطفالها، وهذا يمكن أن يتحقق بأبسط الطرق، النباتات والأزهار حول البيت يمكنها أن تساعد، وكذلك النعنع والبقدونس اللذان ينموان في الأواني الفخارية على شرفة غرفة الطفل، إن أطفال المدن بعيدون تماما عن مصادر الطعام الذي يأكلونه، وكل ما يعرفونه انهم ما داموا يملكون المال يستطيعون شراء البطاطا والفلفل والأجاص، وإذا سألتهم أي من هذه ينمو على الأشجار فإنك على الأرجح ستحصل على أجوبة مفاجئة، ولكم هو مختلف سلوك الطفل الذي تعلم أن يقدر الطبيعة عن طريق مراقبة حبة فاصولياء مزروعة في وعاء صغير

بقلم : ليلى عبدالفتاح أبو السعود
- الاردن -





وهي تنتفخ ثم تنقسم وينبعث من أسفلها جذر ثم بعد ذلك تتفتق عن برعم، إن مثل هذا الطفل يتـوقع منه أن يظل يحترم البيئة بشكل فطري.

إن على المرأة أن تأخذ أطفالها الصغار الى حدائق المدينة مـرات عـديدة، وأن تضـغط على السلطات لبناء حـدائق أكـثـر وأفـضل، وأن تضـغط على المدارس أيضـا لتحويل جزء من ساحة اللعب الى حديقة يتعلم فيها الأطفال معنى الزراعة وإزالة الأعشاب الضارة وري ومراقبة الأشياء وهى تنمو ومن ثم جني المحصول، ومن المهم ايضا أن يتعود الطفل على بيئة نظيفة ومرتبة، فيعمد وبدافعية ذاتية بعد النزهة إلى أن يلملم النفايات ويجمعها في أكياس لا أن يتركها مبعثرة هنا وهناك، وأن لا يرمي الزجاجات الفارغة في البحر، هنا ـ مرة اخرى ـ يمكن أن يكون تأثير الأم كبيرا، إن هذه الأشياء قد تبدو صغيرة ولكن من تجميع قطرات ماء كثيرة يمكنك أن تحصل على بحيرة.

دعونا نهتم بواحد من اشكال التخلص من النفايات وهو إعادة التدوير Recycling إن هذه الطريقة لم تستخدم على نطاق واسع في القطاع العائلي، وهنا تستطيع الأم بالتعاون مع المدرسة أن تساعد في غرس عادات إعادة التدوير في نفوس الأولاد، وعبوات المشروبات الغازية الفارغة مثال واضح على هذا، إذ يسهل على الطفل أن يقوم بجمعها من الأصدقاء والجيران ثم يأخذها بعد ذلك إلى المدرسة حيث يمكن للصفوف أن تتنافس على أيها يجمع منها أعدادا أكبر، وفي نهاية كل فصل دراسي تباع هذه العبوات، ويمكن أن تستخدم عوائد البيع في شراء شيء مفيد تحتاجه المدرسة، أو يمكن التبرع بها إلى أحد الطلبة المحتاجين، كذلك يجب الحرص على إرسال الكتب والمجلات المستعملة الى حيث يحتاج اليها لا أن ترمى في صندوق القمامة، ويحسن بمرفق التعليم أن يجعل الكتاب المدرسي المقرر دولة بين طالبين على الأقل في سنتين دراسيتين متعاقبتين.

من المريح أن نعلم أن هنالك أشياءاً عملية يمكننا القيام بها بسهولة ويسر لمساعدة البيئة، ولكن علينا أيضا أن نحاول اكتساب فهم أوسع لمشاكل التلوث وأسبابه، مثلا فإن في مقابل الحصول على الورق الأبيض تنبعث الى الأنهار والبحار بعد عملية تبيض الورق الديوكسينات Dioxins والتراكلوروديوبنزوديوكسين الذي يشار إليه بالرموز TCDD والذي يعد واحدا من أخطر الكيماويات التي انتجت على وجه الأرض، والعملية نفسها تستخدم في انتاج المناشف الصحية البيض وحفاظات الأطفال البيض، إن الضغوط يجب أن تمارس لنشر مثل هذا النوع من الحقائق في وسائل الإعلام الجماهيري باسلوب منفتح بعيد عن التحفظ قدر الإمكان، وباعتبار أن المرأة تقوم بمعظم عملية التسوق للعائلة فإنها يمكن أن تساعد بمقاطعة السلع التي تعلم أنها مضرة بالبيئة.

حتى وقت قريب كانت القضايا الاقتصادية والسياسية هي المسيطرة على الجدال العام العالمي، أما الآن فإن التوازن البيئى هو الذي يجب أن يكون محط الإهتمام الرئيسي، وها نحن جميعا على هذا الكوكب الأرضي الواحد نتشارك نساءاً ورجالا في نفس البيئة، ونتقاسم مسؤولية جعله في وضع أفضل لا أسوأ، إن المشاكل رهيبة، ولكن بالمعرفة والتشجيع المتبادل وببذل الجهد فإن الجنس البشري إذا اجتمع يمكنه أن يفعل الكثير في حل هذه المشاكل.

هل هناك حلول

يعتقد بعض الشباب ان مباهج الحياة وميادين المنافسة ومقومات الشخصية هي تلك المظاهر المادية المتمثلة في المظهر الخارجي لكل شاب، ذلك المظهر الخارجي الذي يعكس نتيجة وقوف الساعات الطوال أمام المرآه للتعديل والإصلاح والتثبيت للخروج بعد ذلك بمظهر يحسده عليه الرفقاء ويقتدي به الصحاب، وقد يلجأ البعض منهم لاستخدام أدوات الزينة النسائية للحصول على أفضل النتائج الممكنة، بالإضافة الى سيارة فارهة تتماشى مع أحدث ما وصل الى السوق من ماركات عالمية معينة للسيارات التي تمتلىء بها شوارعنا بشكل يدعو للخوف، سيارة قد تكون هدية غير متعوب عليها من السيد الوالد أو حتى قد تكون سيارة مستأجرة لبضع ساعات أو يوم كامل تمشياً مع قدرة الشاب المادية.. أو هي سيارة صديق مخلص رغب في ابداء وفائه لصديقه بإعارته إياها ... الخ.

ولا مانع لدى بعض الشباب من المثابرة على التسكع هنا وهناك لتصيد فتيات مهملات من التوجيه الأبوي والرقابة الأسرية، لتقوم بين الطرفين الشباب والشابات تلك الممارسات المملة والسلوكيات المعروفة المزمنة التي يعرفها الجميع ولا حاجة للتعريف بها.

فهي مباراة تافهة للوصول الى لقاء برمي الأرقام الهاتفية لتأسيس علاقة خاطئة وملء الفراغ واستعراض المواهب أمام الأصدقاء.. وقد تكون لهذه التسلية الخطرة نتائج وخيمة ونقاط تحول مريرة تؤثر على كرامة الفتاة الغريرة وتؤثر على مستقبلها وتتركها حطاماً بشرياً يتنفس خزياً وعاراً.

هذه هي النوعية الخاطئة من الشباب التي نرجو أن تختفي من المجتمع وقبل هذا يجب أن تعالج فهذه ظاهرة مرضية لا يجب التهاون بها، نلفت النظر اليها ونبدي آراء للإصلاح وبكل اخلاص وتواضع.

نبدأ الإصلاح مع ابنائنا وفي أسرنا قبل أن نلوم شباب الأسر الأخرى ونحرص على عدم التهاون في المعالجة والإصرار على الإصلاح والمثابرة في لفت الانتباه وتسليط الضوء. واقتراح الحلول.. التي يجب على ذوى الاختصاص ومن بيدهم القدرة على اتخاذ القرارات.. تقبلها ودراستها للمصلحة العامة التي هي غايتهم الدائمة.. التربية يجب ان تتسم باحترام الخلق والمبادىء التي تربينا عليها وتوارثناها جيلا بعد جيل ولا نعني بتربيتنا ورعايتنا لابنائنا توفير كل وسائل المادة والترفيه لهم وبكل سهولة وتتابع.. لابد من الحزم والصرامة لعطايا الوالدين وإنعامهما على الأبناء وعدم تقييم الشباب لهذه العطايا وهذا البذل السخي المشجع لابد من الرقابة الصارمة على بناتنا واختيارهن لصديقاتهن من الزميلات وغير الزميلات وتتبعهن بالنصح ولإرشاد أولا ومعرفة الأماكن اللاتي يزرنها أو الأسواق والمكتبات التي يقصدنها لشراء مستلزمات الدراسة وطلبات المدرسة والجامعة أو الأماكن الخاصة بالترفية والتسلية الى آخر ما هنالك من مجالات وأماكن لتساعد على التقاء الشباب من الجنسين.

نشعرهن بالثقة التامة ولكن نلزمهن بترجمة فعلية لكونهن جديرات بهذه الثقة فالثقة أمانة لدى المؤتمن.

ولا نزال نتبادل مع الأبناء الآراء والمناقشة وقد تنحرف هذه المناقشة الى اتهامات منهم الى الآباء

بقلم : هند أحمد هرساني
- جدة -



والأمـهـات. بالإضـافـة الى تبـريرات ظاهرها الحق وباطنها الباطل تعكس ضحالة الخبرة وافتقار الممارسة وعمق الفهم.

إن الشباب هم نتاج واضح لاستثمار الأمة فهم برهان قوي على نجاح العملية التربوية أو فشلها والتي تؤثر سلباً أو إيجاباً على المجتمع ككل.

لا مـانع من أن يعيش كل شـاب حـياته ويتـمتع بمزايا الشباب وإشراقة أيامه ويغتنم ما فيه من فرص ومكاسب.. ولكن .. بعـيـداً عن الرذيلة وسـفـاسف الأمور.

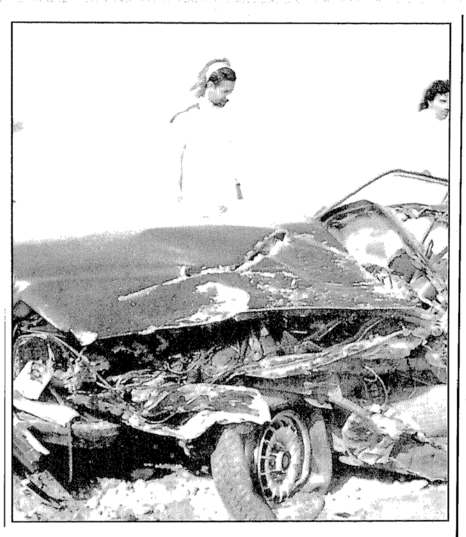
بعـيـداً عن الأخطاء وتكرار المآسي والسـيـر في طريق فـشل فـيـه الآخـرون وتـهـاوى على جـانبـيـه المنحرفون!.

ومهمتنا في رأي رسم الخطوط الواضحة وتسهيل كل السبل نحو الفضيلة والقيم والمبادىء بتطبيق سليم لقواعد التربية الإسلامية التي نجحت الأجيال السابقة عندما طبـقـها الوالدان كعلاج ناجح لمشاكل الشباب، وقانون متكامل متفهم لطبيعة هذه المرحلة من العمر واحتوائها بشكل سليم وكفاءة واضحة فلن يصلح هذه الأمة إلا ذلك الإرشاد والتوجيه الدينى الذي صلح به السلف الصالح على توالى الأجيال ومر العصور فهو منهاج من رب الناس لمعالجة ما في نفوس الشباب من انحرافات والله تعالى اعلم بما يصلح عباده ويهديهم سواء السبيل.

واعتقد ان اعطاءنا الضوء الأخضر للشباب بحجة الحرية الشخصية أو تحت مسميات أخرى ليفعلوا ما بدالهم ويتـجـاوزوا القـوانين هي أول مـؤشـرات الهـدم والإيذان بالتقهقر والخذلان لهذه الأمة العريقة.

اتمنى أن نملأ أوقات الشباب بما هو صالح ومفيد ويتدرج وفهم ودراسة وبشكل واقعي لا يشعرهم بأنهم مستهدفون ولا مستفزون من قبل أولياء الأمور انما هي سلوكيات يجب ان تمارس بعفوية وتَقَبُّل واقتناع فهي الطريق الأمـثل لنيل الشـرف والمكانة المحـتـرمـة في المجـتـمع.. يجب أن نحـدد لهم المعـاييـر السليـمـة الصحيحة كي يحظى كل شاب بالإحترام والإعجاب.

إن خواء أوقات الشباب من المسؤولية وافتقارهم



لما لا نعطي الشباب الفرصة لإبراز الرجولة الحقيقية واستثمار النشاط وصرف التفكير الى قنوات صحيحة وسليمة كعلاج لمشاكلهم المتمثلة بعدة اشكال ومظاهر كظاهرة تعاطي المخدرات ٠٠ لما لا نلزمهم ونطالبهم بحقوق امتهم ووطنهم على القادر منهم وأحسبهم كثير٠٠

وفي ذات الوقت نعد جيلا إن لم يكن قد سلم من آفات زمانه وابتعد عن تحديات عصره فإنه أقدر مع سابق اعداده على أداء الواجب عندما يحتاجه الوطن؟٠

ارجو ان نشغلهم بالفضيلة في كل المجالات وتنوع الميادين هذه الفضيلة التي قد ترهقهم ويعترض عليها الكثير٠

ولا نتركهم لبحبوحة العيش واتساع الفراغ وسيولة المادة لدى البعض منا ثم نبكى على مصيرهم بعد ذلك٠

هناك حلول كثيرة لا تخفى على الجميع ولا تفوت كل مخلص ٠٠ ولكنى آمل ٠٠ أن تكون الحلول فعّالة مؤثرة محسوسة مُلزمة لجميع مستويات الشباب دون استثناء فالجميع سواء تحت الراية الخضراء٠٠ والكل في خدمة الوطن سواسية ملزمون بتأدية الواجب حماية لهم من انفسهم وتوجيهاً سديداً نحو الصالح العام وتذكيرهم بالقيم والمبادىء وتحديد الأهداف ودعوتهم للتوجه اليها عن اقتناع صادق واحترام عميق وتكون بالتالى هى شغلهم الشاغل الذى تتلاشى عنده كل سفاسف الأمور التي تحوز علي فكرهم وأوقاتهم٠

الى قيم ومبادىء سامية يضحون من اجلها ليس لعدم وجود هذه القيم بل لانشغالهم عنها لانغماسهم في الملذات واقتدائهم ببعض افرازات الحضارة المادية السلبية إن لم نقل الخاطئة مما جعلهم ينصرفون الى وجهة أخرى ومُثُل جوفاء أو رموز للنجاح واهداف للتقدم والحرية هي في دوافعها وطبيعتها فخ كبير لسقوط الفضيلة وضياع المبادىء٠

احتواء الشباب يعنى ملء الفراغ واستنهاض واستحداث القيم الوطنية التي تهيئهم عند الحاجة للدفاع عن الوطن وتغرس فيهم معاني الرجولة الحقة والشجاعة والقيمة الحقيقية للقوة واستثمار النشاط بشكل إلزامي ومنظم٠

ذلك النشاط وتلك الحيوية يجب أن تُصرف طاقتها الى حيث الوضع الطبيعى٠

لمن تكتب قصائدي؟!

لمن أكتب قصائدي .. ولمن سأبعث بأشعاري
فالذي كان يسمعنى
ويلملم بأصابعه خصلات شعري
قد أنكر وجودي ورحل .. ودفن ما بيننا تحت التراب
ومزق كل أشعاري
كنت أهواه فما هوى قلبي سواه..
وأهذي بالشعر وخصرى على ذراعيه
وظل يقول لي دائما حبيبتي
فهل حقا كنت حبيبته .. وهل كان مغرما بما كنا كتبانه
والآن وقد انتهت قصتنا
وأخذت سنين من حياتى
وعدت من حيث أتيت.. أعود .. فأجد نفسي وحيدة..
وأسأل .. لمن ساكتب قصائدي
وفجأة تنتشلنى ذكريات الحنين .. وأجد الدمع ملء الجفون.
أحدق في زوايا البيت.. في قصائدي .. إننى أتحسس أنامله فوقهم.. إلهي .. أشياء تقيدني .. فكيف أنجو من الأشياء
هنا كان يجلس .. يرتشف القهوة.. هنا بقايا من سجائره .. من ضحكاته.. بقايا من عطره وشذاه..!
فكيف أنساه ربّاه؟!
هل سيعود يوما .. هل سيذكرني..
وهل سيضمنى الى ذراعيه
فأسمعه من بعض شعري
من قصائد مهملة انتظرته طويلا
لكي تقرأ وعينى في عينيه.

نجوى زاوي
- الجزائر -



أوراق زوجية

٩٨١ ـ أبو عواد:

بت على يقين أنك تنتقمين، أقر أن طعناتك موجعه، لكن لا تنسي أنني أستطيع في لحظة أن أهدم كل ما بنيته لك وأن طعنة واحدة مني قد تكون النهاية لكل أحلامك، فالكريم يا بنت الناس لا يهان.

٩٨١ ـ أم عمرو:

عندما تصل حالة الزواج إلى أن يتربص كل من الزوجين بالآخر ويتوعد بالانتقام يكون هذا الزواج قد تعدى الإنعاش وفي طريقه إلى المقابر وعلى كل من الزوجين أن يطوى صفحته وينساه ويبدأ من جديد بعد تقليم مخالبه ونزع أنيابه لعله ينجح في المرة الثانية.

٩٨٢ ـ أبو عواد:

باستطاعتك تصحيح الخطأ وتدارك الأمر وتعويض ما فات إلا تفعليها وخلال أيام معدودة فعلى نفسها جنت براقش.

٩٨٢ ـ أم عمرو:

الزواج لم يكن ولن يكون تهديداً ووعيداً من أى من الطرفين للآخر. الزواج تفاهم واستعداد مستمر للتنازل والتضحية وانكار الذات يتم تبادلياً بين الزوجين حتى يتعلم كل منهما متى يكون عليه أن يتراجع والأخطاء لا تصحح أبداً من جانب واحد، فهى غالباً تتم في حركات متبادلة ودوائر مفرغه تتطلب تعاون كل من الزوجين على القضاء عليها وحلها.

٩٨٣ ـ أبو عواد:

أعترف أنني أحببتك من كل قلبي وألقيت بين يديك جميع أوراقي وكنت صريحاً معك للغاية ولم أكن يوماً مغلقاً أو أضمر لك السوء، فإذا كان هذا سينقلب عليّ غما وهماً فانني على استعداد لقلب الطاولة على رؤوس كل المجتمعين ذلك أن عاقلا واحداً لا يقبل أن يستغفله أحد كائنا من كان حتى لو كان ذلك الحبيب.

٩٨٣ ـ أم عمرو:

لم نسمع عن زوج قدم لزوجته الحب والصراحة والرعاية وانقلب ذلك عليه استغفالا إلا زوج ملكة النحل وعلى العموم لو حدث هذا فهذه الزوجة لا يبكى عليها وخيرها في غيرها.

٩٨٤ ـ أبو عواد:

الرجل غالباً يثمر فيه المعروف ويزن الأمور بميزان العقل أكثر من المرأة التي قد تجد نفسها في لحظة في حل من كل تبعات حاضرها وأمسها وغالباً ما تصبح ضحية سوء تدبيرها حينما تعتقد أن الأمر من اليسير تمريره بهذه السهولة، فالذى لا يحسب حساب الخسارة في التجارة لا يحسن أن يخطط في منشأته لتحقيق الأرباح.

٩٨٤ ـ أم عمرو:

اذا تحدثنا عن الزواج بلغة الأرباح والخسائر لهدِّمت كل منشاته على رؤوسنا، إن الربح الوحيد في الزواج هو الأمان والاستقرار لكل من الزوجين وتربية ابناء صالحين وأصحاء وهذه ليست تجارة لأنها لا تحسب في الأخذ والعطاء. ولا أعتقد أن المرأة تمانع من أن يظل الرجل ممسكاً بزمام الأمور حامياً للأسرة من التمزق وربنا يزيده عقلا.

٩٨٥ ـ أبو عواد:

الخداع طبع يقترن عادة بضعاف المخلوقات كوسيلة للدفاع عن النفس. لهذا فالمرأة المعروفة بضعفها هي اكثر خداعاً من الرجل الذي لا يعد ضعيفاً مقارنة بها، والذي بالطبع يكون ضحية خداعها!! وحيث يوجد خداع يوجد كذب، والثقة والكذب لا يجتمعان، من هنا يجب أن تعرف المرأة لماذا لا يثق الرجل فيها بسهولة إلا إذا لحب ضباها واحدودب الظهر!! وحتى هذه قد تدس إلى العطار ميرة أهلها لعل العطار يصلح لها ما قد أفسد الدهر وتعود كسابق عهدها بصباها.

٩٨٥ ـ أم عمرو:

اذا سألنا أى رجل عن أمه لوصف لنا مخلوقاً رائعاً في كل شيء. واذا سألناه عن



المرأة لقال لنا أنها مخادعة وضعيفة وكاذبة... الخ هذه القائمة الرديئة من الصفات ربما لو تذكر الرجال دائماً أن كل الأمهات نساء لتغيرت الصورة وبالمناسبة لو كان الرجل قوياً في عضلاته والمرأة ضيفة في عضلاتها وقوية في عقلها لكان هذا تمييزاً للمرأة.

٩٨٦ ـ أبو عواد:

إن معظم المشاكل التى تنشأ بعد الزواج مردها خداع المخطوبة للخاطب، فهي توقعه في حبائلها بشكل أو بآخر وتتظاهر له بالوداعة والطاعة، وتسكره بخمر كلماتها وسحر نظراتها حتى يهذي ويفقد توازنه ثم يترنح ويخر معانقا الأرض تحت أقدامها، ليفاجأ بعد اليقظة أنه أمام إنسانة أخرى غير التي خطبها، ومن هنا يبدأ التغير من جانبه في المعاملة وهو تغير رد الفعل وليس تغير الابتداء مع الاقرار بالطبع أن لكل قاعدة شواذ وهناك استثناءات كثيرة لكنها ليست مقياسا في ظل الأغلب والأشمل.

٩٨٦ ـ أم عمرو:

اذا أوقعت المخطوبة خطيبها في حبائلها ولم يستطيع اكتشاف عيوبها من كلمة تفلت أو عادة تبدو نقول له «القانون لا يحمى المغفلين».

٩٨٧ ـ أبو عواد:

ثمة نساء ناقصات يؤكدن في كل كلمة وخطوة وتصرف اصابتهن بعقدة الحداثة والعصرنة الغربية سواء في المظهر أو الجوهر وما يوحي به الأول أو يقضي إليه الثاني من سلوكيات، اعتقاداً منهن أن ذلك يشكل بعداً ثالثاً للأنوثة، وأنا هنا أؤكد كرجل شرقي يعتز بعروبته واسلامه أن المرأة التى تفقد أصالتها تفقد عند الشرقي أنوثتها حتى وان فغر فاه لرؤياها!! لأن الشرقي حتى وان تغريه كريمات الكيك إلا أنه لا يشبعه إلا العيش البلدي.

٩٨٧ ـ أم عمرو:

عقدة الأخذ من الغرب عقدة ثقافية يقع فيها الرجال والنساء بل يقع فيها مجتمعات بأكملها وهى مرحلة ستنقضى عندما يتم نضج الثقافة الجديدة التى امتلأت بالبدائل الغربية ويتم احتواء هذه البدائل في مضامين ثقافية اصيلة وقتها سيرجع كثير من النساء والرجال إلي عادات تركت وسيأخذون من الآخرين بدون خوف أو اتهامات، انها مشكلة ثقة بالنفس وهي عامة ولا تخص جنس النساء وحدهن.

٩٨٨ ـ أبو عواد:

إن كنت فعلا امرأة جادة في انهاء المشكلة مع زوجك فلماذا لا تصارحيه أنك قد أخطأت فعلا في حق أمه وتعتذري لها وله وتنتهي المشكلة ولماذا كل هذا الاصرار على أن أمه هي الخطأ وأنت الصواب!؟ فهل تنتظري أن يصدر حكماً عاجلا بنفي والدته أو تأبيدها في سجن انفرادي!؟.

٩٨٨ ـ أم عمرو:

احترام الزوجة لأم زوجها مثل احترام الزوج لأم زوجته موروث حضاري يجب على الجميع الحفاظ عليه وتعليمه للصغار. ولكنني اعتقد أن صعوبة العلاقة بين الزوجة وأم زوجها قد تنشأ من أخطاء يرتكبها الزوج عندما يصر على المقارنة بين أمه وزوجته في كل مناسبة مما يولد احاسيس غير طيبة لدى الزوجة تدفعها لسلوكيات غير مرغوبة أو مقبولة في حضارتنا.

٩٨٩ ـ أبو عواد:

مخطئة من تعتقد أن رصيدها في الاثارة والأنوثة يجعلها بمأمن عن انتفاضه المتذلل في بلاطها يوماً. فالغرائز قد تستعبد بعض الرجال في لحظة ضعف لكنهم لا يلبثوا بعدها أن ينتقموا لكرامتهن شر انتقام، إن لم يكن الاعجاب والقناعة بالآخر يتجلى على اكثر من صعيد بعيداً عن لحظات الانصياع لاستجابات فطرية.

٩٨٩ ـ أم عمرو:

حقيقي أن المرأة التى تعتمد على أنوثتها فقط امرأة ضعيفة وهى من بقايا زمن حُرمت فيه المرأة من التعليم واوقف نموها تحت سطوة الرجل. والحمد لله جنس االنساء يتخلص من هذا النوع تباعاً حتى اننى اعتقد أن المرأة التى تعتمد على انوثيتها وتلغي عقلها في طريقها الى الانقراض.

٩٩٠ ـ أبو عواد:

الحمد لله الذي مكن ثوب الحياء من أجساد نسائنا وإلا لقلنا أن نساءنا فضائيات عورتهن من عظمة القص إلى عظمة الفخذ!!

٩٩٠ ـ أم عمر:

الله يديم على نسائنا ورجالنا معاً ثوب وسلوك الحياء. (نعمة مين يطول!).

رسالة من العقاد إلى السيدة الجميلة

حبيبتي مي:

نبـــئـــينى يا مي
نبـئـيني عن الهـوى نبـئـيني
يا رجـائى وسلوتى وعـزائى
وأليـفى إذا اجـتـوانى الأليف
نبـئـينى فلست أعلم مـاذا
منك قلبى بحسنه مشـغـوف
كل حـسن أراك أكـبـر منه
إن مـعـنـاك تـالـد وطـريف
لست أهـواك للجـمـال وإن كـا
ن جـميـلا ذاك المحيا العفيف
لست أهـواك للذكـاء وإن كـا
ن ذكـاء يذكى النهى ويشـوف
لست أهـواك للدلال وإن كـا
ن ظريفـا يصبـو إليـه الظريف
لست أهواك للخـصـال وإن ر
فّ علينا منهن ظل وريف
لست أهواك للرشـاقـة والرقـ
ـة والأنس وهو شـتى صنوف
أنا أهـواك «أنت» أنت فـلا شـ
ـىء سـوى أنت بالفـؤاد يطيف

تلك أنشـودتى إليك يا لحن حـيـاتـى وأغـرودة أحلامي.

أنشودتي إليك في عيد ميلادك المديد السعيد بإذن الله..

إن الزمان قد ادخرك لى أنا وحدى دون سائر العالمين.. أعلم أن الكثيرين يهفون في شوق إلى أعتابك ليقبسوا من نور محياك في حضرة رضوانك، وكلهم في رحابك يشخصون إليك، ومع ذلك فما النظرة إلا لي، ولا افترار الثغر عن ذوب الهوى إلا إلى شفتى. فأى سعيد أنا بين السعداء؟ بل أى سعادة هي التى أنعمت بها على؟ لقد أفاءت ظلال حنانك وإيثارك لى وحدبك عليّ بنعمة السهاد فبالله يا مي لا تحرمينى من أجمل سهاد، من أحلى سهاد:

محمد عبدالواحد حجازي
- مصر -

سـهـدى حُلمى السـعـيـد
وجلّ حلمى عن الهـجـود
فـي يـقـظـة الحـب أيّ نـوم
يرقى إلى سـاحـة الخلود
وأى حـلـم فـي الـنـوم يـغـنـى
عن حلمُ العـاشـق المديد
يا مـغـمـضى العين بين ليل
غـاف وصـبح لهم جـهـيـد
خـنوا خـنوا النوم واتركـوا لى
تيـقـظ العـاشق الفـريد
من كـان بالسـهـد في شـقـاء
فـإننى السـاهد السـعـيـد

حبيبتى مى:

ويسـعـدنى غـاية السـعـادة أنك تقسطين بين عـشاقك ومـحـبـيك، والمتـدلهين في ذكـائك وبهـاء مـحـيـاك.. تقـسطين بينهم فـي الحبِّ والتـقـدير والتكريم.. وهذا لعمرى سلوك اجتماعى أو آداب اجتماعية تحمدين عليها وتشكرين ولكن الحب لا يعرف سوى الإيثار والتمـييز وأنا لا أرضى بغير التفرد والامتياز فهل يا ترى تتحقق تلك الأمنية؟ هل تعرفين كيف تتـحقق؟ بصـورة منك.. صـورة منك يا مى، وتوقـعين عليـهـا باسـمك.. لا، لا، بل تحيينها بنفحة من عطر أنفاسك:

أدعـوك باسم على مـا فـيـه من
وافى المسماة من حسن ومن طيب
فيه اختـصـار فلم يُخلق لحاشية
تزيده بل لإيجـاز وتحـبـيـب
كـجـوهر في يد اللآل قـد نفـست
بـه أنـامـلـه عـن كـل تـركـيـب
وإن لى رغـبـة، تدعـوك ضـارعـة
فـلا تضنى بهـا يا خـيـر مـرغـوب
الله في الكون خـافـيـه وظاهره
لم يخله الحس من وصف وتقريب
وفي الهـيـاكل آيات تمثله
وهو الممثل في شـتى الأسـاليب
وأنت أقـرب من أرعـاه مـا ظفـرت
عينى بتمثـال حسن منك مرقوب
تمضى الأسابيع بالساعات أحسبها
ولا مـلاقـاة إلا بعـد تغـيـيب
إذا ارتوى القلب من ذكـر يُعلُّ
فالعين في عالم كـالقفر مجدوب
فليت لى منك طيـفـا إنّ لى حلمـا
رحب الجـوانب موْشيّ الأعاجيب
طيفا على صفحة القرطاس مرتسما
للحظ منه نصـيـب غـيـر مكذوب

إذا أطل على الأحــلام حل بهــا

كصورة القدس حلت في المحاريب

لئن سخـوت بهـا لن تندمـى أبدا

على اعـتـقـادك في برى وتجـريبى

إنى كـعـهـدك طمـاع فلى أمل

مُـغـرى بأجـمل وهّـاب ومـوهوب

حبيبتى مي:

إننى على يقين، كما عودتنى دائما، بأنك لن تضنى علي بهذه «الصورة» مهما قسوت عليك فلكم قسوت أنت.. وربما رجعت قسوتك على إلى أنك على يقين من عمق حبى لك وتهيامى بعذب لفظك وباسم ثغرك وذكى رأيك وعمق تفكيرك وخفة روحك الطروب.. ولهذا فكثيرا ما تختلقين أسباب الخصام فتثورين لأقل بادرة تفلت منى عن غير قصد.. وكثيراً ما تهددين وأنت في سورة من الغضب الهائج بأنك على الهجران قادرة وعلى فصم عروة الوداد لا تترددين.

وبين التهديد والوعيد الذى لا أرى له باعثا معقولا ولا سببا واضحاً أجدنى في حيرة من أمرى معك.. لماذا الجموح في الدلال إلى حد التهديد بفصم عرى الوصال؟ لا.. لا.. يا حبيبتى، ها أنا ذا اليوم وفي ذكرى ميلادك يسعدنى ويفرح قلبى أن أزجى إليك النصيحة.. عفواً يا حبيبتى عفواً، بل أهمس إلى قلبى أن يصبر ويصابر ويتجمل بحلاوة الهوى ليدوم لنا الحب حياة نحيا بها ولحنا يسكرنا عن الهموم والأتراح.. فيا حب مي، بل يا فؤادى أنا: اتئد واستيقن وتدبر ولا تعجل على الحبيب بظلم:

تدبر فـؤادى إنه الـهـجـر والقلى

ومـبـدوء أمـر لا تُرد عـواقـبـه

فمـا كـان هينا مطلب تستـهـينه

ولا كـان أمناً مـركب أنت راكبـه

وللقلب حـالات وللحب نكسـة

ومـجـهـول غيب لا تماط غـياهبـه

قليلٌ غناء الصـبـر عنك إذا غـدا

حـبـيـبك يزوى قلبـه عنك سـالبـه

وترعـاه مـحسـورا وتدعـوه يائسـا

ويغلبك الشـوق الذى أنت غـالبـه

فـلا تقطع الحبل الذى إن قطعتـه

مضى غير موصول مدى العمر جانبه

حبيبتى مي:

يطيب لى ويسعدنى في عيد ميلادك أن أهدي إليك ثلاث هدايا طالما حرصت على أن أهديها إليك، وها قد حان وقتها وطاب أوانها:

أما الأولى: فهى نصيحتى إليك وأنا المجرب الخبير بفعال الناس ونياتهم، والمجرب الخبير بما



يتظاهرون به ويضمرون٠٠ فإياك يا حبيبتي أن تأمني لأحد من الذين يطوفون بك ويسعون إليك ويزدلفون نحوك باسمين فما تضمر قلوبهم إلا سوء الخبث وسوء القصد:

هلا علمت وأنت زهر مونق
أن الزهور فرائس الحشرات
لا يخدعوك بلين من قولهم
فاللين بعض حبائل الحيات
إني ليؤلمني الجمال إذا هوى
فارتد بين أبالس وغواة
فاجعل لحاظك كلما صوبتها
رجما لشيطان النفوس العاتي
واحفظ ودادك لذة ومسرة
للعارفين بطاهر اللذات
كُوِّنت أنسا للضمير وبهجة
وعلوت شأو مطامع الشهوات

وهديتي الثانية: هي تهنئتي لك على ثوبك الأزرق الجميل لقد كان رائعا بديعاً بك٠٠ أنت أضفيت عليه من سحر بهائك ما زاده بهاء٠٠ ما هذا؟ الجمال يغازل الجمال؟ أم أن الجمال يعانق الدلال؟٠٠ حقا إنه نور على نور يفترّ عن سرور وحبور:

زيَّنته بالطلعة الغراء
ونضرة الخدين والسيماء
ولمعة العينين في استحياء
إن فاتني تقبيله في المساء
وفي جمال القبة الزرقاء
فلي من الأزرق ذي البهاء
يخطر فيه زينة الأحياء
مقبل مبتسم الأضواء
مردد الأنغام والأصداء
وقبلة منه على رضاء
غِنى عن الأجواء والأرجاء

وهديتي الثالثة: أن أقول لك: يا عيدها زدني هوى ٠٠ فأنت عيدي، بل حياتي وصبوتي وشبابي٠٠ وأحلامي:

دعي الناس يحيون أيامهم
ويلهون بالضجة الخاوية
فعيدي بقربك لا ينقضي
وأعيادهم كلها فانية
إذا انتظروا العام لم أنتظر
سوى لمحة منك لي كافية
فهاتي سرورك لي صافيا
وجودي بأعيادك الغالية
ودمت لعباسك المرتضى
ومتعت بالحسن والعافية

حوارات شعرية:

حوار من طرف واحد

الحلقة الأخيرة

مازال الحوار مستمرا مع شاعر الغراميات الأستاذ/ يحي توفيق حسن. فكلما تعمقنا في خلجات نفسيته زادت حصيلتنا من الدرر واللآلىء، وعبقت رائحةالفل والياسمين تفوح من أشعاره، وشنفت آذاننا من خلال أشعاره المملوءة دفئا وحنانا وتجاربا ممزوجة بقوة الشباب وحكمة الشيوخ.



الشاعر يحي توفيق

** شاعرنا، سبق أن تحدثنا في لقاءينا السابقين في الاعداد ـ ٥٣٢ ، ٥٣٤ ـ عن الحقد وما يسببه من تفرقة بين الناس فهل أثّر الحقد في تعاملكم مع الناس؟.

* قال:

وزهّدني في الناس أنّى وجدتُهم
يسرّهُمو نقصي وكشفُ معائبي
وأعجب من لا قيتُ خلا محضْتُهُ
ودادي فأمسى مُغرماً بمثالبي

** فقلت: قد كنت يوما للمجالس بهجة تتناقل الدنيا صدى كلماتك، أيام كنت تصوغ الشعر في الهوى دررا تفوح بعاطر النفحات، وقصائدك يشدو بها السمّار في الأسحار بين خمائل عطرات. أفتحدثنا عن بعض قولك في الهوى.

* فقال بعد تنهد:

كم ليلة سامرت فيها بدرها
والبدر قُرْبي حاني الهمسات

حوار : عبدالهادي السيد بلاسي
ـ أسرة تحرير المنهل ـ

حلو تودده كـــأن حـــديثـــه

شـدو الطيـور بأعـذب النغـمـات

أرنو فـتــرتعش القلوب تَولّهـا

ويذيب شـعـري إن نطقت فـتـاتي

** فـقلت: حـدثنا عن ليلة من ليالي الهوى.

* فقال:

ليالي الهوى يحلو لدى الناس ذكرها

وتذكرها صفوا من البأس والحقد

عشقنا وأحببنا وتهنا ولم نزل

على الدرب نمشي تائهين بلا قصد

عرفنا الهوى لهوا وعشناه لوعة

وذقنا الهوى مُرا وذقناه كالشهد

وإن أنس لا أنسى ليـال قـضـيـتـهـا

يطيب لقلبي ذكـرها في جـوى البـعـد

ليـــال مع الأحــبــاب والبــدر وامق

وساعات لهو قد تلاشت بلا عود

فلمــا رمــانا الدهر بالبُــعـد والنوى

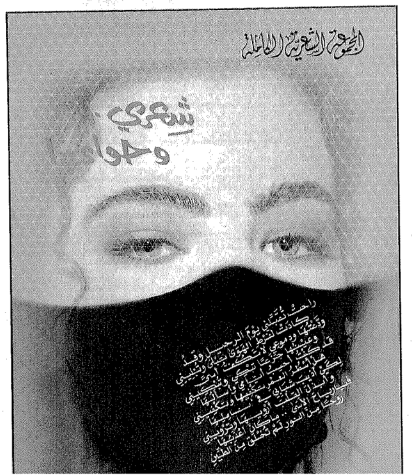
توخيت أن أخـفي أسـاي ولا أبدي

وأمــســيت أرجــو أن ترق لمـهـجـة

تنوب لطول الشوق والسُّهد والبُعد

** فقلت: زدنا من أشعارك؟

* فقال:



غلاف الديوان

وليلة شـوق بتُّ فـيـهـا على جـوى

أراقب وجـه البـدر شـوقـا إلى بدر

هـواها بقلبي مـســتكين وثابت

وحبى كما قدرت في دمها يسري

ولولا تقـاها واعـتـصـامي بنخـوتي

وعفتـهـا لم نحـفظ الحبّ في طهر

وقد يجمع المولى متى شاء بيننا

فنسعد في الدنيا إلى آخر العمر

** فـقلتُ: شـاعـرنا: للشبـاب عنفوانه وتمرّده وآراؤه وقـوتـه .. وللشـيـخـوخـة

حكمتها ووقارها ورونقها. فهل أتى اليوم
الذي تردد فيه قول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يوما
فأخبره بما فعل المشيب

* فقال لي بحكمة الشيوخ:

ذهب الشباب فما تطيب حياتي
ومضى زمان الحبِّ والصبوات
بعد ائتلاق الحسن في رنق الصِّبا
وتوهّج العينين بالبسمات
أمسيتُ كهلا لا أروق لناظر
كابي المحيَّا حائر النظرات
لم يبق مني غير جسم ناحل
وأنين قلب دائم الحسرات
يا للحياة وزيفها وبريقها
كم غرّني حينا بريق حياتي

** فقلتُ: أرى أن الشباب هو شباب
الروح والعزيمة حتى وإن مضى به قطار
العمر وأوهنه الهم والتعب فماذا يقول
شاعرنا؟

* فقال:

وصاحب لي رآني بعد غيبته
فقال يرثي لحالي مسرف العذل
مالي أراك وقد أصبحت ذا سقم
جمّ الشجون كثير الهم والعلل
فقلتُ دعني فإن القلب أوهنه
حالي فأمسى عليلا واهي الأمل
حسبتُ أني ملاق في النوى سكنا
فلم أجد غير ذلك النفس والملل

** فقلتُ: المرء يحنّ دائما إلى مراتع
الشباب والصبا ويعشق الأماكن التى
قضى فيها أجمل أيام حياته أفتحدثنا عن
تلك الأماكن؟

* فقال:

غادة البحر ما عشقت سواك
السنى منك والبهاء بهاك
كم عرفت الهوى على شاطئيك
ورشفت الرحيق بين رُباك
النسيم العليل ملء سماك
والهوى فيك عاطر بشذاك
أنت حُبِّي وذكريات شبابي
وصباي الغريرُ بعض صباك
إيه (جدَّة) إن غرّبتني الليالي
ففؤادي يهيم فوق ثراك
يا عروس الحجاز ليلك سحر
وجمال الوجود في مغناك

* * *

إيه (جُدّه) كم عذبتني شجوني
وشكى القلب غربتي وحنيني
وذكرت (الحمراء) مرتع حُبِّي
فبكت من ذكرى هواك عُيوني

كم شــدا الطيــر في رباك وغنّي

لحن ذكــراك فـي فـؤادي الحــزين

فــاذكــريني يا مــرتع الحبّ إنى

قــد حـفظتُ الوداد بين جُـفـوني

** فــقلتُ: الوداع .. كلمــة تعني الحزن، الشجن، المرارة، الدموع، البعد، والحنين، بالاضافة الى اجترار الذكريات أفيخبرنا شاعرنا عن يوم من أيام الوداع في حياته؟

* فقال:

ودعــتــهــا ودمــوعي لا تكف أسى

وعــينهــا جــزعــا تبكي وتبكيني

قد كنتُ اغبط نفسي في مودتها

والحبّ يغـمــرني والوصل يُدنيني

واليوم أبكي عليها بعد ما رحلت

بقلب واه جـريح الروح مــحــزون

قــالت وأدمـعـهـا تجري فـالثـمـهـا

من فوق وجنتها «بُعدي سيضنيني»

مــا كنت أعلم والأحــلام تخــدعني

أن الزمــان سيقـصيها ويقصيني

تبكي وتسألني: هل سوف تذكرني

بعـد الفـراق وفي جـفنيك تؤويني

من قــال أنّك إن غُـيـبت عن نظري

يغـيب طيـفك عن فكري وتخـمـيني

فـأنت أروع حُلم عـاش في عمُري

وأنت حبي الذي قد بات يُشجيني

وأنت ســري الذي روحي تقـدسـه

فكيف أنسـاك لا بل كيف تنسيني

وأنت آمــالُ نفــسي منذ نشــأتهـا

وأنت أنت الهوى في القـرب والبين

** فقلتُ: شاعرنا كلُ منا يثوب ويتوب إلى ربه عما بدر منه من معاص وآثام ولكن مـا أجـمل أن تخـرج هذه التـوبة من قلب صاف ممزوجة بالشعر.

* فقال:

ياذا الجـلال وياذا العرش يا أملي

نفــسي تئنّ بأحــزان تعــانيــهــا

أوليتني مننا ًمـا عـدتُ أحـصيـهـا

إن الهـدايا على مـقـدار مـهـديهـا

أعصي وتغـفـر في حلم وترحـمني

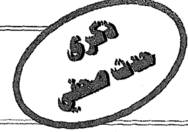
والروح تبكي وتشقيها معـاصيها

إن تغـفـر اليوم أوزاري وتسـترها

فذاك حسبي من الدنيا وما فيـها

وبهذه الأبيات الايمانية نختتم حوارنا مع الشاعر الكبير الأستاذ/ يحيى توفيق حسن الذى أمتعنا بأشعاره واستضافتنا في روضته الشعرية التى تفوح عطراً ذكيا.

فشكرا له والى مزيد من الابداع الشعري الذي يشنف الآذان ويثرى الحركة الأدبية.





مجلة الأمة ستة أعوام في دنيا الصحافة

هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، .. وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبداً.

ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها.

ونظرا للدور البناء والمؤثر الذى تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر - فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره.

وفي هذا الباب ستلقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتبعة نشأتها وتطورها.

في مثل هذا الشهر المحرم من العام ١٤٠١هـ الموافق نوفمبر ١٩٨٠م استقبل القراء في العالم العربي والاسلامي العدد الاول من مجلة الأمة.. التى كانت تصدر بالدوحة عاصمة دولة قطر ..

وفي افتتاحية العدد الأول حددت مجلة الأمة المعالم البارزة لمنهجها ووسائل تحقيقه حيث جاء في الافتتاحية (من المحرر) أن:

«الأمة» هي مجلة جميع المسلمين في جميع بلاد العالم لأننا نرى أن الأمة بعقيدتها ومقوماتها الفكرية وليست بعروقها وألوانها وحدودها الجغرافية.. فالأمة بأفكارها ودينها وليست بأشيائها وطينها.

من هذا يتحدد واجب مجلة الأمة بالعمل على جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم.. ذلك أن التفرقة والتنازع والتنابز واختلاف الكلمة من أخطر الأمراض التى تعصف بكيان المسلمين، وتنهك قواهم وتساهم في فشلهم.

ووسيلتنا إلى هذه الوحدة البعد كل البعد عن إثارة الأمور الخلافية والاشتغال بالفروع دون الأصول. والبعد عن طرح المشكلات التاريخية التى أشبعت درساً وبحثاً، وأنضجت حتى احترقت.. وأن تكون المعالجة لمشكلات المسلمين وتحدياتهم الثقافية والحضارية على ضوء الاسلام العظيم، وأن تأخذ بيد القارىء المسلم الى التفسير الاسلامى للحياة بجوانبها المختلفة والقدرة على تصنيف هذه المشكلات والتحديات وتقديم الأهم على المهم. (أ.هـ)

ولعل الذى تابع أعداد (مجلة الأمة) خلال فترة صدورها من العام ١٤٠١هـ إلى العام ١٤٠٦هـ قد لاحظ أنها:

١ - أولت قضايا الأقليات المسلمة، ومشكلات المسلمين في مجتمع الاغتراب أهمية خاصة، ولم تكتف بتقارير المراسلين، وانما وصلت - من خلال محرريها - الى حيث توجد هذه الأقليات للوقوف على مشكلاتهم ومتطلباتهم.

٢ - ساهمت كثيرا في مجال التعريف بمؤسسات العمل الإسلامي على مستوى العالم من خلال الاستطلاعات والحوارات وغيرها.

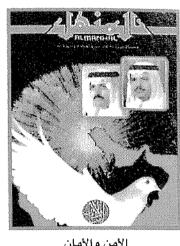
٣ - ابتعدت عن أساليب الإثارة وصور الحماس غير المتعقل.

٤ - حرصت على تلمس ردود أفعال القراء على ما ينشر ومعرفة آرائهم - باعتبارهم - رصيد المجلة الحقيقي، والأقدر على تحديد مشكلاتهم ومن ثم احتياجاتهم - كما قامت بعمل اكثر من استبيان للوصول لهذا الغرض.

٥ - اهتمت كثيرا بالمرأة ككاتبة ومفكرة أسهمت بقلمها في مختلف أبواب المجلة، وكقضية أفردت لها مساحة ثابتة في كل عدد تحت عنوان «الأسرة المسلمة».

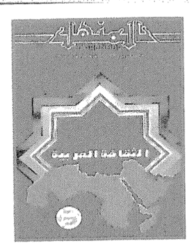
هذا وقد صدر العدد الأخير من مجلة الأمة - والذي يحمل الرقم (٧٢) في شهر ذى الحجة ١٤٠٦هـ (الموافق أغسطس ١٩٨٦م).

اعداد : يعقوب السيد حسنين



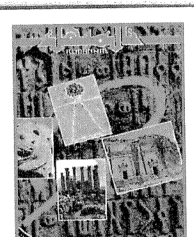
الأمن والأمان

شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٥ م



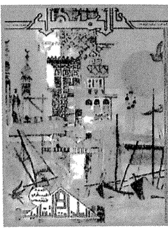
الثقافة العربية

شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ/ مايو ١٩٨٦ م



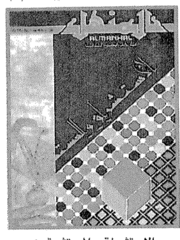
الأثر والآثار

رمضان وشوال ١٤٠٧هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٧ م



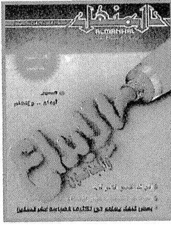
العادات والتقاليد

رمضان وشوال ١٤٠٨هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٨ م



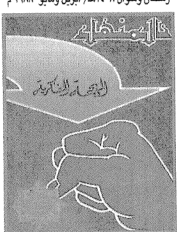
الاستشراق والمستشرقون

رمضان وشوال ١٤٠٩هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٩ م



الابداع والبدعون

شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ/ مايو ويونيو ١٩٩٠ م



الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري

شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٢ م



اللغة العربية .. آفاق مستقبلية

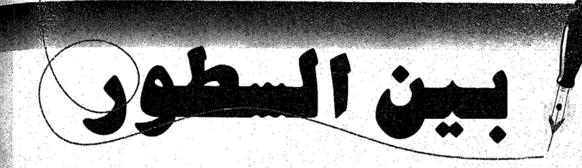
شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٣ م



النقد والنقاد

شوال وذو القعدة ١٤١٦هـ/ فبراير ومارس ١٩٩٦ م





حنان أبي:

ومضت في ذهنه الفكرة عندما شاهد في الصباح كومة التبن وقد وضعها أبوه أسفل المنزل، سوف يقفز من السطح على كومة التبن ويستمتع بالطيران في الهواء ولو للحظة اثناء سقوطه من السطح على الكومة سوف يفعل ذلك قبل أن يتحول التبن الى غذاء لبقرتهم الوحيدة ويخرج روثاً ذى رائحة نفاذة تحمله أمه وتجعله مثل الفطيرة الكبيرة لتصنع منه اقراص الوقود بعد أن تجففه على سطح المنزل..

سطح المنزل الذى سوف يقفز منه على التبن وكأنه الطيار يهبط بالمظلة التى سمع ابن عمه يقول انها - الباراشوت - لن يستخدم مظلة أو (باراشوت) فهو اكثر شجاعة من الطيارين الالمان وسيقفز بكل ثقة على كومة التبن لكن الشجاعة التى يمتلكها تخونه أمام عصا ابيه التى يقتلعها من شجرة متفرعة ويطلق عليها عادة اسم «النقز» لقد حاول ان يكون له نقز كما لابيه نقز لكنه لم يستطع سوى ان ينتزع فرعاً صغيرا من الشجرة لا يصلح ان يكون نقزاً سوف يضربه ابوه إذا علم انه افسد كومة التبن التى كومها الاب كأحد اهرامات الجيزة التى لم يرها وانما سمع عنها من ابنة خالته التى وصفت له الهرم كمثلث متساوى الساقين فزادت الهرم غموضاً على غموض حتى صنعت له ابنة الخالة هرماً صغيراً من الطوب وأفهمته ان القياس مع الفارق، كانت فكرة القفز تلح عليه الحاحاً شديداً طوال النهار ويناديه هرم التبن لكى يقفز فوقه يكاد يسمع نداءه لكنه لن يقفز الا في الليل إثباتاً لشجاعته الخارقة في القفز في الظلام بدون مظلة وبرهاناً على جبنه الفائق في الخوف من ابيه ، سوف يقفز عندما يتعالى شخير أبيه ويصبح أعلى من مدخنة الفرن البلدى الذى تخبز عليه أمه وتصنع له فيه ما لذ وطاب من اطعمة مثل الارز المعمر بلبن البقرة.

«البقرة»..! سوف يقفز على التبن قبل ان تلتهمه البقرة ويتحول الى لبن الارز المعمر والروث الذى يصنع منه أقراص الوقود للفرن الذي ....

جاءت اللحظة الموعودة بعد أن تعشى مع ابيه وصلى معه العشاء جماعة نام الاب وتناوم هو ثم تسلل بعد أن اطمأن على نوم الجميع وصعد للسطح ومن حسن حظه أن القمر كان غائباً ، القمر الذى يفضح اللصوص كان كريما معه كعادته دائما أليس صديقه؟ يتحدث معه ويناجيه ويبثه الشوق في أن يصعد على متنه ويمتطى صهوته ليسبح في بحر الظلمات.

قفز ثم اكتشف أن القمر خدعه وأن اباه حمل التبن للبقره وأن ساقه قد دقت وان صراخه أقوى من شخير أبيه وأن أباه يحبه مثلما تحبه امه فقد حمله لمستشفى القرية والدموع تطفر من عينيه ولم يهدأ الا بعد أن اطمأن عليه ووضع الطبيب جبيرة حول ساقه المكسورة.

رغم الالم كان سعيداً لانه نفذ ما عقد عليه العزم وقفز ولأن اباه يحبه وكان تعيساً لانه اكتشف خداع القمر ولأن ابنة خالته اشاعت عنه انه مريض بداء المشى اثناء النوم.

جدِّي وأنا:

يعجبنى اللون الاسمر لانه رمز للشرق الجميل ولا يعجبنى اللون الاشقر لانه رمز للغرب الاستعماري، وكان جدى يعتقد أن شمسنا الفتية هى التى تلون جلودنا بهذا اللون الاسمر الرائع لم اكن فى سن

د. عبدالغني عبدالحميد رجب
- مصر -

يسمح للشك ان يتطرق الى ذهني لكلام جدى العزيز فقد كنت اعتقد ان كلامه قضية مسلم بها يؤخذ به في المحافل الدولية التى كنت اعلم منها في ذلك الوقت الامم المتحدة وجمعية الرفق بالحيوان وكنت اعتقد أنها هى نفسها حديقة الحيوان بالجيزة.

ولما كنت اكره الغرب الاستعماري منذ نعومة اظفاري فقد اعجبت جداً بما رواه لي جدي عن سائحة انجليزية شقراء سافرت معه في القطار المتجه من الصعيد الى القاهرة ورأى جدي شمسنا الجميلة تدخل من نافذة القطار بكل جرأة وتهبط على نصف وجهها ويظل النصف الآخر في الظل وعندما وصل القطار الى القاهرة كان نصف وجهها قد اكتسب سمره جميلة فاضحة وكان النصف الآخر على حاله الاشقر القبيح.

وضحكت بسعادة عندما اخبرني جدى ان زوجها الانجليزي قد القى عليها يمين الطلاق عندما عادت اليه في انجلترا بغير الوجه الذى خرجت به من عنده.

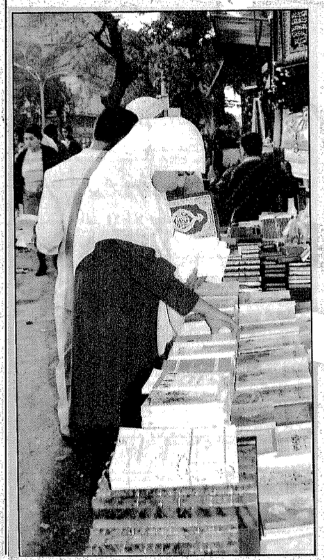
مصر العتيقة:

شغوف بالقاهرة القديمة ومنازلها العتيقة ولوع بالتوغل في مساربها وحواريها وازقتها ومشاهدة كل جدار قديم فيها.

مازلت ذلك الطفل الصغير الذى يحوم دائما حول بائعي الكتب القديمة يحاول ان يشترى بعض ما عندهم بقروشه القليلة فيزجرونه ولا يرعوى وكأنه يريد أن يعقد صفقة معهم يعطيهم ما معه على ان يسمحوا له فقط بتصفح تلك الكتب التى يفوح منها عطر القدم فرنين الدراهم هو ثمن رائحة الشواء لكن حرصهم على رأس مالهم اثمن من ان يجعلوا صعلوكا صغيراً ينتهكه بقروش لا تسمن ولا تغني من جوع واذا كان اقراني يفرحون بطبلة صغيرة يشترونها بقروشهم فيملئون الباحة ضجيجا بقرعهم المتواصل عليها فأنا لا يسرني الا كتاب اقرأ فيه بعض نفسي وانشودة روحي ومقاطع من انغام ذاتي التي تأبى الانصهار في أي تيار وافد مهما كان بريقه.

أغنية أمي - أمي المطربة:

من يغني للاطفال قبل النوم إذا كانت امهاتهم مشغولات عنهم هل الكومبيوتر أم الفيديو - كانت امي تغني لي وانا طفل صغير لكى انام لم يكن صوتها جميلا لكنه كان يجمع حنان العالم وشجنه وحزنه مع حنانها الخاص وشجنها وحزنها النبيل فكنت انام نوماً هادئاً واحلم احلاماً جميلة - في محاولة لتعويض اغنية امي - «التى كانت اعظم مهدىء في العالم وليس له اثار جانبية تلك الاغنية التي افتقدتها طويلا بكلماتها الساذجة التي تعد - ولا تفى - بزوجين من الحمام عندما انام وبلحنها الذى لا يتغير - كنت استمع بعد ان كبرت لاغاني العديد من المطربين والمطربات التى لم تنجح الا في اثارة قلقى اكثر من ذي قبل.



٣٩١ ـ سرقات لا تنقطع:

تحدثت في بعض هذه الشذرات عن سرقات أدبية اقترفها كبارٌ وصغارٌ من الأدباء والباحثين دون أدنى حرج، واليوم وقد ظهرت إحدى الجرائد اليومية الشهيرة في العالم العربي تحمل صفحة من أعمدة ثمانية تمتلىء بنوادر أليمة من السرقات الجامعية وغير الجامعية مما طفح به الكيل، وعمت معه البلوى رأيت أن أمد هذه الشذرات ببعض ما لم أقله من قبل، وسأكتفى بنقول قرأتها في هذا المجال الغريب مضيفاً إليها بعض ما وقع لي، وأقول البعض فقط كيلا أثقل على القارىء.

فقد حدث أن جمعت بعض قصائدي المتواضعة في كراسة خاصة بها، وزارنى زميل كبير، فطلب الاطلاع عليها ردحاً من الزمن وأعطيتها إياه، مُعتزا بتقديره، غير أنى فوجئت بمن أخبرنى أن بعض هذه القصائد تنشر في مجلة ما بإمضاء صديقى المستعير، ولم أصدق بدءا، ولكن الواقع المرير أزعجني، فسارعت بالاتصال بصاحبى، وكنت أظنه سيخجل من هذا الصنيع، ولكنه: تبسم متعجبا، وقال لي، وكأنه يتحدث عن وضع طبيعي لا غرابة فيه، ما هذا يا أخي: نحن زميلان متعاونان، آخذ منك وتأخذ منى، فتفضلّ، هذه مجموعة قصائدي فاختر منها ما تشاء وانشره باسمك دون أدنى حرج منى، وكان كل هدفي بعد هذا الرد أن أسترد المجموعة كيلا يصبح بها شيء لي! ولا أحب أن أتحدث عن قيمة مجموعته هذه! لأن السكوت أولى.

٣٩٢ ـ الطرفة الأولى:

كان الدكتور جمال الدين الشيال نشر بمجلة الرسالة عدد ٨٤٩ أنه أعار أحد زملائه الدكاترة رسالته الجامعية المخطوطة، فنقل أكثرها في مؤلف طبعه أخيرا، دون أن يشير إليه ولو في المراجع، فاهتاج الدكتور الشيال وكتب كلمة حادة قال فيها (ومن هنا نرى أن الدكتور قد سطا على الرسالة منهجاً وموضوعا، وأنت إذا قارنت بعد ذلك بينها وبين ما كتبت لتبين لك في وضوح تام أنه لم يسط على المنهج والأفكار فقط، وإنما سطا على العبارات والألفاظ كذلك، فنحو ٨٠٪ من عباراته، هى عباراتى بألفاظها وحروفها، ومع ذلك لم يشر حضرته إليّ بحرف واحد، لا في الهوامش، ولا في قوائم المراجع على كثرتها البالغة!.

وما كاد مقال الدكتور الشيال يظهر في الرسالة، حتى تلاه مقال آخر بالعدد (٨٥٠) تحت عنوان الأمانة الجامعية قال فيه كاتبه (لقد عادت بي الذكريات إلى أيام تلمذتى بالجامعة، فتذكرت الأستاذ المعمّم الذي جاءنا يرفل في جبته وقفطانه،

حتى إذا عدنا من عطلة العيد، وجدناه قد ارتدى زيّ المطربشين، وان كانت ملامحه وسحنته تدلان على أنه من الشيوخ، ذكرت ذلك الشيخ وهو يطلب منا أبحاثاً علمية ليقرأها ويصححها ثم يعيدها إلينا، فكنا نسعى إلى المكتبات ونبحث في أمهات الكتب، حتى نفوز برضا الأستاذ عن البحث الذى نقدمه اليه، ولكن الأستاذ حفظه الله بخل علينا بأبحاثنا، ولم نلبث أن رأينا هذه الأبحاث قد ضمت بعضها إلى بعض، وقسمت إلى أبواب وفصول، وأصبحت كتابا يحمل اسم الأستاذ العزيز، وإن كنا نحمد له أنه غير أسلوب هذه الأبحاث لتكون على نمط واحد، أما الآراء فقد بقيت كما هى آراؤنا، والنصوص التى استندنا إليها في أبحاثنا بمراجعها لم يتغير شيء منها.

وهذه زميلة تتقدم برسالة الماجستير وتعطي بحثها لأستاذها المشرف، ومكث البحث زهاء ستة أشهر عند الأستاذ وأخيراً أخذته منه، فإذا به يفاجئنا بأن آراءها تتفق تمام الاتفاق مع آرائه،فلما سألته: أين نشرت هذه الآراء؟ قال: إن كتابي سيظهر هذا الأسبوع، وفيه هذه الآراء فأجابته ساخرة، الحمد لله، لقد اطلعت على آرائى ولم أطلع على آرائك، ولا ينسى الزميل الدكتور الشيال قصة هذه الكتب التى يوضع عليها اسم أستاذ من الأساتذة ومعه اسم تلميذ من تلاميذه، على أنهما اشتركا في تأليف الكتاب أو ذاك، ونحن نعلم من ألف الكتاب، ومن الذي استفاد!.

٣٩٣ـ الطرفة الثانية:

وتعليقاً على ما جاء من اغتصاب بعض الأساتذة لبحوث الطلاب، أذكر واقعة شاهدتها بنفسي منذ وقت طويل، فقد كان أحد أصدقائى ـ المشهود لهم بالكفاءة العلمية والأدبية ـ طالبا بكلية دار العلوم، وقد كلفه أستاذه أن يبحث عن قصائد شوقى التاريخية، ليكتب بحثاً عن شعر شوقى السياسى واضطر الطالب المجتهد أن يتجاوز الشوقيات المطبوعة إلى ما لم ينشر في الجرائد القديمة مما أهمله شوقى لاقتناعه بمغبة نشره السيئة وذلك قبل أن يقوم الدكتور محمد صبرى السوربونى بجمع الشوقيات المجهولة في جزءين كبيرين بأمد بعيد فعثر على قصائد خطيرة قالها شوقى في هجاء الزعيم الوطنى الكبير أحمد عرابى باشا، عثر عليها في مطويات نائية أدرجت في صناديق لا ترى النور، فعدّ ذلك توفيقا كبيرا، وكتب البحث مستنداً إلى هذه القصائد. ورحبّ بها الأستاذ ترحيباً بالغاً، ولكنه لم يضيِّع الفرصة السانحة فأصدر بحثاً عن شوقى يجمع هذه القصائد، ويعلق عليها في ضوء ما اهتدى إليه الطالب المجتهد في بحثه، ولعل أقل موجبات الإنصاف أن يشير إليه، ولكنه باهى بالعثور عليها،

وعدَّها نتيجة جهد كبير قام به وحده - ولم يشأ الطالب أن يعترض، لأن السكوت أحرى وأحزم! ولكنه شكا إليّ.

٣٩٤ - الطرفة الثالثة:

كان الأديب الكبير الأستاذ محمد سعيد العريان يكتب بمجلة الثقافة تعليقات أسبوعية على ما يلحظه من مظاهر النشاط العلمى في العالم العربي، وكان يوقعها بإمضاء (قاف) وحار القراء في التوقيع، لأن القاف ليستْ في حروف اسمه، ولكنه يقفو ويتتبع جلّ ما يكتب في الصحف الأدبية ليعلق عليه فهو إذن (قاف) على زنة اسم الفاعل.

كتبَ الأستاذ العريان بالعدد (٢٢٢) من مجلة الثقافة يقول بعد مقدمة تمهيدية:

١ - هذا قاض كان يشغلُ منصباً دبلوماسيا كبيرا، تهيأت له في بعض غربته فرصة، فحصل على ترجمة انجليزية لرسالة بالأردية في أسرار الحج، فحملها إلى مصر، وأخرجها كتاباً بالعربية باسمه بعد أن أعانه على أدائها أديب كبير من أدبائنا - يريد الأستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - وما يزال هذا الكتاب منسوباً إلى ناشره، وليس له فيه الفكرة ولا الترجمة ولا الأداء، وليس له إلا أن حمله من جدة إلى القاهرة أو حملته معه الباخرة.

٢ - وهذا كتابٌ مدرسي ألفه معلم مغمور لا يكاد يعرفه غير تلاميذه، وإنه ليرجو به النفع العام أو الانتفاع المادي، ولكنه يخشى أن يجهل الناس قدره، فيكسد كتابه في السوق، ويخسر جهده وماله، فإنه يسعى الى فلان وفلان من أصحاب الجاه العلمى في هذا الباب، فيطلب إليه أن يراجع كتابه، فإذا راجعه فقد صار له الحق في أن يكون شريكه في التأليف - بمعنى أن ينشر اسمه في الواجهة مع المؤلف - وشريكه في النفع المادي، وهذا واحد، أو لعله كثير.

٣ - وهذا ناشر خبير بالسوق قد خطر له أن ينشر مخطوطا قديما، قد تخرق وتحرف وبلى من الزمن، وابتلى بالنساخ، فإنه ليستأجر بعض المرتزقة من أدباء السوق، يصححونه ويرمّون ما بلى منه، ولهم على ذلك من الأجر المادى بمقدار العمل، جملة بسعر الجزء، أو تفصيلا بسعر الصفحة، ككل صانع في صنعته، فإذا فرغوا من عملهم، وخلصوا بأجرتهم، حمَّل الناشر الكتاب صحيحا محققا سليماً من التمزيق والبلى وسوء النسخ، إلى كبير من أهل هذا الفن، يسأله أن يتوجه باسمه، ويلحقه بنسبه، ثم يظهر في السوق بتحقيق الأديب الكبير.

وقد نسى الأستاذ العريان، أن يقول: إن الرغبة في كتب التراث شديدة نهيمة، وأن القراء ليحرصون عليها أشد من حرصهم على كتب

المحدثين، ولذلك تتعدد طبعات الكتاب مرّة بعد مرّة، ولكل طبعة مكافأتها المجزية (بالجيم) وكدت أقول (المخزية) بالخاء، يتقاضاها المحقق الكبير ولعله لم يقرأ الكتاب أصلا.

٣٩٥ ـ الطرفة الرابعة :

والداء من قديم، ليس داء مستحدثا، بل كانت السرقة الأدبية في القديم أسهل، لأن المؤلّف مخطوط ومحدود الانتشار قبل زمن المطابع، كما كان النقل المتواصل عُرفا عاما لدى بعض من تسوّل له نفسه، أن يختصر شيئا أو يطيل شيئا ويجعل الكتاب باسمه، وقد طبع كتاب (الأحكام السلطانية) لأبى يعلى الحنبلى، فرأى الباحثون أنه مأخوذ من كتاب (الأحكام السلطانية) للإمام الماوردى أخذاً صريحا يكاد أن يكون كليا، وأثيرت المسألة على صفحات مجلة الثقافة فكانت مناسبة للأستاذ محمد عنان كى يذكر بالعدد (٣٢٥) من المجلة نصا للسخاوى عن شيخه الحافظ بن حجر قال فيه تحت عنوان (فصل فيمن أخذ تصنيف غيره فادعاه لنفسه: قال ابن حجر:

«منه البحر للروياني أخذه من الحاوى للماوردى والأحكام السلطانية لأبى يعلى أخذها من كتاب الماوردى لكن بناها على مذهب أحمد، وشرح السنة للبغوى مستمد من شرحى الخطابى على البخارى وأبى داود، والكلام على تراجم البخارى للبدر بن جماعة أخذه من علوم الحديث لابن الصلاح بحروفه وزاد فيه كثيرا، وشرح البخارى لشيخنا ابن الملقن جمع النصف الأول منه من عدة شروح أما النصف الثانى فلم يتجاوز فيه النقل من شرحى ابن بطال وابن التين، وأما طبقات الشافعية لابن الملقن فقد جمع فيه بين الأسنوى والتاج السبكى بحيث لم يزد عليهما سوى ترجمة واحدة، وكذا قرأت بخطه على الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ما نصه «أصل هذا التصنيف للأستاذ الجليل أبى منصور عبد المحسن بن على بن طاهر البغدادى الفقيه المحدّث الشهير، رأيته في مجلدة لطيفة، وجملة ما فيه من الأحاديث خمسة وعشرون حديثا، الى أن قال: ولمصنفه الإجابة وهو الزركشي حسن الترتيب والزيادات البينة، والعزو إلى التصانيف الكبار، والأول على عادة من تقدم يقتصر على سوق الأحاديث إلى شيوخه»».

٣٩٦ ـ لأبي العلاء المعري:

خذى رأيى وحسبك ذاك منى
على ما فيّ من عوج وأمت
وماذا يبتغى الجلساء منى
أرادوا منطقى وأردت صمتى
ويوجد بيننا أمدٌ بعيد
فأمّوا سمتهم وأممت سمتي

حتى نعيش في سلام

بقلم: عبد الله ناصر بن ثنيان
ـ الرياض ـ

إن كل إنسان يوجد في قلبه حب الآخرين ورحمتهم والشفقة عليهم، والذي يتمنى لهم ما يتمنى لنفسه، يحلم كما أحلم ويتمنى أن يتحول الحلم الى حقيقة، يحلم أن يعيش الجميع في سلام، الجميع مهما اختلفت ألوانهم أو جنسياتهم، أن نعيش جميعاً في سلام مع أنفسنا، ومع من حولنا.

سلام على جميع المستويات، سلام مع أنفسنا، سلام مع عائلاتنا، سلام مع أقاربنا، سلام مع مجتمعنا، سلام على مستوى الفرد، سلام على مستوى الدولة، سلام على مستوى الأمة، وسلام على مستوى العالم كله، سلام في كل مكان.

إن ما نرى من أحقاد وحروب، مجاعات وظلم، تقتيل للأبرياء.. إلى شجارات الأفراد وخلافاتهم وإساءتهم لبعضهم.. إلى ما نرى من الحزن والاكتئاب والقلق الذي يصيب الأفراد أنفسهم، وما نرى أيضاً من حالات الانتحار.. كل هذا وغيره ينشأ ويوجد لأننا لا نعيش في سلام، ولأننا نفتقد إلى السلام.

إنني وكثيرين نحلم بعالم بلا أحقاد، بلا بغضاء، بلا حروب، بلا مجاعات، بلا فقر، بلا ظلم.

الحياة جميلة سواء كنت تعيش في حديقة غناء أو صحراء مقفرة متى ما كنت تعيش في سلام، إنها دعوة للسلام، دعوة للموظف والمدير للفلاح والتاجر، للجندي وقائد الجيش، للوزير ورئيس الدولة، للزوج والزوجة، للأخ والأخت، للصديق والصديقة، للزميل والزميلة، لكافة أفراد المجتمع، في كل أنحاء المعمورة.

ولنسأل أنفسنا جميعا: ماذا لو وجهت خيرات بعض البلاد التي يلقى بها في البحار من أجل الحفاظ على سعر المنتج ليستفيد منها الفقراء في العالم؟ ماذا لو وجهت الأموال التي تنفق على التسليح في أنحاء العالم للرفع من مستوى معيشة البشر؟ وماذا لو وجهت المجهودات التي تبذل من أجل أن يسيء الإنسان للإنسان، وأن يقتل الإنسان أخيه الإنسان، ويسرق الإنسان أخيه الإنسان، ماذا لو وجهت تلك الجهود للعمل والإنتاج بما يخدم البشرية؟.

وهنا نتساءل: كيف يتسنى لنا أن نعيش في سلام؟

فأقول: لنتمعن معا في قصة نعرفها جيدا، ألا وهي قصة آدم ـ عليه السلام ـ مع إبليس ـ لعنه الله ـ فالمتتبع لهذه القصة يجد أن هناك ثلاثة أسباب رئيسة تسببت في طرد إبليس من رحمة الله وإهباط آدم ـ عليه السلام ـ وزوجه من الجنة، وتلك الأسباب الثلاثة هي التي تحرمنا من السلام، ومتى ما تخلصنا منها لاستطعنا أن نعيش جميعا في سلام دائم.

فالكبر منع إبليس من تنفيذ أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالسجود لآدم ـ عليه السلام ـ قال ـ تعالى ـ **{قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك، قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقـ[ـته] من طين}** (سورة الأعراف/ ١٢) ولهذا فقد ورد الوعيـ[ـد] الشديد في الكتاب والسنة للمتكبرين، فقال سبحانه وتعالى **{تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأر[ض] ولا فسادا}** (سورة القصص/ ٨٣)، والرسول {صلى ا[لله] عليه وسلم} يقول: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقا[ل] حبة من كبر»[١].

والحسد دفع بإبليس لإغواء آدم ـ عليه السلام ـ وزوج[ـه] قال ـ عز وجل ـ **{قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراط[ك] المستقيم}** (سورة الأعراف/ ١٦)، والرسول {صلى الله عـ[ـليه] وسلم} يقول: «لا تحاسدوا»[٢]، ويقول عليه الصـ[ـلاة] والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحـ[ـب] لنفسه»[٣].

أما الحرص فقد أودى بآدم وزوجه إلى الأكل [من] الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها، قال ـ تعالـ[ـى] **{فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما [من] سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا [أن] تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين}** (سورة الأعراف/ ٢٠) والرسول {صلى الله عليه وسلم} يقول: «لن تموت نفس حـ[ـتى] تستكمل رزقها فأجملوا في الطلب».

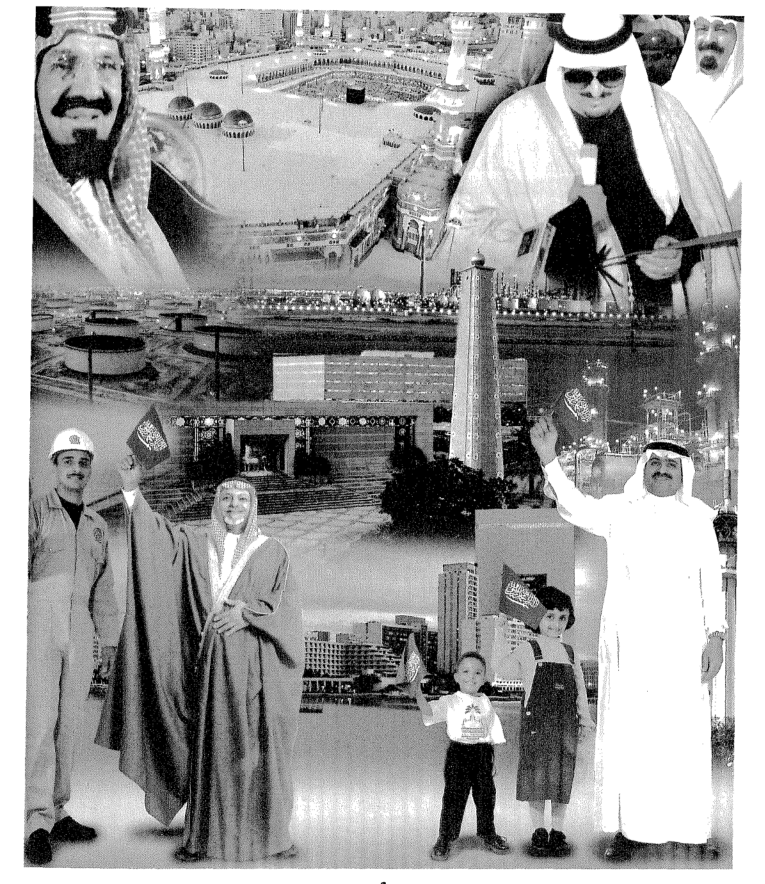
وشاعرنا المتنبي يقول:

نبكي على الدنيا وما من معشر
جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا
أين الأكاسرة الجبابرة الألى
كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه
حتى ثوى فحواه لحد ضيق
خرس إذا نودوا كأن لم يعلموا
أن الكلام لهم حلال مُطلقُ
فالموت آت والنفوس نفائس
والمستعز بما لديه الأحمق[٤]

الهوامش:

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي.
(٢) رواه أحمد ومسلم وغيرهما.
(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٤) ديوان المتنبي، ص ٢٨.

المحرم ١٤٢٠هـ ـ أبريل / مايو ١٩٩٩م



كل مائة عام وأنت بخير يا وطني

١٣١٩هـ ١٤١٩هـ

المملكة العربية السعودية

K.S.A. 100 YEARS

قبل مائة عام، خطا جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، رحمه الله، الخطوة الأولى في مسيرة تأسيس و بناء المملكة العربية السعودية، وما أن اكتمل له توحيدها حتى وضع اللبنة الأولى في صرح صناعتها البترولية.

واليوم، بعد مائة عام على بداية تأسيس المملكة وستة وستين عاماً على انطلاقة صناعتها البترولية، تقف المملكة رمزاً ريادياً للنهضة والتقدم بين دول العالم المتحضر.

احتلت صناعتها البترولية، ممثلة في أرامكو السعودية، موقع

أكثر من مليون وستمائة ألف هكتار من الأراضي الزراعية، وشيدت صروح التعليم لأكثر من أربعة ملايين طالب وطالبة، وأقيم أكثر من ٢٢٠٠ مستشفى حكومي، وأنشئت شبكات اتصالات متقدمة، وعبّد من الطرق الحديثة ما يتجاوز ٤٢ ألف كيلومتر، وقام ما يزيد على ٢٣٠٠ مصنع منتج، وكان منها الأطباء والمهندسون والقياديون المرموقون، وأول رائد فضاء عربي مسلم. وأرامكو السعودية، وهي تشعر بالفخر لأنها تمثل واحداً من هذه الإنجازات العملاقة، ليزداد فخرها واعتزازها وهي تدرك الدور المتميّز الذي لعبته في تحقيق هذه الإنجازات ودعم جهود التنمية الشاملة في البلاد.

لقد كانت الإنجازات التي تحققت، بفضل الله، في خلال المائة عام الماضية باهرة بمعنى الكلمة، السعودية تنظر إلى الأعوام المائة القادمة بثقة مقتنعة بأن القادم سيكون، إن شاء الله، أكثر إبهاراً

أرامكو السعودية

شركة الزيت العربية السعودية

المنهل

AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية
العدد ([illegible]) المجلد (٦١) العام [٦٥] صفر ١٤٢٠ هـ ـ مايو/ يونيه ١٩٩٩م

الصحافة السعودية
عهد الملك عبد العزيز

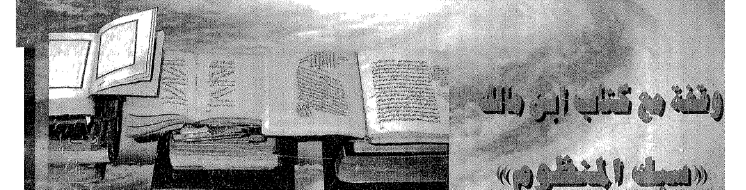
الغاز الطبيعي ؟!

زمبابوي .. قلب إفريقيا الذهبي

أهمية الصورة في القطعة الأدبية

رعاية الطفولة والأمومة في التراث الطبي

المذنَّبات
زوَّار على غير موعد من الفضاء الخارجي



المنهل

مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ٢٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

قال هو



اتجاه حسن .. واتجاه أحسن

فيما قبل الحرب العالمية الثانية انبعثت من بعض الأدباء همسات موفقة تقول بأن الطريق السوي لرفع مستوى التفكير في البلاد، انما هو باتجاه حملة الاقلام الى ميدان «التأليف» الواسع، بدلا من حشد الجهود في هذا الباب الضيق المحدود: «أدب المقالة والقصيدة».

وانزوت الفكرة بعد طغيان موجة الحرب فيما انزوى من مظاهر الادب فلما هدأت الدنيا وانبعثت أصوات الأدب في الآفق من جديد عادت النغمة الداعية الى التأليف من جديد.

والتأليف فن له شروط ولوازم، وله وسائل وروافد، وهو بدون هذه المهيئات عبارة عن «سواد في بياض» وتتمثل في الثقافة الكافية، والبيان المشرق الجميل، وامتلاك ناصية الموضوع؛ وسمو الهدف.. وهذه أمور، وإن كانت محدودة عندنا، إلا أن من واجبنا - ونحن نتحفز للحاق بقافلة العالم الحديث في الادب والحياة - أن نتقدم فندلى بدلائنا، ونساهم بجهودنا فمن سار على الدرب وصل.

وأدبنا بحمد الله؛ قد تخطى «عتبة البدائية الأولى» وقد تخطى معه فن التأليف ذلك الدور أيضا. فقد كان أغلب ما صدر منه قبل الحرب «مؤلفات جمعية». أما بعدها فقد أصبح التأليف «ذا شخصية» بعض الشيء وخاصة في أدب السيرة وأدب الشعر.

وهذه ظاهرة قمينة بالتسجيل، لما تنبيء به من نمو تفكير وتحسن اتجاه.. على أن ماضي البلاد القصي والقريب، وأوضاعها القيمة اللامعة والقاتمة وملابساتها على مر الاجيال، وآثارها المطمورة ومعالمها المجهولة، وموجبات تأخرها في الماضي وموجبات انبعاثها في الحاضر والمستقبل. كل هذه آفاق مشرقة تنتظر الرائدين وتتطلع الى الباحثين والناشرين.

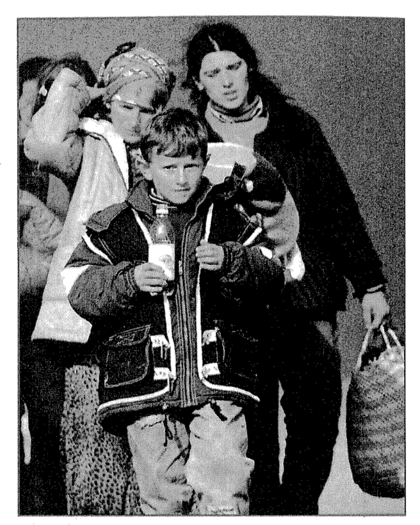
فيحسن بأدبائنا أن يعنوا بها، وأن يثبتوا للعالم تساميهم للمشاركة في هذا الاتجاه الاحسن، تقدماً بالحياة على اضواء الأدب، ونهضة بالأدب على اضواء الحياة، فهل هم فاعلون؟ انا لمنتظرون!.

«عبدالقدوس الأنصاري»

(صفر ١٣٦٦هـ - يناير ١٩٤٧م)

بسم الله الرحمن الرحيم

لقطة الشهر



«كوســـوفا ... إبادة عرقية .. تهجير جماعي .. تشريد ومجاعة .. على أعتاب القرن الحادي والعشرين.

فهل لهذه المأساة من نهاية؟!!».

اشـــارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

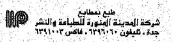
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد

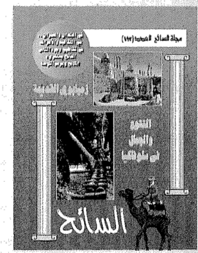


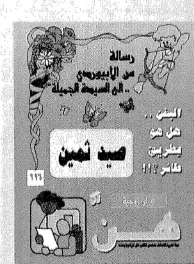
طبع بمطابع
شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
جدة - تليفون ٦٣٩٦٠٦٠ - فاكس ٦٣٩١٠٠٣

المنهل
Almanhal
مجلة شهرية للأدب والعلوم والثقافة

العدد: (٥٥٨)
المجلد: (٦١)
العام: (٦٥)

الفهرس





منهليات

منهجية الزمن

ما بين المولد والممات، زمن يستغرق حركة حياة الإنسان بكاملها.

هذا الزمن المستوعب لنشاط البشر على الأرض محسوب بدقة متناهية لكل فرد على وجه هذه البسيطة.. ومنهج الاسلام، هو منهج أداء فاعل، يأخذ بيد المسلم ـ بكل الجد والفاعلية ـ لكي يفيد ايجاباً من استثمار هذا الزمن (المحسوب بدقة متناهية) لصالحه، ولصالح مجتمعه، ولصالح أمته.

وهذه دوائر متماسكة، متلاحقة، تنداح في بعضها لتمثل دائرة كبرى، تستوعب حركة الحياة عند المسلمين كافة.

وحسب الانسان ان يكون مُحَاسَباً، ضمن ما يُحَاسَبُ عليه (عن عمره فيما أفناه).

وهذا العمر هو الزمن. (الثواني والدقائق والساعات، الأيام والأسبوع والشهر، العام والأعوام).

من هذا المنظور، الإنسان في المنهج الاسلامي، منظومة من العمل الدؤوب، والجد الذي لا يفتر ولا ينقضي، وحركة الحياة عند المسلم، ينبغي أن تكون حركة صاعدة، متنامية، مستشرفة للقمة.

وفي استشرافه هذا يستصحب معه كل دلائل الخير.

واقع الحياة التي يعيشها المسلمون الآن، واقع تظلله سحب داكنة، قاتمة.. يحيط بهم الشر من كل مكان.

ذلك لأن حركة الحياة عندنا بطيئة وتسير الى غير غاية أو هدف..

وكان لنا أن نكون شيئاً يُهاب ويُحسب له ألف حساب وحساب..

وكان لنا أن نصبح في عالم اليوم (رقماً) من الصعب على الآخر ان يتخطاه.

أما الآن.. وقد أحيط بنا، هل نعيد حساب منهجية الزمن من جديد..؟!

لعلنا نفعل شيئاً.

المحـــرر

في هذا العدد



فقرات مستلة

٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.



معرض الكتاب السعودي خلال مئ

في مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية أقيم معرض ضخم للكتاب (كماً وكيفاً).

وهذا المعرض يضم بين أروقته الكثير من الكتب والمطبوعات السعودية المنتقاة من حوالي مائة وخمسين الف كتاب سعودي، اضافة الى عدد من اوعية المعلومات المختلفة، وعدد من أوائل المطبوعات الاصلية مما يمثل حركة التأليف والنشر خلال مائة عام.

يتألف المعرض من الاقسام والاجنحة المتخصصة الموزعة على النحو التالي:

دور قادة المملكة في نشر الكتب:

ويضم الكتب المطبوعة على نفقة ملوك المملكة وامرائها منذ عهد الملك/ عبد العزيز حتى اليوم الراهن.

سير وتراجم قادة المملكة:

ويحوى كتب السيرة والتراجم التي تتناول ملوك المملكة وامراءها وروادها المبرزين في التعليم والفكر والثقافة.

اوائل اعمال المؤلفين السعوديين:

يحتوي على الطبعات الاولى من اوائل اعمال المؤلفين السعوديين. مع التركيز على اوائل المطبوعات التي نشرت قبل ١٣٩٠هـ.

اوائل المطبوعات الحكومية:

يضم ما تيسر من بواكير المطبوعات الحكومية بما في ذلك التقارير والنظم التى تبين تطور الادارة في المملكة من عهد المغفور له الملك عبد العزيز.

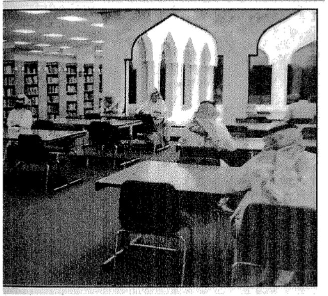
اوائل الصحف والمجلات السعودية:

يحوي نماذج من الصحف والمجلات السعودية في اشكالها الاصلية سواء أكانت جارية أم متوقفة.

المكتبات الوقفية في السعودية

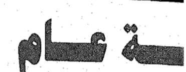
في رحاب مكتبة الملك عبد العزيز في المدينة المنورة عقدت اعمال ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، واستمرت الندوة ثلاثة أيام قدمت خلالها العديد من الدراسات والبحوث الاكاديمية الخاصة بالمكتبات، ومنها: (الوقف من منظور فقهى - الوقف مفهومه ومقاصده - الأوقاف النبوية في المدينة المنورة، ووقفيات بعض الصحابة).

وأهمية هذه الندوة تكمن في ان الوقف يشكل في مجال الكتب والمكتبات لبنة اساسية في نماء الحضارة الاسلامية وتوفير وسائل الافادة من الكتب عبر العصور المتعاقبة. كما تعد الندوة خطوة رائدة في استجلاء الصورة المشرقة لواقع هذه المكتبات في ماضيها المجيد



وحاضرها الزاهر ومستقبلها الواعد وبيان ما يشكله الوقف من اهمية كبرى في النهوض بها.

ولا تخفى الأهمية البالغة والمكانة المرموقة للكتب والمكتبات وخاصة المكتبات الوقفية الموجودة في بعض



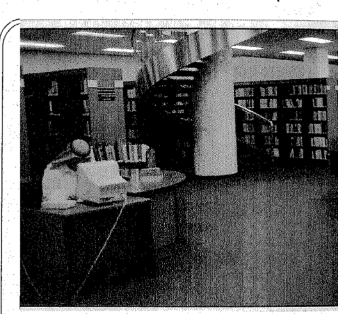


اهداءات المؤلفين السعوديين:

يحتوي على نسخ الكتب التى كتب عليها مؤلفوها اهداءات خطية بأقلامهم تشهد على الحركة الفكرية والثقافية والعلاقات بين المثقفين.

المخطوطات المحلية:

عرض فيه عينة من المخطوطات المنسوخة في مناطق المملكة المختلفة مما يبيّن نوعية المخطوط والموضوعات والنواحي الشكلية للمخطوطات المحلية قبل انتشار الطباعة.



مدن السعودية لما تحتويه من نوادر المخطوطات والكتب والدوريات العلمية في مختلف حقول المعرفة، مما كان له بالغ الاثر في اثراء الحياة الثقافية وتوفير المعرفة لطلاب العلم.

الكتب الحاصلة على جوائز:

يضم الجناح الكتب السعودية التي حصلت على جوائز محلية أو عربية أو دولية في موضوعات مختلفة.

الوقفيات:

ويضم عددا من النماذج التي توضح صيغة عدد من وقفيات الكتب التى قام بها اصحابها خدمة لطلبة العلم والعلماء مع التركيز على وقفيات الملك عبد العزيز.

المرأة السعودية والكتاب:

ويضم كتبا منتقاة من أوائل اعمال المؤلفات السعوديات المنشورة في موضوعات مختلفة.

تطور الكتب المدرسية:

ونظرا لاقتناء المكتبة مجموعة قيمة ونادرة من اوائل الكتب المدرسية فقد عرض هذا الجناح بعضا من هذه الكتب لايضاح تطور طباعة الكتب المدرسية وكذلك تطور المناهج والتعليم في المملكة.

القسم العام:

ويضم نماذج منتقاة منذ بداية الطباعة وبالذات من عام ١٣١٩هـ بحيث لا يتجاوز المعروض الف كتاب وبحد اقصى ١٥٠٠ كتاب مما يعكس التطور الشكلي والموضوعي للكتاب السعودي.

المشروع الثقافي الكويتي

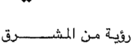


قبل أربعة عقود من الزمان، كانت (مجلة العربي) الكويتية، ولا تزال تمثل زخماً فكرياً وثقافياً وحضارياً على مستوى العالم العربي والاسلامي.. ويؤكد هذا الوجود المكثف لمجلة العربي، ما قاله الدكتور محمد الرميحي رئيس تحريرها (ان السنوات قد أثبتت أن مجلة العربي هي جزء من المشروع الثقافي الكويتي في اطار خطة التنمية الثقافية العربية الشاملة).

وبمناسبة بلوغ مجلة العربي عامها الأربعين فقد أقيمت ندوة كبرى في الكويت شارك فيها جمهرة من العاملين في الحقل الثقافي والاعلامي والاكاديمي.

ومن الدراسات التي قدمت في هذه الندوة:

- المشروع الثقافي الكويتي وآفاقه العربية.. التطور التاريخي والمعوقات.
- المشروع الثقافي الكويتي كما يراه العالم العربي..

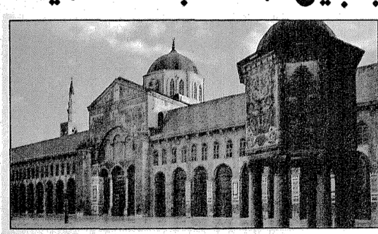


رؤية من المشرق العربي.

- رؤية المغرب العربي للمشروع الثقافي الكويتي.
- التطور التاريخي والفني لتجربة مجلة «العربي».
- دراسة حول أدب الرحلات العربي وتطوره.
- أزمة المجلات الثقافية في العالم العربي.
- التحديات التكنولوجية التي تواجه المجلات الثقافية.

ومجلة المنهل تهنى الغراء (مجلة العربي) بعيدها الأربعين، متمنية لها كل التقدم والازدهار، في أداء واجب الكلمة الذي حملته منذ اربعة عقود.

الوحدة والتقارب بين المذاهب الاسلامية



في ظل الشدائد التي تتعرض لها الأمة الاسلامية، من فرقة وشتات في الرأي، عقد في دمشق من العاشر الى الثالث عشر من ابريل ١٩٩٩م المؤتمر الدولي لوضع استراتيجية مشتركة للتقريب بين المذاهب الاسلامية.

وشارك في المؤتمر علماء ومفكرون من ١٦ دولة عربية اسلامية بالاضافة الى المشاركين من امريكا الشمالية وفرنسا وبريطانيا، وشارك في المؤتمر مجموعة من الهيئات والمؤسسات الاسلامية منها رابطة العالم الاسلامي، والمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم، دار الحديث الحسنية بالرباط، الكلية الاسلامية بلندن، اكاديمية اكسفورد للدراسات الاسلامية، المجمع العلمي الايراني.

وأشرف على هذا المؤتمر مؤسسة الامام الخوئي الخيرية. ودعا المجتمعون الى ضرورة الوحدة والتقريب بين المتباعدين وتخفيف الخلاف بين المختلفين، ورأوا أن بداية الخلاف والفرقة بين المسلمين كانت حول طريقة الحكم والحاكم وأن الاختلاف في الرأي في المسائل الفرعية هو مسألة اجتهاد.

ودعوا في نهاية المؤتمر إلى أن المسؤولية كبيرة لدى المسلمين في أن يجتمعوا وأن تقتنع الانسانية بعملهم إذ أن الأمة الاسلامية اليوم تحتوي على امكانات بشرية لا يستهان بها.

تكريم الأديب محمود عارف



أقامت جمعية الثقافة والفنون بجدة حفلا تكريميا للشاعر المبدع محمود عارف بمسرح مدينة الملك فهد الساحلية.

وقد تخلل هذا التكريم ورقتان نقديتان قدمتا دراسة تحليلية لتجربة العارف الشعرية.

إحداهما: للدكتور عبد الله المعيقل الاستاذ بجامعة الملك سعود.

وثانيتهما: للدكتور عبد الله المعطاني رئيس اللجنة الثقافية.

وبعد هاتين الورقتين جاءت مشاركة نخبة من الأدباء والشعراء ليقدموا كلماتهم.

قال الاستاذ عبد المقصود خوجة: لقد أعطى الشاعر محمود عارف الكثير في دواوينه التي رافقتنا في الحل والترحال وعطرت ليالي عشاق الشعر واستوعبت كل أحاسيسنا ومشاعرنا من خلال دواوينه.

أما الدكتور عبد الله مناع رئيس تحرير مجلة الإعلام والاتصال فقال: تربطني بالاستاذ محمود عارف سنوات طويلة فقد عرفته قبل العشرين من العمر حينما كانت مجلة الرائد على وشك الصدور فكان أول لقاء لي معه وكان المثل الأعلى للرائد ولأبناء الرائد ومستشاراً لهم فقد كان كبير السن كبير المقام كبير النفس كثير الأناة على غير تعجل.

محمود عارف كان شاعراً طروباً إلى أبعد الحدود تستهويه الموسيقى في كلمة يقرؤها في أغنية يسمعها، في قصيدة يكتبها، إنه كما قال عن نفسه:

أنا الوتر البـــاكي من الهم والأسى
أنا الكوثر المعسول في شفة الصادي

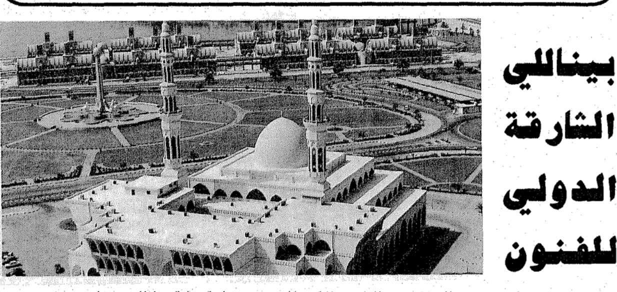
بعد ذلك انشد الشاعر المعروف الاستاذ يحيى توفيق قصيدة جاء فيها:

أهلا بأطيب كل الناس اخـــلاقـــا
العـاطر الذكـر والمحـمـود اعـرافـا
«العـارف» الشـهـم من ترجي مـوبته
من يجـود على الامـلاق إغـداقـا

كما ارسل الاستاذ عبد الفتاح أبو مدين كلمة لتكريم الشاعر محمود عارف فقال عنه انه رجل ذو جميل، ولا ينكر الجميل ولا ينساه وهو يحب الخير للجميع كما يحبه لنفسه جم التواضع لا يحسد الذين اتاهم الله من فضله كان العارف في أيام صحته يتفقد اصحابه ويسأل عنهم وإذا اصابهم سوء يعمل على عونهم ويواسيهم.

بعد ذلك قدم الاستاذ عبد العزيز الخلاوي رئيس جمعية الثقافة والفنون درع الجمعية لابن الشاعر العارف الاستاذ حسين محمود عارف داعياً للشاعر الكبير بالمزيد من الصحة والتألق متمنياً له حياة سعيدة.

بينالي الشارقة الدولي للفنون ١٩٩٩م



العولمة، غدت الهاجس الاكبر الممتد عبر زمانية نهاية هذا القرن. ولم يقتصر موضوع العولمة على مجالات الاقتصاد والسياسة وحدها، بل امتدت مساحات العولمة الى الفنون والآداب والثقافة، بل حتى إلى الاخلاق وتوجهات الحياة العامة.

بينالي الشارقة الدولي في دورته الرابعة اعتمد (المحلية والعالمية) محوراً أساسياً له.

وتبادل هذا المحور مجموعة من الدراسات منها: (الشمولية والذاكرة) - (الفن الاماراتي بين المحلية والعالمية) - (هل الفن جزء من الثقافة) - وحضر هذه الدورة جمهرة من المهتمين والمختصين في مجالات الفنون والثقافة، وكان التمثيل الدولي واضحاً فيها.

وخرجت هذه الدورة بمجموعة من التوصيات منها:

- مناقشة قضايا المصطلح الفنى والجمالي والعلمي، وتوسيع المشاركات الفنية للثقافات الثانوية والتعاون الايجابي من قبل الدول العربية والفنانين وتنظيماتهم مع معهد العالم العربي في باريس لتوسيع رقعة انتشار الفن العربي، وتأسيس مطبوعات ودوريات للثقافة البصرية والبحوث الجمالية، والدعوة عربيا لوضع استراتيجيات لتعليم الفنون، وخاصة الفنون الجميلة، ودعت الندوة دائرة الثقافة والاعلام بحكومة الشارقة وجمعية الامارات للفنون التشكيلية والجهات المعنية بالفنون في دولة الامارات الى الاهتمام بـ:

- تعميم تدريس مادة التربية الفنية والعمل على ايصال التجارب الفنية الى اوسع قطاعات الجمهور عبر وسائل الاعلام المرئي وتطوير وتشجيع الممارسة النقدية وتطوير العلاقات الفنية مع المحترفات العربية ومنطقة الخليج، وتوفير التجارب العالمية المميزة فيه لاحتكاك الفنون العربية بها ولمزيد من الحوار بين الثقافات.

الإسلام والتعددية

الكثير من أهل الغرب، غدا في حاجة لدراسة الاسلام، ليقف على المنهجية العقدية والفكرية والحضارية لهذا الدين، لهذا نجد الكثير من الحلقات الدراسية والندوات والمحاضرات واللقاءات قد أقيمت في أوروبا وامريكا بمشاركة عدد من الغربيين أنفسهم.

وفي سلسلة هذه الدراسات يأتي اليوم الدراسي الذي أقامه (المنبر الدولي للحوار الإسلامي) بالتعاون مع (جامعة ويست منستر) في بريطانيا.

وكانت هذه الدورة تحت عنوان (الاسلام والتعددية والمجتمع المدنى) ومن محاور هذا الموضوع: (العلمانية والدولة الحديثة في العالم الاسلامي - التعددية بين المسلمين - النساء المسلمات قوة تغيير في المجتمع الاسلامى - الفكر العربي المعاصر بين العلمانية والدين.

وشارك في تقديم المحاضرات جمهرة من المختصين، من العرب والغربيين. وذهب بعض المشاركين في هذه الحلقة الدراسية الى أن الكثير مما يصدر عن الدوائر الفكرية والسياسية الغربية وما تنشره وسائل الاعلام الغربية يميل الى تقديم صورة نمطية وبسيطة عن الاسلام فهو على حد زعمها دين مؤسس للاطلاقية (الشمولية) الفكرية والسياسية ولا يترك بالتالى أي مساحة للتعدد والاختلاف، ولكن اذا ما تحرر الغربيون من هذه النظرة السطحية والتبسيطية السائدة وتأملوا في موضوع الاسلام بصورة عميقة وهادئة فإنهم سينتهون في الغالب الى نتائج مناقضة لذلك تماماً. فوحدانية الله سبحانه وتعالى ليست نافية للتعدد على مستوى الكون وعالم الانسان بقدر ما هي باعثة على الاعتراف بالتعدد والتنوع. فإذا كان الله واحدا ومطلقا فكل ما سواه تعدد واختلاف.

وتطرق المشاركون الى ان الاسلام على الرغم من انه قدم نفسه خاتماً للرسالات السماوية، الا انه لم يعمل على استبعادها أو استئصالها بقدر ما عمل على احتضانها واستيعابها. ولهذا السبب بالذات كان التاريخ السياسي للمسلمين متسماً بقدر كبير من التسامح مع الديانات والعقائد المخالفة لدينهم.

منارات ومعالم :

جامعة الملك فيصل بتشاد

تعتبر جامعة الملك فيصل بتشاد مؤسسة اسلامية أهلية علمية أكاديمية ذات منفعة عامة ومن أهم أهدافها اعداد وتأهيل الشباب الدارس باللغة العربية للمساهمة في الدعوة الاسلامية والتنمية الوطنية والمحافظة على الهوية العربية والاسلامية في البلاد.

وأنشئت الجامعة في تشاد عام ١٤١١هـ الموافق ١٩٩١م بجهود ذاتية تشادية قام بها المهتمون بتطوير التعليم العربي والاسلامي في تشاد.

وقد سميت هذه الجامعة باسم الملك فيصل ـ رحمه الله ـ نظرا لما لهذا الاسم من مدلولات حيث كان له الفضل بعد الله سبحانه في إقامة مركز اسلامي أصبح معلما من معالم الحضارة في تشاد في الفترة ما بين ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤م، حيث ترتب على انشاء هذا المركز تطور التعليم العربي والاسلامي مما أدى إلى قيام هذه الجامعة.

وللجامعة دور هام في ربط الحاضر بالماضي وربط الحاضر بالمستقبل للنهوض بمستوى التعليم العربي والاسلامي والفهم الحضاري الصحيح لمقتضيات الحياة.

فهي تهتم بنشر العلم والمعرفة وبناء الانسان بناءاً تربويا إيمانيا يواكب مقتضيات العصر واحتياجات المجتمع وتدعيم أواصر الأخوة بين الناس، وتوثيق علاقة الانسان بماضيه وحاضره ومستقبله في ضوء تعاليم الاسلام.

وتضم الجامعة عدداً من الكليات وهي كلية اللغة العربية وكلية التربية ومركز المدينة المنورة للكومبيوتر ومركز الخدمات الجامعية وقسم الدراسات العليا.

وتمنح الجامعة الدرجات العليا التالية: درجة الاجازة العالية الليسانس ـ درجة دبلوم الدراسات العليا ـ درجة الماجستير ـ درجة الدكتوراه، وذلك من قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية والتاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية والتربية والجغرافيا.

كما تطرح الجامعة مشاريع مستقبلية منها انشاء كلية الشريعة وكلية العلوم والتكنولوجيا وكلية الطب وكلية الاقتصاد والادارة وكلية الزراعة فضلا عن انشاء مبان سكنية خاصة لطلاب الجامعة ولأعضاء هيئة التدريس فيها.

بريد القراء

سعادة الاستاذ الفاضل الأديب/ رئيس تحرير مجلة المنهل الغراء ـ يحفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فانه من دواعي الفخر والاعتزاز أن نرى مجلتنا المنهل وهي في عامها الخامس والستين تسير في خطى ثابتة مليئة بالشباب والحيوية ترتدي ثوب العلم والمعرفة جيدة في طباعتها وإخراجها، تزود القارىء بشتى أنواع الثقافة.

ومع بزوغ فجر المحرم العام ١٤٢٠هـ تصفحت صفحات منهلنا العذب بشغف وارتواء، فوجدت فيها ضالتي التي طالما أسعى إليها، إذ أنها تحتوي على موضوعات دينية وثقافية وعلمية من شتى أنواع المعرفة.

ومما أعجبني في هذا العدد ما كتبه الأستاذ الدكتور/ محمد عماره في سلسلته الجديدة تحت عنوان الاستشراق والظاهرة الاسلامية التي يوضح فيها آراء المستشرقين تجاه الاسلام والمسلمين.

وطفت ورحلت مع الدكتور/ محمد رجب البيومي في سلسلته الرائعة «رحلة في الذاكرة».

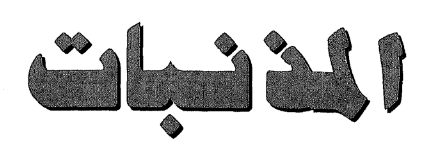
ولقد أبهجني ذلك الحوار مع المفكر والأديب الأستاذ أنيس منصور/ صاحب المؤلفات العظيمة ومدى جدية المحاور ـ الأخ مصطفى محمد مصطفى ـ وصراحة المحاور في الرد على الأسئلة التي شملت نواحي متعددة منها العولمة وأزمة المثقف أم أزمة الثقافة وكذلك القنوات الفضائية هل هي نعمة أم نقمة والحوار في مجمله يستفيد منه القارىء على اختلاف ثقافته ومعارفه.

وإني لا أملك في الختام إلا أن أوجه الشكر الى القائمين على مجلتنا المنهل المعطاء.

ودائما إلى الأمام والله يرعاكم.

محبكم/ صلاح بن عبد الله بن هندي ـ الاحساء ـ

زوار على غير موعد من الفضاء الخارجي



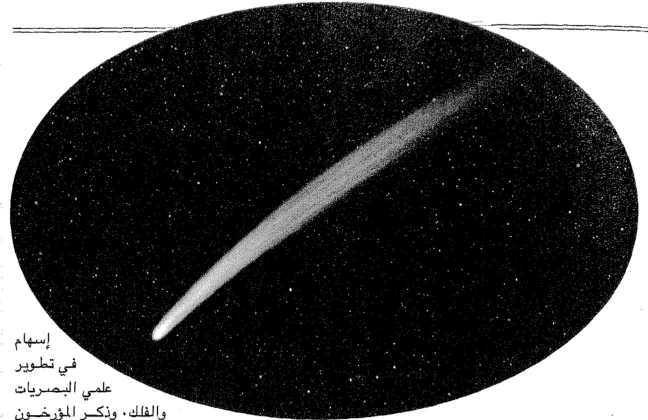
يمر بمجموعتنا الشمسية العديد من الزوار من الفضاء الخارجي من نيازك ومذنبات لا يشعر بزيارتهم سوى الفلكيين من خلال التلسكوبات الضخمة، ولا تجذب هذه الزيارات انتباه الناس عموماً إلا عندما يمكن رؤية منظرها الباهر في السماء أو بسبب الخوف من اصطدام «الزائر» بالأرض. وتعد المذنبات من أشهر هؤلاء الزوار الذين عرفهم الانسان منذ القديم. وسُجِّل تاريخ ظهورهم على الألواح الطينية في العصور البابلية وعلى عظام الحيوانات في الصين منذ آلاف السنين. وآخر هؤلاء الضيوف، قدم في نهاية شهر آذار (مارس) ١٩٩٧م هو مذنب هيل ـ بوب الذي كان كما توقع الفلكيون من المذنبات الكبيرة التى أمكن رؤيتها بالعين المجردة دون الحاجة للتلسكوب. وهو واحد من ٥٤ مذنباً حفلت بها مجموعتنا الشمسية خلال عام ١٩٩٧م.

يهتم الفلكيون، بالإضافة الى عامة الناس، كثيراً بالمذنبات. وشغل مذنب هالي العالم في عام ١٩٨٦ بسبب بُعد المدة الزمنية بين زياراته لمجموعتنا الشمسية، التي تصل الى معدل ٧٦ سنة حيث يتسنى للمرء رؤيته مرة واحدة في حياته. وتكتشف العديد من المذنبات من قبل الفلكيين وهواة الفلك ولكن قليلا منها الذي يقترب من الأرض الى درجة يمكن رؤيته بالعين المجردة دون الحاجة للتلسكوب. وحفل عام ١٩٩٦م باكتشاف هاوي الفلك الياباني المعروف يوجي هياكوتاكي، في الثلاثين من شهر كانون الثاني ١٩٩٦م، مذنباً جديداً سُمي باسمه (مذنب هياكوتاكي) أو C/1996 B2 مرّ في منظومتنا الشمسية وكان يُرى بالعين المجردة خلال شهري آذار (مارس) ونيسان (ابريل) من عام ١٩٩٦م. وقد دأب الفلكيون، منذ اقتراح راصد المذنبات الفرنسي شارل ميسييه على تسمية المذنبات باسم مكتشفها الأول أو مكتشفيها، وإضافة رقم تسلسل إذا كان للمكتشف نصيبا في اكتشاف أكثر من مذنب. ومن الطريف أن شارل ميسييه (١٧٣٠ ـ ١٨١٧) لم يكن فلكياً، فقد بدأ حياته العملية مساعداً في تسجيل الجداول الفلكية لفلكي فرنسي، ثم استهواه رصد المذنبات فاكتشف خلال حياته ثلاثة عشر مذنبا: كما نظم أول دليل للأجسام الفلكية ليستطيع تمييز المذنبات، عند أول ظهورها، عن السدم والتجمعات النجمية وغيرها. ومن أطرف ما يذكر عنه أنه شوهد يبكي بشدة بعد وفاة زوجته، لانشغاله بها في أيامها الأخيرة، مما أدى الى ضياع فرصة اكتشافه لمذنب سبقه إليه راصد آخر، وكان ذلك بعد اكتشافه لاثنى عشر مذنباً. كما ترقم المذنبات أيضاً برقم السنة التي أكتشفت فيها، مثل مُذنّب «١٩٧١أ» لأول مذنب اكتشف عام ١٩٧١م ومذنب «١٩٧١م ب» لثاني مذنب. وتكتشف حوالي عشرة مذنبات كل عام وهناك حوالي ألف مذنب معروف الآن، اكتشف منها ٤٠٠ قبل اختراع التلسكوب.

ولهواة الفلك حصة الأسد في اكتشاف المذنَّبات، فبينما يعكف الفلكيون المتخصصون عادة على توجيه تلسكوباتهم نحو أهداف محددة لدراستها حتى يعلن أحد هواة الفلك كل حين وآخر اكتشافه لزيارة على غير موعد لظاهرة فلكية مفاجئة، مثل مذنب أو انفجار نجم، لتستدير تلسكوبات الفلكيين المتخصصين باتجاه الظاهرة الجديدة لرصدها ودراستها مؤجلين مشاريعهم التقليدية الى حين.

وتُرى المذنبات الساطعة عادة عند الأفق بعد

بقلم: أ.د. شذى الدركزلي
جامعة درم ـ المملكة المتحدة



الغروب بقليل وحتى قبيل الشروق، وإن كانت هناك بعض المذنبات الضخمة شوهدت أثناء النهار مثل مذنب عام ١١٠٦م، وكان مُذنَّب عام ١٨٤٣ يرى أيضاً في النهار، وذكر أنه في ٢٨ شباط كان أسطع ٦٠ مرة من القمر. وفي متابعة لمحة من فيزياء المذنبات وما قطفه العلم من ثمار البحوث في النصف الثاني من القرن العشرين من معلومات عن أشهر مذنبين، مذنب هالي ومذنب هيل ـ بوب، يمكن فهم سبب ولع الفلكيين وهواة الفلك بظاهرة المذنبات الجميلة والغامضة.

شيء من فيزياء المذنبات:

اشتُقت كلمة المذنب Comet اللاتينية من الاغريقية aster Kometes وتعني النجمة ذات الشعر الطويل، وهي تسمية تصف شكل المذنب. ولقد أسماه الفلكيون العرب القدماء بالكوكب ذي الذؤابة، وأسماه محدثوهم بالمذنب لوجود شكل الذنب في نهايته. وأسهم العلماء المسلمون خلال العصر الوسيط أعظم إسهام في تطوير علمي البصريات والفلك. وذكر المؤرخون العرب العديد من الظواهر الفلكية ومن بينها المذنبات أمثال ابن القلانسي في كتابه «ذيل تاريخ دمشق»، وابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ»[١].

تظهر المذنبات الضخمة في السماء على شكل كتلة ضبابية كثيفة يتبعها ذيل مضيء من الغازات يمتد خلفها الى مساحة كبيرة من السماء، أما المذنبات الاخرى فغالباً ما تظهر بشكل كتلة ضبابية صغيرة، ويتم اكتشاف العديد من المذنبات كل عام إلا انها نادراً ما ترى بالعين المجردة، ويتابعها الفلكيون عادة بالتلسكوبات للدراسة والبحث.

تعرف دورة المذنب بالمدة التي يستغرقها المذنب ليتم دورة كاملة حول الشمس. والدورة الطويلة تعني وصول المذنب الى مسافات تبعد عن ابعد كوكب في المجموعة الشمسية. ويتغير شكل الذنب مع تغير موقع المذنب من الشمس، ويفقد المذنب خلال الدورة الواحدة، بعضاً من كتلته عند اقترابه من الشمس، **«شكل رقم(١)»** كما يمر بالمجال التجاذبي (التثاقلي) للكواكب الرئيسة في المجموعة الشمسية ويؤدي هذان

ـ تغير طول واتجاه ذنب المذنب مع موقعه من الشمس.

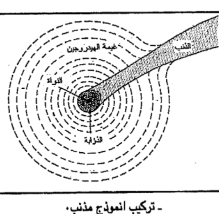
العاملان بالنهاية الى تقليل كتلة المذنب ومن ثم مدة دورته.

وللمذنب موقعان يعرف بهما، هما أقرب موقع له من الشمس ويسمى الحضيض الشمسي Per-ihelion وأقرب موقع له من الأرض Perigee، وتتناسب شدة سطوع المذنب عكسياً مع مكعب المسافة بينه وبين الشمس. وتصنف المذنبات الى نوعين رئيسين هما المذنبات الدورية Periodic أي المتكررة الظهور، والمذنبات طويلة الدورة Long Period ويضاف حرف C لتحديد نوعية الجسم الفلكي بالمذنب، أو Pللإشارة الى عودته الدورية Periodic, والاخيرة لا تعود إلا بعد مئات أو آلاف السنين، وقد تصل الى ملايين السنين، الى المجال القريب من الشمس، وهي التي سُجلت مرة واحدة في التاريخ، ومعظم المذنبات تنتمي الى النوع الثاني، ومذنب هالي هو المذنب الوحيد من المذنبات الدورية التي يمكن رؤيتها بالعين المجردة، لقد احتوى دليل المذنبات الذي نشر عام ١٩٧٩ على ١٠٢٧ مذنباً منها ٦٥٨ مذنباً يمكن تحديد دورته. يصنف ٥٤٥ من المذنبات ضمن المذنبات الدورية طويلة المدى (دورته تزيد على القرنين)، وحوالي ١١٣ مذنب قصير المدى (دورته تقل عن ٢٠٠ سنة) وما تبقى (أي ٣٦٩ مذنباً) هو من النوع المتكرر الظهور.

وتزداد بيضوية المدار مع زيادة مدة دورته، وتقترب مدارات المذنبات القصيرة الدورة من الشكل الدائري، فمذنب أينكة مدة دورته ٣ر٣ سنة، بينما تستغرق دورة مذنب كوهوتيك الذي رصد عام ١٩٧٤م حوالي ١٠٠٠ عام، ومذنب أينكة على اسم يوهان إنكة (١٧٩١ - ١٨٦٥) الفلكي والرياضي الألماني، كان ثاني فلكي بعد هالي يتنبأ بعودة مذنب في عام ١٨٢٢ والذي رصد في أستراليا فسُمي بعد ذلك باسمه. ولا يزال يُرصد حتى اليوم وقدره الضوئي حوالي ١١. أما مذنب كوهوتيك فاكتشفه الفلكي التشيكي لوبوج كوهوتيك (١٩٣٥) في ١٨ آذار مارس ١٩٧٣، وظهر بالقدر الرابع في كانون ثاني/ يناير ١٩٧٤م وامتد ذنبه ٢٥ درجة، وكان منظره أقل سطوعاً مما توقعه الفلكيون.

وكان لتطور الفيزياء وعلم الفلك أثرهما في فهم مكونات المذنبات وحركتها، ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين وضحت بعض معالم صورة المذنبات بفضل التلسكوبات الضخمة ورحلات الفضاء للأبحاث الفلكية في الربع الأخير من القرن العشرين. واستفاد العلماء من النتائج التى زودتهم بها الأقمار الصناعية التي اخترقت المذنبات العديدة وأهمها مذنب هالي. ويعتبر المذنب أفضل وسيلة للفلكيين لفهم تاريخ الأفلاك، لاحتفاظ المذنب بالمواد الأولية المكونة للسدم Nebulae قبل تكوّن المنظومة الشمسية. وتعد نظرية غيمة أورت التي اقترحها في عام ١٩٥٠ الفلكي الهولندي يان هندريك أورت (١٩٠٠ - ١٩٩٢) أكثر النظريات قبولا عند الفلكيين اليوم. تفترض هذه النظرية وجود ما يزيد على مئة بليون (أي ١١/١٠) مُذنباً أو ما يسمى بغيمة المذنبات أو غيمة أورت - يدورون في مدار بعيد عن المنظومة الشمسية، ولم ترصد غيمة أورت بعد، ويخمن الفلكيون أنها تبعد بين ٣٠٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ وحدة فلكية عن الشمس، وعند حدوث أي اضطراب في الغيمة بسبب تغير في المجال التثاقلي على أثر مرور نجم سريع مثلا يقتنص أحد المذنبات ويتغير مساره الى مسار يشبه شكل السيكار، تقع الغيمة في إحدى نهايتيه بينما تقع الشمس في النهاية الثانية.

يتكون المذنب من ثلاثة أجزاء رئيسة: النواة، وهي الجزء الصلب الداخلي من المذنب والذي يدور حول الشمس بمدار بيضوي، والذؤابة وهي «رأس المذنب» أو الجزء المضيء والمرئي من المذنب، والذنب بالإضافة الى غيمة الهيدروجين **«شكل رقم (٢)»**.



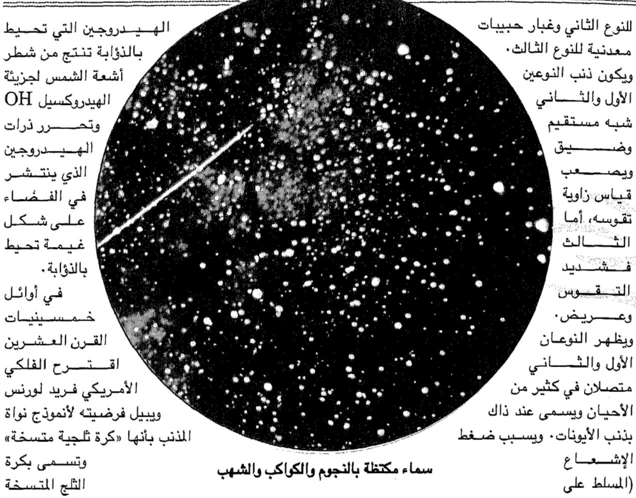
- تركيب انموذج مذنب.

يُصنّف الذنب الى ثلاثة أنواع اعتماداً على درجة تحدب الذنب ومركبات المذنب الكيميائية: وهي جزيئات متأينة (مثل أول اوكسيد الكاربون CO+) للنوع الأول وجزيئات (مثل الكاربون C2)

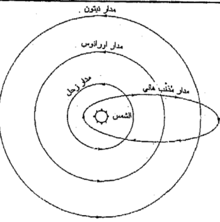
للنوع الثاني وغبار حبيبات معدنية للنوع الثالث. ويكون ذنب النوعين الأول والثـــاني شبه مستقيم وضــــيق ويصــــعب قياس زاوية تقوسه، أما الثــــالث فــشـــديد التــقـــوس وعــــريض. ويظهر النوعان الأول والثـــاني متصلان في كثير من الأحيان ويسمى عند ذاك بذنب الأيونات. ويسبب ضـغط الإشعـــاع (المسلط على المذنب من الشمس) والرياح الشمسية في دفع الذنب مبتعداً عن الشمس. وقليل من أنواع الجزيئات المكونة للمذنب هي من الجزيئات المستقرة مثل أول اوكسيد الكاربون والماء وسيانيد الهيدروجين HCN وسيانيد المثيل CH3CN، أمـا باقي الأنواع التي تقـارب الأربعين فتشمل على جذور حرة شديدة التفاعل مثل OH, CN وأيونات CH+,H2O+ أو ذرات مـثل الأوكسجين Oوالهيدروجين Hأو معادن مثل الحديد والكوبلت والنيكل والنحاس. وأسهمت تحليلات مذنب هالي في تأكيد وجود نحو ٢٠ نوعاً من الجزيئات العضوية، وقبل رصد مذنب هالي الدقيق في عام ١٩٨٦ كان من المؤكد أن كتلة صغيرة صلدة تختفي وراء رأس المذنب المرئي. وبُني هذا الاستنتاج من عودة المذنب للظهور بالرغم من فقدانه لجزء كبير من كتلته جراء اقترابه من الشمس.

أما الذؤابة فهي كرة من الغاز والغبار الكوني تحيط بالنواة، وهي مثل الذنب لا تتكون إلا عند اقتراب المذنب من الشمس. ويعتقد الفلكيون أن غيمة الهيدروجين التي تحيط بالذؤابة تنتج من شطر أشعة الشمس لجزيئة الهيدروكسيل OH وتحـــرر ذرات الهيدروجين الذي ينتشر في الفضاء على شكل غيمة تحيط بالذؤابة.

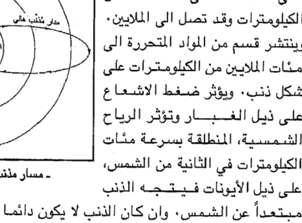
في أوائل خمسينيات القرن العشرين اقترح الفلكي الأمريكي فريد لورنس ويبيل فرضيته لأنموذج نواة المذنب بأنها «كرة ثلجية متسخة» وتسمى بكرة الثلج المتسخة لتكونها من جسيمات صخرية صغيرة مدفونة في كتلة غازية متجمدة، وبقطر يقارب بضعة كيلومترات مكونة من ماء وغازات بسيطة متجمدة، ويختلط مع المركبات المتطايرة المتجمدة في ثلج الماء حبيبات غبار كوني بنسب متساوية، وينطلق بفعل الثلج المتبخر كما ينطلق الصاروخ فكتلة نواة مذنب قطره خمسة كيلومترات تصل الى حوالي ٥٠٠ مليون طن. وعند اقتراب المذنب من الشمس تسخن المكونات السطحية لنواة المذنب مكونة الذؤابة والذنب وغيمة الهيدروجين، ولم تتوفر قياسات كافية لنواة مذنب هالي وكل ما تم الحصول عليه كان من الذؤابة والذنب فقط وكما سيأتي ذكره لاحقاً.


سماء مكتظة بالنجوم والكواكب والشهب

يصبح المذنب مرئياً عندما يقترب من الشمس، ويتكون الذنب نتيجة تحرير المكونات المتطايرة من نواة المذنب بسبب حرارة الشمس. ويتكون الشكل المرئي والمتميز للمذنب نتيجة فلورة وانعكاس ضوء الشمس من الغازات والجسيمات المتحررة من النواة. وتزداد كمية المواد المتحررة مع الاقتراب من الشمس وينتشر



- مسار مذنب هالي حول الشمس.



غلاف مضاء للنواة، وهو الذؤابة، التي قد تمتد الى عدة آلاف من الكيلومترات وقد تصل الى الملايين. وينتشر قسم من المواد المتحررة الى مئات الملايين من الكيلومترات على شكل ذنب. ويؤثر ضغط الاشعاع على ذيل الغبار وتؤثر الرياح الشمسية، المنطلقة بسرعة مئات الكيلومترات في الثانية من الشمس، على ذيل الأيونات فيتجه الذنب مبتعداً عن الشمس. وان كان الذنب لا يكون دائما مصاحبا للمذنب. ويبتعد ذيل الأيونات، وهو ضيق ومستقيم، عن ذيل الغبار، وهو عريض ومقوس، بسبب اختلاف سرعتيهما. فسرعة الغبار أقل من سرعة الأيونات. ويفقد المذنب ذيل الغبار بسبب العودة المتكررة للمذنب، كما في مذنب أنكه، بينما يبقى ذنب الأيونات المستقيم الأزرق اللون بسبب أيونات أول أكسيد الكاربون. أما مذنب هالي وبسبب طول مدة دورته فلا يزال يمتلك ذيل الأيونات الأزرق المستقيم وذيل الغبار الأبيض المائل للون الأحمر، ولبعض المذنبات يكون لونه أصفر شاحباً بسبب نوع المواد المكونة للغبار والتي تسبب استطارة ضوء الشمس عنها.

مذنب هالي: IP/HALLEY

لقد أسهمت حسابات الفلكي الإنجليزي أدموند هالي (١٦٥٦ - ١٧٤٢)، ورسمه مسار العديد من المذنبات باعتماده على نظرية نيوتن للجاذبية، في ترسيخ رأي الفلكي الدنماركي تاكيو براهه (١٥٤٦ - ١٦٠١) من أن المذنبات توجد خارج جو الأرض. ووجد هالي من حساباته أن المذنبات التي ظهرت في الاعوام ١٥٣١ و ١٦٠٧ و ١٦٨٢ أخذت المسار نفسه حول الشمس، وبمدة زمنية يصل معدلها إلى ٧٦ سنة بين كل واحدة منها. لذلك استنتج أنها مُذنَّب واحد يدور في مسار بيضوي حول الشمس ويتكرر ظهوره حسب طول دورته حول الشمس، فكان هالي أول من استنتج العودة المنتظمة للمذنبات، وتوقع عودة ظهور هذا المذنب في عام ١٧٥٨ وهو ما حدث فعلا، ولكن بعد ستة عشر عاماً على وفاته. لذلك أطلق الفلكيون اسمه (بعد وفاته) على هذا المذنب الذي كانت آخر زيارتين له في القرن العشرين هما في عام ١٩١٠ وعام ١٩٨٦م **«شكل رقم (٣)»**.

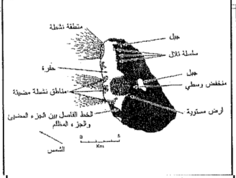
في عام ١٩١٠ وصل القدر الضوئي للمذنَّب الى صفر وأصبح على بعد ١٥ر٠ وحدة فلكية من الأرض، وامتد ذنبه الى مسافة ١٠٠ درجة في السماء فكان واضحاً، وللمقارنة فإن قطر البدر يمتد نصف درجة، أما في عام ١٩٨٦ فقد وصل الحضيض الشمسي في ١٩٨٦/٢/٩م واقترب من الأرض الى مسافة ٤٢ر٠ وحدة فلكية في ٤/١١، ووصل القدر الثالث وامتد ذنبه الى مسافة عشر درجات فقط، ولم يكن واضحاً في نصف الكرة الشمالي.

توقع علماء الفلك عودة مذنب هالي واستعدوا للقائه بسنوات عديدة قبل اقترابه من الأرض. وبالرغم من حسابات المسار المتوقع فقد فشل الفلكيون في رصده لمدة خمس سنوات حتى تمكن من اكتشاف مساره، في الساعات الاولى من صباح ١٩٨٢/١٠/١٦، باحثان من معهد كاليفورنيا الثقافي في مرصد بالومار فتوجهت التلسكوبات نحو الموقع لترصد المذنب وتتابعه حتى عام ١٩٨٩. كان قدوم مذنب هالي سبباً في الحصول على كم كبير من المعلومات عنه بصورة خاصة وعن المذنبات بصورة عامة. فقد انطلقت ست رحلات فضائية خصصت لدراسة مذنب هالي من مواقع مختلفة. كانت اثنتان من الرحلات سوفيتية Vega1 و Vega2 التي رصدت المذنب من بعد ٨٠٠٠كم عن النواة، واثنتان يابانية Sakigake و Suisei واثنتان أوربية، أقربهما القمر الصناعي جيوتو الذي أطلقته وكالة الفضاء الاوربية European Space Agency (ESA) التي تشترك بها إحدى عشرة دولة اوربية،

وكلف أكثر من مئة مليون دولار أمريكي «**شكل رقم (٤)**».

رصد جيوتو المذنب في الرابع عشر من مارس عام ١٩٨٦ من على بعد ٦٠٠ كيلومتر فقط ولمدة عشر دقائق وكانت سرعته ٦٨٫٤ كيلومتر/ ثانية. ويمكن تقدير كبر سرعة جيوتو من معرفة أن سرعة رصاصة من مسدس سريع تقارب ١ كم/ثا. وصُمم غلافه الخارجي بطبقتين سميكتين تحسباً لقصف جسيمات الغبار الكوني السريعة وبالرغم من ذلك فقد صدمت جيوتو جسيمة أكبر من المعتاد، وأدت الى ميلان الهوائي عن اتجاه البث نحو الأرض بثوان قبل وصوله الى أقرب موقع من المذنب، وفُقد الاتصال لمدة ساعة ثمينة قبل أن يعود بث الصور الى الأرض وفقدت معلومات مهمة عن نواة المذنب.

أوضحت صور جيوتو أن نواة مذنب هالي هي على شكل البطاطة أو الكمثرى، أبعادها ١٦ × ٨ × ٨ كيلومتر وحرارتها تتراوح بين ٣٠٠ الى ٨٠ درجة كلفن (لما كانت ٢٧٣ درجة كلفن تعادل الصفر المئوي، فإن ٣٠٠ كلفن تعادل ٢٧ درجة مئوية و٨٠ كلفن تعادل – ١٩٣ درجة مئوية)، وذات كثافة تخمن بـ ٥٠٠ كيلو غرام/ متر مكعب، أي حوالي نصف كثافة الثلج، أي أن الكتلة تقارب من ٣ × ١٠/١٤ كيلوغرام، وسجلت جيوتو ٣٠٠٠ صورة، قبل تلف آلة التصوير (الكاميرا) بسبب قصف جُسيمات غبار الذؤابة. ولم ينعكس سوى ٤٪ من الضوء الساقط على النواة بينما يبدو الباقي داكناً لذلك اقترح تغيير وصف النواة ببطاطة محروقة لأن معظمها يبدو داكناً ويبدو السطح أملساً ولكن هنالك تل يرتفع حوالي ٤٠٠ متر عن السطح، وهناك ما يشبه الحفر بعمق ٧٠ الى ٢٠٠ متر وعرض ١٦٠٠متراً «**شكل رقم (٥)**».

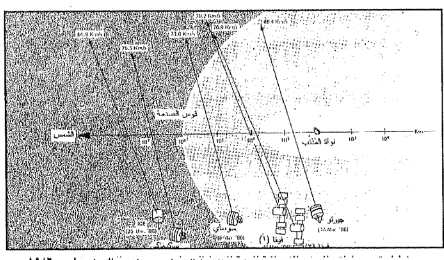


- مخطط شكل البطاطة المحروقة (لأن معظمها يبدو داكناً) لنواة مذنب هالي كما نتج تصوره من نتائج جيوتو

واستخدم جيوتو مرة ثانية عام ١٩٩٢، مكلفاً ١٤ مليون دولار أمريكي إضافية، لاستكشاف مذنب آخر هو مذنب كريغ ـ سكجيليروب ، أو Grigg - Skjellerup C26P . لقد اكتشف هذا المذنب هاوي الفلك النيوزيلندي جون كريغ (١٨٣٨ ـ ١٩٢٠) في عام ١٩٢٠، وبصورة مستقلة هاوي الفلك الأسترالي جون سكجيليروب (١٨٧٥ ـ ١٩٥٢) في عام ١٩٢٢، ودورته المدارية تستغرق ٥٫١ سنة، واقتربت جيوتو لمسافة ٢٠٠ كيلومتر من نواته في عام ١٩٩٢. وكانت نتائج جيوتو تشير الى أن المذنب يملك غباراً أقل من المتوقع، وكمية الغاز الناتج تقارب ١٪ مما ينتجه هالي. كما أن شظاياه تكون النيازك الدورية التي تشاهد خلال ٢٣ نيسان.

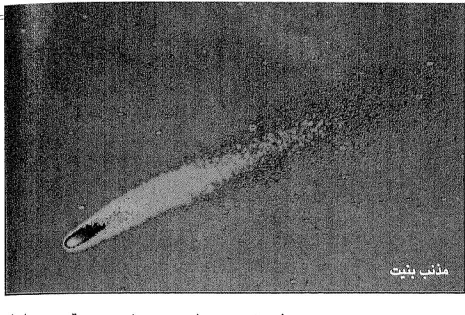
مُذنَّب هيل ـ بوب: (C/199501) أو (Hale-Bopp)

شهد الربع الأول من عام ١٩٩٧ زيارة مذنب مرئي بالعين المجردة هو مذنب هيل ـ بوب (Hale-Bopp) أو C/1995 01 الذي وصل ذروة السطوع في نهاية شهر آذار مارس ١٩٩٧ وكان من المذنبات التي أمكن رؤيتها لمدة طويلة بالعين المجردة وصلت الى سبعة أسابيع. اكتشف مذنب هيل ـ بوب الهاويان الأمريكيان ألان هيل (١٩٥٨ ـ وتوماس بوب (١٩٤٩–)



- مخطط تقريبي لمواقع السفن الفضائية الستة التي أطلقت لرصد مذنب هالي في مارس ١٩٨٦.

في ٢٣ يوليو ١٩٩٥ عندما كان على بعد ٧ر٢ وحدة فلكية عن الشمس ويزيد بعده عن ٦٥٠ مليون ميل من الأرض. وكان سبب اكتشافه على هذا البعد الشاسع هو سطوعه العالي غير المألوف.


مذنب بنيت

بدأ هذا المذنب مسيرته ضمن المجموعة الشمسية في أواخر آذار/ اغسطس ١٩٩٦ بقدر ضوئي حوالي ٩ وأصبح ثمانية في حزيران/ يونيو ١٩٩٦م وارتفع الى القدر السادس في آب/ أغسطس ١٩٩٦م واستمر قدره الضوئي في الارتفاع حتى وصل أوجه عند أقرب مسافة له من الأرض (٣٢ر١ وحدة فلكية) في ٢٢ مارس ١٩٩٧، ووصل الحضيض الشمسي، أقرب مسافة له من الشمس (٩١ر٠ وحدة فلكية)، في الأول من نيسان/ابريل ١٩٩٧. أمكن عند ذاك رؤيته بالعين المجردة وكان قدره الضوئي -٥ر٠ في نهاية آذار/ مارس ١٩٩٧، وفاق سطوعه الذاتي (أو القدر المطلق) أسطع مذنب منذ خمسمئة سنة. وعند موازنته مع مذنب هالي نجد أن سطوع الأخير كان بمقدار ٢٣ على البعد الذي اكتشف فيه مذنب هيل - بوب . ولمذنب هيل - بوب ذؤابة كبيرة، بسبب نشاط عال لنواته، الذي يعود الى كبر حجم النواة أو كبر حجم جزئها النشط. وامتد ذنب الغاز الى ٢٠ درجة، بينما امتد ذنب الغبار الى ٢٥ درجة، (يقدر قطر البدر بنصف درجة تقريباً). وساعد هذا في اكتشافه المبكر والحصول على كمية كبيرة من الأرصاد سبقت اقترابه من المشتري. فدورته قبل دخوله المنظومة الشمسية كانت ٤٢٠٠ سنة وستكون بعد خروجه منها ٢٣٧٩ سنة.

كان قطر نواة المذنب حوالي ٤٠ كيلومترا، وعند اقترابه من الشمس ازداد طول ذنبه فغطي ما يزيد عن ٣٠ درجة. ولم تنج الظواهر الفلكية، مثل الخسوف والكسوف والمذنبات، من نشاط الشركات السياحية واستغلالها. فقد نظمت بعض الشركات سفرات بالطائرة لمدة ٧٥ دقيقة لمراقبة المذنب في ٢٩ آذار ١٩٩٧ بسعر ١٢٥ جنيه استرليني انطلقت من مطار هيثرو في جنوب لندن، ورحلات بحرية من ساحل فلوريدا في أمريكا لمدة اسبوع واحد من نهاية شهر آذار (مارس) وبكلفة ألف دولار أمريكي. فالمذنبات تعد من الظواهر الفلكية «الشعبية» لكثرة اهتمام عامة الناس بها لجمال منظرها في السماء ولما يحيط بها من أخبار وأساطير منذ القدم وحتى يومنا هذا. فكم هو غريب تخيل حالة الأرض قبل ٤٢٠٠ سنة، عند زيارة هيل - بوب السابقة، وأغرب من ذلك صورتها بعد ٢٣٧٩ سنة عند الزيارة القادمة.

لكل مذنب تنبؤات قبل وصوله ومفاجئات بعد مغادرته، وكانت مفاجأة هيل - بوب يوم ١٦ نيسان ظهور ذيل ثالث اكتشفه فريق من الفلكيين في مرصد لاپالما في جزر الكناري أولا ثم أكده فلكيون آخرون في مراصد أخرى. فالمذنب كما ذكر سابقا، يتميز بذنبين هما ذيل أيوني (ضيق مستقيم وأزرق اللون) وذيل غباري (عريض مقوس وأبيض اللون أو أصفر شاحب). والذيل الجديد اكتشف بسبب استخدام كاميرا بمرشح خاص للصوديوم، وبذلك كان ذيل «الصوديوم» هو مفاجأة القرن لفلكيي المذنبات وهواتها. امتد ذيل الصوديوم الى حوالى ٥٠ مليون كيلومتر طولا و٦٠٠ ألف كيلومتر عرضاً، عندما كان المذنب في الحضيض الشمسي. يعتقد الفلكيون أن ذرات الصوديم التي شكلت الذيل الثالث، تنطلق من الذؤابة ومن ذيل الغبار وليس من نواة المذنب. وشكل ذيل الصوديم دقيق ومستقيم ينطلق من رأس المذنب متجها نحو اليسار أي مبتعداً عن ذيل الغبار. وكان العلماء يعتقدون بوجود ذرات الصوديوم في النواة فقط

ولكن انتشار الصوديوم الى مساحة واسعة في «ذيل الصوديوم» غيرت تلك الفكرة. وتابعت مسيرة المذنب صفحات عديدة من الهواة والفلكيين، في الإنترنيت. وبسبب المفاجئات العديدة للمذنبات وصفها أحد الفلكيين بأنها تشبه القطط، لها ذنب وتفعل ما يحلو لها.

خلاصة:

لقد دأب الإنسان على التشاؤم والحذر عند ظهور مذنب، بسبب تزامن ظهور العديد من المذنبات مع حصول كوارث، وظهرت في أواخر القرن التاسع عشر العديد من الرسوم الساخرة عن المذنبات وما يمكن ان تحدثه علي الأرض. ويبين الجدول التالي بعضاً من الحوادث والكوارث التي صاحبت ظهور بعض المذنبات:

جدول لبعض الحوادث المصاحبة لظهور مذنبات ضخمة

تاريخ ظهور المذنب	الحدث المصاحب
٤٤ ق.م	اغتيال يوليوس قيصر
١٠٦٦	غزو النورمانديين لإنجلترا
١١٠٦	الحروب الصليبية
١٦٦٥	وباء الطاعون في إنجلترا
١٦٦٦	حريق لندن الكبير
١٨١١	حروب عديدة في اوربا
١٩٨٦	١ـ انفجار مركبة الفضاء الأمريكية تشالنجر ٢ـ حادثة مفاعل تشيرنوبل النووي
١٩٩٦	كارثة وباء البقر في بريطانيا

إلا أن المتمحص لهذه الحوادث يجد أن أضعافها كان ولا يزال يحدث، في مختلف أنحاء العالم، من الأوبئة ـ بأنواعها العديدة ـ والحروب والكوارث بصورة مستمرة، فإن تزامن بعضها مع ظهور مذنب فلا علاقة للمذنب بهذا الأمر أو ذاك، ومع ذلك فلا يزال ربط المذنبات بالكوارث ملازماً لها حتى اليوم.

لقد كشفت بحوث المذنبات العديد من أسرارها، إلا أن الغموض لا يزال يكتنفها، مثل مصدرها وموعد عودتها الدقيق وسطوعها. وبالرغم من دقة حسابات الفلكيين واستعانتهم بالحواسيب الضخمة، فإنهم يخفقون في التنبؤ الدقيق بما يحصل للمذنب عند اقترابه من الشمس. ومفاجئات المذنبات عديدة وكم من المذنبات توقع لها الباحثون مظهراً باهراً في السماء، إلا أنها خيبت آمال الفلكيين وعامة الناس كما حصل مع مذنب هياكوتاكي في عام ١٩٩٦م. ولكن مفاجأة هذا المذنب كانت في ارتفاع شدة أشعة رونتجن (الأشعة السينية) التي رصدت لأول مرة من مذنب بواسطة القمر الصناعي الألماني Roentgen Satellite (ROSAT) الخاص بالكشف عن أشعة رونتجن، وقد فاقت شدة أشعة رونتجن ما توقعه الفلكيون بعدة مراتب وألقت بذلك ظلالا من الشك على نظرية الفلورة التي تعزى إليها إضاءة المذنب.

أما مُذنب هيل ـ بوب في عام ١٩٩٧م الأكثر سطوعاً فقد تحفظ بعض العلماء وكانوا أكثر حذراً في تنبؤاتهم لكي لا يخيب أمل الناس و«تتشوه» سمعة العلماء ودقة حساباتهم، خوفاً من أن يبدو المذنب مثل «لطخة» صغيرة بين النجوم الساطعة، مهما كان منظره باهراً بالتلسكوبات الكبيرة. وكانت مفاجأة مذنب هيل ـ بوب، بالإضافة الى سطوعه في اكتشاف ذيل الصوديوم الثالث.

إلا أنه من المؤكد أن الإنسان المؤمن عندما يرفع عينيه في ليلة صافية غير ملوثة بأضواء المدن، ويتطلع الى صفحة السماء الجميلة المزدانة بالنجوم والكواكب والسدم والمجرات وأحياناً بالمذنبات لن يجد سوى الشعور بالضعة والضآلة أمام هذا الكون العجيب والإقرار بجمال صنعة الخالق العظيم عز وجل.

المراجع:

Calder, N. (1992). Giotto to the Comets, London: Presswork.

Comet Hale-Bopp home page: http:// WWW. iac.es/Hale-Bopp/hbitp html Verschuur, G. (1996). Impacts: The Threat Comets and Asteroids, NY: Oxford University Press.

Yeomans, D. K. (1991). Comets: A Chronological History of observation, Science, Myth, and Folklore, New York: John Wiley & Sons.

التعريف والتنكير في القرآن الكريم

هذه الدراسة في حلقتها السابقة تتبعت (التعريف والتنكير) في كشاف الزمخشرى، صيغه ومضامينه، والابعاد التي ورد فيها، وفي هذه الحلقة تسجل الدراسة ملاحظاتها على ما أورده الزمخشرى في (التعريف والتنكير).

وأول ما نلاحظه هو أن الزمخشرى أعطى للتعريف والتنكير معانى نحوية وأخرى بلاغية، وأن المعنى النحوى كان يحمل في أعماقه المعنى البلاغي، أو أن صورتيهما بدت متداخلة في صنيع الزمخشرى، فكثيرا ما كان يقفز من المعنى النحوى الى المعنى البلاغى أو يتكىء عليه في سبيل الانتقال الى معان بلاغية وآفاق ذوقية.

ويتمثل الاتجاه النحوى - في التعريف بأل - في وقوفه على معنى العهدية والجنسية والموصولة والنائبة عن المضاف اليه والتى تفيد الابهام، فهو قد سلك بها منحى ذهنيا معينا أغفل معه كثيرا من الدلالات الوجدانية التى لا يمكن الغض من شأنها أو تقليل قيمتها في مواجهة الأثر الفنى. فالقول بالعهد والجنس معنيان قريبان لا يقصد بهما أكثر من التعيين والتجديد.

والموصولة خضعت لفكرة الربط بين أجزاء الكلام وتعليق بعضه ببعض ولهذا لاحظنا كيف أن الزمخشرى عطف الفعل - أقرضوا - على معنى الفعل في (المصدقين) من قوله تعالى **{إن المصّدقين والمصدقات وأقرضوا}**[١٤].

كما ضمن أل معنى الشرط ووقعت الفاء رابطة لجوابها من قوله تعالى {الزانية والزانى فاجلدوا}[١٥]، والابهام - وهو أبعد ما يكون عن المعنى النحوى - خضع لهذا الدافع القريب الذى اقتضاه سياق الكلام وتعليق بعضه ببعض.

وفي التعريف باسم الاشارة يتجلى هذا المنحى بوضوح في أهمية اسم الاشارة في ربط الكلام وائتلاف اجزاء النظم. كما يتجلى في التعريف بالاضافة بالعلاقة بين المضاف والمضاف اليه، وفي وجه الائتلاف بينهما كالتخصيص والايضاح (التبيين) والملابسة. وهى معان نحوية تعتمد على الاحساس اللغوى القريب والرؤية الذهنية والقياس المنطقى والكشف العقلى للظاهرة.

أما في التنكير فيتمثل هذا الاتجاه النحوى في المعانى الذهنية القريبة التى تفيد التبعيض والتقليل والتكثير والشمول، وعلى نية التعريف ومن أجل تنكير آخر والتخصيص أو النوع، وكلها من معانى النحو وأحكامه وألوانه. فهي في صورتها التى وقف عليها الزمخشرى أدوات للاشارة تهدف الى ايضاح المعنى وتحديده وجلاء الفكرة الملتبسة الغائمة لا مواقف وجدانية أو رموز أو تأويلات أساسية.

الكلمات المنكرة مبهمة وهو يستغل هذا الابهام في تلوين المعنى أو تفتيق الامكانات التى ينطوى عليها. ولهذا أخذ يستعين بالمقارنة بين المعانى

بقلم: د. تامر سلوم سلوم
استاذ البلاغة بجامعة الملك فيصل
- السعودية -

ويتكىء على الحجج العقلية والقياسات المنطقية والتحليلات اللغوية القريبة لتوضيح الفروق وابراز المعانى النحوية في أبهى ثوب عقلى لها.

نشاط الزمخشرى محصور في معرفة ما كان يسميه عبد القاهر الجرجانى مزايا النحو وهى «كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها» والمعنى عنده يقوم على هذه الثنائية القديمة: التفرقة بين الجوهر والعرض بين الدائم والمتغير بين الصفة ونقيضها، ولهذا نقرأ في العبارة باستمرار هذا التمييز بين العهد والجنس، بين التبعيض والتكثير والشمول وغيرها، المادة واحدة لكن هناك اضافات طارئة نحدد بها المعنى أو نبحث عن توكيده وايضاحه وتخصيصه ومطابقته لفكرة الصواب وسياق الكلام وأجزاء النظم.

وبايجاز نقول: ان الزمخشرى كان مولعا بالفروق النحوية التى شغف بها عبد القاهر قبله. وأنه كان يتلمس الدلالات الأخرى أو يهتدى اليها في ضوء هذه العلاقات النحوية التى ألفت معها كل مدلول ذوقى أو احساس جمالى.

ولكن هناك ظاهرة أساسية يهمنا كثيرا أن نشير اليها هى أن المعنى النحوى كان يطل، على معنى بلاغي أو آفاق ذوقية. فتعريف الجنس من قوله تعالى [والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا] ينطوى على تعريض[١٦] هذا التعريض يصح أن نقول عنه انه ملحظ وجدانى أو معنى بلاغى، لكنه ينبع من (أل) الجنسية أو من المعنى النحوى القريب ومن هنا نلاحظ أين يكمن المعنى البلاغى ومن أين ينبعث.

ويتمثل هذا المنحى في كثير من الاعتبارات النحوية التى لم تكن تخلو تماما من الاعتبارات الوجدانية كالقول (بأل الكمالية) أو التى تفيد الكمال في الصفة، والتى على تأويل التنكير، اذ الانتقال، من الجنس أو العهد الى القول بكمال الصفة والابهام الواسع الذى يحتمله التنكير، يمكن اعتباره في قرب وجدانيا، أو هو انتقال من ظاهرة اساسها نحوى الى ظاهرة بلاغية أو ملحظ وجداني.

واذا ما انتقلنا الى ضروب التعريف الأخرى فاننا نلاحظ أن المعنى البلاغى فيها أزهى مما كان عليه في (أل).

ففى التعريف باسم الموصول يتمثل هذا الاتجاه في الفروق التى وقع عليها الزمخشرى بين التعبير باسم الموصول (ما) واسم الموصول (من) وما يحمله اسم الموصول مع صلته من أصباغ ذوقية كالمدح والتفخيم أو الذم والتحقير. وهذه المعانى الجديدة هى التى نقول عنها انها ملحظ بلاغى ولكن يجب ألا ننس أن هذا الملحظ كان نابعا من ملحظ آخر هو اسم الموصول وصلته أى من معنى ذهنى وأساس نحوى.

وفي التعريف بالاشارة نهتدى الى معان وجدانية قريبة من المعانى الوجدانية في اسم الموصول كالتفخيم والتعظيم والاستحقاق، والاستهانة والتحقير والتصغير، وهى معان تنبع من فكرة الربط أو التعليق بين اجزاء الكلام التى يؤديها اسم الاشارة، أى انها ترتد كسابقتها الى ملحظ عقلى أو أساس نحوى.

وهذا المعنى البلاغى ينمو نموا ملحوظا في ظل معنى نحوى آخر هو التعريف بالاضافة فنجد التفخيم والتعظيم والتهكم والاستهزاء والاستحقاق والاستعطاف والرحمة والتحسر والمبالغة، ونجد أنفسنا أمام تعبيرات تنم عن احساس ذوقى غامض كقوله «وهذا أمر لا يدرك كنهه - أو - لا يعلم كنهه - أو - له شأن»[١٧].

على هذه الصورة نرى الزمخشرى ينتقل من المعنى النحوى الى المعنى البلاغى أو يفتش عن أحدهما في قلب الآخر. وغاية ما نقوله هو أن المعنى البلاغى نما وازدهر في ظل المعنى النحوى وأن خيال الزمخشرى واحساساته الجمالية نمت أيضا وصبغت النص بشيء من لونها وحرارتها.

واذا ما انتقلنا الى التنكير فاننا نجد هذا الاتجاه متمثلا في المعانى الثانية التى يفيدها التنكير كالتفخيم والتعظيم والكمال في الصفة أو بما لا يكتنه وصفه أو لوقوعه وراء صفة الواصف، أو كان يدل على التوبيخ[١٨] أو يكون ذا دلالة نفسية كقوله ان هذه النكرة «من أوقع النكرات وأحزها للمفصل»[١٩] وان في هذا التنكير إقناطا كليا[٢٠] أو أنه يشير الى اليأس والقنوط والحيرة[٢١].

والواقع أن هذا الملحظ الوجدانى نما نموا كبيرا في ظل التنكير الذى يفيد الابهام. فالابهام هو المعنى القريب للتنكير وهو المعنى الذى استغله الزمخشرى في اثبات أغراض أولى قريبة كالتبعيض والتكثير والشمول وغيرها، كما بينا. أما هنا فنراه يتجاوز الابهام الى آفاق شعورية جديدة أو لنقل ان المعنى النحوى ينطوى على معنى بلاغى. فالابهام في قوله تعالى (ووالد وما ولد) هو الابهام المستقل بالمدح والتعجب[٢٢] والابهام في كلمة (أساور) انما هو لابهام أمرها في الحسن[٢٣]، وفي كلمة (ساق) «للدلالة على أنه أمر مبهم في الشدة خارج عن المألوف»[٢٤] وفي (هدى) ابهام «لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره»[٢٥].

وهذه الآفاق الشعورية من الحسن والتعجب والشدة والتعظيم واليأس والحيرة والتوبيخ انما هى ادراك جمالى نابع من أساس نحوى أو هى احساس فنى لدلالة التنكير وتذوق حيوى لأسرار التعبير فيه.

شيء آخر يبقى في هذا الاتجاه هو تردد الزمخشرى، أحيانا، بين اثبات أغراض نحوية وأخرى بلاغية. فأل الكمالية تقترب من أل الجنسية، والتى على تأويل التنكير تختلط بمفهوم العهدية، والتعظيم في ما الموصولة يختلط بما المصدرية، والتنكير الذى يفيد التكثير والتبعيض يختلط بالتنكير الذى يفيد التفخيم والتعظيم: وتنكير الإبهام يختلط بالتنكير الذى يفيد التبعيض، والتنكير الذى يفيد الكمال في الصفة أو هو لأمر لا يكتنه وصفه يختلط بتنكير التبعيض والتقليل.

وهذا الخلط أو التردد في اثبات أغراض نحوية وأخرى بلاغية يكشف بوضوح أن المعنى النحوى يمكن أن يعيش في قلب المعنى البلاغى وأن المعنى البلاغى يمكن أن يعيش في قلب المعنى النحوى. وبتعبير آخر: انه لا نستطيع أن نضع حدودا فاصلة بين المعنيين فهما دائما يتبادلان التفاعل والتأثر وان المعنى النحوى يحمل الحاجة الى المعنى البلاغى وهذا بدوره يحمل الحاجة الى المعنى النحوى. والواقع أن الزمخشرى شعر بالتداخل المحير الذى يصل بين هذين الملحظين وبالصلة الغامضة التى تربط بينهما فخضع لهذا الاحساس والشعور ومن ثم جاءت صورة التعبير عنده مقترنة بهذين المنحيين (المنحى النحوي والمنحي البلاغي) ومؤلفة منهما.

نقد وتقويم:

ونحن اذا أمعنا النظر في صنيع الزمخشرى فإننا نلاحظ أنه يعطى لمعانى النحو أهمية خيالية. كل شيء يرتد الى مظاهر النشاط اللغوى وينبع منه. هذه هى خلاصة التعريف والتنكير بكل جزئياته وتعقيداته.

والواقع أن هذا الصنيع لا ينطوى على جدة حقيقية. اللغة تعرف الكلمات المنكرة المبهمة وتعرف الكلمات المحددة أو المعرفة، وجهد الزمخشرى محصور في تعقب مظاهر الإبهام والتحديد.

هذه الطريقة الفكرية تستغل ما تنطوى عليه مظاهر النشاط اللغوى من أمور كثيرة. فهى لا تضيف معانى جديدة كل الجدة وانما هى توثق الاشارة الى شيء سابق أو تعيد رسمه بألوان أزهى قليلا.

التعريف والتنكير وكل مظاهر النشاط اللغوى الأخرى لا تضيف شيئا جديدا وانما نستغل ما فيها من مزايا لا حصر لها. ونحن اذا قرأنا (التعريف والتنكير) وما ورد فيهما من مزايا أو ألوان بلاغية فسنجد الشغف الشديد بفكرة المدح والذم.

اننا نواجه باستمرار التعبيرات التى تشير الى المدح والتفخيم والتعظيم والاستحقاق، أو تلك التى على نقيضها من الذم والتعريض والتوبيخ والاستهزاء. والزمخشرى معذور، من الوجهة التاريخية، في ذلك لأن المدح والهجاء (أو الذم) هما محورا التفكير في دوائر البحث القديم.

بنية اللغة وبنية النحو يستحيلان الى أسلوب في المدح وأسلوب في الذم، وكل ما أراده الزمخشرى هو أن يتعمق هذه الفكرة ويجد صدى لها في تفتيق جوانب العبارة وبنية اللغة.

وهذا التزييف في مظاهر النشاط اللغوى يؤول الى اهمال فاعلية الخلق اللغوى وهدم الدلالة الكلية للعمل الأدبى بأبعادها المختلفة. فاللفظة أو الكلمة المفردة لا تشير الى معنى أو فكرة فحسب بل هى نسيج متشعب من الأحاسيس والمشاعر التى أنتجتها التجربة الانسانية والعبرة تكمن بما تحتويه اللفظة من مكنون شعورى وبما توحيه في موضعها من خواطر ومشاعر.

فالتنكير من قوله تعالى [أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها] أبعد من التبعيض[٢٦] الذى يذهب اليه الزمخشرى، فهو معنى قاصر لا ينهض بعبء كبير من الصورة الفنية المرسومة أمامنا. التنكير هو هذا الصدر الرحب الذى يحتضن الماء والسيل والزبد، أو لنقل هو هذا الإطار الخارجى للصورة.

وبداخله تبدو المفارقات. الماء وما يرمز اليه من جهة. والزبد وما يرمز اليه من جهة أخرى كل شيء داخل الاطار موج ومتحرك. وجمال التنكير انه يهب لأجزاء الصورة حرية التحرك داخل اطارها. الماء غزير بهطوله وسرعة ملتقاه والأودية تفتح ذراعيها له. ويكاد الصراع يمزق هذه الأجزاء لولا هذه الكلمة الرقيقة ـ بقدرها ـ التى تعيد التوازن للصورة وتمنح الماء هبة الخير والعطاء. صورة الزبد تتجدد دائما لكن سرعان ما تجف وتذبل.. عمرها قصير أشبه برحلة الحياة.

كل شيء في الصورة موج ومتحرك والتنكير هو وحده القادر على أن يهب لخيالنا أن يتذوق هذه المدلولات الوجدانية أو أن سر الجمال فيه ينبع من أنه يهبنا القدرة في أن نتلمس هذه الحالات النفسية أو نشاهدها في لوحة أو مشهد من لوحات الطبيعة ومشاهدها الخالدة.

والتنكير في قوله تعالى [وأن يحشر الناس ضحى] أبعد من دلالته على نية التعريف[٢٧] أو من الاحساس المعجمى القريب لهذه الكلمة (ضحى).

فهو يشير الى الثقة والنصر التى تملأ نفس موسى والى الطمأنينة والرضى التى تفعم صدره: أما ذلك المعنى النحوى القريب أو الاحساس اللغوى الميت، الذى يذهب اليه الزمخشرى، فلا ينهض بشيء من هذا الايحاء الوجدانى «بل ربما كان الأصح أن المعنى في كل استعمال يتجدد تجددا كليا، وأننا من أجل ذلك لا نستطيع، مثلا، أن نقول ان الضحى كلمة تعنى الوضوح والبروز. مثل هذا القول يبسط المعنى أكثر مما ينبغى ويختصره في كيفية أو نعت ويهمل جانبا كبيرا جدا من الارتباطات والمعانى التى اشترك الضحى في النهوض بها.

الكلمة نسيج حى أو هى أقرب الى مجموعة من العمليات، ولا يمكن فهمها بمعزل عن مواقف تجسيدها في الحياة. فتنكير الغد من قوله تعالى (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) توحى الى معنى أعمق من التعظيم الذى يقول به الزمخشرى[٢٨] أو من الاحساس القريب بالزمن الذى يعكسه الاحساس اللغوى.

أما هذا الغد ما سره؟ وماذا يحمل معه ؟ فهذا أمر متروك للتنكير الذى يطرق أسماعنا وينفذ الى مشاعرنا بكل ما أوتى من حيرة. انه رمز للمجهول الذى نطمح دائما في اكتشافه ورمز للحيرة التى تلفنا أو النكسة التى تعاودنا من حين الى حين عندما نخفق في تحقيق ما نصبو اليه.

ثم ان فاعلية السياق ودلالة التركيب ذاته لهما أثر لا نستطيع أن نتجاهله في الفهم الوجدانى لبلاغة التعريف والتنكير وقيمتهما النفسية اذ لا يمكن فهم دلالة أى منهما بمعزل عن مساقه أو بمنأى عن الدلالة الحيوية للتركيب اللغوى ذاته. فالنص أشبه شيء بالحقل لا يسقط عليه ضوء واحد دائما، كما أن ظروف تربته والحشائش التى تكسوه ليست بأية حال واحدة، وفي وسع المرء أن يعبر عن تجارب حياة كاملة بلغة هذا الحقل وألوانه وأضوائه المتغيرة. ومن أجل ذلك لا نستطيع أن نقول ان التعريف من قوله تعالى {وليس الذكر كالأنثى} للعهد كما يقول الزمخشرى[٢٩] فهو معنى قريب لم يقصد به أكثر من التعيين. واذا ما عدنا الى قراءة النص داخل سياقه أو في ضوء تربته التى ينمو عليها (ربِّ إنى نذرت لك ما في بطنى محررا فتقبَّل منِّى إنك أنت السميع العليم. فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى) فاننا نجد أنفسنا أمام عواطف انسانية متشابكة داخل النفس، يتعانق فيها الرجاء باليأس والدمعة بالابتسامة، أمام أمنية امرأة عجوز لا يزال في قلبها بقية من فتوة وشباب. والنص كله يكاد أن يكون تصويرا لهذه الحالة النفسية أو لهذه العواطف المتصارعة. رجاؤها نحس به في هذا النداء/ رب/، وحذف الأداة من هذا النداء رمز لاحساسها بالقرب الذى يدنيها من خالقها. والابهام في ما - ما في بطنى - رمز لحيرتها وأمنيتها المشوبة باليأس. والتعبير بهذا الفصل - تقبَّل - ليس خشوعا وتضرعا فحسب بل نحس أننا ازاء ارادة فيها شيء من الضعف، أو هى غصة محرقة تعاودها كلما لمست بيدها صفحة شبابها الذابلة. ثم انظر كيف كرر النداء وله هذه المرة طعم جديد ففيه التحسر والأسى وكيف جاءت جملة التأكيد لتزيل الستار عن بقية الأسى في نفسها.

في ضوء هذه الظلال الوجدانية أوفى ضوء ملاحظة هذه الحركة النفسية نستطيع أن نتمثل دلالة أل التعريف التى لا تعدو أن تكون عهدا نفسيا

يعيدنا الى هذه الأحاسيس والمشاعر باستمرار.

بل ربما كانت الاعتبارات النفسية من أصح ما يبنى عليه الفهم الوجدانى والذوقى لمدلول التعريف والتنكير فبالملاحظة النفسية تعلل أسرار التراكيب ودقائق النظم والتأليف، وبدونها يمس المعنى ساذجا قريبا لا تكاد النفس تطمئن اليه. ومن أجل ذلك لا نستطيع أن نقر الزمخشرى بالابهام القريب الناتج عن الاحساس اللغوى والذهنى للتنكير من قوله تعالى {اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا}[٣٠] فالقفرة والوحشة في هذه الأرض رمز لقلوب أخوة يوسف المقفرة من العطف والحنان.

وهذا الابهام أقرب الى أن يكون تعبيرا عن هذه العواطف الغامضة المبهمة - عواطف الأخوة المتشابكة - منه الى الاحساس الذهنى المجرد.

ومنبع الجمال في التنكير هو أنه يتيح الفرصة لخيالنا أن يتلمس جزئيات هذه اللوحة المعبرة ويسمح لنا أن نقرأ فيها هذه الدلالات النفسية العميقة والمواقف الوجدانية المتفاعلة - وهذه هى الحقيقة الفنية - للتنكير - التى يتم التوصل اليها عن طريق المعاناة دائما لا عن طريق الدراسة المجردة.

وغني عن البيان أن التعريف يميت معه هذه المعانى لأنه يرتد بنا الى أرض محددة معينة تلغي معها هذا الاحساس بالغموض والوحشة والقفرة التى نلمسها في التنكير.

تلخيص:

غاية ذلك كله أن المعانى البلاغية عند الزمخشرى كانت ترتد الى مظاهر النشاط اللغوى والى أحكام النحو وعلاقاته وأسرار نظمه التى أعطاها قيمة خيالية كبيرة جدا. وأن هذه المعانى البلاغية كانت اضافات طارئة لا تحمل معها شيئا جديدا بقدر ما كانت زخرفة أو تلوينا لمعنى سابق، ومن ثم تحولت بنية اللغة ومظاهر النشاط اللغوى الى شيء من هذه الزخرفة والتلوين.

وهذا الفهم القريب أهمل فاعلية الخلق اللغوى وبدا عاجزا عن استيعاب أسرار اللغة ووجوهها التى يدق فيها النظر، ومن ثم كان لابد من رؤية جديدة لفهم النشاط اللغوى المتمثل في (التعريف والتنكير) فهما وجدانيا يقوم على ايحاء الكلمة وتذوق مدلولها الحيوى، ودلالة التركيب، وفاعلية السياق، ومعرفة القيمة النفسية لهذا النشاط اللغوى وموقعه على النفس.

الهوامش:

(١٤) الكشاف: ٦٥/٤.
(١٥) الكشاف ٤٧/٣.
(١٦) الكشاف ٢/ ٥٠٨.
(١٧) الكشاف ٣/ ٢٤١.
(١٨) الكشاف ٣/ ٣٢٧ - ٣٢٨.
(١٩) الكشاف ٣/ ٢٨.
(٢٠) الكشاف ١/ ٢٧٩.
(٢١) الكشاف ٣/ ٤١٨.
(٢٢) الكشاف ٤/ ٢٥٥.
(٢٣) الكشاف ٢/ ٤٨٣.
(٢٤) الكشاف ٤/ ١٤٧.
(٢٥) الكشاف ١/ ١٤٥.
(٢٦) الكشاف ٢/ ٣٥٦.
(٢٧) الكشاف ٢/ ٥٤٢.
(٢٨) الكشاف ٤/ ٨٦.
(٢٩) الكشاف ١/ ٤٢٥.
(٣٠) الكشاف ٢/ ٣٠٥.

المصطلحات الإنشائية والمعمارية في القـــرآن الكريـــم

القرآن الكريم ينبوع العلوم والمعارف، والإعجاز العلمي فيه واضح في دقته المتناهية في تصوير حقائق الكون الراهنة. وقد تكرر لفظ العلم ومشتقاته فيه، مئات المرات، وحث على النظر فيما يتعلم منه الإنسان في آيات كثيرة، بل ودعا إلى السير في الأرض والهجرة لطلب العلم، كما جاء في قوله تعالى في سورة العنكبوت/٢٠ **{قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق}**.. وقد دعا القرآن الكريم إلى دراسة مختلف العلوم، وإنه حوى أصول هذه الدراسات في مختلف قطاعات العلم. فعلى سبيل المثال نجد أن الآية/٣٠ من سورة الأنبياء: **{أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي}**، قد شملت أهم نظرية في خلق الكون واسمها (نظرية لابلاس) في خلق السماوات والأرض. وقد بحثت بين آيات الكتاب المبين عن بعض المصطلحات الهندسية الإنشائية والمعمارية التي نستعملها في كتاباتنا الهندسية، وأسهبت في دراسة معانيها اللغوية والهندسية، مع ذكر المصطلح الإنجليزي المرادف لها، من خلال دراسة موجزة لتطور البناء والإنشاءات عبر التاريخ، والذي ارتبط بشكل وثيق بتطور مواد البناء وتقنيات البناء والتشييد.

١ ـ المقدمة:

بسم الله والحمد لله الذي ينفدُ البحر قبل أن تنفد كلماته، سبحانه أنزل الفرقان كتاباً محكماً ناصع البيان، قاطع البرهان. هو العليم الذي لا تحيط فهارس الكائنات بواسع علمه، والحكيم المتعالي الذي لا غور لقاموس حكمته.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبي الأمة سيدنا محمد، المبعوث بالحق والرحمة، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا يخفى ما يعانيه المرء ـ أحياناً ـ إذا أراد الاستشهاد بآية كريمة من القرآن الكريم، للرجوع إلى أحكامه الشرعية في أمور دينه ودنياه. ويزداد الأمر صعوبة عندما يتعلق الأمر بالبحث عن المفردات والمصطلحات الفنية والهندسية بشكل عام، وما يماثلها من ألفاظ، أو ما يقابلها من كلمات أو مصطلحات كذلك التي نستعملها في كتبنا العلمية وبحوثنا أو دراساتنا التخصصية.

لقد باشرت بالبحث بين آيات الذكر الحكيم عن المفردات الهندسية في مجال هندسة العمارة والإنشاء وإني ـ مع شدة ما عانيت من مشقة البحث والجمع والمراجعة ـ لا أبرىء نفسي من زلة السهو، فإني أبرأ إلى الله تعالى من خطأ العمد، وأستغفره لما طغى به القلم.

٢ ـ الانسان والبناء :

منذ وجد الإنسان، وفجر التاريخ، كان الشعور بالحاجة الماسة للسكن (المأوى)، وكان المأوى بدائياً، حيث لجأ الإنسان القديم إلى اتخاذ الكهوف

بقلم: سامي ميري كاظم
كلية الهندسة ـ جامعة ناصر *
ـ ليبيا ـ



(Caves) التي لم يشارك في بنائها، بل كونتها العوامل الطبيعية، مأوى له. وكنتيجة لشغف الإنسان، منذ القدم، لاكتشاف العالم الذي يعيش فيه، وتعرفه على أسرار الطبيعة ومخاطرها، استطاع تطويع الطبيعة وصنع الحضارة (Civilization)، فابتدأ يفكر في بناء مأواه بأسهل الطرق، وباستخدام أكثر المواد توفراً لديه، فاستخدم غصون الأشجار وجذوعها لبناء الهيكل البدائي لكوخه، ونسج جدرانه من حصائر أوراق الأشجار، وطور الكهوف الطبيعية ببناء جدران حجرية لها، وبنى الأكواخ الحجرية وسقفها بحجارة مسطحة أو متطاولة منتقاة، وكساها، وسد الفراغات بينها بالأعشاب والطين. واستخدم قاطنو السهول والوديان (الطين) لبناء أكواخهم وخلطوها بالتبن فحصلوا على مادة بناء جيدة شيدوا منها مساكنهم. وعلى نفس المبدأ، استخدم الرعاة جلود الحيوانات وشعورها، فشيدوا منها خيامهم الخفيفة المشدودة بالحبال والسهلة النقل. كما شيد قاطنو المناطق القطبية الثلجية أكواخهم من قطع الثلج المتجمدة، وكسوها من الداخل بفراء الحيوانات التي يصطادونها.

ومع تطور المجتمع البشري، وتطور الحياة الجماعية لدى الناس، وظهور التجمعات المستقرة التي تطورت إلى مدن، ظهرت الحاجة إلى تطوير الأبنية التي بدأت تستخدم لأغراض مختلفة، غير المأوى، كالمعابد والقلاع والقصور ومشاريع الري والجسور والسدود الواقية من السيول... الخ. وقد أدى هذا التطور في الحياة الاجتماعية للإنسان إلى وجود مالكين للأراضي يستغلونها للصيد والرعي والزراعة والسكن.

وقد ذكر القرآن الحكيم مصطلح (المُلك Prop-erty): ما يُملك ويتصرف فيه، والجمع (أملاك)، ويقال (ملك الشيء مُلكا: حازه وانفرد بالتصرف فيه، فهو مالك). وفي التنزيل العزيز: في سورة الإسراء/١٠٠ **{قل لو أنتم تملكون خزائن}**، وسورة يس/٧١: **{فهُم لها مالكون}**. وعلى هذه الأرض التي يمتلكها الفرد.. يبني له مسكنا يلجأ إليه ليجد فيه الراحة والسعادة والأمن والطمأنينة، حيث تردد مصطلح (السكن Home) المسكن - والجمع (مساكن) - في سور قرآنية عديدة، منها سورة الإسراء/١٠٤ **{اسكنوا الأرض}**، وفي سورة ابراهيم/٤٥ **{وسكنتم في مساكن}**، وفي سورة التوبة/ ٢٤: **{ومساكن ترضونها}**، كما وردت مصطلحات مرادفة للسكن، مثل مصطلح (البيت Home): مأوى الإنسان، ثم قيل لما يُتخذ للسكنى، والجمع (بيوت)، كما جاء في قوله تعالى في سورة النور/ ٦١: **{... من بيوتكم أو بيوت آبائكم}**، وسورة الأحزاب/ ٥٣: **{.. لا تدخلوا بيوت**

٠٠}، وسورة البقرة/ ١٢٥: **{وإذ جعلنا البيت مثابة٠٠}**، وكذلك مصطلح (الدار Dwelling): المنزل المبني، والموضع الذي يسكنه الناس، والجمع (دور) و (ديار)، وقد ورد في سورة هود/ ٦٥: **{٠٠ تمتّعوا في داركم٠٠}**، وفي سورة الأعراف/ ٧٨: **{٠٠ فأصبحوا في دارهم٠٠}**، وفي سورة البقرة/ ٨٤: **{٠٠٠ من دياركم٠٠}**، وقد ذكر مصطلح (القصر Palace): البيت الفخم الواسع المبني بالحجارة أو نحوها، وجمعه (قصور)، كما جاء في سورة الحج/ ٤٥: **{٠٠٠ وقصر مشيد}**، وفي سورة الأعراف/ ٧٣: **{٠٠٠ من سهولها قصورا٠٠}** مثلما أشار التنزيل العزيز إلى مصطلح (عمارة Architecture): ما يُعْمَرُ به المكان، وهو مبنى كبير فيه عدة مساكن في طوابق متعددة، وعمّره عمارة، فهو معمور، وقد ورد في سورة التوبة/١٩: **{٠٠ وعمارة المسجد الحرام٠٠}**، وعمارة المسجد بما يناسبه من إقامة الشعائر والعبادة، وفي سورة الطور/٤: **{والبيت المعمور}**.

ومنذ بدء الخليقة، والإنسان دائم الرحيل من مكان لآخر هو وحيواناته، باحثا عن الخضرة والعيون والماء، فإذا وجدها في مكان ما، بدأ في استيطانه واستقر فيه، وأنشأ ما يعرف بالتجمع العمراني. وقد ورد ذكر مصطلح (الماء Water) في سورة الأنبياء/ ٣٠: **{٠٠ وجعلنا من الماء كل شيء حي٠٠}**، وفي سورة البقرة/٧٤: **{٠٠ فيخرج منه الماء٠٠}**، وفي سورة الحجر/٢٢: **{٠٠ فانزلنا من السماء ماء٠٠}**. وقد ذكر مصطلح (العيون Springs)، قالوا: عين الماء، تشبيها لصفائها ومائها الجاري. كما جاء في قوله تعالى في سورة يس/٣٤: **{٠٠ وفجرنا فيها من العيون}**، وفي سورة القمر/١٢: **{وفجرنا الأرض عيونا٠٠}**، وفي سورة الحجر/٤٥: **{٠٠٠ في جنّات وعيون}**.

وقد تشكلت من هذه البيوت والمساكن قرب منابع المياه والعيون، المستعمرات البشرية والعمرانية التي أصبحت نواة لمنشأ القرية، ومن تجمع القرى تكونت المدينة، ومن هذه المدن، تكونت الأمصار والبلدان. ولم تنشأ القرى أو المدن ولم تتطور بشكل عفوي، إنما كان نموها نتيجة جملة من العوامل الاستراتيجية المتعلقة بالموقع والموضع والعوامل الاقتصادية والسياسية، وكانت المدينة في كل العصور رمزاً للعمل والراحة والأمان، فهي تتفاعل مع المناطق المحيطة بها، وهي نقطة التقاء وتجمع للطرق وخطوط المواصلات والمنتوجات الزراعية والصناعية ولجميع البضائع ومركز للخدمات والمؤسسات المالية والمصرفية.

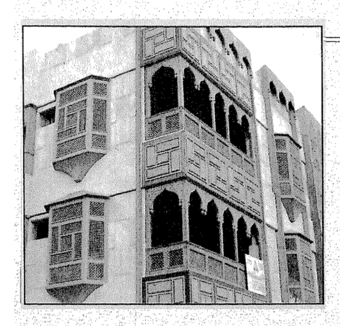
وقد ورد مصطلح (القرية Village): كلُّ مكان اتصلت به الأبنية، والجمع (قرى)، في سور قرآنية عديدة نذكر منها، في سورة الأنعام/ ١٢٣: **{٠٠ جعلنا في كل قرية٠٠}**، وفي سورة القصص/ ٥٨: **{وكم أهلكنا من قرية٠٠}**، وفي سورة البقرة/ ٥٨: **{٠٠ ادخلوا هذه القرية٠٠}**، بينما ورد ذكر مصطلح (المدينة City): البلدة العظيمة تجمع المنازل والأسواق، وجمعها (مدن) و(مدائن)، إذ جاء في سورة يوسف/ ٣٠: **{وقال نسوة في المدينة٠٠}**، وفي سورة الحجر/ ٦٧: **{وجاء أهل المدينة٠٠}**، وفي سورة الأعراف/ ١١١: **{٠٠وأرسل في المدائن حاشرين}**.

٣ـ مواد الإنشاء وخصائصها:

لتحقيق الوجه الأكمل لأي منشأ هندسي في المتانة والديمومة، يستوجب وجود التصميم المتكامل الذي يأخذ في الحسبان، المواد الإنشائية المستعملة والظروف التي تتعرض لها، والمدة التي ستستعمل فيها، وكذلك عامل الأمان والاقتصاد في التكلفة. وقد ظهرت حاجة الإنسان إلى المواد الإنشائية مع ظهور حاجته للمسكن. وقد استخدم مواد الإنشاء المتوفرة في الطبيعة قديماً، فاستخدم الأحجار والصخور والطين والرمل والقطران. وبدأ الإنسان في اختراع بعض الأدوات البسيطة التي تساعده على تشكيل المواد التي يصنع منها مسكنه، فكانت الأدوات عندئذ بدائية تمكنه فقط من تقطيع الأحجار وتهذيبها وتقطيع فروع الأشجار وتقليمها.

واستمر الإنسان في تطوير تلك الأدوات والآلات التي تساعده في تحقيق متطلباته ورغباته، وتطورت خبرة البنائين لمواكبة متطلبات الحياة المتزايدة. وقد

وردت في آيات الذكر الحكيم إشارات عديدة للمواد الإنشائية مثل مصطلح (الطين Clay): واحدتها طينة، الوحل المعروف، وقد يسمى طيناً بعد زوال مائيته، طين لازب، كما جاء في سورة الأنعام/٢: {..**خلقكم من طين..**}، وفي سورة ص/٧٦: {..**وخلقته من طين**}، بينما ورد ذكر مصطلح مماثل (الصلصال: كل ما جف من الطين ما لم يجعل خزفاً)، حيث ورد ذكره في سورة الرحمن/١٤: {.. **من صلصال كالفخار**}، وفي سورة الحجر/ ٢٦، ٢٨، ٣٣: {.. **من صلصال من حماء مسنون**}. كما ورد ذكر مصطلح (الحجارة Stone): واحدتها الحجر، المادة الصلبة التي تتخذ من الجبال، ويقال كسارة الصخور. إذ وردت في قوله تعالى في سورة الذاريات/٣٣: {.. **حجارة من طين**}، وفي سورة الفيل/ ٤: {.. **بحجارة من سجيل**}، وفي سورة البقرة/ ٧٤: {.. **فهي كالحجارة أو أشد قسوة..**}. كما ذكر مصطلح (الصخر Rock): الحجر العظيم الصلب، واحدته صخرة، إذ ورد ذلك في سورة الكهف/ ٦٣: {..**إذ أوينا إلى الصخرة..**}، كما أشارت بعض سور الذكر العزيز إلى مصطلح (غبرة Dust): الغبار، ما يبقى من التراب المثار، حيث ورد ذلك في سورة عبس/ ٤٠: {.. **يومئذ عليها غبرة**}.. بينما تطرقت بعض آيات الكتاب المبين إلى مصطلح (ركام Aggregate): ما اجتمع من الأشياء وتراكم بعضه فوق بعض، حيث جاء في قوله تعالى في سورة النور/ ٤٣: {.. **ثم يجعله ركاما..**} .. وقد ورد مصطلح (التراب Dust): ما نُعِّم من أديم الأرض، ويقال ما تفتت ودُقّ من جنس الأرض، حيث ورد ذلك في سورة النحل/ ٥٩: {.. **أم يدسه في التراب..**}، وفي سورة الحج/٥: {.. **خلقناكم من تراب..**}. كما ورد ذكر مصطلح (القطران Tar): عصارة شجرة الأرز، تطبخ ثم تطلى بها الإبل، ويقال مادة سوداء سائلة لزجة تستخرج من الخشب والفحم ونحوهما، وهي مادة إنشائية مانعة للرطوبة، وتستخدم في رصف الطرق.. وقد ورد ذكرها في سورة إبراهيم/ ٥٠: {**سرابيلهم من قطران..**}.



كما أشار القرآن الكريم إلى مواد إنشائية أخرى مثل مصطلح (الزجاج Glass): جوهر صلب سهل الكسر، شفاف، يصنع من الرمل والقلي، والزجاجة: القطعة من الزجاج. حيث ورد ذلك في سورة النور/٣٥: {.. **المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب..**}. كما تطرق الكتاب المبين الى مصطلح (الحديد Iron): عنصر فلزي معروف يجذبه المغناطيس، ومن أنواعه: الزهر والمطاوع والصلب، حيث وردت سورة قرآنية كاملة تحمل اسم (سورة الحديد)، وقد ورد منها الآية/٢٥: {.. **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس..**}. بينما ورد ذكر المصطلح في سور قرآنية أخرى، منها سورة الكهف/ ٩٦: {**آتوني زبر الحديد..**}، وسورة سبأ/١٠: {.. **وألنا له الحديد**}. كما أشار القرآن الكريم إلى ذكر مصطلح (الرمل Sand): فتات الصخر. وحدد القرآن الكريم خصائص هذا النوع من التربة غير المتماسكة (Noncohesive) كما جاء في سورة المزمل/١٤: {.. **كثيبا مهيلا**}، فالكثيب: الرمل المتراكم، والمهيل: الرخو اللين وغير المتماسك. مثلما وردت بعض الخصائص الفيزيائية للمواد الإنشائية.. حيث ورد مصطلح (عذب فرات Fresh): الشديد العذوبة، إذ ورد ذكر ذلك في سورة فاطر/١٢: {.. **هذا عذبٌ فرات..**}، وفي سورة المرسلات/ ٢٧: {.. **وأسقيناكم ماء فراتا**}. بينما ورد ذكر مصطلح (ملح أجاج Salt): الشديد الملوحة. إذ ورد ذكر ذلك في سورة

فاطر/١٢: {٠٠ وهذا ملح أجاج٠٠} كما ورد في الذكر المبين مصطلح (لين Soft)، يقال: لان الشيء: سهل وذهبت صلابته، فهو لين، حيث جاء ذلك في سورة سبأ/١٠: {٠٠ وألنا له الحديد}٠ بينما جاء ذكر مصطلح (صلد Hard): الصلابة واليبس، كما ورد في سورة البقرة/ ٢٦٤: {٠٠ فتركه صلداً٠٠} وقد جاء ذكر مصطلح (الدك Compaction): يقال دكَّ الأرض: فتَّت أجزاءها وسوّاها، مثلما جاء ذكر ذلك في سورة الفجر/٢١: {كلا إذا دُكَّت الأرض دكا دكاً}٠ وفي سورة الأعراف/ ١٤٣: {٠٠ جعله دكاً٠٠}٠ وقد أشارت بعض آيات التنزيل العزيز إلى مصطلح مماثل (الرص Compaction): يقال رص البنيان: يرصه رصاً: أحكمه وجمعه وضم بعضه إلى بعض، فالبنيان مرصوص، إذ ورد ذلك في سورة الصف/٤: {٠٠ كأنهم بنيان مرصوص}٠ وقد ورد ذكر مصطلح (الثني Bending): يقال ثنى الشيء يثنيه ثنيا: عطفه ورد بعضه على بعض، حيث جاء ذلك في سورة هود/٥: {٠٠ يثنون صدورهم٠٠}٠ وقد جاء مصطلح (المثلى Optimum): وهو وصف للتفضيل لكل ما هو فاضل ذو مزية في نوعه وبابه، نحو قوله تعالى في سورة طه/٦٣: {٠٠ ويذهبا بطريقتكم المثلى}٠

٤ ـ طرق البناء وأنظمة التشييد:

منذ خلق الإنسان، ظهرت معه الحاجة إلى مأوى يحميه من تقلبات الجو وأخطار الطبيعة المحيطة به ومع تطور حياته، تطورت احتياجاته، ومع هذا التطور تطورت طرق البناء وتقنياته وأنظمة التشييد، ومرت بمراحل مختلفة، وذلك على مرّ الأزمان والعصور٠٠ وقد استخدم الطابوق الطيني (الآجر) في بناء الجدران والأعمدة والسقوف، بينما وجدت شواهد تاريخية كثيرة تدل على قدم استخدام الأحجار في التشييد، في بناء الأعمدة الحجرية (Columns) والأعتاب أو الحواجز المنحوتة من الحجر (Beams)، والأقواس (Arch-es)، والعقود (Vaults)، والقباب (Domes)... الخ، وكان لتطور صناعة الحديد وطرق استخراجه وصهره تأثير كبير على شكل المنشآت وحجمها، كما كان اكتشاف السمنت والخرسانة، ثم بعد ذلك الخرسانة المسلحة (Reinforced Concrete) والخرسانة المسبقة الإجهاز (Prestressed Con-crete) ثورة في عالم الهندسة الإنشائية والمعمارية، فظهرت إنشاءات خرسانية عملاقة وفريدة من نوعها٠ وهكذا ارتبط تطور الأبنية والإنشاءات (عبر التاريخ) بشكل وثيق بتطور مواد الإنشاء وتقنية البناء والتشييد، وقد استنبطت نظريات وطرق لتصميم المنشآت الخرسانية أو الفولاذية، تعتمد على مقدار الأحمال القصوى المسلطة ونوعيتها، وعلى خصائص الأعضاء الإنشائية التي تسلط عليها هذه الأحمال، وعلى سعة تحمّل تربة الأساس الذي يستقر عليه المنشأ٠

وقد أشارت آيات الذكر الحكيم الى مصطلحات إنشائية ومعمارية عديدة بهذا الخصوص٠ فمثلا ورد ذكر مصطلح (الإنشاء Construction): يقال أنشأه: أوجده وأحدثه، ويقال أنشأه: رفعه، حيث جاء ذلك في سورة الواقعة/٣٥: {إنا أنشأناهن إنشاءا}٠ بينما ورد ذكر مصطلح (الحمل Load): الثقل أو الجسم الذي يرفع، وحمل الشيء: أقله ورفعه، والجمع أحمال٠ في سورة الحاقة/١٤: {وحملت الأرض} وفي سورة النحل/٢٥: {ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة} وهو تشبيه لحمل الذنوب بحمل الأثقال٠ كما ورد مصطلح (ثقل Weight)، ثقل الشيء ينقل نقلا فهو ثقيل أي رجح، وثقل الشيء وزنه، وتجمع (أثقال)، حيث ورد ذكرها في سورة العنكبوت/١٣: {وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم٠٠} وفي سورة الأعراف/٨: {والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه٠٠}، بينما ورد ذكر مصطلح (سعة Capacity) ويقال سعة الشيء: طاقته، ووسع الشيء الشيء: حمله فلم يضق عنه٠ إذ ورد ذكرها في سورة الطلاق/٧: {لينفق ذو سعة من سعته٠٠} في حين أشارت بعض آيات الذكر المبين إلى ذكر مصطلح (الأقصى Maximum): أقصى الشيء: أبعده وبلغ أقصاه، والأقصى: الأبعد٠ حيث ورد ذلك في سورة الإسراء/١: {٠٠ إلى المسجد

الأقصى..} وفي سورة يس/٢٠: {وجاء من أقصى المدينة..}. كما ورد ذكر مصطلح (القصوى Ultimate): الغاية البعيدة، وهي مؤنث (الأقصى)، حيث جاء ذكرها في سورة الأنفال/٤٢: {... وهُم بالعُدْوَة القصوى..}.

وأشارت بعض سور الكتاب المبين الى مصطلحات انشائية ومعمارية أخرى، مثل مصطلح (السور Wall): الحاجز أو الحائط، أي كل ما يحيط بشيء من بناء وغيره، حيث جاء ذكر ذلك في سورة الحديد/١٣: {.. فضرب بينهم بسور له باب..} وكذلك ورد ذكر مصطلح (الجدار Wall): الحائط، وجمعه (جدُر) أو (جدران).. حيث ورد في سورة الكهف/٨٢: {وأما الجدارُ ..}. وفي سورة الحشر/١٤: {.. أومن وراء جُدُر..}.. كما أوردت بعض سور القرآن الكريم ذكر مصطلح (الغرفة Room) العلّية، والجمع (غرف) أو (غرفات)، حيث جاء ذكرها في سورة الزمر/٢٠: {.. لهم غُرَفٌ من فوقها غُرَفٌ مبنية..} وهي إشارة واضحة إلى البناء الهيكلي (Post and Beam System) وهو أحد الأنظمة الإنشائية للأبنية. وقد ورد مصطلح مماثل (الحجرة Chamber): المكان من الدار يحاط بجدران، وجمعها (حجر) و(حجرات)، كما جاء في سورة الحجرات/٤: {.. ينادونك من وراء الحجرات..} حيث ضم القرآن سورة تامة تحمل اسم الحجرات.

في حين أشارت آيات قرآنية كريمة أخرى إلى مسميات ومصطلحات لأبنية ومنشآت معروفة حالياً، مثل مصطلح (المسجد أو الجامع Mosque): مصلى الجماعة، والجمع (مساجد)، حيث ورد ذكر ذلك في سورة التوبة/١٨: {إنما يعمر مساجد الله..}. وفي سورة البقرة/١٩١: {.. ولا تقاتلوهم عند المسجد..}، وقد ورد ذكر مصطلح (السد Dam): الحاجز بين الشيئين والبناء في مجرى الماء ليحجزه والجمع (سدود)، كما جاء في قوله تعالى في سورة الكهف/٩٣: {.. بلغ بين السدين..}. وفي نفس السورة/٩٤: {تجعل بيننا وبينهم سدا}. وقد ورد ذكر مصطلح (البرج Tower) الحصن أو البناء العالي الذاهب في السماء، والجمع (بروج) و(أبراج)، حيث جاء في سورة النساء/٧٨: {.. في بروج مشيدة..}.

٥ـ مراحل تنفيذ البناء (مراحل الإنشاء):

تمر المشروعات الهندسية بالمراحل التالية ـ منذ ظهورها كفكرة إلى أن يتم تنفيذها:

المرحلة الأولى: دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع.

المرحلة الثانية: إعداد وثائق مناقصة المشروع.

المرحلة الثالثة: مرحلة تنفيذ المشروع.

فإذا كانت نتائج دراسة الجدوي الاقتصادية للمشروع إيجابية، ستبدأ الخطوة التالية لإعداد التصاميم والمواصفات الفنية للمشروع، وصيغ التعاقد وشروطه، ثم تطرح أعمال المشروع في مناقصة عامة ويتم تحليل العطاءات والبت فيها، حيث يعهد العمل بأكمله إلى مقاول متخصص أو أكثر، وتبرم (عقود Contracts): مفردها (عقد)، وهي العهد، وحيث إن العقد هو شريعة المتعاقدين، لذا فإن إعداد صيغة مناسبة للعقد والمستندات التي تلحق به، تعتبر من أهم العناصر الأساسية لعملية تنفيذ المشاريع، حيث ورد ذكر مصطلح (عقود) في سورة المائدة/١: {... أوفوا بالعقود...}.

(أ) ـ مرحلة تخطيط المواقع:

يبدأ تنفيذ المشاريع الإنشائية بمجموعة من الإجراءات الضرورية قبل المباشرة بالتشييد أو البناء، ومنها استحصال الموافقات الإدارية الأصولية للشروع بالبناء، وتسييج الموقع وتوفير الخدمات العامة اللازمة لإدارة المشروع. حيث ورد ذكر مصطلح (البناء Consruction): بمعنى الشيء المبني، والجمع (بُنيان)، وبنى البيت: أقامه، حيث ورد ذلك في سورة البقرة/٢٢ وغافر/٦٤: {... والسماء بناء...}، وفي سورة الصف/٤: {... كأنهم بنيان مرصوص}، وجاء منها مصطلح (بنّاء Constructor): وهو من يحترف البناء، حيث وردت في سورة ص/٣٧: {...

كلٌ بنَّاء وغواص}. ويجب تحديد موقع الأبنية ومراكز أسسها وجدرانها، وكذلك تعيين المناسيب والإحداثيات المتحكمة.. الخ، حيث يتم أولا تنظيف الموقع وإزالة الأنقاض وتسويته وتعديل أرضيته وتحويلها الى ساحة، حيث ورد مصطلح (الساحة Courtyard): فناء أو فضاء واسع، والجمع (السوح)، كما جاء في سورة الصافات/١٧٧: **{فإذا نزل بساحتهم..}**.

وتستخدم أجهزة ومعدات القياس المساحية لتحديد الاتجاهات، إذ يمكننا ـ بالتوجيه الجيد للبناء ـ الإستفادة من الإضاءة الطبيعية والتكييف بتأثير حرارة الشمس (حسب الحاجة)، وجعل إطلالة البناء مناسبة ومريحة للناظر، والتخفيف من حدة الضوضاء، مثلما تساعد المناطق الخضراء والأشجار في تحسين شروط الموقع ومناخه المحلي. وقد تطرق القرآن الكريم إلى مصطلحات (الإتجاهات Directons): يقال وجهه توجيها: جعله في ناحيته وصوبه، والوجه: الشيء يتوجه إليه كالقبلة، والوجهة: المكان المتوجه إليه والناحية، حيث ورد في سورة البقرة/١٤٨: **{ولكل وجهة...}**، وفي سورة سبأ/١٥: **{... جنتان عن يمين وشمال...}**، وفي سورة البقرة/١١٥: **{ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله..}**. وقد أشارت آيات الذكر المبين إلى مصطلح (الإستقامة Alignment): إستقام الشيء: خلا من العوج، ويقال (المستقيم Straight): المستوى القويم الذي لا اعوجاج فيه ولا التواء، حيث جاء في سورة الفاتحة/٦: **{اهدنا الصراط المستقيم}**. وفي سورة الأحقاف/٣٠: **{.. إلى طريق مستقيم}**. وقد تكرر ذكر مصطلح (الطريق Road): المسلك الذي يسير عليه الإنسان، وجمعها (طرق) و(طرائق)، حيث ذكرت سورة طه/٧٧: **{... فاضرب لهم طريقا..}**، وفي سورة النساء/١٦٩: **{إلا طريق جهنم..}**.

وقد أشار الكتاب المبين إلي مصطلحات تخص وحدات القياس، فمثلا ذكر مصطلح (السلسلة Chain): وهي وسيلة قياس مساحية للطول، وكذلك مصطلح (ذراع Cubit): مقياس يقدر به، وطوله من المرفق إلى أطراف الأصابع، حيث ورد ذلك في سورة الحاقة/٣٢: **{في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً..}**، بينما جاء ذكر مصطلح (الطول Length): طال الشيء: إمتد، حيث ورد ذلك في التنزيل العزيز في سورة الإسراء/٣٧: **{ولن تبلغ الجبال طولا..}**، بينما ورد ذكر مصطلح (العرض Width): خلاف الطول، ويقال عرض الشيء: جانبه وناحيته، حيث ورد ذكر ذلك في سورة آل عمران/١٣٣: **{... وجنة عرضها السموات والأرض..}**، بينما ورد ذكر مصطلح (العمق Depth): البعد أسفلا، ويقال (عميق Deep): أي بعيد القعر وصفا للمكان، حيث ورد ذكر ذلك في سورة الحج/٢٧: **{... من كل فج عميق..}**. بينما أشارت بعض سور الذكر الحكيم إلى ذكر مصطلح (السمك Thickness): المسافة ما بين أسفل الشيء وأعلاه، وسمك الشيء: غلظه وثخانته، ويراعى فيه البدء من الأسفل، فإن نظر إليه من العلو قيل له عُمق، حيث ذكر ذلك المصطلح في سورة النازعات/٢٨: **{رفع سمكها فسواها}**.

(ب) ـ مرحلة تنفيذ الأساسات:

يعتبر تنفيذ الأساسات، المرحلة الأولى لبناء أي مبنى، وقد يتطلب الأمر حفر التربة ـ عندما تكون هشة وضعيفة ـ إلى عمق كبير حتى نصل إلى الطبقات الصخرية التي تعتبر مناسبة لكي يستقر فيها المبنى، وخاصة في الأبنية الهيكلية المتعددة الطوابق. وقد ورد ذكر مصطلح (الحفر Cut): حفر الشيء: أحدث فيه حفرة، والحفرة (Pit):جزء من الأرض نزع عنه ترابه فانخفض.. حيث جاء في سورة آل عمران/١٠٣: **{... وكنتم على شفا حفرة..}**، بينما جاء ذكر مصطلح (الردم Fill): ردم الشيء ردماً، ويقال ردم الحفرة وهال فيها التراب، والردم: السد، حيث ورد في سورة الكهف/٩٥: **{... أجعل بينكم وبينهم ردماً}**.. وقد أشار الكتاب المبين إلى ذكر مصطلح (الأسس Footings): أسس بنيانه، أي أقامه على أساس، وهو قاعدته التي يبنى عليها، والجمع (أسس)، حيث ورد ذلك في سورة التوبة/١٠٨: **{... لمسجد أسس على التقوى..}**، في نفس السورة/١٠٩: **{أفمن أسس بنيانه..}**، مثلما ورد مصطلح (القواعد Footings): قاعدة الدار: أساسها، والجمع: قواعد، حيث ورد

ذكرها في سورة البقرة/١٢٧: {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت٠٠}٠

(ج) ـ مرحلة تنفيذ الأعمدة:

بعد تنفيذ الأساسات، ترتفع الأعمدة في البناء الهيكلي التقليدي٠ وقد يختلف ارتفاع هذه الأعمدة وشكلها (مقطعها) ومواد إنشائها٠ وتنفذ الأعمدة بارتفاعات مختلفة لإحداث تغيير في المظهر الخارجي للأبنية٠ ولمراعاة النواحي الجمالية والمعمارية، يستخدم مزيج من الوحدات السكنية الأرضية، أو المتعددة الطوابق، وقد ورد ذكر مصطلح (عمود Column): دعامة رأسية، ويقال: ما دعمت به، والجمع (أعمدة) و(عُمد)، والعماد: ما يقام عليه الخباء، وكذلك البناء٠ حيث ورد ذكرها في سورة الرعد/٢: {٠٠ رفع السموات بغير عمد٠٠}، وفي سورة الفجر/٧: {إرم ذات العماد}، وفي سورة لقمان/١٠: {٠٠ بغير عمد ترونها٠٠}٠

(د) ـ مرحلة تنفيذ الجوائز والسقوف:

بعد تنفيذ الأعمدة، يتم إنشاء الجوائز (Beams) والسقوف (Slabs) والسلالم (Stairs)، وقد ورد ذكر مصطلح (السقف Slab): غطاء المنزل ونحوه، وهو أعلاه المقابل لأرضه، وجمعه (سقوف)و والسقيفة والسقيف: كل بناء سقفت به صُفّة أو نحوها مما يكون بارزاً، حيث ورد في سورة الأنبياء/٣٢: {وجعلنا السماء سقفا٠٠}، وفي سورة الطور/٥: {والسقف المرفوع}، وفي سورة النحل/٢٦: {٠٠ فخرَّ عليهم السقف٠٠}٠ بينما ورد ذكر مصطلح (السلالم Stairs): ما يصعد عليها إلى الأمكنة العالية، وهي مرادفة لكلمة (معارج): أي مصاعد٠٠ كما ورد في سورة الزخرف/٣٣: {٠٠ ومعارج عليها يظهرون}٠

الخاتمة:

القرآن الكريم، كتاب الله وكلامه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو ينبوع العلوم والمعارف، وهو جميل في ظاهره وباطنه، جميل في معناه، جميل إذا سمعته أو تلوته، وهو معجز في مجال أسلوبه ودقة تصويره، وتنسيق ألفاظه، وروعة بيانه، وهو صالح لكل زمان ومكان، ويحوي الكثير من الكنوز والذخائر في الكون كله، سواء في الدنيا أو في الآخرة {ما فرطنا في الكتاب من شيء٠٠} سورة الأنعام/٣٨، ولذلك فجميع ما تم اكتشافه واختراعه منذ الخليقة، وما سيتم اكتشافه واختراعه، حتى قيام الساعة من علوم وأسرار، مادية وغير مادية، له إشارات وومضات في القرآن الكريم٠

المراجع:

(١) إنشاء المباني ، زهير ساكو وآرتين ليفون، كلية الهندسة/ جامعة بغداد، الطبعة الأولى ١٩٨٣٠

(٢) الإنشاء المعماري ـ عناصر البناء الأساسية، د٠ عمر محمد أبو جناح وآخرون، نشر مشترك دار الأنيس للنشر والتوزيع ـ مصراته، وجامعة ناصر/ كلية الهندسة، الخمس، الطبعة الأولى ١٩٩٤٠

(٣) «تخطيط المدن»، د٠ فاروق عباس حيدر، منشأة المعارف، الاسكندرية ١٩٩٤٠

(٤) «التكنولوجيا الحديثة في البناء» د٠ محمد محمود عويضه ـ منشورات دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٨٤٠

(٥) «فتح الرحمن لطالب آيات القرآن» ترتيب علي زاده فيض الله الحسني المقدسي، منشورات مكتب الإعلام والنشر لجمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس ١٩٨٢٠

(٦) «قواعد تخطيط المدن»، د٠ نايف محمود عتريسي ـ دار الراتب الجامعية ـ بيروت٠

(٧) «المخصص» ، لابن سيده الأندلسي ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت (خمسة أجزاء)٠

(٨) «مصطلحات الهندسة المدنية» مصبوعات المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٩٠٠

(٩) «معجم ألفاظ القرآن الكريم» ـ مجمع اللغة العربية ـ القاهرة ١٩٧٣٠

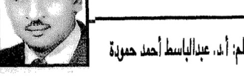
(١٠) «المعجم الوسيط» مجمع اللغة العربية ـ القاهرة ١٩٧٣ (جزأين)٠

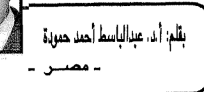
القصص النبوي | قصص الأنبياء

في هذا العصر الذى يبعد عن البعثة النبوية بأكثر من أربعة عشر قرنا، هذا العصر اقتربت فيه المجتمعات الإنسانية وانفتح بعضها على بعض واقتربت عن طريق الاتصال والمواصلات، حتى أشبهت القرية الصغيرة، وتناقلت فيما بينها المذاهب والنحل، والعادات والتقاليد، والآثار والأفكار، في كل مجالات الحياة الأدبية والعلمية والسياسية والاقتصادية والدينية، ونمت الصراعات بين الأمم ، للاستيلاء على الموارد بكل الوسائل والحيل وضعفت أمم وخضعت لغيرها، لأنها فقدت بعض مقوماتها الأساسية، وفي مقدمتها: الانبهار و الانصهار والخضوع لثقافة غيرها، وأخذها بالمذاهب الوافدة من سياسية واجتماعية ودينية، فمحقت شخصيتها وتلونت في قوالب أمليت عليها عن طريق التعليم والإعلام، فدارت في فلك، وسلكت طرقا، أبعد ما تكون عن عقيدتها ودينها وتراثها وأخلاقها.

خضعت تلك الأمم لدول استعمارية وبعد رحيلها - بقيت تلك الأمم - التى كانت خاضعة تحت تأثيرها دائرة في فلكها، متظاهرة أنها تنقل الحضارة الإنسانية، وتستفيد من تجارب العلم والفكر والثقافة في عصرها، ولكنها لم تأخذ إلا أسوأ ما عند الآخرين، كالانحلال الخلقى، والتبرم والانسلاخ عن الأديان والقيم والتراث، لتستظل بظل العلمانية الملحدة، والشيوعية المادية، تطبق هذه تارة وهذه تارة أخرى، وظلت تجرى مبهرة وراء السراب حتى خسرت أعظم مقوماتها، وانفرط عقد شخصيتها المستمدة من دينها ولغتها وتراثها. ومن المؤسف أن الأكثرية - لجهلها المركب - تنكر هذه الحقائق، ولم ولن تحاول الرجوع عن غيها، بزعم أنها علي طريق الحضارة والتقدم العلمى، الذى سارت عليه المجتمعات الغربية الحديثة، والواقع غير ذلك: (المجتمع الحديث، إذن ، مجتمع يتميز بـ (العلمانية) في التوجيه، والعلمانية في التوجيه، شعار يقصد منه أن الدول العلمانية تبعد في سياستها الداخلية والخارجية، وفي توجيهها للناشئة - عن طريق المدرسة والجامعة، وللرأى العام عن طريق الصحافة والإذاعة والنشر - تبعد الدين، كما تبعد رجاله، عن أن تكون لهم حظوة عند الشعب أو نفوذ عليه. والمجتمع العلماني، أو الدول العلمانية، هو المجتمع، أو الدولة التى تدخل في اعتبارها من أول الأمر، تتبع الاتجاهات الدينية، وتنحيتها عن مجال التوجيه، أو على الأقل، تجاهل هذه الاتجاهات وتناسيها)[١].

وعلى الرغم من أن أوربا، تصدر العلمانية إلى بلاد المسلمين بصفة خاصة، على





بقلم: أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
- مصر -

النحو السابق (فإن أوربا الحديثة وأوربا المعاصرة، مجتمعاتها ودولها مجتمعات ودول دينية، هى مجتمعات ودول أخذت في الاعتبار منذ قيامها وتكوينها حماية الدين والذود عن المسيحية.. فانجلترا حامية البروتستنتية، وفرنسا حامية الكاثوليكية، بل راعية التبشير بها خارج أوربا كلها، في آسيا وافريقيا.. ويتمثل على وجه أخص في مطاردة الإسلام في هاتين القارتين، بعد ما قامت محاكم التفتيش في إبعاده عن إسبانيا، وامبراطورية النمسا في دفعه عن حدود فينا إلى بلاد البلقان، وروسيا القيصرية في دفعه عن القرم.. ثم السياسة الأوربية الشرقية والغربية على السواء في دفعه بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية من بلاد البلقان ومن بلاد القوقاز الى الحدود المتاخمة جنوبا للبلقان والقوقاز[٢]).

وقد عملت هذه الأمم على تحقيق هذه الأهداف، وأمعنت في مكرها بإعداد مراكز تتمثل فى مدارس الإرساليات والجامعات والخدمات الاجتماعية، لتخريج أجيال تدين بثقافتهم وفكرهم، وتعمل على موالاتهم بصور ملتوية كالوطنية والقومية على حساب الإسلام وثقافته وتراثه، ولا يخفى دور محمد على في ازدواجية التعليم في مصر، وكمال أتاتورك في مطاردة كل مظهر للإسلام، وإيثار اللغات الأجنبية والقوانين الوضعية مما عجل بالرابطة الإسلامية، ثم تلتها روابط أخرى حتى وصل حال الأمة الإسلامية إلى ما هى عليه الآن.

وفي ضوء ما تقدم رأيت الكتابة عن قصص الأنبياء في القصص النبوى، لأنه من أهم دعائم الإيمان في عقيدة هذه الأمة، لأنه يرسخ الإيمان العملى ويزكى صفات الصبر والتحمل والجهاد والاقتداء بهؤلاء الأعلام في مسيرة قافلة الإيمان في هذا الكون.

وقصص الأنبياء مهم جدا لتحقيق الأهداف والغايات التى نرجوها لهذه الأمة، كما كانت أسوة وتسرية وعظة وعبرة للأنبياء السابقين ولسيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} سيد المرسلين، واكثر سور القرآن الكريم تشتمل على قصص الأنبياء مع أممهم وأقوامهم، وقصص النبي {صلى الله عليه وسلم} مع أهل الكتاب والمشركين والمنافقين، ووقائع للمسلمين. وذلك كله لأخذ العبرة والاعتبار والتمسك بشرع الله والوقوف عند حدوده. ومن الأمثلة على ذلك قوله، تعالى على لسان شعيب ـ عليه السلام ـ **{ويا قوم لا يَجْرِمَنَّكُم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، وما قوم لوط منكم ببعيد}** (هود/٨٩).

ومن ذلك قوله تعالى لمحمد {صلى الله عليه وسلم}: **{ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون}** (آل عمران/٤٤).

وقوله: **{ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون}** (يوسف/١٠٢) وقوله: **{تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا، فاصبر إن العاقبة للمتقين}** (هود/٤٩) وقوله تعالى: **{وكلا نقصُّ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين}**

(هود/١٢٠) وقوله تعالى: **{وما كنت بجانب الغربيّ إذ قضينا إلى موسى وما كنت من الشاهدين}** (القصص/٤٤) وغير ذلك من الآيات.

ولذلك نرى في قصص الأنبياء من خلال القصص النبوى، يفيض في تفسير وشرح القصص القرآني، لتجلية العبرة أمام خير أمة أخرجت للناس في آخر الزمان، وهو قصص يتضمن ما كان منذ بدء الخلق، وما سيكون بعد رسالة محمد {صلى الله عليه وسلم} في الدنيا وفي الآخرة، فريق في الجنة وفريق في السعير. وفي القصص النبوي الاعجاز البلاغى من حيث الشكل، ومن حيث المضمون، إعجاز بصدق النبوة؛ إذ كيف أحاط هذا النبى الأمى بهذه المعلومات والأخبار والقصص التى لم تكن معروفة لفرد أو لجماعات أو أمم في هذه الجزيرة، ولم تكن الكتابة والتدوين منتشرة في هذه الأمة. ولذا نسوق بعض الحكم في قصص الأنبياء:

قالت الحكماء[٣]: إن الله - تعالى - قص على المصطفى {صلى الله عليه وسلم} أخبار الماضين من الأنبياء والأمم الخالية لخمسة أمور، أي حكم:

الحكمة الأولى: إظهار لنبوته {صلى الله عليه وسلم} ودلالة على رسالته، وذلك أن النبي {صلى الله عليه وسلم} كان أميا، لم يختلف إلى مؤدب، ولا إلى معلم، ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيها الانقطاع إلى عالم يأخذ عنه عالم الأخبار، ولم يعرف له طلب شيء من العلوم إلى أن كان من أمره ما كان، فنزل عليه جبريل - عليه السلام - ولقنه ذلك، فأخذ يحدث الناس بأخبار ما مضى من القرون، وسير الأنبياء الماضين والملوك المتقدمين، فمن كان من قومه عاقلا موفقا صدق بما يوحى الله إليه، وإخباره إياه بذلك فآمن به وصدقه، وكان ذلك معجزة له ودليلا على صحة نبوته، ومن كان منهم عدوا معاندا حسده وجحده وانكر ما جاء به، وقال كما أخبر الله - تعالى: **{وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا}** (الفرقان/٥) قال الله - تعالى - تكذيبا لهم، وتصديقا للنبي {صلى الله عليه وسلم}: **{قل أنزله الذى يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما}** (الفرقان/٦).

والحكمة الثانية: أنه إنما قص عليه القصص ليكون له أسوة وقدوة بمكارم أخلاق الرسل والأنبياء المتقدمين والأولياء والصالحين، فيما أخبر الله - تعالى - عنهم وأثنى عليهم، ولتنتهى أمته عن أمور عوقبت أمم الأنبياء بمخالفتها عليها، واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب، فتمم الله له بذلك معالى الأخلاق، فلما امتثل أمر الله - تعالى - واستعمل أدب الأنبياء أثنى الله عليه فقال تعالى: **{وإنك لعلى خلق عظيم}** (القلم/٤) ولذلك قالت عائشة - رضي الله عنها - حين سئلت عن خلق رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: كان خلقه القرآن.

والحكمة الثالثة: أنه إنما قص عليه القصص تثبيتا له وإعلاء بشرفه وشرف أمته وعلو أقدارهم، وذلك أنه لما نظر إلي أخبار الأمم قبله علم أنه عوفى هو وأمته من كثير مما امتحن الله به الأنبياء والأولياء، وخفف عنهم في الشرائع، ورفع عنهم الأثقال والأغلال التى كانت على الأمم الماضية كما قال بعض المتأولين في تفسير قوله - تعالى -: **{وأسْبَغَ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة}** (لقمان/٢٠).

إن النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع، والباطنة تضعيف الصنائع، قال الله - تعالى - : {**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**} (البقرة/١٨٥) وقال تعالى: {**وما جعل عليكم في الدين من حرج**} (الحج/٧٨) وقال تعالى: {**يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا**} (النساء/٢٨) فلما قص الله هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته، وعلم أن الله خصه هو وأمته بكرامات لم يخص بها أحدا من الأنبياء والأمم، فواصل قيام ليله بنهاره، وصيامه بقيامه، لا يفتر عن عبادة ربه، أداء لشكره حتى تورمت قدماه، فقيل: يارسول الله، أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا، ثم افتخر - عليه السلام - فقال: بُعثت بالحنيفية السمحة.

والحكمة الرابعة: أنه إنما قص الله - تعالى - عليه القصص تأديبا وتهذيبا لأمته، وذلك أنه ذكر الأنبياء وثوابهم، والأعداء وعقابهم، ثم ذكر - في غير موضع - تحذيره إياهم، عن صنع الأعداء، وحثهم على صنع الأولياء، فقال - تعالى: {**لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين**} (يوسف/٧) وقال: {**لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب**} (يوسف/١١١) وقال: {**وهدى وموعظة للمتقين**} (آل عمران/١٣٨) ونحوها من الآيات. وكان الشبلي - رحمه الله - تعالى - يقول في هذه الآيات: اشتغل العام بذكر القصص، واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص.

والحكمة الخامسة: أنه قص عليه أخبار الأنبياء الماضين إحياء لذكرهم وآثارهم، ليكون المحسن منهم في إبقائه ذكره مثبتا له تعجيل جزاء في الدنيا، حتى يبقى ذكره وآثاره الحسنة إلى قيام الساعة، كما رغب خليل الله إبراهيم - عليه السلام - في إبقاء الثناء الحسن، فقال: {**واجعل لى لسان صدق في الآخرين**} (الشعراء/٨٤) والناس أحاديث، يقال: ما مات ميت والذكر يحييه، وقيل ما أنفق كبار القوم الأموال على المصانع والحصون والقصور إلا لبقاء الذكر، وأنشد ناصر بن محمد المروزي، قال: أنشدنى الدريدى:

وإنما المرء حديث بعده
فكن حديثا حسنا لمن وعى

فضائل الأنبياء (عليهم السلام):

أرسل الله الرسل من خيرة خلقه في كمال الخلقْ والخلُق واصطفاهم ورباهم على عينه وخصهم بالوحي وأيدهم بالمعجزات، ورفعهم مكانا عليا {**ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم**} (الأنعام/٨٧) وفضل الله بعض الأنبياء والرسل على بعض كما قال - تعالى - : {**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض، منهم من كلم الله، ورفع بعضهم درجات، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس**} (البقرة/٢٥٣) وقوله: {**ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا**} (الإسراء/٥٥).

وفي القصص النبوى تفصيل وتوضيح لدرجات المرسلين ومكانتهم بين الخلق، وخصائص بعضهم على بعض، وحكمة الله في ترتيب إرسالهم، وحكمته في وضع الفترات بين الرسل وغير ذلك مما يرد ذكره.

فمن خصائص الأنبياء ـ عليهم السلام ـ نوم أعينهم ولا تنام قلوبهم. ففي البخاري عن سليمان عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، سمعت أنس بن مالك، يحدثنا عن ليلة أُسري بالنبي {صلى الله عليه وسلم} من مسجد الكعبة: جاءة ثلاثة نفر، قبل أن يوحى إليه ـ وهو نائم في المسجد الحرام ـ فقال أوّلهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم ـ وقال آخرهم: خذوا خيرهم فكانت تلك. فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه، والنبي {صلى الله عليه وسلم} نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فتولاه جبريل، ثم عرج به إلى السماء[٤].

وقد جاء في فضائل الأنبياء أحاديث وآثار كثيرة، وفي ذلك ما جاء في (منتخب كنز العمال في سفن الأقوال والأفعال)[٥] ذكر ابن سعد عن قتادة: إذا أراد الله أن يبعث نبيا نظر إلى خير أهل الأرض قبيلة فبعث خيرها رجلا. وعن عائشة رضي الله عنها: إنه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخير) وفي رواية البخارى[٦] قالت: كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو صحيح يقول: إنه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يحيا ـ أو يخير ـ .

ومن فضائل وخصائص الأنبياء يبعثون شبابا، وما يبعث الله نبيا إلا رعى الغنم حتى محمد {صلى الله عليه وسلم} كان يرعاها لأهل مكة على قراريط، وأنه ليس لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل، وإذا قبض الله نبيا في موضع دُفن فيه، وأن النبى لا يموت حتى يؤمه بعض أمته، وإذا مرض المرض الأخير يخير بين الدنيا والآخرة، وأن الله ـ تعالى ـ حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، وما كانت نبوة قط إلا تبعها خلافة، ولا كانت خلافة إلا تبعها ملك.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلت يارسول الله إنك تأتى الخلاء فلا نرى شيئا من الأذى إلا أن نجد رائحة المسك، فقال: إنا معشر الأنبياء نبتت أجسادنا على أرواح أهل الجنة وأمرت الأرض ما كان منا أن تبتلعه[٧].

وقد فضل الله بعض الأنبياء على بعض كما قال ـ تعالى ـ : {**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض، منهم من كلَّم الله ورفع بعضهم درجات، وآتينا عيسى بن مريم البينات، وأيدناه بروح القدس**} (البقرة/٢٥٣) قال ابن كثير في قول الله (منهم من كلم الله) يعنى موسى ومحمدا {صلى الله عليه وسلم} وكذلك آدم كما ورد في الحديث المروى في صحيح ابن حبان عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ (ورفع بعضهم درجات) كما ثبت في حديث الإسراء حين رأى النبى {صلى الله عليه وسلم} الأنبياء في السموات بحسب تفاوت منازلهم عند الله ـ عز وجل ـ فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصحيحين عن أبى هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال اليهودى في قسم يقسمه: لا والذى اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودى، فقال: أى خبيث؟ وعلى محمد {صلى الله عليه وسلم}؟ فجاء اليهودى إلى النبى {صلى الله عليه وسلم} فاشتكى على المسلم، فقال

رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (لا تفضلوني على الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون من يفيق، فأجد موسى باطشا بقائمة العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور؟ فلا تفضلوني على الأنبياء) وفي رواية (لا تفضلوا بين الأنبياء) فالجواب من وجوه: أحدها: أن هذا قبل أن يعلم بالتفصيل، وفي هذا نظر. والثاني: أن ما قاله من باب الهضم والتواضع. والثالث: أن هذا نهى عن التفضيل في مثل هذه الحال التى تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر. الرابع: لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية. الخامس: ليس مقام التفضيل إليكم، وإنما هو إلى الله - عز وجل - وعليكم الانقياد والتسليم والإيمان به.

وعن ابن مردويه عن أبى سعيد[٨]: آدم في السماء الدنيا، تعرض عليه أعمال ذريته، ويوسف في السماء الثانية وابنا الخالة يحيي وعيسى في السماء الثالثة، وإدريس في السماء الرابعة، وهارون في السماء الخامسة، وموسى في السماء السادسة، وإبراهيم في السماء السابعة.

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال النبي {صلى الله عليه وسلم} (رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم كأنه من رجال الزُّط) وفي رواية عن جابر زيادة (وأما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم - يعنى نفسه).

وعن أبي ذر - رضى الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (أول الرسل آدم، وآخرهم محمد، وأول أنبياء بنى إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى، وأول من خط بالقلم إدريس).

وعن على رضى الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (سيد الناس آدم، وسيد العرب محمد، وسيد الروم صهيب، وسيد الفرس سلمان، وسيد الحبشة بلال، وسيد الجبال طور سيناء، وسيد الشجر السدر، وسيد الأشهر المحرم، وسيد الأيام الجمعة، وسيد الكلام القرآن، وسيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسى، أما إن فيها خمس كلمات في كل كلمة خمسون بركة) وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبى {صلى الله عليه وسلم}: (إن الله - تعالى - اصطفى موسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة) ونقل ابن عساكر عن الحسن مرسلا: (قال يحيى بن زكريا يا عيسى بن مريم أنت روح الله وكلمته ، وأنت خير منى، فقال: بل أنت خير منِّي، سلم الله عليك، وسلمت على نفسى).

الهوامش:

(١) د محمد البهي: الدين والحضارة الإنسانية ص ١٢.

(٢) المرجع السابق ص ١٣.

(٣) ابن اسحق بن محمد الثعلبي: قصص الأنبياء ص ٢.

(٤) فتح البارى جـ ٦ ص ٥٧٩.

(٥) جـ ٤ هامش على مسند الإمام أحمد ص ٣١٨ وما بعدها.

(٦) فتح البارى جـ ٨ ص ١٣٦.

(٧) منتخب كنز العمال جـ ٤ ص ٣١٨.

(٨) منتخب كنز العمال جـ ٤ ص ٣١٩ وفتح البارى جـ ٦ ص ٣٧٤، ٤٧٧.

كانت القضية الرئيسية الثانية في «ملف» (الوسط) - الذى استطلعت فيه آراء علماء الاستشراق في الظاهرة الاسلامية - «الأصولية» هي: الأسباب التى أثمرت وأبرزت هذه الظاهرة، على نحو غير مسبوق في التاريخ العربي والإسلامى الحديث؟؟.

ولقد طوف كثير من المستشرقين حول هذه القضية، فجاءت إجاباتهم - مجتمعة - لتحيط بكل الأسباب الذاتية والموضوعية .. الداخلية والخارجية .. الحضارية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسكانية... الخ.. الخ.. بحيث لم تغادر إجاباتهم سببا من الأسباب - الرئيسية أو الثانوية - التى افرزت وأبرزت المد الإسلامي على هذا النحو المثيرا..

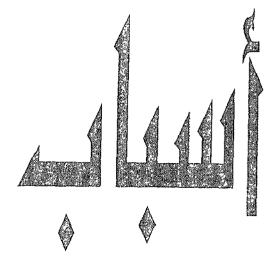
ولقد كان هناك ما يشبه الإجماع بين المستشرقين على أن العالم العربى والإسلامي يعيش أزمة عميقة، حضارية وثقافية وحياتية فتحت الطريق أمام المد الإسلامى، وساعدت على تعاظمه، باعتباره «البديل الاسلامى» المناسب لذاتية الأمة وهويتها، الرافض لتقليد النموذج الحضارى الغربي في التحديث.. وذلك، بعد فشل النموذج الغربى العلمانى - بشقيه: الليبرالى الرأسمالى.. والشمولى الاشتراكى - في تحقيق مقومات النهوض للعرب والمسلمين في أى من ميادين النهوض.. وفشل نظم الحكم، التى حكمت في حقبة ما بعد الاستقلال، في حل الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وذلك لتقليدها للنموذج الغربي، وغرقها في الفساد والاستبداد.. وكرد إسلامى على الإذلال الاستعماري للقوميات الاسلامية، الذى حاول تجريد هذه القوميات من ثقافتها وتاريخها.

نعم.. كان هناك ما يشبه الإجماع على هذه المعالم للأزمة الحضارية التى يعيشها العرب والمسلمون، والتى أفرزت وأبرزت هذا «البديل الاسلامي»، الذى تعلقت به الجماهير عندما بشرتها به الحركات الاسلامية المعاصرة.

فالمستشرق الأمريكى «جون إيسبوسيتو» يرى هذه الظاهرة طبيعية تماما.. ففى سياق الإحياء الدينى العالمى، والشامل لمجتمعات وديانات عديدة، يجب ان نفهم



بقلم المفكر الاسلامي: أ.د. محمد عمارة - مصر -



أسباب صعود المدّ الإسلامي

الصحوة الإسلامية، التي لا ترفض «التحديث» بإطلاق، وإنما ترفض «التغريب» والتبعية للغرب، وتقدم بديلا دينيا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا في الميادين التي أخفقت فيها الحركة العلمانية، وبديلا لفساد الطبقة الحاكمة.. ويقول: «إن الصحوة الإسلامية نابعة من الأزمة السياسية والاجتماعية والدينية التي يشهدها العالم الاسلامي.. وهذه الأزمة تشهد قضايا دينية وثقافية وأخرى تتعلق بالهوية الوطنية، والشرعية السياسية، والفشل الاقتصادي، وتأثير التبدل السريع، إضافة الى مسائل فساد الطبقة الحاكمة، ووضع حقوق الإنسان، ويخطىء من يعتبر «الأصولية الإسلامية» مجرد تعبير عن رفض التحديث، فهذه نظرة تفتقر إلى الدقة، ذلك أن الأصولية لا ترفض غالبا إلا بعض جوانب الحداثة، فهي، في وجه من وجوهها، رد فعل على إخفاق الحركة العلمانية، وعلى إسراف الحكومات في الاتكال على الغرب أو في سياساتها القائمة على «التغريب» وفي هذا السياق لابد من أن نلاحظ بروز طريق ثالثة، أو رؤية بديلة، تتمثل في أولئك الذين لم يمنعهم تعليمهم الحديث (والغربي) من اختيار التوجه الإسلامي. ومن الضروري أن نضع الصحوة الاسلامية، أو الأصولية الدينية في سياقها العالمي، ففي مناطق وديانات عدة يلاحظ المرء حضورا جديدا متعاظما للدين في الحياة الخاصة والعامة، كما أن الصحوة الاسلامية ظاهرة ذات وجوه مختلفة ومتعددة».

والمستشرقة الإيطالية «دانييلا آمالدي» ترى في مقدمة أسباب تعاظم المد الاسلامي: عجز الأيديولوجيات الغربية، والحلول الاشتراكية والرأسمالية المستوردة من البلاد الاستعمارية، عن حل الأزمات وعن الاجابة على المشاكل في العالم الإسلامي، فلم يبق سوى «المسجد» نقطة وحيدة للضوء، ومكانا للقاء، قادرا على إحياء الآمال كي تنبض من جديد في قلب الثقافة العربية والاسلامية «لقد عجزت الأيديولوجيات الغربية عن توفير إجابات لمشاكل العالم الاسلامي، ولم تتمكن المذاهب الاشتراكية والرأسمالية من توفير حلول لأزمات الشعوب الإسلامية، تماما كما عجزت عن توفير الحلول للشعوب الأخرى. وولدت هذه الأفكار ردود فعل سلبية جدا، لأنها بالإضافة الى عجزها، كانت مستوردة من بلاد استعمارية، قديمة وجديدة، في الوقت ذاته لم تتمكن القوى السياسية المحلية، في العديد من البلدان الاسلامية، من العثور على مخارج مناسبة للأزمات التي تعاني منها بلادها، ولأزمات المنطقة. وأعتقد أن «المسجد» أصبح في ظل وضع كهذا، نقطة الضوء واللقاء الوحيدة القادرة في أضعف الاحتمالات على حل الإشكالات الوجودية، وإحياء الآمال كي تنبض من جديد في قلب الثقافة العربية والاسلامية».

وتتبنى المستشرقة الألمانية «جودرون كرامر» وجهة نظر مماثلة، فترى في الحركات الاسلامية البديل ـ المؤمن بعلاقة الدين بالدولة ـ للفشل السياسي والاقتصادي والثقافي الذي وقعت فيه نظم ما بعد الاستقلال ـ الليبرالية منها والاشتراكية ـ تلك التي لم تحقق شيئا من الليبرالية، وتحولت الاشتراكية على يديها إلى تخريب للمؤسسات وحكم بالحديد والنار، وعبادة أشخاص الحكام بشكل لا يطاق.. «إن المسألة الأصولية تحيلنا بالدرجة الأولى إلى العلاقة بين الدين والدولة. فبعض الأنظمة العربية فشلت في بناء الدولة الحديثة، دولة القانون والمؤسسات والأنظمة التي ادعت الليبرالية لم تمارس ولو عنصرا واحدا من عناصر الليبرالية كما هو متعارف

> ***** بعض الأنظمة العربية فشلت في بناء الدولة الحديثة، دولة القانون والمؤسسات والانظمة، ومن الطبيعي ان يبحث الناس عن حل للأزمات المتتالية.. فاذا بالأصوليين يرتأون أن الحل الوحيد هو تطبيق الاسلام.**
>
> ***«جوردن كرامر»***

عليها. أما تلك التى ادعت الاشتراكية، فقامت بتخريب المؤسسات، وحكمت شعوبها بالحديد والنار، وفيها مورست عبادة الشخص بشكل لا يطاق.. ولم يكن هذا الفشل سياسيا فحسب، بل كان اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا ومن الطبيعي أن يبحث الناس عن حل للأزمات المتتالية، فإذا بالأصوليين يرتأون أن الحل الوحيد هو تطبيق الاسلام».

أما المستشرقة الإيطالية «آداليندا غاسبارينى» فإنها توجز أسباب هذا المد الاسلامى في: عمى السياسة الاستعمارية الغربية، وعجز العلمانية عن علاج مشكلات الناس وتخفيف عذاباتهم، والخواء الثقافى.. فهذه الأسباب قد فتحت امام الأصولية طريق النمو والتطور، لتستجيب لحاجات الناس، باحتواء وامتصاص عذاباتهم.

«فالحركات الأصولية تنمو عادة في التربة التى غابت عنها الثقافة. وإذا ما أمعنا النظر في الواقع العربي، نجد خواء فادحا في بعض المجالات، هو نتيجة عمى السياسة الاستعمارية الغربية. ويتعمق هذا العمى السياسى عندما نتصور بأن الهاوية بعيدة عنا، كما أن الأصولية تستجيب لحاجات الناس باحتواء وامتصاص العذابات، وهى قدرة عجزت الثقافة العلمانية عن امتلاكها والاستجابة إليها».

ويعلل «جاك بيرك» تعاظم هذه الظاهرة بالتغير الذى حدث في موازين النماذج الحضارية، ففشل النموذج الغربى هو الذى استدعى البديل الاسلامى «لأن الانتساب إلى مدرسة الغرب لم يعط نتائج جيدة، ولأن تقليد الآخر ليس أمرا حسنا في حد ذاته، إذن يجب البحث عن الحلول في إطار ذاتي.. وليس تطبيق حلول الآخر على الذات.. لقد قلدت المجتمعات العربية والاسلامية ليبرالية الغرب، وسقطت في الفساد. وقلدت الاشتراكية، ووقعت في البيروقراطية والطغيان. وفي مواجهة ذلك يمكن فهم عودة هذه المجتمعات إلى

> ***** «الأصولية تستجيب لحاجات الناس، وهي قدرة عجزت الثقافة العلمانية عن امتلاكها والاستجابة إليها» «داليندا غاسبارينى»**

نفسها، وبالتالى العودة في الظرف الحالى الى ما هو اقرب إليها، أي الى الدين».

وينبه «مكسيم رودنسون» على ان العالم العربي، منذ فجر محاولات نهضته الحديثة، كانت تتنازعه دعوتان إلى مشروعين للنهوض.. مشروع علمانى غربى، ومشروع إسلامى.. فلما أصاب الإحباط المشروع الغربي، وتراجعت قواه، فتح الطريق أمام البديل الاسلامى، فتعاظمت قواه.. «ففى العالم العربي، كما في أماكن أخرى، نشأ إحباط تجاه الأيديولوجيات السياسية والاجتماعية الكبرى التى انتشرت في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.. الليبرالية البرلمانية.. والاشتراكية أو الشيوعية.. وفقدت صدقيتها.. هذا من جهة. ومن جهة أخرى كانت مجموعات في العالم الاسلامى تقول دائما: إن حل مشكلات العصر يتم عن طريق الاسلام، ويطالبون بالعودة إلى صدر الاسلام.. وكان هناك على الدوام فى كل العصور من يطالب بالعودة الى هذه الحقبة.. وعندما توافرت الظروف المناسبة برزت المجموعات التى تنادى بهذا النوع من الحلول، مستفيدة من الاحباط الذى أصاب الأيديولوجيات السياسية والاجتماعية الغربية، آملة بتسلم السلطة عندما تحين الفرصة».

ويشير المستشرق الفرنسى «دومينيك شوفالييه» في رصد أسباب تعاظم المد الاسلامى إضافة الى أزمة الأيديولوجيات الغربية الى المواجهة الاسلامية مع الحضارة المادية، والى الدور المتميز للمسلمين حضاريا، وإلى البطالة والفساد في الواقع العربي، والى الصراع العربي - الاسرائيلى.. فهذه الظاهرة الاسلامية «متصلة بالتحولات العالمية التى طرحت سؤالا على العرب والمسلمين: كيف يمكن للإسلام كدين أو كحضارة، ان يتحمل مسئولياته في العالم الحديث؟ كيف يمكن أن يتحول المسلمون إلى فريق خلاق في العالم الحديث، مع الاحتفاظ بشخصيتهم وهويتهم؟ ..

هكذا وجد الاسلام نفسه في مواجهة حضارة ليست مادية بحتة فقط. وفي إطار هذه المواجهة يمكن فهم جانب من أسباب الظاهرة.. هذا بالإضافة إلى البطالة والفساد، والصراع العربى الاسرائيلى، وازمة الأيديولوجيات الأوربية القومية والاشتراكية وبخاصة الماركسية».

فهى مواجهة بين خيار حضارى إيمانى، وآخر مادى، تراجعت ايديولوجياته، بعد أن صنعت للعرب والمسلمين الكثير من الأزمات، فوجد الاسلام والمسلمون الطريق مفتوحا ليتحمل الاسلام، كدين وحضارة، مسئولياته النهضوية، التى تجعل من العرب والمسلمين فريقا خلاقا في العالم الحديث!.

اما المستشرق الانجليزي «هومى بابا» فيرى الظاهرة الاسلامية جزءا من ظاهرة عالمية، ترفض العلمانية والمادية والتحديث الأوربى - بشقيه الليبرالي والشيوعى - الذى حرم شعوب العالم الثالث من تاريخها وثقافتها.. «فالقضية الأساسية هى التحول الذى تشهده دول وثقافات عدة عن الأيديولوجيات العلمانية إلى نماذج ومثل أصولية دينية.. فالحركات الأصولية تتفق في خيبة الأمل من السياسة الاجتماعية والثقافية الليبرالية الديمقراطية ومن العقلانية الاجتماعية التى نهضت عليها هذه السياسة.. ومن التحديث الذى يمثل حركة معاكسة للأصولية، إن وعد التحديثية، سواء أتى من صندوق النقد الدولى أو البنك الدولى، كان وسيلة لحرمان شعوب العالم الثالث من تاريخها المستقل. وفي هذا السياق تظهر حركات معارضة لأفكار وقيم علمانية تحديثية أوربية التمركز، وهذه المعارضة أصولية دينية لا تقوم على تصورات مادية أو مستوحاة من الشيوعية التى تواطأت مع المشروع التحديثي الى درجة ما».

وعند المستشرق الانجليزي «فيردهاليداي»، نجد المد الاسلامي: الرد السياسى الاجتماعى على المشكلات التي صنعها التحديث الغربي، الذى فقد مصداقيته.. والبديل للنظم «اليمينية واليسارية» سيئة السمعة.. «فهذه الحركات ذات رد سياسي اجتماعي على مشاكل حقيقية تعيشها مجتمعاتها: ظروف ازدحام مدينى، ودول فاسدة، وتأثير وإهانة خارجيان، وتغير ثقافي، في الماضى كانت الحركات اليسارية، أو تلك العلمانية الشعبية، مصدر الرد على هذه المشاكل، إلا أن سمعة اليسار لا تقل سوءا عن سمعة بعض الأنظمة اليمينية وهي قد اشتركت كلها في مشروع علمانى تحديثى فقد صدقيته حاليا».

ويفصل المستشرق الانجليزي «روبن أوستن» أسباب هذه الظاهرة الاسلامية في نقاط موجزة، فيراها ثمرة لغيبة العدالة الاجتماعية.. وأزمة الهوية - وحدة تأثير الأزمة على الشباب.. وسقوط الحلول ذات النماذج الغربية.. والثقة في الحل الاسلامى لهذه

***** «لقد قلَّت المجتمعات العربية والاسلامية ليبرالية الغرب وسقطت في الفساد، وقلَّت الاشتراكية ووقعت في البيروقراطية والطغيان، وفي مواجهة ذلك عادت المجتمعات الى ما هو أقرب اليها .. الى الدين»**

«جاك بيرك»

***** الاستعمار الغربي حاول تجريد القوميات من هويتها الاسلامية وثقافتها.**

***** «الصحوة الاسلامية نابعة من الأزمة السياسية والاجتماعية والدينية التي يشهدها العالم الاسلامي»**

«جون ايسبوسيتو»

«لقد عجزت الايديولوجيات الغربية عن توفير الاجابات لمشاكل العالم الاسلامي، ولم تتمكن المذاهب الاشتراكية والرأسمالية من توفير حلول لأزمات الشعوب الاسلامية.. واعتقد ان المسجد أصبح في ظل وضع كهذا نقطة الضوء الوحيدة القادرة على حلّ الاشكالات»
«دانيلا آمالدي»

«إعادة تأكيد القيم الاسلامية، وسيلة لإعادة تأكيد الشخصية والهوية الاساسية وحمايتها من (الامركة) الطاغية، والاسلام يمثل قاعدة بناء مجتمع وحياة جديدين توفران حلولا لمشاكل التنمية الاقتصادية كلها.. وإقامة المجتمع الاسلامي المثالي ستتيح معالجة كل شيء».
«ديريك هوبود»

الأزمات وعنده أنه «يمكن تلخيص أسباب بروز هذه الظاهرة بما يأتي:

أ ـ الرغبة في وضع معيار للعدالة الاجتماعية، إذ هناك فجوات آخذة بالاتساع بين الغنى والفقير.

ب ـ أزمة الهوية: فلقد تمخضت المرحلة الكولونيالية وما تلاها عن ازمة هوية في معظم أجزاء العالم العربي، بعدما صيغت هيكلية القوانين والأنظمة وفق نماذج غربية.

جـ ـ حدة تأثير الشرور الاجتماعية الناجمة عن الفقر، وضعف الأمل بالعثور على عمل بالنسبة للشباب.

وفي ظل الغياب الواضح لأى حل آخر يشعر كثير من الشباب بأن الإسلام قد يكون وسيلة التحديث والحفاظ على الهوية وتحقيق مستويات أعلى من العدالة الاقتصادية والاجتماعية».

وعند المستشرق الانجليزي «ديريك هوبود» نجد هذه الظاهرة الاسلامية: البديل الاسلامى المرشح لبناء حياة ومجتمع جديدين، ولحل مشكلات التنمية الاقتصادية، ولتأكيد الشخصية والهوية التى تتعرض «للأمركة» الطاغية.. والقادر على إقامة دولة إسلامية مستقلة عن تدخل الأجانب وتأثيرهم، وذلك بعد أن فشلت الأيديولوجيات الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية في حل أزمات العالم الاسلامي.. فهى السبيل إلى «إعادة تأكيد القيم الاسلامية في العالم العربي. هى رد فعل على فشل الأيديولوجيات الأخرى في حل المشاكل الحاضرة. والاعتقاد بأن الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية قد أخفقت يؤدى إلى طرح الاسلام بديلا يقدم الحلول المرجوة. وهو أيضا وسيلة لإعادة تأكيد الشخصية والهوية الأساسية وحمايتها من «الأمركة» الطاغية التى يتعرض لها نمط الحياة. والإسلام، أيضا، قاعدة بناء مجتمع وحياة جديدين توفران حلولا لمشاكل التنمية الاقتصادية كلها، وهذا يفضي إلى الايمان بأن إقامة المجتمع الاسلامى المثالى ستتيح معالجة كل شيء».

ولا يختلف الأمر، في تشخيص أسباب المد الاسلامى، عند المستشرق الروسى «آرتور سعاديف».. فهو يرى هذه الظاهرة: رد الفعل الإسلامي، الذي يقدم الشريعة بديلا اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وحقوقيا واخلاقيا لبناء الأمل الذى غاب في التحديث الغربي ـ الليبرالى والقومى والاشتراكى ـ ذلك الذى قاد إلى أزمات في الاقتصاد والهوية.. «فالحركات الأصولية هى حركات احتجاج نتجت من خيبة الأمل من نتائج التحديث التى حققتها بعض الأنظمة العربية. ففي المجال الاقتصادي، قاد هذا التحديث إلى نمو التضخم والبطالة وأزمة السكن. وفي المجال الروحى، إلى أزمة الهوية. وبما أن التحديث جرى تحت شعارات الليبرالية والقومية والاشتراكية ـ وهى شعارات اعتبرت «مستوردة» من

الغرب - فالتحديث أيضا كان يعنى التطبع بطابع الغرب. ولهذا أصبحت الصفة الجامعة للحركات الأصولية: العداوة لما هو غربي، واتخذت شكل الدعوة إلى إقامة انظمة اجتماعية وسياسية واقتصادية وحقوقية واخلاقية أساسها الشريعة الاسلامية».

ومثل ذلك نجده عند المستشرق الأمريكى «جون فول».. فهذه الحركات «هى أسلوب للرد على فشل برامج سياسية حديثة، وعلى أساليب حياة وقناعات تندرج في هذا السياق».

وهى عند المستشرق الايطالي «سلفاتورى بونو»: ثمرة «خيبة الأمل، بسبب عدم انطلاق التطور الاقتصادي والاجتماعي، بعد انتهاء المرحلة الاستعمارية، لذا اعتبرت العودة إلى تطبيق المبادىء الاسلامية وسيلة للانعتاق الاقتصادى والاجتماعي، وأحدث هذا التفسير الجديد تغييراً في الحركات الدينية، محولا إياها إلى تنظيمات ذات برنامج سياسى».

أما المستشرق الروسى «فيتالى ناودمكين» فيرى هذه الظاهرة الاسلامية: الطريق الاسلامى للأصالة القومية، ولحماية المصالح الوطنية، بعد فشل التحديث في حل المشكلات الاجتماعية، وتزايد حدة الفوارق الاجتماعية، والتبعية الاقتصادية للغرب.. إنها «تعود، قبل كل شيء، إلى أسباب اجتماعية، وفي درجة أقل إلى أسباب سياسية.. إنها تنشط أكثر ما تنشط حيث تجرى محاولات لتحديث أعمق، لم يسفر عن نتائج فيتسلح النشطون الاسلاميون بأفكار الأصالة القومية، وحماية المصالح الوطنية.. وما دامت هناك هوة كبيرة بين الأغنياء والفقراء في إطار البلد الواحد، وفي مستويات التطور بين مختلف البلدان.. وما دامت الرساميل العربية تجلب الازدهار للغرب، وتلعب دورا في تطوره من دون اهتمام بتنمية مجتمعاتها، فستبقى الأسباب المولدة للتطرف الذى يجد في شعارات الاسلام السياسى ملجأ له».

وعند المستشرق الإسبانى «بيدرومارتينيث مونتانيث»: هى «نتيجة حتمية لأخطاء كثيرة تتراكم منذ عقود. وهى الخيار الطبيعى أمام الإحباطات والإخفاقات السابقة. فالإسلام هو المسوغ الهيكلى والجوهرى لجميع الشعوب والدول والمجتمعات العربية».

وفي رأي المستشرق الهولندي «رودولف بيترز»، فإن هذه الحركات الاسلامية تمثل الرفض الجماهيري لخيار المؤسسة الاستعمارية الغربية - في الديمقراطية والليبرالية والاشتراكية - الذي طرحته على يد أقليات منتقاة - وهو خيار مقطوع الصلة بجذور المجتمع وأصوله العربية والاسلامية.. فجذور المشكلة تمتد إلى الثلاثينيات والاربعينيات من هذا القرن، عندما طرحت المؤسسة الاستعمارية الغربية خيارها الخاص في العالم العربى على يد أقليات منتقاة، وليس عبر الغالبية الواسعة من السكان، متبنية أهدافا مثل الديمقراطية والليبرالية والاشتراكية، وهى قوالب لم تكن لها جذور أو أصول في المجتمع الاسلامى والعربي».

> ***** «الحركات الأصولية هي حركات احتجاج نتجت من خيبة الأمل في الأنظمة العربية التى طبقت الانظمة الليبرالية والقومية والاشتراكية»**
>
> ***«آرثور سعادييف»***

ولا يختلف الأمر عند المستشرق الروسي «الكسندر سميرنوف»، الذى يراها: الرد على التشويه الغربي العنيف للأصول الروحية والثقافية الاسلامية، والمواجهة للإذلال القومى والتشويه الاقتصادي الذى مارسه الاستعمار الغربي في العالم الاسلامي.. «فالعنف والارهاب يقويان في البلدان التي استعمرها الغرب بالقوة، أو جعلت ذات طابع غربي بالقوة، فتشوهت أصولها الروحية وثقافتها، وفي كثير من النواحي اقتصادها أيضا.. فكان نمو التطرف

الاسلامي كرد فعل حتمي على الإذلال القومي».

وحتى ظاهرة العنف في الحالة الإسلامية، تراها **المستشرقة الايطالية «إيزابيلا كاميرا دافليتو»** ناشئة عن: السياسة الاستعمارية الغربية.. والامبريالية الثقافية.. والاستعمار الجديد.. وغياب الديمقراطية والحرية.. وأخطاء الزعامات العربية.. «فالظاهرة الأصولية العنيفة، هي وليدة للمصاعب التى تجتازها بعض البلاد العربية، وبالذات على الصعيد الاقتصادي لكن حتى هذه المصاعب الاقتصادية ليست وليدة اليوم، وإن كان للزعامات الحالية دور في تعميقها، فهى وليدة السياسة الاستعمارية والامبريالية الثقافية، والاستعمار الجديد. لذا، ففى اعتقادي ان مسئولية الغرب في هذا الإطار كبيرة وثقيلة.. فأخطاء الزعامات العربية، وغياب الديمقراطية والحرية في العديد من البلدان العربية، من العوامل التى تساهم في شق الطريق أمام صعود تيارات عنيفة تستفيد من غضب الناس».

> ***«الاسلام هو المسوغ الهيكلي والجوهري لجميع الشعوب والدول والمجتمعات العربية»***
>
> ***«بيدرومارتنيت»***

ودون خروج عن جوهر الموقف الاستشراقي ـ الذى عكسه «ملف» [الوسط] ـ في تحديد أسباب بروز الحركات الاسلامية.. **يرى المستشرق الألمانى «أودوشتاينباخ»** أنها ثمرة لتراجع شرعية النظم الحاكمة بسبب الأزمة العميقة في ميادين الثقافة والاجتماع والاقتصاد.. واخلاقيات الغرب المزدوجة في التعامل مع القضايا الاسلامية، التى أدت الى هزيمة قيمه، وهزيمة المثقفين الباحثين عن حلول للأزمة مؤسسة على هذه القيم الغربية.. هذه الأسباب قد أكسبت الحركات الاسلامية شرعية نسبية، عندما وعدت الناس بحلول تخرجهم من أزمتهم العميقة.. إنها «الأزمة الثقافية والاجتماعية العميقة التى يتخبط فيها العالم العربي.. أعطت شرعية نسبية للحركات الإسلامية التى قدمت وعودا بحلول للمشاكل المطروحة.. ويتحمل الغرب عامة، وأوربا على وجه التحديد، جزءا من المسئولية. فالغرب مطالب بإظهار مصداقيته أكثر من اي وقت مضى، وهو مطالب أيضا بتجنب الأخلاقية المزدوجة.

إن استمرار الحرب في البوسنة مثلا، يعطى الفرصة للمتطرفين الإسلاميين كي يعمقوا الهوة بين شعوبهم وقيم الغرب، ويهزموا المثقفين الساعين الى إيجاد حلول واقعية وعقلانية للأزمات الراهنة».

ويرى المستشرق الاسبانى «فرنانودي أغريدا» أن الظاهرة الاسلامية هى الرد على الأزمة الاقتصادية والسياسية .. وتدخلات القوى الكبرى في شئون العالم العربي.. وانقطاع الحوار الثقافي بين الشرق والغرب «إنها تعود الى أسباب عدة، أهمها الأزمة العامة التى يعيشها العالم العربي والاسلامي وتكاد تشمل كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وهي تعتبر أيضا ردا على تدخلات بعض الدول الكبرى.. وانقطاع الحوار الثقافي بين الشرق والغرب».

وتذكر المستشرقة الألمانية «أردموته هيلر» من أسباب بروز المد الاسلامي: أزمة الثقة بين المحكومين والحكام.. وتعميق الجراح القديمة بين الشرق والغرب.. وذلك بسبب: عجز نظم ما بعد الاستقلال عن تحقيق الآمال.. وتحول الحركات التى قادت التحرير الوطنى إلى اجهزة قمع للحريات ونهب للثروات.. والهزائم المتتالية في الصراع العربي ـ الاسرائيلي.. «فالاستقلال لم يحقق الآمال المنشودة. وفي أغلب البلدان العربية، تحولت الاحزاب والحركات التي قادت النضال التحرري إلى أجهزة للقمع والإرهاب والرقابة بالإضافة إلى هذا وقع نهب شبه منظم من قبل الطبقات الحاكمة، والفئات الاجتماعية الموالية لها لخيرات البلاد، مما عطل حركة النمو الاقتصادي، وأهدر الطاقات وتسبب في أزمات خطيرة.. والهزائم

المتتالية التى منيت بها الجيوش العربية في الصراع العربي الاسرائيلي، فتحت أبواب اليأس على مصراعيها، وعمقت الجراح القديمة بين الشرق والغرب، وخلقت حالة من انعدام الثقة بين المحكومين والحكام.. وأعتقد أن ظاهرة الأصولية هي نتيجة طبيعية لهذا الوضع المتأزم الذي يعيشه العالم العربي منذ ما يزيد على العشرين عاما».

وعلى هذا الدرب، الذي اجتمع فيه المستشرقون وأجمعوا على أن بروز هذه الظاهرة الإسلامية إنما هو نتيجة طبيعية لأزمة حضارية وثقافية واقتصادية واجتماعية زلزلت هوية العرب والمسلمين، وشارك في صنعها الغرب واستعماره واستغلاله وايديولوجياته، مع النظم التي حكمت العرب في حقبة ما بعد الاستقلال، والأقلية المثقفة التى تولت التبشير بأيديولوجيات غربية مرفوضة من الجمهور.. على هذا الدرب سار **المستشرق الهولندي «بان بروخمان»** عندما رأى في الظاهرة الأصولية: «محاولة الاصلاح الثالثة، بعد فشل المحاولة القومية، والمسار الاشتراكي».. والمستشرق الأمريكى «روجر أوين» الذى أرجعها الى «خيبة الأمل من جراء فشل حكومات ما بعد الاستقلال في خلق نظام سياسي واجتماعي - اقتصادي عادل وغني وسليم».. والمستشرقة الاسبانية «مرثيدس ديل آمو» التى أرجعتها إلى «الفقر والجهل.. والافتقار الى علاقات دولية عادلة.. وإغلاق طريق الحصول على التعليم والصحة أمام العالم الثالث.. والاعتقاد بامتلاك الحقيقة دون الآخرين».

وبمناسبة «الاعتقاد بامتلاك الحقيقة دون الآخرين» - كسبب من أسباب هذه الظاهرة - هل للمرء أن يسأل أساتذة الاستشراق الذين نسبوا إلى «الآخرين» كل هذا الفشل.. والمسئولية عن الأزمات التى زلزلت هوية الأمة، وشوهت تاريخها، وأذلت كبرياءها القومى، وحرمتها من مقومات الحياة.. هل يعتقدون أن لدى هؤلاء «الآخرين» «حقيقة» يدعون إلى الاعتراف بها وإلى احترامها؟! أم أن هؤلاء «الآخرين» هم أيضا المسئولون عن «اعتقاد الأصوليين بامتلاك الحقيقة دون الآخرين»؟!.

على هذا النحو كان حديث المستشرقين عن أسباب بروز الظاهرة الإسلامية.. مع إضافة المستشرق الفرنسى «بيارتييه»: «انتصار الثورة الاسلامية في إيران» إلى هذه الأسباب.. وإضافة المستشرق الهولندى «يوهان يانسن» «الخوف من التطور التكنولوجي الزاحف الذى يحكم سيطرته على كل مرافق الحياة في المجتمع المعاصر» وإن كان المدقق لحال العالم العربي والإسلامى يلاحظ إنه وإن خاف من الاغراق الثقافي الغربي، فإنه فقير ومشوق الى «التطور التكنولوجي الغربي»، ولا يخاف منه زحفا؟!.

لقد تفاوتت مواقف المستشرقين في الإيجاز والتفصيل لأسباب بروز الظاهرة الاسلامية.. وكذلك في التركيز على بعض جوانب وعوامل بروز هذه الظاهرة، تبعا لتنوع مناهج ومذاهب وتخصصات كل منهم.. لكنهم جميعا اتفقوا على ان هذه الظاهرة هى ثمرة طبيعية تماما لأزمة حضارية صنعها الغرب والنظم التى حكمت بأيديولوجياته في مختلف ميادين حياة وفكر وثقافة العرب والمسلمين.

لقد أدان هؤلاء المستشرقون الغربيون ما صنعه الغرب بالعرب والمسلمين، على النحو والمستوى الذى لا يفعله كثير من «المتغربين» العرب والمسلمين.. وهذا هو الفارق بين «العلماء الأئمة» وبين «التلاميذ المقلدين»، لقد اجتمعت كلمة هؤلاء المستشرقين على أن الاصولية الاسلامية هى التعبير عن البديل الرافض للنموذج الغربي العلماني، الذى فشل في إنهاض العرب والمسلمين.. والرافض للإذلال الاستعماري للقوميات الاسلامية.. والرافض للتغريب الذى هدد هوية الأمة وثقافتها وتاريخها.. وبغير هذا «الملف» الذى قدمته (الوسط) ما كان لنا أن نرى هذه الموضوعية التى تستحق كل الاحترام.

«للحديث صلة»

رعاية الطفولة والأمومة في التراث الطبي

تعتبر الرعاية الصحية للطفولة والامومة من أهم منجزات الطب في العصر الحديث.. ولا شك أن رعاية الطفولة التى تشكل نسبة عالية من السكان في العالم النامي ومنه البلاد الاسلامية (عربية وأعجمية)، تعتبر حجر الزاوية في الرعاية الصحية الاولية والطب الوقائى.. ففي البلاد الاسلامية (باكستان، بنجلاديش، اندونيسيا... الخ) والبلاد العربية (مصر - العراق - السودان - المغرب - الجزائر - اليمن - السعودية) يشكل الاطفال أقل من ١٥ سنة حوالي ٤٥ بالمئة من السكان[١] وتشكل الامهات اللائى لديهن أطفال أقل من ١٥ سنة) أو هن في مرحلة الحمل مالا يقل عن ٢٠ بالمئة من السكان في هذه المناطق[٢].

وهذا ببساطة يعنى أن رعاية الطفولة والأمومة تمثل رعاية مالا يقل عن ٦٥ بالمئة من جميع السكان.

لهذا نجد أن الاسلام بتعاليمه الشمولية قد اعتنى عناية فائقة برعاية الأمومة والطفولة عناية لا تدانيها النظم الحديثة على ما قدمته هذه النظم من انجازات باهرة في القرن العشرين خاصة.

ولذا نجد أن القرآن الكريم وهو المصدر الأول للتشريع في الاسلام قد اعتنى عناية فائقة بالامومة والطفولة ووضع التشريعات التى تكفل حقوقهما في إطار تشريعات الاسرة.. ولم يكتف القرآن الكريم بوضع هذه التشريعات التى تلزم المجتمع والافراد بتنفيذها وهو ما يعرف لدى الفقهاء بوجوبها قضاء (أى أن التقاعس في تنفيذها يجعل الحق للقاضي في تنفيذها عنوة)، بل تعدى ذلك الى ما يمس شغاف القلب فوضع تشريعات تلزم المجتمع بتنفيذها ديانة، أى أن التقاعس عن تنفيذها يؤدى الى المساءلة في يوم الحساب العسير. وهو أمر



بقلم : د. محمد على البار
مستشار الطب الاسلامى - جـدة

يضطرب له كيان كل من داخل الايمان شغاف قلبه.

كما نجد المصدر الثاني للتشريع وهو السنة المطهرة حافلة برعاية الامومة والطفولة، حاثة على تنفيذ ما جاء بها من تعليمات راقية قضاء وديانة.

ولم يكتف علماء الاسلام الاجلاء بتوضيح ما جاء في الكتاب والسنة في مؤلفاتهم العديدة بل أفردوا لرعاية الطفولة والامومة كتبا كاملة أو ألوانا كاملة من كتبهم الفقهية والدينية العامة والطبية.

أطباء المسلمين ورعاية الامومة والطفولة:

ولعل ابا بكر محمد بن زكريا الرازي (٢٥٢ - ٣١٣هـ/ ٨٦٥ - ٩٢٥) كان أول من الف رسالة كاملة عن أمراض الاطفال والعناية بهم. وقد تم تأليف هذه الرسالة في حدود سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م وقد ترجمت هذه الرسالة الى العديد من اللغات وترجمها الى اللغة الانجليزية صامويل رادبل ونشرها في مجلة أمراض الاطفال الامريكية (عدد ٥ مجلد ١٢٢ سنة ١٩٧١) عن اللغة الايطالية. وقد قام الدكتور محمود الحاج قاسم بترجمتها الى اللغة العربية (المؤتمر القطرى للطفولة ٩ - ١٣ كانون الأول ١٩٧٩م بغداد)[٣] كما أفرد الرازي فصولا ضافية لرعاية الطفولة والامومة في كتابه الموسوعي الحاوي الذي قالت عنه المستشرقة الالمانية «زيغريد هونكه» في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب» إنه ظل المرجع الاساسي للطب في أوربا لمدة أربعة قرون[٤].

وجعل الرازي المقالة الرابعة من كتابه المنصوري في تدبير الاطفال وتكلم فيها عن كيفية العناية بالوليد ثم كيفية الرضاعة والنظام واختيار المرضعة وتدبيرها... الخ[٥].

وألف الرازي أيضا كتابه المشهور: «كتاب في الجدرى والحصبة» الذي ترجم الى اللغات الأوربية منذ عهد بعيد. وكان هذا الكتاب كما تقول «زيغريد هونكه» آية من نوعه وقد نشر في أوربا أربعين مرة ما بين عام ١٤٩٨ - ١٨٦٦م[٦] وفي هذا الكتاب الذي لم يتجاوز ٦٨ صفحة من القطع الصغير فرّق الرازي تفريقا تاما بين الحصبة والجدرى. وكان بذلك أول من استطاع التفريق بينهما.

وقد سبق الرازي مجموعة من الأطباء كتبوا عن طب الاطفال ورعاية الأمومة ولكنهم لم يفعلوا مثله بافرادها بكتب مستقلة نذكر منهم **عليّ بن سهل الطبري** المروزي (ومدينة مرو في تركمستان في الاتحاد السوفيتى حاليا). كان - يهوديا وقيل بل كان نصرانيا - فأسلم على يد الخليفة العباسي المعتصم فقربه اليه وجعله من خاصته. وقد اشتهر باسم ابن ربن الطبري نسبة الى جده. وله كتاب فردوس الحكمة الذي يعتبر أقدم تأليف جامع لفنون الطب باللغة العربية.

وقد خصص ابن ربن الطبري الباب الأول والثاني من المقالة الرابعة عن تربية الاطفال وحفظ صحتهم..



وله أيضا كتاب حفظ الصحة وكتاب منافع الاطعمة والأشربة والعقاقير وكتاب في ترتيب الأغذية. وفي هذه الكتب تحدث عن الحامل والمرضع وغذائهما كما تحدث عن أغذية الاطفال المناسبة لهم.

وقد عاش ابن ربن الطبري في القرن الثاني والثالث الهجري ١٥٣ ـ ٢٤٧هـ (٧٧٠ ـ ٨٦١م)[٨]. وكان مقربا للمعتصم ثم للمتوكل واشتهر بالحكمة والطب.

ويعتبر يوحنا بن ما سويه (١٦١ ـ ٢٣٤هـ) (٧٧٧ ـ ٨٥٧م) المعاصر لابن ربن الطبري أحد الاطباء القلائل الذين أفردوا الجنين بمقالة مستقلة. وتعتبر هذه المقالة أول مؤلف مستقل في علم الاجنة باللغة العربية. وتبدأ الرسالة بهذه الجملة: «إن اول ابتداء الانسان نطفتان يجتمعان في الرحم من الرجل والمرأة»[٩]، وهذا أمر لم يكن معروفا في الطب حيث كان الاعتقاد السائد هو أن الجنين انما يتكون من دم الحيض كما كان أرسطو يقول. والقرآن الكريم والسنة المطهرة هما اللذان أوضحا بكل جلاء أن الجنين انما يتكون من نطفة الرجل ونطفة المرأة حينما يمتشجان ويختلطان فيكونان بذلك النطفة الامشاج[١٠، ١١).

وكتب ثابت بن قرة المتوفَّى سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م مجموعة من التآليف المتعلقة بطب الاطفال وهي:

١) ـ جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر.

٢) رسالة في الجدري والحصبة.

٣) مقالة في صفة كون الجنين.

٤) الذخيرة في عالم الطب وفيه فصل عن أوصاف الحليب وحفظ الصحة ابتداء من الجنين الى المولود فالطفل فالصبي فالبالغ.

ويعتبر حنين بن اسحاق العبادي (١٩٤ ـ ٢٩٠هـ/ ٨١٠ ـ ٨٧٣م) أحد العلماء الاعلام الذين قربهم المأمون واشتغلوا له بالترجمة والتأليف[١٢]. وقد كتب في طب الاطفال عدة كتب منها كتاب المولود لسبعة أشهر وكتاب فيمن يولد لثمانية أشهر ومقالة في كون الجنين وكتاب في اللبن[١٣].

وقد ساهم أحمد بن محمد الطبري (٣٢٠ ـ ٣٦٦هـ) بكتابه المسمى المعالجات البقراطية «نسبة الى ابي قراط»، حيث ساهم في الكتابة عن رعاية الاطفال وعلاجهم. وقد تحدث في كتابه هذا عن علل الاطفال وتدبيرهم حين يولدون وآداب المرضعة.. وتحدث عن أنواع الجرب الذي يصيب الطفل.. ويعتبر أول من اكتشف حشرة الجرب حيث يقول: «اعلم أن الجرب أنواعه كثيرة: منها رطب يسيل مدّة وصديداً واكثر حدوده للرأس.. شديد الوجع شبيه بالسعفة وربما يتولد منها حيوان مثل الصبيان (أى مثل صبيان القمل) وهى مختلفة الصور»[١٥].. ويتحدث كذلك عن حالات صرع الاطفال وأنها قابلة للبرء والشفاء بعكس حالات الصرع في الكبار التي تكون مزمنة.. وتحدث كذلك عن الكزاز (الاصطكاك) وهو التتانوس ووصفه وصفا جيداً في الاطفال.

وقد قسم الطبرى حالات استرخاء الاطفال الى نوعين مكتسب ووراثي. كما تحدث عن مختلف الامراض التي تصيب الأطفال ابتداء من الجهاز الهضمي الى الجهاز التنفسى الى الأنف والأذن الى أمراض العيون الى النواحي النفسية.. الى غذاء الطفل في مختلف مراحل عمره من حين ولادته حتى تنبت أضراسه.

وظهر ابن الجزار القيرواني (ابو جعفر أحمد بن ابراهيم بن خالد) كأحد الاطباء البارزين في المغرب في القرن الرابع الهجري (٢٨٥ ـ ٣٦٩ وقيل وفاته سنة ٣٧٧هـ) وله كتاب سماه «سياسة الصبيان وتدبيرهم» وهو من الكتب الهامة في رعاية الطفولة. وقد حقق هذا الكتاب ونشره الدكتور محمد الحبيب الهيلة عام ١٩٦٨. وقد قال ابن الجزار في مقدمة كتابه هذا ما يلي: «إن معرفة سياسة الصبيان وتدبيرهم باب عظيم الخطر جليل القدر ولم أر لأحد من المتقدمين من ذلك كتابا كاملا شافيا بل رأيت ما يحتاج من علمه ومعرفته من ذلك متفرقا في كتب شتى».. وقد قسم المؤلف الكتاب الى اثنين وعشرين بابا تناول فيها تدبير الأطفال عند خروجهم من الرحم ثم صفة المرضعة

وصفة لبن الظئر.. وأطعمتها وأشربتها وسبب قلة لبنها وكيفية تدبيرها ثم تناول الامراض التي تصيب الاطفال حسب أعمارهم والامراض الخلقية وأنواعها.. وأنهى كتابه بالتحدث عن طباع الصبيان وتربيتهم.

وقد وضع عريب بن سعد الكاتب القرطبي الذي عاش في عهد المستنصر بالله (٣٥٠ - ٣٦٦هـ) كتابه «خلق الجنين وتدبير الحبالي والمولودين» وذلك عام ٣٥٣هـ باشارة من المستنصر بالله.

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب القيمة التى جمعت رعاية الامومة في فترة الحمل والرضاعة ورعاية الطفولة منذ بداية الحمل الى الولادة ثم مراحل الطفولة المختلفة.

وقد نشر هذا الكتاب في كلية الطب والصيدلة بالجزائر سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦ وحققه وترجمه الى الفرنسية الاستاذ نور الدين عبد القادر وهنري جاييه.

وكتب علي بن العباس المجوسي (المتوفّي نحو سنة ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م) كتابه المشهور باسم كامل الصناعة الطبية وخصص ثلاثة ابواب لطب الاطفال وهي: الباب العشرون: ويبحث في تدبير أبدان الاطفال، والباب الحادي والعشرون: ويبحث في تدبير الظئر (المرضعة) والثانى والعشرون ويبحث في تدبير الصبيان الذين جاوزوا الرضاع وكيفية العناية بهم حتى سن الثانية عشرة.

ملحوظة:

لم يكن عليّ بن العباس مجوسيا بل كان جده كذلك وغلب عليه اللقب وكان هو وأبوه مسلمين.

وظهر أحمد بن ابي الأشعث في الموصل واشتهر كطبيب ومعلم. وله في طب الاطفال «كتاب في الجدرى والحصبة والحميقاء»[١٦] وكانت وفاة ابن ابي الأشعث في سنة ثلاثمائة ونيف وستين للهجرة.

ويعتبر أحمد بن محمد البلدي العراقي من مدينة بلد (إسكى موصل الحاليه) من أبرز تلامذة أحمد بن الأشعث المتقدم ذكره. ويتميز البلدي بأنه كان أحد القلائل الذين اهتموا برعاية الطفل منذ فترة الحمل الأولى ويعتبر كتابه «تدبير الحبالي والاطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم» من أهم الكتب التى ساهم بها الاطباء المسلمون في رعاية الامومة والطفولة. وقد قام الدكتور محمود الحاج قاسم بتحقيق الكتاب ونشره في عام ١٩٨٠ عن وزارة الثقافة والاعلام العراقية (دار الرشيد للنشر) وكانت وفاة البلدى عام ٣٨٠م وتنبه البلدى الى أهمية الرضاع من الأم حيث يقول: «وفي ملاءمة لبن الأم للطفل نفع له ونفع لها في الرضاع منها وحفظ صحتها»[١٧].

وقد اهتم أبو القاسم خلف بن العباس الزهراوي (٣٢٥ - ٤٠٤هـ/ ٩٣٦ - ١٠١٣م) أعظم جراح في القرون الوسطى وصاحب الكتاب المرجع في علم الجراحة لعدة قرون «التصريف لمن عجز عن التأليف»، اهتم الزهراوي بجراحة الاطفال وأفرد لها فصولا خاصة من كتابه العظيم.

واشترك أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه الاصفهاني المتوفّي سنة ٤١٠هـ/ ١٠١٩م بمؤلف في طب الاطفال أسماه رسالة في أوجاع الاطفال[١٨].

ويعتبر ابن سينا (أبو على الحسين بن عبد الله) بحق أشهر أطباء المسلمين وأكثرهم نبوغا وتأليفا حيث بلغت مؤلفاته ٢٧٦ كتابا في مختلف فنون المعرفة ابتداء من اللغة ومروراً بالفلسفة والفقه والشعر وانتهاء بالطب. ويعتبر القانون في الطب أشهر مؤلفات ابن سينا. ولقد بقى هذا الكتاب الفذ المرجع الاول للاطباء لمدة سبعة قرون في معظم جامعات العالم بما في ذلك جامعات أوربا.

وابن سينا من مواليد بخارى في أوزبكستان في الاتحاد السوفيتى سابقا. وأبوه من بلخ في شمال أفغانستان. ولقد عاش ابن سينا في القرنين الرابع والخامس الهجريين (٣٧٠ - ٤٣٢هـ/ ٩٨٠ - ١٠٣٦م)[١٩] وكانت حياته مليئة بالاضطراب حيث

تولى الوزارة في همدان (ايران) ثم ثار عليه الجند واستقر في اصفهان وتفرغ فيها للعلم والكتابة والتأليف فأثرى المكتبة العربية والانسانية أيما إثراء.

وقد خصص ابن سينا عدة فصول من كتابه الموسوعي في الطب «القانون» لرعاية الاطفال وجعل في الجزء الاول من القانون أربعة فصول لرعاية الطفولة وهي:

- فصل في تدبير المولود كما يولد الى أن ينهض.
- فصل في تدبير الارضاع والنقل.
- فصل في الامراض التى تعرض للصبيان وعلاجاتها.
- فصل في تدبير الاطفال إذا انتقلوا الى سن الصبا.

ثم اتبع ذلك بقسم آخر سماه التدبير المشترك للبالغين وهو سبعة عشر فصلا «معظمها في الرياضة والغذاء وبدأ ذلك بقوله: لما كان معظم تدبير حفظ الصحة هو أن يرتاض ثم تدبير الغذاء ثم تدبير النوم وجب أن نبدأ الكلام بالرياضة»[٢٠].

وفي الجزء الثالث من القانون وضع ابن سينا فصلا في الحصبة والجدرى وآخر في الحميات وفصلا في تشنج الاطفال.

وذكر ابن سينا أهمية الرضاعة من الأم فقال: «أن يرضع ما أمكن بلبن أمه فإنه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم» ولابن سينا لفتات لطيفة في رعاية الطفل حيث يقول: «فانه من الواجب أن يلزم الطفل شيئين نافعين أيضا لتقوية مزاجه أحدهما التحريك اللطيف، والآخر الموسيقى والتلحين الذي جرت به العادة لتنويم الاطفال»[٢١].

ولابن سينا ايضا أرجوزة في الطب عدد أبياتها ١٣٢٦ بيتا خصص منها أربعين بيتا للأم والطفل هي الابيات ٩١٣ الى ٩٥٢ وقد قسمها ايضا كما فعل في القانون الى أربعة أقسام:

١ ـ تدبير الطفل في بطن أمه: حيث يتحدث فيها عما يجب على الحامل من الاحتياط في تناول الطعام. ومنع من فصد دم الحامل كما منع من اعطاء الحامل مسهلات قوية وإذا كان لديها إمساك فعليها بالملينات الخفيفة.

٢ ـ تدبير المخاض والولادة: وفيها ينصح ابن سينا بتدليك الحامل قبيل الوضع في حمام ساخن ويأمر بالغذاء الجيد والمرق الدسم ويحذر من إزعاج الحامل، ويأمر القابلة بأن تجعل الحامل تقوم بتمرينات رياضية قبل الوضع حتى تقوي عضلات البطن.

٣ ـ اختيار الظئر (المرضعة) ويصف فيها صفات المرضعة الجيدة من امتلاء الجسم وتوسط السن غير مترهلة معتدلة المزاج خالية من الأمراض. كما يصف تغذية المرضع وعدم ازعاجها وتفريغها لمهمة الارضاع.

٤ ـ تدبير الطفل في خاصته: ويشرح فيها ابن سينا كيفية العناية بالطفل حديث الولادة من حيث دهن جلده والتوسط في إرضاعه وكيفية تنظيفه وشد قماطه.. ومعاملته لينام نوماً هادئا ثم تغذية الطفل باضافة العسل كما ينصح بمناغاة الطفل بصوت منغّم ملحّن ويتحدث عن تأثير الموسيقى عليه.. كما يتحدث عن أهمية تعليمه الكلام.

ولا يكتفى ابن سينا بذلك بل يتحدث عن التشوهات في الجنين والمولود ويرجعها الى الرحم الرديء أو ماء الرجل أو الولادة السيئة.. أو نتيجة سوء رعاية المولود من ناحية تقميطه أو وقوع الطفل حيث تنكسر ساقه أو يده. ثم يتحدث ابن سينا بعد ذلك عن ارتخاء العصب والتشنج وميل الرقبة. ويختم ذلك بأثر الأورام والقروح في إفساد الشكل الظاهري للأعضاء.

وقد تُرجمت أرجوزة ابن سينا الى اللاتينية في القرن الثالث عشر الميلادي.. ونشر الدكتور محمود الحاج قاسم الابيات الأربعين المختصة برعاية الاطفال والحوامل في مجلة العربي العدد ٢٧٢[٢٢] كما نشرها كذلك في كتابه القيم: تاريخ طب الاطفال عند العرب[٢٣].

ولم يكتف ابن سينا بذلك كله ولكنه وضع رسالة في سياسة الرجل ولده وقد شملت هذه الرسالة:

١ ـ اختيار الاسم الحسن والمرضعة الجيدة حيث يقول: إن من حق الولد على والده إحسان تسميته ثم اختيار ظئره كي لا تكون حمقاء ولا ذات عاهة.

٢ ـ تأديب الطفل وعقابه منذ الصغر.

٣ ـ تعليم الطفل واختيار المؤدب الصالح: حيث يقول: وينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلا ذا دين بصيراً برياضة الأخلاق، حاذقا بتخريج الصبيان وقوراً رزيناً غير كزّ ولا جامد بل حلواً لبيبا ذا مروءة ونظافة ونزاهة.

ويقول: «ينبغي البدء بتعليم القرآن». «وصُوِّر له حروف الهجاء ولُقّنَ معالم الدين. وينبغي أن يروى الصبي الرجز ثم العقيدة.. ويبدأ من الشعر بما قيل في فضل الأدب ومدح العلم وما حث على بر الوالدين واصطناع المعروف وغير ذلك من مكارم الأخلاق».

ويحث ابن سينا على تعليم الصبي مع أقرانه لا منفردا «فإن الصبي عن الصبي ألقن وعنه آخذ وبه آنس».

كما يهتم ابن سينا بميول الصبي وتوجيهه بعد إعطائه الثقافة الدينية الأولية حسب رغباته وميوله حيث يقول: «وإذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك الى ما يراد أن تكون صناعته فوجه لطريقه، فاذا أراد به الكتابة اضاف الى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس وما أشبه وطورح الحساب ودخل به الديوان. وإن أريد أخرى أخذ به فيها بعد أن يعلم مدبر الصبيان أن ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية لكن ما شاكل طبعه وناسبه.. فلذلك ينبغي لمدبر الصبي إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أولا طبع الصبي وسَبّرَ قريحته، ويخبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك. فإذا اختار له إحدى الصناعات تعرّف قدر ميله اليها ونظر هل جرت منه على عرفان أم لا؟ وهل أدواته وآلاته مساعدة عليها أم خاذلة؟ ثم يبتُّ العزم.

وبهذه الطريقة الفذة يكتب ابن سينا عن رعاية الامومة والطفولة في مراحلها المختلفة رعاية شاملة كاملة.. وإن كان ذلك متفرقا في كتبه ورسائله.

ولذا فإن من أتى بعد ابن سينا وخاصة من الاطباء كان عالة عليه الى حد كبير.. ولم يأت بالجديد منهم الا القليل وخاصة في موضوع رعاية الطفولة والامومة اللذين نحن بصددهما. أما الفقهاء وعلماء الدين فقد توسعوا في هذا الباب من زوايا كثيرة لم يطرقها ابن سينا، وإن طرقها لم يتوسع فيها كما توسعوا.

وسنكملُ أولا ما أضافه الاطباء الى رعاية الامومة والطفولة ثم نلتفت بعد ذلك الى ما كتبه علماء الدين والفقه.

يحى بن عيسى بن جزلة البغدادي المتوفَّي سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٧م:

لم يضع يحى بن عيسى بن جزله كتابا مستقلا لرعاية الطفولة والامومة ولكنه تناول ذلك بشيء من الاسهاب في كتابه: «تقويم الابدان في تدبير الانسان» وفي هذا الكتاب فرّق بين أمراض الاطفال والشباب والشيوخ وكيفية علاجها وقارن بينها مقارنة جيدة.

علي بن رضوان (المتوفَّي سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م بمصر). وقد كتب في موضوع طب الاطفال ما يلي:

١ ـ مقالة في أن جالينوس لم يخلط في أقاويله في اللبن على ظن قوم.

٢ ـ رسالة في علاج صبي أصابه المرض المسمى بداء الفيل وداء الاسد.

أبو الحسن على بن هبل البغدادي: المتوفَّي سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٢م

صاحب كتاب «المختارات في الطب» الذي عقد في الجزء الاول منه أربعة فصول عن تدبير المولود وتغذيته ومداواة أمراض الاطفال، ووضع فصلا بعنوان «خلق الانسان» لخص فيه معلومات علم الاجنة الى زمنه.

أبو مروان عبد الملك بن زهر الاندلسي: ٤٨٧ ـ ٥٥٨هـ/ ١٠٩٤ ـ ١١٦٢م.

ورغم شهرة ابن زهر في الطب الا أنه لم يفرد طب الامومة والطفولة بشيء من تآليفه بل تحدث عن

ذلك باختصار في كتابه الاغذية حيث ذكر ما يحفظ الاجنة في الاجواف ثم القول في تدبير الطفل.

ابن النفيس (علاء الدين ابو الحسن علي بن ابي الحزم القرشي المشهور بابن النفيس)
٦٠٧ـ٦٨٧هـ/ ١٢١٠ـ١٢٨٨م.

أحد أعلام الطب البارزين في التاريخ الاسلامي. صاحب التصانيف الكثيرة في الطب والفقه وغيرهما.. وأشهر كتبه في الطب شرح كتاب التشريح من قانون ابن سينا وموجز القانون. ولم يكتف فيه بايراد أقوال ابن سينا وجالينوس وغيرهما من الاطباء ولكنه انتقد بعض أخطائهم. ويعتبر ابن النفيس أول من وصف الدورة الدموية الصغرى. كما كان أول من وصف الشرايين التاجية المغذية للقلب وأول من أوضح أن القلب له بطينان لا ثلاثة كما زعم ابن سينا. وأول من كشف خطأ جالينوس في قوله «أن الجدار الفاصل بين البيطنين في القلب له فتحة ومسام.

ورغم أن مساهمات ابن النفيس في الطب كانت رائدة وهامة الا أن مساهماته في طب الاطفال ورعايتهم كانت محدودة برسالة في أوجاع الاطفال.. ويبدو أن المنية عاجلت ابن النفيس حيث لم يتم سوى ١٨ جزءاً من كتابه الموسوعي «الشامل في الطب» الذي كان يزمع كتابته في ثلاثمائة جزءا.

ابن القف (ابو الفرج بن موفق الدين بن اسحاق بن القف) كان جده من نصارى الكرك بالشام ثم اسلم وصار ابوه من أعلام الدين ولد سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م. تتلمذ على ابن ابي أصيبعة صاحب عيون الانباء في طبقات الاطباء وترجم له.

وله من الكتب الشافي في الطب وشرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا في ستة مجلدات. وله مقال في حفظ الصحة.. وكتاب «العمدة في صناعة الجراح» وهو كتاب فذ في علم الجراحة.

وقد جمع في كتبه هذه فصولا تتعلق برعاية الامومة والطفولة. ففي كتابه «جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض» تكلم عن تكوين الجنين وحفظ صحة الحبالى وحفظ صحة الرضيع والمرضع، وحفظ صحة الطفل قبل الفطام وبعده، وفي أيام الصبا والشباب والكهولة.

وتكلم في كتاب العمدة في صناعة الجراح عن علاج الحصبة، وعلاج الماء الذي يجتمع في رؤوس الصبيان، وعلاج من يولد من الاطفال وكمرته ومقعدته غير متقوبة. كما تكلم عن ختان الاطفال وأمور أخرى تتعلق بجراحة الاطفال مثل الاصابع الزائدة والملتصقة .. الخ.. وكانت وفاة ابن القف عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م.

داود الانطاكي المتوفّي سنة ١٠٠٨هـ/ ١٦٠٠م:

داود بن عمر الانطاكي.. ولد في انطاكية وحفظ القرآن الكريم ودرس الادب والطب حتى صار من الاعلام.. له مؤلفات عديدة في الطب والأدب أشهرها كتاب: «تذكرة أولى الالباب والجامع للعجب العجاب المعروف باسم تذكرة داود (مطبوع).. وقد تحدث في هذا الكتاب عن كيفية العناية بالمولود وتحدث عن الرضاعة والمرضع وشروطها وصفات الحليب الجيد وكمية اللبن التى ينبغى أن يرتضعها الطفل حيث يقول: «وأقل ما يرتضع الطفل في اليوم والليلة مائة وخمسين درهما. والاكثر فيما قالوا خمسمائة درهم».

ويساوى الدرهم ٣٫٠٨٩٨ جراماً. وينصح داود المرضعات بأن يتوقفن عن الرضاعة إذا اضطررن لاستخدام الأدوية القوية التى تفرز في لبن الثدي حيث يقول: وتعالج المرضع إن لم يكن ولابد من دواء قوي فلا ترضع يومه»[٢٥].

ويهتم داود باضافة طعام آخر للطفل لعدم الاكتفاء بالرضاع وخاصة قبيل الفطام والغريب حقا أن داود الانطاكي كان ضريراً ورغم ذلك انتهت اليه رياسة الاطباء في زمنه وله بجانب التذكرة المشهوره كتاب «نزهة الاذهان في اصلاح الابدان»، و«الفية في الطب» و«كفاية المحتاج في علم العلاج» و«رسالة في

علم الهيئة»، و«شرح عينية ابن سينا»، و«زينة الطروس في أحكام العقول والنفوس» و«غاية المرام في تحرير المنطق والكلام» و«النزهة المبهجة في تشحيذ الاذهان وتعديل الأمزجة[٢٦]٠

الهوامش:

(١) د٠ حسن بله الأمين: مجلة الفيصل الطبية، العدد ١٣ صفر ـ ربيع الثاني ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م٠

(٢) المصدر السابق٠

(٣) د٠ محمود الحاج قاسم: رسالة في أمراض الأطفال والعناية بهم، تأليف أبي بكر محمد بن زكريا الرازي٠ المؤتمر القطري للطفولة ٩ إلى ١٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩م، بغداد وزارة العمل والشؤون الاجتماعية٠

(٤) زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب٠ ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٦٤ (ص ٢٤٣ ـ ٢٥٧)٠

(٥) د٠ محمود الحاج قاسم: تاريخ طب الأطفال (الطبعة الثانية) تهامة، جدة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص ١١٣٠

(٦) زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٥٠

(٧) ابن أبي أصيبعه: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، منشورات دار الحياة بيروت ، تحقيق د٠ نزار رضا ص ٤١٤٠

(٨) خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ، الطبعة الخامسة ١٩٨٠ ج٤/ ٢٨٨٠

(٩) د٠ محمود الحاج قاسم: تاريخ طب الأطفال ص ١١٠٠

(١٠) د٠ محمد علي البار: خلق الانسان بين الطب والقرآن، الدار السعودية، جدة ، الطبعة العاشرة ١٤١٥/ ١٩٩٥٠

(١١) د٠ محمد علي البار: الوجيز في علم الأجنة القرآني، الدار السعودية، جدة، الطبعة الثانية ١٤٠٧/ ١٩٨٦م ص ١٨ ـ ٢٢٠

(١٢) د٠ محمود الحاج قاسم: تاريخ طب الأطفال ص ١١١٠

(١٣) خير الدين الزركلي: الأعلام ج ٢/ ٢٨٧٠

(١٤) محمود الحاج قاسم: تاريخ طب الأطفال ص ١١١٠

(١٥) أحمد بن محمد ا لطبري: المعالجات البقراطية، مخطوطة بدار الكتب المصرية، نقلا عن المصدر السابق٠

(١٦) د٠ سامي حمارنة: فهرس المخطوطات العربية في الطب والصيدلة المحفوظة في المكتبة البريطانية٠

(١٧) أحمد بن محمد البلدي: «كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان، وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم»٠ تحقيق د٠ محمود الحاج قاسم، وزارة الثقافة والاعلام العراقية، بغداد، ١٩٨٠ ص ٠٧٨

(١٨) أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه الاصفهاني: رسالة في أوجاع الأطفال في مكتبة المتحف العراقي، بغداد٠

(١٩) د٠ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفييتي، دار الشروق جدة ، ١٩٨٣، ج٢/ ٤٣٦ ـ ٤٤٩٠

(٢٠) أبو على الحسين بن على بن سينا: القانون في الطب، دار صادر (طبعة مصورة) ج١/ ١٥٠ ـ ١٧٧٠

(٢١) المصدر السابق٠

(٢٢) د٠ محمود الحاج قاسم: الأم والطفل في أرجوزة ابن سينا، مجلة العربي العدد ٢٧٢، يولية ١٩٨١ ص ١٣٤ ـ ١٣٧٠

(٢٣) محمود الحاج قاسم: تاريخ طب الأطفال عند العرب، الطبعة الثانية، تهامة، جدة، ١٩٨٣م ص ١٣٣ ـ ١٣٧٠

(٢٤) د٠ محمود دياب: الطب والأطباء ص ٢٧٢٠

(٢٥) داود الأنطاكي: تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب ص ٣٥٠

(٢٦) خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٠ ، ج٢/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤٠

سَرْيَةُ الهوى إلى دمـ

لَعَرْشُك هذا مجدُه أمويٌّ
وتحفظُهُ الآسادُ كي لا يُبدَّدا
أطالعُهُ منْ مهبط الوحي مُكبِراً
ومروانُهُ يُعْليه صرحاً مُجدَّدَا
أرى في بُروج الكوْن مسْراك كوكباً
أضاءَ بنُور اللّه للكون فاهْتدى
أرى جحْفلا قدْ هبَّ منك بصُبْحه
ولمْ يُمْس إلا والنجاحُ لهُ الصَّدى
أغذَّ شمالا ثُمَّ غرْباً ومشْرقاً
وجدَّ على درْب النَّبيِّ مُؤيَّدا
وإنَّك لَلْمجْدُ الذي يعرفُ الورى
وإنَّك لَلتَّاريخُ سفراً مُخلَّدا
نطالعُهُ نستلْهمُ العبر التي
حوى ذُخرها بيْن الصَّحائف مُرشدَا
وقدْ يُسْعفُ التَّاريخُ طُلاب عبرة
وقدْ يخذُلُ التاريخُ عقلا تبلَّدا
وهلْ تُقرأ الأسفارُ إلا لغاية
تُتوِّجُنا علماً وتصْنعُ سُؤددا
وتسمُو بنا ديناً وتصهرُنا هوى
فنأتي بها نصراً ونُدْنيه موعدا

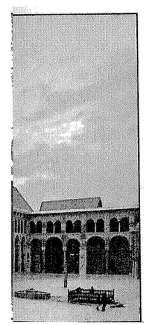
* * *

تأمَّلْتُ أجلو عبْرة بعد عبرة
فلمْ أرَ ذا لهو أطال تسوُّدا
وما نال مجداً غيرُ من جدَّ عزمُهُ
وأوغل في علم الزمان وجدَّدا
وسار بقلب قدْ وعى من زمانه
تجاربهُ إنْ جاد فيها وإنْ كدى

* * *

وأرنو وإذ حُلمٌ سنا بشعاعه
أنار ظلاماً واعتلى وتجسَّدا
لعمرُك إنَّا قد خبرْنا مُلُوكنا
ومنهُمْ ومنَّا ثار حُبٌّ فوحَّدا
وشدنا بناء يعتلي من أساسه
على المجد إسلاماً مُنيراً ومحْتدا





منظر عام لمدينة دمشق

ق [*]

شعر :

د. بهاء بن حسين عزّي - جدة

فذي قبْلَةُ الإسلام أجمعُ وجْهة
وذا مسجدُ الهادي فمنْ نُوره الهُدى
وذي هضبُ نجْد أنجبتْ أسد الشّرى[١]
مُوحِّد أقطار وبعثاً مُسدَّدا[٢]
وهذي رُبي الظّهران في الشّرق تزْدهي
وهذي وهذا، زدْ، فذا موْطنُ النّدى
لعمرُك إنّا منْ بلاد عظيمة
أرى الصّنْعة العُظْمى لها اليوْم أو غدا
فُديْت بصفو يا دمشْقُ وهُمْ فدوا
ومن يفدهمْ يستهْد منْ رُوحنا الفدى
فلا تعْجبي فالصّبُّ يفدي كأنّهُ
على مذْبح الأحباب يرجُو تشهُّدا

* * *

وأنتِ غرامٌ يا دمشقُ وإنَّ لي
ككُلِّ مُحبٍّ دعوة وتوجُّدا
رفعتُ على «قسيُون»[٣] كفّي ضراعة
وإذ بك في كفّيَّ حُسناً تفرّدا
عُذُوبة أطفال، شموخ سرية،
تبتُّل عُبّاد أجدُّوا تعبُّدا
وما أنتِ إلا دعوة مستجابة
دعوتُ بها ربّي فجاد وأسعدا
فهمتُ، وإذ نهرٌ تغيَّظ فيضُهُ
فيا بردى ما أنت إلا من الجدا
لعمْرُك إنّ القلب عُمرانُهُ الهوى
وليس هوى ما لا يفيضُ توقُّدا
وإنّي لَفيضٌ يغْربيٌّ نجارُهُ
أسيرُ بوقد الشّوق من حيثُما ابتدا
وإذ جئتُ مُشتاقاً فإنّي لفي هوى
يشُدُّ إلى ربْعي، فما الوقدُ منْ سُدى
وإن هاج بي شوقُ السُّرى منْ سراتهمْ
فقدْ كُنتُ أخفيه، وها هُو قد بدا
وهذا هوانا يا دمشقُ تَرَيْنَهُ
يفيضُ بوقد يستجيشُ مع المدى
يُضيفُ لهُ مَنْ بالحجاز سلامهُ
وكُلٌّ بنجد بالتّحيّات زوّدا

الهوامش:

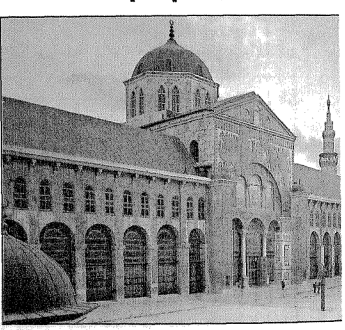
[*] هذه القصيدة.. أهديها تحية لمدينة دمشق العظيمة، عاصمة الخلافة الأموية وعرين الأسد، التي أزورها لأول مرة تلبية لدعوة كريمة تلقيتها من الأديبة المبدعة الشاعرة ابتسام الصمادي.

وهي دعوة لإحياء أمسية شعرية في مجلسها الأدبي في دمشق بتاريخ ١٤١٩/٣/١٣ الموافق ١٩٩٨/٧/٧م.

(١) أسد الشرى.. جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، موحد المملكة العربية العربية السعودية.. أسكنه الله فسيح جناته.

(٢) بعثاً .. جيشاً.

(٣) «قسيُون».. جبل «قاسيون» الشهير المطل على دمشق.



المسجد الاموي فى دمشق

أهمية الصورة للقطعة الأدبية

يُعنى النقد الأدبي بالأدب شعراً ونثراً فنياً، أما علم الجمال أو فلسفة الفن أو الاستطيقا فتعنى بالفنون الجميلة سائرها وتركز علي المشترك بينها، وتتوقف عندما يميز الفن عن العلم والفكر، لقد ظهرت مضامين هذا العلم وأسسه وبغير تسمية ولا تنظير كثير عند أفلاطون وأرسطو وفي عالمنا الإسلامي عند الفارابي وحازم القرطجاني وعبد القاهر الجرجاني وغير هؤلاء من مفكري المسلمين، وفي أوربا العصر الحديث تمت التسمية على يد الكسندر بومجارتن (١٧١٤ - ١٧٦٢م)، ولكن المسلَّم به أن (كانت) Kant هو المؤسس الحقيقي لعلم الجمال بمعناه الدقيق، وذلك في كتابه القيم (نقد الحكم) أي الحكم الجمالي، وعرفنا بعده هيجل وكروتشه وبوزافكت وجون ديوي وكولنجوود ولوكاتش وصمويل الكسندر وسارتر، ولكل منهم فهمه الخاص للتذوق أو الحكم الجمالي، فهمه المنغرس في أرض فكره الميتافيزيقي.

وأرى أن دراسة قضايا علم الجمال وموضوعاته خاصة في صورته الغربية عند مفكري العصر الحديث أمر ضروري لدراسة الأدب وفهمه ونقده، فالأدب نوع من جنس هو الفن الجميل ولا يفهم النوع فهماً جيداً عميقاً إلا إذا فهم الجنس، وثمة - بطبيعة الحال - قضايا مشتركة بين حقل النقد الأدبي وحقل علم الجمال وبسبب هذا الاشتراك وجدنا من نقاد الأدب مفكرين يدخلون بقوة من باب علم الجمال. مثالان لهؤلاء: أ.س.ريتشاردز صاحب كتاب (مبادئ النقد الأدبي) وعبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي: (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز).

الصورة تتعلق بالكيان المادي للعمل الفني:

من أهم القضايا المطروحة في كتب علم الجمال ودراساته قضية التمييز بين المضمون والصورة، والحق أن للصورة في العمل الفني مكاناً متميزاً، إنها جوهره وأساسه. فماذا نقصد بالصورة؟ نقصد الكيان المادي للعمل الفني والعلاقات أو النظم بين الأجزاء المادية.. بين الألفاظ بالنسبة للشعر أو بين الألوان بالنسبة لفن التصوير الزيتي، وفي كل الأحوال فإن ما يصنع الصورة هو ذلك البعد الذي يضيفه الفنان من ذاته.. أو من شخصه، وهو بُعد لا يُعلَّم ولا يُورَّث، وبسببه يفقد العمل الأدبي الكثير إذا تُرجم إلى لغة أخرى، وبسببه أو بسبب الصورة التى هى منحته وناتجه يعجز التلخيص والتحليل عن أن يغنياك عن مشاهدة أو قراءة، أو الاستماع للعمل نفسه، فإن حدث وأغنياك فالعمل ضعيف وليس جديراً بصفة فن.

ولنعالج الأمر في تؤدة:

الفن حدث فردي، وقدرة خاصة لا يستطيع نقاد الفنون وعلماء الجمال أن يمنحوها بدراساتهم لشخص لا يمتلكها، وما استطاعت دروس الشعر أن تخلق شاعراً، يستطيع الأستاذ أن يعلم تلميذه المجتهد من خلال كراسة الإنشاء: كيف يكتب كتابة جيدة مستقيمة سوية واضحة بينة، لكن هذه الكتابة الجيدة، لا ترقى إلى مستوى الفن وإنما هي صنعة، والصنعة تُعلَّم، للصنائع مهما كانت أسماؤها مدارس واتجاهات وأشكال وتصميمات، وجماعات وحرفيون يتفقون ثم ينفنون ما اتفقوا على خطوطه ومعالمه أما الفن فواقعة فردية، والفنان لا يتعمد في نية مبيتة وإصرار مسبق أن يدخل في زمرة جماعة يحذو حذوها ويقلد خطوطها، قد يتأثر بفنان أو أكثر، لكنه لا يتعمد.

يمتلك الشعر صفتي الوزن والقافية لكنه يمتلك سمات أخرى أساسية، هى التى تجعله شعراً، تتلخص

بقلم: د. عبدالرزاق حجاج محمد
جامعة الامام محمد بن سعود - الرياض -

كل تلك السمات في كلمة واحدة: الصورة، أو النظم بتعبير عبد القاهر الجرجاني.

لكننا دائماً وفي كل العصور - وبصفة خاصة في عصرنا لغلبة الدافعية للربح والشهرة - نجد أعمالا موزونة ومقفاة ويسمي أصحاب هذه الكتابات ما يكتبون شعراً، ويقبل الناس عليها حينا من الزمن ثم ينسونها تماماً بل لا يريدون لأحد أن يذكرهم بها.

غير أن فاجعة النثر الجميل في هذا المجال أكبر ذلك لأن الظاهر للناس أن مدخله أسهل، فالوزن والقافية أمران عسيران ولا يحسنهما الجميع، يكتب الرجل حدثا إلى جوار حدث ويسمي ما كتب قصة، ويضع تشبيها إلى جوار تشبيه وجملة مسجوعة إلى جوار أخرى مثلها ويسمى ذلك مقالا أدبياً... كذا يحاكي مستخدم الألوان الوردة والشجرة والسوق في القرية والفلاحات على شاطىء النيل، والمسافرين عند باب القطار محاكاة دقيقة ويستخدم ألوان هذه الأشياء نفسها، وكما هي في الطبيعة، ويسمي ذلك تصويراً.

ويشترى شخص اللوحة من هذه اللوحات ويعلقها على الجدار، وينظر إليها اللحظة أو اللحظتين، ثم يغفل عنها ثم لا يعاقب طفله على عبثه بها أو تمزيقه لها.

ذلك أننا نشعر جميعاً أن هذه الأعمال ليست هي ما نريد، خاصة إذا كنا قد شاهدنا أعمالا من الفن الجميل بحق شعراً وتصويراً. أو موسيقى .. وبغير وجود معايير واضحة محددة عند غالب الناس نجدهم يزهدون فيما نسميه صنائع أو موضوعات مهارة ويقبلون على ما نسميه بحق فنا جميلا.

ومن حق القارىء أن يتساءل عما يميز الصنعة مهما حاولت خداعنا عن الفن بحق؟ لكننا نقدم سؤالا آخر هو: ما الفرق بين العلم والفن؟

احتواء الصورة في العمل الفني واشتمالها على المضمون:

أول ما يتسم به الفن الجميل هو احتواء الصورة للمضمون وانتشار المضمون وتخلله في كل نسيج الصورة وإتيانه للقارىء أو المشاهد رويداً رويداً ومن خلال كل جزئيات الصورة، أما العلم فأمره مختلف ذلك أن موضوعه، هو الحق أو الحقائق وما دام الأمر كذلك، فالمضمون أو الفكرة هي الأساس، ولذا فإن العلم قابل للنقل من لغة إلى لغة، دون أن يتغير أو يفقد شيئاً، لأن الذي يتغير في حالة النقل هو الصورة.. والصورة ليست موضع احتفال العلم، فالعلم تعنيه الفكرة، والفكرة يعبر عنها بأكثر من لغة بل تنقلها الرموز بشكل أرق من الألفاظ.

الفن مرماه وهدفه الجمال، والجمال يتعلق بالصورة، والصورة هي التي فيها وبها ومن خلالها يتحقق الجمال، إذا تغلب المضمون وبرزت الفكرة بروزا وارتفع صوتها، لم يتسلل تسللا وإنما ينكشف انكشافاً، هنالك لا تستوعبه الصورة في نسيجها كما يستوعب الوجه المشرق لون الحمرة، وإنما يظهر انفصالهما منذ اللحظة الأولى، فالمكتوب إعلامي تعريفي إرشادي وعظي خطابي، واللوحة تجارية مشخصة لا معبرة، ناقلة مقلدة، ليست هامسة موحية، إنما مباشرة تماماً.

لذا فإن العمل الفني الأصيل يأبى إلا أن تتعرف عليه هو نفسه، لا يغني عنه تلخيص ولا يزهدك فيه تحليل، ذلك لأن التلخيص والتحليل يتعاملان مع الأفكار يلخصانها ويحللانها، لكن العمل الفني صورة أساسا، والصورة لا تُلَّخص ولا تحلل ولا تجزأ أو تفتت فهي العمل نفسه، لذا وجب على المشاهد أو المستمع أو القارىء أن يقبل على العمل الفني كله وبنفسه، فيتلقاه بذاته كلها: بقلبه وعقله وإحساسه، بروحه ووجدانه وفهمه، ومن ثم فإن ملاقاتنا للعمل الفني من أهم المناسبات التى تتوحد عبرها شخصيتنا.

إزاء العمل العلمي يبرز دور الفهم، أما إزاء العمل الفني فيعمل القلب والإحساس والفهم معاً وفي ارتباط وتلاحم.

وعلى نفس المستوى كانت الترجمة مهما بلغت دقتها وجودتها مضيعة لشيء ما في الصورة، أرأيت إلى القاص أو الشاعر وهو يبذل الجهد عبر لحظات طوال في اختيار كلمة واحدة، كلمة يشعر بأنها من بين مترادفات كثيرة (هي) المعبرة - وحدها - عما يريد إخراجه لنفسه


**الفن حدث فردي وقدرة خاصة يمتلكها صاحب الموهبة فقط

**** القلب والاحساس والفهم أدوات تلقى الفن والجمال**

**** الشكل والمضمون توأمان في خارطة الابداع.**

**** في العمل الفني الألفاظ تمتزج بالفكرة**

**** العمل الفني قراءة وإبداع لما انطبع في المخيلة**

وغيره من فكرة أو أفكار.. فكيف بالكلمة لم يكتبها هو وجاءت بلغة أخرى غير التي كتب بها؟.. إنها أبداً لن تكون ما أراد ولا كذلك الجملة والعبارة.

ومعيار العمل الفني - وما فيه من قوة وعظمة - أن الترجمة والتلخيص والتحليل لا يغنون عنه، والعمل الفني الدعي: هو الذي لا تجد فارقاً بينه وبين ترجمته أو بينه وبين تلخيصه.

في العمل العلمي تكون الألفاظ «مشيرة» إلى شيء خارجها هو الفكرة أو الأفكار.. إنها محض مشيرات أو مؤشرات إنها لا تمتزج بالفكرة، وإنما تبقى خارجها دالة عليها؛ ولذا فإن تحويل الألفاظ في العلم إلى ألفاظ لغة أخرى أو تحويلها إلى رموز لن يضيع شيئا من المقصود، أما في العمل الفني فالألفاظ (تمتزج) بالفكرة امتزاجاً، وتحيط بها إحاطة، وتلتف حولها التفافاً، فإذا أنت مع الفكرة من هذه الألفاظ بعينها ومن نظمها على هذا النحو وليس من ألفاظ غيرها ولا على نحو من النظم (والوشي) غير ما نظمت به.

إن الألفاظ في العمل الفني ليست مجرد إشارات، وإنما هي (ممتزجة) بالفكرة، وأنت غير قادر على فصلهما وأخذهما متباعدين، كذا أنت على يقين من أن القصيدة لو حولت نثراً لما عادت هي ولو ترجمت لفقدت شيئا بل أشياء.

أما الأعمال التي ترتدي زي الفن ليقال عنها إنها شعر أو تصوير أو قصة، فإن الكلمات والألوان فيها ليست إلا إشارات لمعان تقع خارجها، ليست إلا مشخصات؛ ولذا فإنك تستغني عن الشجرة التي في لوحة من هذا النوع، وتتجه إلى الأصل: الشجرة الواقفة هناك على حافة الترعة، تهمل نظماً قال عنه صاحبه: إنه شعر في وصف الربيع مثلا لتكتفي بالربيع نفسه.

هنا نضع أيدينا على سمة أساسية أخرى من سمات العمل الفني الجميل الأصيل، وهى أن **الفنان في عمله يضيف شيئاً من ذاته**، فالشجرة في القصيدة الجيدة لم تعد الشجرة الخارجية، لا يتعلق الأمر بكونها في الخارج تهتز، وتتمايل فروعها، فحتى الرسام الحرفي يستطيع أن يقدمها لك على الورق وهي تهتز، وذلك بحيل وتقنيات يعرفها الصناع، وإنما يضيف الفنان الأصيل شيئاً آخر، شيئاً تلقاه فتدركه مباشرة ثم تعجز عن نقله لغيرك، ويقف كلاكما أمام اللوحة فتبتسمان ابتسامة واحدة وينظر كل منكما لصاحبه بعين ملؤها الرضا... وتعجز الكلمات!!

ثمة ثلاثة مستويات للتعبير:

أ - التعبير العادي العملي أو الفرضي المباشر وهو ما تؤديه لنا اللغة أو الألوان أو الأصوات في حياتنا اليومية.

ب - التعبير العلمي: وهنا النظرية أو الفرضية غير المباشرة، ويشترك هذان التعبيران العملى والعلمي في أن المضمون هو الأساس عندهما.

ج - التعبير الجمالي: وهنا تكون الصورة بتفردها وتميزها في كل عمل فني هي الأساس[١].

وقد وجدنا بذور هذه التفرقة لدى نقادنا المسلمين فهذا (أبو حيان التوحيدي) يفرق بين حد الإفهام وحد البلاغة فيقول: (... ولا يكتفى بالإفهام كيف كان، وعلى أي مرجع وقع، والبلاغة زائدة على الإفهام الجيد بالوزن والسجع والتقضية، والحلية الرائعة، وتخير اللفظ، وهذا

الفن لخاصة الناس، لأن القصد فيه الإطراب بعد الإفهام)[٢].

كذلك ميز سيبويه بين لغة الشعر ولغة الكلام في أحد فصول الكتاب مستعرضا بعض الجوازات التى تسوغ للشاعر ولا تجوز لغيره وهو ما كان يتفق مع رأى الخليل بن أحمد الفراهيدي) الذي ينسب إليه هذا القول: (الشعراء أمراء الكلام، يصرفونه أنَّى شاؤوا، وجائز لهم مالا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللفظ وتعقيده، .. والجمع بين لغاته، والتفريق بين صفاته واستخراج ما كلت الألسن عن وصفه ولغته، والأذهان عن فهمه وإيضاحه فيقربون البعيد، ويبعدون القريب)[٣].

ونجد عند الفيلسوف الانجليزي صمويل الكسندر متوفي ١٩٣٩م التفرقة التي أشرنا إليها بين مستويات الكلام، ويحدد السمة الأساسية للتعبير الجميل بأنه لا يستخدم فحسب للدلالة أو الإشارة أو كما ذكر التوحيدي للإفهام، وإنما تعالج المواد في الفن لذاتها، ويقول عن الكلمات: **إنها بصفة عامة إشارات ولا تصبح جمالية إلا عندما تصبح محملة بالمعنى ممتزجة به، وكأنه يشع منها هي نفسها، وليست هي المشيرة إليه.**

هذا المعنى أو تلك الفكرة هى ما قصده (جان بول سارتر) بقوله: **«إن الفنان أبعد الناس عن اعتبار الأصوات أو الألوان لغة.. لا يريد الرسام أن يخط إشارات على قماش لوحته، وإنما يريد أن يخلق شيئا.. إن صرخة ألم هي إشارة ألم يثيرها غريق مثلا.. لكن نشيد ألم هو في أن واحد الألم نفسه وشيء آخر غير الألم»[٤].**

ولنأخذ مثلا من شعر البحتري لنتبين أهمية المادة.. أهمية اختيار الألفاظ ووضعها في نسق معين.. لنتبين كيف أن البحتري قد اكتشف الربيع في اللغة العربية، كما قيل عن شكسبير إنه قد اكتشف هاملت في اللغة الانجليزية.

لست حيال قصيدة (البحترى) عن الربيع مع علاقات لفظية تشير الى بهجة وإنما الكيان اللفظي نفسه مبهج، لقد تحققت (الصورة) وارتسمت ملامح المعالجة الفنية الجميلة فامتزجت البهجة والخضرة والحسن وانصهرت مع الألفاظ، فتضوعت بها تلك، فإذا أنت أمام ربيع آخر، تغنيك به القصيدة عن الربيع الخارجي.. ربيع الطبيعة، تقرؤها في برد الشتاء، فإذا أنت في الربيع، أو تقرؤها في الصيف وشدته فإذا الربيع محيط بك.

إن القارىء هنا أو المستمع أو قل المشاهد لا يقبل على الموضوع، وإنما يقبل على الصورة.. على نظم الألوان وتركيبها.

فلنطالع معاً وصف البحتري للربيع، وقد عرض له في خاتمة قصيدة مدح، ولنتأمل «الصورة» بكل ما تعنيه من حسن اختيار للألفاظ، ومن تقديم وتأخير، ومن ظلال وألوان، ومن تجسيد للبهجة التى تلحق الكون، فإذا أنت تكاد تلمسها بأصابعك أو تسمع حفيفها بأذنيك، وتخيل .. تخيل ذلك الربيع الداخلي .. ربيع القصيدة نفسها، فإذا أنت أمام ربيع أكثر حضوراً في نفسك من ربيع الكون:

أتاك الربيعُ الطلقُ يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز في غلس الدجى
أوائل ورد كنَّ بالأمس نوماً
يفتقها برد الندى فكأنه
يبثُ حديثاً كان أمسُ مُكتَّماً
ومن شجر ردَّ الربيع لباسه
عليه كما نشرت وشياً منمنما
أحلَّ فأبدى للعيون بشاشة
وكان قذى للعين إذ كان محرماً
ورق نسيم الريح حتى حسبته
يجيء بأنفاس الأحبة نُعماً[٥]

هل من لفظ تكلفه الشاعر بسبب من الوزن أو القافية - وغيره أكثر تحقيقا للموسيقى الداخلية والخارجية، ولتجسيد معنى البهجة منه؟

أرأيت أوائل الورد اللاتى كن بالأمس (نُوماً) فلما جاء الربيع استيقظت ونشرت شذى حديث كان مخبوءا (مكتماً)؟ هل من لفظين أقوى وقعاً ودلالة من كلمتي: (نُوّماً) و(مكتماً)؟ وهل من اختيار أفضل من كلمة (منمنماً) مع كلمة (وشياً) أو من كلمة (نسيم) مضافة للريح، مع كلمة (أنفاس) مضافة للأحبة.

لندر عيوننا الآن ناحية نص للصنوبري في وصف الربيع:

ما الدهر إلا الربيعُ المستنيرُ إذا
جاء الربيع أتاك النَّوْر والنور
فالأرض ياقوتة والجو لؤلؤة
والنبت فيروزج والماء بلور
لا تعدم الأرض كأساً من سحائبه
والنبت ضريان سكران ومخمور
فيه جنى الورد منضود موردة
به المجالس والمنثور منثور
هذا البنفسج هذا الياسمين وذا النـ
سرين ذا سوسن بالحسن مشهور

تأمل وقارن، البحتري يصف لنا الربيع فيجعله ضاحكا وأنت تمضي بعد تعبير (يختال ضاحكا) فتستشعر في كل تعبير ومع كل تشبيه أن الربيع يضحك ويبتسم، أما في مقطوعة الصنوبري فالشاعر هو الذى يضحك.. هو صبي - أو غلام - يطربه الربيع بمقدمه ونوره وزهره ونوْره؛ فيمضى منشداً، ويعلو صوت الشاعر أو الغلام الطروب بثنائيات (النَّوْر والنُّور) (ياقوتة .. لؤلؤة) (فيروزج ... بلور) (سكران ومخمور) (منضود ومنثور)، وانظر إلى مادة (نور) ترد ثلاث مرات، لكنك تستشعر أمام كل لفظ شعوراً خاصاً: المستنير .. النَّوْر .. النُّور.

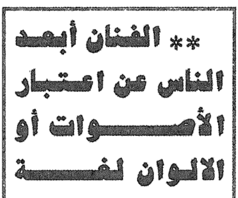
وانظر إلى حرف السين في البيت الأخير وما انبعث عنه من موسيقا حلوة عذبة إذ تكرر في هذه الكلمات: البنفسج.. الياسمين.. النسرين.. سوسن .. بالحسن ، لقد تكرر مصحوباً باسم الإشارة، فتخيلنا الشاعر الضحوك الطروب صبياً يشير بأصبعه هنا وهناك.

الربيع الخارجي .. ربيع الكون واحد، لكن الربيع الذي جسدته قصيدة البحتري مختلف عن الربيع لدى الصنوبري.

وكذا في فن التصوير: لوحات الزهور والورود، تختلف كل لوحة عن الأخرى مع أن الزهرة واحدة، وإنما يعمل المصور بريشته ويضيف من ذاته ما يجعلك ترمى بعيدا أى صورة (فوتوغرافية) لزهور وورود!، آت بألف شاعر أو مصور واعطهم موضوعا واحدا وسوف يقدمون لك اعمالا مختلفة أو قل أعمالا فنية متباينة.

أهمية المعانى للصورة:

وعندما نقول إن الصورة هي جوهر العمل الفني، فإننا لا نعني إقلالا من شأن المعاني، إذ لا مقابلة أساساً بين الصورة والمعاني، وكأننا أمام طرفين متباعدين، فليس ثمة جهد بشرى فيه قصدية وإرادة ومعاناة إلا كان محتويا على معنى، وليس ثمة عمل فنى إلا ويتضمن معنى صغر هذا المعنى أو كبر، كان فكرة في كلمة أو فكرة في جملة من ثلاث كلمات أو أكثر، لذلك فإننا نجد كبار البلغاء والأدباء متفقين على أهمية الصورة للفن الجميل دون أن يعنى ذلك القول بخلو العمل من المعنى أو الإقرار بمشروعية الغموض والظلام، فرق بين اللامباشرة - أى لا مباشرة المضمون - مطلباً جمالياً، والغموض شراً شيطانياً تسعى إليه أنواع من الخفافيش تنتحل ثوب الشعر.



وعبارة الجاحظ: (المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك[٦]، يحسن أن تفهم على أنه تجب التفرقة بين نوعين من المعاني: معان قبل العمل الفني، ومعان بعد العمل الفني: معان عامة مطروحة في الطريق أى يعرفها الجميع، وترد حينا في كتب الأخلاق والفضيلة وحينا آخر في كتب القانون والجريمة، أو قد نجدها خارج الكتب متداولة على ألسنة الناس هذه المعانى تمثل مادة للعمل الفني أو مخزونا، شأنها شأن الألفاظ بالنسبة للشاعر والألوان لدى المصور، **أما المعانى بعد العمل الفني فهي تلك التي لا تنقلها التراكيب اللفظية أو تشير إليها - في حالة الشعر - وإنما هي والتراكيب اللفظية شيء واحد.**

إن ما يقصده علم الجمال الأوربي من استخدام تعبير الصورة ومن اهتمام بالجانب المادي للعمل الفني، ليظهر واضحاً في مرامي عبد القاهر من فكرة النظم

أليس المقصود بالصورة هو تلك العلاقات الدلالية بين أجزاء الكيان المادي للعمل الفني.. الألفاظ بالنسبة للشعر مثلا بحيث يصعد من مجموعها معنى معين، معنى ينفرد به هذا العمل عن غيره من أعمال تحمل عنوانه نفسه.

يقول عبد القاهر في شرحه لمعنى النظم عنده: (هل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا: لفظة متمكنة مقبولة، وفي خلافه: قلقة نابية، ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما؟.

ويرى - مثلا - أن كلمة (شيء) قد حَسُنت في بيت أبي **حيّة النميري**:

إذا مـــا تقـــاضى المرء يوم وليلة
تقـاضـاهمـا شيء لا يمل التـقـاضـيـا

لكن كلمة (شيء) نفسها تتضاءل في بيت **المتنبي** (من قصيدة في مدح كافور):

لو الفلكُ الدّوارُ أبغـضـت سـعـيـه
لـعـــوقـــه شـيء عن الـدوران

القصيدة لا تنشأ من أفكار:

لقد قال (مالارميه). إن **القصيدة لا تنشأ من أفكار وإنما تنشأ من ألفاظ،** وهو يعني تخير اللفظ الملائم للفظ آخر ملائم فإذا أنت أمام (تجمع) أو صورة أو كيان مادي ملائم للمعنى الذى أراده الشاعر.. وقد تكون الفكرة بسيطة للغاية ووردت عند عشرات الشعراء من قبل، لكنها تأتى في نظم أو صورة عظيمة فتعظم بدورها.

إننا لا نفضل بيتاً على بيت، أو قل بصفة أعم لا نفضل عملا فنياً على آخر، لمجرد المعنى، فهذا يدخل في مجال النثر العادي، ولو قيل موزوناً مقفى فهو ليس شعراً، لأن الشعر لا يحيا بالوزن والقافية وحدهما، وانما يتم التفضيل على أساس مقدار جودة النظم أو الصورة ومقدار تميزها على غيرها في حمل معنى نشعر أن الشاعر - أو الفنان عامة - يريد له الخروج من ثنايا النظم أو الصورة اللفظية، لا يأتي المعنى في العمل الفني الحقيقي منعزلا عن الكيان المادي المقدم فيه، ولو ترجم هذا العمل إلى كيان مادي آخر - في حالة الشعر أو النثر الأدبي - لخسرنا الكثير ولما بقي منه إلا القليل، وهل تترجم اللوحة من لوحات فن التصوير الراقي، وهل تترجم قطعة الموسيقى العذبة؟!.. كذلك يجب أن نحرص على قراءة الأعمال الأدبية بلغتها الأصلية. وقد استخدم صمويل الكسندر تعبير (معان نغمية) ليؤكد به بروز المعانى في الفن الأصيل من الكيان المادي نفسه بشخصه وصورته ونظمه.

اللغة في الشعر ليست مجرد إشارات إلى معان وإنما تمتزج المعانى بها، فلا نكون أمام صورة مستقلة عن المعاني، وهذا هو ما يقصده صمويل الكسندر بقوله: (... فشكسبير اكتشف هاملت في اللغة الانجليزية كما يكتشف النحات الشكل الذي يبحث عنه في الصخر) ويتساءل في موضع آخر.. (لكن من الذى يكتشف هاملت في اللغة الانجليزية ومن الذي يكتشف العبيد في الصخرة؟ إنهما شكسبير ومايكل أنجلو وليس أحد غيرهما[٧] وهو بذلك يريد الإشارة إلى أهمية موهبة الفنان ومدى حساسيته في اختيار الكلمات الملائمة، والكسندر بتركيزه على أن الفن اكتشاف إنما أراد تأكيد فاعلية المادة، وإبراز دور إمكاناتها التى تظهر أثناء فعل الإبداع، وأنها ليست مجرد أداة (اللغة في حالة الشعر - مثلا) لتحقيق غرض التوصيل كما فهم كروتشه، وإنما يظهر العمل الفني أثناء التنفيذ المادي الخارجي، أي أثناء بروز الصورة، وليس قبل ذلك.

ليس السرور والإحساس بالبهجة اللذان نعايشهما ونحن إزاء هذه اللوحة أو تلك سروراً بالبقع اللونية في حد ذاتها: بهائها ونصوعها وجاذبيتها الحسية، وإنما هو سرور بتحقيق معنى أرسله المصور من خلال أسلاك الألوان، وهمسنا لأنفسنا إنه يقصد كذا، كذا السرور الذي نعايشه ونحن إزاء قصيدة ليس سرورا بجرس الألفاظ أو رقتها، بل ليس سروراً من الاستعارة أو التشبيه ذاتيهما، وإنما هو سرور وبهجة من النظم أو الصورة أو قل طريقة السبك والصياغة.

نجد عند عبد القاهر الجرجاني أمثلة لهذا فهو يذكر قول **ابن المعتز:**

ســالتْ عليـه شـعـابُ الحي حين دعـا
أنصــــاره بوجــــوه كـــالدنانيــــر

ويوضح أن الاستعارة في البيت على لطفها وغرابتها، إنما تم لها الحسن وانتهى الى حيث انتهى، بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير. وإن شككت فاعمد إلى الجارين والظرف فأزل كلا منهما عن الموضع الذي وضعه الشاعر فيه، فقل: سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره، ثم انظر كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة.. وكيف تذهب النشوة التى كنت تجدها.

ويعرض عبد القاهر لقول المتنبي:

وقيدتُ نفسي في ذراك محبة
ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

فيذكر أن الاستعارة الواردة في أصلها مبتذلة معروفة، فأنت ترى العامي يقول: قيدني - فلان - بكثرة إحسانه إليَّ وجميل فعله معي، حتى صارت نفسي لا تطاوعنى علي الخروج من عنده، وإنما كان ما ترى من الحسن بالمسلك الذي فيه سُلك النظم والتأليف[٨].

ومن مجال الإعجاز - القرآن الكريم - يتوقف أمام قوله تعالى: واشتعل الرأسُ شيبا فيذكرنا بأن أصل الاشتعال إنما هو للشيب، إنما قُدم الرأس وتأخر الشيب وجيء به منصوباً، لتتحقق دلالة الشمول أي شمول الشيب للرأس كلها، فالاستعارة وحدها أو بذاتها ليست موضع قوة المعنى، وإنما هو التقديم والتأخير، أو بتعبير أعم: النظم، وهو ما يشبه قوله تعالى: {**وفجرنا الأرض عيوناً**}.

الدلالة العادية والدلالة الجمالية:

يدخل في إطار موضوع الصورة، وكون العمل الفني أساساً صورة: تفرقة علماء الجمال ومفكريه بين الدلالة الجمالية والمعنى التعريفي أو الإشاري ونحن نجد هذه التفرقة عند عبد القاهر الجرجاني، إذ يفرق بين المعنى والغرض في قوله: (لا يغرنك قول الناس: قد أتى المعنى بعينه، وأخذ معنى كلامه - أى معنى كلام شاعر آخر مثلا - فأداه على وجهه، فإنه تسامح منهم، والمراد أنه قد أدى الغرض، فأما أن يؤدى المعنى بعينه على الوجه الذي يكون عليه في كلام الأول حتى لا تعقل ها هنا إلا ما عقلته هناك.. ففي غاية الإحالة ظن يفضى بصاحبه إلى جهالة عظيمة.. ذلك أن ليس كلامنا فيما يفهم من لفظتين مفردتين نحو: قعد وجلس، ولكن فيما فهم من مجموع ومجموع كلام آخر، نحو أن ننظر في قوله تعالى: {ولكم في القصاص حياة} وقول الناس: قتل البعض إحياء للجميع، وإن كان قد جرت عادة الناس بأن يقولوا في مثل هذا إنهما عبارتان معبرهما واحد، فليس هذا القولُ قولا يمكن الأخذ بظاهره أو يقع لعاقل شك أن ليس المفهوم من أحد الكلامين المفهوم من الآخر)[٩].

كذلك نجد في أحد طرائق إيضاح عبد القاهر لفكرة النظم ما يذكرنا بتفرقة علماء الانجليز بين (الشكل) و(الصورة)، فمجرد التجميع والاتساق لا يؤدى إلا إلى مجرد شكل، أما الصورة في الفن فتعنى بروز معنى مقصود من بين أجزاء العناصر المادية للعمل الفني، معنى يوجه الفنان كل طاقاته لإبرازه حسيا، أقصد من ثنايا المعطيات المحسوسة نفسها، كذلك نجد في النص التالي لعبد القاهر ما يفيد التفرقة بين الفن والصنعة:

(من الكلام ما ليس سبيله إلا ضم بعضه إلى بعض، كمن عمد إلى لآليء، فخرطها في سلك، لا يبغي أكثر من أن يمنعها التفرق وكمن نضد أشياء بعضها على بعض لا يبغى لنضده ذلك أن تجيء له منه هيئة أو صورة، بل ليس إلا أن تكون مجموعة في رأى العين وذلك إذا كان هناك معنى لا يحتاج أن تصنع فيه شيئاً، غير أن تعطف لفظاً على لفظ، مثله كقول الجاحظ: جنبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة نسبا، وبين الصدق سبباً.. انه مجرد (شكل)، أو (النظم الذى معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق)[١٠].

فالكلام المجمعُ مجرد تجميع المنسق مجرد تنسيق: هو الكلام الخالي من الصورة، والمنفلت في الوقت نفسه من المعنى الخاص الفني الجميل.

الحكم الجمالى ذاتى - موضوعى:

الفن الجميل يحتاج إلى تذوق جمالي، وكلمة استطيقا التى صارت دالة على علم الجمال تعني أصلا الإحساس الدقيق الرقيق وخصصت عند «باو مجارتن»

للإحساس الجمالي ثم أطلقت فصارت اسماً لكلتا العمليتين: الخلق الفني والإحساس الجمالي سواء جمال الطبيعة أو جمال الأعمال الفنية.

وليس المتذوقون سواء، فنهض القول بذاتية الحكم أو التقدير الجمالي، أي أنه ذاتي تماماً، لكن الرأي الصحيح هو أن الحكم الجمالي ذاتي - موضوعي، ذاتي لأنه يعتمد على ذوق الشخص الذي يتوقف، ويتأمل، فيستشعر ويحس. وموضوعي لأن ثمة صورة أو نظما يجهد الفنان نفسه في تصميمها وإخراجها، ولولاها لما كان ثمة ذاتية ولا تذوق.

يشير عبد القاهر إلى دقة الحكم الجمالي: إذ يرى أننا في مجال النظم نكون (في أمور تدرك بالفكر اللطيفة، ودقائق يوصل إليها بثاقب الفهم، فليس درك صواب دركا فيما نحن فيه، حتى يشرف موضعه، ويصعب الوصول إليه).

ليس الأمر في تذوق المعنى المنبثق المتفجر الصاعد من ثنايا صورة أمر إدراك مباشر كإدراك الصواب أو الحق العلمي أو الرياضي وإنما هو إدراك من نوع خاص ما دام الابتعاد عن المباشرة سمة أساسية للانشاء الفني.

وفي موضع آخر يشير عبد القاهر إلى دور الناقد فيصف سمات المتذوق الأصيل، فالمعانى التى يعالجها الأديب (أمورٌ خفية، ومعان روحانية، أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها وتحدث له علماً بها، حتى يكون مهيأ لإدراكها، وتكون فيه طبيعة قابلة لها، ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساساً بأن من شأن هذه الوجوه والفروق أن تعرض فيها المزية على الجملة[١١].

ليس عبد القاهر وحده هو من عني بمفهوم الصورة وبروز المعنى من خلالها في العمل الفني، وإنما نجد ذلك لدى الجاحظ، وإن كان بصورة ضمنية غير بارزة بألفاظنا وتعبيراتنا، يذكر الجاحظ: أن الشيخ أبا عمرو الشيباني كان يستحسن المعاني، وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين:

لا تحسبنَّ الموت موت البلى
إنما الموتُ سؤال الرجال
كلاهما موتٌ ولكن ذا
أشدُّ من ذاك على كل حال

أنه كلف رجلا - ونحن في المسجد الجامع - حتى أحضره قرطاساً ودواة حتى كتبهما.

ويعلق الجاحظ بقوله (المعانى مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك). المعاني المطروحة في الطريق هي تلك المعانى العادية السابقة على (جودة السبك) أو قل الموجودة في الخارج قبل براعة التصوير وحسن النظم، فإذا أخذها شاعر وقدمها كما هي لم يضف إلا الوزن، كان جديراً بأن تحكم عليه حكم الجاحظ على البيتين المذكورين، قال عنه: وأنا أزعم أن صاحب البيتين لا يقول شعراً أبداً.

الهوامش:

(١) صموبل الكسندر (الجمال وأشكال أخرى للقيمة) ص ٨ - ١٠.

(٢) أبو حيان التوحيدى: (المقابسات) تحقيق السندوبي ص ١١٧.

(٣) د. عز الدين إسماعيل: (قراءة جديدة لتراثنا النقدي)١/٤٣٥ - ٤٣٦.

(٤) جان بول سارتر (مواقف - ما هو الأدب).

(٥) ديوان البحتري. تحقيق حسن كامل الصيرفي، المجلد الرابع ص ٢٠٩٠، دار المعارف.

(٦) الجاحظ - الحيوان ٣/١٣١.

(٧) صموبل الكسندر: (مقالات فلسفية وأدبية) ص ٢٢٨، ٢٢٩ وكذلك الكسندر: الجمال وأشكال أخرى للقيمة ص ٢٣٥ - ٢٣٧.

(٨) عبد القاهر الجرجاني (دلائل الإعجاز) ص ١٣٨ - ١٤١.

(٩) عبد القاهر. مرجع سابق ص ٢٧١. وقد عرض مصطفى صادق الرافعى في كتابه (وحي القلم) الجزء الثالث ص ٣٩٧ - ٣٠٦ للتفرقة بين العبارتين وذكر نقاطا كثيرة يفرضها إعجاز النظم القرآنى على كل ذى حس دقيق، ولم يشر الرافعى في الموضع المذكور إلى عبد القاهر الجرجاني وتعرضه لنقد من يسوي بين قوله تعالى {ولكم في القصاص حياة} وقول بعض الناس (قتل البعض إحياء للجميع) فلعله توارد خواطر.

(١٠) عبد القاهر - مرجع سابق ص ٩٨.

(١١) مرجع سابق ص ٤٩٩.

تاريخ الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز

** الصحافة السعودية منذ نشأتها كان لها دورها الفاعل المشهود في رصد حركة التنمية في المجتمع السعودي، من كل جوانبها ومعطياتها..

وهذه الدراسة الموثقة لـ (تاريخ الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز) تُسجل وتُدَوِّن لتاريخ هذه الصحافة ودورها في دفع حركة التنمية.

الصحف السعودية في عهد الملك عبد العزيز:

إن مفهوم الصحافة Journalism يجمع بين الصحيفة Newspaper (Journal) والمجلة Magazine (Review)، ولذلك هناك قواسم مشتركة بين الصحيفة والمجلة، فالصحيفة والمجلة هما دوريتان أو مطبوعتان تصدران عن مؤسسة أو شركة أو أفراد بهدف الأخبار والنشر، ولكن ما يميز الصحيفة عن المجلة هو أن الصحيفة تتابع الأخبار ثم تعلق عليها، أما المجلة فإنها تهتم بالتعليق أكثر من اهتمامها بالأخبار[١].

الصحيفة (الجريدة) هي مطبوعة دورية، غالباً يومية، تتضمن مواد تدور وتتعلق أساساً بالوقائع والأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والرياضية.. الخ، وتتضمن الصفحة الواحدة عدداً من الأعمدة[٢].

ويعرّف المعجم الوسيط الجريدة بأنها: «صحيفة يومية تنشر أخباراً ومقالات» وهي إضمامة (مجموعة) من الصفحات تصدر يومياً أو في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة، وما يتصل بذلك».

ولقد شهدت منطقة الحجاز (منطقة مكة المكرمة) قبل العهد السعودي الزاهر صدور عدد من الصحف في العهدين العثماني والهاشمي، ومعظم هذه الصحف لم يكتب لها البقاء طويلا بسبب ظروفها المالية، ففي العهد العثماني صدرت في غضون ثلاثة أعوام ١٣٢٦ - ١٣٢٨هـ، في كل من مكة المكرمة ثم جدة فالمدينة المنورة ما يربو على الخمس صحف هي «**حجاز**» وهي أول مطبوعة تصدر في الحجاز، «**شمس الحقيقة**»، «**الإصلاح**»، «**صفاء الحجاز**»، «**المدينة المنورة**».

وفي العهد الهاشمي صدرت أربع مطبوعات في مقدمتها جريدة «القبلة» التي كان يصدرها ويشارك في تحريرها الشريف حسين بن علي، ثم مجلة «جرول الزراعية»، و«الفلاح»، و«بريد الحجاز». ولقد استمرت «القبلة» نحو تسع سنوات[٣]، وتوقفت بعد دخول الملك عبد العزيز طيب الله ثراه إلى مكة المكرمة. وهكذا، فلقد بدأ تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية من مكة المكرمة في عام ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م ثم مدينة جدة فالمدينة المنورة، وظلت الصحف تصدر من هذه المدن الثلاث لفترة تزيد عن الأربعين عاماً، وبعد هذه الفترة الطويلة بدأت المدن الأخرى - كما سنرى - تصدر الصحف والمجلات.

وفي يوم ٧ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ الموافق ٤ كانون الأول ديسمبر ١٩٢٤م دخل الملك عبد العزيز مكة المكرمة معتمراً. وبعد أن بايعه أهالي مكة ملكاً شرعياً على الحجاز أمر بإصدار أول صحيفة سعودية حكومية باسم: **(أم القرى)**[٤].

وصدر العدد الأول من أم القرى في يوم الجمعة ١٥



بقلم :
د. أمين ساعاتي - جدة



جمادى الأولى ١٣٤٣هـ الموافق ١٢ ديسمبر ١٩٢٤م وشعارها منذ صدورها حتى الآن - الآية الكريمة {وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها}. وكان المدير المسئول عن الجريدة الشيخ يوسف ياسين، وبقي اسم الشيخ يوسف ياسين مديراً للجريدة حتى ١١ صفر ١٣٤٥هـ/ ٢٠ أغسطس ١٩٢٦م، ثم حل محله الأستاذ رشدي ملحس، وكان الشيخ يوسف ياسين يتولى رئاسة الشعبة السياسية التي أصبحت فيما بعد قسماً من أقسام وزارة الخارجية وكان قلم المطبوعات والنشر من مسئولية وزارة الخارجية قبل قيام المديرية العامة للصحافة والنشر، ثم تولى تحريرها الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود[٥] مدير مطبعة الحكومة ومدير إدارة الجريدة، وفي عام ١٣٥٥هـ تولى رئاسة تحريرها الأستاذ فؤاد شاكر، ثم أسندت رئاسة تحرير أم القرى للأستاذ عبد القدوس الأنصاري وذلك في ربيع الأول عام ١٣٥٩هـ، وفي عهده صدر أمر سمو نائب جلالة الملك الأمير فيصل (الملك فيصل) بإلحاق رئاسة تحرير أم القرى بديوان سموه إدارياً وتحريريا، ثم عيّن الأستاذ أحمد ملائكة مشرفاً على جريدة أم القرى ثم عهد للسيد هاشم يوسف الزواوي بالإشراف عليها، وتولى محمد خليفة شعبان تحرير أم القرى بالوكالة ثم عهد بتحريرها للأستاذ الطيب الساسي[٦].

وحينما أنشئت المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر في عام ١٣٧٤هـ - ١٩٥٣م تولت المديرية الإشراف على أم القرى حيث كلفت الأستاذ هاشم عزوز بالإشراف على تحرير أم القرى وما زالت تحت إشراف وزارة الإعلام[٧]، حتى تم تعيين الأستاذ فائق أحمد جمال حريري لرئاسة التحرير.

ولقد بدأت أم القرى حكومية متخصصة فكانت في البداية تهتم بنشر الأخبار الرسمية للدولة من خطابات ملكية وبيانات وأوامر ملكية ومراسيم ومعاهدات وإعلانات وتعيينات، وافتتاحياتها تعبر عن سياسة الدولة مع نشر بعض الأخبار العالمية والاخبار المحلية.

ومنذ بداية عام ١٣٥٤هـ - ١٩٣٤م اهتمت بالنواحي الأدبية والاجتماعية والنقدية مع التوسع في نشر الأخبار الخارجية والداخلية، وفتحت صدرها للمفكرين والناقدين من الأدباء والشعراء، وكانت تنافس صوت الحجاز فيما تنشره من علم وأدب وشعر ونقد[٨].

وصدرت أم القرى في أربع صفحات على الحجم الكبير وفي ثماني صفحات على الحجم الصغير. وعندما اندلعت نار الحرب العالمية الثانية وقل الورق في المملكة صدرت أم القرى في صفحتين فقط وكان ذلك بموجب البلاغ الرسمي الصادر من قلم المطبوعات في ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٦٠هـ - ١٨ يوليه ١٩٤١م بتوقيف جميع الصحف في المملكة ما عدا أم القرى التى كانت تصدر في صفحتين فقط بنصف حجمها، ثم توقفت بغياب الورق من سوق الورق السعودي.

وحينما علم جلالة المغفور له الملك عبد العزيز يرحمه الله بذلك أمر معالي الشيخ عبد الله السليمان يرحمه الله

وزير المالية آنذاك بسرعة إحضار ورق للجريدة من بعض البلدان العربية المجاورة، ووصل الورق وصدرت الجريدة على ورق ابيض صقيل وحجم صغير[٩].

ولقد كان الإشتراك في العدد الواحد من جريدة أم القرى بنصف جنيه استرليني للسنة الكاملة، وثلاثة أرباع الجنيه في الخارج، وسعر البيع في السوق قرشاً واحداً، ثم خفض الإشتراك من العدد الثالث إلى ربع جنيه، وتحول الاشتراك من الجنيه الاسترليني إلى (المجيدي) العثماني اعتباراً من ١٥ رجب ١٣٤٤هـ، حيث أصبح الاشتراك (٣) مجيدي عثماني في الداخل و(٦) مجيدي عثماني في الخارج وقرشاً واحداً ثمن البيع في السوق ثم تحول الإشتراك إلى الريال السعودي اعتباراً من عام ١٣٥٩هـ - ١٩٤١م فأصبح (٣) ريالات سعودية في الداخل، و(٧) ريالات سعودية في الخارج[١٠] ثم زاد الاشتراك السنوي في عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م الى (١٠٠) ريال وسعر النسخة (٢) ريال.

ولقد بدأت أم القرى طباعة (٨٠٠) نسخة أسبوعياً، ثم قفز العدد الى (١٥٠٠) نسخة بعد عام من صدورها، ولكن تراجعت الكمية المطبوعة الى (١٢٠٠) نسخة بعد أن صدرت صوت الحجاز في عام ١٣٥٠هـ لتنافس أم القرى، ثم عاد العدد وقفز الى (٢٠٠٠) نسخة، وتطبع أم القرى في عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م كمية تصل إلى (٥٠٠٠) نسخة يوميا[١١].

وواضح من دراستنا لصحيفة أم القرى أنها كانت ومازالت مصدراً يحمل في صفحاته الخطوط العريضة لتاريخ التطورات السياسية والاجتماعية والثقافية في المملكة العربية السعودية ذلك لأنها كانت وعاءاً وحيداً يرصد تطورات مجتمع المملكة العربية السعودية الذي كان في ظل حكومة الملك عبد العزيز يرحمه الله يعاد تشكيله باتجاه الوحدة والتقدم والبناء.

ويمكننا - في ضوء ما سبق - أن نجمل دور صحافة أم القرى في المحاور التالية:

١ - تعتبر صحيفة أم القرى الجريدة الرسمية للحكومة، ونشرت بها جميع الأوامر والمراسيم الملكية، وكذلك الأنظمة التي تصدر عن الحكومة.

٢ - تعتبر إحدى المراجع الهامة في دراسة تاريخ المملكة العربية السعودية السياسي والثقافي والاقتصادي.

٣ - تعتبر أم القرى لسان حال الحكومة - قبل الإذاعة والتلفزيون - تجاه المجتمع المحلي والمجتمع الدولي.

٤ - تعتبر الأساس الأول الذي بنى العلاقة بين الملك المفدى وشعبه المخلص بالبيعة الشرعية، وكذلك تعتبر أم القرى الأرضية المشتركة لبناء علاقات المجتمع السعودي الموحد تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله.

٥ - شهدت مرحلة صحافة أم القرى صدور أول نظام للمطابع والمطبوعات، أي أن أم القرى شهدت أولى مراحل أنظمة الإعلام السعودي.

٦ - تعتبر ورشة العمل الأولى التي تم فيها تدريب الكوادر السعودية على العمل الصحفي.

٧ - وضعت أسس قيام النهضة الأدبية - شعراً ونثراً - في المملكة العربية السعودية[١٢].

صوت الحجاز:



صدرت صوت الحجاز من مكة المكرمة يوم الأثنين ٢٧ ذي القعدة ١٣٥٠هـ - ١٤ ابريل ١٩٣٢م، وهي أول جريدة صدرت في ظل الامتيازات الفردية أو ما يعرف باسم صحافة الأفراد، وأصدرها الشيخ محمد صالح نصيف[١٣]، ولقد صدرت في البداية اسبوعياً في يوم الاثنين من كل أسبوع، ثم صدرت مرتين في الأسبوع يومي الأحد والأربعاء اعتباراً من ٢ ذي الحجة ١٣٥٧هـ - ٢٥ يناير ١٩٣٩م، وصدرت صوت الحجاز في ثمان صفحات من الحجم الصغير، ثم صدرت في أربع صفحات بحجم كبير.

ومما جاء في افتتاحية صوت الحجاز:

لذلك كله يدفعنا الواجب الوطني المقدس إلى أن نرفع صوتنا بهذه الصحيفة جهورياً، كي نحدث العالم عن حياتنا .. وعن حياة بلادنا، ولنعرض على بساط البحث آلامنا وآمالنا لنستأصل جذور الأولى ونتعهد غراس الأخرى حتى تثمر لنا ثمراً جنياً من السعادة، ولننقي أيضاً ما تلصقه بنا المزاعم، ونثبت للناس أننا أمة مازالت دماؤها زكية، ونفوسها شريفة وخصالها كريمة، وأن بلادنا كما شرفها الله بمركزها الديني كذلك شرفها طيلة الأعصر الخالية والحاضرة باستقلالها وطهارتها من

كل شوائب الاستعباد والاستعمار، وأن تلك الشعلة التي برزت من جبالها وصحاريها وسهولها فأضاءت العالم ما يزيد عن خمسة قرون متواليات لا تزال جمراتها كامنه، ولسوف تعود إن شاء الله أشد ما كانت ضواءاً وإشعاعا[١٤].

وكان لصدور صوت الحجاز دور هام في تاريخ الصحافة والأدب السعودي، فقد كانت ميداناً لنشر آراء الأدباء والمفكرين والنقاد، وقد ظهرت على مسرح صوت الحجاز مواهب وكفاءات أدبية وفكرية كان لها الأثر الكبير في تطوير حركة الأدب والشعر السعودي. وتوقفت صوت الحجاز بسبب أزمة الورق أثناء الحرب العالمية الثانية، واستأنفت صدورها بعد الحرب العالمية الثانية في ١٣٦٥/٤/١هـ.

ولقد كان الإشتراك السنوي عند صدور صوت الحجاز (٤) ريالات في الحجاز ونجد، ونصف جنيه استرليني في سائر الأقطار ثم خفضت قيمة الاشتراك إلى (٣) ريالات من ١٧ ذي الحجة ١٣٥٢هـ - ٢ ابريل ١٩٣٤م وتباع النسخة الواحدة في الأسواق بقرش واحد. وبعد أن أصبحت تصدر مرتين في الأسبوع في عام ١٣٥٧هـ ارتفعت قيمة الاشتراك السنوي الى (٥) ريالات في الداخل، و(٩) ريالات في الخارج، وارتفع بدل الاشتراك الى (٢٠) ريالا في الداخل و(٣٠) ريالا في الخارج بصدورها ثلاث مرات في الاسبوع، وتباع في السوق بمبلغ (٣) قروش، وبعد أن أصبحت يومية زاد الاشتراك الى (٤٠) ريالا في الداخل، و(٦٠) ريالا في الخارج، ثم ارتفع الاشتراك الى (٨٠) ريالا داخل المملكة وإضافة أجرة البريد للخارج وذلك في عام ١٣٧٨هـ بعد دمجها مع «عرفات» و«الأضواء»، وصدورها باسم «البلاد»، ثم خفض إلى (٤٠) ريالا في الداخل مع إضافة أجرة البريد للخارج. وبعد صدورها عن مؤسسة البلاد للصحافة في عام ١٣٨٣هـ أصبح الاشتراك بـ (٦٠) ريالا في الداخل مع اضافة أجرة البريد في الخارج وقيمة العدد (٤) قروش في الأسواق. وفي عام ١٣٨٨هـ زادت قيمة الاشتراك فأصبح (٩٠) ريالا في الداخل وفي الخارج تضاف أجرة البريد وقيمة العدد (٦) قروش، أما في عام ١٤١٩ - ١٩٩٨م وصل الاشتراك إلى (٦٠٠) ريال سنوياً و(٨٠) ريالا للخارج وسعر بيع النسخة في السوق السعودي (٢) ريال سعودي.

كانت صوت الحجاز تهتم بالأدب والشعر أكثر من اهتمامها بالخبر المحلي، والخبر الخارجي، على أن الخبر المحلي على قلته كان يطغى على الخبر الخارجي. ويرجع قلة وجود الخبر الخارجي في صوت الحجاز الى عدة عوامل منها صعوبة الاتصالات والمواصلات، وضعف الإتصال بالعالم الخارجي بالوسائل السريعة التي تهيأت الآن ثم عدم استطاعتها الاشتراك في وكالات الأنباء، والتوسع في تعيين مراسلين لها في بقية المدن السعودية وفي العواصم العربية والعالمية، لأن ذلك يتطلب نفقات كبيرة قد لا تتحملها إمكانيات الجريدة. كما كانت تهتم بالشئون الرياضية ولعبة كرة القدم فتنشر تعليقاً لما يجري من مباريات رياضية ونقد الناقدين الرياضيين وتنقل أخبار الأندية الرياضية ومبارياتها، ولم تكن هناك مسابقات رياضية منظمة كما هو اليوم وكانت تجري هذه المباريات في فترات قريبة أو بعيدة خلال السنة[١٥] وكان اهتمام صوت الحجاز بالشعر كبيراً فلا يكاد يصدر عدد من أعدادها إلا وفيه قصيدة أو اثنتين لشعراء سعوديين. غير أن الكثير من المقالات التي كانت تنشر لم تكن موقعة بالتوقيع الصريح للكاتب بل كثيراً ما كان يرمز إليها بالأحرف أو بأسماء مستعارة ، فمثلا كان الاستاذ حمزة شحاته يستخدم رمز هول الليل، وكان الأستاذ محمد حسن عواد يستخدم رمز المنتج الفسيح، والأستاذ محمد عمر توفيق يستخدم رمز (راصد) والأستاذ محمد حسن فقي (ابن جلا)، والشيخ محمود شويل (الصحفي العجوز) و(أبي الأشبال)، ومحمد سعيد عبد المقصود (الغربال).

وكان أول من تولى رئاسة تحرير «صوت الحجاز» الأستاذ عبد الوهاب إبراهيم آشي[١٦] ولم تطل مدة رئاسته للتحرير بل بقي فيها حوالي ثلاثة شهور، ثم تولى الشيخ محمد صالح نصيف صاحب امتياز الجريدة مديرية التحرير، وكان يقوم بمساعدته في التحرير الأستاذ السيد محمد حسن فقي، وفي ٨ رمضان ١٣٥٢هـ عيّن السيد حسن كتبي رئيساً للتحرير، ثم تولى الشيخ محمد صالح نصيف مرة ثانية رئاسة التحرير فأصبح (صاحب امتياز الجريدة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول) ثم تعاقب على رئاسة تحرير «صوت الحجاز» أحمد بن ابراهيم الغزاوي[١٧] ومحمد حسن فقي ومحمد سعيد العامودي ومحمد حسن عواد[١٨] وأحمد السباعي.

واعتباراً من ٢٧ شوال ١٣٥٢هـ - ١٣ فبراير ١٩٣٤م عيّن الأستاذ محمد علي رضا رئيساً للتحرير، ثم حل محله الأستاذ فؤاد شاكر، ثم أسندت رئاسة تحرير «صوت الحجاز» إلى الأستاذ احمد قنديل، وتولى كذلك رئاسة تحرير صوت الحجاز الأستاذ محمد علي مغربي، وبقي الأستاذ المغربي في رئاسة التحرير إلى أن توقفت الجريدة عن الصدور في عام ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م، بأسباب الحرب العالمية الثانية - كما سبق أن أوضحنا - وهكذا بتاريخ ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٦٠هـ انتهت الفترة الأولى من تاريخ «صوت الحجاز» التي دامت حوالي عشر سنوات.

وبالنسبة للصحافة الرياضية السعودية، فقد بدأت تاريخها من أم القرى، وكانت أم القرى تنشر أخباراً رياضية خاطفة للأندية والمباريات التي كانت تنظمها الفرق الرياضية. ولكن أم القرى ظلت تنشر أخباراً رياضية في السنوات الأولى من تاريخها ولم تهتم بنشر تعليق رياضي على المباريات، بل تركت هذه المهمة لصحيفة صوت الحجاز التي أعطت مباريات كرة القدم اهتماماً واسعاً، وأخذت تتابع أخبارها وتكتب عن منافساتها وتنشر تعليقات على مبارياتها.

ولقد كانت «صوت الحجاز» ميداناً للكثير من المعارك الأدبية والفكرية وكانت أرضاً خصبة للمساجلات بين مواهب الأدباء والشعراء. ولعل من أشهر المعارك الأدبية والشعرية في تاريخ صوت الحجاز.. هي المعركة التي نشبت شعراً بين الشاعر المفكر محمد حسن عواد والشاعر الفيلسوف حمزة شحاته، واستطاع هذان الشاعران المبدعان أن يتباريا بالقصائد ذات النفس الطويل، التي كانت كل واحدة تغطي صفحة كاملة، وكانت تلك القصائد تقدم - وربما لأول مرة - مستوى الشعر السعودي الذي ثبت من خلال العواد وشحاته أنه يضاهي الشعر في أي بلد عربي آخر.

ولقد اتسع حجم المعركة وتطاير الشرر الى البعض الآخر من مؤيدي العواد ومن مناصري حمزة شحاته، فانضم الى العواد الشاعران محمود عارف وعبد الحميد مشخص، كما انضم الي شحاته أحمد قنديل ومحمد علي مغربي. وكانت بالفعل معركة شعرية رأينا من خلالها عيون الشعر السعودي تتبارى لتقدم نفسها الى العالم العربي كقمم شعرية واعدة، لا تقل عن قصائد أحمد شوقي، وحافظ ابراهيم، وبدوي الجبل، وايليا أبو ماضي، التي تنشر في المجلات الأدبية في مصر وفي سوريا ولبنان والمهجر، ولكن المعركة لم تستمر فوق صفحات «صوت الحجاز» إذ ما لبث أن أوقفت «صوت الحجاز» نشر هذه الحمم التي انحرفت فيما بعد لتطال العورات والمحارم.

ولقد كانت الكمية المطبوعة عند صدور «صوت الحجاز» في عام ١٣٥٠هـ لا تتعدى الألف نسخة، ولكن مع التوسع في نشر المعارك الأدبية والتعليق على المباريات الرياضية زيدت الكمية المطبوعة الى (٣٠٠٠) نسخة، ثم قفز العدد بعد تغيير اسم «صوت الحجاز» الى اسم «البلاد السعودية» الى (٥٠٠٠) نسخة، وتطبع البلاد في عام ١٤١٩هـ نحو (٢٥٠٠٠) نسخة يومياً.

البلاد السعودية:



بعد انتهاء الحرب الكونية الثانية، وبعد أن توقفت «صوت الحجاز» لمدة خمس سنوات، استأنفت صدورها باسم «البلاد السعودية» في ١ ربيع الآخر ١٣٦٥هـ / ٤ مارس ١٩٤٦م، بالعدد (٥٩٣) ويأتي هذا الاسم تعبيراً عن تغيير اسم البلاد الى المملكة العربية السعودية بدلا من المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها[٢٠].

وتولى رئاسة تحرير البلاد السعودية في فترتها الثانية الأستاذ عبد الله عريف[٢١]، وقد تطورت البلاد السعودية في عهد الاستاذ عريف، وصدرت «البلاد السعودية» يومياً في ١ ربيع الآخر ١٣٧٣هـ - ٢٧ ديسمبر ١٩٥٢م مرتين في الأسبوع (الأحد والأربعاء) ثم ثلاث مرات (الأحد والثلاثاء والخميس) وقد بقي الأستاذ عريف في رئاسة تحرير «البلاد السعودية» حوالي عشر سنوات، واعتباراً من ٥ ربيع الآخر ١٣٧٥هـ الموافق ٢١ نوفمبر ١٩٥٥م، صدرت «البلاد السعودية» دون أن يذكر بها اسم رئيس التحرير، وكان يدير تحريرها الاستاذ محمد صالح جمال، وكان مشرفاً على التحرير والإدارة.

ومن غرة محرم ١٣٧٦هـ تولى رئاسة التحرير الأستاذ فؤاد شاكر، وفي عهده تم دمج «البلاد السعودية، وعرفات، والأضواء» في جريدة واحدة تحت اسم (البلاد) وتولى رئاسة تحرير «البلاد» كلٌ من الأستاذ فؤاد شاكر

عن الشركة العربية للطبع والنشر والأستاذ حسن عبد الحي قزاز صاحب «عرفات».

وفي عام ١٣٨١هـ عيّن الأستاذ حسن قزاز رئيساً للتحرير والأستاذ عبد الغني قستي مديراً للتحرير، والأستاذ حامد مطاوع مديراً للإدارة وبقي هذا الوضع إلى ٢٩ شوال ١٣٨٣هـ - ١٣ مارس ١٩٦٤م، حيث انتقل امتياز جريدة «البلاد» إلى مؤسسة البلاد الصحفية.

وبعد انتقال امتياز البلاد للمؤسسة انتخبت الجمعية العمومية للمؤسسة الاستاذ عبد المجيد شبكشي رئيساً لتحريرها كما اختير الاستاذ عبد الغني قستي مديراً للتحرير وفي غرة ذي القعدة ١٣٨٣هـ - ١٤ مارس ١٩٦٤م، صدرت جريدة «البلاد» جريدة يومياً في ٨ صفحات عن مؤسسة البلاد للصحافة.

جريدة المدينة المنورة:



لقد بدأ تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية - كما أوضحنا - من مكة المكرمة، ففي عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م صدرت في مكة المكرمة في العهد العثماني جريدة «حجاز» ثم عرفت المدينة المنورة الصحافة في عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م، عندما صدرت جريدة «الحجاز» في آخر العهد العثماني.

ولقد صدرت جريدة «المدينة المنورة» في ٢٥ محرم ١٣٥٦هـ ٨ ابريل ٧ ١٩٣م، أسبوعياً وكان لصدورها صدى عميقاً في الأوساط الأدبية والصحفية في المدينة المنورة، ثم صدرت مرتين في الأسبوع (الأثنين، والخميس) اعتباراً من غرة جمادى الآخرة ١٣٧٩هـ ثم صدرت يومياً عدا يوم السبت اعتباراً من ٢٠ جمادى الآخرة ١٣٨٢هـ، وذلك حينما نقلت طباعتها إلى مدينة جدة.

ولقد أصدر جريدة المدينة المنورة الأديبان الشقيقان على وعثمان حافظ، بعد أن هيألها مطبعة مجهزة بالمستلزمات الطباعية اللازمة.

وجريدة «المدينة المنورة» أول صحيفة سعودية تدخل الصورة الفوتوغرافية في الصحافة السعودية فقد صدر العدد الأول متوجاً بصورة الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه[٢٢].

ولقد كان السيد أمين مدني أول رئيس لتحرير جريدة المدينة، وكانت تشرف على التحرير هيئة مكونة من الأساتذة أمين مدني، ضياء الدين رجب، محمد حسين زيدان، علي حافظ، وكانت هذه الهيئة تجتمع كلما دعت الظروف لدراسة المواد الصحفية وتقرير ما ينشر وما يحفظ. وقد استمر السيد أمين مدني في رئاسة التحرير حتى ١٩ ربيع الآخر ١٣٥٦هـ - ٨ يوليه ١٩٣٧م، ثم حل محله الأستاذ عثمان حافظ كرئيس للتحرير وبذلك أصبح صاحب الجريدة ومحررها المسئول.

واعتباراً من ٢٧ رجب ١٣٨٢هـ - ٢٤ ديسمبر ١٩٦٢م أسندت رئاسة التحرير لمحمد بن علي حافظ ومديرية الإدارة لخالد حافظ، ويومذاك صدرت «المدينة» يومية ونقلت طباعتها لمطابع شركة الطباعة والصحافة بجدة، ثم أسندت رئاسة التحرير لهشام بن علي حافظ ومديرية التحرير لمحمد بن علي حافظ اعتباراً من ٤ صفر ١٣٨٣هـ - ٢٥ يونية ١٩٦٣م، وفي ١٠ شوال ١٣٨٣هـ - ٢٤ فبراير ١٩٦٤م أسندت رئاسة التحرير لمحمد بن علي حافظ مرة أخرى[٢٣].

وفي ظل مرحلة المؤسسات الصحفية انتخبت الجمعية العمومية محمد بن علي حافظ لتولي رئاسة التحرير، ثم أسندت رئاسة التحرير للأستاذ عبد الحميد عنبر في ٢٨ ربيع الآخر ١٣٨٤هـ، وبعد شهرين تنحى الأستاذ عنبر وعيّن الأستاذ عزيز ضياء مسئولا عن التحرير، ولم يمكث عزيز ضياء سوى أربعين يوماً. وفي محرم ١٣٨٥هـ أسندت رئاسة التحرير للأستاذ محمد عبد القادر علاقي، وفي جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ اسندت رئاسة التحرير للمؤسس عثمان حافظ ثم تعاقب على رئاسة التحرير الأستاذ أحمد محمود، غالب حمزة أبو الفرج، عبد الله الحصين، جمال خاشقجي (بالإنابه)، أسامة السباعي، د. مازن عبد الرزاق بليلة.

ولقد بدأ سعر الاشتراك في جريدة المدينة بـ (٣) ريالات في الداخل ونصف جنيه استرليني في الخارج، وبعد أن عادت الصحف السعودية الى الصدور بعد الحرب الكونية الثانية أصبح الإشتراك بـ (٦) ريالات داخل المملكة وجنيهاً إسترلينياً خارج المملكة. وبعد صدورها مرتين في الأسبوع في عام ١٣٧٩هـ ارتفع

سعر الاشتراك إلى (٢٠) ريالا في الداخل و(٤٠) ريالا في الخارج، وحينما أصبحت الجريدة تصدر يومياً صار الاشتراك فيها بـ (٤٠) ريالا داخل المملكة وفي الخارج تضاف أجرة البريد. واستمر بدل الاشتراك (٤٠) ريالا وقيمة النسخة (٣) قروش حتى صدور جريدة المدينة عن مؤسسة المدينة للصحافة.

وفي اجتماع عقده المديرون العامون للمؤسسات الصحفية بجدة في ١٤ رجب ١٣٨٥هـ، قرروا رفع قيمة الاشتراك السنوي من أربعين ريالا الى ستين ريالا، وزيادة قيمة العدد/ النسخة (٣) قروش إلى (٤) قروش. كما قرر المديرون العامون في اجتماعهم في عام ١٣٨٨هـ رفع قيمة الاشتراك الى (٩٠) ريالا سنوياً في الداخل مع إضافة أجرة البريد في الخارج. وفي عام ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م بلغ الاشتراك السنوي (٤٥٠) ريالا عدى أجرة البريد كما أن سعر بيع الصحيفة في الأسواق وصل الى ريالين.

وكانت جريدة المدينة تطبع (٨٠٠) نسخة عند بداية صدورها في عام ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م، ولكن بعد انتهاء الحرب الكونية وعودة الصحف الى الصدور ارتفعت الاعداد المطبوعة إلى (١٠٠٠) نسخة لكل عدد، ثم قفز المطبوع بعد صدورها يومية من جدّة الى (٧٠٠٠) نسخة يومياً، وفي إحصائيات عام ١٤١٩هـ ١٩٩٨م تطبع المدينة (٢٧٠٠٠) نسخة يومياً.

(للدراسة صلة)

الصحف

م	اسم الصحيفة	مكان الاصدار	التاريخ	
			الهجري	الميلادي
١	أم القري	مكة المكرمة	١٣٤٣	١٩٢٤
٢	صوت الحجاز	مكة المكرمة	١٣٥٠	١٩٣٢
٣	المدينة المنورة	المدينة المنورة	١٣٥٦	١٩٣٧

المجلات

م	اسم المجلة	مكان الاصدار	التاريخ	
			الهجري	الميلادي
١	الاصلاح	مكة المكرمة	١٣٤٧	١٩٢٨
٢	المنهل	المدينة المنورة	١٣٥٥	١٩٣٧
٣	النداء الإسلامي	مكة المكرمة	١٣٥٦	١٩٣٧
٤	التضامن الإسلامي «الحج»	مكة المكرمة	١٣٦٦	١٩٤٧
٥	التجارة «الغرفة التجارية والصناعية»	جدة	١٣٦٧	١٩٤٨
٦	اليمامة	الرياض	١٣٧٢	١٩٤٨
٧	قافلة الزيت	الظهران	١٣٧٣	١٩٥٣
٨	الرياض	جدة	١٣٧٣	١٩٥٣

الهوامش:

(١) د. أديب خضور، مدخل إلى الصحافة نظرية وممارسة، دمشق: المكتبة الإعلامية، ١٩٩١م، ص١١.

(٢) د. هاشم عبده هاشم، الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية، جدة: تهامة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ص ١٩ ـ ٢١.

(٣) د. امين ساعاتي، السياسة الإعلامية في المملكة العربية السعودية بين النظرية والتطبيق، القاهرة: المركز السعودي للدراسات ١٩٩٢م، ص ٧٣.

(٤) د. أمين ساعاتي، الشورى في المملكة العربية السعودية، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، ص ٦٣.

(٥) ولد الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود بمكة المكرمة وتعلم بها، وألف مع الوزير عبد الله بلخير كتاب وحي الصحراء، وكان يوقع بعض مقالاته باسم «الغربال».

(٦) بمراجعتنا للكثير من اعداد ام القرى لاحظنا ان هناك بعض الاختلاف مع ما ذكره الأستاذ عثمان حافظ في كتابه (تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية)، وقد قمنا بالتصحيحات اللازمة.

(٧) د. بكري شيخ أمين، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، بيروت: دار صادر ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م ص ١١٠ ـ ١١١.

(٨) عثمان حافظ، تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية، جدة: شركة المدينة للطباعة والنشر، بدون تاريخ ص ١١٥.

(٩) عثمان حافظ المرجع السابق، ص ١٢٠ ـ ١٢١.

(١٠) عثمان حافظ، المرجع السابق ص ١٢٢.

(١١) اخذت هذه المعلومات باتصال هاتفي مع إدارة الجريدة في ضحى يوم ٢١ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ ـ ١١ اكتوبر ١٩٩٨م.

(١٢) د. منصور إبراهيم الحازمي، معجم المصادر الصحفية لدراسة الأدب والفكر في المملكة العربية السعودية (صحيفة أم القرى)، الرياض: جامعة الرياض، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، ص ١٧ ـ ٢٠.

(١٣) كان عميداً لبيت نصيف أحد البيوتات العريقة في مدينة جدة، وكان رئيساً للبلدية، ثم مديراً للأوقاف، وكانت له اهتمامات صحفية واسعة.

(١٤) صوت الحجاز، العدد(١)، ٢٧ ذي القعدة ١٣٥٠هـ ـ ١٤ ابريل ١٩٣٢م.

(١٥) د. امين ساعاتي، الإعلام الرياضي في المملكة العربية السعودية، جدة: دار المدني، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ص ١٢.

(١٦) ولد الاستاذ عبد الوهاب ابراهيم آشي بمكة المكرمة في عام ١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٥م، ودرس بمدارس الفلاح، وكان من ادباء الرعيل الأول وعمل في آخر حياته موظفاً بالبنك الأهلي التجاري بجدة.

(١٧) ولد الاستاذ احمد بن ابراهيم الغزاوي بمكة المكرمة في عام ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م، ودرس بمدارسها واشتغل في عدة وظائف رفيعة حتى اصبح نائباً لرئيس مجلس الشورى، ونال لقب شاعر الملك (حسان جلالة الملك)، وله عدة مؤلفات شعرية، ورأس تحرير «أم القرى، والاصلاح، وصوت الحجاز»، وله انتاج نثري وشعري غزير نشره في مجلة المنهل.

(١٨) ولد الاستاذ محمد حسن عواد بمدينة جدة، وهو من أدباء الرعيل الأول البارزين شعراً ونثرا وله الكثير من المؤلفات منها خواطر مصرحة ونحو كيان جديد وآماس وأطلاس، وكان العواد أول من رأس نادي جدة الأدبي، واشتهر العواد بمعاركه الأدبية الواسعة التي كانت احدى المنازلات الفكرية الهامة في تاريخ الأدب السعودي، ومن معاركه الأدبية معركته مع الشاعر الكبير حمزة شحاته التي قفزت بتوزيع «صوت الحجاز»، ومعركته مع محمد حسين زيدان، وعبد الله بن ادريس، وعبد العزيز الربيع حول امارة الشاعر الكبير احمد شوقي.

(١٩) أم القرى، العدد (٦٥٥)، ١٦ ربيع الآخر ١٣٥٦هـ ـ ٢٥ يونية ١٩٣٧م.

(٢٠) صدر الأمر الملكي الكريم رقم ٢٧١٦ وتاريخ ١٧ جمادى الآخرة ١٣٥١هـ ـ ١٨ سبتمبر ١٩٣٢م، بتوحيد البلاد تحت اسم المملكة العربية السعودية، واعتبار اليوم الأول من الميزان يوماً لإعلان توحيد المملكة (اليوم الوطني).

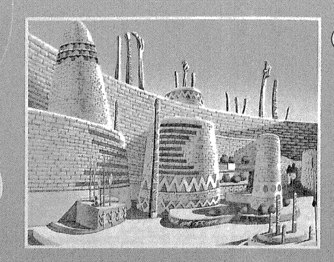
(٢١) ولد الاستاذ عبد الله عريف بمكة المكرمة وكان من أدباء الشباب الذين يمثلون مرحلة جديدة في تاريخ «صوت الحجاز»، وكان عموده اليومي «وجهة نظر» من المواد الصحفية التي شدت انتباه قراء «البلاد السعودية»، وقد تولى أمانة العاصمة بمكة المكرمة، كما رأس نادي الوحدة بمكة المكرمة.

(٢٢) قابلت الأستاذ عثمان حافظ مرات عديدة في مكتب جريدة المدينة بجدة بعد أن نقلت الصحيفة إلى جدة لتصدر يوميا، ولقد قصّ عليّ قصّة تأسيس جريدة المدينة بما لا يخالف كل ما ذكره في كتابه «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية».

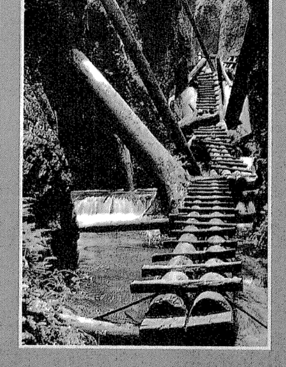
(٢٣) عثمان حافظ، مرجع سابق، ص ١٦٤ ـ ١٦٦.

مجلة السائح العدد (١١٣)

في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطيع وجوه الناس
السائح يستقرىء
الملامح ويرسم اللوحة



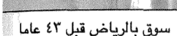
زمبابوي القديمة



التنوع والجمال في سلوفاكيا

السائح

أسواق المملكة بين جيلين



سوق بالرياض قبل ٤٣ عاما

.. خليط من البشر والأنعام والبضائع، هكذا كان السوق في سالف الزمان.

أصوات الباعة وهم ينادون على بضائعهم. والبضاعة ذاتها ما تيسر من صناعات يدوية، وألبان وسمن، وأقمشة، وبعض أشياء أخرى، كلها على الأرض.

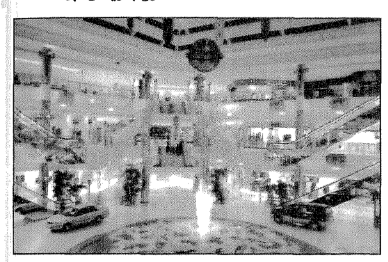
والماشية والاغنام والإبل تثير الغبار هنا وهناك ..

وجاءت النهضة الزاهرة لتغيّر لون الحياة وطعم الحياة، فكستها بهجة، وألبستها نضارة.

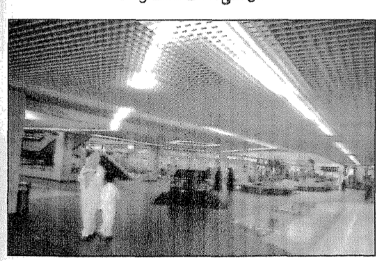
والتطور الذي شمل كل شيء في المملكة كان للأسواق نصيبها الأوفي.

الأسواق، لجمال تصميمها، وروعة معمارها، وحسن ترتيبها وتنظيمها، وما تضمه معارضها من كل صناعات العالم، أصبحت معلماً من معالم مدن المملكة.

والتسوق فيها تحول إلى متعة.

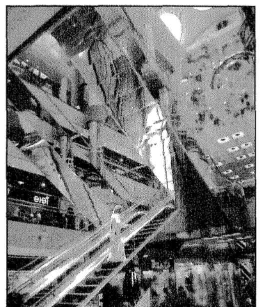


كل شيء تحت سقف واحد

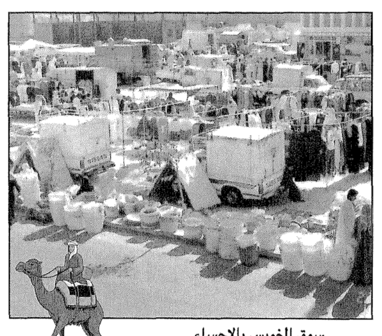


تسوق ومتعه

واحدة من اسواق الرياض الحديثة



سوق في الرياض وليست لوحة خيالية

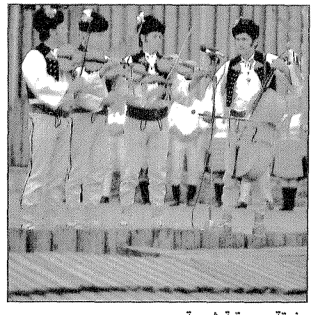


سوق الخميس بالاحساء

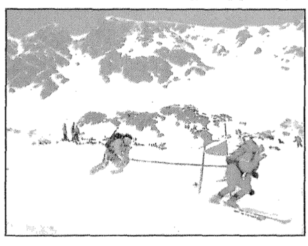
التنوع والجمال في سلوفاكيا

الحســـــان الرزاقي
- المغـــرب -

في وسط أوربا بجوار النمسا والجمهورية التشيكية وبولونيا وأوكرانيا والمجر تمتد بلاد تسمى بسلوفاكيا، وعلى مساحة ٤٤ الف كلم٢ يعيش حوالي ٥ر٥ ملايين من السكان من قوميات مختلفة، فبجانب السلوفاك (٨٦ في المائة) نجد أقليات عرقية من المجريين والألمان والأوكرانيين والروثينيين والبولنديين والتشيك والغجر.



- فرقة موسيقية شعبية.

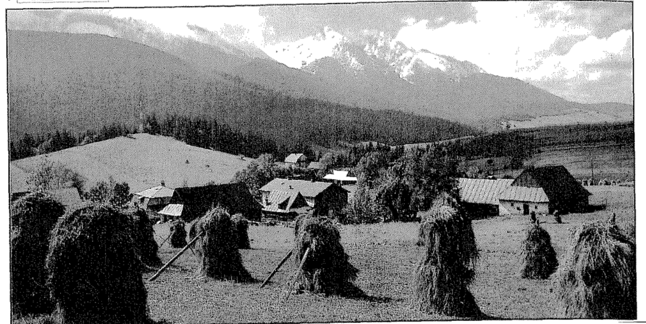


- التزلج على الجليد في جبال سلوفاكيا.

نبذة تاريخية:

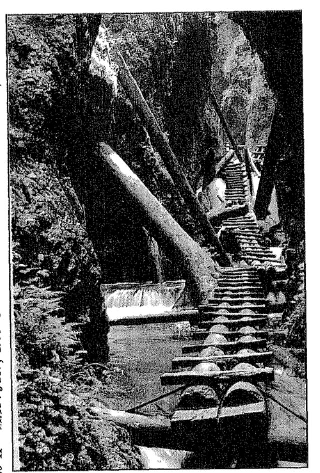
بعد تفكيك المجريين لورافيا الكبرى وانضمام سلوفاكيا الى الامبراطورية المجرية في القرنين العاشر والثاني عشر الميلاديين اتخذ كل من التشيك والسلوفاك مسارين تاريخيين منفصلين، وشهد القرن الرابع عشر ازدهارا كبيرا للتعدين والفن الحرفي عززه تدفق العديد من المستوطنين الألمان الذين وجهوا مسار الحياة في براتيسلافا العاصمة وأسهموا في تطور فن البناء القوطي بها، وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر ابتليت البلاد بقلاقل اجتماعية عنيفة زاد من شراستها ظهور المذهب اللوثري لينضاف الصراع الديني الى أشكال الصراع الاخرى، وبعد سقوط مدينة موهاكس امتدت سيطرة آل هابسبورغ من المجر الى سلوفاكيا ولم يمنع ذلك المذهب البروتستانتي من



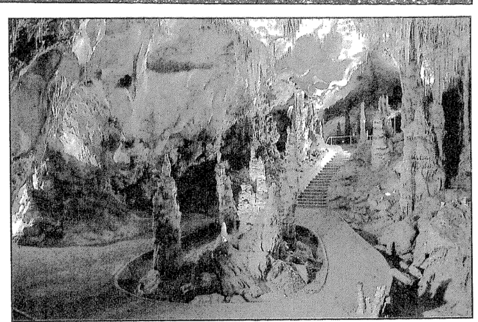


ـ الريف السلوفاكي وجمال الطبيعة.

الانتشار في المنطقة، أما القرن السابع عشر فهو قرن عودة الكاثوليكية انطلاقا من الجامعتين اليسوعيتين في ترنافا (١٦٣٦) وكوشيسي (١٦٥٧)، وكذلك الوقوف في وجه الأتراك والمجريين، وفي القرن الثامن عشر شهدت سلوفاكيا انتعاشا اقتصاديا تزامن مع استتباب السلام مما نتج عنه بروز الشعور القومي لدى السلوفاك، فقد أنشئتْ سنة ١٧٩٣ جمعية العلوم السلوفاكية التي أعلت من شأن الماضي السلافي للبلاد رغم المعارضة القوية للمجر، وأمام رفض الثورة المجرية لسنة ١٨٤٨ للمطالب السلوفاكية تحولت المشاعر الشعبية ضد المجريين، وحتى عام ١٨٦٠ خضعت البلاد للحكم المركزي النمساوي وانتعشت الآمال بالحصول على درجة ما من الحكم الذاتي لكن اتفاقية ١٨٦٧ أوقعت السلوفاك تحت نير بودابست، وكنتيجة لهذه الوضعية اتجهت الآمال صوب القوميين التشيك، وفي



ـ جسر خشبي على آحد الانهار.


ـ من كهوف سلوفاكيا .

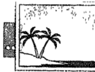
سنة ١٩١٨ شكلت كل من بوهيميا وسلوفاكيا اتحادا بينهما فنشأت بذلك دولة: تشيكوسلوفاكيا، وبمساندة من ألمانيا النازية حصل جوزيف تيتو سنة ١٩٣٨ على حكم ذاتي لسلوفاكيا تميز بطابعه الفاشي فتحولت البلاد في السنة الموالية الى محمية ألمانية، ولم تتوحد سلوفاكيا مع التشيك مجددا إلا سنة ١٩٦٩ وهذه المرة تحت النظام الشيوعي، لكن انهيار حلف وارسو والكتلة الشرقية سمح للسلوفاك بالانفصال وتكوين دولتهم المستقلة سنة ١٩٩٣ سلميا ودون إراقة دماء.

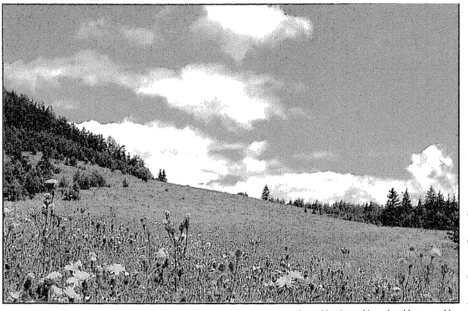
تنوع وجمال:

نتيجة لتنوع التضاريس في سلوفاكيا، توفر الطبيعة مجالا خصبا للسائح لاختيار مكانه المفضل حيث يمكنه تسلق الجبال الشاهقة أو التنزه في الغابات الدائمة الخضرة أو ارتياد الكهوف التي تزينها الصواعد والهوابط الكلسية أو الصخور الجليدية الناصعة كما تشتهر البلاد ايضا بعيونها المعدنية وينابيعها التي تقصد للتمتع بجمالها أو للاستشفاء.

أما محبو الرياضة فيمكنهم ممارسة رياضة التزلج على الجليد في جبال التاترا والفاترا وكذا في جبال كريمنيكي ڤرشي وروهاشي المكسوة بالثلوج على غرار عشرات الالوف من الرياضيين الذين يؤمونها كل سنة، كما تمكن الانهار الدائمة الجريان والبحيرات الهواة من ممارسة رياضات عديدة ومتنوعة كالسباحة وسباق القوارب والتزلج على الماء.

وينعكس غنى الطبيعة على الفلكلور السلوفاكي الذي يعتبر بمثابة فسيفساء لفرط غناه وتنوعه، فالأزياء التقليدية شديدة التنوع الى حد لا يصدق، وقس على ذلك المصنوعات الحرفية والقطع الفنية التي لا يخلو منها بيت من البيوت، وتعتبر الفنون الشعبية من موسيقى ورقص وتمثيل عامل جذب سياحي إضافي على قدر كبير من الاهمية، فسلوفاكيا من الدول التي تعيش في انسجام تام مع تراثها الشعبي بشكل بيِّن، فتناغم المبدع الشعبي مع الطبيعة في سعيه الدائب الى الجمال والكمال يدفعه إلى تحويل الطين والخشب والنسيج والقطن





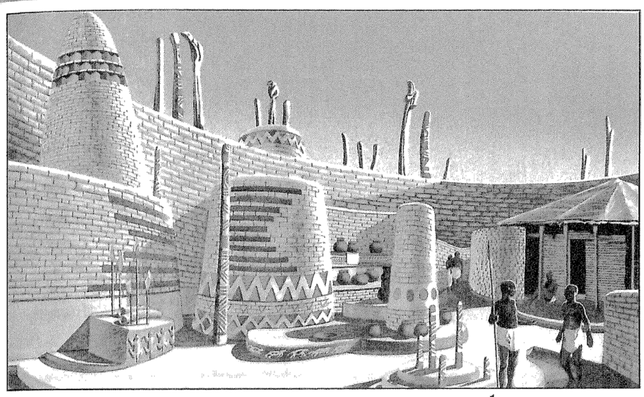
- الزهور الغناء والسماء الزرقاء

والصوف الى آيات من الفن الرفيع، وبهذا تتميز الفنون الشعبية في هذه المنطقة من العالم بالبساطة والتنوع اللامحدود المستوحيين من الطبيعة المحلية ذاتها: فالجبال تتقابل مع الوديان والتلال تتجاور مع الغابات في تشكيل فني بديع، وتعتبر كل منطقة - بل كل قرية - عالما قائما بذاته هنا، فلكل جهة أزياؤها وهندستها المعمارية وأغانيها وعاداتها التي تميزها عن غيرها.

ويساهم كل هذا التنوع والغني في ازدهار الثقافة السلوفاكية فالعاصمة براتيسلافا كمثال - زاخرة بالمعالم الثقافية والتاريخية العريقة وأهمها على الاطلاق قلعة براتيسلافا التي شهدت أحداثا تاريخية مهمة، فقد تم توسيعها وإعادة بنائها في القرن الخامس عشر وعبر العصور تم تخريبها وإعادة ترميمها مرات عديدة،، وفي سنة ١٨١١، اشتعلت النيران في القلعة فأحرقتها بالكامل وبقيت أطلالا خربة لما يزيد عن قرن ونصف قرن، وبعد ترميم كلف ميزانية ضخمة سنة ١٩٦٨ استعادت هذه المعلمة التاريخية رونقها وجمالها الأصيل لتصبح متحفا ورمزا لسلطة الدولة السلوفاكية، ولا تقل كاتدرائية سان مارتن شهرة عن قلعة براتيسلافا، فهي شاهد حي على عبق الماضي حيث شهدت رحابها تتويج الملوك المجريين الذين حكموا المنطقة لمدة طويلة.

وبجانب الكنائس الاخرى المتعددة ككنيسة الثالوث المقدس والكنيسة الاليزابيثية المبنيتين على طراز الباروك والمزينتين بالفريسكو، تعتبر بوابة ميكائيل البوابة الوحيدة التي مازالت على حالها من أصل أربع بوابات تستخدم كمداخل إلى المدينة عندما كانت التحصينات تحيط بكل ارجاء براتيسلافا.

أما مبنى البلدية القديم الذي يشرف على الساحة الرئيسية للمركز التاريخي للمدينة فهو من أقدم المباني الحجرية في براتيسلافا، ويشكل برج هذا المبنى الذى شيد أصلا لأغراض دفاعية جزءا من مبنى البلدية، ويشتمل هذا الموقع التاريخي اليوم على متحف يعرض مراحل من التاريخ التليد للمدينة.



ـ هذه القلعة كانت مستودعاً للبضائع.

زمبابوي القديمة ـ قلب إفريقيا الذهبي

عندما وصلت أخبار الاكتشاف المدهش في الجنوب الإفريقي إلى آذان الغربيين في سبعينيات القرن التاسع عشر، انتشر طوفان من التقارير عن أطلال قلعة ذات جدران هائلة وأبراج حجرية وقصور وتماثيل ومقابر، وفوق ذلك كميات غير محدودة من الذهب، وكل هذا في أرض كان الغربيون يعتبرون أن الحضارة فيها لم تتجاوز أكواخ الطين. وعلى هذا استمرت هذه المنطقة مركزاً لصورة مصغرة لحمى البحث عن الذهب التى حدثت في أمريكا، ومرّت عقود قبل أن يدرك الأثريون أنهم عثروا على حقيقة إفريقية ذات مغزى أكبر من مجرد الذهب، إنها المدينة القديمة لزمبابوي الكبرى.

مصطفى غنيم
ـ مصــر ـ

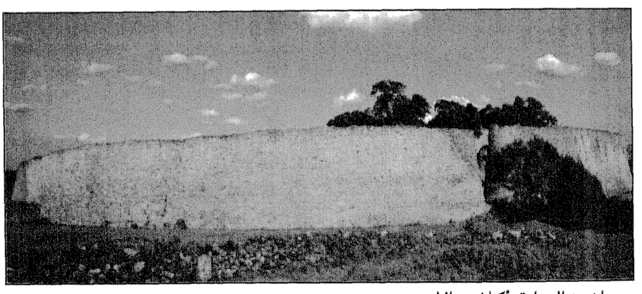
إن آثار هذه المدينة فريدة من نوعها، كما أن أصلها والغرض المحدد من إنشائها ظل لغزاً لأمد طويل؛ إنها سلسلة من الجدران الحجرية بنيت من كتل جرانيتية مستطيلة تغطى مساحة ١٧٨٠ فداناً، وتتنوع ألوان هذه الجدران بين الفاتح والداكن بأنماط عشوائية وحليات معمارية وممرات متعرجة وأبراج من الصخور الصلبة ذات أشكال قمعية ملغزة. والمدينة قلعة على ربوة تقع تحتها منطقة مسيّجة بيضاوية الشكل ومجموعة من أطلال المساكن، ولكن هذه المدينة ليس بها أى أثر للأشكال الهندسية، فهي تتعرج فوق الأرض فلا يوجد هناك مربع ولا دائرة، وعنصر عدم التماثل في البناء هذا هو ما يعطى هذه المدينة خصوصيتها المعمارية. وجدران القلعة تحتوى على فتحات علوية يمكن منها مراقبة الوادى الذى تطل عليه، ولكن هذه القلعة غير محمية من الجانب الآخر، وهناك كهف يشكل مكبر صوت طبيعى يوجه الصوت إلى أطلال الوادى وخاصة المنطقة المسيجة.

وهناك أبراج من الجرانيت الصلب يصل ارتفاع الواحد منها إلى عشرة أمتار، ولا يُرى أى أثر لمدخل في قمتها، وليس هناك دليل على أنها كانت ذات أسطح، الجدران هناك تبدأ وتنتهي بلا سبب معروف والممرات لا تؤدي إلى شيء، وباختصار: إنها لغز كبير لعلماء الآثار.

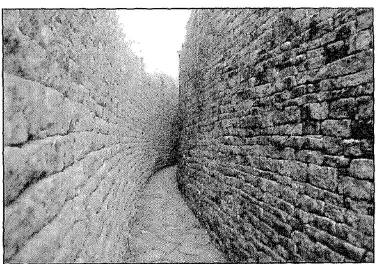
وأول ما افترضه الأوروبيون الذين شاهدوا هذه المدينة أنه لم يكن في مقدور شعب إفريقي أن يشيد هذه المدينة؛ فالمباني الحجرية لم يسمع بها الأفارقة الذين قابلهم هؤلاء الأوروبيون، كما أن سكان المنطقة أنصاف بدو لا يقضون في مكان واحد أكثر من سنوات قليلة يستهلكون فيها المراعى ثم يتحركون إلى مكان آخر، وبالتالى فالمنشآت الدائمة عديمة القيمة بالنسبة لهم.

ولكن الدارسين الأوائل لأطلال هذه المدينة صادفوا قليلا من المبانى الإفريقية التى بنيت بالحجارة وذلك لسبب وجيه وهو وجود حجارة مناسبة للبناء، فزمبابوي الكبرى كانت مغطاة ببروزات حجرية عبارة عن طبقات يتراوح سمكها بين ثمانية إلى ثمانية عشر سنتيمتراً، وبالتالى كان من الطبيعى للسكان أن يستخدموا هذه المادة المتاحة.

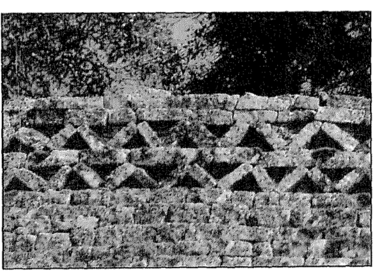
وهناك افتراض خاطىء آخر وهو أن رعي الماشية كان دائماً هو النشاط الإقتصادى الرئيسي لزمبابوي، ففي الواقع كانت هذه المنطقة مركزاً تجارياً في وقت كانت فيه أوروبا لا تزال على وشك الخروج من العصور



- جدران من الحجارة وأكواخ من الطين.



ـ ممر ضيق يفصل بين جدران القلعة.



ـ حليات معمارية قديمة.

قبل الميلاد عندما تعامل تجار الهند مع نظرائهم في بلاد الرافدين أيام السومريين، ولكن هذه الحركة التجارية وجدت دعما قوياً في القرن السابع الميلادي عندما ظهر الإسلام، وهو دين حضارى نشطت في ظله حركة التجارة ووصل التجار المسلمون إلى سواحل افريقيا الشرقية، وفي البداية لم يصلوا إلى أبعد من شمال مدغشقر ولكن في القرن العاشر الميلادى غامروا بالإبحار إلى كل مكان مجهول.

وكانت الأخبار التى أتي بها التجار المسلمون مشجعة، تتحدث عن أرض بعيدة يجد فيها الإنسان كل ما يريد، وسرعان ما أبحرت سفن عديدة إلى هذه الأماكن، ومن ثم ولدت زمبابوى الكبرى رغم أنها لم تكن مكاناً يسهل الوصول إليه، فهي تقع على ارتفاع يتراوح بين ٦٠٠ إلى ١٢٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر، والطريق إليها كان باستعمال الأنهار فقط وهذه الأنهار لا تمتلىء بالمياه إلا في مواسم المطر علاوة على أنها محاطة بمناطق تكثر فيها ذبابة التسي تسي التى تسبب مرض النوم، والبعوض الذى يسبب الملاريا، ولكن رغم ذلك كانت الرحلة إليها تستحق المغامرة، ففيها مساحات شاسعة ترعى فيها الماشية ورصيد وافر من المعادن مثل الحديد والنحاس والزنك علاوة على الذهب وبكميات كبيرة.

وبدأ سكان هذه المنطقة الذين كانوا بدواً فيما سبق يشاهدون مزايا الاستقرار، ولذلك بدأت منذ بداية القرن الحادى عشر الميلادي الجدران الحجرية في الظهور، هذه الجدران لم تكن جزءاً من المنازل التى كانت لا تزال تبنى من الطين ولكنها كانت تحيط بالمنشآت الحيوية مثل حظائر الماشية وصفوف المنازل وأماكن إقامة الشعائر الدينية، ففى منطقة انيانجا الجبلية مثلا نشأت مجموعة مدهشة من صفوف المنازل المظلمة. ومثل هذا المجتمع التجارى كان في حاجة لمنشآت دائمة، وقبل وصول أول رجل أبيض إلى سواحل إفريقيا الشرقية كان التجار من الشرق الأوسط والهند واندونيسيا والصين في زيارات دائمة لها لمقايضة البضائع المصنعة بالمواد الخام؛ فقد كان الأفارقة يأخذون الأقمشة والخرز الملون في مقابل المعادن والعاج والرقيق.

ومن المعروف أن الطرق البحرية عبر المحيطات كان قد بدأ استعمالها لقرون خلت ربما منذ عام ٢٠٠٠



والقنوات والقلاع تغطي مساحة تزيد عن ٣٩٠ كيلومتراً مربعاً، استطاع مشيدوها أن يعيدوا ترتيب حوالي ٢٦٠ مليون طن من الأحجار بأيديهم. وقد اندهش كلفورد ادوارد وهو مهندس مناجم زار هذا الموقع عام ١٨٩٨م حيث لاحظ أن مستوى البناء قد تم بدقة تعادل الدقة التى تنجز بها المبانى التى تستخدم فيها أفضل الأدوات الحسابية.

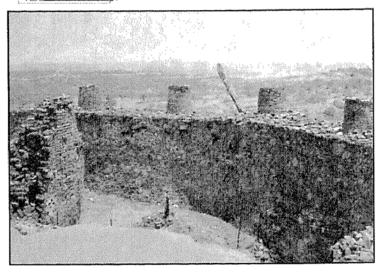
ولقد اكتشفت آثار حجرية في زمبابوي وموزمبيق ومناطق واسعة من جنوب افريقيا، ورغم أن ما تمت معرفته عن سكان هذه المناطق شيء قليل، فقد تركوا سجلات تبين الشعوب التى تاجروا معها، فالرسوم الموجودة داخل كهف في جبال سوتبانسبرج تبين أربعة تجار من بلاد فارس بلحاهم المميزة وسراويلهم الواسعة وأغطية الرأس المدببة.

وحتى هذه الأيام هناك أشجار النخيل تنتشر على خط الساحل، هذه الأشجار نبتت من النوى الذى ألقى به التجار المسلمون منذ قرون وهم يأكلون التمر على هذا الساحل.

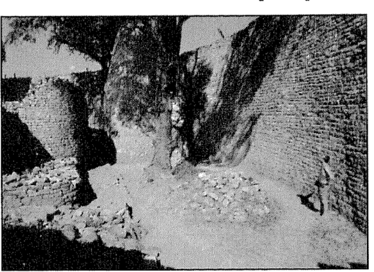
وكانت القلعة هي التى تتحكم في كل أنواع النشاط الإنتاجي في المدينة، ومن المحتمل أن زمبابوي الكبرى كانت مقراً ملكياً ومستودعاً للمنتجات حتى تأتى فترة المطر حيث تمتلىء الأنهار ويأتي التجار عن طريقها. ولكن من كان يحكم هذه المدينة الكبرى؟ - لا أحد يعرف، ولكن هؤلاء الحكام كانوا يعيشون في رفاهية كبيرة حيث كانوا يستعملون الأوانى المصنعة في الصين والمجوهرات القادمة من اندونيسيا والهند، والزجاج الملون من حلب، بل كانت لديهم معرفة بطريقة الحصول على الزنك النقى الذى لم يعرف سر تصنيعه في أوروبا حتى القرن الثامن عشر.

وفجأة توقف كل هذا، ربما بسبب عدو دمّر هذه الحضارة وربما زاد عدد السكان فأنهك مصادر المنطقة وربما الجفاف أو المرض أو حرائق الغابات المجاورة. وفي عام ١٨١٨م تحرك شعب الزولو بأعداد هائلة إلى زمبابوي فدمروا قلعتها القديمة، وعندما وصل الأوروبيون كانت زمبابوي الكبرى تاريخاً لا يذكره سوى القليلون.

واليوم أصبحت حضارة زمبابوي الكبرى أكبر من مجرد لغز أثرى، إنها تجلب لزمبابوي المعاصرة أعداداً هائلة من السياح لزيارة هذه الآثار المدهشة.



- أنظمة قديمة لحماية القلعة.



- جدار ضخم لحماية المنشآت الملكية.

الاستخارة الشرعية

الإنسان في هذه الدنيا ضعيف محتاج، معرض للمخاطر والمخاوف، لا يملك لنفسه جلب نفع ولا دفع ضر، ولا يعرف أين يوجد الخير له، فهو بحاجة ـ دائما ـ إلى الله سبحانه في أموره كلها، ليعينه ويوفقه ويسدده ويلهمه ما فيه الخير له.

والاستخارة مظهر من مظاهر الرجوع الى الله تعالى وطلب التوفيق منه والاستعانة به والاعتماد عليه والثقة به والرضى بحكمه وقدره.

إن الاستخارة تعلم المسلم كيف يرتبط بالله في كل أحواله ويعيش في دائرة العبودية الحقة بتحقيق ما يحب الله ورسوله من قول اللسان وعمل القلب والجوارح. وهل هناك عبادة ألذّ وأطيب من أن يختلي الانسان بربه ويناجيه بقلب خاشع متذلل ويطلب منه في أدب جم وتفويض صادق أن يختار له ما يعرف أنه الأصلح له في الدنيا والآخرة.

وأيضاً «لما كانت الدلائل والبينات تتعارض في بعض الأمور والترجيح بينها يتعذر في بعض الأحيان، فيريد الإنسان الشيء فلا يستبين له، آلإقدام عليه خير أم تركه؟ فيقع في حيرة، جعلت له السنة مخرجا من ذلك بالاستخارة حتى لا يضطرب عليه أمره ولا تطول غمته»[١].

ونظراً لأن الناس قد أهملوا سنة الاستخارة في هذا الزمن، وقَلَّ من يعمل بها أو يعرفها بل ابتدع بعض الناس عمل الاستخارة بأنواع شتى لم يرد شيء منها في الكتاب والسنة ولم يقُل به أحد من علماء السلف والخلف مثل ضرب الحظ والاستقسام بالسبحة وقراءة الكف والفنجان والعبث بعلبة الكبريت وقصد المنجمين والعرّافين والسحرة.. نظراً لهذا كله اخترت الكتابة في هذا الموضوع مستعينا بربيْ سبحانه وتعالى.

تعريف الاستخارة:

الاستخارة: طلب الخير في الشيء، وهي استفعال منه، والخير ضد الشر. وخار الله لك: أي اعطاك ما هو خير لك، والخيْرة: بسكون الياء. الاسم من ذلك، ومنه دعاء الاستخارة: «اللهم خرلي واخترْلي».

واستخار الله: طلب منه الخيرة، وخار لك في ذلك: جعل لك فيه الخيرة، والاختيار: الاصطفاء، ويقال: استخر الله يخر لك، والله يخير للعبد إذا استخاره[٢].

وقال النووي:[٣] «الخير ضد الشر. تقول منه: خرت يا رجل فأنت خائر.. والاستخارة طلب الخير، وخيرته بين الشيئين: أي فوضت اليه الخيار، وفلانة خير الناس، ولا تقل خيرة الناس، وفلان خير الناس، ولا تقل أخير، لا يثنى ولا يجمع لأنه في معنى «أفعل» وقال الحافظ ابن حجر:[٤] «واستخار الله: طلب منه الخيرة، والمراد: طلب خير الأمرين لمن احتاج الى أحدهما».

وفي المرقاة:[٥] الاستخارة: طلب تيسير الخير في الأمرين من الفعل أو الترك.

والاستخارة شرعا: هي صلاة ركعتين من غير

بقلم: د. محمد طاهر حكيم
فرع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ـ موريتانيا ـ

فريضة مع دعاء مخصوص فيه سؤال واستعانة بالله تعالى بطلب خير الأمرين من الفعل أو الترك مما يريد الإقدام عليه.

هدى النبي {صلى الله عليه وسلم} في الاستخارة:

كان هدي النبي {صلى الله عليه وسلم} في الاستخارة أوضح الهدى وأكمله وأتمه فكان {صلى الله عليه وسلم} يعلم أصحابه الاستخارة ويحضهم عليها ليربطهم بالله تعالى في جميع أحوالهم، ومن أشهر الاحاديث الواردة عنه في ذلك حديث جابر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول: «اللهم إنى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم. فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى - أو قال - عاجل أمرى وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمرى - أو قال - عاجل أمرى وآجله فاصرفه عني، واصرفنى عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به» قال: ويسمى حاجته[٦].

وقد رُوي نحو حديث جابر هذا من حديث ابن مسعود وأبي سعيد الخدرى وأبي هريرة وأبي أيوب وابن عباس وابن عمر وغيرهم - رضي الله عنهم - [٧]

نماذج من التزام العلماء والصالحين بالاستخارة:

**** استخارة زينب بنت جحش رضي الله عنها:**

عن انس رضي الله عنه أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لزيد - لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها «اذكرها عليّ» قال زيد - رضي الله عنه - فانطلقت فقلت: يا زينب أبشري، أرسلنى إليك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يذكرك فقالت: «ما أنا بصانعة شيئا حتى استأمر ربي».

فقامت الى مسجدها ونزل القرآن الكريم، الحديث[٨].

قال النووي «ولعلها استخارت لخوفها من تقصير في حقه {صلى الله عليه وسلم}[٩].

**** استخارة عمر رضي الله عنه:**

عن عروة أن عمر رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي {صلى الله عليه وسلم} في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق عمر يستخير

الله فيها شهرا، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: «إني كنت أريد أن أكتب السنن وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني - والله - لا أشوب كتاب الله بشيء أبدا[١٠].

**** استخارة الامام البخاري - رضي الله عنه -**

قال البخاري «صنفت كتابي «الجامع» في المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثاً حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته»[١١].

قال الحافظ ابن حجر: المراد من قوله «في المسجد الحرام» أنه ابتدأ تصنيفه وترتيبه وأبوابه في المسجد الحرام، ثم كان يخرج الأحاديث بعد ذلك في بلده وغيرها لأنه لم يجاور بمكة هذه المدة كلها[١٢].

**** استخارة الأمام ابن خزيمة - رضي الله عنه -**

نقل الذهبي[١٣] عن الامام محمد بن اسحاق بن خزيمة قوله: «كنت إذا أردت أن أصنف الشيء دخلت في الصلاة مستخيرا حتى يقع لي فيها ثم ابتدئ».

**** استخارة الإمام أبي زكريا النووي - رحمه الله**

ذكر في مقدمة «الأربعين» من صنف في «الاربعينات» ثم قال: «وقد استخرت الله تعالى في جمع أربعين حديثا اقتداء بهؤلاء الأئمة الأعلام وحفاظ الاسلام»[١٤].

**** الامام ابن تيمية - رضي الله - يوصي بالاستخارة:**

قال في وصيته الجامعة[١٥] التي كتبها جواباً لمستوص منه في صلاح دينه ودنياه.. وأن يبين له أرجح المكاسب: «فأما تعيين مكسب على مكسب من صناعة أو تجارة أو بناية أو حراثة أو غير ذلك فهذا مختلف باختلاف الناس، ولا أعلم في ذلك شيئا عاماً، لكن إذا عَنَّ للإنسان جهة فليستخر الله تعالى فيها الاستخارة المتلقاة عن معلم الخير {صلى الله عليه وسلم} فإن فيها من البركة مالا يحاط به ثم ما تيسر له، فلا يتكلف غيره الا أن يكون منه كراهة شرعية».

آداب الاستخارة:

١ - الطهارة الظاهرة والباطنة.

٢ - أن ينوى أداء الاستخارة لأنها عبادة، ولا تقبل العبادة بدون نية، قال {صلى الله عليه وسلم} «إنما الأعمال بالنيات»[١٦].

٣ - أن يفرغ قلبه من الشواغل الدنيوية والهواجس النفسانية بعد التوبة الى الله تعالى[١٧].

٤ - اليقين المحكم والاعتماد الكامل على أحقية الاستخارة ثم التسليم التام بما يختاره الله له مع الايمان أن ما قدره الله له هو الخير في الدنيا والآخرة.

حكمة الاستخارة:

١ - تكريم الانسان عن التذلل لمن هو مثله أو أقل منه كالأصنام والأزلام والكهان والعرافين، فأي هوان أكبر من أن يصبح الانسان ألعوبة بين أيدى المخرفين المشعوذين.

٢ - إفراد الله تعالى بالعبودية التى يستحقها بالخلق والعلم والهداية والقدرة.

٣ - ترسيخ التعامل الايمانى والعلمي مع القضايا داخل أغوار النفس إذ العقل العلمى المعقول برباط الايمان يعرف يقينا أن غير الله تعالى لا يستطيع أن يفعل شيئا أو يلهم شيئا[١٨].

٤ - قال الامام ابن تيمية: «وما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين وتثبت في أمره فقد قال تعالى {وشاورهم في الأمر، فاذا عزمت فتوكل على الله}[١٩]، وقال قتادة: ما تشاور قوم يبتغون وجه الله الا هدوا لأرشد أمرهم»[٢٠].

فوائد الاستخارة:

١ ـ انها مظهر من مظاهر الرجوع الى الله تعالى ودليل على عجز العبد وخلوه من أي حول ولا قوة، لأن العلم والقدرة لله وحده وليس للعبد من ذلك الا ما قدر الله له ولهذا قال: «وأستقدرك» أي، اطلب منك أن تجعل لي على ذلك قدرة[٢١]، والله سبحانه له القدرة الكاملة وعلمه محيط بكل شيء. كما قال: «فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب».

٢ ـ انها سبب لجمع الخاطر ورفع التردد والاضطراب والحيرة مع الشعور بالاطمئنان الايمانى الذى يصاحب التذلل والتضرع أمام الله سبحانه وتعالى.

٣ ـ انها هروب العبد من ضيق صدره بالهموم والغموم والأحزان والمخاوف التى تعتريه من جهة نفسه أو من الخارج إلى سعة فضاء الثقة بالله تعالى وصدق التوكل عليه وحسن الرجاء لجميل صنعه به وتوقع المرجو من لطفه وبره، قال الله تعالى {ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب}[٢٢].

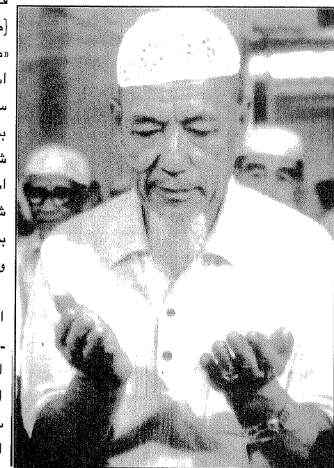
قال ابو العالية «مخرجاً من كل شدة» وقال الربيع بن خثيم: «يجعل له مخرجاً من كل ما ضاق على الناس»[٢٣].

٤ ـ الاستخارة دليل على أن تحقيق النجاح والفلاح والآمال لا يمكن باختيار الاسباب والتدابير الظاهرة وحدها، بل هناك رب قادر فوق الأسباب لابد من اللجوء اليه والاعتماد عليه والاستعانة به، فالاستخارة مظهر من مظاهر قدرة هذا الخالق وعلمه المحيط بكل شيء. قال بعض الصالحين: «عرفت ربي بفسخ العزائم».

٥ ـ الاستخارة دليل على التوكل على الله وتفويض الأمور اليه والثقة به والرضى بحكمه وقدره، قال شيخ الاسلام ابن تيمية: المقدور يكتنفه أمران: التوكل قبله والرضى بعده، فمن توكل على الله قبل الفعل ورضى بالمقضى له بعد الفعل فقد قام بالعبودية[٢٤].

٦ ـ ومن فوائدها ما قاله بعض الحكماء: «من أعطي أربعا لم يمنع أربعا: من أعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب»[٢٥].

٧ ـ ومن أعظم فوائدها أنها سبب سعادة الانسان كما في حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «من سعادة ابن آدم استخارته الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله عز وجل»[٢٦].



قال ابن القيم «فهذا الدعاء ـ دعاء الاستخارة ـ هو الطالع الميمون السعيد، طالع أهل السعادة والتوفيق الذين سبقت لهم من الله الحسنى لا طالع أهل

الشـرك والخـذلان الذين يجـعلون مع الله إلـها آخـر فسوف يعلمون»[٢٧].

الأمور التى يستغار فيها:

لا شك أن الاستخارة مرغب فيها في العظيم من الأمور والحقير، فرب أمر حقر يترتب عليه الأمر العظيم، فلا ينبغى للمرء أن يحتقر أمراً لصغره ويترك الاستخارة فيه لكن ما هي الأمور التى يستخار فيها.. وما هي التى لا يستخار فيها؟.

ذهب عامة أهل العلم إلى أن قول الراوي: «كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها» عام أريد به الخصوص، لأن هناك أموراً لا يستخار فيها، فالواجبات مطلوبة فمن أداها فله أجره ومن تركها عوقب على ذلك. وكما أن المحرمات ممنوع فعلها والعذاب معلق على فعلها فلذا لا يستخار في فعل واجب أو ترك محرم إلا إذا اكان الواجب موسعا وقته فالاستخارة تكون في تعيين وقته - لا في أصل فعله - وذلك إذا لم يكن وقته متعينا من الله ورسوله {صلى الله عليه وسلم}.

وتكون الاستخارة في المباح مثل أن يريد شخص أن يعمل أحد مباحين ولا يعرف أيهما خير له. أو مندوبات لا يعرف أيها خير له، وأما نوع المكروه فيكره أن يستخار فيه. ولا استخارة فيما هو معروف خيره كالأعمال التى يتقرب بها الى الله سبحانه وتعالى وكذلك الأمور العادية كالأكل والشرب والنوم والغسل ونحوها لا استخارة فيها[٢٨].

طريقة الاستخارة:

إذا همّ العبد بأمر كالسفر والزواج والوظيفة ونحوها استحب له طلب الخير من الله تعالى «بالاستخارة» فليصل ركعتين من غير فريضة، وبعد الفراغ من الصلاة يقرأ دعاء الاستخارة «اللهم إني أستخيرك بعلمك... الخ» وينوى ما لأجله استخار أو يسميه عند قوله: «هذا الأمر» ويستحب افتتاح الدعاء المذكور وختمه بالحمد والصلاة على رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، قاله النووي[٢٩].

- هل تحصل صلاة الاستخارة بركعتين من الرواتب وتحية المسجد ونحوها من النوافل؟.

قال الامام النووي[٣٠] تحصل بذلك، ولكن الحافظ ابن حجر عقب عليه قائلا: «وفيه نظر، ويظهر أن يقال: إن نوى تلك الصلاة بعينها وصلاة الاستخارة معا أجزأ بخلاف ما إذا لم ينو، ويفارق صلاة تحية المسجد لأن المراد بها شغل البقعة بالدعاء، والمراد بصلاة الاستخارة أن يقع الدعاء عقبها أو فيها ويبعد الاجزاء لمن عرض له الطلب بعد فراغ الصلاة، لأن ظاهر الخبر أن تقع الصلاة والدعاء بعد وجود إرادة الأمر»[٣١].

ماذا يقرأ في الركعتين؟:

قال بعض أهل العلم كالنووي والغزالي[٣٢]: الأفضل أن يقرأ بعد الفاتحة في الأولى بـ «قل يا أيها الكافرون» وفي الثانية بـ «قل هو الله أحد» لمناسبتهما بالحال لما فيهما من الاخلاص والتوحيد والمستخير محتاج لذلك.

وقال آخرون: من المناسب أن يقرأ فيهما مثل قوله تعالى {وربك يخلق ما يشاء ويختار} الآية[٣٣] وقوله: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم} الآية [٣٤].

قال الحافظ العراقي: «لم أجد في شيء من طرق حديث الاستخارة تعيين ما يقرأ فيهما»[٣٥] وهو كما قال ، فليقرأ ما ييسره الله له دون التزام بشيء معين.

الحكمة من تقديم الصلاة على الدعاء:

قال الحافظ ابن حجر: «الحكمة من تقديم الصلاة

على الدعاء أن المراد بالاستخارة حصول الجمع بين خيرى الدنيا والآخرة فيحتاج الى قرع باب الملك ولا شيء لذلك انجع ولا أنجح من الصلاة لما فيهما من تعظيم الله والثناء عليه والافتقار إليه مآلا وحالا»[٣٦].

هل لصلاة الاستخارة وقت مخصوص؟

لم يأت في الحديث تعيين وقت خاص لصلاة الاستخارة لهذا ذهب جماعة من أهل العلم الى جوازها في جميع الأوقات، والأكثرون على أنها لا تصلى في أوقات الكراهة[٣٧].

قلت: لكن صلاة الاستخارة من ذوات الأسباب كتحية المسجد فتصلى على قول جماعة من أهل العلم حتى في أوقات الكراهة، ولو اختار المستخير وقتا غير وقت الكراهة فهو أولى، والله أعلم.

الاستخارة المستعجلة:

إذا أراد من به عذر كالحائض والنفساء الاستخارة لأمر عاجل فإنه يمكنه ذلك بغير صلاة، فيقرأ الدعاء المأثور ويكفيه ذلك.

قال النووي:[٣٨] «ولو تعذرت عليه الصلاة استخار بالدعاء».

حكم تكرار الاستخارة:

إذا استخار المرء في أمر ولم يظهر له وجه الصواب من الفعل أو الترك ولم ينشرح صدره لشيء فهل يستحب له تكرار الاستخارة والدعاء أم لا؟.. نعم يستحب له ذلك عند جماعة من أهل العلم لحديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «اذا هممت بأمر فاستخر ربك سبع مرات ثم انظر الى الذى يسبق إلى قلبك فإن الخير فيه»[٣٩] ولكن هذا الحديث ضعيف.

نعم قد يستدل للتكرار بأن النبي {صلى الله عليه وسلم} كان إذا دعا دعا ثلاثاً»[٤٠] وبما تقدم من عمر - رضي الله عنه - انه ظل يستخير شهراً.

ماذا يفعل المستخير بعد الاستخارة؟.

الأصل في الاستخارة طلب الخير من الله تعالى ورفع التردد، ولهذا إذا وجد المستخير بعد الاستخارة ميلا وارتياحاً إلى جانب الفعل أو الترك وانشرح له صدره عمل به، وان لم يجد شيئا من ذلك فليكرر الاستخارة حتى يحصل له ذلك ، كما قال الامام النووي - رحمه الله - [٤١].

ولكن يرى بعض العلماء أن الاستخارة مجرد دعاء لطلب الخير، ولهذا ليس على المستخير أن ينتظر الانشراح والميل إلى شيء بعد الاستخارة، لأن الحديث ليس فيه شيء من ذلك، مع أن هذا ممكن وقد يحدث، ولكن ان لم يحدث شيء من ذلك فإن العبد يفعل بعد الاستخارة ما يراه من الفعل أو الترك وفيه الخير له.
وممن نقل عنه ذلك القاضى ابن الزملكانى قال: «إذا صلى الانسان ركعتي الاستخارة لأمر فليفعل بعدها ما بدا له سواء انشرحت نفسه له أم لا، فإن فيه الخير - وإن لم تنشرح له نفسه - وليس في الحديث اشتراط انشراح النفس»[٤٢].

ويشترط لانشراح الصدر عند من قال به - أن يكون قلبه فارغا من جميع الأهواء والخواطر قبل الاستخارة بحيث لا يكون مائلا إلى أمر من الأمور.
قال القرطبي: «قال العلماء: وينبغى له أن يفرغ قلبه من جميع الخواطر حتى لا يكون مائلا إلى أمر من الأمور فعند ذلك ما يسبق الى قلبه يعمل به فإن الخير فيه إن شاء الله»[٤٣].

كيف يعرف المستخير قراره من الاستخارة؟

اشتهر عند العوام أنه من الضرورى أن يرى

المستخير مناماً أو يكلمه مكلم حول ما يجب عليه عمله بعد الاستخارة، وليس هذا لازماً ولا مشترطاً ولكن إذا شرح الله صدره إلى فعل شيء أو وجد جنوحا وميلا إلى أمر أو حصل له نفور وفتور عن هذا الأمر الذى استخار الله لأجله أو أشار عليه أخ أو صديق إلى عمل شيء معين فإنه يكون كافيا لاتخاذ القرار المناسب.

قال الشيخ محمد بدر عالم « واعلم أنه قد نبه العلماء قديما وحديثاً على أنه لا يشترط في الاستخارة أن يرى المستخير رؤيا أو يكلمه مكلم.. ولكن الله تعالى يحدث في قلبه جنوحاً وميلا إلى جانب ينشرح بعده صدره ويستقر عليه رأيه فيختار الجانب الذى اليه عطفه وميله»[٤٤].

وقال الشيخ محمد انور شاه الكشميري[٤٥] «لا أنه يرى رؤيا أو يكلمه مكلم، وإن أمكن ذلك أيضاً».

وجوب الرضا بحكم ا لله وقضائه بعد الاستخارة:

ينبغي للعبد أن يرضى بما شرح الله سبحانه صدره بعد الاستخارة ويتوقع فيه الخير والصلاح له ويقدم عليه منشرح الصدر مطمئن القلب راضيا به.

قال الامام ابن أبي حمزة الأندلسي[٤٦] «ذكر بعضهم أن من استخار في شيء فقضى له فيه قضاء ولم يرض فإنه عندهم من الكبائر التى يجب منها التوبة والاقلاع، لأنه من سوء الادب، وقالوا: لأنه لما رجع هذا العبد المسكين إلى هذا المولى الجليل ورغب منه أن ينظر له بنظره فكيف لا يرضى؟ فهذه صفة تشبه النفاق، بل هو النفاق نفسه لأنه أظهر الفقر والافتقار والتسليم ثم ابطن (غير) ذلك، فأين هذا الحال من قوله: «استخيرك بعلمك»».

وفي الأثر أن موسى عليه السلام قال: يارب: أى خلقك أحب إليك؟ فقال: من إذا أخذت منه محبوبه سالمنى، قال: فأي خلقك أنت عليه ساخط؟ قال: من استخارنى في أمر، فإذا قضيته له سخط قضائى»[٤٧].

الاستخارة غير الشرعية:

ذكرنا الاستخارة الشرعية التى علمها الشارع {صلى الله عليه وسلم} وحض عليها واهميتها وفضلها وما فيها من فوائد عظيمة وحكم جليلة.

وقد ابتدع الناس عمل الاستخارة بطرق وأعمال أخرى لم يرد منها شيء في كتاب الله ولا سنة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولم يقل به أحد من علماء السلف والخلف وانما هي بدع وضلالات سرت وانتشرت بين بعض الناس بسبب الجهل والبعد عن الدين بعد أن ضعف الايمان في النفوس منها ما يسمى: الاستخارة بالسبحة والاستخارة بفصوص النرد (الطاولة) والاستخارة بالمصحف وبورق اللعب وكذا العبث بعلبة الكبريت وبالعملة المالية المضروبة وقراءة الكف، وقراءة الفنجان. كما أن بعض الناس مازالوا يلجأون ـ كالجاهليين ـ إلى الاستقسام بالازلام والكهانة والعرافة والعيانة والتطير والتنجيم وغيرها من الوسائل التى ابطلها الاسلام وقضى عليها بتشريع الاستخارة الشرعية، قال {صلى الله عليه وسلم} «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»[٤٨] وبالله التوفيق.. وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وسلم.

الهوامش:

(١) تفسير المنار ١٥٢/٦.
(٢) انظر تاج العروس ٣٦٥/٦ ولسان العرب ٢٦٧/٤ والنهاية في غريب الحديث ٩٢/٢.
(٣) تهذيب الاسماء واللغات ١٠٠/٣.
(٤) فتح الباري ١٨٣/١١.
(٥) ٤٠١/٣ وانظر فيض القدير للمناوى ٤٥٠/١.
(٦) رواه البخاري (مع الفتح) ٤٨/٣ و ١٨٣/١١ و ٣٧٥/١٣ وأبو داود ٥٦٨/١ والترمذي ٥٠٦/٢

والنسائي ٨٠/٦ وابن ماجه ٤٤٠/١ وأحمد ٣٤٤/٣ والبغوى في شرح السنة ١٥٣/٤ والبيهقى في السنن الكبرى ٥٣/٣.

(٧) حديث ابن مسعود عند ا لطبرانى في الكبير ١١١/١٠ وحديث أبى سعيد عند ابن حبان (٦٨٦ موارد الظمآن) وكذلك حديث أبي هريرة (٦٨٧) وأما حديث أبى أيوب فهو عند احمد ٤٢٣/٥ والحاكم ٣١٤/١ و ١٦٥/٢ وابن خزيمة ٢٢٦/٢ وابن حبان (٦٨٥) والبيهقى في السنن ١٤٧/٧، ١٤٨ وحديث ابن عباس وابن عمر عند الطبراني في الكبير ١٩٦/١١.

(٨) رواه مسلم ٢٢٨/٩ (مع شرح النووى) والنسائى ٦٥/٦ واللفظ له والامام احمد في مسنده ١٩٥/٣ وانظر سير اعلام النبلاء ٢١٧/٢.

(٩) شرح مسلم ٢٢٨/٩.

(١٠) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٦٤/١.

(١١) هدى السارى ص ٤٨٩.

(١٢) المصدر السابق.

(١٣) تذكرة الحفاظ ٧٢١/٢.

(١٤) مقدمة الاربعين النووية.

(١٥) الوصية الجامعة لخير الدنيا والآخرة ص ٢٤ ـ ٢٥.

(١٦) رواه البخاري ٩/١ ، ١٣٥ ومسلم ٤٦/١٣ وأبو داود ٢٣٥/٢ وآخرون.

(١٧) انظر فيض القدير للمناوي ٤٥٠/١.

(١٨) انظر مقالة د/ابو بدر بعنوان: «الاستخارة تعبير ايماني ص ٤.

(١٩) آل عمران ١٥٩.

(٢٠) الكلم الطيب ص ٧١.

(٢١) فتح الباري ١٨٦/١١.

(٢٢) الطلاق، الآية ٣.

(٢٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٤٧٠/١ ـ ٤٧١.

(٢٤) نقله ابن القيم في مدارج السالكين ١٢٢/٢.

(٢٥) إحياء علوم الدين للغزالي ١٨١/٢.

(٢٦) رواه الامام احمد ١٦٨/١ والحاكم في المستدرك ٥١٨/١.

(٢٧) زاد المعاد ٣٨٢/٢.

(٢٨) انظر فتح الباري ١٨٤/١١ وبهجة النفوس ٨٧/٢ ومرقاة المفاتيح ٤٠١/٣.

(٢٩) الاذكار ص ١١٠ وراجع رد المختار ٥٠٧/١.

(٣٠) الاذكار ص ١١٠.

(٣١) فتح الباري ١٨٥/١١ وانظر عمدة القارى ٢٢٣/٧.

(٣٢) احياء علوم الدين ٨١/٢ والاذكار ص ١١٠.

(٣٣) الآية ٦٨ من القصص.

(٣٤) الآية ٣٦ من الأحزاب.

(٣٥) عمدة القارى ٢٢٥/٧.

(٣٦) فتح الباري ١٨٦/١١.

(٣٧) انظر بذل المجهود في حل أبي داود ٣٩٦/٧.

(٣٨) الاذكار ص ١١٠.

(٣٩) رواه ابن سنى في عمل اليوم والليلة وفيه ابراهيم بن البراد بن النضر بن انس بن مالك ضعفه العقيلي وابن عدي وآخرون. قال الحافظ ابن حجر: سنده واه جدا. انظر: فتح الباري ١٨٧/١١ والكامل ٢٥٥/١ ولسان الميزان ١٣٣/١.

(٤٠) رواه مسلم ١٢٠/١٢.

(٤١) الأذكار ص ١١٠.

(٤٢) طبقات الشافعية الكبرى ٢٠٦/٠.

(٤٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٠٧/١٣.

(٤٤) البدر السارى الى فيض البارى ٢٤٧/٢ ـ ٢٤٨.

(٤٥) فيض البارى ٤٢٨/٢.

(٤٦) بهجة النفوس ٩٠/٢.

(٤٧) مدارج السالكين ٢/ ٢٢٢.

(٤٨) رواه البخاري ٣٥٥/٤ و٣١٧/١٣ ومسلم ١٤/١٢ الامام أحمد ١٤٦/٦، ١٨٠، ٢٤٠، ٢٥٦، ٢٧٠.

إنَّ المعلمَ للنبيِّ خليفةٌ

ما أجمل مهنة التدريس؛ فهي ميدان رحب لكسب الخبرات والتجارب، وسوق رابحة لتبادل غرر القول وابداع الفكر والعقل. وساحة عمل وجد لفرسان الدعوة والإصلاح.

ولقد أفاض الأدباء، والشعراء منهم بخاصة في وصف هذه المهنة ومعاناة صاحبها، وكان وصفهم لواقع التعليم دقيقاً؛ حيث عمل بعضهم معلماً ونحن نختار هنا ثلاثة من شعراء العربية لننقل شيئا مما قالوه في وصف المعلم والتعليم.

لقد كان أمير الشعراء (أحمد شوقي) من أبرز من أشاد بمهنة التعليم وبيَّن فضل المعلم ومكانته، وذلك في قصيدته التي عنوانها: العلم، والتعليم، وواجب المُعلِّم - وفيها يقول:

قم للمعلم وفِّه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف، أو أجلَّ من الذي
يبني، وينشيء أنفساً وعقولا؟!

ومنها:

أمُعلِّمي الوادي، وساسة نشئه
والطابعين شبابه المأمولا
ربُّوا علي الإنصاف فتيان الحمى
تجدوهم كهف الحقوق كهولا[١]

ولم يتردد الشاعر ابراهيم طوقان أن يجيبه بنفي كلامه والرد عليه، إذ يقول - بالوزن والقافية - نفسيهما: (البحر الكامل) والرَّوي باللام، حيث القافية مطلقة:

(شوقي) يقول - وما درى بمصيبتي
«قم للمعلم وفه التبجيلا»
اقعد، فديتك، هل يكون مبجلا
من كان للنشء الصغار خليلا؟!
ويكاد (يقلقني) بقوله:
«كاد المعلم أن يكون رسولا»
لو جرَّب التعليم (شوقي) ساعة
لقضى الحياة شقاوة وخمولا
حسب المعلم غُمَّة وكآبة
مرْأى الدفاتر بكرة وأصيلا
مئة على مئة إذا هي صلحت
وجد العمى نحو العيون سبيلا[٢]

أما الأديب الشيخ أحمد فرح عقيلان:

فإنه يذهب إلى أنَّ المعلم هو مهندس البناء، وقائد المسيرة لحياة سعيدة؛ ليس لفئة من المجتمع فحسب وإنما للأمَّة كلها، إنه يقول في قصيدة له بعنوان: «المجاهد المجهول»:

حيِّ المعلِّم شامخاً بجهاده
يعرى ويكسو الكون من أمجاده
ظمآن توروده الحياة سرابها
والجيل كلُّ الجيل من وُرَّاده
تلقاه طول العمر يغرس جوهراً
ومرارة الحرمان كلُّ حصاده

ومنها:

متواضع في غرفة مغمورة
ومواكب العظماء من أولاده
تعبٌ يوزع راحة وسعادة
فيعيش كل الناس في إسعاده
ويصون ماء الوجه رغم رواجه
ويبيع نور العلم رغم كساده

* * *

قالوا عن التعليم حرفة مفلس
قعدت به النكسات عن أنداده

بقلم: عبدالعزيز بن صالح العسكر
الدلم - السعودية



ونســــوا بأنّ الله علَّم آدمـــــاً
جلّ الإله مـــعلمـــاً لعـــبـــاده
والأنبـــيـــاء مـــعلمـــون تراثهم
علمٌ شـــفى الانســـان من إلحـــاده
إن المعلّم للنبيِّ خليـــفـــة
مهما افترى الجهلاء من حساده[٣]

وفي قصيدة أخرى بعنوان: «ميراث النُّبوة» يقول أحمد فرح عقيلان:

إن المعلم رائد الجـــيـــل الذي
ركـــزوه في أفق المعـــالي سُلَّمـــا
يرقى عليـــه النّاس نحـــو حظوظهم
فـــإذا رقـــوا تركـــوه كي يتـــحطّمـــا
أوليس من يهب الكرامـــة والعـــلا
للنشء أجـــدر أن يُعـــزَّ ويكرمـــا؟![٤]
بلى وربِّ الكعبة. فهل نحن فاعلون؟!.

ولقد قرأت مؤخراً عدداً من القصائد قيلت جواباً أو معارضة لقصيدتي شوقي وطوقان، نشرت تلك القصائد مجلة (المعرفة) التي تصدرها وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية. ومن أبرزها قصيدة: (صوت من الصف الأخير) التي كتبها محمد الشبيتي ومنها قوله:

هل كنت يومـــاً في الحـــيـــاة رســـولا
أم عـــامـــلا في ظلهـــا مـــجـــهـــولا
قـــالوا بأنك في الحـــيـــاة مـــجـــاهـد
«تبني وتنشىء أنفـــســـاً وعـــقـــولا»
هل أنصـــفـــوك بما يصـــوغ بيـــانهم
أو عـــوضـــوك عن الطمـــوح بديلا
مـــاذا جنيت سوى العـــقـــوق من الذي
أســـقـــيـــتـــه نخب العلوم طويلا
وجلوت عن عـــينيـــه كل غـــشـــاوة
ووهبـــتـــه زهر الشـــبـــاب دليـــلا
حـــتى اســـتـــقـــامت بالعلوم قناته
ومـــشى على الدرب الطويل قليـــلا
إزورَّ عـــنك تـــنكـــراً وتجـــاهـــلا
ورنا إليك ترفـــعـــاً وفـــضـــولا

* * *

يا مـــوقـــد القنديل نبض فـــؤاده
احـــذر فـــؤادك واحـــذر القنديلا
فـــالكون يمٌّ زاخـــرٌ يُنسى به
من شـــاد صـــرحـــاً أو أنار سـبـيـــلا
فـــارفع بفكرك للشـــبـــاب منارة
واربأ به أن يطلب التـــبـــجـــيـــلا[٥]

هذه الأبيات لمعلم لم يمكث في هذه المهنة إلا ثلاث سنوات حينما نظم قصيدته: فلماذا التذمُّر والملل؟. إن القناعة بشرف المهنة شيء لا يشك فيه أحد من المعلمين أو من غيرهم؛ ولكن المشكلة تكمن في القيود التي فرضت على المعلم في تعامله مع طلابه، ثم في طلاب

العلم الذين ليسوا كما كان أسلافهم طلاب علم مقدرين للعلم ولحملته متأدبين بأدب الإسلام مع أساتذتهم ومعلميهم. يقول الشاعر أحمد الرحيلي:

أدب التلامذة الأوائل قد عفى
والآن لا أدب يسود الجيلا
قد كنت أعهد في الشباب دماثة
حين الخطاب وطيبة وقبولا
فإذا نظرت إليه حرك جفنه
وقضى زماناً مطرقاً وخجولا
وأتى الشباب اليوم وجهاً كالحاً
فإذا المهين مُعلِّم التنزيلا

ويمضي الرحيلي في وصف حال معلم اليوم وتلميذه.. إلى أن يقول:

أوما شكا (طوقان) قبل مصيبة
قلب العلوم فليت عاش قليلا
ولو ان (شوقي) عاش فينا لحظة
لغدا يؤلف في القصيد طويلا
ولقال في وصف الزمان مقالة
تشفي العليل وتروي فيه غليلا
كتب اليراع على الزمان بخطه
قم للمعلم وفِّه التنكيلا[٦]

وإذا ما تركنا حديث الشعر والشعراء لأنه في الغالب حديث خيال ومبالغة، فإننا نجد الواقع بحلوه ومرِّه يؤكد ما قاله الشعراء، وتمثل حقائقه ناطقة بأن المعلم: صاحب رسالة في الحياة.. بقدر ما يعمل ويخلص في عمله يجد من التعب والمعاناة مالا تحتمله نفوس العاجزين والكسالى ممن عشقت نفوسهم الأنانية، وأعمت بصائرهم الأثرة وحب الذات.. فتعال معي - أيها القارىء الكريم - في رحلة نرى فيها صوراً من الواقع، وسيلة النقل فيها ذاكرة تطوف في ما يقارب عشرين سنة قضيتها في مهنة «التدريس» لعل فيما أنقله هنا ما يخفف ألماً، ويقوي أملا، ويدفع إلى عمل أفضل، وإلى تقدير أكبر لمعلم الأجيال.

لقد تعلمت من الحياة أن المعلم سيرى أمامه نماذج للأبناء البررة الذين بهم ينسى أبناءه من صلبه، فهم يحبونه، ويحترمونه، ويدعون له، ويتفانون في خدمته، ومنهم من يصاحبه بهذه الروح ما بقيا على قيد الحياة، ولو فرَّق بينهما السنُّ والمناصب وكثرة المال والولد ومشاغل الحياة.. فترى الطالب يزور معلمه، ويدعوه لزيارته، ويهدي له، ويسأل عنه إذا غاب. وإذا كان المثل العربي يقول: «رُبَّ أخ لك لم تلده أمك» فإنني أقول: أقول لكل معلم: (رُبَّ ابن لك لم تلده زوجتك). وتالله لقد وجدت من هذا الصنف إخواناً غمروني بمعروفهم على مر الأيام، ووجدت عندهم من الصدق والوفاء والإخلاص ما أنساني عدداً من الأقارب الذين شغلتهم شؤون حياتهم وأصبحت فرص اللقاء بهم - فضلا عن التعاون والبرّ - أصبحت تلك الفرص أندر من الكبريت الأحمر كما يقول العرب.

بل إن من أطرف المشاهد والمواقف التي مرت بي: أني قابلت شاباً كان أحد طلابي منذ سنين. فلما مثل أمامي سلَّم والدموع تقطر من عينيه؛ فعجبت منه وحيرني، هل هو مريض أو مذنب تذكر ذنبه، أو أن مصيبة حلت به فهو يلتمس من يفرج عنه! إن شيئا من ذلك لم يكن، حيث قطع عليَّ تفكيري بقوله: «إنني لا اتذكر من سني الدراسة وعيشي معكم إلا أني كنت مصدر فوضى، وزعيم مشاغبة في الفصل فهل تغفرون ذلك لي وقد أدركت الآن أنكم قدَّمتم لنا أضعاف ما قدمه الأهل من تربية وأدب ومعروف». هذا موجز ما قاله هذا الرجل، وقد كان جوابي له: (إننا أيها الأخ الكريم ننسى المواقف السيئة في يومها ولا أعرف إلا أنك من افضل من درستهم). هذا صنف من الطلاب. وفي المقابل يجد المعلم نماذج من طلابه هم غاية في العقوق والقطيعة، إنهم لا ينسون الجميل، ولا يتركون التحية والتقدير لمعلمهم فحسب، بل إنّ أحدهم يجعل معلمه ملهاة يتسلى بمشاهدته والتندر بحركاته وعباراته، وتراه يدمن الحركة الساذجة التي بها يغيظه ويغضبه. هذا ما يفعله في قاعة الدرس، أما حين يفارقه ولو يسيراً فإنه يجعل معلمه «مشجبا» يعلق عليه كل الطرائف والنكت، ويلصق به أتفه الحكايات والألقاب. وما أشقى معلماً يبتلى بمثل هؤلاء ثم لا تكون بجانبه إدارة حازمة مهابة الجانب تجمع بين القوَّة والحكمة.

ذانك صنفان من الطلاب، ولعل من يصدق عليه

ذلك الوصف قليل العدد بين أبنائنا في هذه الأيام؛ أما الكثير فإنه بين الصنفين يميل إلى هذا تارة وإلى ذاك تارة أخرى.

ومهنة التدريس تشبه راحلة تنقل الناس من حال إلى حال ومن موقع الى موقع، وهي تمرُّ بأمم من خلق الله تباينت أحوالهم واختلفت صفاتهم وأخلاقهم.

فهذا طالب ذكي نظيف الخُلُق والأدوات محافظ على وقته، مرهف الحس، لبق يفهم بلغة الإشارة قبل العبارة. وقريب من مقعده زميل له لا ترى منه إلا رأساً وجسداً تحت الرأس، له عينان يحدق بهما بصره ويصوبه إلى كل ما حوله، وأذنان تتابعان كل صوت حتى صفير الريح من خلال ثقوب نافذة الفصل. ولكنك حينما تفتح هذا «الصندوق» أو تقترب منه لا تجد غير الشكل فقط، فلا تكاد تجد للعقل موقعاً أو قيمة عنده؛ فالذكاء صفرٌ، والنباهة والفهم تحت الصفر، فلا يلتفت إليك إلا بعد النداء الخامس، ولا يفهم سؤالك إلا بعد المرة العاشرة، وإذا فهم السؤال فلا جواب لديه. وتبارك الله أحسن الخالقين.

إن سوق العلم عند ذلك الصنف من أبنائنا سوق كساد؛ فالانتباه للمدرس، وأداء الواجب، والحرص على الحفظ والمراجعة في آخر قائمة اهتمامات أحدهم. وقد لا يجد من ينكر عليه ذلك من أهل أو صديق أو غيرهما.. خصوصاً إذا كان النجاح في نهاية العام مضموناً؟!

أما معاناة المدرس وشجونه فلا تقف عند هذا الحد.. بل إنَّه يجد من الموظفين معه من يشاطره آلامه وآماله ومنهم من يقف منه موقف المتفرج أو أنكى.. فهو يرى الموظف ذا الخلق الحسن، دائم البسمة، خفيف الظل والروح، عفيف النفس واللسان، لا يتدخل فيما لا يعنيه ولا يدعو المدرس إلا أخاً له، أو أباً حسب فارق السن. ثم إنه نعم المؤانس والمسلي عند الضيق والألم.

وفي المقابل يرى موظفاً آخر دائم العبوس بالوجه، تراه في كل وقت وكل مكان فيرمقك بنظرات كالسهام، يحصي عليك حركاتك وسكناتك، ويحفظ السيئة والخطأ وينسى الحسنة والصواب.. وهو إمَّا حاسد لك على ما تتمتع به من ميزة ليست له، أو محتقر لك إذ كيف وصلت إلى ما وصلت إليه في فترة قصيرة - بميزانه هو - وكلا الصفتين متلازمتين: الحسد والاحتقار. وإذا كان ذلك الموظف هو المدير في المؤسسة التعليمية فإنَّ وطأة الألم على نفس المعلم أشدُّ وأنكى.

وتمر بالمعلم لحظات سعادة حينما يستريح في إجازة الصيف أو اجازة الربيع، وسرعان ما تنقشع تلك السَّعادة بمطارق «الروتين» الطويل الرتيب الذي يجمع من الواجبات والأحمال على المدرس ما تنوء بالعصبة أولي القوة، فيعمل خلال العام الدراسي في اليوم عشر ساعات أو أكثر، بعضها دوام في المدرسة، وبعضها دوام في المنزل وعيش مع الكراسات والأوراق والسجلات والبطاقات الفصلية وغيرها. فتقضي هذه الأعمال على كل لذة وسعادة وراحة.. ويبقى فارس الميدان كادحاً لا يرى موقفه إلا نفر قليل من أولي البصائر النافذة القوية، ويبقى قنطرة توصل الشباب لكل ما يريدون من علم وأدب وشهادة ومكانة في المجتمع.. وتبقى تلك القنطرة تقاوم الأمواج والهزَّات حتى يأذن الله - بحكمته وفضله - بأن تنتقل عن هذا العمل إلى عمل آخر أو المنزل أو غيرهما.

أما جمهور النَّاس قريبهم وبعيدهم فيجب أن يعلموا أن ذلك المجاهد - بتوفيق الله وعونه - ماض في سبيله، مرتقب لأجر أغلى وأكبر مما يرونه بأعينهم، ويهون عليه ما يلاقيه في سبيل ذلك لأنه: وارث الأنبياء.

الهوامش:

(١) الشوقيات ج ١ ص ٨٠ - ٨٢.

(٢) ديوان ابراهيم طوقان ط ١ سن ١٤٠٤هـ ص ١٤٨.

(٣) ديوان جرح الإباء ص ٤٣ - ٤٤.

(٤) ديوان جرح الإباء ص ٩٠ والشعراء الثلاثة قد غادروا الدنيا؛ فشوقي تُوفي سنة ١٣٥١هـ، وطوقان توفي سنة ١٣٦٠هـ، وأحمد فرح عقيلان توفي سنة ١٤١٧هـ. رحمهم الله جميعاً.

(٥) مجلة المعرفة العدد ١٩ شوال ١٤١٧هـ ص ١١٥.

(٦) مجلة المعرفة العدد ١٨ رمضان ١٤١٧هـ ص ٩٨.

الفروق في اللغة

إن الكثير من الناس يأتي بالكلام المملوء حكماً ونصحاً وطرافة وظرفاً ولكن ينسى أو يجهل الكثير من معاني الأسماء والصفات أو معاني الأفعال والحروف ولذلك يقع في الخطأ من لا يعرف الفرق بين اسم واسم أو صفة وصفة، أو حين يذكر فعلا مكان فعل أو يجعل حرفاً مكان حرف، ولا شك أن هذا يعتبر خللا في التعبير، وعيباً في الكتابة وخطأ في الخطابة.

وقد ألف العلماء كتباً في الفروق اللغوية ومن أحسن منْ ألَّف في ذلك الإمام الأديب اللغوي أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. فقد ألف سنة ٣٩٥هـ كتاباً في ذلك سماه (الفروق اللغوية) ذكر فيه أن اختلاف العبارات والأسماء موجب لاختلاف المعاني في كل لغة فقال: الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضع الكلمة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد، فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك صواباً، فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني في كل لغة فقال: الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر، وإلا لكان الثاني فضلا لا يحتاج إليه، وإلى هذا ذهب المحققون من العلماء وإليه أشار المبرد في تفسير قوله تعالى: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً} قال: فعطف شرعة على منهاج، لأن الشرعة أول الشيء والمنهاج لمعظمه ومتسعه، واستشهد على ذلك بقوله: شرع فلان بكذا إذا ابتدأه وانهج البلى في الثوب إذا اتسع فيه، قال: ويعطف الشيء على الشيء وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد إذا كان في أحدهما خلاف الآخر فأما إذا أريد بالثاني ما أريد بالأول فعطف أحدهما على الآخر فهو خطأ لا تقول جاءني زيد وأبو عبد الله إذا كان زيد هو أبو عبد الله ولكن مثل قوله:

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به
فقد تركتك ذا مال وذا نشب

وذلك أن المال إذا لم يقيد، فإنما يعنى به الصامت - كذا قال، والنشب ما ينشب ويثبت من العقارات وكذلك قول الحطيئة:

ألا حبذا هند وأرض بها هند
وهند أتي من دونها النأي والبعد

وذلك أن النأي يكون لما ذهب عنك إلى حيث بلغ. وأدنى ذلك يقال له نأي والبعد تحقيق الرواح والذهاب الى الموضع السحيق، والتقدير أتى من دونها النأي الذي يكون أول البعد، والبعد الذي يكاد يبلغ الغاية.

قال أبو هلال - رحمه الله - والذي قاله ههنا في العطف يدل على أن جميع ما جاء في القرآن وعن العرب من لفظين جاريين مجرى ما ذكرنا من العقل واللب والمعرفة والعلم، والكسب



بقلم: د. ياسين بن ناصر الخطيب
جامعة ام القرى - مكة المكرمة

والجرح، والعمل والفعل معطوفاً أحدهما على الآخر فإنما جاز هذا فيهما لما بينهما في الفرق في المعنى ولولا ذلك لم يجز عطف زيد على أبي عبد الله إذا كان هو هو.

قال أبو هلال - رحمه الله - ومعلوم أن من حق المعطوف أن يتناول غير المعطوف عليه ليصح عطف ما عطف به عليه إلا إذا علم أن الثاني ذكر تفخيماً وأفرد عما قبله تعظيماً نحو عطف جبريل وميكال على الملائكة في قوله تعالى: {من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين}.

وقال بعض النحويين: لا يجوز أن يدل اللفظ على معنيين مختلفين حتى تضاف علامة لكل واحد منهما فإن لم يكن فيه كذلك علامة أشكل وألبس على المخاطب وليس من الحكمة وضع الأدلة المشكلة إلا أن يدفع إلى ذلك ضرورة أو علة.

وكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين، فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد، لأن في ذلك تكثيراً للغة بلا فائدة.

وانظر إلى أوزان المبالغة - مفعل وفعول وفَعَّال ومفعال: فمن لا يعرف معنى كل لفظة من هذه الألفاظ يظن أن ذلك كله يفيد المبالغة فقط. وليس الأمر كذلك بل هي مع إفادتها المبالغة تفيد معاني أخرى، قال المحققون من أهل اللغة إذا كان الرجل عدة للشيء قيل فيه مفْعل مثل مرحم ومحْرب إن جعل عدة للرحمة أو للحرب، وإذا كان قوياً على الفعل مطيقاً له قيل فعول مثل صبور وشكور، وإذا فعل الفعل وقتا بعد وقت قيل فَعَّال، مثل حمَّال وجمَّال، وإذا كان ذلك عادة له قيل مفعال. مثل معوان ومعطاء ومهداء ومهذار.

وانظر - إنه إذا كان اختلاف الحركات يوجب اختلاف المعاني فاختلاف الألفاظ أنفسها أولى أن يكون كذلك، ولهذا المعنى أيضاً قال المحققون من أهل العربية: إن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض حتى قال ابن درستويه في جواز تعاقبها إبطال حقيقة اللغة وإفسادُ الحكمة فيها والقول بخلاف ما يوجبه العقل والقياس.

قال أبو هلال - رحمه الله - وذلك أنها إذا تعاقبت خرجت عن حقائقها، ووضع كل واحد منها بمعنى آخر فأوجب ذلك أن يكونا لفظان مختلفان لهما معنى واحد فأبى المحققون أن يقولوا بذلك وقال به من لا يتحقق المعاني.

وإليكم مثالا لنعرف فيه الفرق بين كلمتين مستعملتين كثيراً عندنا هي الحمد والشكر فالفرق بين الحمد والشكر، أن الشكر: هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم، ولا يصح الشكر إلا على النعمة، والحمد: الذكر بالجميل على جهة التعظيم للمحمود، ويصح على النعمة وغير النعمة، قال تعالى: {حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدَيَّ} (الأحقاف)، فبين أن هذا الشكر مقابل النعمة التي أنعمها الله تعالى عليه وعلى والديه وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون} (البقرة)، وقال تعالى: {فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون} (النحل)، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: {إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكُ من المشركين شاكراً لأنعمه} (النحل)، فبين تعالى - أن شكر إبراهيم كان عن نعم أنعم الله تعالى بها عليه وقال تعالى: {قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين} (الأنعام). فبين أنهم أقسموا أنه إن أنجاهم الله تعالى من ظلمات البَر والبحر يكونوا من الشاكرين ومثل ذلك قوله تعالى: {لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين} (الأعراف). وقد يكون الشكر مقابل

العفو عن جريمة كما عفى الله تعالى عن بني إسرائيل بعدما عبدوا العجل فقال تعالى : {وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون. ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون} (البقرة) والآيات في ذلك كثيرة.

ومن الأحاديث التي تبين أن الشكر يكون في مقابلة النعمة قوله {صلى الله عليه وسلم} (عجبت من أمر المؤمن إن أمر المؤمن كله له خير - وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن - إن أصابته سراء شكر كان ذلك خيراً) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند فجعل عليه الصلاة والسلام الشكر في مقابلة ما يسر الإنسان ورواه الإمام مسلم. وكذا قوله {صلى الله عليه وسلم} (الطاعم الشاكر كالصائم الصابر) رواه البخاري في الأطعمة. فجعل {صلى الله عليه وسلم} الشكر مقابل الإطعام، وقوله عليه الصلاة والسلام: (وإن تنعم تنعم على شاكر) متفق عليه.

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام (واجعلنا شاكرين لنعمتك) رواه أبو داود. والأحاديث في ذلك كثيرة مستفيضة. فعرفنا من هذه الآيات والأحاديث أن الشكر يكون في مقابلة النعمة ويكون تعظيماً للمشكور واعترافاً بنعمته.

أما الحمد فإنه الذكر بالجميل للمحمود على جهة التعظيم ويصح أن يكون على نعمة وعلى غير نعمة فمن الحمد مقابل النعمة قوله تعالى: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلا وسعها، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون. ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار. وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله} (الأعراف). فجعل الله نعمة الحمد في مقابل هذه النعم الجليلة، وقال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: {الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق} وقال تعالى مخاطباً سيدنا نوحاً عليه السلام: {فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين} المؤمنون. وقال تعالى: {وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين. وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين} (الزمر). وقد يكون الحمد بدون مقابل نعمة كقوله تعالى: {وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا . ولم يكن له شريك في الملك} الإسراء. وقال تعالى: {ضرب الله مثلا عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون} (النحل). وقال تعالى: {الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم} (غافر) فهم يسبحون الله ويحمدونه على جهة التعظيم دون ذكر للنعمة.

وفرق آخر بين الحمد والشكر أن الإنسان قد يحمد نفسه في أمور جميلة طيبة يأتيها فيذكر ما عمله من كرم أو علم أو شجاعة، ولكن لا يجوز أن يشكر الإنسان نفسه، لأن الشكر يكون في مقابلة نعمة من إنسان على آخر فهو بمثابة الدّيْن ولا يجوز أن يكون للإنسان دين على نفسه.

فالاعتماد في الشكر على ما توجبه النعمة وفي الحمد على ما توجبه الحكمة ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفر، فالشكر إظهار حق النعمة لقضاء حق المنعم كما أن الكفر تغطية النعمة لإبطال حق المنعم.

ونقول أيضا ويمكن أن تضيف شيئا آخر وهو أن الحمد يكون باللسان فقط فتقول الحمد لله والشكر يكون باللسان وبالقلب والجوارح قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا

أمُّ اللغات

شعر: ابراهيم الصعبى
- فلسطين -

أنا صبّ بحبّ الضاد هاما
فعذراً إن قسا شعري ولاما

إذا ما كان للضاد انتسابي
أألقى دون ما تلقى لثاما

إذن ما كنتُ منها صوت حقّ
ولا كنت الذي حفظ الذماما

لنا لغة الإله، أبٌ .. وأمٌّ
وحقٌّ أن نزيدهما احتراما

بها أوحى الإله لنا كتاباً
به سُدنا .. وحرّرنا الأناما

وأبقى كلَّ ما فيه جديداً
لنمضي دائماً .. أبداً .. أماما

فيا أمَّ اللغات سلمت أمّاً
تهيبُ بنا أن اطّرحوا الخصاما

ويا أم اللغات سلمت أمّاً
بها نزداد عزاً واعتصاما

ورثنا من فصاحتها كنوزاً
بها رُفعتْ لنا في الدهر هاما

أما مَنَحَتْ علوم الأرض روحاً
وزادتها ثراء .. وانسجاما

ولولاها لما اتحدتْ قلوبٌ
على التقوى .. ولا زدنا التحاما

شموس الحق نحن إذا اتحدنا
فلن تلقَ الظلوم ولا الظلاما

أبعاد العرب على اللغة العربية

وضعت اللغات لدى شعوب الأرض لإقدارها على التفاهم والتواصل، وحملت اللغات رسالات السماء إلى الأرض، وتمكن الخلق بواسطتها من تنظيم فكره وتطويره.

واللغة العربية حملت آخر تلك الرسالات، وأريد لها أن تكون لسان الوحي، وقُدّر لها أن تستوعب دليل نبوة الإسلام، واختزال مضامين الرسالات السابقة، والانطواء على المنهج الذي ارتضاه الله لخلقه إلى يوم الدين[١].

«وقد كانت دراسة اللغة العربية عند الأقدمين مرتبطة بالعامل الديني، ونتيجة لهذا الارتباط الوثيق فقد خلفت لنا العصور الأدبية على امتداد التاريخ اهتماماً كبيراً بلغة القرآن سواء فيما يتصل برصد مروياتها من الآثار الأدبية من شعر ونثر، أو فيما يتصل بإحصاء مفرداتها، وتسجيل أوابدها وغرائبها في المعجمات والقواميس اللغوية، أو فيما يتصل باستنباط القواعد والأسس التي تُعني بسلامتها، والمحافظة على أصولها الموروثة، ووضع الدراسات اللغوية الخاصة باكتناه أسرارها، والكشف عن خصائصها ومميزاتها»[٢].

ويقرر هذا أبو منصور الثعالبي (٣٥٠ ـ ٤٢٩هـ)، إذ يقول: «من أحب الله ـ تعالى ـ أحب رسوله محمدا {صلى الله عليه وسلم}، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه؛ اعتقد أن محمدا {صلى الله عليه وسلم} خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد.

ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة، وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء، والزند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة التبصر في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان لكفى بهما فضلا، يحسن فيهما أثره، ويطيب في الدارين ثمره»[٣].

فاللغة العربية ليست مادة لفظية وأصواتا مسموعة فحسب، لكنها ـ إلى جانب ذلك ـ طاقة فكرية وعلمية وشعورية تحمل في مضمونها فعاليات النشاط الإنساني والحضاري بأبعاده وألوانه.

والعالم بدوله وشعوبه لن يفهم العرب حق الفهم، ولن يدرك الإسلام وحضارته تمام الإدراك إلا بواسطة اللغة العربية ذلك المفتاح السحري القادر على إزاحة الستار الحديدي أمام العالم لفهم حقيقة العرب والمسلمين[٤].

وجوب تعلم اللغة العربية:

والعربية ليست كأية لغة من اللغات الأخرى؛ بل هي فريدة من نوعها؛ اصطفاها الله من بين اللغات جميعا لتكون وعاء لكتابه الخالد: (القرآن الكريم) كما اختارها لتكون لسان نبيه الأمين؛ لذا أوجب الشارع الحكيم تعلمها، حتى يفهم مقاصد الكتاب والسنة.

يقول الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: «فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله

بقلم : د. محمد السيد على بلاسي
ـ عضو اتحاد كتاب مصر ـ

ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك»[٥].

وأرجع شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ رحمه الله ـ الخلط في الدين ـ عند أهل البدع ـ إلى قلة فهم اللغة العربية، فيقول: «لابد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ وكيف يفهم كلامه. ومعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه وكذلك ضلال أهل البدع كان لهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك»[٦].

ويؤكد هذه الحقيقة الجاحظ (١٥٩ ـ ٢٥٥هـ) إذ يقول: «للعرب أمثال واشتقاقات وأبنية وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإراداتهم.. فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنّة والشاهد والمثل، فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم، وليس هو من أهل هذا الشأن هلك وأهلك»[٧].

من هنا، أوجب شيخ الإسلام ابن تيمية على المسلم تعلم اللغة، فقال: «إن معرفة اللغة من الدين ومعرفتها فرض واجب، وإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[٨].

ولعل هذا هو ما دفع العلامة أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) إلى إفراد باب في كتابه (الصاحبي) تحت عنوان: «باب القول في حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللغة العربية»، يقول فيه: «إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلم من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب حتى لا غناء بأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله ـ جل وعز ـ وما في سنة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بدا»[٩].

وغاية القول: أن فهم النصوص هو منطلق البحث عن الأدلة الشرعية، والفهم موكول إلى المعرفة الدقيقة باللغة، وبتصاريف القول فيها: إذ لا يتأتى استنباط حكم لا تقتضيه طبيعة اللغة.

فالمعنى الشرعي يؤخذ من الدليل اللفظي. وقد يستدل عليه بغير اللفظ ولكن يظل اللفظ دالا على المعنى التابع لقصد المتكلم. فاللفظ في تصور الأصولي هو دليل الحكم على صحة الفكر أو خطئه؛ إذ اللغة ترجمة لما يجرى في الفكر؛ من هنا أخذت اللغة عند الأصوليين منحنى علميا، أصبحت به وسيلة لاستنباط الحكم، تتجه الى الاصطلاح وتخاطب العقل.

والشافعي في وضعه للأصول المعتمدة في فهم النصوص وتأويلها اعتمد منطق اللغة العربية. وقد أورد السيوطي (٩١١هـ) قول حرملة بن يحيى «سمعت الشافعي يقول: «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم الى لسان أرسطو طاليس.. ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلا على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لا على مصطلح اليونان، ولكل قوم لغة واصطلاح»[١٠].

وهكذا يتضح أن المنهج في استنباط الحكم من النص أسس على منطق العربية، وابن خلدون وهو يؤرخ للعلوم في الحضارة الإسلامية أطلق علوم اللسان العربي على علوم العربية، وجعلها أركانا أربعة: اللغة والنحو البيان والأدب. وقرر أن «معرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من

الكاتب في سطور

- عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية
- عضو اتحاد كتاب مصر.
- خبير في منظمة الايسيسكو.
- شارك في العديد من المؤتمرات العربية.
- له جمهرة من المؤلفات.
- له مجموعة من المقالات والقصص في المجلات والصحف العربية.

العلم بلغة العرب واجب على كل مسلم

عمل المستعمر جاهداً لابعاد العربية، وتمكين لغته

صنائع الاستعمار في الشرق العربي كانوا اكثر خطورة على أمتهم من المستعمر نفسه

الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم، فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة»[١١].

الحملة على اللغة حملة على الدين:

بدهاء شديد ومكر خبيث اتخذ أعداء الإسلام اللغة العربية بوابة خلفية؛ للنيل من المسلمين وإبعادهم عن عقيدتهم، واستخدموا صنوفا من المكائد للوصول إلى مآربهم الخسيسة ومراميهم الدنيئة، وهي عديدة ومتنوعة!

ويحدد الأستاذ محمد قطب بعض الخطوات التي اتبعها أعداء الإسلام لضرب الدين عن طريق اللغة، فيقول[١٢]: حينما تولى (المستر دنلوب) القسيس الثرى عيَّنه كرومر مستشارا لوزارة المعارف - جاء دنلوب ليضرب الأزهر على الأسلوب البطيء الأكيد المفعول؛ ففتح مدارس جديدة تعلم العلوم الدنيوية، ولا تعلم الدين إلا تعليما هامشيا. أما من ناحية اللغة العربية: لغة القرآن الذي يحترق قلب الصليبية حقدا عليه، فقد خطط دنلوب لقتلها والقضاء عليها! فقد كان الراتب الذي يتقاضاه المدرسون من أصحاب المؤهلات العليا «اثنى عشر جنيها» إلا مدرس اللغة العربية وحده يتقاضى «أربعة جنيهات» وكان لهذا الوضع انعكاساته ولا شك سواء في داخل المدرسة أو في المجتمع.

ففي المدرسة: لم يعد مدرس اللغة العربية هو المقدم بل أصبح في ذيل القافلة يتقدمه المدرسون جميعا حتى ذووا المؤهلات المتوسطة، بل يتقدمه - في الراتب - فراش المدرسة - أحيانا - إذا كان ذا أقدمية؟!! ومن ثم لم تعد له كلمة في المدرسة، فلا هو مستشار في شؤونها ولا هو يشارك في شيء من إدارتها! ولم يعد له حتى عند التلاميذ أي احترام ولا أي حساب.

أما في المجتمع: فهو أشد ضياعا منه في المدرسة؛ فالناس جميعا يعلمون وضعه المالي ويعلمون أنه في ذيل القائمة وأن المدرسين الآخرين مقدمون عليه في الراتب والاحترام!

وهكذا يتحدد وضع مدرس اللغة العربية في المجتمع بقدر ما يتحدد راتبه ويصبح مادة دائمة للسخرية يتحدث الناس عن جهله وتخلفه وضيق فهمه وانحطاط مستواه الاجتماعي الفكري، وأشد ما يعاب عليه أنه لا يعلم اللغة الأجنبية! وحين أصبح مدرس اللغة العربية في هذا الوضع المهين الذي لا يبعث على الاحترام؛ فإن وضعه يؤثر حتما على المادة نفسها، وهذا هو الهدف المقصود!

وبالفعل انتقل هذا الوضع المهين المزْري من المدرس الى المادة؛ وبذلك أصبحت اللغة العربية موضع الازدراء والتحقير والنفور؛ فالطلاب يشكون من صعوبة اللغة من نحو وصرف وبلاغة ونصوص وأدب.

وهكذا صوبت السهام إلى اللغة العربية من كل جانب، ولم تعد شيئا يعتز به المسلم العربي كما كان يعتز به طيلة ثلاثة عشر قرنا من قبل، بل أصبحت معرة يسارع الإنسان إلى الانسلاخ منها وتمتين العيب فيها، والانتقاد عليها؛ لكي يصبح من المثقفين!! ولم يكن بد من أن ينتقل هذا الوضع المزري من اللغة ذاتها إلى ما هو مكتوب بتلك اللغة. وكان هذا هو الهدف

الأخيـر المطلوب من ذلك التـخطيط الخبيث!

فالمكتوب باللغة العربية هو ذات الأمـر كله، وهو القرآن الكريم والمطلوب هو: صـرف الأمـة عن تراثها كله وعلى رأسه القـرآن. وانصـرف الناس بالفـعل عن قـرآنهم وتراثهم بالتـدريج؛ فلم يَعـد يشعرون أنه هو الزاد إنما الزاد هو المكتـوب بلغـة السادة الغالبين!

وقد تم بالفعل صرف المسلمين في تركيا عن تراثهم الإسلامي بتـغـيـير الحروف العربية، وكتابة اللغة التركية بالأحرف اللاتينية على يد كمال أتاتورك وتصفية اللغة التركية من معظم الكلمات العربية التي تتضمنها؛ لتنشأ أجيال تعجز عجزا كاملا عن الاتصال بتراثها الإسلامي؛ فتنقطع عنه وتنشأ بلا دين وقد قامت في مصر محاولات مشابهة على يد عبد العزيز فهمي وغيره ولكنها ولدت ميتة ولم يُقدَّر لها النجاح.

وبعد: فلنفسح المجال لأديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعي؛ لنجدد معه صرخته التحذيرية التي تفضح النتائج المنشودة من وراء الحملة المسعورة على لغة القرآن الكريم، إذ يقول:[١٣] «ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار. ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة التي يستعمرها ويركبهم بها ويشعرهم عظمته فيها، ويحكم عليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد: فالأول: تحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا. والثاني: الحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسيانا. والثالث: تغيير مستقبلهم بالأغلال التي يضعها؛ فأمرهم من بعدها لأمره تبع».

أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تحل بكم الكارثة، وليت ساعة مندم ووقتها لا ينفع الندم!

**** بدهاء شديد ومكر خبيث اتخذ أعداء الاسلام اللغة العربية بوابة خلفية، للنيل من المسلمين وإبعادهم عن عقيدتهم»**

الهوامش:

(١) العلم باللغة العربية.. ضرورة عقيدية: للدكتور عباس أرحيله، ص ٨٢ - بتصرف يسير - (مقال منشور بمجلة منار الإسلام: عدد محرم ١٤١٥هـ).

(٢) مقالات وآراء في اللغة العربية: للدكتور حمد بن ناصر الدخيل، ص ٥٣، ٥٤، الطبعة الأولى - دار الشبل بالرياض، سنة ١٤١٥هـ.

(٣) فقه اللغة العربية وسر العربية: للثعالبي، (المقدمة) بتحقيق السقا وآخرين، ط. الحلبي سنة ١٣٩٢هـ.

(٤) مقالات وآراء في اللغة العربية: ص ٥٨ - بتصرف يسير.

(٥) الرسالة: للإمام الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر.

(٦) الايمان: لابن تيمية، ص ١١١.

(٧) الحيوان: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون ١٥٤/١، الطبعة الثانية - مصطفى الحلبي، د.ت.

(٨) اقتضاء الصراط المستقيم: لابن تيمية، ص ٢٠٧.

(٩) الصاحبي: لأحمد بن فارس، تحقيق احمد صقر، ص ٥٠، الطبعة الأولى - عيسى البابي الحلبي، سنة ١٩٧٧م.

(١٠) العلم باللغة العربية.. ضرورة عقلية: ص ٨٧. وانظر صون الكلام عن فن المنطق والكلام: للسيوطي، شرح وتعليق الدكتور سامي النشار، ص ٤٥، الطبعة الأولى - السعادة سنة ١٩٤٧م.

(١١) المرجع السابق: ص ٨٧. وراجع مقدمة ابن خلدون، تحقيق د. على عبد الواحد وافي ١٢٢٤/٣، ط٣٠ - دار نهضة مصر للطبع والنشر، سنة ١٩٧٧م.

(١٢) واقعنا المعاصر: محمد قطب ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(١٣) وحي القلم: الرافعي ٣٣/٢.

المرأة العربية

تأليف : عبدالله عفيفي

من حق هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة أن يطبع هذه الأيام، لأن الظروف التى حتمت تأليفه منذ أكثر من نصف قرن، قد توجب إعادة طبعه الآن، فقد كثرت المجلات الداعية الى التحلل، المغررة بالمرأة المسلمة كى تخالف نهج الله، كما كثرت الأفلام الداعرة المترجمة عن أوربا وأمريكا، وفيها ما يظهر المرأة عارية غير كاسية، وما يجعل كل رسالتها في الحياة اللهو واللعب والتمادى في الإباحية حتى كاد يقع في أذهان الناظرين والقارئين، أن التقدم الحضاري للمرأة لن يكون إلا بمظاهر النّزق الطائش وأن الاحتشام والتصون مدعاة تأخر وجمود! هذا ما كان بالأمس القريب، وهو اليوم أشد ضراوة، وأعظم فتكا، يقول الأستاذ عبد الله عفيفي، وهو من كبار الكتاب في عصره، وأحد الذين كان يشار إليهم بالبنان عند الصيال الفكرى في مسائل الأدب والتاريخ والاجتماع، يقول المؤلف في مقدمة كتابه[١]:

«لينهض النساء ما شئن أن ينهضن، ففي نهوضهن نهوضنا، وبلوغ غايتنا، ولكن ليحذر الأخذون بيدها، والداعون إلى نهوضها التواء القصد، والتباس الطريق فينالها الزلل وتلج بها العثرات حتى يقول قوم لقد كان ما كانت فيه خيراً وأبقى، ألا وإن من التواء القصد، وضلال الطريق أن ندع نساءنا يتخذن من المرأة الأوربية مثالا يحتذينه، ويمعنّ في التشبه به».

وكما حذّر المؤلف من التبرج الأوربي السافر، والتهتك الغربي الماجن، أراد أن يتخذ المثل للمرأة المعاصرة من سالف عهودها الزاهرة حين كانت تعتز بكرامتها، وعفافها، وقيادتها لمنزلها مدبرة ومنفذة ومقتصدة ولذلك ألف كتابه الرائع في أجزائه الثلاثة متحدثا عن المرأة في الجاهلية والإسلام وفي عصر الحضارة الزاهرة ببغداد والأندلس فجاء حديثه شافيا وافيا، مليئا بالمثل الصالحات!

والكتاب إلى خطته التوجهية ورسالته التربوية كتاب أدب حافل، وتاريخ زاهر. فما أكثر ما عرض من أدب المرأة شعراً ونثرا على مختلف العصور، وما أكثر ما عرض من مواقف البطولة والشرف والمروءة للمرأة العربية من أصدق المصادر وأوثقها رواية، وفي هذا الكتاب الرائع من الشعر الخاص بالمرأة ما لم يوجد شبيهه في كتاب آخر، لأن مصادره المخطوطة قد جاءت للقراء بما كان بعيدا عن تناولهم، أما لغة الأستاذ في تدوين كتابه، فلغة المدرسة البيانية في الأدب العربي التى رفرفت بأسلوبها النقي في أوائل هذا القرن، لغة المنفلوطي والرافعى والزيات وصادق والبشري، وهى لغة ينكرها اليوم من يحسبون كتابة الأدب لا تخرج عن أحاديث المجالس، والأستاذ المؤلف كان خطيباً رائعاً يرسل خطبه الدينية في المواسم المشهودة لأنه كان إمام جلالة الملك الرسمي، وله مركزه الدينى جوار مركزه الأدبي، وجرائد الأهرام والبلاغ وكوكب الشرق تنطق بآثاره، هذا غير مؤلفاته الأخرى ذات القدر المشهود.

وقد ابتدأ المؤلف بحديثه عن المرأة الجاهلية، فأظهر مكان العزة في تاريخها. ومكان الضعف لدى من ظلموها بغير حق، وقد أسعفه تاريخ الجاهلية بمواقف رائعة منها شجاعة المرأة في أيام العرب الحربية، وكرامتها عند قومها مستشهداً بشموخ عمرو بن كلثوم ومصرع ابن هند على يديه لتجاوزه طوره في إهانة المرأة، وبسبب حرب البسوس التى انتشرت أربعين عاما، حفظاً لكرامة لاجئة استعاذت بعربي، وهذا مع ما كان من أمر الشهيرات في عرب الجاهلية من أمثال زينب ملكة تدمر، وبلقيس ملكة سبأ، والزباء غريمة جذيمة الأبرش أما سمو أدبها ونفاذ لبها فشواهده كثيرة فيما اثر عن عزتها



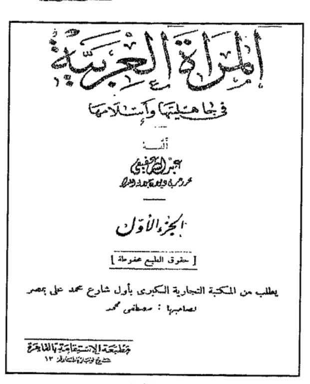
بقلم: أ. د. محمد رجب البيومي
عضو مجمع البحوث الإسلامية - المنصورة

وحريتها وحياتها الزوجية وكرامتها على بعلها وسعة حيلتها في مواقف الضنك مع الالمام بطرائف رائعة عن الشهيرات من امثال الخنساء وهند بن عتبة وزوجة الحارث بن عوف وسفّانة بنت حاتم الطائى ومارية زوجة حاتم.. ولم يسق كل هذا سوقا دون ترتيب بل جاء محكم الرد، متتابع المواقف، بارع التحليل، حتى اصبحت الحادثة على يراع المؤلف اكثر ضوءا منها في اصلها المقتبس منه لأنها لدى المؤلف ذات تمهيد وتحليل واستنتاج مع بيان عربي شفاف.

وقد أفاض المؤلف الكبير في حديثه الشامل عن المرأة في عامة حياتها، اذ كتب فصولا شائقة عن الحجاب والسفور، والثياب والحلي وأدوات الزينة، وملابس الحرب حين تنهض المرأة لمداواة الجرحى واسعاف العطشى، بل حين تمتشق السيف لتحارب مع الرجل في ساحة الهول، اما مظاهر العرس والمأتم فقد أبدع المؤلف في كل ما ذكره عن يوم الإملاك ويوم البناء ويوم الحداد، وألحق ذلك بحديث عن صفات الجمال عند العرب جمعه من مصادر شتى عسيرة المنال.

ومن أحسن ما طربت له في هذا الكتاب ما جاء خاصة بفصاحة المرأة، اذ استشهد المؤلف بروائع زاهية من الادب العربي هتفت بها المرأة في حومة البيان، وفيهن من وصفن الرجال فأجدن الوصف، أما ما ذكره المؤلف تحت عنوان «عيون من الشعر» فكله مختار جيد ويصح ان يحفظ في الصدور لأن ما أثر عن المرأة من لواعج الحنين الى الوطن والبكاء على الراحلين من أبناء وآباء وأزواج وأخوة مما يلفح باللوعة الكاوية، والشجن المذيب، حتى ليجوز لنا أن نقول: إن الكتاب على هدفه التربوي، ونهجه الاصلاحي، مختارات أدبية للشعر النسوي البليغ، وقد قرأت بعد صدوره كتبا خاصة بشعر المرأة مثل كتاب «شاعرات العرب» وغيره، فوجدتها كلها قد نقلت كل ما جاء به الاستاذ عبد الله عفيفي لم تترك منه بيتا واحدا.. وهو إجماع يشهد بحسن التتبع، وسلامة الذوق في الانتقاء والاختيار.

وهذا كلّه عن الجزء الأول الخاص بالمرأة الجاهلية، أما المرأة في صدر الإسلام فقد ابتدأ المؤلف حديثها بالجزء الثاني فجاء في عدة فصول ضافية يصلح


المرأة العربية
في جاهليتها وإسلامها
ألفه
عبد الله عفيفي
[illegible]
الجزء الأول
[حقوق الطبع محفوظة]
يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد
مطبعة الاستقامة بالقاهرة
[illegible] ١٣

غلاف الكتاب

الفصل الواحد منها أن يكون كتاباً برأسه، وقد تجنب الأستاذ عبد الله عفيفي فضول القول الذى نلمسه عند من يريدون أن يظهروا براعاتهم من المؤلفين، حيث يأتون بالموقف الواحد فيخوضون فيما حوله وما بعده من أمور لا تتعلق به، ويطيلون في تخيلات عقلية هي في رأيهم مما يدل على سعة النظر، وعمق التحليل، والحق أن الشيء إذا تجاوز حده انقلب إلى ضده، ووقت القارىء أهم من أن يضيع في استطرادات لا تخدم الموضوع قدر ما يريد بها المؤلف أن يعلن سهولة القلم في يده، وسيره حيث يريد، وفي الفصل الأول حديث عن زهو المرأة العربية في عزّ الإسلام، وأثر الدين في تربية الرجل والمرأة معا وذلك من خلال أحداث مشهودة روتها كتب السيرة وصحائف التاريخ، ومن أهمها حديث الوأد الذى حرمه الإسلام وما كان من قيس بن عاصم وموقفه من فتاته الضحية المسكينة، وحديث السباء في الجاهلية وما كان من نظرة الإسلام له. وميراث البنات، والحكمة في مشروعيته على الوجه المقرر.

أما حقوق المرأة في الإسلام ففصلٌ مستوعب دقيق، يجمع الى الاقوال الشرعية الأحداث التاريخية، وقد تضمن شذورا تتحدث عن كرامة المرأة في

الاسلام، وقذف المرأة المسلمة وما أعده الله بسببه من عقاب مع الرد على من ذهب منْ كُتَّاب الفرنجة الى أن المرأة في الإسلام سجينة البيت ورهينته وأنه لا نصيب لها من الحرية والتصرف المالي واحترام رأيها فيمن تريد من الأزواج! والغريب أن هذه المفتريات مع بطلانها السافر وكثرة ما تُدُوول حولها من الرد القامع تجد من يرددها الآن، أما تعدد الزوجات فما اكثر ما انتقصه الذين يهرفون بما لا يعرفون، وكان المؤلف حصيفا حين نقل عن كتاب الفرنجة انفسهم ما يؤيد التعدد المباح إذا دعت اليه الضرورة، وكثيرا ما تدعو، وهذا التعدد افضل بكثير من نظام المخالة الذي شاع في اوربا بحيث أصبح للرجل زوجة واحدة وعدة خليلات تَراهُنّ الزوجة رأي العين ولا تستطيع ان تنكر بل ربما جرها ذلك الى خيانة الزوج فتكون خليلة لشخص آخر من وراء ستار! وقد نقل المؤلف عن الاستاذ جوستاف لوبون قوله في كتابه «حضارة العرب» (ليس بالهين اليسير أن تدرك اسلوبا من الحياة لأمة من الأمم حتى تفترض كونك في هذه الأمة يحيط بك ما يحيط بها ويحتكم بذات نفسك ما يحتكم بذوات نفوسها. فأما أن تحكم وانت متأثر بطبائع قومك وعاداتهم، وما يحيط بك من وسط ومن بيئة وجو على نظام قوم لا يشاكلونك في شيء مما أنت فيه فذلك ليس من الرأي في شيء).

وهذا القول قاله جوستاف لوبون في مقدمة حديثه عن تعدد الزوجات في الإسلام، وقد اختاره المؤلف وأيده، ولكني أرى أن مسألة تعدد الزوجات انسانية عامة قبل أن تكون خاصة بالشرق والشرقيين ونظام الأسرة في جوهره لا يختلف باختلاف البلدان والأزمنة، فالرجل شرقيا كان أو غربيا، قد يحتاج الى التعدد لضرورات كتبها علماء الاجتماع وبسطوا حديثها الشافي في عدة صفحات! وقد كانت الحرب العالمية الثانية وما تركت من الأرامل الكثيرات في اوروبا جميعها سببا في المناداة بنظام التعدد، وهنا يكون التعدد أمرا عاما لا يخص إقليما أو دينا بعينه، على أن الإسلام دين عالمي لا ينحصر في مكان واحد، وكل من يعتنقه في الشرق والغرب ملزم باتباع شريعته، وما جاء في كتاب المرأة العربية عن ضرورة التعدد في بعض الأحيان الملزمة، لم يخص شرقا بالحديث، بل خص الناس جميعا، وهو ما يجب مراعاته دون التباس.

ومن أجمل ما تحدث به الأستاذ عفيفي في هذا الجزء حديثه عن تأثير المرأة العربية في نهضة الإسلام، وهو حديث يغفله من يصممون على أن المرأة المسلمة قعيدة المنزل، وسجينة الحجاب، إذ كان للمرأة في الإسلام مواقفها البارزة في الحرب والسياسة! وحروب الجمل والخوارج فضلا عن غزوات الرسول في صدر الإسلام تُقدّم نماذج رائعة من جهاد المرأة، وما اصطلى معاوية بجمرة الغضب على حلمه المعهود. إلا لما سمع من خُطب نصيرات عليٍّ ودفاعهن عن موقفه بحجج لا ترد وفي هذا الفصل إلمامة بمواقف اسماء بنت أبي بكر، وأسماء بنت عميس، وفاطمة البتول، وهند بنت زيد، وصفية بنت عبد المطلب وأم سلمة ونائلة وعمرة.. وقد انتهى المؤلف من حديث الحرب والسياسة ليتكلم عن أثر المرأة في العلم والأدب، فرجع الى ما ذكره الحافظ ابن حجر في تاريخه عن النساء العالمات في عصره، وإلى ما قاله الحافظ ابن كثير من أنه تلقى الحديث على بضع وثمانين امرأة كلهن محدثات، أما رواية الشعر لديهن فمما فاضت به كتب الأدب ونقل المؤلف شذورا منها تتصل بعائشة بنت طلحة، وعمرة الجمحية، وسكينة بنت الحسين، وعاتكة بنت زيد مستشهدا بأقوال للفيلسوف الفرنسي جوستاف لوبون وغيره من المنصفين، وكما ختم حديث المرأة الجاهلية بنصوص شعرية ونثرية مما قالت المرأة، ختم حديث المرأة الإسلامية بأمثال هذه النصوص، وبالموازنة بين العهدين نجد النصوص الإسلامية أغزر مادة، وأوفى حجاجا، وأعظم ثوْرة على البُغاة والمغتصبين، أما شعر الحنين المروي على لسان المرأة في هذا الجزء فمما يجب أن يحفظ، ولا أزال أترنم ببعض ما جاء به كقول فتاة أعرابية احتملها زوجها إلى مكان قصيٍّ مفارقة ذوى قرباها:

ألا أيها الركبُ اليمانون عرجوا
علينا فقد أضحى هوانا يمانيا
نسائلكم هل سال نعمان بعدنا
وحُبَّ إلينا بطن نعمان واديا



فـــإن بـه ظـلا ظليـــلا ومــوردا
به نُقع القلب الذى كــان صــاديا

وقد ختم الجزء الثاني بفصل رائع تحت عنوان «آخر صفحة من كتاب العظائم» تحدث فيه المؤلف عن السيدة زبيدة بنت جعفر زوجة الرشيد، فأفاض في مآثرها النفسية وسماتها الخلقية، وتحدث عن إنشاء (عين زبيدة) بالبلد الحرام مبينا مالاحظته من شدة احتياج ضيوف الرحمن إلى الماء بمكة، وما كانوا يقاسون في حمل القرب على ظهورهم من الأمكنة البعيدة، وقد عز الماء سنة حجها حتى صارت القربة تباع بدينار، فدعت خازن أموالها وأمرته أن ينهض بحفر عين مائية قائلة له: لو كلفتك ضربة الفأس الواحدة ديناراً فلا تُحْجم! فقام بالأمر على وجهه وسيق بعض الماء من جبال طاو على بعد خمسة وثلاثين كيلومتر من مكة، وكذلك سيق الماء من مجرى آخر بوادي النعمان على بعد عشرة كيلومترات، وتلك همة لا ينهض بها إلا أعظم الرجال!

وقد جره حديث السيدة زبيده الى الدفاع عن ولدها الأمين، وما ذكره المؤلف أقوى ما قرأت في موضوعه لأن أكثر المؤرخين قد تحيفوا المغلوب فوصفوه بما ليس فيه. ومما قاله المؤلف:[٢]:

«استغفر الله، ما كان الأمير خليعا ولا مائعا ولا مارقا، ولا سرفاً في دينه ودنياه، بل كان شأنه كشأن أبناء النابهات من العرب، كف ندية، وهمة قصيّةٌ، وفطنة هاشمية، ولكن المرجفين من شيعة المأمون وقالة السوء من شعوبية الفرس الحقوا به ما ألحقوا ظلما وزوراً لأنه اعتصم بالعرب وجعلهم حزبه وشيعته! يقولون إن الأمين قد أسرف في الشراب، ولكنهم كذبوا، لقد علموا أن الرشيد قد حدَّ ابنه المأمون في الخمر وما هو شرٌّ منها، أما الأمين فلم يكدْ يلي أمر المسلمين حتى ارتهن أبا نواس في سجنه وطال فيه بلاؤه وعناؤه!».

أما الجزء الثالث فحديث عن المرأة في عصر بني العباس ببغداد وعن المرأة في الأندلس، وقد تبدلت الحال غير الحال لما جرّه الترف والنعيم من لذائذ المتعة، ومناعم الشهوات، وقد كان للفرس التأثير الأكبر في قصور الخلفاء ومن تتبعهم من الوزراء والقواد والحكام فانعقدت مجالس اللهو، واستبيحت الخمر، وكثرت الجوارى كثرة هانت بجوارها مكانة المرأة العربية في كثير من المنازل والبيوت، يقول المؤلف:

«وأراد الفرس أن يخمدوا آخر جذوة من الحمية العربية فأجلبوا عليهم بكل ما يوهن النفوس ويصبي القلوب من سماع وشراب وكواعب أتراب وأغرقوهم في بحر طام من السرف والترف والزهو واللهو، والمحارم والمآثم ولم يمض غير قليل حتى راح العرب يخطرون في مطارف الفرس ويلعبون في ملاعب الفرس ويتخلقون بأخلاق الفرس، والمرأة والرجل كقُوّتي الكهرباء إذا تأثر أحدهما تأثر الآخر وكذلك بدأت المرأة العربية تتأثر».

وتمثيلا لما تقدم من مظاهر التغير المنحرف عند المؤلف كتب فصولا طويلة عن الجواري وأثرهن في المجتمع العباسي وعن الديارات وما احدثت من الفتنة بين المسلمين، إذ كانت مأوى الخلعاء والمتبطلين، وبها تشرب الخمور ويسمع الغناء ويكثر الغلمان والجواري والراهبات، هذا الى ذيوع البغاء والحانات واماكن الرجس، والصورة بهذا الوضع قاتمة حقا ولكن المؤلف قصر حديثه على الجواري والديارات والمواخير ليصوّر هذا المجتمع، وعذره أنه يتحدث عن المرأة ولو كان الحديث عاما لنظر الى الناحية الثانية في بغداد ناحية الزهاد والفقهاء والمتكلمين وهم عصبة خير تلوذ بالفضائل وتنأى عن الشهوات! فيُكوِّنُون الكفّة المقابلة للكفّة التى تحدث عنها المؤلف! وشبيه بما تحدث به عن العراق جاء حديثه عن الحياة في الأندلس واثر المرأة في هذه الحياة ومن نبغ من الأندلسيات في الشعر والأدب والغناء ثم انتقل الى تسرب الوهن في المجتمع الأندلسي. وانسياق الأسر الاندلسية في مساق الفرنجة مما تمخضت عنه النكبة الحاقة بالأندلس فكانت عثرة لا تُقال.

ألا يرى معي القارىء أن الكتاب موسوعة نادرة، وأنه جدير بالذيوع ليؤدي رسالة حاضرة أداها من قبل في زمن قريب! وجاء موعد أدائها الآن بعد أن اختلطت الأوراق واشتبهت الأمور؟!.

كهفان

عمار صبيح التميمي
- صنعاء -

غيَّبوا (يوسفَ) الجميلَ وغابوا
فعلا وجْهَهُ الأنيقَ اكتئابُ
أهي اللعبةُ الجديدة حقاً
ويح ما قد تهامس الأترابُ
صاح: (يا إخوتي لقد ملَّ قلبي)
فأتاه الصدى المخيفُ اليبابُ
وي كأنَّ الرَّدى سيولدُ فيها
(يوسفُ) الآن قد أتاك الصوابُ
صرخ الليلُ بين جفنيك حتى
تلمح البحرَ قد عراهُ اصطخابُ
ثمَّ أهمت سحائب من لهيب
أحرقت صوته الطريَّ السحابُ
وتلوَّت مرافىء الأفق حيرى
إذ يواسيك بدرُها الوهَّابُ
فجأة جاءه نبوءة مغبو
نين في الجُبِّ اذْ يعمُّ المُصابُ
سبقوا (يوسفاً) إلى الجُبِّ هذا
مثلما يسبقُ البكاء انتحابُ
ثمَّ ماذا ..؟ وكلُ شيء مخيفُ
العذابُ الذي اقتفاه العذابُ
والصحابُ الألى قد امتهنوا الغر
بة ما عاد يُرْتَضى الاغترابُ

* * *

كيف تبكي؟ وفي دماك بلاد
تسع الأفق بيدها والهضاب

غير أنّ المكان يمتدُّ درباً
موحش الخطو يرتديه السرابُ

انه مثلما المدى بين ماضيك
وأرض كالهمس فيها الترابُ

هكذا قام يوسف ليراها
أرضه الحلمُ والجمالُ المذابُ

وعدا خلفه بقيةُ عذر
أنّ أهليك لم يصلهم عتابُ

انها الجنة التي كنت تبغي
صيفها والشتاء شيء عجابُ

عطرها من مفاتن الخلد لو كان
على الخلد من ضباب ضبابُ

شجرٌ وارفُ الظلال وعُشْبٌ
ونخيلٌ وجارياتٌ عذابُ

وحسانٌ تطوفُ حولك كالـ
ـسحر كُسالى وما ترى يُستجابُ

إنّ هذي هي الحياة وهذي
هي جناتُ عيشها لا الجبابُ

* * *

غير أن الحنين لازال حياً
ملؤه الدمع والهوى والعتابُ

يتراءى له بقية عمر
أشْعَث حوله المُدى والحرابُ

وبقايا لحلمه قد تبدى
أبيض اللون يعتليه ارتقابُ

يتملاه (يوسف) بذهول
كسؤال يضيع منه الجوابُ

إنتاج واستهلاك، وتكال

يحتل الغاز الطبيعي موقعاً مهماً في سوق الطاقة الدولي، وهو كالنفط يمكنه أن يلبي مدى واسعاً من احتياجات الطاقة، ابتداء من استخدامه في توليد الكهرباء، وفي التدفئة السليمة بيئياً، إلى استعماله كوقود في البويلرات. ولكن تكلفة نقله - على العكس من النفط - مرتفعة، الأمر الذي يؤدي إلى استهلاك الجزء الأكبر منه في نفس الدولة التي تنتجه، وهو من هذه الناحية يشبه الكهرباء، وإلى حد ما الفحم. ولهذا السبب أيضاً لا يوجد سعر عالمي للغاز الطبيعي كما هو للنفط والفحم، وسوقه تعتبر سوقاً هشة وأنماط الاتجار به غير مرنة، مما يستدعي أن تكون كل صفقة تتعلق بالغاز مفصلة ومحددة.

وهنالك أفضليات بيئية مهمة ترتبط بالغاز الطبيعي الذي يعتبر وقوداً أنظف من النفط والفحم. وعلى مخططي الطاقة وصانعي السياسة أن يضمنوا تقييم المشاريع التكاليف والعوائد البيئية النسبية للغاز ولأنواع الوقود البديلة الأخرى.

وتحت مثل هذه الظروف ليس غريباً أن تختلف أسعار الغاز بشكل واسع في أرجاء العالم، أو أن تكون هناك دولة ما تعتمد اعتماداً كبيراً على الغاز في توليد الكهرباء في حين تقتصر دولة جارة لها على استخدام الغاز في إنتاج الأسمدة والبتروكيماويات. وتنتج مثل هذه التفاوتات الظاهرة بسبب خليط من القوى السوقية والتقنية يجعل من اقتصاديات الغاز الطبيعي موضوعاً متنوعاً ومثيراً للاهتمام، إلا أنه لم يفهم جيداً بعد ولم يتابع بشكل واسع. وعلى الرغم من وجود أسواق غاز ناضجة ومؤسسة منذ فترة طويلة في الدول الصناعية ، إلا أن تقنيات التنظيم والتسعير هي على الأغلب نتاج حوادث تاريخية مبنية على تطبيق غير مناسب لمبادىء المحاسبة على اهتمامات اقتصادية جوهرية.

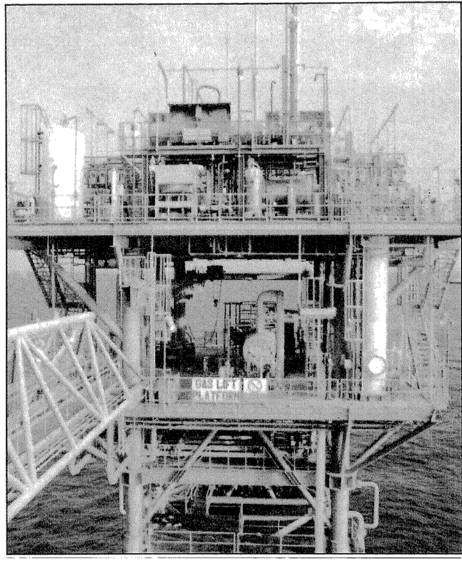
أما في الدول النامية فإن هذه الاهتمامات نفسها تتنوع بشكل واسع مثلما تتنوع محاولات معالجتها، ولدى البعض تبدأ المشاكل عند رأس البئر. ولقد استعارت هذه الدول أنظمة تسعير المُنتج وأنظمة الضريبة من صناعة النفط، ولكنها إن لم تستطع تعديلها لتتناسب مع الوضع الخاص للغاز فإنها سوف تصيب عملية تطويره بعجز خطير. وفي بلاد نامية أخرى تكمن المشكلة الرئيسية فيها في أسعار المستهلك، فيجب أن يكون الغاز منافساً لكافة أنواع الوقود الأخرى وفي مجالات استعمال مختلفة، وهذا الأمر عادة ما يدفع الحكومات إلى محاولة (تحريك السوق) بتطبيق عدد كبير من تعرفات معقدة للغاز ومحددة لحالات متنوعة، وإن لم تحسب هذه التعرفات بشكل دقيق، ولم تعدل في كل مرة تتغير فيها عوامل وأسعار الطاقة الأخرى فإنها سوف تمثل حافزاً ضعيفاً، والكثير من عدم التأكد لدى العملاء المحتملين الذين يفكرون في التحول الى الغاز. وفي الكثير من الدول النامية ليست فقط أسعار الغاز بحاجة الى توجيه بل كل أنواع المسائل المتعلقة بتطوير الغاز، وتتضمن هذه المسائل؛ موقع الغاز ضمن الاستعمالات التنافسية، وتتابع تطوير الحقل، وتخفيض معدلات حرق غير المستغل منه، وسرعة استنزافه، وغيرها الكثير. إن الأحكام التجريبية التقليدية المذكورة في

بقلم : نايف العبادي
الاردن

ـيف استغلال الغاز الطبيعي

الكتب الهندسـيــة لا تكفي لمعالجة مثل هذه المسائل، فالأمر يتطلب إطار عمل شامل من التحليلات التي يمكن تطبيقها بشكل معقول على الظروف الاقتصادية والتقنية الخاصة بالغاز.

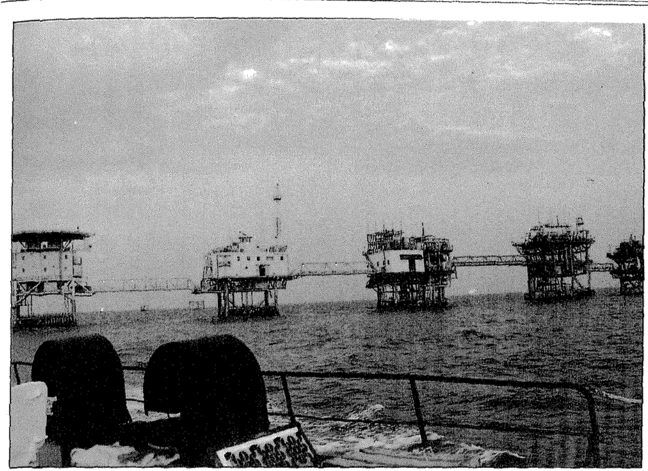
وفيما يتعلق بالعرض والطلب على الغاز فإنهما يتوزعان بشكل غير عادل ما بين الدول، ففي عام ١٩٨٩م كانت أكثر من ٥٠٪ من احتياطات العالم من الغاز الطبيعي المؤكدة، والبالغة ١٦١ تريليون متر مكعب، تقع في الدول النامية ومن ضمنها دول أوبك، في نفس الوقت فقد بلغ استهلاك هذه الدول ما نسبته ١٧٪ من استهلاك العالم الكلي للغاز. ولقد بلغ المعدل العالمي للاحتياطات المؤكدة إلى الإنتاج الحالي ٥٤ عاماً تقريباً مقارنة مع ٤٥ عاماً بالنسبة للنفط. وهنالك اختلاف كبير في هذا المعدل ما بين الدول ويتراوح هذا الاختلاف من حدوده الدنيا البالغة ١٢٫٥ عاماً في أمريكا الشمالية الى مستوياته العليا البالغة ١٥٤ عاماً في نيجيريا و٥٧٧ عاماً في إيران و٦٣٢ عاماً في قطر. وتشير هذه الأرقام بأن هنالك مجالا مهماً للنمو السريع في



ـ وحدة رفع الغاز.

استهلاك الغاز في العديد من الدول خاصة في العالم النامي.

إن إمكانات النمو لإنتاج واستهلاك الغاز الطبيعي أكثر وضوحاً في الدول النامية منها في الدول الصناعية، فمن المتوقع أن ينمو الطلب العالمي على جميع أشكال الطاقة حتى العام ٢٠٠٠ بمتوسط معدل



- محطة التجميع.

سنوي مقداره ٦ر١٪ تقريباً مقارنة مع ٣٪ سنوياً في الدول النامية تقريباً حيث يتوقع أن يصبح الغاز الطبيعي في الأخيرة؛ الوقود الأسرع نمواً، باستهلاك يتزايد بنسبة ٨٪ سنوياً. وبمعدل النمو هذا فإن حصة الغاز الطبيعي في الاستهلاك الكلي للطاقة سوف تزيد من حوالي ١٠٪ في عام ١٩٨٨ إلى حوالي ١٨٪ في عام ٢٠٠٠.

إنتاج الغاز الطبيعي:

ارتفع الإنتاج الإجمالي العالمي والإنتاج المسوق للغاز الطبيعي ما بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٨م بمعدل سنوي بلغ ٣٪ ووصل إلى ٢ر٣ تريليون متر مكعب، ومع ازدياد إنتاج الغاز ازدادت أيضاً نسبة إنتاج الغاز إلى إنتاج النفط، ووصلت هذه النسبة الى ٥٩٪ في عام ١٩٨٨م. وقد نما الانتاج المسوق في الدول النامية خلال الفترة ذاتها بما نسبته ٨٪ ووصل الى ٣٣٣ بليون متر مكعب، أي زاد عن ضعفي مستواه في عام ١٩٧٥. وخلال تلك الفترة أيضاً قامت دول الأوبك تحديداً بالتخفيض فعلياً من إحراق الغاز بهدف التخلص منه، كما قامت بزيادة استهلاكها من الغاز الطبيعي.

وفي عام ١٩٨٨م تم إعادة حقن ما يقارب ٢٠٩ بليون متر مكعب من اجمالي انتاج الغاز في باطن الأرض بسبب عدم القدرة على استغلاله، وكانت الجزائر، والولايات المتحدة، وكندا، وفنزويلا، وايران، مسؤولين عن ما يقارب ٨٠٪ من إجمالي الغاز المعاد حقنه في الحقول. وهبط أيضاً مقدار الغاز المحرق بهدف التخلص منه في عام ١٩٨٨م الى ٩٢ بليون متر مكعب من مستواه الذي وصل في عام ١٩٨٠ إلى ١٦٤ بليون متر مكعب، أي بما يقل عن ٤٪ من الإنتاج

الإجمالي. وكانت دول الأوبك أيضاً مسؤولة عن ٤٩٪ من الإحراق الإجمالي العالمي للغاز الهادف للتخلص منه.

وقامت الدول النامية كمجموعة - ومن ضمنها دول الأوبك - بتسويق ٤٠٪ من إنتاجها الكلي الاجمالي، أما الباقي فقد أحرق بهف التخلص منه أو أعيد حقنه في الحقول. أما في الدول الصناعية فإن معدل الانتاج المسوق إلى الإنتاج الإجمالي كان أعلى بكثير، ووصل الى ٨٣٪ وفي دول أوروبا الشرقية كان هذا المعدل عالياً جداً حيث وصل الى ما يقارب ٩٧٪.

أما في ما يتعلق بتوزيع إنتاج الغاز الطبيعي عبر الدول المختلفة فقد كان لدى الاتحاد السوفيتي السابق أعلى إنتاج للغاز، ويقدر بما نسبته ٤٠٪ تقريباً من اجمالي العالم، وتتبعه الولايات المتحدة بنسبة ٢٤٪ من الإنتاج الإجمالي، وتليهما هولندا التي تأخذ الترتيب الثالث كمصدرة للغاز وبنسبة ٣٪.

استهلاك الغاز الطبيعي:

يصل استهلاك الغاز الطبيعي إلى ما نسبته ٢٠٪ من إجمالي الاستهلاك العالمي من الطاقة التجارية؛ وتراوحت هذه النسبة في دول أوروبا الغربية ما بين ١٥ إلى ٢٥٪ وبلغت في الولايات المتحدة حوالى ٢٠٪ وبقيت كذلك لعدة عقود متوالية، وتجاوز استعمال الغاز الطبيعي ما نسبته ٢٥٪ من استهلاك الطاقة التجارية في العديد من الدول النامية ومنها الباكستان والأرجنتين والمكسيك.

وقد شهد عقدا الستينيات والسبعينيات نمواً سريعاً في استهلاك الغاز، ويعود ذلك بشكل رئيسي إلى أن سعر الغاز كان منافساً مقارنة مع سعر النفط. ومع ارتفاع أسعار النفط والغاز معاً في نهاية السبعينيات، وتباطؤ نمو الطلب الكلي على الطاقة، فإن النمو فى استهلاك الغاز تباطأ أيضاً ليصل إلى معدل سنوي مقداره ٣٪ وذلك ما بين عامي ١٩٧٥ و١٩٨٨.

وقد تصدر الاتحاد السوفييتي السابق دول العالم في استهلاك الغاز بنسبة بلغت ٥٣٪ من استهلاك العالم الإجمالي، وكان ذلك نتيجة قيام الاتحاد السوفياتي السابق خلال الفترة ما بين ١٩٧٥ - ١٩٨٥ بزيادة معدل استهلاكه ليصل إلى ٣ر٦٪ سنوياً، وتليه أمريكا الشمالية كثاني أكبر مستهلك للغاز الطبيعي بنسبة بلغت ٢٤٪ من استهلاك العالم. وزادت أوروبا - ثالث مستهلك رئيسي للغاز في العالم - استهلاكها من الغاز الطبيعي بنسبة ١٣٪ من الإجمالي العالمي بمعدل بلغ ٣٪ سنوياً، وكان ذلك بشكل أساسي بسبب الزيادات في كل من فرنسا وإيطاليا والمملكة المتحدة. أما في اليابان فقد تضاعف استهلاك الغاز بما يزيد عن أربع مرات ما بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٨ ويعود ذلك بشكل أساسي إلى المقادير الكبيرة المستوردة من الغاز الطبيعي المسال (LNG).

وكان النمو الأكبر في استهلاك الغاز ما بين عامي ٧٥ - ١٩٨٥م في الدول النامية حيث تضاعف الاستهلاك تقريباً ليصبح ١٤٪ من استهلاك الغاز العالمي في نهاية الفترة أعلاه. وتزايد استهلاك الغاز الطبيعى بمعدلات سنوية بلغت ١٦٪ في أفريقيا، و١٠٪ في الشرق الأوسط، و٥٪ في أمريكا اللاتينية. ومن المتوقع خلال ما تبقى من عقد التسعينيات أن ينمو استهلاك الغاز للدول النامية بمعدل أعلى من أي مصدر طاقة آخر وبمعدل من المتوقع أن يصل إلى ٨٪ سنوياً. ويعود هذا بشكل رئيسي إلى الطلب المتوقع من قبل مستهلكي الطاقة الحاليين الذين يمكن أن يتحولوا إلى الغاز.

وبسبب خواص الغاز كأحد المواد المدخلة في الصناعة، وكوقود نظيف يمكن بسهولة إحلاله بدل مشتقات البترول، فقد دخل الغاز بقوة في كافة القطاعات المستهلكة للطاقة، باستثناء قطاع النقل، ويعتمد معدل تغلغل استهلاك الغاز الطبيعي في مختلف القطاعات المستهلكة للطاقة على اقتصاد الدولة، وعلى وضع الطاقة والصناعة فيها، وكذلك على الأحوال المناخية والديموغرافية فيها.

وتعتبر سوق الصناعة صاحبة الطلب الأكبر على الغاز، وهي - بشكل عام - تعتبر المرحلة الأولى للتنويع

في عملية تطوير صناعة الغاز. ففي عام ١٩٨٦ كانت هذه السوق مسؤولة عن ٢٨٪ من الطلب العالمي على الغاز، ومن المتوقع أن تزيد حصتها مع استغلال الغاز كمادة خام لإنتاج الأسمدة والميثانول، كما تستهلك هذه السوق حالياً ما نسبته ٦٪ من الاستهلاك الكلي من الغاز الطبيعي.

ووصل استهلاك سوق الطاقة الكهربائية إلى ما نسبته ٢٥٪ من الاستهلاك الكلي للغاز ومن المتوقع أن تزداد هذه الحصة مع استعمال تكنولوجيا التوربينات الغازية الجديدة. وتعتبر اليابان حالة استثنائية حيث أن ٧٥٪ من استخدام الغاز فيها كان في قطاع الطاقة الكهربائية، ويعود ذلك بشكل رئيسي لأسباب بيئية. أما حصة الطاقة الكهربائية من الغاز في الدول الصناعية الأخرى فهي أقل، فعلى سبيل المثال تقدر في الولايات المتحدة بما نسبته ١٤٪ وفي أوروبا ٥ر١٢٪. أما في العديد من الدول النامية ذات الاقتصاديات الأقل تنوعاً فإن قطاع الطاقة الكهربائية فيها يعتبر قطاعاً كبيراً متناميا، وهو غالباً ما يكون مسؤولاً عن ٣٠٪ من الطلب على الغاز.

ويعتبر طلب القطاع التجاري والسكني على الغاز من أجل التكييف، وتسخين المياه، والتدفئة كبيراً وخاصة في الدول الصناعية، ويقدر استهلاك هذين القطاعين ما نسبته ٢٦٪ من الاستهلاك العالمي للغاز. ويعتبر المناخ، وكثافة الإسكان ومستوى الدخل، من المحددات الرئيسية لمدى تغلغل الغاز في القطاعين السكني والتجاري. ويبقى سوق الغاز السكني في الكثير من الدول الصناعية السوق المتنامية الرئيسية. ويشمل السوق التجاري استخدام الغاز، في المكاتب، والفنادق، والمدارس، والمحلات التجارية. أما في الدول النامية فمع جوها الدافىء إلا أن استخدام الغاز التجاري والسكني قليل نسبياً. ومع ذلك وفي دولة كالباكستان، فإن القطاعين التجاري والسكني مسؤولين عن حوالي ١٥٪ من إجمالي الطلب على الغاز فيها.

إن نمط استخدام الغاز في الدول النامية مختلف جداً عن الدول الأخرى حيث تستعمل حصة كبيرة من الغاز ـ تصل إلى ما نسبته ٩٠٪ في قطاعي الصناعة والطاقة الكهربائية. ففي الباكستان على سبيل المثال؛ ٣٥٪ من استهلاك الغاز هو في قطاع الطاقة الكهربائية، و٣٥٪ في الصناعة، و١٦٪ في إنتاج السماد، و١٤٪ في القطاعين التجاري والسكني.

تكاليف استغلال الغاز الطبيعي:

يمكن تقسيم نظام عرض الغاز إلى أربعة مراحل مترابطة هي، الاستكشاف، الاستغلال والإنتاج، النقل، التوزيع، وعلى عكس النفط فمن النادر أن يستخدم الغاز فوراً بعد إنتاجه. وإن استهلاك أول كمية من الغاز عادة ما تتطلب نفقات مبدئية كبيرة تُنفق على شبكة كاملة من معدات الاستكشاف، والإنتاج والنقل، والتوزيع. ثم بعد ذلك فإن استهلاك مقادير إضافية من الغاز يتطلب نفقات إضافية صغيرة حتى يتم الوصول الى الطاقة القصوى للنظام. وبسبب هذا النمط من الاستثمار المتكتل على مراحل فإن واحداً من أكبر مصادر الصعوبات في تحليل تكاليف عرض الغاز هي أن هذه المراحل جميعها متداخلة، وأن البنية التحتية للغاز وحتى يصل إلى رأس الحارق يجب أن يتم التخطيط لها بطريقة تكاملية، ولا تتواجد مثل هذه المشاكل في حالة النفط.

وهنالك سحوبات كبيرة من الأموال في الفترة المبدئية من الإنفاق على كل من الاستكشاف، والتطوير، والنقل، والتوزيع، ومن الممكن أن يستغرق النظام الكلي الذي يغطي المراحل الأربعة هذه في أي مكان كان من خمس إلى عشرة سنوات، ويعتمد ذلك على مدى التعقيد الفني للحقل، وحجم النظام، واقتصاديات المشروع، وإدارة إمكانات المؤسسات المسؤولة عن تطبيقه.

وتهدف نشاطات المرحلة الأولى ألا وهي الاستكشاف إلى تحديد ما إذا كان الحقل النفطي أو الغازي موجوداً في منطقة ما أم لا، وإذا كان موجوداً يصبح هدف هذه النشاطات التأكد ما إذا كان الحقل كبيراً منتجاً يستحق الاستغلال أم لا، وعادة ما يبدأ

الاستكشاف بدراسة المعلومات الجيولوجية الجيوفيزيائية المتوفرة ومن ثم تتبعها المسوحات الجيولوجية والجيوفيزيائية، التي تحدد فيما إذا كان حفر الآبار الاستكشافية مبرراً. وتكلف البئر النموذجية القريبة من الشاطىء ما بين ١٠ ـ ١٥ مليون دولار، بينما من الممكن أن تتراوح تكلفة البئر البعيدة عن الشاطىء ما بين ١٥ ـ ٣٠ مليون دولار.

ومن التعقيدات التي تواجه عملية تقدير تكاليف الاستكشاف من أجل استغلال الغاز أنه غالباً ما يتم العثور عليه من قبل شركات النفط التي تحفر بحثاً عن النفط، وهذا يجعل تقسيم التكاليف ما بين النفط والغاز صعباً. وعندما يتم إيجاد الغاز خلال عملية البحث عن النفط فإنه من الممكن أن تعزى كافة تكاليف الاستكشاف إلى النفط، وهناك بالطبع مناطق غازية تبحث الشركات فيها وهي تعرف أنها سوف تجد الغاز فقط.

المرحلة الثانية من نظام عرض الغاز هي عملية الاستغلال والإنتاج وهذا يشمل الحفر، وتحضير الحقل، وتجميع الغاز في الحقل، وضغط الغاز، وفصل سوائل الغاز الطبيعي، ومعالجة الغاز، وهدف هذه العمليات كلها هو إنتاج غاز عالي الجودة (جودة خطوط الأنابيب) وبشكل يفي بالمقادير المتعاقد عليها، وبمتطلبات الجودة والضغط أيضاً. إن تكاليف الاستغلال والإنتاج هي دالة في كل من عدد الآبار الكافية والضرورية للشروع في استغلال الحقل، ومواقع هذه الآبار (بُعدها عن السوق، وفيما إذا كانت بعيدة أو قريبة من الشاطىء)، ووضعية المكامن، والبنية التحتية على السطح الضرورية لأغراض التجميع، والفصل والمعالجة، وقياس الأبعاد، وتعتمد الأخيرة بشكل كبير على البعد ما بين البئر والأخرى، وعلى نوعية وجودة الغاز. وتعتبر تكاليف الاستغلال والإنتاج دالة متزايدة مع عدد الآبار وحجم الإنتاج، ولكنها دالة متناقصة مع الإنتاجية وجودة الغاز.

إن تقسيم تكاليف الاستغلال والإنتاج ما بين النفط والغاز المرافق له، وكذلك ما بين الغاز الصافي والمنتجات الثانوية الأخرى للغاز مثل الغاز النفطي المسال، والبنزين، هي عملية صعبة. واستخلاص الغاز المرافق غالباً ما يعتمد على إنتاج النفط، ومن الممكن أن تحدد الكفاءة الفنية في استخراج النفط مقدار الغاز المنتج. وفي بعض الحالات، يكون من الضروري إعادة حقن الغاز لزيادة النفط المستخرج، الأمر الذي يؤخر الاستفادة من الغاز، ولذلك فإن التخصيص المناسب للتكاليف يعتمد على الظروف الخاصة بكل حالة.

والمرحلة الثالثة من استغلال الغاز هي نقله من الحقل، أو من مصنع المعالجة إلى المدينة حيث تتواجد أماكن الاستهلاك. إن الاستثمارات في وسائل نقل الغاز كبيرة، والتكاليف مربوطة باقتصاديات الحجم الكبير. وتعتمد هذه التكاليف بشكل أولي على قطر خط الأنابيب الذي هو دالة في أعلى مستوى للطلب، وكذلك في طول خط الأنابيب. وبشكل عام تُستعمل طريقة التكلفة المضافة في تقديرها.

والمرحلة الرابعة هي توزيع الغاز إلى المستهلكين النهائيين. وتختلف تكاليف التوزيع حسب حجم وطبيعة طلب العملاء. وفي حين أن تكلفة توصيل الغاز إلى مصنع توليد كهرباء تعتبر ضخمة، فإن التكلفة المضافة للمتر المكعب الواحد منخفضة إلى حد بعيد بسبب اقتصاديات الحجم الكبير. ومن ناحية أخرى فإن تكلفة التوزيع للقطاع السكني والتجاري مرتفعة كثيراً بسبب صغر حجم الطلب من قبل هذا القطاع نسبياً. والاستثمار في التوزيع يجب أن يبنى على أساس مستوى الطلب الأعلى في النظام، وبشكل عام، فإن تكاليف التوزيع تكون حساسة للمقادير المتوسطة والكبيرة من الطلب، ولكثافة السكان، وللخصائص الفنية للنظام (على سبيل المثال، إذا ما كان يستخدم خطوط أنابيب معدنية أم بلاستيكية). وهنا مرة أخرى يعتبر استخدام أسلوب التكلفة المضافة بشكل عام مناسباً.

المغنيسيوم وأثره في الصناعة

يترابط تاريخ عنصري المغنيسيوم والألمنيوم ترابطاً وثيقاً، فقد عرفهما العلم في آن واحد تقريباً.. وتكاد خواصهما واستعمالاتهما ان تكون متقاربة ومتشابهة، فما ان أصبح الالمنيوم المادة البنائية الرئيسة في صناعة الطائرات حتى توجه العلماء الى مادة اخرى اكثر خفة - ونعني بها المغنيسيوم .. وبمجرد ان مرت عشر سنوات على تحليق أول طائرة مصنوعة من سبائك الألمنيوم حتى أخذ المغنيسيوم يزحف ببطء ولكن بثقة ليدخل عالم الصناعة وبكل تحد.

وكما اتضح فقد كانت إمكانات المغنيسيوم عظيمة للغاية. فبواسطته يمكن صنع مواد جديدة وخفيفة تستخدم في صناعة الطائرات والسيارات وسكك الحديد ووسائل النقل الاخرى السائرة فوق سطح الأرض أو تحت سطح الارض كما في الميترو، وكذلك في صناعة المكائن والطاقة الكهربائية.. والحقيقة ان المغنيسيوم لا يخفف من وزن المكائن والهياكل فحسب، بل يرفع من انتاجية وانسيابية حركة المكائن والاجهزة الآلية.

خلال سنة ١٩٣٥م تم صنع أول طائرة يتكون ثلاثة ارباعها من سبائك المغنيسيوم. وقد مرت الطائرة بجميع التجارب وعملت فترة طويلة في ظروف قطبية صعبة.

وقد اتاح المغنيسيوم تخفيف وزن العديد من الاجزاء وتحقيق اقتصاد وتقليل بالكلف بنسبة تتراوح ما بين (٢٠ - ٣٠٪)، كما اكتشف ان المغنيسيوم له افضليات اخرى، فسبائكه تتحمل الترددات بشكل افضل، ومن السهل صنع القواطع منها، وهي اسرع من الالمنيوم مرتين وتستهلك معدات صب أقل بعض الشيء.

هذا وصنعت بالأعوام الأخيرة سبيكة من المغنيسيوم والثوريوم والنيوديميوم والأتريوم يمكن الافادة منها في درجات حرارة تصل الى (٣٧٥) درجة مئوية، وفي حالات الاحماء القصير الأمد الى (٤٥٠ درجة مئوية). وغالباً ما تستخدم سبائك من المغنيسيوم والزركونيوم والثوريوم لانها تتميز بخاصية عالية لتحمل الحرارة والمتانة الآلية. كما صنعت سبيكة من المغنيسيوم والزركونيوم تتصف بامتصاص الترددات بشكل جيد.

شق المغنيسيوم طريقه الى الفضاء ايضاً .. ولم يحتل مكانه في الاجهزة الفضائية بفضل خفة وزنه ومتانته فحسب بل ولكون قابليته على امتصاص الحرارة قد جعلت من سطوحه غير ساخنة جداً في الوقت الذي تحتفظ فيه هذه المادة بمتانتها وعدم هشاشتها بدرجات الحرارة الواطئة، يضاف الى ذلك ان هذا العنصر وبخلاف الحديد والالمنيوم يتحمل الانخفاضات الحادة في الضغط دونما تشويهات في شكله.

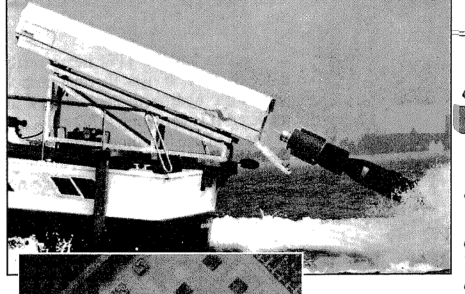
كانت ثمة مشكلة قد نشأت مع نشوء الطيران المائي أو البحري. فقد كانت اولى هذه الطائرات في هذا المجال تعاني من ماء البحر المالح الذي ينخر حتى هياكل السفن البحرية، ولمواجهة هذه الظاهرة استخدمت اساليب وقاية (كهربائية - كيمياوية) لا يستعاض فيها عن المغنيسيوم. وهكذا ساعد هذا العنصر على اتقاء الصدأ في المنشآت التقنية المستخدمة بالصناعة النفطية تحت سطح الماء في بحر قزوين وييسر استغلالها مدة اطول تحت سطح الماء مما وفر مبالغ كبيرة سنوياً.

ان صيانة الهياكل وحمايتها من التآكل والصدأ ضرورية ليس في البحر فحسب، بل وتحت سطح الارض اذ تسري تيارات مائية سائبة يمكن ان تلحق ضرراً فجائياً بوسائل المواصلات كما يمكنها ان تعمل على تصدية كابلات الطاقة الكهربائية الممتدة تحت سطح الارض، وتجنبا للكوارث تربط بأسلاك وسائل الاتصال مصعدات (أنودات) مغنيسيومية يتولى فيها العنصر وظيفة استقطاب الشرار حامياً بذلك شبكات المنشآت.

وتلقى خاصية المغنيسيوم في بعث تيار كهربائي في ظروف معينة بعض التطبيقات، وعلى سبيل المثال فقد صنعت نضائد (بطاريات) تبدأ بالعمل حال تسرب ماء البحر اليها وهي تستخدم اليوم لاغراض الانقاذ.

بقلم : معمر بن زهران بن محمد العبري
- سلطنة عمان -

...ـاعة الحد...



والطباعة من الاستخدامات المهمة للمغنيسيوم فمن هذا المعدن تحضر رقائق طبع (كليشات) ذات نوعية عالية لا تدانيها الرقائق المصنوعة من النحاس أو الزنك، علماً أن الوقت اللازم لصناعة كليشات المغنيسيوم اقل مما تستغرقه صناعة كليشات الزنك بمقدار مرتين.

وكما هو معلوم فان القلوس (الحبال) الحديدية ضرورية في كل حدب وصوب. لكنها كما نعرف سريعة الاستهلاك من جراء الاحتكاك والاهتراء. وقد كانت الدهون والشحوم تستخدم سابقاً لتقليل الاحتكاك، ولكن الحدادة كانت تتجمع وتختلط بالشحوم لتكون مادة ثقيلة تعيق الحركة، فتوجب لف القلوس على اسطوانات وبكرات مصنوعة من مادة خفيفة لا تسبب احتكاكاً كبيراً، وهنا جاءت سبيكة المغنيسيوم لتلبي هذا الغرض المطلوب. وقد ثبت ان القلوس العاملة على بكرات مغنيسيومية تدوم ثلاث الى اربع مرات أطول.

نجح استخدام المغنيسيوم أيضاً بالأعمال الجيولوجية. وقد ساعدت سبائك المغنيسيوم على تخفيف وزن معدات الحفر وتنفيذ الحفريات الى مسافات أعمق، وخفف بالتالي من نفقات نقل وصيانة المعدات.

مع كون الالمنيوم من اوسع المعادن انتشاراً في الارض الا ان ذلك لا يعني ان صناعة الالمنيوم لا تعاني من مشكلة الخامات. فقد ادى استخدامه الشديد الى نضوب القسم الأكبر من النوعيات الجيدة للبوكسيت. يضاف الى ذلك أن مكامن خامات الالمنيوم تقع في الغالب الاعم بعيداً عن اماكن تصفيتها وتصنيعها. بينما نجد ان خامات المغنيسيوم مازالت على العكس من ذلك غير ناضبة وتحت الطلب دائماً. ولكن يجدر القول ان استخراج معدن المغنيسيوم من المناجم ما انفك يكلف غالياً، وأن سعره في السوق العالمية اليوم اغلى من سعر الالمنيوم بأضعاف مضاعفة. وهذا ما يجعل الصناعيين يتحفظون إزاء العديد من مجالات استعماله.. بيد ان دلائل هبوط كلفته باتت تلوح في الافق بفضل تحسن تكنولوجيا استخراجه. ويتوقع خبراء مكتب المناجم الامريكي ان سعر الباون منه سيصل (٣٠) سنتاً في حدود سنة ٢٠٠٠، فيما سيكون سعر باون الالمنيوم حوالي (٤٠) سنتاً.

ولأن المغنيسيوم اخف من (صنوه الأكبر) بحدود الثلث ويفوقه في متانته فقد جعلت هاتان الصفتان النوعيتان منه مادة بنائية تركيبية عزيزة. ثم لكونه أخف فان الكيلوغرام الواحد منه يساعد على صنع اجزاء اكثر مما يمكن صناعته من كيلوغرام الالمنيوم.

ان نضوب الالمنيوم وبعد مكامنه لا يعدان العاملين الوحيدين الباعثين على ازدهار صناعة المغنيسيوم، بل ان الالمنيوم نفسه يتوقف على المغنيسيوم. وكما هو معلوم فإن المغنيسيوم يُعد من المكملات الواسعة للالمنيوم.. وهذا يعني انه كلما صنعنا المزيد من سبائك الالمنيوم فاننا سنحتاج الى المزيد من مركبات المغنيسيوم. ولهذا لا يحسن التحدث عن «تنافس» المعدنين فحسب بل وعن «ترابطهما» و«تعاونهما» مما يتفق ووصفهما بالمعدنين الصنويين.

الخفاش أقدم رادار فى الطبيعة

يتبع الخفاش مجموعة متميزة من عالم الحيوان لما له من خصائص وصفات فريدة، فهو حيوان ثديي يلد ويرضع صغاره، جسمه مغطى بفرو، له القدرة على الطيران، وأذنه الخارجية كبيرة، مثل بوق السمع، وتتنوع اشكالها في الانواع المختلفة ولها القدرة على استقبال الاصوات فوق السمعية، وللخفاش القدرة على استعمال صدى الصوت في تحديد اماكن فرائسه وتجنب العوائق التى تصادفه عند طيرانه في الظلام، وملاحة الخفاش من الدقة لدرجة انه يُكوِّن صورة عقلية لما حوله، تكون في مثل تكامل الصور المرئية من اعين الحيوانات الارضية.

والخفاش غالبا ليْلي النشاط، وفي النهار يتخذ من الهياكل والمعابد القديمة والجحور في المنازل والمباني على اختلافها والخرائب والاشجار والقصور القديمة المظلمة أو قد يتخذ من اعشاش الطيور المهجورة مأوى له، كذلك تسكن الوطاويط (الخفافيش) المغارات وهى بذلك تمثل الجسر الذى يصل سلسلة، تغذية الكائنات الحيه داخل المغارة بغيرها من الكائنات فوق سطح الارض، حيث ان الخفاش يغادر جحره المظلم مرارا وتكرارا بحثا عن الغذاء وشريك الحياة، وتحت مهاجع الوطاويط تتراكم مفرزاتها وفضلاتها الحاوية على كميات كبيرة من العناصر المغذية تقيم أود العديد من الكائنات الاخرى، ينام إما بصورة فردية أو في جماعات صغيرة أو كبيرة متجاورة وهى معلقة رأسا على عقب في مجثمها، وأجنحتها مطوية حولها، اما الرأس فهو ينحنى دائما على الصدر، وفي الشتاء قد يستمر الخفاش في حالة سبات على هذا الوضع لعدة شهور.

يقول «الجاحظ» عن الخفافيش:

«ومن أعاجيبها تركها ذرى الجبال وبسط الفيافي، واقلاب النخل واعالى الاغصان ودغل الرياض، وصدع الصخر، وجزائر البحر تطلب مساكن الناس وقربهم ثم اذا صارت الى بيوتهم وقربهم، قصدت الى ارفع مكان وأحصنه، والى ابعد المواضع من مواضع الاجتياز، واعرض الحوائج».

وقالوا في اللغز وهم يعنون الخفاش:

ابى شعراء الناس لا تخبروني
وقد ذهبوا في الشعر في كل مذهب
بجلدة انسان وصورة طائر
واظفار يربوع وأنياب ثعلب

الخفاش .. والمعتقدات:

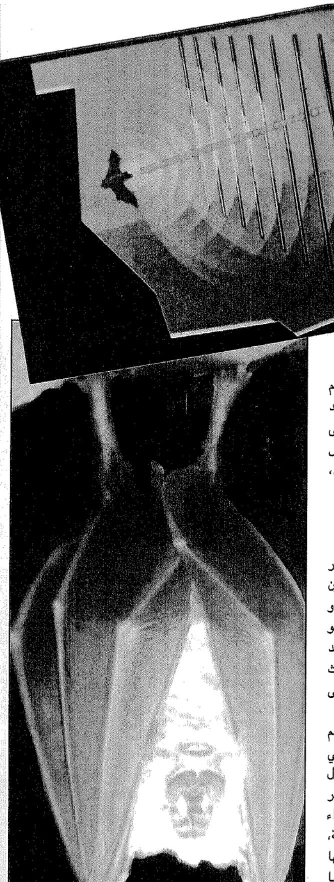
ونظرا لصفات الخفاش الفريدة فقد نسجت حوله الكثير من الخرافات والخزعبلات والمعتقدات. وفي مجال السحر والشعوذة نجد ان للخفاش مكان الصدارة بين الحيوانات الاخرى. فالبعض يعتقد ان روح الانسان تنطلق من جسده عند النوم وغالبا ما تكون في صورة خفاش. ويعتقد بعض اهالى جزيرة صقلية ان الانسان اذا قتل أو انتحر فإن روحه تبقى فترة من الزمن غالبا على صورة خفاش.

واما الفنانون في العصور الوسطى في اوربا فقد رمزوا الى الشيطان بشكل يشبه الخفاش بآذانه المدببة واجنحته الجلدية وعلى عكس ذلك يكون الخفاش حيوانا مقدسا عند بعض الشعوب مثل الصين بل وإن بعضهم يعتقدون أن من يقتل خفاشا يصاب بالعمى. اما البوذيون يتفاءلون بمرآه.

وقد اتخذ الناس قديما من الخفاش علاجا كما في مخطوطة «بردى ايبرس». اما الطبيب العربي «ابن البيطار» فيذكر ان طبخ الخفاش في زيت السمسم يصبح علاجا لحالات عرق النسا والنقرس. اما الهنود فيعتقدون أن عظمة جناح الخفاش تسهل عملية الولادة. بينما في صحارى مصر اتخذ البدو زبل الخفاش علاجا لامراضهم.

وفي العصور الاولى كان الانسان يتغذى على اجزاء

بقلم: د. رمضان مصرى هلال
كلية الزراعة ـ كفر الشيخ ـ مصر



ـ اخـتـبـار
الجهاز الصوتى والسمعي للخفاش.

معينة من الخفاش لغرض ان تزداد فطنتهم ويقظتهم وحرصهم واعطائهم القدرة على الابصار في الظلام وقد كان بعض المغامرين، يربط المرء منهم قلب خفاش الى ذراعه ليكون اكثر حذرا وانتباها من رفاقه. ويعتقد بعض الفلاحين ان تعليق الخفاش ميتا فوق الباب يمنع الحسد، ويدرؤ الكوارث ويجلب الحظ الوفير.

التناسل والولادة:

في فصل الخريف وقبيل فترة البيات تصدر الذكور والاناث دعوة للقاء والتناسل ويكون هناك غزلا رقيقا بين الجنسين وتطارد الذكور ـ التى لا يظهر بينها تنافس أو يبدو عليها علامات الغيرة ـ الاناث وتلاحقها وتطاردها في الجو وتمسك بها ويسقط الاثنان على الارض ويتم التزاوج، وقد تتابع عدة ذكور لتلقيح انثى واحدة. ثم تتجمع الاناث وحدها في اماكن بعيدة عن الذكور التى لا تجرؤ على الاقتراب منها.

وفترة الحمل حوالى (٥ ـ ٦) اشهر، وتضع معظم الاناث بطنا واحدة في السنة تلد فيها فردا واحدا، وفي بعض الاحيان تضع الانثى فردين من الصغار ويبلغ طول المولود (٦ ـ ٧ سم)، ويولد مقفل العينين، ويزحف الصغير على بطن امه حتى يصل الى الثدى فيعلق به وتوجد الأثداء في المنطقة الصدرية وقد توجد اخرى في المنطقة الاربية، وهذه الاخيرة لا تمت للرضاعة بصلة، ولكنها اداة يتعلق بها الصغير اثناء طيران أمه. وتحتضن الأم صغارها وترعاها حتى تصبح قادرة على الاعتماد على نفسها.

وفي هذا يقول «الجاحظ»:

«واذا قبضت على الفرخ وعضت عليه لتطير به عرفت

ـ الخفاش وهو معلق في سقف مدخل أحد المناجم.

- الخفاش الذي يتغذى على الفواكه في شرق أفريقيا.



ذرب (حدة) أسنانها، فعرفت أي نوع ينبغي ان يكون ذلك العض، فتجلعه ازما، ولا تجعله عضا ولاتنييا ولامضغا، كما تفعل الهرة بولدها».

والخفاش بار بأبنائه الصغار وقال الشاعر:

اتخــــذ في خلة مـــا في الكراكى
اتخــــذ فـــيك خلة الوطواط

وبالرغم من ان الخفافيش هى الثدييات المجنحة - الوحيدة فانها لا تستعمل منحة الطيران في الهجرة باستثناء القليل منها مثل (الخفاش الاحمر، الخفاش ذو الشعر الفضي، الخفاش الاشيب، الخفاش البرازيلى ذو الذيل الحر) فان معظمها يقضى الشتاء في بيات شتوى.

وقد استطاعت الخفافيش الطيران بسبب وجود الجناح الجيد التكوين (غشاء جناحى) الممتد بين العنق والاطراف والذنب واندماج اربعة اصابع مخلبية طويلة جدا، تبرز الابهام من الحافات الامامية للاجنحة، وتحمل مخالب تساعد في المشى عندما لا تكون في حالة طيران.

أقدم رادار في الطبيعة:

ويعزى نجاح الخفاشيات الخارقة بالاضافة الى قدرتها على الطيران قدرتها على استعمال صدى الصوت في تحديد الاماكن مما يساعد الخفاش في تجنب العوائق في الظلام الدامس ومن ان تحدد اماكن الحشرات وتمسكها بدقة ومن أن تجد طريقها في عمق المغارات، وذلك بأن يرسل الخفاش اثناء الطيران، تيارا مستمرا من نبضات صوتية ذات سرعات متباينة، وتردد متغير احيانا. وعندما تصطدم هذه النبضات بأى جسم صلب، يرتد منه صدى تلتطه اذن الخفاش الحادة السمع.

ومن واقع الوقت الذى يستغرقه صدى عند ارتداده، يمكن للخفاش ن يحدد تماما بعد وسرعة تحرك الهدف. ويعتقد ان الخفاش ليس له ''قدرة على الكشف عن الاجسام تى تبعد عنه بمسافة تزيد على ٦ مترا.

ولقد ادت الحقيقة الماثلة في ستطاعة الخفاش في ان يتلمس طريقه في الفضاء بمهارة ستخدام فوق السمعيات، ،أت تلك الحقيقة الى فكرة مكن الاعمى ايضا من الكشف عن العقبات التى تعترض طريقه اثناء سيره.

الخفافيش وهى تطير حولنا فاننا لا نسمع لها اصواتا، وهى في الحقيقة تصدر اصواتا عالية ولكن لا تستطيع الاذن البشرية وكذلك بقية الحيوانات سماعها فسبحان الله اللطيف الخبير.

{تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وإن من شيء إلا يُسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا} (الاسراء/٤٤).

الاهمية الاقتصادية للخفافيش وطرق المكافحة:

تهاجم الوطاويط حدائق الفاكهة وتأكل لب ثمارها أو تتلفها وتتركها فارغة معلقة بالاشجار، وتهاجم ثمار المانجو والقشطة والمشمش والخوخ والبرقوق والكمثرى والبلح وتسبب سقوط الكثير من ثمارها، كما تتغذى على العنب والتوت والنبق والجميز والبلح والفراولة والطماطم والباذنجان وغيرها.

- تسبب تشوه شكل الجدران وارضية الاماكن التى ترتادها بسبب تبرزها عليها، وينبعث من اماكن تجمعها رائحة كريهة تعافها النفس.

- تهاجم مخازن تخزين السكر في اماكن انتاجه وتتغذى عليه وتتلفه، أو تحوله الى كتل متماسكة نتيجة اختلاطه باللعاب وتكسبه لونا اسمر قذرا مختلطا بفضلات الحيوانات، كما تتلف الزكائب والاجولة وتمزقها وتسبب لها تلفا كبيرا.

- في امريكا الاستوائية تعيش الخفافيش مصاصة الدماء حيث تهاجم الطيور والثدييات وهى نائمة وتتغذى على دمها وقد تقوم بنقل مسببات الامراض مثل مرض داء الكلب.

- يوجد في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية الكثير من الخفافيش التى تتغذى على الرحيق وتقوم بدور هام في

- الخفاش المكسيكي
مصاص الدماء.

تلقيح النباتات.

- تتغذى الخفافيش على الحشرات وخاصة البعوض ولذلك يلعب الخفاش دورا هاما من الاقلال من خطر الحميات، كما تلعب الخفاشيات المفترسة دورا في الحفاظ على التوازن الطبيعي في البيئة والخفاشيات اكولة لا تشبع ولذا فان آكلات الحشرات منها جمة النفع للانسان لانها تقضى على الحشرات وتكفيه مؤونة حربها.

وذكر عنها الدميرى «لما كان الخفاش لا يبصر نهارا، التمس الوقت الذى لا يكون فيه ظلمة ولا ضوء وهو قرب غروب الشمس لانه وقت هيجان البعوض، فان البعوض يخرج ذلك الوقت يطلب قوته وهو دماء الحيوان، والخفاش يخرج طالبا للطعام فيقع طالب رزق على طالب رزق فسبحان الحكيم».

- تتغذى بعض الشعوب على لحم الخفاش الكبير (الوطواط) حيث كان من الاطعمة المفضلة عند كثير من الشعوب، فيعتقد ان البابليين كانوا يأكلون الوطواط المصرى آكل الفاكهة، والهنود كانوا يأكلون الثعلب الطائر (نوع من الوطاويط كبيرة الحجم يصل البعد بين جناحيه من ١٢٠ - ١٥٠سم) ويؤكل الوطواط مشويا أو مطهيا.

- يعد بول وبراز الخفاش من اقوى المخصبات الزراعية في البلاد الدافئة ففي كوبا وبعض جزر الهند الغربية توجد بعض الكهوف داخل الاحجار الجيرية كانت تؤمها الخفافيش منذ عصور بعيدة، وتراكمت فيها اطنان من زبل الخفاش، واختلطت بالجير المتساقط من تحلل جدران هذه الجحور، وتكون من هذا سماد قوى يفضله المزارعون في هذه البلاد على غيره من السماد، وباستمرار تكون هذا السماد من زمن بعيد، لم تتضاعف خصوبة الارض فحسب بل ارتفع مستوى الجزر عن سطح البحر ايضا.

طرق مكافحة الخفاش:

في حالة الاهتداء الى اوكارها:

تدخن اماكن تجمع الخفافيش بحرق زهر الكبريت بمعدل ٣٠ جم منه مضافا اليه ١ جم من الشطة السودانى لكل متر مكعب من الفراغ مع استعمال مواقد بها فحم نباتى أو قوالح أو خشب في هذا الغرض. وعند اجراء هذه العملية تسد جميع الفتحات «الشبابيك والابواب» وكذلك الشقوق الموجودة في الحوائط ولا تترك الا فتحة واحدة وهى المعتاد خروج ودخول معظم الخفافيش منها وذلك قبل اجراء العملية بيوم واحد مع ترك باب واحد يمكن للعمال القائمين بهذه العملية الدخول والخروج منه عند اجراء العملية. كما انه يمكن الاستعانة بمشمعات وخيام التدخين في تنفيذ هذه العملية قبل اجرائها بيوم واحد.

وفي نهار اليوم التالى بعد تجمع الخفافيش في مكانه تسد الفتحة الاخيرة التى سبق تركها وتهيأ المواقد المشتعلة وتوزع في اماكن متفرقة داخل المكان ثم يوزع زهر الكبريت المخلوط بالشطة على العمال بحيث يلقى كل واحد منهم بما معه فوق النار مسرعا بالخروج من المكان ثم يغلق الباب محكما.

في حالة عدم الاهتداء الى اوكارها:

تقاوم الخفافيش في هذه الحالة باستعمال الطعم السام المكون من العجوة الخالية من النوى مع مادة فوسفيد الزنك، ولتحضير هذا الطعم يزال النوى من العجوة ثم يضاف اليها فوسفيد الزنك وتعجن وتخلط جيدا خلطا متجانسا ثم يعمل منها كور بحجم البرتقالة الصغيرة تعلق بالثمار بواسطة خيوط من الدوبارة في اماكن ظاهرة من الاشجار بالنهار فتنجذب اليها الحيوانات ليلا وتأكل منها فيقضى عليها.



حكايات من مارستان مصر

الحب والمال:

كان يعانى من تخلف عقلى بدرجة كبيرة ولا يعرف من مفردات اللغة سوى كلمات بسيطة ينطقها بصورة معينة تحتاج لوقت لكشف غوامضها واجتلاء معانيها ومن طبيعة التخلف العقلى أن مريضه لا يعرف العدد واعتمدت على تلك الحقيقة العلمية البسيطة وأعطيته قطعة نقود صغيرة فوجئت به يلقيها على الارض ويزمجر بكلمات ترجمتها تعنى عدم الرضا مع بعض السباب القبيح ولم يسكت الا عندما اعطيته قطعة نقود كبيرة.

كانت فتيات كلية الآداب يدرسن علم النفس ويتدربن تدريباً عمليا في المصحة العقلية ويسرن في جماعات وهن يرتدين احدث الازياء فوجئت به يترصد الفتيات على ناصية مبنى الادارة الرئيسى للمصحة وهو يغازلهن بلغته الخاصة وهو في قمة النشوة ولا يتوقف عن الغزل الا إذا مرت ممرضة قبيحة أو فتاة ليست في مستوى الجمال الذى يعشقه.

عفريت:

لكل انسان عفريته الخاص الذى يخشاه بعد أن اصطنعه من وهمه الخاص ويظل يغذيه بالوساوس والهواجس حتى يسمن ويكبر ويملأ حياته بالرعب وقد يؤدى الى إصابته بالجنون.

كان فصامياً مزمنا لكنه كان مستقراً يستطيع أن يمارس حياته العادية مع العلاج لكن النوبة المرضية تهاجمه بكل ضراوة في بداية الصيف كل عام مع بدء امتحان الثانوية العامة ولا تنتهى الا بانتهاء الامتحان فقد كانت عقدته طوال عمره هي الثانوية العامة التي مكث فيها ست سنوات حتي عندما نجح فيها بتفوق والتحق بكلية الطب كان خوفه من الثانوية يعوقه عن دراسته حتى سبب له الجنون فلم يتم الدراسة واصبح نزيل المصحه.

المشكلة ان النوبة سابقاً ـ كانت تنتهى بانتهاء الامتحان، الآن تنتظر النتيجة ثم التنسيق.

الاستاذ بافلوف:

ـ إن كلب الاستاذ بافلوف قام بدور في تطوير

د. عبدالغني عبدالحميد رجب
ـ مصر ـ



الطب النفسي اكثر من الاستاذ بافلوف نفسه.

استطاع الاستاذ بافلوف الحصول على لعاب الكلاب بطريقة اقتصادية مبتكرة لا تكلف شيئا عن طريق اضاءة بعض المصابيح ودق بعض الاجراس وقد تمكن من الحصول على كمية كبيرة من لعاب الكلاب بهذه الطريقة.

لكن الم يكن من الافضل للبشرية أن يحاول الاستاذ بافلوف الحصول على اللبن البقرى أو الجاموسي بهذه الطريقة بدلا من الحصول على لعاب كلب ليس منه اي منفعة بل إنه قد يسبب الضرر إذا كان الكلب مصاباً بالسعار أو نوع معين من الطفيليات والسؤال هو ما الذي كان يفعله بافلوف بلعاب الكلاب؟

الشيء بالشيء يذكر:

- من الذى يستطيع ان يقتلع الايمان من صدر انسان؟:

الساعة الرنانة هي البديل العصرى للديك فهي التى توقظ النيام لصلاة الفجر وتخيل مصحة للامراض العقلية في مكان منعزل بعيد عن العمران لا توجد فيها ديكه ولا ساعات مع المرضى ولا حتى مسجد قريب يؤذن فيه.

كان المريض العقلى يحافظ على صلاة الفجر بصورة تثير الاعجاب فيستيقظ حتى في أيام الزمهرير ويوقظ المرضى الآخرين ويصلون الفجر جماعة وعندما سألته من الذى يوقظه لصلاة الفجر قال لى انه اعتاد أن يستيقظ على نعيب غراب معين يستطيع ان يميز صوته بين آلاف الغربان.

كانت المصحة مملوءه بالاغربه.

فريد وفرويد:

عندما دخل عليّ المريض في العيادة النفسية كان يحمل معه تشخيصه فقد قال لي انه يعانى من عقدة «فريد شوقي» فلما طلبت منه ان يزيدني ايضاحاً ابدى دهشة كبيرة من انني لا اعرف «عقدة

فريد شوقى» وكأننا درسناها مع عقدة أوديب في الجزء الأول من الدراسات العليا ولما استبان جهلي تشكك في امكانية انني سوف استطيع علاجه بعد هذا الجهل المطبق لكنه تطوع ان يشرح ماذا تعنى عقدة فريد شوقي؟

فريد شوقي ممثل سينمائى كبير يظهر عادة في افلامه في صورة المجرم الشقي الذي يندم ويتوب في نهاية الفيلم ويتحسر على ما ضاع من عمره ويقول:

كل اصحابي اصبحوا اطباء ومهندسين فيما عداى فقد اصبحت لصاً مجرماً، أضاف المريض «إن هذا الاحساس اصبح يلازمه من مدة طويلة فقد اكتشف ان جميع اصدقائه القدامى قد تولوا مراكز مرموقة سواه فهو الفاشل الوحيد».

لم اعالجه لكنه امرضني فقد جعلنى انظر لأصدقائى القدامى وقد اصبحوا من كبار اطباء الباطنة والجراحة عداى فقد فشلت وأصبحت طبيبا نفسانيا وهكذا عرفت ماذا تعنى «عقدة فريد شوقى» بعد أن عانيت منها ومازلت اعالج.

احلاهم :

للمريض العقلى ذكاء من نوع خاص يدخل في دائرة الدهاء ولطبيبه النفسانى ذكاء من نوع خاص يتفق او يختلف مع ذكاء المريض العقلى وكأنهما وجهان لعملة واحدة. كان زميلنا في المصحة العقلية يعتقد اعتقادا كبيراً في العلاج بالرجفات الكهربائية وكان يعطى جميع مرضى القسم منها بل انه احيانا يذهب الى الاقسام الاخرى التى يعمل بها اطباء آخرون لمجرد أن يعطى تلك الصعقات الكهربائية لمرضى تلك الاقسام وكانت جلسات الكهرباء تشبه حفلات مصارعة جماعية يختلط فيها الضجيج بالعنف بالتشنجات الرهيبة التى تحدث للمريض عقب إعطائه صعقة الكهرباء وكان المرضى يرهبون تلك الجلسات ويكرهونها وخاصة انها تؤخذ في صورة جماعية فيشاهدها المرضى الآخرون الذين سيأتى دورهم فيموتون من الرعب قبل أن تأتيهم الصاعقة.

تفتق ذهن المريض العقلي الذي يعانى من الفصام التفسخى ويكون فيه المريض اقرب للتخلف العقلى، عن حيلة طريفة لكى ينجو من الصعقة الكهربية بأن دهن رأسه بمخلفات آدمية صلبة وكان منظره عجيباً ورائحته رهيبة أصرّ زميلنا على اعطاء المريض جلسة الكهرباء وهو بحالته تلك قائلا للمريض «ان البراز موصل جيد للكهرباء وانه سوف يأخذ جلسة كهرباء مميزة» وقد كان لا ادرى حتى الآن من الاذكى بعد أن تزوج الطبيب اخت المريض العقلى ومن منهما اصطاد الآخر، الطبيب الذى تزوج أخت المريض ام المريض الذي زوّج اخته للطبيب؟!.

محكمة فرويد:

اعتقد أنه قد آن الاوان لعقد محاكمة للاستاذ فرويد غيابيا بتهمة تعاطى وترويج الافيون والكوكايين والدعاية لممارسة الرذيلة، أم أن هذه التهم تسقط بالتقادم ووفاة المجرم. اعتقد أن هذه التهم لا يجب أن تسقط بسبب بسيط أن تأثيرها مازال قائما لأن الاستاذ فرويد قد وضعها في ثوب نظرية علمية ومازال يسقط في براثنها الكثير من الناس ومازال

بعض الاطباء يعالجون المرضى بنظرياته أو بمعنى أصبح يمرضون الاصحاء.

الفرويديون الجدد - اسطورية -

قام الطب النفسي الحديث على اكتاف الاستاذ فرويد وتابعه اوديب الذى التقطه فرويد من بطون الكتب اليونانية الصفراء وجعله بطلا رغم انفه ورغم انف السيدة المصونة «جوكاستا» امه بل انه اتهمها انها السبب في كل التحولات والصراعات النفسية التى تصيب الانسان السوى والمريض على حد سواء فيما يزعم انه «عقدة اوديب».

هل نستكين نحن الشرقيون ونترك الغرب يصنع لنا عقدنا النفسية وامراضنا العقلية توطئة للسيطرة على عقولنا الواعية والباطنة وخصوصا انه جعل الجنس محورها الارتكازي الذى تدور عليه رحى الحياه كلها.

في محاولة رائدة لصنع علم نفسي شرقى أمسك استاذ الطب النفسي بكتب الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة والسيرة الهلالية وعنترة بن شداد وكذلك التراث الفارسي والهندى والبابلي والاشوري والفينيقى واستخرج مئات العقد النفسية الشرقية واصبح كل مريض يأخذ عقدته مع دوائه المهدىء أو مع جلسة الكهرباء فهذا المريض يعانى من عقدة «على الزيبق» وهذا يعانى من «على بابا» وذاك من «علاء الدين» والى هنا اعتقد أن الأمر عادى.

الغريب الذى أثار شكي وارتيابي في الاستاذ أنه قال لمريض انه يعانى من عقدة «مصباح علاء الدين» وقال لآخر إنه يعاني من عقدة «الاربعين حرامي».

المتخلفون في الارض:

كان ممرضاً في المصحة العقلية وفي نفس الوقت مريضاً باضطراب في الغدد الصماء والتخلف العقلى ولا ادرى حتى هذه اللحظة كيف تمكن من الحصول على إجازة مدرسة التمريض ومما يزيد الدهشة أنه رب اسرة.

كانت نوبته تبدأ في الثانية ظهراً عقب انصرافنا مما يخفف الرقابة على المصحة فيترك القسم في رعاية احد المرضى المتحسنين ولا يحضر حتى غذاء المرضى.

وقفت قطعة من اللحم في حلق المريض العقلى ولم يفعل المريض المتحسن شيئا حتى فاضت روحه واكتشفنا عدم وجود الممرض في القسم فتمت مجازاته بخصم شهر من راتبه ونقله خارج المدينة.

شاهدته يبكى بكاء مراً أو يضرب رأسه في الحائط ويلطم وجهه فاشفقت عليه وجلست معه لكى يهدأ وطيبت خاطره واعلنت استعدادي انا وزملائى لتعويضه عن الخصم والتوسط لدى مدير المصحة لالغاء النقل.

نظر اليّ من خلال دموعه وقال لي وهو مندهش انه لا يهمه الخصم ولا النقل ولو كان الامر بيده لقتل نفسه لتسببه في وفاة المريض فلو كان موجوداً في النوبة لتمكن من تخليص المريض من قطعة اللحم أو على الاقل استدعاء الطبيب.

عامر بن الطفيل

هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، ويكنّى أبو علي ، وأبو عُقيل في الحرب، ولقبه الحُرّ، والشاعر لبيد بن ربيعة هو ابن عمه، وصاحب المعلقة المشهورة:

عفت الديار مَحلّها فمقامُها
بمنى تأبّد غولها فرجامُها

أما عامر فكان فارس القبيلة، وكان أعور، عقيماً لا يولد له، ولم ينجب أولادا، ولعل هذا كان يؤثر على سلوكه، فقد اشتهر بالفظاظة والقسوة، والعيش بعمق في الحياة الجاهلية، ولقد كان يتحدى حتى بما فيه من عاهات فيقول:

لبئس الفتى إن كنتُ أعور عاقراً
جباناً، فما عذري لدى كل مَحْضَر
لعمري، وما عمري عليّ بهيّن
لقد شان حُرَّ الوجه طعنة مُسهر[١]

ومسهر الذي يتحدث عنه هو مسهر بن يزيد بن عبد يغوث الحارثي، الذي غدر بعامر بن الطفيل، وكان أن التحم معه في المعركة التي طعنه فيها مسهرُ بالرمح في وجهه، فكان أن فلق وجنته، وشق عينه، وقد عاش يُعاني من هذه العاهة، ويتحدى في الوقت نفسه الناس من حوله بفرسه «المزنوق» الذي خاطبه مخاطبة الصديق للصديق[٢].

وقد علم المزنوق أني أكرُّه
على جمعهم كرَّ المنيح المشهر
إذا ازور من وقع السلاح زجرتُه
وقلتُ له: اربع مقبلا غير مدبر

كما يباهي بأنه فارس قيس فيقول:

وما الأرض إلا قيس عيلان أهلها
لهم ساحتاها سهلُها وحزونها
وقد نال آفاق السموات مجدُنا
لنا الصحو من آفاقها وغيومُها

كما كان يباهي بكثرة غاراته على من حوله فيقول:

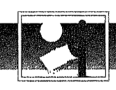
ونستلبُ الأقران والجردُ كُلّح
على الهول يعسفن الوشيج المقوّما
ونحن صبحنا حيّ أسماء غارة
أبال الحبالي غبُّ وقعتنا دما[٣]

ويباهي بكرمه[٤]، وبأنه ابن حرب[٥].

ومما يحفظ لعامر بن الطفيل قصته مع أعشى قيس، ذلك لأن الأعشى قصد الأسود العنسي مادحا، ولكنه استبطأ جائزته، فما كان من الأسود إلا أن قال:

ليس عندنا عين ولكن نعطيك عرضاً، فأعطاه خمسمائة مثقال دهناً، وبخمسمائة حللا وعنبراً، فلما مرّ ببلاد بني عامر خافهم على ما معه، فأتى علقمة بن علاثة، فقال: أجرني، فقال: قد أجرتك، قال: من الجنّ والإنس قال: نعم، فقال الأعشي: ومن الموت، فقال: لا، فكان أن تركه وأتي عامر بن الطفيل، فقال له: أجرني، قال: عامر: قد أجرتك، قال من الجن والإنس قال نعم، قال: ومن الموت، قال: نعم، فقال الأعشي: وكيف تجيرني من الموت، قال عامر: إن مت وأنت في جواري بعثتُ إلى أهلك الدية، فقال: الآن علمت أنك قد أجرتني

بقلم : أ . د . عبده بدوي
- مصر -



من الموت، فمدح عامراً، وهجا علقمة، فقال علقمة: لو علمت الذي أراد كنت أعطيته إياه[٦].

ومن المعروف أن عامر بن الطفيل، وعلقمة بن علاثة تنافرا إلى هرم بن قطبة، وكان الحطيئة يفضل علقمة على عامر ويمدحه، وكان الأعشي يمدح عامرا، ويهجو علقمة، وقد سجل الحطيئة هذا الموقف في قصيدة طويلة أولها.

يا عام ٠٠ قد كنت ذا باع ومكرمة
لو أن مسعاة من جاريته أممُ
جاريت قرما أجار الأحوصان به
طلق اليدين، وفي عرنينه شمم
لا يصعبُ الأمرُ إلا ريث يركبه
ولا يبيتُ على مال له قسم[٧]
وما أساءوا فراراً عن مُحلِّية
لا كاهنٌ يمتري فيها ولا حكم[٨]

كما أن له منافرة مشهورة مع علقمة بن علاثة، وكل منهما سيد من سادات قومه[٩]، ومنافرة مع بسطام بن قيس[١٠] وقد عاش فترة في الجاهلية، وسلك سلوكها، فلما بدأ الإسلام في الانتشار، نراه يعمل على مقابلة الرسول عليه الصلاة والسلام، سنة ٩هـ، ويكلمه في جفوة، ولا يقدم إسلامه، وإنما يقدم شروطا، فما كاد يرى الرسول حتى قال صارخا: تجعل لي نصف ثمار المدينة، وتجعلني وليّ الأمر من بعدك وأسلم؟ فما كان من الرسول إلا أن قال «اللهم اكفني عامراً، واهد بني عامر» وما كان من عامر إلا أن انصرف مغضباً وهو يقول: لم تقبل شروطي٠٠ لأملأنها عليك خيلا جرداً، ورجالا مردا، ولأربطن بكل نخلة فرساً، ثم انصرف، مغيظاً ولكنه في طريق العودة يصابُ بالطاعون، ويلجأ إلى بيت فقير، ويأخذ في الصراخ والاحتجاج على الحياة: غدة كغدة البعير؟، وموت في بيت سلولية؟، ولقد كانت هذه الكلمة شؤما على قبيلة سلول على حد قول أبي زياد الكلابي[١١]، المهم أنه حضر مع «أربد» شقيق الشاعر لبيد، مضمرين الغدر بالرسول عليه الصلاة والسلام، وقد دعا الرسول عليهما، أما عامر فطعن، وأما أربد فأصابته صاعقة[١٢].

وبهذا تنتهي قصته مع الإسلام، ومع الحياة ويقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء، إن من جيد شعره قوله:

فإني وإن كنتُ ابن فارس عامر
وسيدها المشهور في كلِّ موكب
فما سودتني عامر عن وراثة
أبي الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها، وأتقي
أذاها، وأرمي من رماها بمنكب[١٣]

فهو يقدم في هذه الأبيات جزءاً من سيرته الذاتية، فهو لم يأت إلى الدنيا من فراغ، ذلك لأن أباه كان فارس القبيلة وسيدها، ولكن القبيلة لم تورثه السيادة والفروسية، لأنه كان من العزم والفروسية والشعر ما يجعله في مكان الصدارة، وما يجعله الأحق بالسيادة، رغم العور، ورغم العقم٠٠ ولكن الحياة لم تكن معه على وفاق، وحسبه أن النابغة الذبياني قال لبني ذبيان بعد موقعة «حسي»، ما قلتم لعامر بن الطفيل، وما قال لكم، فلما أنشدوه وقال: أفحشتم على الرجل، وهو شريف لا يقال له ذلك، ولكني سأقول:

فإن يك عامر قد قال جهلا
فإن مطية الجهل السبابُ

فلما بلغ ما قال عامرا قال:

جعلني القوم رئيسا، وجعلني النابغة سفيهاً وجاهلا وتهكم بي[١٤]٠٠ وشق هذا عليه، وهو لا ينسى موقفاً كان بينه وبين «زيد الخيل» ذلك لأنه أغار في مرة على بني فزاره، فأخذ امرأة تدعى هندا، واستاق نعما لهم، فقالت فزارة لزيد: ما كنا قط إليك أحوج منا اليوم، فما كان منه إلا أن تبع عامر بن الطفيل، وحين أدركه زيد، نظر عامر إليه فأنكره لعظمه وجماله، وهنا قال زيد: يا عامر خل سبيل الظعينة، والنعم، ودخلا في حوار انتهى بقول عامر: تخلى عني وأدعك والظعينة والنعم، قال زيد: فاستأسر، قال:

أفعل، فأسره زيد الخيل، وجزَّ ناصيته، وأخذ رمحه، ومنَّ عليه، ورد الإبل وهنداء، وهنا قال زيد مؤرخا لهذه الواقعة:

إنَّا لنكثر في قيس وقائعنا
وفي تميم، وهذا الحي من أسد
وعامر بن طفيل قد نحوت له
صدر القناة بما في الحي مطرد
لمّا تحسّب أن الورد مدركه
وصارماً أو ربيط الجأش ذا لبد
نادى إليَّ بسَلم بعد ما أخذت
منه المنية بالحيزوم واللغُد
ولو تصبَّر لي حتى أخالطه
أشعرته طعنة تكتن بالزُّبد

فانطلق عامر بن الطفيل إلى قومه مجزوزا، وأخبرهم الخبر، فغضبوا لذلك، وقالوا: لا ترأسُنا أبدا، ورأسوا عليهم علقمة، فبعث عامر بن الطفيل إلى زيد الخيل دسيساً ينذره، فجمع زيد قومه، ولقيهم بالمضيق فهزمهم[١٥].

وعلى كل فجمال الدين بن نباته المصري قال: ولعامر بن الطفيل شعْرٌ جيد سري متمكن، وبخاصة في رائيته التي ذكر فيها عور عينه، والتي أولها:

لقد علمت عليا هوازن أنني
أنا الفارسُ الحامي حقيقة جعفر

كما أن من جيد شعره قوله:

وكم مظهر بُغضا لنا ود أننا
إذا ما التقينا كان أخفى الذي أبدى
مطاعيم في اللأوا، مطاعينُ في الوغي
شمائلنا تُتلى، وأيماننا تندى[١٦]

وتكفيه شهادة عمرو بن معدي كرب، فقد قيل له: ما تقول في عامر قال أقول فيه ما قاله فيَّ:

إذا مات عمرو قلتُ للخيل: أوطىء
زبيداً فقد أودى بنجدته عمرو
فأمّا وعمرو في زبيد، فلا أرى
لكم غزوهم، فارضوا بما حكم الدَّهر
فليت زبيدا زيد فيها كضعفها
وليت أبا ثور يجيش به البحر[١٧]

وقد لخص ابن شرف القيرواني حياته وشعره في قوله عنه «كان شاعرهم في الفخار، وفي حماية الجار، وأوصفهم لكريمة، وأبعثهم لحميد شيمة[١٨]. وقد افتخر رجلان بباب معاوية أحدهما من بني عامر، والآخر من بني شيبان، فكان في مقدمة ما فخر به الأول عامر بن الطفيل[١٩]، كما قيل إن «قيصر» كان إذا قدم عليه فارس من العرب قال: ما بينك وبين عامر بن الطفيل، فإن ذكر نسباً عظم عنده[٢٠].

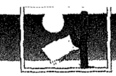
وقيل إنه لما مات عامر بن الطفيل نصب بنو عامر أنصابا ميلا في ميل حمَى على قبره، لا تنشرُ فيه راعية، ولا يرعى، ولا يسلكه راكب ولا ماش، وفي هذه الفترة كان جبار بن سلمى بن عامر غائبا، فلما قدم قال: ما هذه الأنصاب؟، فلما قالوا: نصبناها حمى على قبر عامر، قال: ضيقتم على أبى علي، إن أبا علي بان من الناس بثلاث: كان لا يعطش حتى يعطش الجمل، وكان لا يضل حتى يضل النجم، وكان لا يجبن حتى يجبن السيل[٢١].

وقد احتج له فيما ظاهره تجنيس، وباطنه طباق الوعد والوعيد، والفرق بين الوعد والايعاد، في قلب الهمزة ياء:

وإني إن أوعدته أو وعدته
لمخلف إيعادي، ومنجز موعدي[٢٢]

ووصفه أبو عبيده في باب «عقماء العرب»[٢٣]، كما أنشد له أبو العباس بيته الذى يقول:

إذا أنت لم تجعلْ لسرك جنَّة
تعرَّضت أنْ تُروى عليك العجائب[٢٤]



الهوامش:

(١) الشعر والشعراء ٢٥٢/١.

(٢) انتربولوجية الصورة والشعر العربي. د. قصي الحسين ٢٥٠.

(٣) الجرد: الخيل القصيرة الشعر. كلح: من الكلوح وهو ظهور الأسنان عند الغضب، يعسفن من العسف، وهو الهجوم على الأمر بلا روية، الوشيج: الرماح، وأصله الشجر الذي تؤخذ منه الرماح كما أنه أرخ لمعركة «الفيفا» التي أصيبت فيه عينه، العمدة ٢١٣/٢ ط ٥ بيروت، كما يبارك الغزو في قوله:

لله غارتنا، والمحل قد شجيت
منه البلاد، فصار الأفق عُرْيانا

(٤) إنا لنعجل بالعبيط لضيفنا
قبل العيال، ونطلبُ الأوتارا

(٥) وأنا ابن حرب لا أزالُ أشبّها
سعراً، وأوقدها إذا لم توقد

(٦) شعراء النصرانية في الجاهلية: الأب لويس شيخو ٣٦٢/٣ المطبعة النموذجية بالقاهرة.

(٧) مختارات شعراء العرب لابن الشجري ٥٤٨، ٥٤٩.

(٨) يقول: ما أساء عامر ولا قومه حين فروا. وحاجزوه عند المنافرة.

(٩) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون وقد سوّى بينهما هرم بن قطبة: إنكما كركُبَتَي البعير، يقعان معا على الأرض، وكلاكما سيد كريم، قال أبو عبيدة في كتاب الديباج: المتنافرون في الجاهلية أولهم عامر وعلقمة ص ٨٨.

(١٠) كانت المنافرة في حضرة النعمان بن المنذر، فقال:

كان التبابعُ في دهر لهم سلف
وابن المرار، وأملاك على الشام
أنحى علينا بأظفار فطوقنا
طوق الحمام بإتعاس وإرغام
إن يمكن الله من دهر نساء به
نتركك وحدك تدعو رهط بسطام

العمدة ٢٢٠/٢، ٢٢١ ط ٥، دار الجيل بيروت.

(١١) الشعر والشعراء ٢٥٢/١، وقد وردت برواية أخرى في لباب الآداب ١٨٥، العمدة ١٣٩/٢، ١٨٣ ط ٥.

(١٢) معانى الشعر، عز الدين التنوخى ص ٨٨ ط دمشق، الخزانة ٧٠/٣.

(١٣) العمدة لابن رشيق ١٣٩/٢، ١٨٣ ط ٥، الكامل في اللغة والأدب ٩٥/١.

(١٤) في الحماسة البصرية ٧٢/١.

وإني وإن كنت ابن فارس بهمة
وفي السر منها، والصريح المهذب
فما سودتني عامر عن كلالة
أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكنني أرمي حماها، وأتقي
أذاها، وأرمي من رماها بمقنب

وهناك رواية أخرى في العمدة ١٧١/٢ ط ٥. وعلق ابن رشيق أنها من المختار في الفخر.

(١٥) لباب الآداب، أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد محمد شاكر ٢١٩، ٢٢٠ دار الجيل بيروت.

(١٦) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١٦٨، ١٦٩.

(١٧) لباب الآداب ص ١٨١.

(١٨) رسائل الانتقاد ص ٢٨.

(١٩) العمدة ٢٢١/٢ ط٥.

(٢٠) خزانة الأدب للبغدادي ٧٠/٣ ط السلفية.

(٢١) خزانة الأدب للبغدادي ٧٢/٣، وكنيته في الحرب أبو عقيل، وفي السلم أبو علي.

(٢٢) العمدة ١٤/٢ ط ٥ بيروت.

(٢٣) كتاب الديباج ص ١٢٢، والبيت في مجالس العلماء للزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون ص ٦٢ ط الخانجي.

وإني وإن أوعدته أو وعدته
لمخلف إيعادي، ومنجز موعدي!

(٢٤) المؤتلف والمختلف للآمدي. علق عليه. د. ف كرنكو ص ٢٠٠.

وقفة مع كتاب ابن مالك المخطوط

(سبك المنظوم)

تعريف بابن مالك:

ابن مالك هو: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، أحد علماء العربية الذين عاشوا في القرن السابع الهجري، ولد بجيّان إحدى مدن الأندلس في حدود سنة (٦٠٠هـ) ودرس بعض علوم العربية والقراءات على بعض علمائها، قال المقرى في (نفح الطيب)[١] في حديثه عن ابن مالك: «إنه أخذ العربية عن غير واحد، وقرأ كتاب سيبويه كما درس المذهب المالكي، وهو المذهب السائد في الأندلس في ذلك الوقت»

رحل ابن مالك الى المشرق وترك الأوطان بسبب الفتن والاضطرابات التى سادت الأندلس واستقر به المقام في بلاد الشام فتوجه الى حلب وحماة ثم استوطن دمشق وعاش بها وأخذ عن علمائها مثل ابن الصباح وأبي الحسن السخاوي وابن يعيش وابن عمرون وغيرهم، واشتغل بتدريس العربية والقراءات وألّف كتباً ورسائل، ومات بدمشق في ثاني عشر شعبان سنة ٦٧٢هـ (١٢٧٤م).

أما مؤلفاته[٢] فقد وصل الينا أغلبها وقد طبع أكثرها وهناك مؤلفات لابن مالك ما تزال مخطوطة تنتظر الطبع لكي تعم فائدتها وتصل الى أيدي الدارسين ومنها هذا الكتاب الذي نقدمه للقارىء الكريم.

اسم الكتاب:

هذا الكتاب اسمه: «سبك المنظوم وفكّ المختوم»[٣] وهو شرح لنظمه المعروف (المؤصل في نظم المفصّل) وهو كتاب (المفصّل في علم العربية) للعالم المعروف جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ وهو مطبوع وله أكثر من طبعة.

وسبك المنظوم هذا منه نسخة مخطوطة في معهد الدراسات الشرقية ببرلين بألمانيا برقم (٦٦٣١) ضمن مجموعة (Landbirg 59) (انظر الصفحة الأولى من المخطوطة).

ونسبة هذا الكتاب الى ابن مالك صحيحة فقد أوردت كتب التراجم هذا الكتاب ضمن مؤلفاته، كذلك أشار إليه من المحدثين الدكتور عمر موسى في كتابه (أدب الدول المتتابعة)[٤]، والدكتور عبد المنعم هريدي[٥] في مقدمة تحقيقه لكتاب (شرح عمدة الحافظ) والدكتور محمد كامل بركات في مقدمة تحقيقه لكتاب (تسهيل الفوائد)[٦] وبروكلمان في (تاريخ الأدب العربي)[٧].

وصف مخطوطة الكتاب:

تقع مخطوطة هذا الكتاب في (١٧٣) صفحة مكتوبة بخط نسخي مشكول في كل صفحة (١١ سطراً) جاء في أولها: «قال الشيخ الامام العالم العلامة حجة العرب فريد عصره جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائى الجيانى نفع الله به الاسلام وأمدّ في طول بقائه الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى أما بعد فإنى استخرت الله تعالى في نثر المؤصل ليتم ما نويته من إعانة الأذكياء بالإيجاز وجمع المتفرقات ... وسمّيته سبك المنظوم وفك المختوم. وها أناذا باذل للمجهود في تحصيل المقصود».

وجاء فى آخرها ما نصه: «تمّ الكتاب والحمد لله وحده .. على يد العبد الفقير الى رحمة ربه: ابراهيم بن طاهر بن عبد الله الأربلى.. وذلك في يوم الاثنين ثامن ربيع الآخر من شهور سنة ٦٨٥هـ».

بقلم : د. غنيم غانم الينبعاوي

كلية اللغة العربية ـ مكة المكرمة

موضوعات الكتاب:

تناول ابن مالك موضوعات تدخل ضمن موضوعات النحو (أو ما تسمى التركيب) وهى أغلب موضوعات الكتاب وهناك موضوعات تدخل في بنية الكلمة الواحدة (الصرف) مثل: اسم الفاعل وألفى التأنيث والتصغير وأحكام الهمزة وأمثلة الجمع قليله وكثيره، والتقاء الساكنين وعالج الكتاب أيضاً موضوعات صوتية مثل: مخارج الحروف والادغام والإمالة والوقف.

وقد جعل ابن مالك كتابه في أبواب منها: شرح الكلمة - الإعراب - اعراب المعتل - المثنى - الجموع - ... بذلك التثنية وجمع التصحيح - المعرفة والنكرة - العلم - المضمرات - اسماء الإشارة - أسماء الموصولات - إلحاق الألف واللام - المبتدأ - الأفعال الرافعة للاسم - الأفعال المقاربة الى آخره من الأبواب التى تعالجها كتب النحو المعروفة، وقد أحصيت عدّتها فبلغت اثنين وثمانين بابا.

أمثلة من نصوص الكتاب:

قال ابن مالك في باب (شرح الكلمة وما يتعلق بها من العلامات) (ورقة٢): «الكلمة: كل لفظ دل بوضع، وهى اسم وفعل وحرف. والكلام: اللفظ المتضمن للإسناد، المستقل..» وفي باب (الأفعال الرافعة للاسم الناصبة للخبر) أورد ابن مالك في فصل قوله: «ألحق أهل الحجاز (ما) النافية بليس تأخير الخبر وبقاء تقديم المبتدأ» (ورقه ١٦)، وفي أفعال المقاربة قال ابن مالك: «عملها في الأصل كعمل (كان) لكن ألتزم هنا كون الخبر فعلا مضارعا وربما جاء على أصله مفرداً منصوباً، أو جملة اسمية، فخبر (عسى) و(جرى) و(اخلولق) مقرون بأن ...» (ورقة ١٦).

وفي باب مخارج الحروف، قال (ورقة ٨٢): «لهذه الحروف فروع تستحسن، وهى الهمزة المسهّلة، والغنّة ومخرجها الخيشوم، وألفا الإمالة والتفخيم، والشين كالجيم، والصاد كالزاي».

الهوامش والمراجع:

(١) نفح الطيب للمقرى جـ ٢. ٤٢١

(٢) لقد تناولت مؤلفاته بالتفصيل في كتابي (الدراسات اللغوية عند ابن مالك بين فقه اللغة وعلم اللغة) مطبوعات جامعة ام القرى سنة ١٤١٨هـ.

(٣) لديّ منه نسخة مصورة على ورق زودتني به المكتبة الوطنية الثقافة البروسية ببرلين - المانيا فلها الشكر.

(٤) أدب الدول المتتابعة للدكتور عمر موسى باشا، ط دار الفكر الحديث، دمشق.

(٥) مخطوطة تحقيق شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك للدكتور عبد المنعم هريدي، ط مطبعة الأمانة بالقاهرة، ط ١/١٩٧٥م جـ ١/٥٤ وما بعدها.

(٦) مقدمة تحقيق تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد - لابن مالك للدكتور محمد كامل بركات نشر دار الكتاب العربي بالقاهرة سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ص ٢١

(٧) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان (الطبعة العربية) ط دار المعارف بمصر (١٩٧٤ - ١٩٧٧م) جـ ٥/٢٩٤.

الصفحة الأولى من المخطوطة وفيها يظهر رقم الكتاب وختم المكتبة الوطنية الثقافية البروسية ببرلين - المانيا.

- الصفحة الثانية من المخطوطة.

- الصفحة الأخيرة من المخطوطة.

الأكثر مبيعاً في العالم العربي

al-jadeeda



هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، .. وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبدا.

ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها.

ونظرا للدور البناء والمؤثر الذى تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر - فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره.

وفي هذا الباب ستلقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتبعة نشأتها وتطورها.



«السنة الثامنة، العدد 387 الأربعاء 11 - 17 جمادى الآخرة 1414 هـ / 24 - 30 نوفمبر 1993م»

"Volume 8" Issue No. 387 Wednesday 11-17 Jumada Al Akhira 1414/24 - 30 November 1993.

الشرق الأوسط مجلة

Asharq Al Awsat Magazine

شعار «الجديدة» - شعار مجلة الشرق الاوسط.

«الجديدة»
تستقبل عامها الرابع عشر

في مثل هذا الشهر - صفر من العام ١٤١٨هـ وتحديدا يوم ١٧ منه، الذي يوافق يوم ١٩٩٧/٦/٢٣م تحلت (الجديدة) بثوب قشيب وتحت اسمها الحالي «الجديدة».

وهذه المطبوعة صدرت ضمن عائلة مطبوعات «الشركة السعودية للأبحاث والتسويق» في العام ١٩٨٦م كملحق أسبوعي لجريدة الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية - لتغطية اهتمامات القارىء العربي الصحفية في الجوانب الإنسانية والعلمية والفنية وغيرها.

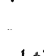
وقد استمر صدورها تحت اسم «مجلة الشرق الأوسط» من العام ١٩٨٦م وحتى تاريخ ١٩٩٧/٦/١٧م العدد (٥٧٣) حيث ارتأى القائمون عليها تغيير الاسم إلى «الجديدة» تمشيا مع ما أدخل عليها من تحسينات في التبويب والطباعة والاخراج مع الإبقاء على صدورها أسبوعيا بدءا من العدد ٥٧٤ الصادر في ١٩٩٧/٦/٢٣م.

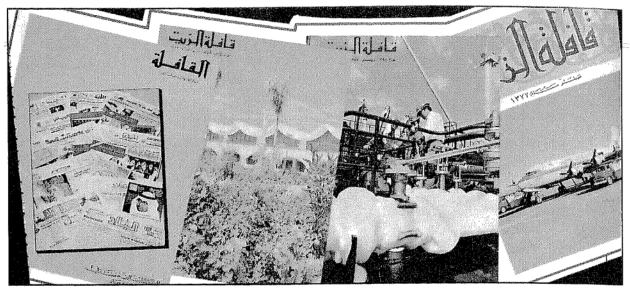
والمنهل بكل منسوبيها تقدم التهنئة إلى الشقيقة «الجديدة» وإلى كل القائمين عليها بمناسبة مرور ثلاثة عشر عاما مع الأمنيات بدوام التقدم والرقي.



عبد الرحمن الراشد
رئيس التحرير

هانى النقشبندى
نائب رئيس التحرير





- سلسلة أغلفة قافلة الزيت والقافلة.

القافلة .. تسير مع عامها الثامن والأربعين

في العام ١٣٧٣هـ وفي مثل هذا الشهر «صفر» الموافق (اكتوبر ١٩٥٣م) أصدرت شركة أرامكو السعودية في الظهران بالمملكة العربية السعودية العدد الأول من مجلة «قافلة الزيت» بهدف تزويد العاملين بالشركة وبشركات النفط الأخرى بالثقافة النفطية وبالمعلومات المتخصصة المتعلقة بشئون الطاقة وصناعاتها .. ومن هنا كان تسميتها الأولى «قافلة الزيت» حيث ظلت تحمل هذا الاسم مدة (ثلاثين عاما) وتحديداً حتى العدد الصادر في (شعبان ١٤٠٣هـ) وبعده صار اسمها «القافلة».

ومع إيلاء «القافلة» الجانب النفطي الأفضلية والأولوية في تناول موضوعاتها إلا أن القارىء يرى بوضوح أنها جمعت بين الثقافتين العلمية والأدبية - فأولت المادة الأدبية من شعر وقصة ونقد ودراسات في الأدب عناية مميزة.. إلى جانب الدراسات الاسلامية والموضوعات التراثية التى تجمع بين استعادة عطاءات الماضى العلمية والحضارية، وتبث الحياة في أمجاد العرب والمسلمين الغابرة، وفي رجالاتهم العظام من جهة، وبين الموضوعات العصرية التى تدور حول أبرز الانجازات الحديثة التى تتناول تطورات الحاضر واحتمالات المستقبل من جهة ثانية.

فـ «القافلة» إذن بطريقة موضوعية ورصينة تصل الماضى بالحاضر، وتمد جسورا باتجاه المستقبل، فلا نكاد نجد عددا واحدا من أعداد «القافلة» يخلو من استطلاع قيّم يحوى المعالم والانجازات والمناطق الهامة، في مختلف البقاع العربية، لمساعدة المواطنين السعوديين والعرب على التزوّد بثقافة جغرافية عامة.

ولم تغفل «القافلة» الاهتمام بتقديم التراجم والسير والتحليلات حول الأعلام العرب والمسلمين، من مفكرين وعلماء وأدباء وشعراء وقواد عسكريين، الذين قاموا بأدوار مميزة في الماضى أو فى الحاضر المعاش، فتسلط الضوء على منجزاتهم مع التحليل الموضوعى المفيد لقارىء «القافلة».

وجدير بالذكر أنه:

- قد تعاقب على رئاسة تحرير هذه الاصدارة الحصيفة ستة رؤساء تحرير وهم حسب الترتيب الزمنى لتولى رئاسة تحرير «القافلة» الأساتذة الأفاضل:

(حافظ البارودى - شكيب الأموى - سيف الدين عاشور - منصور مدني - عبد الله حسين الغامدي، والأستاذ عبد الله خالد الخالد الذى يضطلع حاليا بمهام رئاسة التحرير).

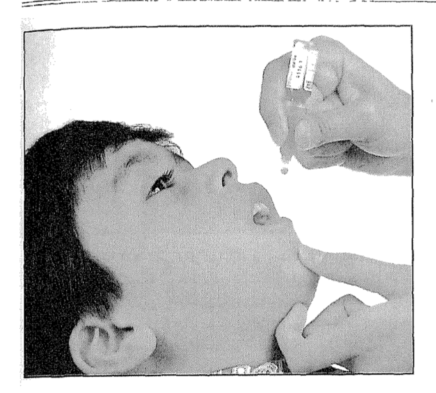
والمنهل تقتنص مناسبة هذه الذكرى السعيدة لتزف للشقيقة «القافلة» التهنئة مع خالص الأمنيات لها ولمنسوبيها جميعا بالانطلاق في «قافلة» الخير إلى آفاق الغد المشرق بحول الله ومشيئته.



الأستاذ/ عبد الله خالد الخالد
رئيس تحرير مجلة القافلة

اعداد : يعقوب السيد حسنين

سيمفونية المساء الحزينة



العربة تجرها الخيول، تتهادى نحو البعيد، غطتها أجساد النساء المتشحات بالسواد، والطفل القابع بجوار أمه محموماً، تلتقط أسماعه كل الكلمات. تتحدث إحداهن عن المرض، وأخرى عن الموت، وثالثة عن الأشباح!!

تتداخل في سمعه الأصوات لتختلط بأنين عجلات العربة ورتابة أقدام الخيل.

على البعد.. مبنى قديم، بقية مما تركه الاحتلال، كل ما فيه كئيب، آثر العزلة بعيدا بعيدا عن البنيان! يقف برغم ألف شمس وشمس مرت عليه ولم تُبْله، اللهم إلا ما استطاعت يد الزمان أن تحيل لونه الأصفر إلى رمادى باهت كئيب، «والقرميد» الذى غطى رأسه لم يسلم من عوادى الدهر، ولم تنله يد التحسين!

توقفت العربة عند السور، أطلت رؤوس متربة من الأشجار، في ظلها جلس رجال ونساء وأطفال، مرضى ينتظرون دورهم في الفحص، لقد لفحتهم جميعا شمس النهار.

عين الطفل معلقة بالباب، بين الفينة والفينة يلمح بصره المعطف الأبيض وهو يتحرك - في الغرفة - نحو سرير الفحص .. يغلق الباب.

«التمرجى» ينادى أصحاب الأسماء الشاخصة ببصرها نحو الباب.

قصاب داخل جلباب،

يعلوه غطاء للرأس،

تحت الجلباب سروال ،

فوق الأذن استقر قلم أزرق

في كفه جمع الأوراق ،

بعبوس يتهجى الأحرف، لينادى أصحاب الأسماء القابعة إلى الجدران.

دقات قلبه تسرع مع كل حركة من شفتيه، غليظة هي وسوداء، لم يكن صاحب الاسم، لا شك سيأتى دوره وتوضع حول رقبته الأغلال!

من بين ثنايا الأسنان، تبين أحرف كلمات هى كل ما يعرفه عن نفسه.. هي اسمه من صلب أبيه.

بقلم : د. أحمد عبدالمنعم عربود
- مصـــر -

نادى .. أن أقبل للفحص ، وازدادت دقات القلب، تواسى وتعزى الجسد المعلول.

بجلد ظهره العاري أحس ببرد سرير الفحص، وبيده رفع الأسمال لتتحرك يد الطبيب تمسح بطنه جزءاً جزءاً ، ثم بمسماع في أذنيه ينصت للقلب المعلول.

مع كل لمسة من الحلقة المعدنية في «السمَّاعة» ينتفض الجسد المذعور خوفا مما أخفاه القدر هناك في عقل ذلك المعطف الأبيض المنحنى بجسده فوق الركام!

إصطكت «السمَّاعة» وهو ينزعها عن أذنيه، وبكلمات اخترقت سمعه، متجها إلى مكتبه:

- لابد أن يُحْجَز ! !

الهلع المحدق بالأوصال، والوجه الشاحب من الأنصاب والرجفة تتدافع محدثة ألما هو فوق طاقة الإنسان.

الغصة تقبض على حلقه، والرعشة تسرى في جسده ، والهلع ينطق من شفته:

- لا لن أحْجَزَ ولو متُّ خارج الأسوار!!

- هذا ليس قرارك .. حياتك نحن نملكها، الأمر يخرج من يدنا، عدواك تنتقل إلى الناس .. لابد إذن من حجزك في تلك الدار!

من كان يصدق أن الخوف لبضع ثوان سيدوم ليوم أو أيام

من كان يخاف من الخارج كيف به داخل الأسوار؟!

من كان يرتعد لحديث عنها كيف سيعيش بداخلها؟!

الأمر لن يدخل في باب حوار !!

يُحجز .. كلمة ما أيسرها نطقا .. تصنع بالقلب آلاما

وبالصدر تكمن الحرقة، والحلق تحرقه الغصة..

دفعوه رغم الآلام .. نحو مصير محتوم .. لدخول مبنى الإعدام !!

ساقوه إلى أرض «الحمَّام» كئيب كل ما فيه وهذا المتدلى من الجدران..

يوحى بقدم الأزمان !!

كان لابد من «دُش» بارد قبل أن يختلط الحابل - منعا للعدوى - بالنابل!!

ارتعدت أطرافه، وانكمش يبكى مذعورا، عريانا وبنظرات يستجدى عطف القصاب!!

بقطعة فضة من ذات الربع «جنيه»، دفعتها الأم في يد القصاب، ابتسم وانفرجت أساريره، وبدون أن يبتل بقطرة ماء..

ألبسه ثياب الإعدام.

سروال قصر أم طال، جلباب من صنع الجهال، يفوح منه العطن، برباط عنق يتدلى على صدره ليقيه حر القيظان!

دهليز من زمن فات، تحطم بلاطه من السريان، على جنبيه سياج من خشب غيرت لونه الأزمان، أشبه بشهود للقبر تلتف حول الجثمان!

على البعد كانت حجرته، بل قل عنبره، وسط هياكل عظمية، على أسرِّة رمادية متسخة مع طول الأيام.

الصمت يطبق عليهم، وقد صبحتهم الشمس، وها هى توشك أن تودعهم ! العدد يتناقص حتما!!

كالقرفصاء جلس على حافة سرير أشار به «ممرضه»

الأم تخلت عنه في أوج الأزمة، وعزاؤه أنها ستعاوده عند المساء!

دارت عربة الطعام، صيحات المرضى توقظ النيام، هلموا موعد الطعام..

لم يعبأ بما أحدثه الجوع من آلام، وإن آنسه قرع الأطباق يخرجه من ضيق قد طال. عافت نفسه الدنيا وهم حديث عن الطعام؟! كلمات التواسى تواسيه: أىْ أقْبلْ.. كُلْ معنا فالبركة تحل مع الخلان.

إيماءة حزن من رأسه، دعوني همِّي ليس طعام .. دعوني إني في محنة.. لا أقدر أن أفصح بكلام.

في «العنبر» عجوز قد أشبعه المرضُ بلكمات في كل مكان، والظهر أحناه الألم مع الأيام، تقدم بطعام في يده، يحنو ويواسي المسكين! بحنان يربت على كتفه:

ـ مالك لا تأكل معنا! فغداً تشفى وتعود لأهلك حراً ومعافا!!

كلمات تاق لرؤيتها .. تتحقق في التَّوْ .. ياليت!!

كم يطبق الحزن على صدره .. جبالا مع الوقت يزيد

والعبرة تترقرق في عينيه يدفع يده .. شكرا للشيخ المسكين!!

العين مسلطة بالنافذة، ترقب الشمس الغاربة، وهم من حوله، يعجبون من تململه.. «كلنا في الهواء سواء»!!

لم يطق المسكين صبراً ، بخطوات متهالكة اتجه نحو الباب من وقت قد لبس المرض الجثمان، حتى ما كان فيه من رمق قد ضاع وسط الأحزان.

يا له من قدر يحار فيه الإنسان:

بالأمس كنت هناك ألهو مع صحبي من الجيران

واليوم صرت حبيسا خلف الجدران، أعانى المرض والوحدة، تتقاذفني أيدى الأشباح!

أشباح .. آه القطط ذات الرؤوس الكبيرة، ليست قططا قالوا عنها عفاريت تأتى بالليل.

وعلى البعد هى الأخرى حجرة «العزل» هناك كانت تربض وسط الصمت.، عنها كنا نسمع: مرضى ينتظرون الموت!

رباه هل حان الوقت؟ واقترب الأجل لتزل القدم إلى الموت؟!

هنا بعيدا عن الأهل .. في حجرة العزل؟!

إيه .. حجرة العزل .. أمى قالت عنها: من كان المرض أنهكه، أو خيف منه العدوى فهناك مكانه في العزل.. عنها كنا نسمع عليه تغلق الأبواب، كئيب كان منظرها، كهياكل عظام تعلوها جماجم وركام!

أخذ الخطو بعيدا عنها يرقبها بطرف من عينيه حيث الأسوار.

دورات مياه مرعبة، تتساقط فيها القطرات، محدثة صوتا كغسول جسد قدمات، والثلث الأسفل من الأبواب قد تآكلت منه الأخشاب.

بالقرب من السور وجد بغيته يأمل أن يقفز بعيدا خارجه!

آمال ما أيسر أن تنبو تتلاشى أمام القضبان.

الشمس تدور في مغربها، في هودج أحمر قان، تُزَفُّ ليوم النسيان

قد ظلت في الظهر تدور، والآن عادت لتنام، خيم الصمت على المكان، إلا من حفيف الأشجار، مختلطة بأصوات العصافير الآيبة تتدافع نحو الأعشاش لتعزف سيمفونية المساء الحزينة!

القرص القرمزى يلثم سطح الأفق ليودع النهار بقبلة المساء.

هناك هناك خلف البنيان، أرسل الطفل أنظاراً شاخصة تتوسل ضوء نهار! يناشد ـ من خلف الأسوار ـ شمس المساء الغاربة أن تقف هناك.. وهى تتسربل بجلباب المساء!

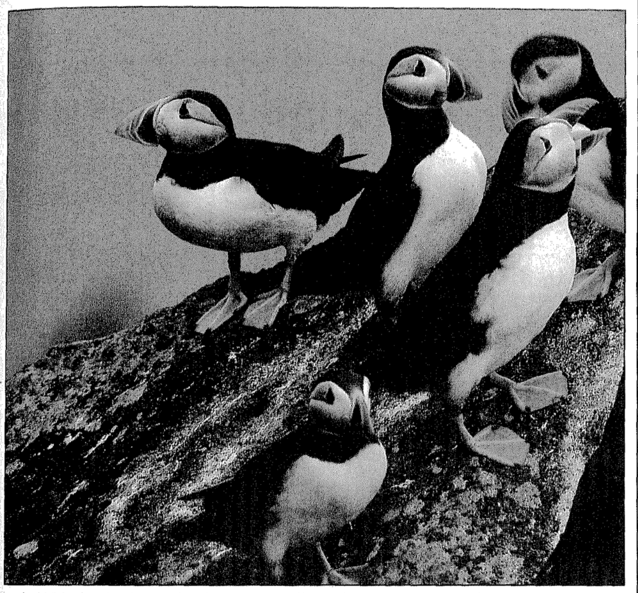
أيا شمس المساء الغاربة.. يناشدها أن تقف هناك

وهى في هودجها الأحمر تنسحب وراء الأفق رويدا رويدا .. دون أن تسمع!!

يا شمس المساء الغاربة تمهلى !! والموت الأسود يجذبها نحو القبر القابع خلف البنيان.. يستعطف قوسا منها قد أوشك أن يسقط خلف الأفق هناك!!

حتى أنت يا قوس ألا بقيت تؤنسنى؟!.. آه ما أتعسنى!! وأخيرا .. سقط القوس خلف الحجب فى هدوء.. وهناك خلف الأسوار سقط الجسد المتهالك.. رغم كل التوسلات!!


رسالة
من الأبيوردي
.. الى السيدة الجميلة
البفن ..
هل هو
بطريق
طائر ؟!!
صيد ثمين
١١٦
لك
أوراق زوجية
هن
مجلة شهرية ذات أداء متخصص تخاطب عقل المرأة ووجدانها



بعض القواعد المهذبة لمجتمع البفن تظهر في مثل هذه التجمعات، فعند الهبوط يتخذ كل طائر الحركة المتعارف عليها: الجناحان الى أعلى، الرأس مرفوع جزئيا، قدم واحدة الى الامام، ويعبر الآخرون عن الترحيب بالرقص في مكانه.

البفن هل هو بطريق طائر؟!!

إيمان البهنساوي
- مصـــر -

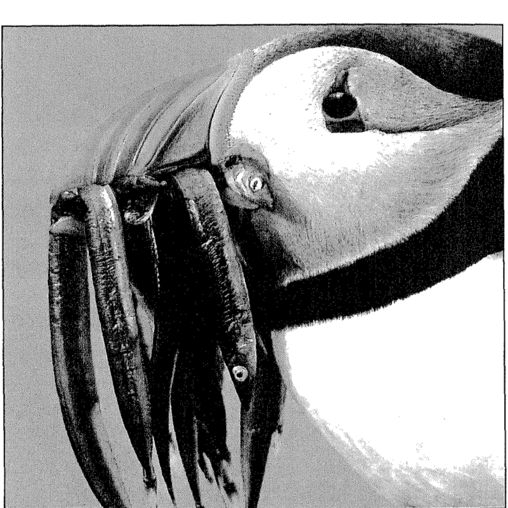


يعتقد معظم الناس أن البفن ما هو الا بطريق طائر. ولكن هذا الاعتقاد الشائع لا يمت للحقيقة بصلة، فالبفن طائر بحرى من طيور الأطلس الشمالي، وهو أحد أنواع طيور الاوك (طائر قصير العنق والجناحين من طيور البحار الشمالية).

والجدير بالذكر أن هناك أربعة أنواع من طيور الاوك وقد تم صيد معظمها حتى انقرضت في القرن الماضى، إن الانواع المختلفة من طيور الاوك تعـيش في نصف الكرة الشـمـالي وباستطاعتها الطيران، بينما طائر البطريق يعيش في نصف الكرة الجنوبي ولا يستطيع الطيران.

ان البفن العنقودي والبفن ذو المنقار الضخم والاويك (أوك صغير) كل هذه الانواع تنتشر في شمال المحيط الهادى مع أفراد عائلتها من طيور الاوك التى تبلغ العشرين، ولكننا سنركز هنا على طائر البفن الذى يعيش في المحيط الاطلسي.

يؤسس البفن مستعمراته بعيدا عن الحدود التى يعتقدها البشر مناسبة، فإذا أردت أن تشاهد البفن فما عليك إلا أن تذهب الى الحافة ثم الى حافة الحافة حيث الماء يغطي اليابسة وقد تكون محظوظاً أخيرا لتشاهد البفن. ان الجزر التى تعصف بها الرياح والقريبة من المناطق الغنية بالاسماك في سلسلة الصخور القارية قرب سطح الماء تعتبر مناطق نموذجية للبفن، فالريح الهوجاء



الاشواك في مقدمة الفم تساعد على تثبيت الحمولة مما يسمح لطائر البفن بأن يحمل في الهواء عددا كبيرا من الاسماك دفعة واحدة، ان أكبر حمولة سجلت له كان يحمل في منقاره ٦٢ سمكة صغيرة، ولكن وزن الحمولة وكمية الدهون التى تحويها أهم من عددها.

تناسب البفن الممتلىء الجسم.

هناك بعض الاوضاع الخاصة التى يشتهر بها طائر البفن والتى اصبحت قواعد عامة لمجتمع البفن. فعندما يهبط طائر البفن في مجموعة يرفع جناحيه عاليا ويضع قدما واحدة للامام، إن هذا الوضع الفريد يظهره وكأنه أحد المتفرجين على الخليج، أما خطواته التى تشبه الزحف العسكرى مع رأسه التى يدسها فجأة في صدره السمين تعني أن البفن يحرس جحره أو أنه يقترب من أليفه.

ولكن لماذا يطير البفن معا في قطيع كبير؟

إن حشود الطيران المندفعة فوق مناطق الاعشاش تعتبر نوعا فريدا من حماية النفس، فعندما يتحرك البفن من البحر الى اليابسة أو العكس فهو أولا يدور عدة مرات فوق الجزء الخاص به في المستعمرة ثم ينضم اليه حالا مجموعة أخرى من طيور البفن تطير في نفس الاتجاه لتتجنب تصادم الرؤوس، إن كتلة الدوران السريعة هذه تعطى انطباعا بالانتظام والثبات والجلد.

وعندما تشاهد طيور البفن طائرا مفترسا مثل النورس الاسود فانها تنضم جميعا الى كتلة الدوران هذه. إن انضمامها وتجمعها معا يربك النورس ويجعل من الصعب عليه أن يختار هدفه من بين طيور البفن الكثيرة، وكلما كان عدد طيور البفن التى في الهواء اكثر كلما انطلق النورس أو الطائر المفترس بعيدا عن الهدف.

أما على اليابسة فإن اجتماع طيور البفن معا في مجموعات صغيرة يأخذ وقتا، وتعتبر الصخور وكتل الاعشاب النامية نوادي بيتية يجتمع فيها طيور البفن الكبيرة مع الطيور غير الناضجة، ان طيور البفن كبيرة السن متداخلة مع بعضها البعض أكثر من البشر مع أقاربهم، أما على الساحل فان طيور البفن دائما ما يراقب أحدها الآخر ويتدخل فيما لا يعنيه من شئون طائر آخر من طيور البفن، فليس هناك شيء أكثر سحرا للبفن من طائر بفن آخر.

ولكن أين تذهب طيور البفن في فصل الشتاء؟.

لقد وجد عدد قليل من طيور البفن ميتة على شواطىء البحر الابيض المتوسط، وعلى ما يبدو فإن البفن من محبى التجول في المحيط الاطلسي، والجدير بالذكر ان ثلثي طيور البفن تنجو من الشتاء عند البحر ثم تعود الى مكان ولادتها بعد مرور فصلين أو ثلاثة من فصول الربيع عندما تصبح قادرة على العودة الى الساحل، أما الباقى فيستقر في مستعمرات في مكان آخر.

إن الازواج المتناسلة تتشكل عند سن خمس سنوات ومعظم هذه الازواج تظل معا مدى الحياة ويربى كل زوج فرخا كل عام، ويقوم الزوجين ببناء عش الزوجية معا فيحفر الزوجان حفرة في منحدر عشبي بالقرب من البحر مستخدمين منقاريهما القويين كمعول وأقدامهما ذات المخالب الحادة كمجرفة. وفي بعض الاوقات يعشش البفن تحت الصخور عند قدم أى منحدر صخرى شاهق قرب الشاطىء، وإذا مات أحد الزوجين فإن الزوج الآخر يبحث عن شريك من غير المرتبطين، ان النضج المتأخر وقلة النسل والرعاية الأبوية وطول العمر -



خلال فترة التودد والمغازلة تصبح الصفيحة العظمية في منقار البفن والذى يشبه قوس قزح أكثر لمعانا وبريقا لتضيف اليه الفتنة والاغراء. ويعرض الجنسان في ازدهاء منقاريهما المثلثين اللذين يستخدمانهم اكعلم اشارى للاتصال عبر المسافات، أما خلال اللقاء القريب فإن حركات العين البسيطة تبرز علامات حول العين لتنقل الرسائل الشخصية.

صفات نموذجية للطيور البحرية - تساعد طيور البفن على النجاة في عالم هزيل يفتقر الى المواد الغذائية.

وفي سن ستة أسابيع تغادر فراخ البفن أبويها وتطير وحدها نحو البحر الواسع ثم يلحق بها الكبار بعد ذلك عندما يقترب الخريف ويختفى صغار السمك، وخلال الاسابيع الأولى من الاستقلالية والاعتماد على النفس تحصل الفراخ على أربع أو أكثر من وجبات الطعام كل يوم من أبويها، ولا يعلم أحد حتى الآن كيف يحدد البفن أماكن السمك بدقة، ولكن البفن على العموم صياد ماهر يغوص بعمق ٢٠٠ قدم، كما أن الأشواك التى تنحدر من الفم تسمح للبفن بأن يمسك بعدد كبير من الاسماك الصغيرة مرة واحدة. وتشير السجلات المنشورة الى أنه يمسك بـ ٦٢ سمكة في منقاره.

ولكن الصيد غير المنظم في أواخر القرن التاسع عشر لتوفير ريش القبعات والوسائد والمراتب ترك المنطقة الشرقية من امريكا الشمالية خالية من طيور البفن الجميلة والمستعمرة الوحيدة التي نجت في الولايات المتحدة بها حوالي ١٥٠ زوجاً من طيور البفن.

صيد ثمين

نعترف نحن معشر النساء أو البعض منا بأننا نصر على التمسك بنضارة الشباب والجري وراء كل وسائل المحافظة عليه من أجل عيون الرجل.. الرجل الذي نقدم له كل القرابين الممكنة ليرضى ويهدأ.. ولعلنا بعد ذلك نحظى منه بالاكتفاء والقناعة وننجح في تكبيله بقيود أبدية تضمن لنا كبح جماح عينيه اللاهثتين في تصيد الغير وملاحقة الحسان كلما سنحت له الفرصة هنا وهناك، ولا يمنعه من الوصول الى ذلك في أحيان كثيرة وجود الزوجة الحسناء بقربه.

كل الوسائل تُتَّخذ لترضي المرأة الرجل.. ولا أعني الرجل دون تحديد لموقعه وتأثيره في حياتها.. بل أعنى الرجل الزوج.. ذلك الصيد الثمين الذي تحارب المرأة من أجل الحفاظ عليه إلى حد الإجهاد والإرهاق النفسي.

صيد ثمين.. قد لا يعكس هذا التعبير اهتمامنا فقط نحوه ولا تقييمنا له.. بقدر ما يعكس حرصنا على مكاسبنا فيه والإصرار على عدم الفشل في حياتنا الزوجية هذا الفشل الذي يستدعى الشماتة من الأخريات وخلق الفرصة - لكل من هب ودب - لتشخيص الحالة وتوجيه الاتهام، ولن تكون هناك ضحية تسكب عليها نيران اللوم والتوبيخ سوى المرأة.. الزوجة المغلوبة على أمرها التي جانبها الحظ وخانها التوفيق في الاحتفاظ بهذا الكنز الثمين: الزوج الغالي.. الرجل الأثير لدى نفسية المرأة المحبة.

هذا الزوج قد يكون هو أقوى الدوافع وأمرّها التى تخلق من المرأة شخصية مضطربة غير واثقة من نفسها تلهث دائماً وراء كل ما تعتقد انه سيضمن لها رضاءه وحبه.

وكنتيجة لهذا كله تجد الزوجة نفسها في ميدان منافسة ومعركة من أجل البقاء.. وحفظ الكرامة

إذن: والحالة هذه فالحياة الزوجية إنما هى ساحة حرب ونقاط متعددة للصراع.. ودوامة تهديدات لا تنتهي، فكل ما سبق يدل على واقع خاطىء وفرضية غير صحيحة مؤداها ان المرأة عبارة عن تمثال للجمال ورمز للنضارة وهدف للاستمتاع ليس اكثر، ومتى خسر هذا التمثال الجميل مزاياه.. فلا مهرب من استبداله بآخر يفوقه روعة وجمالا وحيوية ونضارة وشبابا الى آخر ما هنالك من رغبات.

تفقد المرأة بذلك التقييم الخاطىء أحد مكوناتها ومزاياها وهي إنها انسانة كريمة بمشاعرها وذاتها،

هند احمد هرساني
- جـدة -

جميلة بعطائها ثمينة بثروتها المعنوية وإضاءاتها النفسية، وهي ليست دمية جميلة على الدوام، شابة على مرّ الزمن، رشيقة في كل الأحوال، وفي صحة وعافية على مدار الأيام.

لابد أن تعتري بعض الغيوم وجه القمر، قد تظلمه لفترة تكرر ضوءه لفترات وتتحدى بهجته لفترات اخرى، ولكنها لا تغير مضمونه.. ولا تغير معدنه.. وهكذا هو حال المرأة.

من المحبة والاحترام، لها أن يتقبلها الرجل بكل حالاتها وعلى اختلاف مراحلها.. فهي زهرة قد تعصف بها الأنواء ولحن رقيق قد يجرحه نشاز الأيام.

ماذا يبقى للمرأة من مشاعر بعد مرحلة الشباب والنضارة والرونق.. وربما في بعض الأحوال.

ماذا بعد الصحة والعنفوان؟

ما الذي يبقى للمرأة عند الرجل؟ هذا هو المعيار الصادق والتقييم الحقيقي في رأيي لمدى عمق المشاعر وقوة ارتباط الرجل بالمرأة.

احتواء المرأة بكل المشاعر في كل الظروف والاهتمام بها على اختلاف الأحوال هو الوفاء الذى تطمع فيه كل امرأة، كل زوجة محبة.

ماذا بعد الغروب؟

ألا توجد اشراقة في المشاعر، وتوهج في العواطف وسطوع في المحبة.. هل انتهى الموسم وضاعت الفرص وانفضت الأماني وتعثر الرجاء وضاع الأمل؟؟

الوفاء خُلق كريم ومبدأ ثابت تزدهر به علاقتنا بالآخرين.. وهو ضرورة ملحة وعملة نادرة يتبادلها الزوجان عبر رحلتهما المشتركة.. وهو احساس مطمئن تسمو به نفوس البعض.. وتفتقر اليه قلوب الكثيرين في مختلف مجالات التفاعل البشري والالتقاء الوجداني وخاصة بين الزوجين.. فتبرز عند ذلك الصور البشعة لممارسات جارحة وانتكاسات عديدة للآمال وهزائم مُرَّة للعواطف وإيذاء سافر للمشاعر.

مسكينة إذن هى المرأة!

إذا لهثت وراء كل ما يبقي لها جمالها ويغذي شبابها بالنضارة والإشراق فهي تفعل ذلك من أجلك أيها الرجل، أيها الزوج الحبيب، كي تضمنك الى جانبها، لأن تعاملك معها يؤكد لها أن ليس هناك غير القشور .. والشكليات الزائلة، ليس هناك العمق الرحيم والمشاعر الثرية التى تضمن لها مستقبلا خاليا من الانتكاسات العاطفية التى تؤدى الى هدم أعمق مافي الكيان الشامخ وهو الصدق والأمن والحب الحقيقى النزيه.

المرأة في هذا الواقع.. امرأة مسكينة لا أسلحة اخرى لها غير اسلحة الجمال التي لجأت اليها الأنثى عبر غابر العصور.. من أجل عينيه!

ممارسات خاطئة حوَّلت المرأة الكريمة بذاتها الى انثى تتشبث بأنوثتها بعيداً جداً عن انسانيتها من أجل البقاء والتفرد بالحظوة والإعجاب ممن يهمها أمره.

وهذا واقع في رأيي غير مشرف تنحدر إليه بعض النساء نتيجة سلوكيات خاطئة من الرجال نحوهنَّ.

عندئذ يحق لنا أن نذرف دموع الحسرة والألم وننعي الوفاء في ارتباطنا المهترىء وبنائنا المتداعي!

أوراق زوجية

٩٩١ ـ أبو عواد:

قالت لي تصف معاناتها: انها أرملة رجل حي!! يا لها من عبارة مؤثرة تحتاج إلى مجلدات لوصف معيشة وحياة أرامل لأزواج أحياء يرزقون!!.. ترى كم يظلم الرجال زوجاتهم وكم في كل بيت صابره!؟.. ومن حقي أن أقول بالمقابل كم من الرجال أذلاء في بلاطهن داخل أسوار المنزل وربما خارجه!؟.

٩٩١ ـ أم عمرو:

اذا ماتت الزوجة في نظر زوجها أو مات الزوج في نظر زوجته فهذا بمثابة تصريح بدفن العلاقة الزوجية قبل أن تزكم رائحتها أنوف المحيطين بها.

٩٩٢ ـ أبو عواد:

أحبك لأجد الوسيلة مقدمة للغاية.. انني أحبك حب الغاية ذاتها لأنك أهل لذلك ولأن الحب لا ينبغي أن يكون مطية ولا سفينة شراعية، الحب هو المرفأ وهو الغاية والهدف.

٩٩٢ ـ أم عمرو:

لا يوجد في الحب غاية ولا وسيلة. التعريف الوحيد للحب أنه علاقة يعطي فيها كل طرف للآخر بلا سبب ولا مقابل ولا حدود.

٩٩٣ ـ أبو عواد:

هل يتجزأ الحياء؟! سألت نفسي غير مرّة هل تكون المرأة خجولة في الطريق وخلاف ذلك في مكان آخر؟!.. وهل الخجل فستان تلبسه المرأة كغيره من الفساتين الجميلة وتخلعه متى شاءت أم هو شيء متأصل كأصابع يدها وكفها المخضب وأظافرها المطلية؟!..

٩٩٣ ـ أم عمرو:

نعم الحياء لا يتجزأ ولكن كيف يمكن أن نتصور محارباً في معركة على قدر كبير من الحياء. الحقوق لا تؤخذ بالحياء وخاصة إذا كان من يضع يده عليها لا يتسم بأى قدر من هذه الصفه.

٩٩٤ ـ أبو عواد:

ما هو المجال المغناطيسي لجاذبية المرأة؟!.. وكيف يقع مجذوب في مجال من هو أقوى جاذبية؟! وكيف باستطاعة الجاذبيتين أن تفض الاشتباك على مجذوب هو في أحسن الأحوال ضحية؟!.

٩٩٤ ـ أم عمرو:

المجال المغناطيسي للمرأة هو الدائرة التى يغطيها حبها وحنانها وأمومتها وعلى من يقع داخل إطار هذه الدائرة أن يسكن ويقر عيناً فلن يستطيع الفكاك منها ابداً.

٩٩٥ ـ أبو عواد:

الزوجة في حالات معينة تحتاج لأن تعلن في صفوف قواتها البرية والبحرية والجوية حالة التأهب القصوى عندما تشعر بأن هناك عدواً يهدد حدودها الآمنة! أليس كذلك؟؟

٩٩٥ ـ أم عمرو:

إن إحساس المرأة بالخطر المحدق



ببيتها وحشدها لكل أسلحتها للقضاء على الهوام التى تزحف حوله هو غريزة وضعها الله فيها وفي أغلب الكائنات الأخرى للمحافظة على عشها وعلى صغارها.

٩٩٦ ـ أبو عواد:

إذا اطمأنت الزوجة أن زوجها كما يقولون - حمامة مسجد!! وسرّحت قواتها الاحتياطية فإنها وحدها تتحمل المسؤولية إذا حدث عدوان غاشم وأصبح الزوج أسيراً في أيدى الأعداء!!

٩٩٦ ـ أم عمرو:

أشفق على الرجال من هذه الصفة التى يلحقونها بأنفسهم. أنهم ليسوا كائنات مسلوبة الإرادة كما يدعون وعندما يقعون في شرك منصوب فإنهم يفعلون ذلك بمطلق ارادتهم وعليهم ان يرتفعوا الى مستوى تحمل مسئولية ما يفعلون ولا داعى لمثل هذه الأعذار الواهية، مكشوفة هذه اللعبة!.

٩٩٧ ـ أبو عواد:

أوافق الشاعر في قوله «وبعض مودات الرجال سراب» .. لكن البعض الآخر من هذه المودات ماء عذب وينابيع دافئة فيها يُطْفأ الظمأ وتبرأ العلل.. لكن الذي في معظمه سراب هو مودات النساء ما لم تكن أماً أو أختا إلا ما ندر!!

٩٩٧ ـ أم عمرو:

تصبح مودة الزوجة لزوجها سراباً ويتعذر عليه أن يتيقن من صدق مشاعرها اذا شاركتها فيه زوجة أخرى. هنا تتحول المشاعر إلى المنافسة ولا تنبع من نفس صافية.

٩٩٨ ـ أبو عواد:

على الزوج العاقل أن يقطع الحرارة عن هاتفه عندما يصبح جهازه محطة استقبال لارسال إباحي من صديق غير مخلص!!

٩٩٨ ـ أم عمرو:

من الأفضل أن نربي بناتنا ليكنّ حارسات على أنفسهن فمهما نصبنا من أنفسنا حراساً عليهن فلن نتمكن من ذلك على مدار الساعة. المرأة الفاضلة لا تسمح لأحد بالتطاول عليها وهى اكثر قدرة على قطع لسان كل من يحاول ذلك.

٩٩٩ ـ أبو عواد:

ليست في نساء اليوم امرأة كامرأة أيوب عليه السلام ولا كزوجة فرعون «آسيه» جميعهن يتظاهرن بالحب والتضحيات وعند أول منعطف يجد الزوج نفسه وحيداً!!

٩٩٩ ـ أم عمرو:

وهل يوجد من رجال اليوم من يعتبر نفسه مثل أيوب عليه السلام؟ أين يوجد هذا الرجل؟.

١٠٠٠ ـ أبو عواد:

جميع الساقطين على وجه الأرض هم الذين أوصلوا المرأة إلى هذا الغرور والعنجهية التى باتت معها لا تريد أن تسمع شيئا غير المديح والثناء والاطراء والتذلل في بلاطها كأنها صدقت نباح تلك الكلاب الضالة وحوم خفافيش الليل حولها!!

١٠٠٠ ـ أم عمر:

لا اعرف كيف وصل الرجل الى هذه الدرجة من البخل؟ حتى الثناء والمديح الذى لا يكلفه شيئاً يريد أن يضن به. المديح والثناء تعزيز يشجع الطرف الآخر على المزيد من العطاء والتضحية، والفم المملوء بالكلمات العذبة طيب الرائحة.

رسالة من الأبيوردي إلى السيدة الجميلة

* هو أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد
* ينتهي نسبه الى معاوية بن أبي سفيان.
* ولد في مدينة أبيورد بخراسان.
* كان فاضلا في العربية والعلوم الأدبية - نسَّابة.
* أخذ عن عبد القاهر الجرجاني في النحو.
* مدح أمراء خراسان وخلفاء العراق وأمراءها.
* تولى خزانة دار الكتب بالنظامية ببغداد.
* في آخر عمره تولى الإشراف على وجهاء مملكة السلطان محمد بن ملكشاه.
* مات بأصبهان سنة ٥٥٧ هجرية.
* من تصانيفه:

أ - كتاب: قبسة العجلان في نسب آل أبي سفيان.

ب - كتاب: نزهة الحافظ.

جـ - كتاب: من طبقات العلم في كل فن.

د - كتاب: كوكب المتأمل - يصف فيه الخيل.

أميمة معذبتي:

غادرت خراسان عند الفجر وهاك رسالتى أبعثها إليك مع صديقى ثابت بن على، فاقرئيها وتدبري معانيها وما تشى به، فلسوف تطلعين فيها على صدرى وما يكنه لك من حب ووداد.. وما يحفظه لك من تقدير وإجلال، ولسوف تطلعين فيه على أسباب سفرى المفاجىء بغير أن أنذرك.. فقد سئمت العتاب، وسئمت توترات الخصام وما يسببه لى من قلق بالنهار وأرق بالليل. وذلك هو العذاب الواصب الذى لا يحتمله إنسان مثلى.

رأيتك يا معذبتى وقد دأبت في الأيام الأخيرة على السخرية منى والتهكم عليّ. وكأنك لا تعرفين من أنا ومن أكون ومن هم آبائي وأجدادي.. أنا سليل العظماء والكبراء:

جدى معاوية الأغر سمت به
جرثومة من طينها خلق النبى
وورثته شرفاً رفعت مناره
فبنو أمية يفخرون به وبى

إن همتي كبيرة عظيمة، وإن شأو إرادتى لا

بقلم: محمد عبدالواحد حجازي
- مصر -

يعرف له حدود أو آماد يقف عندها، أو أبعاد ينتهي إليها. هل تذكرين يوم تهكمت عليّ حين دعوت ربي قائلا: «اللهم ملّكني مشارق الأرض ومغاربها؟.. رأيتك تقولين: «أى شيء هذا الدعاء»؟ فرددت عليك بما يجسد إرادتي وخليقتي، وبما يثبت لك أنني جاد فيما أطمح إليه. فأنا لست خائر الإرادة ولا ساقط الهمة ولا ممن يركنون إلى السلامة:

يعــيــرني أخــو عــجل إبائي
على عـدمي وتيـهي واخـتـيـالي
ويعـلـم أنــنـي فــــــرط لحي
حـمـوا خطط المعـالي بالعـوالي
فلست بحـــاصـن إن لم أزرهـا
على نهل شــبـا الأسل الطوال
وإن بلغ الرجـال مـداى فـيـمـا
أحـــاوله فلست من الرجـــال

فهل كنت تظنين يا معذبتي أنني ممن يرضون بالدون أو ممن يضرعون على أعتاب الملوك والأمراء والوجــهــاء؟ لست من هؤلاء أبداً، ولكني أبيّ عنود شموس.. أمدحهم؟ نعم .. أبجلهم؟ نعم .. أبسط أيديهم بالنعم؟ نعم. ولكن عن عزة نفس وشموخ إرادة وترفع عن سواء الناس. فمقامي رفيع، وشأني عظيم..فلمَ أتزلف إلى أصـحـاب الشـأن تزلف الضراعة والذلة؟

لا أنكر أن دهري تنكر لي، وسـوف يتنكر لي ولكنه لن ينال من صمود إرادتي وعزة نفسي:

تـنـكـر لـي دهـري ولـم يـدر أنـنـي
أعــز وأحـــداث الزمــان تـهــون
فـبـات يريـني الخطب كـيف اعـتداؤه
وبت أريه الصـــبـــر كـــيـف يكون

أميمة معذبتي:

تركتك يا معذبتي فغادرت خراسان واتجهت صوب مملكة الأمير الهمام الشجاع مقارع الروم ومنازلهم وداحرهم.. قصدته في ثلة من فرساني واتجهت إلى قصره. وفي الليلة التى يعقدها للشعراء والزائرين من طلاب المصالح انتظرت أن أسمعه قصيدتى في مدحه وقد أبدعت فيها أيما إبداع. ولسوء حظى اعتذر عن السماع ووعدني يوما غير ذلك ليعد ما يليق بمثله إجازته مما يحسن بين الناس ذكره ويبقى على ممر الأيام أثره.. آنئذ أخذتني حمية الكبرياء وأمرت أصحابى أن يعبروا ثقلة الفرات متفرقين في دفعات، وانسللت من غير أن يعلم أحد سوى ولد أبي طالب بن حبش، فإنه سمعني أنشد على شاطيء الفرات حين عبوري:

أبابل لا واديك بالخـيـر مـفـعـم
لراج ولا ناديك بالرفـــــــد آهلُ
لئن ضقت عني فالبلاد فسيحة
وحـسـبك عـاراً أنني عنك راحل
فإن كنت بالسـحـر الحلال مـدلة
فعندي من السـحـر الحـلال دلائل
قواف تعير الأعين النجل سحرها
وكل مكان خـيـمـت فـيـه بابل

فبادر ولد أبي طالب إلى سيف الدولة فقال له: رأيت على شاطيء الفرات فارساً يريد العبور الى الشرق وهو ينشد هذه الأبيات. فقال سيف الدولة:

وأبيك، هو الأبيوردي، فركب لوقته في قل من عسكره.. فلحقني، فاعتذر، وسألني الرجوع وعرفني عذره في امتناعه عن سماع شعري وأمر بإنزالي في قصره معه وحمل إليّ ألف دينار ومن الخيل والثياب ما يزيد على ذلك قيمة.

أميمة معذبتي:

في تلك الليالي التي قضيتها في ضيافة الملك النبيل الجسور سيف الدولة بن حمدان، في تلك الليالي لم يغمض لي جفن: صورتك لا تفارق خيالي وحبك لا يتركني بحالي يفتح لخاطري ذكرياتي معك فيعاودني الحنين إليك.. وإنه لعذاب:

خطرت لذكرك يا أميمة خطرة
بالقلب تجلب عبرة المشتاق
وتذود عن قلبي سواك كما أبى
دمعي جواز النوم بالآماق
لم يبق مني الحب غير حشاشة
تشكو الصبابة فاذهبي بالباقي
أيمل من جلب السقام طبيبه
ويفيق من سحرته عين الراقي
إن كان طرفك ذاق ريقك فالذي
ألقى من المسقى فعل الساقي
نفسي فداؤك من ظلوم أعطيت
رق القلوب وطاعة الأحداق
فلقلة الأشباه فيما أوتيت
أضحت تدل بكثرة العشاق

هلا تذكرت يا معذبتي كما تذكرت أنا ليالي زمن العُذيب؟ هل تذكرينها؟ ما كان أبهجها، بل ما كان أنضرها وأنضرنا.. كنا في غضارة الشباب وفجر الفتوة ورونق الحياة بأطيافها وأحلامها وأمانيها.. وكنا حيث نعبث بالهوى أو يعبث بنا الهوى في غرارة وبكارة.. لا نعرف الأسرار أو الإسرار، ولا نعرف المواربة أو المداجاة.. نلهو ونلعب ونخطر الهويني تارة ونستبق إلى أشواقنا تارة.. آه، ما أحلاها من ذكريات خليق بضمير الحب ألا ينساها أو أن يتنكر لها فهي صفو الزلال الذي يشفي صدانا ولظانا.. معذبتي:

لك من غليل صبابتي ما أضمرُ
وأسر من ألم الغرام وأظهر
وتذكري زمن العُذيب يشفني
والوجد ممنوبه المتذكر
إذ لمتي سحماء مد على النقا
أظلالها ورق الشباب الأخضر
ولداتك النشأ الصغار وليس ما
ألقاه فيك من الملاوم يصغر
هو ملعب شرقت بنا أرجاؤه
إذ نحن في حلل الشبيبة نخطرُ
فبحر أنفاسي وصوب مدامعي
أضحت معالمه تُراح وتمطر
وأجيل في تلك المعاهد ناظري
فالقلب يعرفها وطرفي ينكر

أميمة معذبتي:

مما يكاد يبكيني أنني يوم دخلت بغداد، التف حولي شرذمة من الأفاقين زينوا لي مهاجمة الخليفة

فوافقتهم مداراة حتى أتخلص منهم وأتقى سفالتهم. وما أن علم بى أمير بغداد حتى دعانى إليه. وكان كريما عطوفاً يقدر الرجال ولا يبخل عليهم بمال. وأكثر من هذا فإنه جعلنى خازنا لدار الكتب النظامية ففرحت بهذه الوظيفة لأنها يسرت لي أمرين:

أولهما: أنني تجنبت السفهاء الثقلاء.. والآخر أنها أعطتني فسحة من الراحة والاطمئنان بعد طول ترحل في الآفاق، ولكن الوظيفة لنحس طالعى لم تنجنى من ثقلاء الأمراء الذين منحتهم الدنيا بغير حساب وهم لا يستحقون سوى ضرب النعال.. هنا ألح عليَّ السأم أن أهجر بغداد وأتجه صوب أصبهان:

فقد سئمت مقامي بين شرذمة
إذا نظرت إليها قطبت همـمي
أراذل ملكوا الدنيا وأوجههم
لم يكشف الفقر عنها بهجة النعم

أليس محيراً للعقول أن يملك الدنيا الطغاة الأراذل؟ أليس محيراً للعقول أن يفوز الأدنياء السوقة بالوجاهة والمناصب الرفيعة ويقصى دونها الأشراف أصحاب الأقدار العالية والأصول السامية.. إن ذلك لهو الخلل الذى يكاد يعصف بإيماننا.. وإنها:

خطوب للقلوب بها وجيب
تكاد لها مفارقنا تشيبُ
نرى الأقدار جارية بأمر
يريب نوى العقول بما يريب
فتنجح في مطالبها كلاب
وأسد الغاب ضارية تخيب
وتقسم هذه الأرزاق فينا
فما ندرى أتخطىء أم تصيب؟

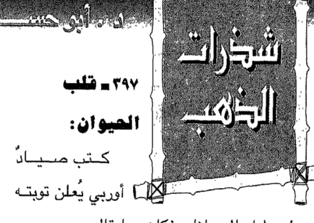
أميمة معذبتي:

غادرت بغداد إلى أصبهان.. ولا أخفي عنك يا حبيبتي أن قد خالجتنى شكوك كثيرة من جدوى ذهابى إلى تلك المملكة فكنت إلى اليأس أقرب منى إلى التفاؤل ولكن حالتى النفسية قرت وهدأت عندما جعلنى أميرها قيما على الوجهاء والأشراف. عندئذ تذكرت نصيحتك لى بأن أهاجم الناس وأشتمهم وأزري بهم في شعرى فذلك هو السبيل الوحيد لإرغامهم على أن يجودوا بالمال وهم صاغرون.. وآه لو سرت بنصيحتك المشئومة هذه لهبطت منزلتى عند الناس فضلا على الملوك والخلفاء والأمراء.. يومها قلت لك:

كفى أميمة غرب اللوم والعذل
فليس عرضى على حال بمبتذل
إن مسنى العدم فاستبقى الحياء ولا
تكلفينىَ سؤال العصبة السُّفل
فشعر مثلى وخير القول أصدقه
ما كان يفتر عن فخر وعن غزل
أما الهجاء فلا أرضى به خلقا
والمدح إن قلته فالمجد يغضب لى

حبيبتي معذبتي:

أحن وللأنضاء بالغور حنة
إذا ذكرت أوطانها بربا نجد



٣٩٧ ـ قلب الحيوان:

كـتـب صـيـادٌ أوربي يُعلن توبتـه عن اصطياد الحيوانات فكان مما قال:

«ذهبتُ إلى الغابة ذات صباح، فرأيت قرداً جميل الصورة بالنسبة إلى فصيلته، وهو صغير وحده على الشجرة يقفز من مكان الى مكان في أعاليها، وكأنه طروب فرح بصفاء الجو، وخضرة الشجر، فأردت أن أصيده لأحتفظ به كي أبيعه بثمن غال، وصوبت البندقيه الى قدمه، ولكنها أخطأت المكان فاتجهت إلى موضع قاتل، وسارعت فحملته جاهلا مكان الإصابة من جسمه، وما كدت أنتقل به إلى منزلي الحديدى في الغابة حتى سمعت ضجة عالية، ورأيت عشرات القرود تزحف نحو منزلي، فأوصدت الباب، ولكنها تجمعت وكأنها صممت على ألا تذهب حتى ترجع بالقرد الصغير، فاضطررت أن أرميه إليها بعد أن فارق الحياة، فحين أبصرته ميتاً، جعلت تنصرف واحداً واحداً، الا قردة عجوزاً أخذت تضمه بشدة إلى صدرها، ثم تتركه وتضع التراب على رأسها، ودموعها تنهمر كالإنسان تماما دون فارق، وزاد أسفى حين أبصرتها تقبل كل عضو من أعضائه، ودموعها لا تزال تنهمر، ثم رأيتها تجره، وتحمله، وتسير به، وكانت تعجز عن مواصلة السير، فتضعه على الأرض وقتا، ثم تحمله، وأنا أتابعها، وقلبى يتقطع من الندم، ولم أذق اليوم والليلة طعاماً، لأن منظر الأم العجوز في بكائها ووضع التراب على رأسها، لم يجعلنى أفكر إلا فيها وفي ولدها الصريع، وفي الصباح جهّزت أمتعتى، وعزمت على السفر، وأنا سائل نفسي، إذا كنت قد اصطدت أكثر من مائتي حيوان، فكأنِّي فجعت أكثر من مائتي أم، ولا أدرى.. وكان طبيعيا أن أترك هذه المهنة القاسية! القاسية حقا دون جدال».

٣٩٨ ـ رحمة العصافير:

قال الجاحظ في الحيوان:

وليس في الأرض طائر ولا سبعٌ ولا بهيمة أحنى على ولد ولا أشد به شغفا من العصافير، فإنها إذا أصيبت بأولادها أو خافت عليها العطب، فليس بين شيء من الأجناس من المساعدة، مثل الذى مع العصافير، لأن العصفور يرى الحية قد أقبلت نحو عشِّه ووكره لتأكل بيضه وفراخه، فيصيح ويرنق فلا يسمع صوته عصفور إلا أقبل عليه وصنع مثل صنيعه بحرقه ولوعة وقلق، واستغاثة وصراخ، وربما أفلت الفرخ وسقط إلى الأرض، وقد ذهبت الحيّة، فيجتمعن عليه إذا كان قد نبت ريشه أدنى نبات، فلا زلن يهيجنه ويطرن حوله، لعلمها أن ذلك يحدث للفرخ قوة على

النهوض، فإذا نهض طرن حواليه ودونه يشجعنه بذلك العمل، ولو أن إنسانا أخذ فرخي عصفور من وكره بحيث يراهما أبواهما في منزله لوجد العصفور يقتحم ذلك المنزل، حتى يدخل في ذلك القفص، فلا يزال في تعهده بما يعيشه حتى يستغنى عنه، ثم يتحمل في ذلك غاية التغرير والمخاطرة، وذلك من فرط الرقة على الولد.

٣٩٩ ـ حزن الحيوان:

جاء في مجلة الكتاب (مارس ١٩٥٢):

نشرت الصحف المصرية أخيرا برقية طريفة من ميلانو في إيطاليا تقول: امتنع عن الطعام منذ يوم عيد رأس السنة الأسُود والنمور والفهود في حديقة الحيوان بميلانو بعد أن تُوفي مدير الحديقة الذى كان يعطف على الحيوانات ويطعمها بيده، فقد فقدت الحيوانات شهوتها للطعام حزنا على المدير الذى كان يمر بها جميعاً ويلاطفها، ويتحدث إليها كل يوم عندما يوزع عليها الطعام.

ولما تُوفى في يوم رأس السنة افتقدته الحيوانات، وراحت تزأر وتعوي حزنا عليه، ثم امتنعت عن الطعام، وقد صرّح موظفو الحديقة أنهم بعثوا إلى أرملة المدير، وهى الأخرى صديقة الحيوانات يسألونها العون، ويطلبون إليها أن تكفكف دموع هذه الحيوانات التي صدها الأسى عن الطعام والشراب.

ويذكر كاتب هذه السطور بمجلة الكتاب الأستاذ عوض جندى ـ مقالا قرأه في شبابه في إحدى المجلات الإنجليزية، جاء فيه ما يلى تأييدا لهذا النبأ:

كان لسيدة انجليزية أرنب جميلة أهدتها إليها إحدى صديقاتها، فشغفت الأرنب بحب تلك السيدة، حتى كانت لا تفارقها متى أطلقت من قفصها إذ كانت تتبعها حيث تذهب، كما يتبع الكلب صاحبه وترفض الطعام إذا قدمه إليها أحد سواها، وكانت السيدة تقطن في أرياف انجلترا فاضطرت إلى مغادرتها لقضاء بضعة أسابيع في لندن، فلم تر بُدا من ترك الأرنب في منزلها تحت رعاية خدمها، لتعذر مرافقتها إياها في مساكن العاصمة الانجليزية، فحزنت الأرنب حزناً شديدا على فراق سيدتها وصامت عن الطعام، وأبت الخروج من قفصها، فأخذ الخدم يحرضونها على الأكل بألذ أنواعه، فكانت ترفضه رفضا باتا، فصاروا يتوقعون أن يقهرها سلطان الجوع ذات يوم، ويكسر شوكة عنادها فتأكل مرغمة ولكنهم كانوا مخطئين، لأن الأرنب ظلت صائمة، حتى آل الأمر إلى استدعاء صاحبتها المحبوبة من لندن، فعادت، وما إن رأت الأرنب سيدتها حتى هرعت إليها، وتعلقت بها كأنها تريد مصافحتها.

وحدثنى ـ والكلام لصاحب المقال ـ قريب لي، في العقد الثامن من عمره، فقال شاهدت منذ

نصف قرن في بلدتنا بمديرية البحيرة كلبا أميناً يموت حزنا فوق رمس صاحبه الذى كان في حياته يطعمه بيده، صباحا وظهرا ومساء، فقلت حبذا هذا الإخلاص..

٤٠٠ ـ الذئب العاشق:

قصة واقعية أرويها بتصرف عن الدكتور يعقوب صروف صاحب مجلة المقتطف في كتابه عن التاريخ الطبيعي: في كرمبو بولاية المكسيك سهول فسيحة كثيرة القطعان خصبة المراعي، ولكن يعكر صفوها ذئب خطير كبير الحجم، لقبه الأهلون (بملك كرمبو) وهو زعيم عرجلة من الذئاب تأتم بأمره، فيسلطها على جموع الماشية لتفتك بها وبمن يحرسها، حتى أصبح اسمه مصدر رعب صاعق، وكان ذا حيلة لا تتيسر إلا لإنسان عاقل مدرك، فهو يحتال على الإيقاع بالمزارعين بما لا يدور في ذهن بشر.

وقد حاول الرعاة قتل (لوبو) وهذا اسمه المشتهر بينهم بكل وسيلة ممكنة، بالسم والفخاخ والأسلحة النارية فكان أتباعه تتساقط لتتجدد أما هو فمن مكره في حرز حريز، وحين ضاق المزارعون به أعلنوا أنهم يعطون خمسين ألفاً من الدولارات لمن يتمكن من صيده، فأراد صياد ثري شهير أن يفوز بالجائزة، وأعد الأسلحة والكلاب المدربة والصيادين الخاضعين لإشاراته، وجعلوا يترصدونه دون جدوى، لأنه يعتصم بالمغاور والآكام ثم قرروا أن يضعوا السموم القاتلة في ضحايا من الأغنام، على أن تغلف بأقراص من اللحم والشحم كيلا يفطن إليها الذئب، فكان من العجيب أن يجمع الذئب هذه الأقراص ويبول عليها، كأنه يتحدى القوم، ويفهمهم أن مثل هذه الحيل الصبيانية لا تنطلى عليه، وقد لجأ القوم إلى إذابة السم في شحم طري وهو من نوع (السيائيد) أفتك السموم قتلا وأنشطها سرعة، ثم وضعوه في أجزاء من اللحم حاولوا محو أثرها على الجلد كيلا يفطن لها الذئب ولكنهم فوجئوا بهذا الماكر يبول على الضحية أيضا. كأنه شم رائحة السم فتوقاه لأنه من فصيلة الكلاب، ولم تنفع الرصاصات المتوالية، ولا السموم المتتابعة ولا الفخاخ التى تُنصب في الغدران، ووزن كل فخ أكثر من عشرة أطنان في اصطياد هذا الداهية، إذ كان يتحاشاها بخبرته الواعية، وضحاياه كل يوم تتابع من القطعان والأناس حتى أصبح وباء يكتسح كرمبو.

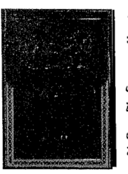
وقصة هذه الفخاخ طويلة يصعب سردها، وكلها تنتهى بالفشل، غير أن صياداً ماكرا أشار على القوم باستدعاء ذئبة جميلة من إقليم عَيِّنَه، لتكون مصدر سرور للذئب الذى لم يشاهد هذا النوع من الذئاب الدنماركية، وطبيعى أنه سيفتديها بروحه، وأنها لا تحوى تجربته الماكرة، فإذا وقعت في فخ محكم مما يتحاشاه الماكر الداهية فإنه سيتدخل لإنقاذها، ولابد أن يُلحظ على بعد، ليتعقبه الرصاص القاتل داخل الفخ الحديدى

الثقيل فلا يستطيع النجاة، والرصاص ينهال عليه من كل مكان، وجاءت الذئبة المسكينة وتركت في السهل الممتد، فتجمع حولها الذئاب في فرح، ورآها (لوبو) فاصطفاها لنفسه، وجعلها أميرة الذئاب لا يمكن لغيرها أن يتقدمه في المسير، ووثق القوم من الخطوات الأولى في نجاح الخطة، فأخذوا يرصدون الفخاخ الثقيلة ذات الحديد الأصم، ويراقبون في حذر مجيء الذئبة إلى الماء حيث توضع الفخاخ، حتى تمت الوقيعة وهوت في الشرك، فصاحت صيحة مرعبة سمعها (لوبو) فأقبل يعدو من السهل البعيد، ولم يحجم عن انتشالها فاندفع إلى الفخ يحاول انقاذها، وانهال عليه الرصاص من كل صوب، فهوت قوته، ولم يستطع الوثوب بحبيبته، وتقدم القوم يرونه في الاحتضار، فكان ينظر إليهم باشمئزاز وقد أدرك عاقبته المحتومة، أما الذئبة الدينماركية فقد ذاقت حتفها لأول طلقة من طلقات الرصاص، وكانت هى الطعم اللذيذ.

٤٠١ ـ من شعر الايبوردي:

لهذا الشاعر نفثات وجدانية رقيقة، وقد عبّر عن بعض لواعجه مستعيناً بصورة فنية، لظبية جميلة ترعى مرجاً ناضرا بالجزع، ومن خلفها ولدها الصغير، لا يكاد يقدر على القفز وراءها، فتركته في ظل أراكة لتعود إليه بعد أن ترعى نبات المرج وآنسها المرعى الخصيب بما يضم من ثمر وغذاء، فجعلت تأكل هانئة قريرة، حتى قضت لبانتها، ثم رجعت ثانية الى طلاها فصادفت أسوأ موقف!! صادفته بقية أشلاء يغمرها الدم، إذ أتيح له سبع مفترس لم يكد يرمقه حتى جعله غذاءه الهنيء، ولا تسل عن حزنها اللاهب، وأساها الوجيع حين طفقت تنظر إلى حشاشتها القتيلة في ذعر هائج، وفي النفس ما بها من جذوات الحسرة، هذه الحسرة الكاوية جعلها الشاعر الإيبوردى مثيلة لحسرته حين فارق حبيبته مكرها فقال:

وما أمّ ساجى الطرف مال به الكرى
على عذبات الجزع تحسبه قلبا
تُراعي بإحدى مقليتها كناسها
وترمي بأخرى نحوه نظرا غربا
فلاح لها من جانب الرمل مرتع
كأن الربيع الطلق ألبسه عصبا
وآنسها المرعى الخصيب فصادفت
مدى العين في أرجائه بلدا خصباً
فلما قضت منه اللبانة راجعت
طلاها فألفته قضى بعدها نحبا
أتيح له عارى السواعد لم يزل
يخوض إلى أوطاره مطلبا صعبا
فولّت على ذعر وفي النفس ما بها
من الكرب، لا لاقيت في حادث كربا
بأوجد منى يوم عجّت ركابها
لبينٍ فلم تترك لذي صبوة لُبّا



** «في موكب الزمن.. ذكريات وشجون تربوية» تأليف: محسن احمد باروم.

هذا الكتاب يمثل ألوانا من الذكريات وصورا من الحياة وضروبا من التجارب مرّت على المؤلف خلال اشتغاله بالخدمة الحكومية في وزارة المعارف قبل ثلاثين سنة تقريبا. جمعها الكاتب ليُري القارىء مقدار البون الشاسع الذي طرأ على حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية خلال نصف قرن.

والكتاب لا يرسم ملامح دقيقة للسيرة الذاتية لكاتبه وانما هو فصول انتقاها الكاتب من واقع الحياة التي عاشها، تصور ضروبا من الذكريات التي طافت بذهنه عن أحداث مرت عبر طفولته وصباه فحفرت في أعماق نفسه ضروبا من الندبات والجروح والمناشط والمكاره رأى أن يسجلها لتضيء معالم الطريق للسائرين من أبناء الأجيال الصاعدة فيه.

والكتاب مجلد ويحتوي على ٢٥٥ صفحة من الحجم الكبير، طباعة عالم المعرفة بجدة للنشر والتوزيع.



** «الداء.. والدواء بين الأطباء والأدباء» تأليف الدكتور/ حسان شمسي باشا استشاري أمراض القلب.

وابتدأ المؤلف الكتاب بفصل ذكر فيه ما قاله الشعراء في مرضهم أو مرض أبنائهم. وجعله تحت عنوان الشعر والمرض.

ثم جعل فصلا آخر بعنوان بين الطبيب ومريضه تناول فيه «أدب الطبيب ونصائحه، ومدح الأطباء وهجاءهم ورثاءهم وأجرتهم وجشع بعضهم وغير ذلك مما يخص الأطباء.

وتتلاحق الفصول لتتحدث عن عالم النوم، والأرق، والأحلام، وهموم الشيخوخة وأعبائها وأمراض الجلد والحصبة والجدري والجذام... الخ.. من الأمراض المستعصية وغيرها.

وفي نهاية الكتاب جعل الكاتب فصلا عن (الشعراء في مواجهة الموت) وفصلا آخر تحت عنوان (ولسوف يعطيك ربك فترضى) والكتاب في مجمله هو تآلف بين الطب والأدب.. إنه كتاب يجمع بين طرافة الأدب ولذة المعرفة الطبية في العديد من الموضوعات التي تهم كل انسان.

والكتاب يحتوي على ٢٥٠ صفحة من الحجم الكبير طباعة دار القلم دمشق.

** «المختار من أشعار الاخيار» - جمع وإعداد المهندس عبد الله سند الجودي..

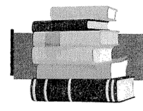
واحتوى الكتاب على كم وفير من الأشعار جمعت من خير من نطق به الملوك خاصة وكبار القوم عامة والشعراء منهم وقد وضعت تحت عناوين منها: (نصرة الدعوة المحمدية - مدح الرسول {صلى الله عليه وسلم} - التهديد والوعيد - السماحة والشفاعة - الفخر - الرثاء - المدح - الأمثال والحكم - الغزل - صدود المحب - وصية والد لولده - الحماسة - صروف الزمان... الخ).

والكتاب يحتوي على ٢٣٠ صفحة من الحجم الكبير الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.



** «كيف نحمي صحتنا من أخطار الكمبيوتر» تأليف الدكتور: عبد البديع حمزة زللي.

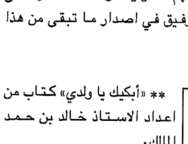
هذا الكتاب يوجه الانتباه الى الكيفية السليمة لاستخدام أجهزة الحاسب الآلي بحيث لا تعرّضنا إلى أخطار محتملة. وإن من العادات الخاطئة التي يقدم عليها بعض من يستخدمون هذه الأجهزة مما تجعلهم يعتدون على أنفسهم فيعرّضون صحتهم إلى الأذى أو إلى الهلاك ولابد من أخذ الحيطة والحذر من سوء استخدام الحاسب الآلي ولابد من الانتباه الى الاساليب الصحية السليمة لاستخدام هذه الأجهزة، حتى لا يعتدى مستخدموها على أنفسهم، إذ أنه إذا أحسن الانسان استخدام أجهزة



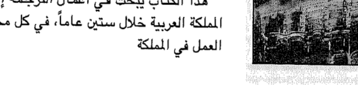
الحاسب الآلي فلن يعرض نفسه الى الاذى.
والكتاب يحتوى على ١٢٨ صفحة من الحجم الكبير .



** «شهود هذا العصر» بقلم الأستاذ/ محمد الوعيل رئيس تحرير صحيفة المسائية.
الكتاب مجموعة لقاءات وحوارات اجراها الأستاذ محمد الوعيل مع عدد من رجالات الملك عبد العزيز - رحمه الله - ومع اصحاب السمو الملكى الأمراء، ورؤساء الدول، ومع رجال المال والأعمال، ومع عدد من المثقفين والمفكرين.
والكتاب في جزئه الأول يمثل توثيقا لتاريخ المملكة على لسان من أجريت معهم الحوارات واللقاءات.. ونتمنى للاستاذ الوعيل التوفيق في اصدار ما تبقى من هذا الاصدار.



** «أبكيك يا ولدي» كتاب من اعداد الاستاذ خالد بن حمد المالك.
الكتاب دمعة حزينة حرّى على ابنه (فهد) والكتاب في مجمله كلمات عزاء من محبي الاستاذ المالكى، في وفاة ابنه (فهد) والكتاب صيغة من صيغ التواد والتراحم الاجتماعي الذى يتمتع به شعب هذه البلاد الطيبة.



** «نظرات في الصحافة اليمنية» تأليف الاستاذ محمد آدم المرزوقي.
جاء الكتاب في ستة فصول فيها (بدايات الصحافة اليمنية، الصحافة بعد الثورة، صور الاتصال والاعلام) هذا الكتاب يعتبر دراسة منهجية قيمة للصحافة اليمنية ماضيها وحاضرها وتطورها.



** «وطني سيد البقاع» ديوان شعر للأستاذ الشاعر ابراهيم صعابي، صادر نادي أبها الأدبي ١٤١٩هـ، اشتمل الديوان على (إحدى عشرة قصيدة) تغنى فيها الشاعر لهذا الوطن الغالي.

** «من جوانب العدالة عند الملك عبد العزيز» تأليف الاستاذ عبد الرحمن بن صالح آل عبد اللطيف.
هذا الكتاب عرض موثق عن جوانب العدالة في حياة الملك عبد العزيز، وفيه أخبار وقصص عن صفات الملك عبد العزيز وشخصيته ولمحات عن تاريخ حياته في الكويت وشجاعته، وتوخيه الدقة في اختيار رجال دولته الأكفاء، وحقوق المواطن والتكافل الاجتماعي الذى هو من ابرز مميزات الدولة السعودية.



** «ترجمة الكتب الى اللغة العربية في المملكة العربية السعودية» دراسة ببليومترية بقلم نورة صالح الناصر، من منشورات مكتبة الملك/ عبد العزيز العامة/ الرياض. الكتاب شمل الفترة (١٣٥١ - ١٤١٢هـ) هذا الكتاب صدر في سلسلة (الاعمال المحكمة) برقم ٢١، وجاء الكتاب في اكثر من (٦٠٠) صفحة.
هذا الكتاب يبحث في اعمال الترجمة إلى العربية في المملكة العربية خلال ستين عاماً، في كل مجالات وميادين العمل في المملكة

نحو دراسة جامعية مضمونة النتائج

يشكو الكثير من أساتذة الجامعات، في هذه الأيام، من ضعف المستوى الثقافي لدى الطلاب المنتسبين الجدد الى الجامعات، فتلقى اللائمة على مدارس ما قبل التعليم الجامعي التي تحاول بدورها أن تتدارك الخلل بمراجعة مستمرة للمناهج وطرق التدريس فيها، ولكن على الرغم مما تقوم به المدارس من تحسين وتنظيم، لا يزال الجدال مستمرا والتهمة قائمة.

فالمشكلة، كما يراها الكثير من أساتذة الجامعات، تتمثل في غياب أو ضعف الترابط بين المناهج المدرسية والمناهج الجامعية، فمن المفترض أن يأتي الطالب من المدرسة إلى الجامعة وهو يحمل في حقيبته المبادئ الأولية والأساسية لنوع العلم الذي ينوي التخصص فيه، فينحصر دور الجامعة بالنهوض بالطالب من خلال هذه المبادىء والأساسيات إلى عالم أكثر انفتاحاً ومعرفة، فيطّلع على جزئيات هذا العلم ومكوناته من البداية إلى القمة، ويتعرف على أسماء من شارك في بناء مملكته، وذلك من أجل النهوض بالمستوى الإدراكي للطالب وتأهيله للابتكار والإبداع. إذاً، لابد من وجود أساسيات لدى الطالب، والتي تؤلف المنصة التي يمكن أن ينطلق منها ليتابع دراسته بنجاح في المرحلة الجامعية.

فلو ألقينا نظرة شاملة وسريعة إلى ما يُدرّس في مدارس ما قبل الجامعة لرأينا أن هناك من العلوم ما يدرّس كله أو نصفه أو جزء منه، وأن هناك من المواضيع التي تدرّسها المدارس بشكل مفصل تعتبر في الجامعة مواضيع غير أساسية أو لا حاجة لها، وهناك من العلوم ما يتطلب حصصاً أكثر من بعض العلوم الأخرى، والعكس ربما يكون صحيحاً، وعلينا أن لا ننكر فضل المدرسة وأعباءها الكثيرة والدور الأمثل الذي تقوم به في تربية الأجيال، بالإضافة إلى مسئوليتها أمام المجتمع والوطن.

ومن أجل تأهيل الطلاب، أو إعدادهم للدراسة الجامعية يجب أن يكون هناك تنسيق متكامل ودقيق، بين المناهج المدرسية والجامعية، ولا يمكن أن يكون هذا التنسيق متكاملا ومتفاعلا، ما لم تكن هناك مرحلة تخصصية تسبق دخول الطالب إلى الجامعة، يدرّس فيها مبادىء وأساسيات العلوم بكل تخصصاتها.

بقلم : د. محمد قاسم هرموش جامعة الملك سعود ـ الرياض

وعلى هذا الأساس نقترح تخصيص ما يسمى «بالمرحلة الثانوية» للقيام بهذه المهمة، فالمرحلة الثانوية بسنواتها الثلاث، يمكن أن تكون دراسة تخصصية، ونعني بذلك إيجاد تخصصات مماثلة لتخصصات الجامعة أو لفروعها وأقسامها، وأن تكون المرحلة الإعدادية «المتوسطة» مرحلة ثقافية يدّرس فيها مجمل العلوم العامة، بحيث يقوم المدرس في هذه المرحلة بإعطاء فكرة شاملة وعامة عن كل علم من العلوم، موضحاً إيجابياته وسلبياته وأهميته في المستقبل، وحاجة المجتمع له وإعطاء تقييم كامل عن هذا العلم، على أن يكون التقييم واقعياً ومنطقيا، بحيث يستطيع الطالب في هذه المرحلة تكوين مفهوم شامل ومتكامل، عن ماهية العلوم، ليستطيع في النهاية اختيار ما يجده مناسباً لقدراته ورغباته لتكون مهنته في المستقبل.

على هذا الأساس يجب أن يترك للطالب حرية اختيار نوعية العلم عند الانتقال إلى المرحلة الثانوية، والتي كما أشرنا ستكون «تخصصية»، وأنه لابد من التأكيد بأن اختيار الطالب لنوع العلم الذي يتخصص فيه في المرحلة الثانوية، يجب أن يكون نابعاً من رغبته الذاتية بعيداً عن ضغوط الأهل أو رغباتهم أو مؤثراتهم أو التقييم المدرسي، ونعني بذلك أن لا يدخل تحصيل الطالب أو علاماته أو تقييمه العلمي في تحديد نوع تخصصه، أو إرغامه على دراسة تخصص ليس مقتنعاً به وذلك تحت أي ذريعة من الذرائع، وأن يكون اختيار الطالب نابعاً عن رغبة ذاتية سليمة وصادقة.

ربما يدعي البعض بأن الطالب لا يستطيع في هذه المرحلة أن يختار بنفسه نوع مهنته في المستقبل، ولكن في اعتقادي أن مثل هذا الادعاء أو المفهوم ليس شاملا وعاماً، فمن خلال تجاربنا وتجارب الكثير ممن نعرفهم وممن قرأنا عنهم، نعتقد أن الطالب في هذه المرحلة بالذات يستطيع أن يكوّن فكرة عامة عن نوع التخصص الذي يود دراسته في الجامعة.

هذا ومن أجل التكامل والتطابق بين المناهج المدرسية والجامعية، لابد من وجود لجنة مشتركة تعمل بشكل متواصل على إعداد المناهج ومراقبة تنفيذها في كل من المرحلة التخصصية والجامعية، وتقوم هذه اللجنة بوضع الدراسات وإعداد البحوث التي من شأنها الارتقاء بهذا العمل المشترك من أجل رفع هوية الطالب العلمية وردم الهوة بين المدرسة والجامعة.



الأمن والأمان
شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٥ م



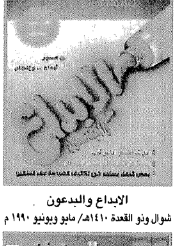
الثقافة العربية
شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ/ مايو ١٩٨٦ م

الأثر والآثار
رمضان وشوال ١٤٠٧هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٧ م

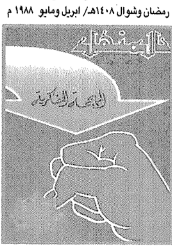
العادات والتقاليد
رمضان وشوال ١٤٠٨هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٨ م



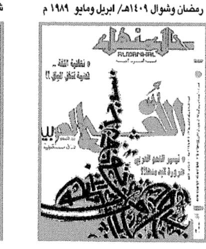
الاستشراق والمستشرقون
رمضان وشوال ١٤٠٩هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٩ م



الابداع والبدعون
شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ/ مايو ويونيو ١٩٩٠ م



الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري
شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٢ م

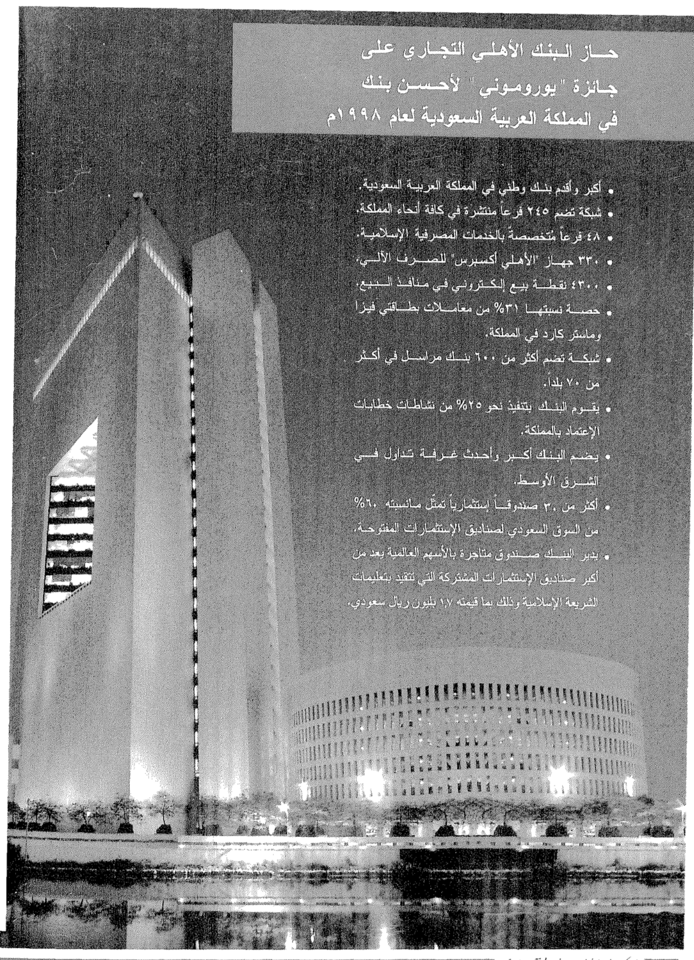


اللغة العربية .. آفاق مستقبلية
شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٣ م



النقد والنقاد
شوال وذو القعدة ١٤١٦هـ/ فبراير ومارس ١٩٩٦ م




حـاز البنك الأهلي التجاري على
جائزة "يوروموني" لأحسن بنك
في المملكة العربية السعودية لعام ١٩٩٨م
• أكبر وأقدم بنك وطني في المملكة العربية السعودية.
• شبكة تضم ٢٤٥ فرعاً منتشرة في كافة أنحاء المملكة.
• ٤٨ فرعاً متخصصة بالخدمات المصرفية الإسلامية.
• ٣٣٠ جهاز "الأهلي أكسبرس" للصرف الآلي.
• ٤٣٠٠ نقطة بيع إلكتروني في منافذ البيع.
• حصة نسبتها ٣١% من معاملات بطاقتي فيزا وماستر كارد في المملكة.
• شبكة تضم أكثر من ٦٠٠ بنك مراسل في أكثر من ٧٠ بلداً.
• يقوم البنك بتنفيذ نحو ٢٥% من نشاطات خطابات الإعتماد بالمملكة.
• يضم البنك أكبر وأحدث غرفة تداول في الشرق الأوسط.
• أكثر من ٣٠ صندوقاً إستثمارياً تمثّل ما نسبته ٦٠% من السوق السعودي لصناديق الإستثمارات المفتوحة.
• يدير البنك صندوق متاجرة بالأسهم العالمية يعد من أكبر صناديق الإستثمارات المشتركة التي تتقيد بتعليمات الشريعة الإسلامية وذلك بما قيمته ١,٧ بليون ريال سعودي.



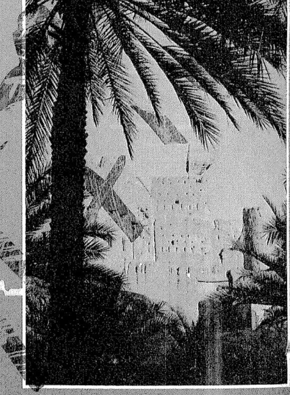
AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية
العدد (٥٥٩) المجلد (٦١) العام [٦٥] الربيعان ١٤٢٠ هـ - يوليو واغسطس ١٩٩٩م

الاستشراق والظاهرة الإسلامية

- محمد بن مسلمة الأنصاري
- قيس بن سعد
- سفيان الثوري
- الإمام أبو داود السجستاني
- الإمام الطبري في تفسيره
- الشاعر الحكيم: البحتري
- الخليل بن أحمد الفراهيدي
- الزهراوي أبو الجراحة
- أبو الريحان البيروني
- ابن بطوطة رحالة العرب والعجم

الوعي الجماعي وبراعة النص

فن الكتابة للأطفال



سلطنة عمان في كتابات الجغرافيين



مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ٢٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



شهر النور

شهر ربيع الاول هو بحق شهر النور والحبور، ففي أضواء هلاله الباسمة، وفي أشعة شمسه المشرقة، انبثقت طاقة بهجة عالمية شاملة لانها تحمل بين يديها «اعلام» انقاذ خفاقة واعلام هداية وحرية عامة من كبول الخرافات وأباطيل الضلال والاستعباد والاستبداد.

ففي هذا الشهر الميمون كان مولد سيد الخلق: «محمد» {صلى الله عليه وسلم} في قلب أم القرى وبين روابيها المشرقة، وعلى مقربة من «بيت الله» المعظم حيث كان ابونا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قد ارسل «أذانه» المدوى في آفاق المعمورة يدعو أبناء البشرية المتلاحقة عبر الدهور القادمة.. بأن عليهم ان يؤموا البيت العتيق، حاجين ملبين، ومنيبين مستغفرين.

وفي هذا الشهر المبارك نفسه كانت بعثة المصطفى {صلى الله عليه وسلم} الى كافة الناس بشيرا ونذيرا وهاديا ومصلحا.

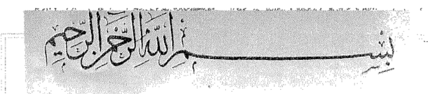
ولقد هدى الله بنور رسالته الوضاءة أمما وشعوبا كانت سادرة في غيابات الضلال والالحاد والانحلال والفساد المستشرى.. فارتفعت معنوياتهم، وانصهرت نفوسهم في بوتقة الاسلام الحنيف، فكانوا القادة السادة الرادة، والهداة المهديين.

وفيه كانت هجرته الغراء الى المدينة المنورة.. حيث انتشر من آفاقها الميمونة دين الله الى كافة أنحاء المعمورة.

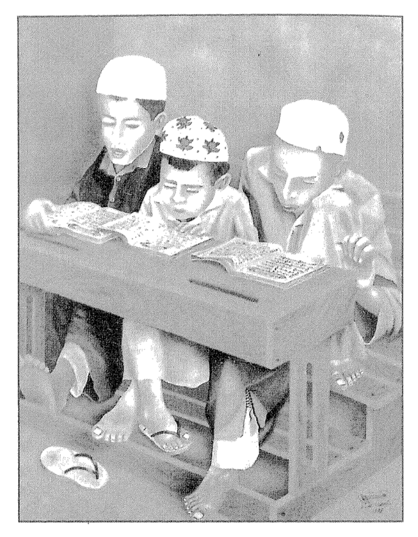
فاللهم رشدا وهداية لعبادك المسلمين في مشارق الارض ومغاربها.. حتى ينجلى عن قلوبهم وأفكارهم «ران» الحيرة والفرقة اللذين طالما حطما كيانهم. وحتى يوفقوا الى تحقيق «التضامن الاسلامي» المجيد الذى هو صخرة النجاة لهم من كل عدو متربص وكائد ماكر في كل زمان وفي كل مكان.

«عبدالقدوس الأنصاري»

ربيع الاول ١٣٨٨هـ - يونية ١٩٦٨م



حرف ولون



ابراهيم السويل - السعودية

«أقرأ» ·· إنها الخطوة الأولى ·· تبدأ بالحرف، وتنتهي بقراءة صفحة الكون اللانهائي·· وما بين البداية والنهاية كتاب وحياة»·

اشــــارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد

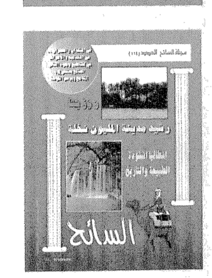
طبع بمطابع
شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
جدة - تليفون ٦٣٩٦٠٦٠ - فاكس ٦٣٩١٠٠٣

Rabia 1-2, 1420 H -- July -- Aug, 1999 C

المنهل
Almanhal
مجلة شهرية للأدب والعلوم والثقافة

العدد: (٥٥٩)
المجلد: (٦١)
العام: (٦٥)

الفهرس



وكلاء التوزيع
الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ –
الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ –
شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

منهليات

منهجية الزمن (ثانية .. وعاشرة)

في منهليات العدد السابق، أشرنا إلى الضرورة القصوى للإفادة من الزمن، والافادة المرجوة هنا لا تعنى فقط ملء هذا الفراغ الممتد بامتداد اعمارنا، بل يعني الاختيار الأمثل والأوجب لما ينبغي أن نشغل به أوقاتنا، بما يعود على الفرد والمجتمع والأمة بكاملها بكل الخير في كل مناحي الحياة.

وبهذا المنطوق العقلي، والتنفيذ الفعلى، تقوم حضارة أمة على أركان ثابتة لا تؤثر فيها هوجاء العواصف والانواء.

أما وقد أقمنا حياتنا على سطحية من الجهد، فان الأمر لا يمكث بنا طويلا حتى ترانا على رصيف الحياة نلعق الجراح.

إذا كنا فيما نحن فيه الآن، وما نعلمه جميعاً، فهل ندع أبناءنا، يضعون الحافر في الحافر؟!!.

هذا جيل جديد، وفهم للحياة جديد، وفكر جديد للتعامل مع الحياة والأحياء.

لهذا كله، ينبغي ان يكونوا غرساً جديداً ذكيا، يفيد من الماضي بعد قراءته، والتدقيق في قراءته، وتحليله وتفسيره، وحسن الفهم له، سلباً وايجاباً..

ويفيد من الواقع الماثل في كل أبعاده.. ذلك ليضع صيغة التعامل المثلى مع المستقبل الذى يستغرق حياته بكاملها.

إن كانت الحياة في أيامنا هذه تقفز قفزاً، ولا يستطيع أحد ملاحقتها، فما بالك بحياة قرن جديد، تقول كل المؤشرات انه سيكون (قرن الدهشة الكبرى)، يظل الانسان فيه غارقاً في أطرافه، وخيوط السراب ممتدة أمامه بامتداد خياله وباصرته.

الجيل الجديد، أمانة.. والزمن أمانة، وجيل وزمن، إذا ما اتفقا وتوافقا، فانهما يعنيان بكل تأكيد كسب ـ عطاء حضاري، ذكى فاعل.

إن احسنا توجيههم، وان أحسنوا هم التعامل مع الزمن، كسبنا الخير كل الخير.

المحـــرر

فقرات مستقلة

٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

جائزة مكتبة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني العالمية لعامي ١٤٢٠هـ ـ ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١م

يعلن مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية في قطر، عن موضوعي جائزة مكتبة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني العالمية ـ وقيمتها خمسة وسبعون ألف ريال قطري ـ لسنتيها القادمتين، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

وموضوع الجائزة للعام ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م «الأسرة المسلمة في العالم المعاصر» وفق الاطر العامة التالية:

- الاسس الشرعية لبناء الاسرة.
- الاسرة في مرحلة القدوة (العهد النبوي والخلافة الراشدة).
- دور الاسرة في التربية والنهوض الحضاري.
- تحديات تواجه الاسرة (تحديات داخلية وخارجية)، وسبيل التحصين.
- رسالة الأسرة المسلمة في عالم اليوم.

وموضوع «اشكالية التعليم في العالم الإسلامي» كعنوان لجائزة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م، وفق الاطر العامة التالية:

- التعليم المحور الأساس للتنمية والنهوض الحضاري.
- أبعاد الاشكالية: البعد السياسي، البعد الاعلامي، والثقافي، البعد الاجتماعي، البعد المنهجي.
- عجز التعليم بمؤسساته المختلفة عن تحقيق أهدافه، مواطن الخلل وأسباب العجز.
- دور مؤسسات البحث العلمي ومراكز الدراسات في البناء التعليمي.
- وسائل التصويب، وكيفية النهوض.

أما شروط الجائزة فهي كالآتي:

١ ـ يشترط في البحوث المقدمة، أن تكون قد أعدت خصيصاً للجائزة، وألا تكون جزءاً من عمل منشور، أو إنتاج عملي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية، وأن تتوفر في هذه البحوث خصائص البحث العلمي، من حيث المنهج والإحاطة والتوثيق، وسلامة الأسلوب والجدة والابتكار.

٢ ـ يقدم البحث باللغة العربية، من ثلاث نسخ، مكتوباً على الآلة الكاتبة، ويفضل أن يكون مكتوباً على الحاسوب، على ألا تقل عدد صفحاته عن مائتين وخمسين صفحة (A4 × ٢٢ سطراً × ١٢ كلمة).

٣ ـ يحق للجهة المشرفة سحب قيمة الجائزة، إذا اكتشفت أن البحث الفائز قد نشر سابقاً، أو قدم إلى جهة أخرى، أو لغرض آخر، أو مستلا من رسالة علمية، كما يحق لها حجب الجائزة في حالة عدم ارتقاء البحوث المقدمة للمستوى المطلوب.

٤ ـ يحق للجنة التحكيم التوصية بمنح الجائزة مشتركة بين اثنين أو أكثر من الباحثين، كما يجوز اشتراك باحثين أو أكثر في كتابة بحوث الجائزة.

٥ ـ لا تمنح الجائزة لمشارك واحد أكثر من مرة خلال فترة ثلاث سنوات.

٦ ـ يرفق مع البحث ترجمة ذاتية لصاحبه وثبتاً بإنتاجه العلمي المطبوع وغير المطبوع، بالإضافة الى صورة جواز السفر وصورة شخصية حديثة.

٧ ـ آخر موعد لاستلام بحث (الاسرة المسلمة في العالم المعاصر) شهر أبريل عام ٢٠٠٠م، بينما آخر موعد لاستلام بحث (اشكالية التعليم في العالم الإسلامي) شهر فبراير عام ٢٠٠١م.

٨ ـ تعرض البحوث على لجنة من المحكمين، يتم اختيارهم في ضوء موضوع الجائزة.

العنوان البريدي:

ترسل البحوث بالبريد المسجل على العنوان التالي:

ص.ب: ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر.

أو البريد الالكتروني: M - Dirasat @ Islam.Gov.qa

لمزيد من الاستفسار يرجى الاتصال على:

هاتف: ٣٢٤٥٨٤ ـ ٣٢٤٥٨٦ ـ ٤٤٧٣٠٠ ـ فاكس: ٤٤٧٠٢٢ ـ (٠٠٩٧٤).

الصحوة الاسلامية
مجلة فصلية جامعة
الجامعة الإسلامية دار العلوم حيدرآباد - الهند
الهاتف: ٢٤٦٤٧٩/٢٤٦١٤٦

رسالة حب ووفاء

صاحب السعادة/ الاستاذ الفاضل نبيه بن عبد القدوس الانصاري

رئيس تحرير مجلة «المنهل» الغراء الشقيقة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

وبعد.. فأرجو أن تصل إليكم رسالة محبكم - من أولئك الألاف الذين يحبونكم لجهادكم العظيم المبارك في سبيل خدمة «لغة الضاد» إعلاما وصحافة ونشرا وتأليفا وتشجيعا - وأنتم تنعمون بموفور الصحة وتمام العافية وتواصلون ريادة قافلة أصحاب اللغة العربية الجليلة الخالدة بخلود القرآن الكريم الذى نزل بها، وتشرفون على أفضل المجلات الأدبية وأحسنها وأرقاها مادة ومضمونا، شكلا ومعنى، وأغناها بالمواد الأدبية والثقافية والتحقيقية الدسمة الأنيقة.

سيدي: لا أدري ما هي الأسباب التى تعطل من أجلها وصول مجلة «المنهل» الحبيبة إلينا منذ زمان.. ولماذا ضننتم بها علينا بعد العطاء..؟ ولماذا حرمتم بعد أن تكرمتم ولماذا أعطشتم بعد أن سقيتم من منهل «المنهل» العذب الفرات!

فالرجاء إعادة سقى أذهاننا وعقولنا العطشى بعين «المنهل» الصافية المباركة المتفجرة في البقاع الطاهرة.

الرجاء التكرم بتجديد اشتراكنا مشكورين مأجورين!

والرجاء - كذلك - ارسال جميع الأعداد من المجلة التى لم ترسل إلينا، حتى لا نتأخر عن الركب، ولا نحرم الخير العظيم.

أما أسباب احتجاب مجلة «الصحوة الاسلامية» فهى لظروف قاهرة من الأزمة المالية الشديدة التى تمر بها الجامعة منذ مدة غير قصيرة فأدعوا الله سبحانه أن يفرج عنا وييسر لنا الامور حتى نتمكن من إعادة إصدار المجلة.

هذا.. ولعلنا لسنا بحاجة الى التذكير ببيان العلاقات الوطيدة التى تربط الجامعة بالمملكة العزيزة ومليكها المفدى وأمرائها النبلاء الكرماء وعلمائها الفضلاء، ودعاتها الأجلاء، وشعبها النبيل علاقات حب وصدق، ووفاء وإخاء متبادلة ومساعدات وأياد بيضاء مستمرة متواصلة آخرها ما تكرم به صاحب السمو الملكى الأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود من تشييد مبنى شاهق عظيم لمكتبة الجامعة بأحدث التسهيلات وكبرى المراجع وأهم المصادر من القديم والحديث.

ولا أريد أن أطيل عليكم كثيرا، واختتم هذه الرسالة مكررا الرجاء بالتفضل بفتح اشتراكنا من جديد واثقا بنبل أرومتكم وكريم عنايتكم!.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

محبكم/ محمد نعمان الدين الندوي

رئيس تحرير المجلة

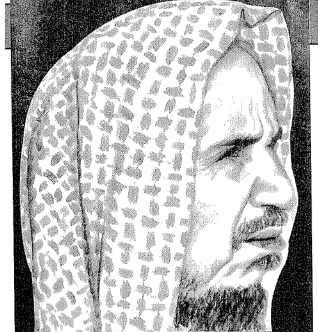
الأخ العزيز الاكرم الاستاذ محمد نعمان الدين الندوي

رئيس تحرير مجلة الصحوة الاسلامية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

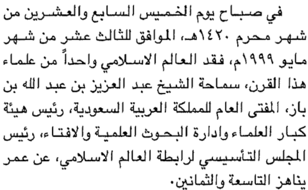
ولكم من مجلتكم (المنهل) تحية المحبين.. صلتنا بمجلتكم (الصحوة الاسلامية) وهي مجلتنا، قديمة تليدة، بل صلتنا العلمية والثقافية بالجامعة الاسلامية ودار العلوم في حيدر أباد - الهند، وصلتنا بعلمائها قديمة متجددة، ثرية بعطاء الفكر والمعرفة. ولهذا كله كان حرصنا الشديد على وجود مجلتكم (المنهل) بين أيدي هؤلاء العلماء. وهي صلة تبادل ثقافي وفكري، نرجو ونأمل استدامته بغير انقطاع فإن كانت مجلتكم المنهل قد انقطعت عنكم لفترة ما وددنا ان تنقطع فيها، فإنا نرسلها اليكم بصورة منتظمة وانتم أحق بها، فمعذرة، وتواصلا غير منقطع باذن الله تعالى.

«**المنهل**»



سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

(١٢/١٢/١٣٣٠هـ - ٢٧/١/١٤٢٠هـ)



في صباح يوم الخميس السابع والعشرين من شهر محرم ١٤٢٠هـ، الموافق للثالث عشر من شهر مايو ١٩٩٩م، فقد العالم الاسلامي واحداً من علماء هذا القرن، سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المفتى العام للمملكة العربية السعودية، رئيس هيئة كبار العلماء وادارة البحوث العلمية والافتاء، رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي، عن عمر يناهز التاسعة والثمانين.

رحمه الله رحمة واسعة، وجعل الجنة متقلبه ومثواه، وجعل نزله مع الصديقين والابرار.. ان الله سميع مجيب.

شيخ جليل زهد في الدنيا، فجاءته الدنيا منساقة اليه، فأحسن تصريفها في الخير والبر.

عالم فذّ، ذو بصيرة نيّرة وضيئة، كان نهجه الكتاب والسنة، فغدا علم أهل السنة في زماننا هذا، له مجاهداته الوافرة في الاجتهاد والاستنباط ، تصحبه بصيرة وقادة في استخلاص الحكم الفقهي.

غدا في أفق العالم الاسلامي علماً من أعلام الاسلام، يفد إليه طلاب العلم، والدارسون والباحثون، وأصحاب الفتيا، من كل انحاء العالم الاسلامي.

إنه العالم الذى ذاع صيته في العالمين، وكتب الله سبحانه وتعالى له القبول في قلوب الناس، كبيرهم وصغيرهم.

كان مولده في مدينة الرياض في الثانى عشر من شهر ذى الحجة ١٣٣٠هـ، توفي والده بعد ثلاث سنوات من مولده، كفلته أمه، وأحسنت رعايته وتنشئته.. له من الذرية، أربعة أولاد وست بنات.. حفظ القرآن الكريم وهو في صباه، وكفّ بصره وهو في العشرين من عمره.

في بكرة من عمره بدأ في تلقي العلوم الشرعية والعربية، على يد علماء كانت لهم مكانتهم العلمية، يذكر أن العلماء الذين تلقى عنهم الشيخ بن باز:

١ - الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يرحمهم الله وهو أول مشايخ الشيخ عبد العزيز وقد قرأ عليه ثلاثة الاصول، وكشف الشبهات، وكتاب التوحيد، والعقيدة الواسطية، وفي زاد المستقنع، وعمدة الاحكام والاربعين النووية.

٢ - الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله - قرأ عليه في كتب العقيدة.

٣ - الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب «قاضي الرياض» رحمهم الله.

٤ - الشيخ سعد بن حمد بن عتيق «قاضي الرياض

يرحمه الله قرأ عليه مدة ليست بالطويلة وهو كبير السن في كتب التوحيد عام ١٣٤٧هـ.

٥ ـ الشيخ حمد بن فارس «وكيل بيت المال في ا لرياض» قرأ عليه في النحو والاجرومية خاصة وكان قد كبر وضعف صوته سنة ١٣٤٤هـ وأول سنة ١٣٥٥هـ قبل وفاته يرحمه الله.

٦ ـ الشيخ سعد وقاص البخاري من علماء مكة المكرمة اخذ عنه عام ١٣٥٥هـ علم التجويد وقرأ عليه القرآن الكريم.

٧ ـ الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ الذي لازمه الشيخ عبد العزيز اكثر من غيره فقد لازمه في المسجد وفي البيت وفي جميع الاوقات الخمسة صباحاً، وضحى، وظهراً، وعصراً، ومغرباً، وعشاء، وتلقى عنه جميع العلوم الشرعية يقول الشيخ عبد العزيز عنه: «وهو افضلهم عندي واعلمهم».

٨ ـ الشيخ محمد الامين الشنقيطي، وقد اخذ عنه «شرح سلم الاخضري» في المنطق، كما كان يحضر حلقته في التفسير في الحرم المدني ما بين عام ١٣٨٨ ـ ١٣٩٣هـ وكان الشيخ ابن باز اذ ذاك من اكابر العلماء.

هؤلاء ابرز مشيخة الشيخ الذين درس وتعلم على ايديهم يرحمهم الله ويستمر الامر بالشيخ فلا يفتر عن طلب العلم من مظانه بكل جد واجتهاد ليلا ونهاراً معتمداً على الله ثم على بصيرته التي منحها المولى عز وجل له.

ولم يثنه العوز، والحاجة، وفقد الوالد، والبصر في وقت مبكر عن طلب العلم وتحصيله.

الأعمال التي تقلدها:

لقد تولى الشيخ عبد العزيز عدداً من الاعمال التي خدم من خلالها دينه وأمته، حتى اصبح خير قدوة ومثال للعاملين معه ولغيرهم في جده ومثابرته واخلاصه اما الاعمال التي تقلدها فهي ما يلي:

١ ـ عين قاضياً في مدينة الخرج في ٢٥ جمادى الآخرة عام ١٣٥٧هـ بأمر من الملك عبد العزيز يرحمه الله ويقول الشيخ «اذكر هذا التاريخ وكأنه محفور في

هذه قصيدة للشاعر (فواز بن عبد العزيز اللعنون) صادرة من قلب حزين باك لفقد سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، والقصيدة طويلة نجتزىء منها هذه الأبيات:

ألا أيها الماضي الى خير وجهة
مضيت الى الرضوان والمنهل العذب
لتهنك دارُ الخلد دار إقامة
نزلت بها بعد المحولة والجدب
ختمت مع التسعين آمال أمة
وكانت مع الآمال في مرتع خصب
ترحلت عنها والمآسي محيطة
بها، ورحي الآلام دائرة القطب
ولم ترتحل إلا وطلعك باسق
ومجدك في الآفاق موف على الشهب
وحبك في كل القلوب مخيم
فويلاه كم تشكو القلوب من الحب
إذا الله ألقى في قلوب عباده
قبول امرىء فالحب أول ما يسبي

* * *

فلله هل أحسست نعشك سابحاً
يجول على سيل من الدمع منصب؟
تهدهده الأمواج حيناً، وتارة
تحط به فوق الأرائك والهضب
وهل سمعت أذناك صيحات جمعهم؟
كأن نعي الموت داع الى حرب

* * *

كأنك إذ واروك في اللحد كوكب
يلوح وإن غشّاه جيش من الحجب
ووالله ما أهذي بذلك عابثاً
ولكنّ باب الفأل يدعو إلى العجب
مصابي عظيم في الإمام فخففوا
ملامكم واستعتبوني من العتب

فواز بن عبد العزيز اللعبون
ـ الرياض ـ

ذاكرتي لانه يمثل بداية حياتي العملية»، وقد بقي في هذا العمل حتى عام ١٣٧١هـ.

٢ ـ عين مدرساً في المعهد العلمي في الرياض عام ١٣٧٢هـ وبقي فيه مدة سنة.

٣ ـ بعد ذلك فتحت كلية الشريعة في الرياض واصبح مدرساً فيها حتى عام ١٣٨٠هـ.

٤ ـ وفي عام ١٣٨١هـ افتتحت الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة فنقل اليها بأمر من الشيخ محمد بن ابراهيم واستمر بها نائباً للرئيس حتى عام ١٣٨٩هـ.

٥ ـ بعد وفاة الشيخ محمد بن ابراهيم عام ١٣٨٩هـ عين رئيسا للجامعة الاسلامية بموجب أمر من الملك فيصل يرحمه الله عام ١٣٩٠هـ وظل في هذا المنصب حتى عام ١٣٩٥هـ.

٦ ـ وفي شوال عام ١٣٩٥هـ صدر الامر من جلالة الملك خالد يرحمه الله بنقله الى الرياض ليكون رئيساً عاما لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد وظل في هذا المنصب حتى انشئت وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد يحفظه الله وعين الشيخ عبد العزيز مفتياً عاما للمملكة العربية السعودية بدرجة وزير وظل في هذا المنصب حتى وفاته يرحمه الله.

كما كان قبل وفاته يشغل عدداً من الاعمال منها:

١ ـ رئاسته لهيئة كبار العلماء.

٢ ـ رئيس المجمع الفقهي الاسلامي بمكة المكرمة.

٣ ـ عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي.

الى جانب مشاركته في الكثير من الاعمال الخيرة داخل المملكة وخارجها.

ومن أهم مؤلفات سماحته ما يلي:

١ ـ الفوائد الجلية في المباحث الفرضية.

٢ ـ التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة «توضيح المناسك».

٣ ـ التحذير من البدع ويشتمل على أربع مقالات مفيدة (حكم الاحتفال بالمولد النبوي وليلة الإسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان وتكذيب الرؤيا المزعومة من خادم الحجرة النبوية المسمى الشيخ احمد).

٤ ـ رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام.

٥ ـ العقيدة الصحيحة وما يضادها.

٦ ـ وجوب العمل بسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكفر من انكرها.

٧ ـ الدعوة الى الله واخلاق الدعاة.

٨ ـ وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه.

٩ ـ حكم السفور والحجاب ونكاح الشغار.

١٠ ـ نقد القومية العربية.

١١ ـ الجواب المفيد في حكم التصوير.

١٢ ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب (دعوته وسيرته).

١٣ ـ ثلاث رسائل في الصلاة، (كيفية صلاة النبي {صلى الله عليه وسلم} وجوب أداء الصلاة في جماعة، اين يضع المصلى يديه حين الرفع من الركوع).

١٤ ـ حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن أو في رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

١٥ ـ حاشية مفيدة على فتح الباري وصلت فيها إلى كتاب الحج.

١٦ ـ رسالة الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وامكان الصعود الى الكواكب.

١٧ ـ إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين.

١٨ ـ الجهاد في سبيل الله.

١٩ ـ الدروس المهمة لعامة الأمة.

٢٠ ـ فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة.

٢١ ـ وجوب لزوم السنة والحذر من البدعة.

٢٢ ـ نقد الاشتراكية ١٣٨١هـ (١٩٦١م).

٢٣ ـ موقف اليهود من الاسلام وفضل الجهاد في سبيل الله ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

إنه امام أهل السنة في هذا العصر، هكذا وصفه أحد محبيه.

وهذا محب آخر يقول في الشيخ الجليل العلامة عبد العزيز بن باز، يقول فيه بصورة ادبية جميلة: «إن الناس ليتكبكبون حوله اينما وجد، في المسجد، في المنزل في الجامعة.. انه ليصغى لكل منهم في اقبال يخيل اليك انه المختص برعايتهم، فلا ينصرف عنهم حتى ينصرفوا هم.. ومراجعوه من مختلف الطبقات، ومن مختلف الارجاء ولكل حاجته، هذا يقصد اليه من اطراف المملكة يسأله الفتيا في أمر ضاق به العلماء وذلك يفضي اليه بحاجة لا يغني فيها سوى الحلماء الكرماء.. وربما كان بين هذا وذاك من لا يستحق اهتماماً ولا اصغاء ولكنه لا يعدم منه الرعاية التي تجبر قلبه.

وقد يكون بين المراجعين من يغلب عليه الحق فيسخط ويغلو لغير ضرورة، فلا يغير ذلك من حلم الشيخ، ولا يزيد على الدعاء له بالهداية، ودعوته الى الاناة.

وليس بالغريب ان يزدحم عليه هؤلاء حتى لا يدعون له متسعاً للراحة، ومع ذلك لا يحاول التخلص من مقامه الضنك، بل تراه يصغي لحاجة كل منهم بهدوئه المعهود، ويجيب كلا بما يرى انه الحق، نعم هذه اخلاق شيخنا، اناة وروية وصبر يجمعها صدره الرحب المتأثر والمتشرب بهدي امام المتقين وقائد الغر المحجلين نبينا محمد {صلى الله عليه وسلم} كان يقول يرحمه الله: الرسول صلوات الله وسلامه عليه هو قدوتنا، وهو الاساس في هذا فكان تحمله كبيراً، فربما جره الاعرابي من ردائه حتى يؤثر على رقبته فيحنو عليه النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ويضحك ويجيب له طلبه.. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحمل اهل البادية والحاضرة.. وهو أسوة لنا وهو اسوة لجميع اهل العلم والمسلمين.. ثم اصحابه كان لديهم من الحلم والصبر. كالصديق، وعلي، وطلحة وغيرهم من اصحاب النبي {صلى الله عليه وسلم}.

ألا رحم الله الشيخ الجليل، وجعل الجنّة متقلبه ومثواه وألهم آله ومحبيه وطلابه، الصبر وحسن العزاء.

محمد بن فايع ابراهيم الفتحي.. انها دمعة وفاء لوالد وعالم جليل .. نجتزىء منها هذه الأبيات:

جوت لو اننا كنا افتديناه بتحزاز
أحقاً أننا صرنا بغير المتقن الشازي؟
أحقاً أننا صرنا بغير الفاتح الغازي؟
غزا الأقطار بالإسلام مدعوما بترزاز
غزا الفقراء بالإكرام إغناء بإعواز
غزا الدنيا بعلم الشرع لا يغزو بوزواز
فأنجز ما أراد الله منه خير إنجاز
وأحرز شرح بعض الفتح لا يزهو بإحراز
وأبدى حكمه الشرعي قرآنا بإيجاز

* * *

أقول مواسيا قومي بشيخ وفا وبزباز
بكت هذي الدنا بازاً قضى فينا بعكاز
بكته بل بكت فيه أحاديثا كأخراز
أحاديثاً ورب البيت لا تأتي بألغاز
بكته قبلة الإسلام بكي الغائب الغازي
وصار القوم كل القوم في هم وتشماز
لعمرك إنما الدنيا مقام جوى ومجتاز
فلو كانت ستبقي اليوم أبقت غير بن باز
رسول الله خير الناس من عرب وأهواز
فنعم العمرُ يا شيخا قضى فينا بإيجاز
قضى حقا بقول الله لم يحفل بتكناز

محمد بن فايع الفتحي
ادارة تعليم محايل عسير

معهد المخطوطات العربية

خمسون عاما في خدمة التراث العربي

كان تأسيس معهد المخطوطات العربية من أجرأ المشروعات التى حققتها الجامعة العربية وأكثرها نفعا للعرب ولعلماء الانسانية المعنيين بالدراسات الاسلامية في العالم، فما تركه العرب من التأليف كان ضخما جدا. لا تجد مثله عند أى أمة من الأمم الأخرى. ولكن هذا التراث الذى قد يتجاوز عدده اليوم في العالم، ثلاثة ملايين مخطوطة مبعثر في أقطار الأرض، في مكتبات عامة أو خاصة. ومازال الشطر الأكبر منه مجهولا لوجوده في مكتبات غير مفهرسة. فأمام بعثرة المخطوطات العربية، تبقى الدراسات المتعلقة بنواحى الحضارة العربية غير مكتملة.

لهذا كله فكرت الجامعة العربية في انشاء معهد المخطوطات ليجمع أكبر عدد ممكن من صور المخطوطات القيمة النادرة المبعثرة في العالم ويضع هذه المصورات تحت تصرف العلماء في مقر المعهد.

وليفهرس المكتبات العامة والخاصة، التى تحوى مخطوطات غير مفهرسة، حيثما كانت وينشر هذه القوائم. ثم ليقوم بنشر المخطوطات محققة.

وليكون بعد ذلك مركزا علميا للتعاون العلمي بين العلماء والمؤسسات العلمية في العالم في سبيل خدمة المخطوطات العربية والتعريف بها وتبادل المعلومات عنها.

تلك أهداف المعهد التى حددها قرار مجلس جامعة الدول العربية في ١٩٤٦/٤/٤م. وكان المعهد عند انشائه تابعا للدائرة الثقافية بالجامعة.

مر معهد المخطوطات على مدى نصف قرن تقريبا بمراحل عدة، ليس بينها حدود فاصلة أو قاطعة تماما، ذلك أن نهر العمل كان يجرى في مجرى واحد. وعلى الرغم من ذلك، فقد كان لكل مرحلة طابع خاص.

فالمرحلة الأولى: يمكن ان نسميها مرحلة جمع التراث وهي تمتد من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٥٤م وتركز العمل خلالها على جمع التراث المخطوط المبعثر داخل الوطن العربي وخارجه من خلال بعثات أوفدها المعهد الى أماكن وجود المخطوطات، لتقوم بانتقاء الفريد منها وتصويره ومن خلال عمل هذه البعثات تشكلت الحصيلة الأولى من مصورات المعهد من المخطوطات.

وجاءت المرحلة الثانية لتحدد ملامح عمل المعهد وهى تبدأ مع عام ١٩٥٥م، وفيها انفصل المعهد عن الدائرة الثقافية للجامعة وعين له مجلس أعلى من كبار العلماء في العالم العربي، انتخب د. طه حسين رئيسا له، وفي هذه المرحلة انتشر خبر المعهد، وطار صيته، في الدوائر الثقافية، في الشرق والغرب، وعرفه الباحثون والدارسون، كما عرفته الجامعات والمؤسسات المعنية بالتراث العربي داخل الوطن وخارجه.

وعمر المرحلة الثالثة عقدان يمتدان بين عامى ١٩٧٠ و١٩٩٠م، ومارس فيها المعهد عمله من ثلاثة عواصم عربية، القاهرة ثم تونس فالكويت، فالقاهرة مرة أخرى، والحد الفاصل الذى بدأت منه هو ذلك

خالد عزب
- مصر -



- واجهة معهد المخطوطات.

- معهد المخطوطات من الداخل.

القرار الذى صدر بالحاق المعهد بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وتمثل المرحلة الرابعة من عمر معهد المخطوطات ارهاصات المستقبل فقد وضع المعهد خطة محكمة لانقاذ ما هو معرض للتلف من ذخيرة المعهد من المخطوطات، من ناحية، وتجديد ما أصبحت الحاجة ملحة لتجديده، قبل أن يصل الى مرحلة يحتاج فيها الى انقاذ من ناحية أخرى، وادخال الحاسب الآلى لفهرسة مقتنيات المعهد وخدمة الباحثين من خلاله.

٢٤ ألف مخطوطة مصورة يمتلكها معهد المخطوطات العربية صوِّرت من كبريات مكتبات العالم، تراث ندر أن يتوفر في أى مكان آخر، فمن مصر صور المعهد مخطوطات من دار الكتب المصرية ومنها مخطوط درر الحكم لأبى منصور الثعالبي المتوفي سنة



- غرفة الدراسة والبحث.

٤٢٩هـ.
ومن مكتبة الجامع الأزهر التى تضم دررا نادرة من المخطوطات منها شرح فصيح ثعلب لأبى منصور الجيان وهو مخطوط من القرن ٤هـ.

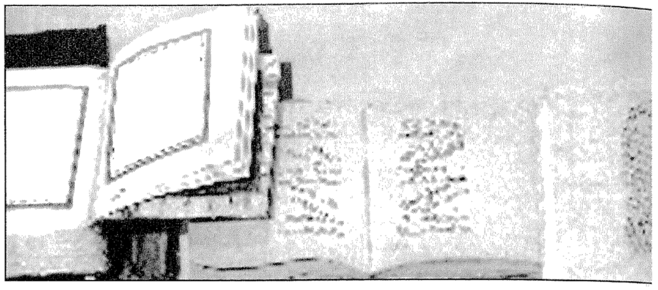
ومن المغرب صورت بعثات المعهد اليها دررا مغربية من مكتبات الخزانة الملكية وجامعة القرويين بفاس والخزانة العامة بالرباط، ومنها مخطوط اعراب القرآن الكريم لأبى اسحاق الزجاج وهو مخطوط يعود للقرن ٤ هـ. وعطرنامه وهو مخطوط نادر بالمعهد صور من مكتبة آيا صوفيا باستنبول، وقد وضع المعهد في خططه المستقبلية تصوير درر التراث العربي المخطوط بتركيا التى تعتبر خزائن المخطوطات بها أثرى خزائن التراث المخطوط العربي.

لم يترك المعهد مكانا في العالم به مخطوطات نادرة الا صور منها، فتجولت بعثاته في السعودية واليمن وعمان وسورية والمغرب وليبيا وأوزبكستان وايطاليا والبوسنة والهرسك ومن خلال هذه الحصيلة من التراث المخطوط يقدم المعهد خدماته للباحثين العرب والأجانب بتصوير المخطوطات وبمساعدتهم في الحصول عليها من المكتبات العالمية، ولعل زيارة واحدة لهذه المؤسسة العريقة نلحظ من خلالها أنها مجمع لخيرة الباحثين العرب.. المحققين للتراث.. سواء من العمالقة.. أو من شباب الباحثين.

ويصدر المعهد منذ عام ١٩٥٥ مجلة علمية لنشر الابحاث المتعلقة بالمخطوطات والتعريف بها. وهي مجلة نصف سنوية صدر منها الى الآن ٣٩ مجلدا. كما يصدر المعهد نشرة أخبار التراث العربي للتنسيق بين الباحثين والعاملين في مجال تحقيق التراث.

شارك معهد المخطوطات، في احياء الكثير من المخطوطات العربية ونشرها، إذ أخرج ٢٧ كتابا محققا، تنوعت موضوعاتها تنوعا كبيرا، ففي اللغة صدر عنه صفة السرج واللجام لابن دريد، وغوامض الصحاح للصفدى، ومجمل اللغة لابن فارس، وخلق الانسان لأبى محمد الحسن بن أحمد وتفسير رسالة أدب الكاتب للزجاج، والمحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيده الأندلسي. أما الشعر ومعانيه فقد نشر المعهد عددا من أشهر دواوينه ومنها ديوان المثقب العبدى، وديوان المتلمس الضبي وديوان عمرو بن قميئه وشعر تغلب في الجاهلية.

وفي ميدان التراجم ظفرت المكتبة العربية بثلاثة



ـ مجموعة من المخطوطات العربية.

كتب هي، سير أعلام النبلاء للذهبي، وذيل الدرر الكامنة، والآثار الرفيعة في مآثر بنى ربيعه.

وهناك كتابان في النحو هما شرح المسائل المشكلة للفارقى، والنكت في تفسير كتاب سيبويه للشمنترى وفي الأسلحة الأفيق في المنجنيق، وفي الطب المنصورى للرازى، وفي الأدب مختار الأغانى في الأخبار والتهاني.

لقد قام معهد المخطوطات سنة ١٩٤٦م، في ذلك الزمان الرخى الهانىء «إذ الناس ناس والزمان زمان» وعلماء العرب يفدون ويروحون، يعطون ويأخذون، وكان للمعهد من أهل العلم عون أى عون.

كان أول مدير لمعهد المخطوطات هو الدكتور يوسف بن رشيد العش سوري، ولد في طرابلس الشام سنة ١٩١١، وتوفى بدمشق سنة ١٩٦٧م، وهو أول من تخصص في تنسيق الكتب والوثائق في سورية، انتدب لادارة معهد المخطوطات عقب انشائه، فمكث به نحو خمس سنوات، شارك في ارساء أساسه ووضع قواعده وخرج في بعثاته الأولى، فكان له فضل المشاركة في انتقاء مجموعاته الأولى من المخطوطات.

وشارك في نشاط المعهد، عالم مغربى محقق هو محمد بن تاويت الطنجي، وهو أول من فهرس محتويات المعهد من المخطوطات وقد اختارته جامعة أنقره أستاذا بها لخبرته النادرة بالتراث العربي المخطوط.

وبرز من رجال المعهد على امتداد تاريخه ونشاطه رجلان اثنان كان لهما الأثر الضخم في اقامة صرح المعهد، وكان المعهد في أيامهما شعلة نشاط وخلية نحل ومنارة علم، الأول فهو سوري تولى ادارة المعهد خلال الخمسينيات، وكان خبيرا بالمخطوطات انه العلامة الدكتور/ صلاح الدين المنجد الذى جلب للمعهد نفائس ونوادرمن المخطوطات. وكانت له مهابة عند الناس وقدر، لاشتغاله بعلم المخطوطات وتحقيق الكتب، وطارت للمعهد في أيامه شهرة، وقصده الناس وهذه من السنن التى لا تتخلف، يكسب الرئيس النابه العارف عمله مهابة مستمدة من مهابته هو، وموصولة بها.

وأما الثانى محمد رشاد عبد المطلب فكان آية في معرفة الكتاب العربى المخطوط والمطبوع، يعرفهما كما يعرف الناس آباءهم، وكان يشم رائحة المخطوط النفيس من مكان بعيد، ويقع عليه كما يقع الصائد على فريسته لا يفلتها، وقد عمل بمعهد المخطوطات منذ انشائه سنة ١٩٤٦ الى حين وفاته سنة ١٩٧٥م وكثير من نفائس مقتنيات المعهد من صيده هو. رحمه الله.

تلك كانت رحلة تلك المؤسسة العريقة ومجهوداتها في خدمة تراث أمتنا، فالماضى عرفناه، والحاضر نشاهده بأعيننا، والمستقبل يخطط له خبراء الأمة، ليكون هذا المعهد شاهدا على عظمة أمتنا من خلال تراثها المخطوط.

القصص النبوي

عدد الأنبياء

قبل الحديث عن عدد الأنبياء والمرسلين نتحدث عن تعريف معنى النبوة والرسالة بمعناهما اللغوى والشرعي.

ففي اللغة: النبوة والنباوة ما ارتفع من الأرض، فإن جعلت النبي مأخوذا منه أى أنه شرف على سائر الخلق، فأصله غير الهمز، وهو فعيل بمعنى مفعول (والأنبياء جمع نبي، وقد قرىء بالهمز فقيل هو الأصل وتركه تسهيل، وقيل الذى بالهمز من النبأ، والذى بغير همز من النبوة، وهى الرفعة[١]).

والرسالة من أرسل الرسول بعثه برسالة، والرسالة الخطاب المرسل إلى فرد أو جماعة، ورسالة الرسول دعوته الناس إلى ما أوحي إليه، وعلى ذلك فإن الرسالة أوسع من النبوة وأشمل كما سيأتي.

أما في الشرع فإن (النبوة نعمة يمن بها الله على من يشاء، ولا يبلغها أحد بعلمه ولا كشفه، ولا يستحقها باستعداد ولايته، ومعناها الحقيقى شرعا من حصلت له النبوة. وليست راجعة الى جسم النبي ولا إلى عرض من أعراضه، بل ولا إلى علمه بكونه نبيا، بل المرجع إلى إعلام الله له بأنى نبأتك أو جعلتك نبيا. وعلى هذا فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم والغفلة[٢]).

ومن الناس من يرى أنه لا فرق بين النبي والرسول، وأكثر العلماء يفرقون بين النبي والرسول، فالرسول من أوحي إليه وأمر بالتبليغ، أما إذا أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبى فقط وليس برسول.

(وقد ذكروا فروقا بين النبي والرسول، وأحسنها أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبى ورسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول، فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس، فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها[٣]).

أما عن عدد الأنبياء فإن قصصا كثيرا جاء في ذلك، ففى قصة عن أبي ذر - رضي الله عنه[٤] - (قال: قلت للنبي {صلى الله عليه وسلم} أى الأنبياء أول؟ قال: آدم، قلت: أو نبيا كان؟ قال: نعم نبي مكلم، قلت: فكم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا).

وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (كان فيما[٥] خلا من إخوانى من الأنبياء ثمانية آلاف نبي، ثم كان عيسى بن مريم، ثم كنت أنا بعده) وعنه أيضا (بعث الله ثمانية آلاف نبى، أربعة آلاف منهم إلى بنى إسرائيل، وأربعة آلاف إلى سائر الناس) قال ابن كثير إسناده ضعيف.

وعن أبى أمامة - رضى الله عنه (قال: قلت، يارسول الله كم عدة الأنبياء، قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا) وابن كثير يضعفه.

وفي قصة عن أبى ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (النبيون مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، والمرسلون ثلاثمائة، وثلاثة عشر، وآدم نبي مكلم)[٦].



بقلم: أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
- مصر -



وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال: (نبي كان آدم، وبينه وبين نوح عشرة قرون، والرسل ثلاثمائة وخمسة عشر).

وجاء في قصة ـ اتسمت بالصحة[٧] ـ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: يارسول الله، كم الأنبياء؟ قال: (مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا) قلت: يارسول الله، كم الرسل منهم؟ قال: (ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير) قلت: يارسول الله، من كان أولهم؟ قال: (آدم) قلت: يارسول الله، نبي مرسل؟ قال: (نعم خلقه الله بيده، ثم نفخ فيه من روحه، ثم سواه قبيلا) ثم قال: (يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم، وشيث، ونوح، وخنوخ، وهو إدريس، وهو أول من خط بالقلم، وأربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر، وأول نبي من بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى، وأول النبيين آدم، وآخرهم نبيك).

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: (بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي، منهم أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل).

ومن القصص المطول في هذا الصدد ما روى عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: دخلت المسجد، فإذا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] جالس وحده، فجلست إليه، فقلت: يارسول الله، إنك أمرتني بالصلاة قال: (الصلاة خير موضوع، فاستكثر أو استقل) قال: قلت يارسول الله، فأى الأعمال أفضل؟ قال: (إيمان بالله وجهاد في سبيله) قلت: يارسول الله، فأى المسلمين أسلم؟ قال: (من سلم الناس من لسانه ويده) قلت: يارسول الله فأى الهجرة أفضل؟ قال: (من هجر السيئات) قلت: يارسول الله، أى الصلاة أفضل؟ قال (طول القنوت) فقلت: يارسول الله، فأى الصيام أفضل؟ قال: (فرض مجزىء وعند الله أضعاف كثيرة) قلت: يارسول الله، فأى الجهاد أفضل؟ قال: (من عقر جواده وأهريق دمه) قلت يارسول الله، فأى الرقاب أفضل؟ قال: (أغلاها ثمنا، وأنفسها عند أهلها) قلت: يارسول الله، فأى الصدقة أفضل؟ قال: (جهد من مقل، وسر إلى فقير) قلت: يارسول الله، فأى آية ما أنزل عليك أعظم؟ قال: (آية الكرسى) ثم قال: (يا أبا ذر، وما السموات السبع مع الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسى، كفضل الفلاة على الحلقة) قال: قلت: يارسول الله، كم الأنبياء؟ قال: (مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا) قال: قلت: يارسول الله، كم الرسل من ذلك؟ قال: (ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير، كثير طيب) قلت: فمن كان أولهم؟ قال: (آدم) قلت: أنبي مرسل؟ قال: (نعم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، سواه قبيلا) ثم قال: (يا أبا ذر، أربعة سريانيون: آدم، وشيث ، وخنوخ، وهو إدريس، وهو أول من خط بقلم، ونوح، وأربعة من العرب: هود، وشعيب، وصالح، ونبيك يا أبا ذر، وأول أنبياء بنى إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى، وأول الرسل آدم، وآخرهم محمد) قال: قلت يارسول الله، كم كتاب أنزل؟ قال: (مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة، وعلى ابراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى من قبل التوراة عشرة صحائف، وأنزل التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان).

قال: قلت: يارسول الله، ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: (كانت كلها، يا أيها الملك المسلط، المبتلى، المغرور، إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم، فإني لا أردها، ولو كانت من كافر، وكان فيها أمثال، وعلى العاقل أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته، من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ضاغنا إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه، مقبلا على شأنه: حافظا للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه).

قال: قلت: يارسول الله، فما كانت صحف موسى؟

قال: (كانت عبرا كلها، عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن إليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا، ثم هو لا يعمل) قال: قلت: يارسول الله، فهل في أيدينا شيء مما كان في أيدى إبراهيم، وموسى، وما أنزل الله عليك؟ قال: (نعم اقرأ يا أبا ذر: (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى * إن هذا لفى الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) قال: قلت: يارسول الله، أوصنى قال: أوصيك بتقوى الله؛ فإنه رأس أمرك، قال: قلت: يارسول الله، زدني، قال: (عليك بتلاوة القرآن، وذكر الله؛ فإنه ذكر لك في السماء، ونور لك في الأرض) قال: قلت: يارسول الله، زدني، قال: (إياك وكثرة الضحك، فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه) قال: قلت: يارسول الله، زدني، قال: (عليك بالجهاد، فإنه رهبانية أمتى) قلت: زدني، قال: (عليك بالصمت إلا من خير، فإنه مطردة للشيطان، وعون لك على أمر دينك) قلت: زدنى قال: (انظر إلى من هو تحتك، ولا تنظر إلى من فوقك، فإنه أجدر لك أن لا تزدرى نعمة الله عليك) قلت: زدني، قال: (أحبب المساكين وجالسهم، فإنه أجدر ألا تزدرى نعمة الله عليك) قلت: زدني، قال: (صل قرابتك وإن قطعوك) قلت: زدني، قال: (قل الحق وإن كان مرا) قلت: زدني، قال: (لا تخف في الله لومة لائم) قلت: زدني، قال: (يردك عن الناس ما تعرف من نفسك، ولا تجد عليهم فيما تحب وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك، أو تجد عليهم فيما تحب).

ثم ضرب بيده صدرى فقال: (يا أبا ذر، لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق).

وقال عبد الله بن الإمام أحمد: وجدت في كتاب أبى بخطه: حدثنى عبد المتعالى بن عبد الوهاب، حدثنا يحيى بن سعيد الأموى، حدثنا مجالد عن أبى الوداك، قال: قال أبو سعيد: هل تقول الخوارج بالدجال؟ قال: قلت: لا، فقال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إنى خاتم ألف نبي أو أكثر، وما بعث نبى يتبع إلا وقد حذر أمته منه، وإنى قد بين لى فيه ما لم يبين لأحد وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى، كأنها نخامة في حائط مجصص، وعينه اليسرى كأنها كوكب دري، معه من كل لسان، ومعه صورة الجنة خضراء يجرى فيها الماء، وصورة النار سوداء تدخن) وفى رواية عن أبى سعيد، قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إنى أختم ألف ألف نبى أو أكثر، ما بعث الله من نبي إلى قومه إلا حذرهم الدجال).

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إنى لخاتم ألف نبي أو أكثر وإنه ليس منهم نبي إلا وقد أنذر قومه الدجال، وإنى قد بين لى ما لم يبين لأحد منهم، وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور).

ومن المعلوم أن عقيدة المؤمن تلزمه الإيمان بالأنبياء والمرسلين، وأن عددهم كثير جدا لا يعلمه إلا الله، ولا ينكر أحدا ذكر في القرآن أو السنة الصحيحة. وقد جاء في القرآن ذكر خمسة وعشرين هم: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، واسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، ويونس، وداود، وسليمان، وإلياس، واليسع، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وكذا ذو الكفل - عند كثير من المفسرين - وسيدهم محمد {صلى الله عليه وسلم}.

وقد كان بين الرسل - عليهم السلام - فترات، حتى ختمهم بمحمد {صلى الله عليه وسلم} حيث أخرج ابن سعد عن ابن عباس[٩] - رضي الله عنهما - قال: كان بين موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة سنة، ولم يكن بينهما فترة، فإنه أرسل بينهما ألف نبي من بنى إسرائيل، سوى من أرسل من غيرهم، وكان بين ميلاد عيسى ومحمد {صلى الله عليه وسلم} خمسمائة سنة وتسع وستون سنة، بعث في أولها ثلاثة أنبياء كما قال تعالى: (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا

بثالث)[١٠]. وكانت الفترة التى لم يبعث الله فيها رسولا، أربعمائة سنة وأربعة وثلاثين سنة.

وقال ابن كثير[١١]: وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة، فى قوله تعالى: (على فترة من الرسل)[١٢]، كم هي؟ فقال أبو عثمان النهدي وقتادة في رواية عنه: كانت ستمائة سنة، ورواه البخارى عن سلمان الفارسي، وعن قتادة: خمسمائة وستون سنة، وقال معمر، عن بعض أصحابه: خمسمائة وأربعون سنة، وقال الضحاك: أربعمائة وبضع وثلاثون سنة، وذكر ابن عساكر في ترجمة عيسى - عليه السلام - عن الشعبي أنه قال: ومن رفع المسيح إلى هجرة النبي {صلى الله عليه وسلم} تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة. والمشهور هو القول الأول، وهى أنها ستمائة سنة. ومنهم من يقول: ستمائة وعشرون سنة، ولا منافاة بينهما، فإن القائل الأول، أراد ستمائة سنة شمسية، والآخر أراد قمرية، وبين كل مائة سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين، ولهذا قال - تعالى - في قصة أهل الكهف: {ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا} أي قمرية، لتكميل ثلاثمائة الشمسية التى كانت معلومة لأهل الكتاب.

والصحيح أنه لم يبعث بعد عيسى بن مريم - عليه السلام - سوى محمد {صلى الله عليه وسلم} - كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن أولى الناس بابن مريم لأنا ليس بيني وبينه نبي) وهذا رد على من زعم أنه بعث بعد عيسى نبي، يقال له خالد بن سنان.

وقد ذكر المفسرون كابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما أقوالا وروايات كثيرة في أن محمدا {صلى الله عليه وسلم} هو العاقب لعيسى، عليه السلام، قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى[١٣]: {وإذ قال عيسى بن مريم، يا بني إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة، ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد} يعنى التوراة قد بشرت بي، وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدى، وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي، فعيسى - عليه السلام - هو خاتم أنبياء بنى إسرائيل، وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشرا بمحمد، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، الذى لا رسالة بعده ولا نبوة. وقد روى البخارى ومسلم عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذى يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب).. وعن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}[١٤]: (إنى عند الله مكتوب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول ذلك: دعوة أبي ابراهيم، وبشارة عيسى بي، والرؤيا التى رأت أمي، وكذلك أمهات النبيين يرين، إنها رأت حين وضعتنى، أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام).

ـ للحديث صلة ـ

الهوامش:

(١) فتح البارى جـ ٦ ص ٣٦١.
(٢) المرجع السابق.
(٣) شرح العقيدة الطحاوية جـ١ ص ١٥٥.
(٤) منتخب كنز العمال جـ ٤ ص ٣٢٠.
(٥) وذكره ابن كثير في تفسيره جـ١ ص ٧٦٨.
(٦) انظر فتح الباري جـ ٦ ص ٣٦١.
(٧) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٧٦٨.
(٨) المرجع السابق جـ ١ ص ٧٦٩.
(٩) فتح القدير جـ ٢ ص ٣٤.
(١٠) سورة يس آية ١٤.
(١١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٥٠.
(١٢) سورة المائدة آية ١٩.
(١٣) سورة الصف آية ٦.
(١٤) تفسير الطبرى جـ ١٢ ص ٨٢.

هل الصحوة الإسلامية خطر على الغرب؟؟

كانت القضية الثالثة، التى عرض لها المستشرقون الثلاثون - الذين استطلعت (الوسط) آراءهم في الاصولية الإسلامية - هى قضية العلاقة بين هذه الظاهرة وبين الغرب، وتأثيرها على وضع الجاليات العربية والمسلمة في المهاجر الغربية؟؟.

ولقد تنوعت وتعددت زوايا التركيز والاهتمام في إجابات المستشرقين على سؤال (الوسط): «ما هو، في رأيك، انعكاس هذه الظاهرة على العلاقة بالغرب، وعلى المهاجرين العرب والمسلمين»؟.

لكن الجميع تقريبا قد تكاملت إجاباتهم لترسم معالم الإجابة المتكاملة التى تؤكد على أن القول بتهديد إسلامي للغرب هو «خرافة».. ومشكلة مفتعلة و«صورة» صنعها الغرب ضمن سعيه لصنع عدو بديل لامبراطورية الشر الشيوعية التى سقطت.. وللإعلام الغربي والصهيونية العالمية دور بارز في «صناعة» هذه «الصورة»، والترويج لهذه الخرافة.. كما أن للأحزاب العنصرية الغربية - وهى أصولية غربية - دورا بارزا في ذلك الحديث عن تهديد الجاليات الإسلامية في الغرب للخصوصيات الحضارية للمجتمعات الغربية التي يعيشون فيها.. وهناك، ايضا، سوء فهم الغرب لحركات الإحياء والتجديد والنهوض ذات المرجعيات الدينية، مصدره النظرية الأحادية، والقياس على تجربته التاريخية مع الكنيسة، والجهل بتميز النموذج الاسلامى في علاقة الدين بالسياسة.. ودور المدرسة الاستشراقية الاستعمارية القديمة فى «صناعة صورة» هذا الخطر الموهوم.

قال المستشرقون ذلك كله، وهم يفندون خرافة الخطر الاسلامي على الغرب.. ووضع كثير منهم النقاط فوق حروفها.. فأشاروا إلى أن الحقيقة إنما تكمن في عداء الغرب للبديل الاسلامي الذي يهدد استغلاله الاستعماري، وإذلاله لقوميات العرب والمسلمين.. بل إن منهم من تحدث عن الأرض المشتركة بين الصحوة الاسلامية وبين صحوة دينية في الغرب.. ففي الغرب - كما



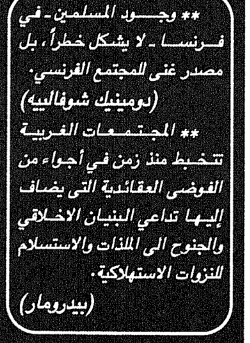
بقلم المفكر الاسلامي : أ.د. محمد عمارة
- مصر -

في الشـرق ـ مـؤمنون، تؤرقـهـم المادية والعلمـانيـة والنزعـة الاسـتـهـلاكـيـة، ويتطلـعـون ـ مع المسلمين ـ للإحياء الديني؟!٠

فالمستشرق الانجليزي «فيردهاليداي» يقول: «يتكلم الناس في الغرب عن «تهديد إسلامي»٠ وهذا في غالبه هذر فارغ٠ فالحركة الاسلامية ليست معنية أسـاسـا بالغـرب على الاطلاق، بل بمجـتـمـعـات إسلامية»٠

وعميد الاستشراق الفرنسي «جاك بيمك» يرى أن قلق الغـرب من الاسـلام ليس نابعـا من تهـديد حقيقي يتعرض له الغرب٠٠ وإنما هو نابع من قلقه على هيمنته الغربية التى يتحداها الاسلام٠٠ فيقول: «الغرب، ويا للأسف، يعتبر الإسلام عموما، والإسلام العربي خصوصا، مصدر تهديد مباشر موجه ضده٠ ويوجه احتيـاطه الاستراتيجي نحو الجنوب، بعدما كان موجها لوقت طويل نحو الشرق٠ وهنا أقول: إن القوة الوحيدة التى يبدو أنها تقاوم الهيمنة الجديدة ذات القـطب الواحـــــد، أي الولايات المتحدة الأمريكية، هي الإسلام وبعض الدول العربية، ولهذا يعتبر بعضـهم أن العرب والإســلام هم العــدو الواجب قهره»٠

أما المستشرقة الايطالية «إيزابيلاكاميرا دافليتو»، فترى أننا أمام مؤامرة غربية هدفها «اختراع» عدو٠٠ وأن المدرسة الاسـتـشـراقـيـة الاسـتـعـمـارية والإعـلام الغـربي ضـالعـان في خلق «بعـبـع» إســلامي، وذلك لخلق خط دفـاعي ضـد هجـوم وهمي، ليظل الغـرب مترفعا ومتعاليا على ما سواه من العالم٠٠ وفي سـبـيل ذلك يتم تزييف الصـورة الإسـلامـيـة، وتبـعث الضـغـائن القديمة، وتخلط الشعائر الدينية الإسلامية بالعنف الأصولي!٠٠ ترى المستشرقة الإيطالية ذلك، فتقول: «قضية الأصولية الاسلامية واجهت تضخيما مبالغا فيه من قبل اجهزة الإعلام الغربي٠٠ فالغرب كان وما يزال بحاجة الى «اختراع» عدو حتى يضمن لنفسه خطا دفاعيا، ويظل مترفعا ومتعاليا على ما تبقى من العالم٠٠ وعندما انهارت الشيوعية، برز لدى الغرب التساؤل التالي: من سيكون عدونا المقبل؟ وإذا به يسـحب من خزانة تراكم عليها غبار الزمن صـورة العـدو التـاريخي القـديم المتـمـثل بالعـالم الاسلامي٠ لكن الغرب كان أيضا بحاجة إلى وسيلة لإقناع مواطنيه بمصداقية هذا الاكتشاف «الجديد ـ القديم» لذا كان طبيعيا أن يحاول ترسيخ ملامح «البـعبع» من خلال تقديم الأصولية الاسلامية في صورة العدو العنيف٠ واستغل لتـقـديم هذه الصـورة كل مـا يمكـن ان يمت إلى العــــالم الاسـلامي بصلة، فنحن، وعلى الرغم من وجود مظاهر اصولية كثيرة في الديانة المسيحية أو الديانات الأخرى في الغرب، لا نسـمع حـديثـا عن «عنف هذه المظاهر الأصــوليــة» في حين نرى هـذا المنطق يطبق على العالم العربي٠



اطلعت أخيرا على الترجمة الإيطالية لأحد كتب المستشرق

الأنكليزي العجوز بيرناردلويس، وهو ينتمي إلى المدرسة القديمة الغربية من المنطق الاستعماري. نشر الكتاب في طبعة إيطالية، تحت عنوان (القتلة الإرهابيون الأوائل في التاريخ)!. وعندما تنشر دار نشر مشهورة وكبيرة في إيطاليا كتابا بهذا العنوان، فمن الواضح أن لديها هدفا في تزييف الحقائق. وليس هذا إلا مثالا مصغرا عما يكمن في الغرب من استعداد لرؤية الجانب السلبي فقط من العالم العربي.

يكفي ان ترى نشرات الأخبار، فهى عندما تتحدث عن ظاهرة الأصولية ومظاهرها العنيفة، تذهب لتصور الناس وهم يؤدون شعائر دينية أو يصلون في المساجد، ثم تربط بين هذه الصورة والحديث عن «العنف الاسلامي». ترى لماذا لم تفكر محطات التلفزيون في الحديث عن الظاهرة الأصولية في الديانات الأخرى - وهى موجودة بالفعل - من خلال الربط بينها وبين مشهد آلاف المؤمنين الذين يؤمون ساحة القديس بطرس في الفاتيكان كل يوم احد للاستماع إلى قداس الأحد الذي يحييه البابا يوحنا بولس الثاني؟.. أو أولئك الذين يقفون امام حائط المبكى في القدس؟. ثم، من أجاز لهؤلاء الصحفيين أن يطلقوا على بشر عاديين يؤدون شعائرهم الدينية صفة «الأصولية»؟.

كل ذلك يدفعنا إلى اكتشاف درجة الزيف في الصحافة والإعلام الغربيين، ومدى استعداد البعض الى استخدام ضغائن دفينة تجاه العالم العربي والإسلامي. اعتقد أن ما يحدث في الغرب إزاء هذه الظاهرة، عبارة عن «خط دفاعى» ضد «هجوم» مفترض وموهوم. وتظهر النتائج بوضوح على المهاجرين العرب والمسلمين بشكل عام، فغالبيتهم تعيش في ظروف قاسية، وفي حالات العزلة الاجتماعية. كما يعانى أبناء المهاجرين من مصاعب عديدة سواء في الدراسة أو ممارسة شعائرهم الدينية. ففي مدينة كبيرة مثل روما، لا وجود لمسجد، والمسجد الذى أنشىء لم يفتتح بشكل كامل حتى الآن؟!.

> **_** يجب ان تتحكم في موقف الحضارة الغربية من الحضارة الاسلامية قوانين التعايش، وليس تطبيق المقياس الغربي الواحد على الشرق._**
>
> **_(فيتالي ناومكين)_**

وينفى المستشرق الفرنسي «مكسيم رودنسون» وجود خطر إسلامي على الغرب، ويقول: «ربما وجب اجتماع شروط من الصعب جمعها لكي يصبح في الإمكان الحديث عن خطر أصولى على الغرب».

وكذلك يرى المستشرق الايطالى الشهير **«فرانشسكو غابرييلي»**، أن لا منطق لقلق غربى من ظاهرة الأصولية الإسلامية «فالغرب يشعر بالقلق إزاء ما تنطوى عليه تلك الظواهر من عنف. وهذا القلق يدفع بالكثيرين الى التساؤل: إذا لم يكن لدى الاسلام رغبة في «فتوحات» جديدة كما حدث في القرون الوسطى؟. وهو قلق لا يمتلك طبعا أي أساس منطقى على الاطلاق».

أما المستشرق الأمريكي «جون إيسبورستو» فيرى في الحديث عن خطر إسلامي على الغرب وهما لا أساس له، فهناك أرض مشتركة بين جماهير عريضة من المؤمنين - في الشرق والغرب - مسلمين

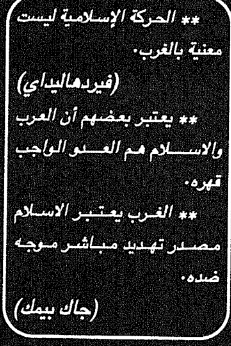
ومسيحيين ويهود - يشتركون في القلق من النزعات المادية الاستهلاكية ومن العلمانية.. فالمقاصد المشتركة، لا المتناقضة، يمكن ان تجمع بين الغرب والاسلام.. «هناك في المجتمعات الإسلامية والغربية، أعداد كبيرة من المؤمنين (مسلمين ومسيحيين ويهود) يشتركون في نفس القلق من تمادي العلمنة والمادية الاستهلاكية. لذا، فبمجرد أن نقوم بالتمييز بين الاسلام والتطرف، ونتنبه الى ما يفرق المتطرفين القائلين باستخدام العنف عن الحركات الاسلامية الحديثة، فإن حجج الذين يعتقدون ان الاسلام يشكل تهديدا سكانيا وحضاريا للغرب ستسقط كلها بلمح البصر».

ويفند عدد من المستشرقين مزاعم تهديد المهاجرين المسلمين في الغرب خصوصيات المجتمعات الغربية الحضارية، **فيقول المستشرق الهولندي «يان بروخمان»**: «إن اتهام المهاجرين العرب والمسلمين بالتطرف مجرد كلام فارغ ودعايات وحملات منظمة تشنها فئات ذات اهداف سياسية معروفة».

ويدعو **«جاك بيرك»** الأقليات المسلمة في الغرب الى التكيف مع الأكثرية، دون التخلي عن إسلامها، إذ عندما يكون طرف ما أقلية عليه أن يتكيف مع الأكثرية.. أن يدفع ثمن القبول في المجتمع.. فعلى الأقليات المسلمة أن تتكيف مع المجتمعات الغربية دون التخلي عن الدين».

وهذا «التكيف» الذي يدعو إليه «جاك بيرك»، يتحدث **المستشرق الفرنسي «دومينيك شوفالييه»** عن أنه متحقق بالفعل.. «إن المواطنين المسلمين، بمن فيهم الأصوليون، قبلوا الاندماج في إطار القوانين الفرنسية.. ووجود المسلمين لا يشكل خطرا، بل مصدر غنى للمجتمع الفرنسي.. وإذا كان هناك بعض التطرف في الفئات المهمشة، فسببه البطالة واليأس الكبير، واعتقد بأن هذا اليأس هو الذى يجب حله».

أما **المستشرق الفرنسي «بيارتيه»** فينفى وجود خطر من الأقليات الاسلامية في الغرب، إذ «يمكن للأصوليين» أن يمارسوا ديانتهم في فرنسا، لكنهم ليسوا قادرين على تحويل دينهم إلى فعل سياسى. لذلك لا يشكلون خطرا على فرنسا.. والحديث عن هذا الخطر يصدر عن أحزاب متطرفة في فرنسا، ويطرحه بعض الوزراء بطريقة ديبلوماسية.. والإسلام ليس مناقضا للعلمانية.. والأديان يمكن أن تتعايش.. والعلمانية هى فعل التعايش بين الأديان».



وعندما يتحدث «بيارتييه» عن الأصولية الدوغماتية، التى تدير ظهرها للغرب، نجده يتحدث عن خلاف الرؤية الاسلامية، التى ترى في الوحي والغيب والايمان «حقائق»، وبين الوضعية الغربية التى تضع «الحقائق» بعيدا عن منطقة «الإيمان» الذى تراه لا يرقى إلى مرتبة «الحقيقة».. فيقول: «ولعل أخطر ما في الحركة الأصولية هو دوغماتيتها، وهى

دوغماتية غير مبررة. لماذا؟ لأنها لا تقوم على التمييز بين حقيقة الإيمان والحقيقة العلمية الثقافية، ففي رأيي أن هناك حقيقة تنتمي إلى مجال المعرفة، وحقيقة تنتمي إلى مجال الاعتقاد، ولا يمكن الخلط بين الاثنين، إن الأصولية ترفض مبدأ الحقيقتين، ولذا تدير ظهرها للغرب».

لكن .. هل تضيق صدور ليبرالية وديمقراطية الغرب ـ التي وسعت التيارات الفكرية والفلسفية المتناقضة بالرؤية الإسلامية التى تقول بالحقيقة الواحدة؟ ـ فلا يكون هناك داع ولا مبرر لأن يدير بعض المهاجرين المسلمين الى الغرب ظهورهم لمجتمعاته؟!.

ويلفت «جاك بيرك» النظر إلى «السياسة الغربية» التى تستفز مشاعر المسلمين بتصرفات «حمقاء»، من مثل الاحتفاء بـ «سلمان رشدى»: «إنه لفعل أحمق أن يدعو وزير فرنسي سلمان رشدى، الذى شتم نبي الإسلام.. إن الذين دعوا رشدى كانوا يودون تسجيل موقف. هذه مبادرة حمقاء من وجهة نظر سياسية، وتنم عن موقف غير مسئول».

أما **المستشرق الانجليزي «ديريك هوبرود»** فيرى أن مخاوف الغرب من الاسلام راجعة إلى عدم تقديره رغبة المسلمين العميقة في تحديد هويتهم والحفاظ عليها.. وإلى رد الفعل الاسلامي المتمثل في اللغة العدائية لموقف الغرب هذا.. والحل عنده هو في قبول الغرب بحق المسلمين في اختيار الهوية والقيم المتميزة.. «إن هناك قليلا من التقدير في الغرب لرغبة المسلمين العميقة في إعادة تحديد هويتهم والحفاظ عليها في وجه هيمنة خارجية. ولكن لسوء الحظ أيضا، يعبر الاسلاميون غالبا عن ذلك بلغة العداء الحاد للغرب، فيعززون العداء وعدم الفهم المتبادلين.. إن الالتزام العميق للقيم الاسلامية راسخ لا يمكن استئصاله من العالم العربي، وعلى الحكومات المحلية وبقية العالم القبول بهذه الحقيقة والعيش معها».

ويرجع المستشرق الإسباني «بيدرومار تينيث مونتابيث» المشكلة إلى تناقض «التعصب والتزمت» الأصولى مع «الفوضى الغربية في العقائد والأخلاق والملذات والنزوات الاستهلاكية».. وإلى عدم تقدير الغرب للمهاجرين المسلمين الذين يبنون في مجتمعاته.. «إن انعكاس هذه الظاهرة على العلاقة بالغرب سلبي في الغالب. لكن المسئولية تقع أيضا على الغرب، فالمجتمعات الغربية تتخبط منذ زمن في أجواء من الفوضى العقائدية التى يضاف إليها تداعى البنيان الأخلاقى والجنوح إلى الملذات والاستسلام للنزوات الاستهلاكية.. إن المهاجر، بالنسبة إلى السواد الأعظم من الغربيين، مجرد بديل عمالى أقل شأنا وخبرة، وغير جدير بالقدر نفسه من الاهتمام. وهو مرفوض ومحارب ومطارد. ويصعب على الغربي أن يقر بالخدمة التى يقدمها إليه المهاجر.. والصورة المضخمة التى تروج عن عدو خارجي خطير هو «الأصولى»، تحدث ردة فعل لدى المواطن الغربي تزداد عنفا».

ويتوجه **المستشرق الروسى «فيتالى ناوومكين»** بمطالبه إلى الغرب، فالمسئولية مسئوليته.. وحل «المشكلة» بين الغرب والاسلام كامن في : اعتراف الغرب بحق الحركات الاسلامية في الوجود والعمل.. والاعتراف بحق الشرق في اختيار طريق التطور وفق قوانينه وسننه.. وفي تخليه ـ الغرب ـ عن سياسة فرض المقاييس الغربية على الشرق.. «فالديمقراطية الحق تحتم الاعتراف بالقوى

السياسية ذات التوجه الأصولي، كجزء من المشهد السياسي العام. وإن لكل مجتمع الحق في أن يعيش حسب قوانينه وسننه. ولهذا يجب أن تتحكم في موقف الحضارة الغربية من الحضارة الاسلامية قوانين التعايش، وليس توحيد المقاييس، وتطبيق المقياس الغربي الواحد على الشرق، فإذا لم يتفق التحديث مع التقليدية، استحال الخلاص من الأشكال الدينية المتطرفة».

وترجع **المستشرقة الاسبانية «كارمن رويث»** المشكلة إلى جهل الجمهور الغربي بحقيقة ما يجرى في العالم الاسلامي «فالعلاقة مع الغرب ستبقى قائمة، وستسير في اتجاهات شتى، لأن في الغرب أيضا أصوليات تعيش بجانب تيارات فكرية منفتحة على الحوار، لكن السواد الأعظم من سكان الغرب ضئيل المعرفة بالعالم الاسلامي عموما والعالم العربي خصوصا».

اما **المستشرق الهولندى «رودولف بيترز»** فيرى في الصهيونية، واللغة الاعلامية الغربية مصادر الترويج لدعوى الخطر الاسلامي على الغرب.. وهي مصادر تهدم ما تبنيه المؤسسات الأكاديمية المهتمة بالاسلام وعالمه.. فعلى الرغم من أننا في المؤسسات الأكاديمية نحاول التأكيد على أن الأصولية بعد من أبعاد عدة للاسلام، وأن الغالبية العظمى من المسلمين تختلف مع الأصولية، إلا أننا نواجه صعوبة شديدة، لأن اللغة الإعلامية اليومية تكرس الصورة المشوهة.. فتصور الإسلام هو الأصولية والأصولية هى الإسلام، وأنهما الخطر الأول على الغرب والعالم الحر. وإذا أضفنا ما يقوم به الاسرائيليون من تضخيم للخطر الأصولى، على أساس انه البديل من الخطر السوفياتى، كانت النتيجة واضحة».

***** الغرب كان ومايزال بحاجة الى اختراع عدو حتى يضمن لنفسه خطاً دفاعيا، ويظل مترفعاً ومتعالياً على ما تبقى من العالم. (ايزابيلا كاميرا)***

وترجع **المستشرقة الايطالية «آداليندا غاسبارينى»** مخاوف الغرب من الاسلام، الى خلطه بين تجربته الحضارية والتاريخية، في علاقة الدين بالسياسة والدولة - وهى التجربة التى خلص منها باختيار العلمانية - وبين واقع هذه العلاقة في العالم العربي والاسلامى، الذى لا تناقض فيه - فكرا وتاريخا - بين الدين والسياسة، ومن ثم فإن الغرب يرى الظاهرة الدينية في العالم العربي على النحو السلبي الذى عرفه في عصوره الوسطى والمظلمة.. إن «ما حدث في الغرب هو اننا خلطنا استقلالية التفكير مع السياسة، وذلك بغرض التخلص من السلطة الدينية العقائدية التى تغلغلت قدر الإمكان وعمدنا إلى فهم علمانى مطلق علّنا نتمكن من إقصاء القيم الأخلاقية الممثلة بالتفكير الديني، وربما لم يكن هذا الأمر ممكن الحدوث في العالم العربى، لعدم وجود تناقض جوهرى بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، وإذا واصلت أجهزة الإعلام ضخ المعلومات الخاطئة والمزيفة وأخبار العنف دون سواها.. وإذا استغرق الناس في جهلهم كل ما يمت إلى العالم العربي بصلة، فسيكون من العسير جدا ان يدرك الرأى العام الفرق بين حالة العنف غير المبررة،

والخصوصية الثقافية لشعب ما».

والمستشرق الهولندى «يوهانس يانسن»، إذ يعترف بخوف متبادل بين الغرب والشرق، يرى في خوف الغرب من الشرق والإسلام خوفا غير مبرر.. بينما هناك مبررات لخوف الشرق من الغرب.. فخوف الغرب من الشرق هو صناعة غربية، وسببه خشية الغرب آفاق وحدود الدين إذا هي تجاوزت آفاق وحدود مسيحيته.. رغم انها خاصة بمجتمعات غير مجتمعاته.. أما خوف الشرق من الغرب - في تقديرنا - فمصدره الواقع التاريخي والمعاصر للعلاقة بينهما!.. فالمجتمعات الغربية مبنية على علاقات مختلفة بين الدين والدولة. وعندما يسمع المواطن أن الديانات تؤدي دورا هاما وكبيرا في الشرق الأوسط، فإن ذلك يثير فيه مشاعر الحذر، وهكذا نجد ان الخوف عنصر متبادل، فالأصوليون يخافون الغرب، والغرب يخاف الأصولية».

أما المستشرقة الايطالية «دانييلا آمالدى» ، فإنها ترجع النظرة الغربية للأصولية الاسلامية، إلى الموقف الآحادى الجانب - بسبب العجز عن الفهم أو عدم الرغبة في الاستيعاب - وإلى تبسيط وتسطيح المعرفة بهذه الظاهرة، الأمر الذى يجعل الغرب يرى في «المختلف» عنه «خطرا محتملا وسلبية مطلقة».. «فالغرب يميل إلى تسطيح وتبسيط الأمور، فيقع في مطب قراءة آحادية الجانب لهذه الظاهرة، ويفقد القدرة على (أو الرغبة في) استيعاب أوجه الشبه أو التباين بين واقع وآخر في العالم الاسلامي، وبالتحديد بين مظاهر وتجليات «الأصولية»، ويؤدى ذلك إلى علاقة الشبه أو التباين بين واقع وآخر في العالم الاسلامي، وبالتحديد بين مظاهر وتجليات «الأصولية» ويؤدى ذلك إلى علاقة معرفية سطحية بالآخر، علاقة، يصبح معها «المختلف»، بالضرورة، مرادفا للسلبية المطلقة.. وإلى اعتبار كل ما ومن هو قادم من العالم الاسلامي خطرا محتملا».

وقريبا من هذا التفسير نجد رأي المستشرق الايطالي «كلا وديولوياكونو» .. الذى يرى ان جهل الغرب بجوهر الثقافة الاسلامية هو الذى جعله لا يرى في الظاهرة الاسلامية سوى العنف، والطابع المعادى للغرب عند بعض الحركات الاسلامية.. بينما ينسى هذا الغرب اثار الخراب التى أحدثتها سياسته الاستعمارية في عالم الاسلام.. «فالغرب يعرف القليل عن الثقافة الاسلامية، وما يعرفه من هذه الثقافة لا يمثل جوهرها الفعلى. هناك، حتى في صفوف أهل الاختصاص وأساتذة الآداب واللغة والاسلاميات، من يشغل موقعه عن غير جدارة واستحقاق. وإذا ألقينا نظرة على الكتب المدرسية، سنجد أن مؤلفيها بدأوا يهتمون بالعالم الاسلامي وثقافته في وقت متأخر. هذا الجهل هو الذى حمل الغرب إلى التعاطى مع الحركات الأصولية من منطلق واحد فحسب، إنه منطلق العنف.. وبطبيعة الحال، يجرى التركيز على الطابع المعادى للغرب الذى يتميز به بعض هذه الحركات، فيما ينسى الغرب آثار الخراب الذى تركته سياساته

إن اتهام المهاجرين العرب والمسلمين بالتطرف مجرد كلام فارغ ودعايات وحملات منظمة تشنها فئات ذات أهداف سياسية معروفة.
(يان بروخمان)

الاستعمارية القديمة والجديدة».

وإذا كان الحوار هو السبيل للفهم المشترك للتعايش بين الحضارات، فإن المستشرق الايطالي «سلفاتوري بونو» يرى الغرب هو الرافض للحوار مع الحركات الأصولية.. والرافض للتقييم الموضوعي لأفكارها، وهو معبأ سلفا ضدها.. «فالغرب، كحكومات وكرأى عام، معبّأ سلفا ضد الحركات الأصولية، وليس مستعدا لمناقشة آرائها وطروحاتها، كما أنه يرفض تقويم هذه الطروحات بشكل موضوعي».

أما المستشرق الأمريكي «جون فول» فإنه لا يرى التناقض في المصالح دائما بين الأصوليين المسلمين وبين الغرب .. بل قد تتطابق المصالح.. ويرجع سبب التوتر إلى علمانية الحكام الغربيين، التى تصنع أزمة ثقة مع التوجهات الدينية، وإلى معارضة الاسلاميين للحكومات التابعة للغرب «فالأصوليون العنيفون قد دخلوا في صراعات مع مؤسسات وحكومات ثبت ولاؤها للغرب وأمريكا. لكن مصالح الأصوليين المسلمين تتطابق في بعض الأحيان مع مصالح الحكومات الغربية - لنأخذ كمثال معارضة الغزو السوفياتى لأفغانستان - ما يجعل التعاون في هذه الحالات ممكنا، لكن، على وجه العموم، وفق المنظورات العلمانية التى تطغى على آراء صانعى السياسة الأمريكيين والأوربيين الغربيين، فإن الأصوليين، على اختلاف نماذجهم، ليسوا اهلا للثقة. والعكس هو الآخر يبدو صحيحا، أى أن قادة الأصوليين لا يثقون بحكام الغرب العلمانيين. وفي هذا السياق، أدى صعود الأصوليات إلى جعل «علاقات الشرق بالغرب» أكثر تعقيدا ومصدرا لخطر محتمل».

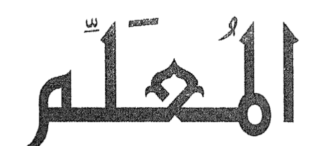
هكذا انعقد إجماع المستشرقين على أن «الخطر الاسلامى» على الغرب هو «وهم» و«هذر» و«كلام فارغ» و«بعبع» صنعه الاعلام الغربي.. والصهيونية.. والجهل بجوهر الثقافة الاسلامية.. ويتميز علاقة الدين بالسياسة والدولة في النموذج الاسلامى عنها في النموذج المسيحى الغربي.. ونبه كثير منهم على أن وراء ذلك كله مؤامرة غربية تستهدف صناعة «عدو» يحل محل «امبراطورية الشر الشيوعية».

اللهم إلا المستشرقة الألمانية «أردموته هيللر» التى قالت إن الأصوليين المسلمين خطر كبير على الأمن والسلام، وعابت على الغرب أنه غير موحد إزاء هذا الخطر؟!.. فعندها «أن الغرب ليس موحدا، ولا يعرف إجماعا حول هذه المسألة. فالأمريكيون مثلا، اعتبروا الحركات الأصولية أثناء التدخل السوفياتى في أفغانستان ظاهرة إيجابية جدا. وأعتبر الأصوليين يشكلون خطرا كبيرا على الأمن والسلام، وعلى العلاقات بين الشرق والغرب».

ونحن إذا تجاوزنا عن هذا الرأى، الذى انفردت به «أردموتة هيللر»، سنجد أن المستشرقين الذين استطلعت (الوسط) آراءهم في علاقة الحركات الاسلامية بالغرب؟ وخطرها عليه؟.. قد قاموا «بتشريح الغرب» لا بتشريح الحركات الاسلامية؟!.

وهى شهادة فخار لموضوعية هؤلاء المستشرقين.. وخدمة كبرى قدمتها (الوسط) إلى القراء العرب، عندما وضعت بين يديهم هذا «الملف» الذى نرجو أن يصحح مفاهيم الكثيرين من مثقفينا وإعلاميينا المسلمين؟!.

- للحديث صلة -



المعلّم القائد التربوي

شهد النصف الثاني من هذا القرن عددا من التطورات التربوية الهامة. لعل اهم هذه التطورات هو شيوع مفهوم التعلم بدلا من التعليم. لقد كان التعليم في التربية التقليدية مقتصرا على المعلم، وهو المصدر الوحيد له، ويحصل التعليم بوجوده، ويغيب بغيابه. على ان الانفجار المعرفي الهائل الذى حصل في ميدان العلوم والتقنيات اظهر ان هذه العلوم من الكثرة والدقة بحيث يعجز المعلم عن نقلها الى طلبته. اضف الى ذلك فان هناك مصادر اخرى في المجتمع تؤدى دورا مهما في تعلم التلاميذ من كتب وصحف ومجلات واذاعة مسموعة ومرئية ومراكز اخرى للتعلم. ان التعليم يقتصر على ما ينقله المعلم الى تلاميذه من معارف خلال ساعات معينة من الوقت داخل حيطان المدرسة والصف. اما التعلم فهو اوسع واعم شمولا من التعليم، فقد يحصل في المدرسة والصف أو خارجهما، وقد يساهم فيه المعلم أو يساهم غيره فيه.

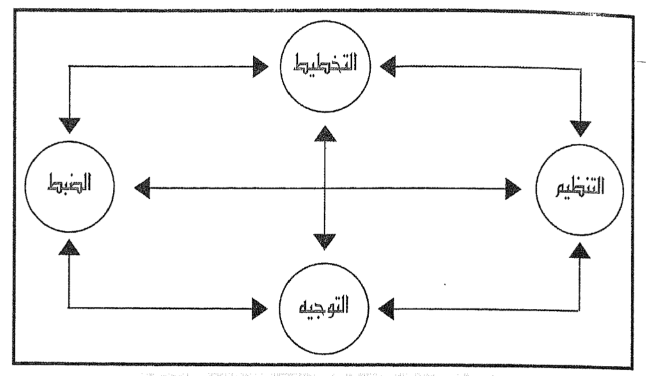
لقد كانت التربية التقليدية تهتم بالوسائل، وتهمل الغايات التي يجب ان يوجه اليها التلاميذ. كانت الطريقة التي يستخدمها المعلم هي طريقة الطباشير والكلام. نشأت حركة الاهداف التربوية في الستينيات من هذا القرن، وتبين ان الاهداف التي يجب على المعلم ان يعمل من اجلها من الكثرة بمكان، وان طريقة الطباشير والكلام قاصرة في تحقيق ذلك. تغيرت طرائق التدريس المستخدمة، وتغير معها دور المعلم، واضحى تحقيق الاهداف التربوية الشغل الشاغل للمعلم والمدرسة والتلاميذ والاباء والامهات جميعا.

ان تغير دور المعلم التقليدى اقتضى منه ان يستغل اوقاته في امور اكثر اهمية. لقد ظهر في الميدان تعبير جديد للمعلم وهو تعبير المعلم القائد. وقد ظهر هذا التعبير في الميدان مع تبلور التقنيات التربوية. اعطت التقنيات التربوية للمعلم دورا جديدا شأنه بذلك شأن القائد السياسي. ولا غرابة في ذلك فالمعلم يقود صفا من التلاميذ ان قل عدده أو كثر. ان معلم اليوم ليس عاملا تربويا يؤدى دوره بطريقة جامدة. وهذا يعني انه لا يؤدى كل صغيرة وكبيرة من عملية التعليم والتعلم، بل يتخذ القرارات اللازمة من اجل حصول عملية التعلم بطريقة اكثر فاعلية. تكون مساهمات الطلبة في هذا المجال اكثر اهمية مما يقدم لهم

يتضمن دور المعلم القائد اربع وظائف اساسية هي كما يأتي: التخطيط والتنظيم والتوجيه والضبط. ترتبط هذه الوظائف الاربع ببعضها البعض ارتباطا وثيقا، وتكون العلاقة فيما بينها علاقة متبادلة، اى أن الواحدة منها تؤثر وتتأثر بغيرها من الوظائف. يمكن ملاحظة العلاقة بين وظائف المعلم القائد في الشكل التالي:

بقلم: د. أنور طاهر رضا

ـ ازمير ـ تركيا ـ

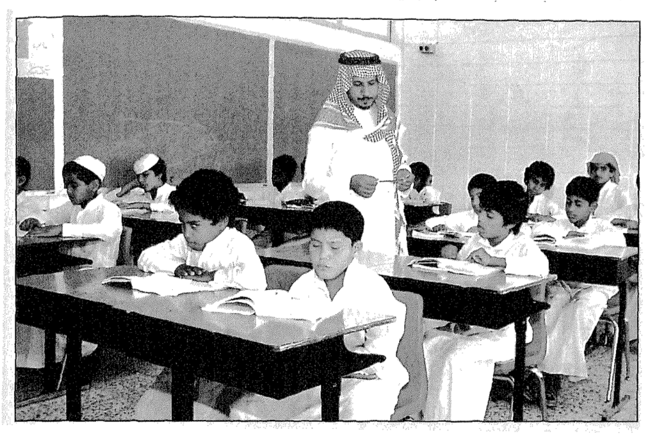


١ ـ التخطيط :

يقصد بهذه الوظيفة تلك الاعمال التي يقوم بها المعلم، التي من شأنها ان تتضمن كل ما يرتبط بصياغة الاهداف التربوية الخاصة. تعتبر هذه الوظيفة ولا شك من اصعب الوظائف التي يقوم بها المعلم، لانه يتطلب منه ان يحدد احتياجات طلابه، ويحدد اهدافه، ويكتب مفردات مادته، ويرتب المواضيع التي يجب ان يعلمها. انه انما يضع جسرا بين المحل الذى يقيم فيه طلابه والمكان الذى يريد ان يوصلهم اليه. يتطلب مثل هذا العمل كثيرا من النشاطات الابتكارية والتفكير الخيالي.

ان الخطوات الاولى في تطوير برنامج تربوى هي تحليل طبيعة المهمة الحقيقية التي يتضمنها البرنامج. قد تكون المهمة عقلية أو عملية في طبيعتها. ومع ذلك، يكون من الضرورى تحديد محتويات أو خصائص الموضوع أو الوظيفة التي نريد من الطلبة ان يتعلموها، يساعد تحليل المهمة على صياغة الاهداف التربوية الخاصة. يحتاج تحليل المهمة اضافة الى اظهار عناصرها الاساسية الارتباط والتنظيم الموجود بين هذه العناصر. وهو تحليل وتركيب في الوقت نفسه لانه يحتاج الى وصف المهمة التي يجب ان يتعلمها الطلبة، وبيان انواع السلوك المرغوب فيها، وتحديد الظروف التي تحدث فيها هذه الانواع من السلوك، ووضع معيار للاداء المقبول.

ان الاهداف التربوية اما أن تكون عامة أو خاصة. فالاهداف التربوية العامة تعبير عام وشامل، تكّون هيكل واتجاه الاهداف التربوية الخاصة، وهي تمثل نقطة البداية لطموحات المدرس، وتساعد على اقناع الآخرين عن اهمية الاهداف التربوية الخاصة.



تحدد الاهداف التربوية العامة لفترة زمنية طويلة، وقد لا تكفي سنة واحدة لتحقيقها. ولأن الاهداف التربوية العامة غامضة ومبهمة، ولا يمكن تطبيقها أو التأكد من تحقيقها، فان ترجمتها الى اهداف تربوية خاصة تكون ضرورية جدا.

تكون الاهداف التربوية الخاصة واضحة كل الوضوح، واجرائية في طبيعتها، ومحددة بالوقت وكميته. تحاول الاهداف التربوية الخاصة أن تصف باوضح تعبير لما سيفكر فيه الطالب بالضبط أو يفعل أو يشعر في نهاية خبرة تعليمية. ان المعلم القائد التربوي يجب عليه ان يعرف كيف يصوغ اهدافه التربوية الخاصة بطريقة دقيقة، تتطلب كتابة الاهداف التربوية الخاصة خصائص ثلاث اشترطها ميجر (١٩٧٥: ٢١ - ٨٧)، وهي كما يأتي:

أ - الاداء:

يعبر عن الاداء بفعل يعتبر اهم جزء في الهدف التربوي الخاص. لدى اختيار هذا الفعل لابد من التساؤل عن امكانية قياس مثل هذا السلوك، ويعبر دائما عما يتوقع من الطالب أن يكون قادرا على ادائه. اذا كان الاداء من النوع الذى يمكن ملاحظته عن طريق الرؤية والسمع بشكل مباشر فانه يطلق عليه بالاداء الظاهر. اما اذا كان من النوع الذى يعبر عن الاداء العقلي غير المرئي فهو اداء كامن، ويتطلب اضافة مؤشر سلوكي، ان افعالا مثل: (يكتب ويسمع ويحدد ويميز ويحل ويدرج ويصمم ويقارن ويقابل) تعتبر من الافعال المناسبة التي تستخدم عند كتابة الاهداف التربوية الخاصة، وتحتاج الى قليل من التوضيح. اما افعال من امثال: (يعرف ويفهم ويقدر ويتمتع ويصدق ويعتقد) فإنها افعال تؤدى الى الاختلاف في وجهات النظر لدى تقييمها من قبل المعلمين.

ب ـ الشروط أو الظروف:

تتطلب كتابة الاهداف التربوية الخاصة بيان الشروط أو الظروف (ان وجدت) المهمة التي يحدث فيها الفعل. تخبرنا الشروط عن المواقف التي سيتم فيها الاختبار.

جـ ـ المحك:

يصف المحك مدى الدقة في أداء المتعلم لكي يكون مقبولا، والمحك معيار يحدد مسبقا يقارن به السلوك الذى يظهره المتعلم لاقرار مطابقته بالمعيار. يحدد المحك بالسرعة التي يؤدى المتعلم بها السلوك المطلوب، أو تُحدَّدُ الدقة أو الكيفية اللتان يؤدى بهما السلوك أو العدد أو النسبة المئوية لاداء مثل هذا السلوك.

هذه بعض من الاهداف التربوية الخاصة مع الشروط التي ارادها ميجر:

ـ وقد اعطي الطالب قائمة من اوصاف السلوك الانساني (الشرط)، يكون قادرا على أن يميز (يصنف: مؤشراً للاداء) خمسة واربعين صفة من مجموع خمسين صفة (محك عدد) من الاوصاف السوية والشاذة.

ـ بدون الاستعانة بأى مصدر (شرط) يكون الطالب قادرا على أن يكتب (اداء) ثلاث خصائص للاهداف التربوية الخاصة التي ايدت بنتائج البحوث والدراسات (محك).

٢ ـ التنظيم:

يقصد بهذه الوظيفة تلك الاعمال التي يقوم بها المعلم والتي من شأنها أن تتضمن كل ما ينظم ويربط مصادر التعلم لاجل تحقيق الاهداف التربوية الخاصة بطريقة اكثر فاعلية وكفاءة وباقل التكاليف المكنة، يتضمن التنظيم التوفير المقصود لبيئة التعلم وتوزيع المسؤوليات ورغم أن هذه العملية ليست الهدف بحد ذاتها، ولكنها وسائل من اجل تحقيق اهداف، يقصد منها تسهيل تعلم الطلبة وعملهم معا. يتطلب مثل هذا العمل فهما عميقا بالناس، وضرورة توازن المتطلبات الاجتماعية والوظيفية لبرامج التربية والتدريب.

ولما كان هدف التعلم هو احداث التغير المطلوب لدى الطلبة، فان مثل هذا التغيير يحتاج الى استخدام طريقة تدريس مناسبة واختيار وسائل تعليمية ملائمة، ان تحديد طبيعة التعلم يساعد هو الآخر على تسهيل مهمة المعلم، لقد اشرنا الى طبيعة التعلم والاهداف التربوية الخاصة والوسائل التعليمية التي تستطيع ان تحقق مثل هذه الانواع من التعلم في مقالنا التقنيات التربوية: داء أم دواء؟ الذى نشر في العدد ٤٤٨ من مجلة المنهل لسنة ١٩٨٦.

ومن ناحية اخرى يمكن تقسيم طرائق التدريس (الاستراتيجيات) الى طرائق دكتاتورية واخرى متساهلة. تتضمن المجموعة الاولى المحاضرات وعرض الدرس وطريقة التدريس الفردى، والتعليم المبرمج، اما طرائق التدريس المتساهلة فتتضمن طريقة التدريس الفردى والمناقشات الجماعية ولعب الدور ودراسة الحالات والالعاب واثارة العواصف في الدماغ وطريقة الجهاز المبرمج والتدريس المستقل والمجموعات الحرة (بدون قيادة) والتدريب الحساس.

تتميز الطرائق الاستبدادية بانها طرائق قديمة تقليدية وذاتية، في حين ان الطرائق المتساهلة فهي طرائق ابتكارية وموضوعية. ان اختيار طريقة ما تعتمد على الاهداف التربوية الخاصة. فالاهداف التربوية الخاصة المعرفية تحقق بواسطة المحاضرات

وعرض الدرس والتعليم المبرمج وطريقة التعليم بالجهاز المبرمج. يمكن تحقيق الاهداف التربوية الخاصة الانفعالية بالمناقشات الجماعية وطريقة التدريس الفردى واثارة العواصف في الدماغ والدراسات المستقلة والمجموعات الحرة والتدريب الحساس. اما الاهداف التربوية الخاصة العملية فيمكن تحقيقها بغرض الدرس والتدريس الفردي والدراسات المستقلة.

٣ ـ التوجيه :

يقصد بهذه الوظيفة تلك الاعمال التي يقوم بها المعلم والتي من شأنها أن تتضمن كل ما يستهدف خلق الدافعية لدى الطلبة وتشجيعهم واثارة هممهم لتفهم الاهداف التربوية الخاصة. يعتبر التوجيه وظيفة المعلم القائد الشخصية، ويتضمن اسلوبه في اثارة دافعية الطلبة، فهو يرشد ويشجع ويشرف على الطلبة عندما يحاولون تحقيق الاهداف التربوية الخاصة، ورغم أن هذه الاعمال تظهر على انها بسيطة الا انها في واقع الحال معقدة، لانها تتضمن ايجاد بيئة يتقبل ويتحمل فيها الطلبة مسؤولياتهم الخاصة في التعلم.

تتضمن هذه الوظيفة القيادية للمعلم التعرف على الحاجات الخاصة للطلبة وذلك بالتفاعل الشخصي معهم للتعرف على اهدافهم وميولهم ونواحي القوة والضعف لديهم. ومتى ما وجد الطالب المعلم صديقا له، وأمن جانبه فانه يكشف له عن مداخله وما يفكر فيه، ان اهتمام المعلم الشخصي بالطلبة يضعه في موقع الحب والاحترام، فيندفعون الى دراسة مادته والتفوق فيها من اجل الحصول على رضاه، يكون المعلم خير معين لهم في حل الصعوبات التى يواجهونها في هذا الميدان.

يجب ان تكون المدارس منظمة تنظيما جيدا، وان تكون طرائق التدريس مريحة ومتساهلة بما تسمح لها الظروف، يجب ان تشجع وتتبنى العلاقات الجيدة بين المدرسين انفسهم، وبينهم وبين الطلاب، والطلاب انفسهم من قبل الادارة، يعامل الطلاب بطريقة ينمون فيها احترامهم لذواتهم ويكونون لهم مراكز اجتماعية جيدة، ويحافظون على قيمهم الفردية، ويشعرون بالمسؤولية، ويحققون التطور والنمو الشخصي، ان المدرسة التي يشعر فيها الطلاب بعدم الرضا من الاشراف وشروط العمل والعلاقات المتبادلة وسياسة المدرسة وادارتها ومركزها والامن فيها لا يجدون اى دافع الى العمل.

ان الزيارات الميدانية للمعامل والاماكن الاثرية والمحلات التجارية والدوائر الرسمية واللقاء بالعاملين هناك من الامور التي تثير دافعية الطلبة نحو التحصيل، قد تدعو المدرسة رجلا معروفا لكي يلتقي بالطلبة لقاء جماعيا ويتحدث لهم عن نجاحاته في ميدان ما، ويجيب على الاسئلة التي يثيرها الطلبة. ان تسجيل مثل هذه اللقاءات لعرضها على شاشة الجهاز المرئي وامواج الاذاعة لا يخلو من فوائد في اثارة دافعية الطلبة الآخرين الذين لم تسمح لهم الظروف بالحضور الفعلي في مثل هذه اللقاءات.

لقد اضحت طريقة المنافسة في اثارة دافعية الطلبة طريقة قديمة، ذلك لأن هذه الطريقة تؤذى الطلبة من ذوى المستويات الضعيفة، إذ لا يجدون في انفسهم القابلية لمجاراة الطلبة من ذوى المستويات الاخرى. توفر انماط التعليم الذاتي المستقل المنافسة بين الطالب ونفسه بدلا من منافسة الآخرين. وفي هذه الحالة يعمل الطالب بمفرده، ويتقدم في البرنامج حسب سرعته. ويكون دور التعزيز المباشر عاملا مهما في دفعه نحو الاستمرار في التعلم، وهكذا تكون وظيفة المعلم توفير برامج تعليمية من هذا النوع.

يتخلف كثير من الطلبة في المدرسة بسبب

جهلهم للعادات الدراسية الجيدة، ويكون انتاجهم اقل من الجـهـود التي يبـذلونهـا، ورغم أن المدارس لا تتضمن في مفردات برامجها شيئا عن تعليم الطلبة بالعادات الدراسية الجيدة، فان هذه المهمة تعتبر من مهمات المعلم القائد. يتولى هذا المعلم تعريف الطلبة بمراكز مصادر التعلم والمكتبات والمتاحف الموجودة في المنطقة، ويرشد طلبته الى كيفية الاستفادة من هذه المصادر.

ان التطبيق العملي وكشف اسرار الاجهزة والادوات والتآلف معها يدفع الطلبة الى معرفة المزيد عنها وتطبيقها في حياتهم المهنية المقبلة. ان التطبيق العملي يثير في الطلبة تذوق العمل الذى يؤدونه وممارسته فترة طويلة من الزمن دون كلل أو ملل. لذا يجب أن يولي المعلم القائد هذه الوظيفة اهمية خاصة متى ما كانت هناك حاجة اليها.

٤ ـ الضبط :

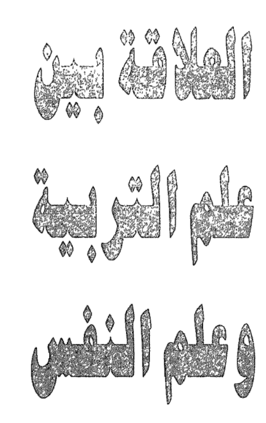
يقصد بهذه الوظيفة تلك الاعمال التي يقوم بها المعلم والتي من شأنها اختبار أن وظيفتي التنظيم والتوجيه كانتا ناجحتين في تحقيق الاهداف التربوية الخاصة التي تمت صياغتها مسبقا. وفي حالة عدم تحقيق هذه الاهداف فان اعادة النظر في وظيفتي التنظيم والتوجيه أو حتى التخطيط تكون حاجة ضرورية.

يقوم المعلم القائد في دوره هذا بالتأكد من التقدم الذى احرزه الطلبة، وبذلك فان الانحرافات تصحح قبل أن يكون الوقت قد مضى، أى أن المعلم يتولى مهمة علاجية للطلبة الذين لم يحققوا الاهداف التربوية الخاصة، يجب أن تستند القرارات في هذه المرحلة على المقارنات التى تجرى بين ما كان يتوقع أن ينجز وبين ما انجز فعلا.

تعني وظيفة الضبط بعبارة اخرى، تقييم وقياس نتائج التعلم، إن للتقييم والقياس اغراضا عديدة، يعتبر التأكد من تحقيق الاهداف التربوية الخاصة احد هذه الاغراض. ولربما يكشف تقييم المعلم المتكرر أن بعضا من اهدافه صعبة التحقيق ولا تناسب طلبته في هذه المرحلة وتحتاج الى تعديل.

عندما ينهي المعلم صياغة اهدافه التربوية الخاصة، فانه يستطيع أن يصمم اختباره، وواقع الحال أن المعلم يجب أن يفكر في التقييم والقياس عندما يصوغ اهدافه الخاصة، إذ أن صياغة كل هدف تتطلب منه التفكير في امكانية تحقيقه، وهذا يعني أن فقرات الاختبار الذى يصممه يجب أن ترتبط ارتباطا مباشرا بالاهداف التربوية الخاصة. وفي هذه الحالة يسمى الاختبار من هذا النوع بالاختبار المحكي، يخبرنا هذا النوع من الاختبار فيما يستطيع الطالب أن يؤديه دون الرجوع الى الطلبة الآخرين، نحكم على اداء الطالب بمقارنته بمحك مطلق قدّر مسبقا، كأن نقول: يستطيع الطالب أن ينجز ٩٠٪ من الاهداف التربوية الخاصة. يختلف الاختبار المحكي بذلك عن الاختبار المعيارى الذى يقارن فيه اداء طالب معين باداء الطلبة الآخرين.

يفضل أن يعطي المعلم اختبارات كثيرة للطلبة بحيث يحفظ دافعيتهم العالية للدراسة. ورغم أن استخدام نمط من الاختبار دون غيره يعتمد اساسا على الاهداف التربوية الخاصة، إلا انه ينبغي على المعلم أن يستخدم الاختبارات الموضوعية متى ما كان ذلك ممكنا. تمتاز الاختبارات الموضوعية بعدد من الخصائص التي تدفعنا الى ترجيحها على الاختيارات المقالية. يمتاز هذا النوع من الاختبارات بأن تصحيحه موضوعي، واسئلته شاملة، ولا تحتاج الاجابة عليها من قبل الطلبة، وتصحيحها من قبل المعلم الا فترة قصيرة من الوقت، وتتمتع بالصدق والثبات العاليين.

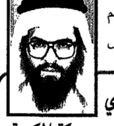


تتعدد الآراء وتختلف وجهات النظر عند بعض الناس فيما يخص العلاقة بين علم التربية أو فن التربية Pedagogy وعلم النفس Psychology فالبعض يرى أنهما شيء واحد، والبعض الآخر يفصل بينهما تماماً، وهناك من يقول بوجود نقاط التقاء واتفاق بينهما؛ الأمر الذي دفعني لمحاولة تسليط الضوء على العلاقة بين هذين العلمين بشيء من الإيجاز. فالعلاقة بين علم التربية وبين وعلم النفس تبدأ في كونهما جزء لا يتجزأ من العلوم التربوية المنتمية بدورها الى العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تعنى بدراسة الظواهر التربوية والنفسية المختلفة عند الإنسان.

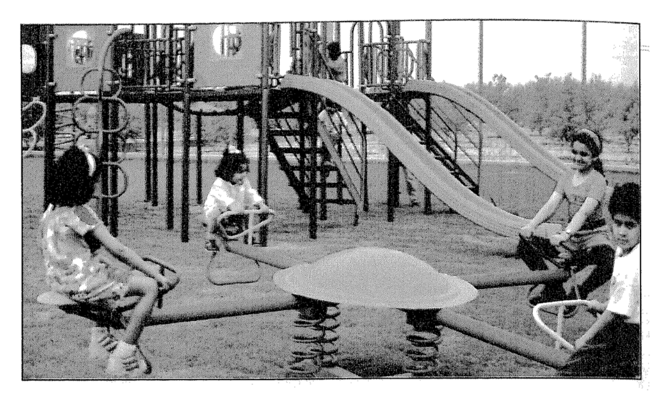
ولأن «التربية ليست مجرد علم وإنما هي مجال واسع كبير يضم عدداً من التخصصات العلمية والفروع المختلفة التى تهتم بالعملية التربوية وتتناولها من زواياها المختلفة»[١].

فإن التربية تعتمد اعتماداً كبيراً على علم النفس وتفيد منه ومن دراساته وأبحاثه ونظرياته في حل المشكلات التربوية المختلفة على الرغم من أن بعض تلك المشكلات قد أمكن علاجها بطرق مختلفة قبل نشوء علم النفس «كعلم موضوعي مستقل عن الفلسفة والفيزيولوجيا في سنة ١٨٧٩م»[٢]. وبما أن علم النفس يُعد واحداً من العلوم التطبيقية التي تهتم بدراسة المجتمع ومن فيه من أفراد أسوياء أو معاقين، ومن ثم التعرف على أيسر وأفضل السُبل لنموهم نمواً سليماً وتعليمهم التعليم المناسب لطاقاتهم وقدراتهم المختلفة حتى تتحقق استفادة المجتمع منهم بصورة ايجابية تُسهم في نموه وتطوره. كل هذا يعني أن علم النفس يهتم بالإنسان الذى يُعد موضوع التربية ومحور اهتمامها منذ ولادته وحتى مماته. وقد أشارت الدكتورة/ نازلي صالح أحمد الى العلاقة بين التربية وعلم النفس بقولها:

«وأصبحت التربية وعلم النفس الآن متصلين بالمجتمع في إعداد المعلم وفي التطبيق العملي في العملية التعليمية، وأدى ذلك الى تطوير المناهج والخطط وأسلوب التدريس وفق أساسيات علم النفس، وزاد الاهتمام في التربية بميول التلاميذ واهتماماتهم وإشباعها، وخصائص نموهم وتعديل سلوكهم، كما تدخّل علم النفس أيضاً فنظّم وسائل التقويم المختلفة للتلاميذ، فأعدّ المقاييس



بقلم : صالح بن على الشهري
جامعة ام القرى ـ كلية التربيه ـ مكة المكرمة



لقياس تحصيلهم واتجاهاتهم، كما أعد المقاييس لقياس مستوى ذكائهم واكتشاف المتخلفين واقتراحات العلاج. وأصبح لزاماً على التربية أن تتعامل مع كل فرد وفق إمكانياته وقدراته وحالته النفسية وظروفه الاجتماعية وأصبحت ايجابية التلميذ وايجابية المدرس أساسيتان في عملية التعلم»[٣].

كما يرى عالم النفس السويسرى جان بياجيه «أن الروح العامة للبحوث النفسية وطرق الملاحظة ذاتها هي التي أنعشت علم التربية، وذلك عندما تجاوزت ميدان العلم البحت الى ميدان التجريب المدرسي»[٤].

من هنا يمكن القول أن التربية تعتمد كثيراً على علم النفس بفروعه المختلفة التي لها علاقة بالعملية التربوية والتعليمية. ومنها ما يلي:

١ ـ علم النفس التربوي

Educational (Pedagogical) Psychology

وقد يُسمى علم النفس التعليمي Teaching Psychology وهو «علم يدرس التعلم عند الإنسان مفيداً في ذلك من بعض التجارب على الحيوانات، كما يعرض العلاقات القائمة بين التعلم والدوافع والذكاء، ودور الدافعيه في التعلم، وأنواع الذكاء، والعمليات العقلية في التعلم، وأساليب القياس العقلي، ونظريات التعلم والأسس التي قامت عليها هذه النظريات والاختبارات والمقاييس. وغير ذلك من موضوعات التعلم»[٥].

٢ ـ علم نفس النمو

Developmental Psychology

ويسمى علم النفس التكويني Genetical Psychology أو علم النفس التطورى وهذا العلم يدرس مراحل النمو المختلفة التي يجتازها الفرد في حياته، والخصائص السيكولوجيه لكل مرحلة، والمبادىء العامة التى تصنف مسيرة هذا النمو والارتقاء. وتتضمن الدراسة مظاهر النمو المختلفة مثل النمو الحركي والنمو العقلي والانفعالى والاجتماعي. ويهدف علم نفس النمو الى دراسة نمو السلوك البشري وتطور الوظائف النفسية في مراحل

حياة الإنسان المختلفة لتحديد أحسن الشروط البيئية الممكنة التى تؤدى الى أحسن نمو ممكن ولتيسير اكتساب أصح أساليب التكيف الاجتماعي»[٦].

٣ـ علم نفس الفروق الفردية

Differential Psychology

وقد يسمى «علم النفس الفارق ويُعنى بدراسة الفروق الفردية في السمات النفسية والعقلية والانفعالية بين الأفراد وارتباطها بالعوامل المختلفة مثل عامل السن أو الجنس أو الوراثة أو البيئة أو الوضع الاقتصادي والاجتماعي»[٧].

٤ـ علم النفس الإكلينيكي والإرشادي

Clinical and Counseling Psychology

وقد يُسمى علم النفس العلاجي حيث «ينصب اهتمام العاملين فيه على مظاهر الاضطراب التي تصيب سلوك الفرد وشخصيته وطرق تشخيص هذه الاضطرابات ووسائل علاجها، ومن هذه الاضطرابات المرض العقلي، وانحراف الأحداث، والسلوك الاجرامي، والادمان على المخدرات، والتخلف العقلي، والصراعات العائلية والزوجية»[٨].

٥ـ علم النفس الاجتماعي والشخصية

Personality and Social Psychology

وهو علم يهتم بطبيعة علاقات الفرد الاجتماعية، وتأثر سلوكه بالعوامل الاجتماعية المختلفة، كما يدرس تأثير الآباء والاخوة ورفاق اللعب وزملاء الدراسة على شخصية الفرد وعلى سلوكه واتجاهاته. ويهتم هذا العلم بدراسة سلوك الجماعات كقياس الرأي العام ومسح الاتجاهات ومعرفة آثار وسائل الاعلام المختلفة على سلوك الأفراد والجماهير. ويدرس الإشاعة ووسائل الاقناع والاخضاع والصراع بين الجماعات وقضايا التعصب والتمييز... الخ»[٩].



وليس هذا فحسب، فهناك فروع أخرى لعلم النفس وثيقة الصلة بالعملية التربوية مثل علم النفس المقارن الذي يُقارن بين سلوك الفئات المختلفة (كالإنسان والحيوان، والطفل والراشد، والإنسان البدائي والإنسان المتحضر)، وعلم نفس الشواذ الذى يهتم بفئة معينة من أبناء المجتمع (الموهوبين والنوابغ أو المرضى) وغيرها من الفروع التي تفيد منها التربية وتستخدم نتائجها ومعطياتها لضمان تحقيق الأهداف التربوية المنشودة من العملية التعليمية بشكل عام.

وقد أشارت الدكتورة/ نازلي صالح الى ذلك بقولها:

«إن تقدم علم النفس بفروعه المختلفة قد أثَّر تأثيراً جذرياً على التربية وأساليبها، وعلى التعليم من جميع جوانبه ونواحيه، ومناهجه وطرقه ونظمه

وكتبه ووسائله وغير ذلك. وبيَّن أنه لا انفصال بين علم النفس والتربية فكلاهما يهدف إلى إسعاد الفرد وإلى إسعاد المجتمع، وكلاهما يضيء للآخر الطريق ويُنمِّي كل منهما الآخر»[١٠].

والخلاصة: أن العلاقة بين التربية وبين علم النفس علاقة قوية ووطيدة ويمكن تلخيصها في التالي:

١ ـ أنهما يشتركان في الاهتمام بالإنسان الذي يمثل محور اهتمام كل منهما: فالتربية «عملية إنسانية هي في الأصل طبيعة أساسية من طبائع النفس البشرية أساسها قابلية الفرد الفطرية للتكيف»[١١]. وعلم النفس كما يُعرِّفه أحد المهتمين: «العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن حي له نشاطاته الداخلية والخارجية المتفاعلة مع مختلف ظواهر حياته الإنسانية»[١٢].

٢ ـ أن العلاقة بين العلمين علاقة تبادلية حيث إن كلا منهما يعتمد على الآخر في تقدمه وتطوره.

٣ ـ أن تطور علوم التربية وفروعها المختلفة مدين بالفضل الكبير لجهود علماء النفس وما قدموه من اسهامات كبيرة للمشتغلين بالتربية سواء على شكل حقائق أو قوانين أو نظريات ساعدت جميعها في إنجاح العملية التربوية عامة وخدمة العملية التعليمية على وجه الخصوص.

٤ ـ أن علم النفس بتطبيقاته العلمية ودراساته وأبحاثه وتجاربه المختلفة يُشكِّل جزءاً من الجانب العلمي للتربية.

وعلى الرغم من ذلك كله فإن ضرورة البحث العلمي هي وحدها التي تقتضي التفريق بين علم التربية من جهة وعلم النفس من جهة أخرى تفريقاً تفرضه ضرورة التخصص العلمي الذي يستوجب التعمق في دراسة الوقائع والظواهر المختلفة لكل علم منهما علي حدة.

الهوامش:

(١) محمد سعد القزاز وزميله، ١٤١٦هـ ـ المبادىء العامة للتربية، الرياض: دار المعراج الدولية للنشر، ط(٣)، ص ٣٥.

(٢) عبد الرحمن عدس وزميله، ١٩٨٦م. المدخل الى علم النفس، نيويورك: جون وايلي وأولاده، ط(٢)، ص ٦.

(٣) نازلي صالح أحمد ١٩٨٣م، مقدمة في العلوم التربوية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٨١.

(٤) غي بالماد، ١٩٧٠م، مناهج التربية، ترجمة: جوزف عبود كبَّة، بيروت: دار منشورات عويدات، ص ٧.

(٥) محمد عبد السلام حامد وزميله ١٤٠٦هـ، مقدمة في العلوم التربوية، القاهرة: مطبوعات الأزهر الشريف، ص ٩٧ ـ ٩٨.

(٦) مختار حمزة ١٩٩٢م، مباديء علم النفس، جده: دار البيان العربي، ط ٤، ص ٣٧ ـ ٣٨.

(٧) بيومي محمد ضحاوي ١٩٩٨م، قضايا تربوية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص ٢٦.

(٨، ٩) عبد الرحمن عدس، مرجع سابق، ص ١٧.

(١٠) نازلي صالح أحمد، مرجع سابق ، ص ٦٥.

(١١) بيومي محمد ضحاوي، مرجع سابق، ص ١.

(١٢) عبد الحميد محمد الهاشمي، ١٤١٣هـ، أصول علم النفس العام، جده: دار الشروق، ط ٣، ص ١٢.



تاريخ الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز

المجلات السعودية في عهد الملك عبد العزيز:

بعد أن درسنا في الفصل الأول الصحف السعودية التي صدرت في عهد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه.. ننتقل الى الفصل الثاني لدراسة المجلات السعودية التي صدرت في عهد طيب الذكر المغفور له - بإذن الله الملك عبد العزيز.

تعريف:

المجلة هي دورية تتناول معارف ومعلومات متنوعة عن جانب أو جوانب من الحياة ويعبر عنها باللغة الانجليزية بـ Review أو Magazine والكلمة الأولى تعني معاينة، والكلمة الثانية تعني مخزن للبضائع والمعلومات، والمجلة احدى الوسائل الهامة للاتصال بالجماهير، تصدر في دورية، وأقل فترة لهذه الدورية أسبوعاً، وهي بين الصحيفة والكتاب، تأخذ من الكتاب عمقه.. ومن الصحيفة تنوع مادتها. وكلمة مجلة في اللغة العربية تعني قائمة بمجموعة من المعارف، وجمعها مجلات أو مجال، ومفهوم المجلة يعني أيضاً إعادة النظر في شيء ما، أو معاينة شيء ما واستعراضه، بمعنى أن المجلة هي عرض أهم أحداث الأسبوع، أو الشهر، المنصرم تبعاً لدورتها وإعادة النظر فيها ومعاينة أسبابها وما سيترتب على هذه الأسباب من نتائج عند قرائها والمستقبلين لها[١].

ومن الشائق أن كلمة Magazine كلمة عربية الأصل وأول استعمال لها كان في عام ١٧٣١م، عندما ظهرت مجلة باسم The Genteleman's Mag[٢].

الاصلاح:

تعتبر مجلة «الاصلاح» التي صدرت عن شعبة الطبع والنشر بمديرية المعارف العامة بمكة المكرمة أول مجلة صدرت في العهد السعودي الزاهر.

ولقد صدر العدد الأول منها في يوم الأربعاء ١٥ صفر عام ١٩٤٧هـ - أغسطس ١٩٢٨م، أي بعد صدور جريدة أم القرى بنحو أربعة أعوام.

والمجلة تعني بالشئون الدينية أكثر من عنايتها بأي مجال آخر، وتشتمل على تفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية والمواعظ الدينية وأخبار العالم الإسلامي وهي صحيفة دينية علمية اجتماعية أخلاقية[٣].

وأشارت المجلة في افتتاحيتها بأنها لا تألو جهداً في القيام بدورها الإسلامي الشريف، لأن هذا هو الذي يفيد المسلمين



بقلم :
د. أمين ساعاتي - جدة

وينشئهم نشأة جديدة يكونون بها أمة، ذات مجد وسلطان، فما هو إلا أن وفق الله، وأعان على تحقيق هذه الأمنية، وأنشئت «الاصلاح» في بلد الله الحرام بمعونة ورعاية جلالة الملك المصلح والإمام المخلص عبد العزيز آل سعود أدام الله تأييده وتوفيقه ونصره، وكان أول عدد صدر منها في ١٥ من صفر ١٣٤٧هـ[٤].

ولقد أوضح رئيس تحريرها محمد فقي إنه عندما سنحت له الفرصة بمقابلة جلالة المغفور له الملك عبد العزيز تحدث إليه عن إصدار مجلة دينية تقوم بالإرشاد والتوجيه الديني فوافقه على ذلك ووعده بالمساعدة.

وطبعت مجلة «الاصلاح» في أول صدورها بالمطبعة السلفية بمصر، ثم نقلت طباعتها إلى مكة المكرمة ـ بالمطبعة الماجدية ـ وبعد أن أسست المطبعة السلفية بمكة المكرمة التي أسسها الشيخ محمد صالح نصيف بالإشتراك مع الشيخ عبد الفتاح قتلان نقلت طباعتها إلى هذه المطبعة، ويرجح أن المجلة استمرت في الصدور طوال سنتين ثم توقفت، ولا تتوفر إحصائية عن الكمية التي تطبعها الاصلاح عند كل إصدار.

ويبدو أن أهم سبب من أسباب توقف المجلة يعود إلى أنها لم تنظم إدارياً تنظيماً جيداً، بحيث يتوفر لها الكادر الفني ويرصد لها المال اللازم لتحقيق الاستمرارية والتطوير.

المنهل:

صدر العدد الأول من مجلة «المنهل» في شهر ذي الحجة ١٣٥٥هـ ـ فبراير ١٩٣٧م، وصاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، وهي مجلة شهرية تعنى بالعلوم والآداب والأبحاث التاريخية والأثرية واللغوية.

وكانت المجلة تطبع في المدينة المنورة عند بداية صدورها ثم نقلت إلى مكة المكرمة، وبعد ذلك نقلت إلى مطابع الأصفهاني بجدة.

ولقد كان الترخيص لإصدار المجلة من خلال «حجّة شرعية» صدرت من المحكمة، حيث ورد في الحجة: «وصدرت بموجبه إرادة من صاحب الجلالة الملك المؤيد في ١٣٤٩/٤/٢٨هـ تنص بأن لا بأس بذلك على شرط أن يتجنب فيها أمر السياسة والاعتراضات على الحكومة، وأن لا يعترض لدولة من الدول، ولا للحوادث التي تحصل بين الممالك المستعمرة والدول، وإنما تكون في الأمور الأدبية، والحث على المصالح الداخلية وأمور الدين خصوصاً على مذهب السلف الصالح[٥].

ويروي الأستاذ عبد القدوس الانصاري قصة الترخيص لاصدار مجلة المنهل فيقول: قابلت الأستاذ فؤاد حمزة، وهو من كبار مستشاري جلالة الملك المعظم في منزله أمام باب السلام، وكان قد جاء إلى المدينة زائراً، وقلت له إني في ١٠ ذي الحجة ١٣٤٨هـ كنت تقدمت بطلب اصدار المجلة، وانتهت كل الإجراءات الرسمية والقانونية، فأجابني بقوله: انني غداً متوجه إلى الرياض وعليك أن تنتظر بعد ١٥ يوماً فقط، ولقد تلقت أمارة المدينة المنورة من سمو النائب العام لجلالة الملك (الأمير فيصل) برقم ١٥٤١ في ١٣٤٩/٥/٧هـ الارادة الملكية عدد ١٢١٣/ ١٠٦٠ في ١٣٤٩/٤/٢٨هـ التي تنص على: (أن لا بأس بذلك ولكن على شرط أن يتجنب فيها ـ أي المجلة ـ أمر السياسة والاعتراضات على الحكومة، وأن لا يتعرض لأي دولة من الدول ولا للحوادث التي تحصل بين الممالك المستعمرة والدول،

وإنما هو في الأمـور الأدبيـة والحث على المصـالح الداخلية أو أمور الدين خصوصاً على مذهب السلف الصالح وغير ذلك ليس له حق أن يتداخل فيه، وإذا تعدى ذلك فيحصل عليه جزاء)٠

وهكذا بدأت إجراءات إصدار المجلة، وتحدثت مع الصديق السيد أحمد الخياري فرحب بذلك كثيراً، ورحب به فضيلة السيد أحمد الفيض أبادي مدير مدرسة العلوم الشرعية، ورحب به الفضيل السيد محمود احمد، ثم ان الحالة المادية ونظام المطابع والمطبوعات القائم الآن يضطران إلى أن التمس من ولاة الأمر أموراً جديدة تمهيدية للشروع في إصدار المنهل، فلابد من دفع رسم التأمين وقدره مائة جنيه أو طلب الاعفاء منه، ولابد من دفع رسوم البريد في الداخل أو طلب الاعفاء منها أو على الأقل طلب الاستعاضة عن رسم التأمين - وهو باهظ جداً - وهو المنصوص عليه في المادة (١٥) من نظام المطابع والمطبوعات بالكفالة٠

إزاء هذا لم أملك سوى أن أتقدم بطلب الاعفاء من رسم التأمين ورسم البريد، أما الكفالة إذا قبل الاعفاء من رسم التأمين فإن أمرها أيسر٠

ودارت المعاملة من سنة ١٣٤٨هـ حتى أواسط سنة ١٣٥٥هـ، فصدرت الإرادة الملكية بالإعفاء من رسم التأمين والاعفاء من رسم البريد، ولكن هناك عقبة جديدة فقد صدرت (ارادة ملكية في خطاب الشعبة السياسية وبلغت لامارة المدينة من سمو نائب جلالة الملك الأمير فيصل برقم ١٥٣٢ في ١٣٥٥/٧/١٠هـ بأن تؤلف هيئة من شخصين أحدهما من طلبة العلم والثاني ممن لهم علم بالسياسة لأجل الاشراف على ما يقصد نشره بهذه المجلة قبل الطبع٠

وقد عينت أمارة المدينة المنورة كلا من فضيلة الشيخ سليمان العمري للأمور الدينية والشيخ عبد العزيز الخريجي للأمور السياسية، ورفع ذلك ووافق عليه سمو النائب العام لجلالة الملك بالعدد ١٩٠ في ١٣٥٥/٨/٥هـ، وبقيت عقبة الكفالة المالية التي صدر الأمر بضرورة أخذها وقد رأيت أن أفاتح بشأنها الصديق السيد أحمد الخياري وبادرني قائلا: (أنا أكفلك في كل شيء)، وهكذا ازيحت هذه العقبة الكبرى من طريقنا أيضاً وذهبنا يوم ١٣٥٥/٨/٢٧هـ إلى المحكمة المستعجلة الشرعية بسفل عمارة دار الأمارة، وجلسنا بجانب فضيلة القاضي الشيخ سليمان العمري وأبدى له السيد احمد الخياري استعداده لكفالتي فقبل ودونت الكفالة الاعتبارية إلى حد (٥٠) جنيهاً ذهباً بالمحكمة٠



الأستاذ عبدالقدوس الانصاري
مؤسس المنهل

وبقيت العقبة الأخيرة وهي صدور (الرخصة) الرسمية فعلا بالاذن للمجلة بأن تصدر، والححنا على الشيخ العمري وعلى كاتبه وألح عليه الشيخ اسماعيل حفظي رئيس ديوان الامارة فوعد بانجاز الموضوع بعد غد وقال لي بأن أحضر غداً أي يوم ١٣٥٥/٨/٢٨هـ وحضرت مبكراً إليه وأمر الكاتب بتحرير (صك الرخصة للمجلة، على المنوال التقليدي في الصكوك الشرعية بالمدينة المنورة، فحرر ذلك وسجله وأخرج لنا صك الرخصة[٦]٠

وجاء في إفتتاحية العدد الأول من المجلة:

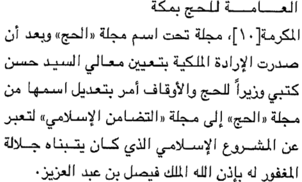
أما بعد فإن من دلائل نجاح المنهل أن تكون أول مجلة أدبية ثقافية من نوعها تصدر بالحجاز في عهد حضرة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية الذي جعل مبدأه الحميد،

أن يأخذ من أسباب المدنية الحديثة كل جديد نافع وصالح لأمته، مع الاحتفاظ بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف والاستضاءة بهديه القويم. ففي هذا العهد السعيد نرى الأمة قد بدأت تتحفز للوثوب إلى استعادة مركزها التاريخي الرفيع في مرافق الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعمرانية، وفي هذا العهد الميمون شاهدنا الأدب الحجازي يخطو إلى الأمام خطوات واسعة ملؤها الطموح والاستبشار والابتهاج[٧].

وصاحب المنهل الأستاذ الانصاري رجل علم وأدب وبحث، وله عناية كبيرة بالآثار التاريخية.. وكثيراً ما قام برحلات في الجزيرة العربية لتحقيق تاريخ تلك المنطقة وما بها من آثار. ولقد استمرت المنهل في الصدور - ولازالت حتى اليوم - بعد وفاة مؤسسها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري في عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ويملكها ويرأس تحريرها الأستاذ نبيه بن عبد القدوس الأنصاري الابن الأوحد. ويحتل منصب المدير العام ونائب رئيس التحرير حفيد الاستاذ عبد القدوس الزميل زهير بن نبيه الانصاري. ولقد أدخل الأستاذان نبيه وابنه زهير الكثير من التطوير على مجلة المنهل سواء في المضمون أو الشكل حتى أصبحت بحق منارة للفكر والعلم والتنوير[٨].

النداء الإسلامي:

صدرت مجلة «النداء الإسلامي» من مكة المكرمة في شهر ربيع الثاني ١٣٥٦هـ - يونية ١٩٣٧م، باللغتين العربية والملايوية، في (٤٠) صفحة، العشرون صفحة الأولى باللغة العربية والعشرون الثانية باللغة الملايوية، وكان يرأس تحريرها الأستاذ مصطفى اندرقيري وتصدر شهرية. وكانت تطبع بالمطبعة الماجدية أول صدورها ثم طبعت في المطبعة العربية بمكة المكرمة (مطبعة الشركة العربية للطبع والنشر)، وتوقفت عن الصدور بعد أزمة الورق بسبب الحرب الكونية الثانية. ولم تتوفر لنا إحصائية عن الكمية التي تطبعها المجلة عن كل إصدار. ولم تستمر مجلة «النداء الإسلامي» في الصدور لأكثر من سنة ونصف ثم توقفت واختفت، ولقد كتب في مجلة النداء الإسلامي مجموعة من كوكبة الأدب السعودي كالأساتذة محمد حسن عواد وأحمد عبد الغفور عطار، ومحمد حسين زيدان، وإبراهيم الشوري، وعبد الحميد الخطيب[٩].



التضامن الإسلامي (الحج):

في شهر رجب من عام ١٣٦٦هـ - مايو عام ١٩٤٧م، أصدرت المديرية العامة للحج بمكة المكرمة[١٠]، مجلة تحت اسم مجلة «الحج» وبعد أن صدرت الإرادة الملكية بتعيين معالي السيد حسن كتبي وزيراً للحج والأوقاف أمر بتعديل اسمها من مجلة «الحج» إلى مجلة «التضامن الإسلامي» لتعبر عن المشروع الإسلامي الذي كان يتبناه جلالة المغفور له بإذن الله الملك فيصل بن عبد العزيز.

وقد رأس تحرير هذه المجلة في أول صدورها السيد هاشم زواوي وبقي إلى منتصف عام ١٣٦٩هـ، ثم عهد برئاسة تحريرها إلى الأستاذ محمد سعيد العامودي.

وكانت تطبع في مطبعة الحكومة، ثم نقلت طباعتها إلى مؤسسة الطباعة والصحافة بجدة، ثم

أعيد طبعها بمطبعة الحكومة بمكة المكرمة، وتعتبر مجلة التضامن الإسلامي من المجلات الحكومية المتخصصة في شئون الحج.

وتمتاز المجلة ببحوثها الإسلامية والتاريخية وتهتم كثيراً باختيار كتابها من الشخصيات الإسلامية المعروفة في البلاد العربية والإسلامية.. كما تهتم بنشر الموضوعات والبحوث المتعلقة بالحج والحجاج من أنظمة وتعليمات وأخبار وتوجيهات وإحصاءات وبحوث ومقالات.

وفي موسم الحج تصدر مجلة التضامن الإسلامي بعدة لغات لتوعية الحجاج بتعاليم الحج ونسكه وشعائره، وكذلك تنشر المجلة كل ما يتعلق بشئون الأراضي المقدسة أثناء الحج من كيفية أداء النسك، وفكرة عن المطوفين والوكلاء والنقل والسفر.

مجلة التجارة (مجلة الغرفة التجارية والصناعية):

أصدرت الغرفة التجارية بجدة مجلتها (مجلة الغرفة التجارية والصناعية) في شهر ربيع الأول ١٣٦٧هـ - يناير ١٩٤٨م، وهي مجلة تجارية واقتصادية شهرية. وكان يدير المجلة ويرأس تحريرها الأستاذ محمد راسم، يوم أن كان مديراً لمكتب الغرفة التجارية والصناعية بجدة، وكان رئيسها معالي الشيخ محمد عبد الله علي رضا، وكان سعر النسخة الواحدة ريالان.

وكتب معالي رئيس الغرفة التجارية الشيخ محمد عبد الله علي رضا مقالا مطولا تحت عنوان التقرير الأول للغرفة، شكر فيه جلالة المغفور له الملك عبد العزيز على تفضله بالأمر الكريم بإنشاء الغرفة التجارية في عهده الزاهر. وأوضح فيه سياسة الغرفة وميزانيتها وانتخاب رؤسائها وتعيين مديرها وتعيين اللجنة الإدارية وما يؤمله للغرفة من تحسين الوضع التجاري والصناعي. ولكن رغم أن المجلة كانت تخاطب شريحة هامة من شرائح المجتمع إلا أنها تعثرت حتى توقفت بعد مجموعة قليلة من إصداراتها.

ثم عاودت الصدور في عام ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م حيث أصدرت الغرفة نشرة تجارية بإشراف الأستاذ محمد حسن عواد مدير الغرفة التجارية في ذلك الحين. وفي عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م أسندت مديرية الغرفة التجارية للشيخ جميل مكي الذي تولى مسئولية الإشراف على تحرير النشرة.

وفي عام ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، عين الأستاذ أحمد طاشكندي مديراً فنياً للغرفة التجارية بجدة وكان الشيخ أحمد باغفار يرأس مجلس إدارة الغرفة التجارية، وقرر مجلس الإدارة آنذاك إصدار المجلة تحت اسم مجلة «التجارة» مع السعي للحصول على رخصة رسمية لها من الجهات المسئولة، فصدرت المجلة «التجارة» وصدر العدد الأول منها في عام ١٣٨٠هـ.

وكان يشرف على تحريرها مجلس إدارة الغرفة ومدير التحرير أحمد عيسى طاشكندي، وكان الإشتراك السنوي ٢٠ ريالا سعودياً داخل المملكة، وتضاف أجرة البريد في الخارج.

وفي شهر ذي القعدة عام ١٣٨٢هـ ابريل عام ١٩٦٣م، تولى الأستاذ عباس عبد المجيد مديرية إدارة الغرفة التجارية وتولى إدارة تحرير المجلة. وفي عام ١٣٨٨هـ تولى الأستاذ محمد يوسف بنان

إدارة الغرفة، فتولى معها إدارة تحرير المجلة.

وقد تطورت مجلة التجارة تطوراً كبيراً مع تطور الحياة التجارية من حيث المادة والإخراج وعدد الصفحات والصور والموضوعات والتحليلات والأخبار ومتابعة الأحداث الإقتصادية والتجارية المحلية والعالمية.

ولذلك فإن مجلة التجارة مجلة شهرية تجارية اقتصادية أخذت على عاتقها مواكبة الحياة التجارية والاقتصادية في المملكة ومناقشة مشاكلها ووضع الحلول لها مكملة في ذلك الدور الذي تقوم به الغرفة التجارية والصناعية.

ومجلة التجارة التي تصدر عن الغرفة التجارية الصناعية بجدة هي أولى المجلات الاقتصادية في البلاد وظلت سنوات طويلة تقوم بدورها الصحفي حتى صدرت زميلات لها عن الغرف التجارية والصناعية في كل من مكة المكرمة والرياض والدمام والمدينة المنورة وأبها. وتعتبر مجلة التجارة من المراجع الهامة للتجار والاقتصاديين والباحثين والدارسين[١١].

اليمامة:

أصدر علامة الجزيرة الأستاذ حمد الجاسر صحيفة «اليمامة» في الرياض وهي أول مطبوعة تصدر في الرياض.

وكان صدور أول عدد من اليمامة في شهر ذي الحجة ١٣٧٢هـ - أغسطس ١٩٥٣م، وصدرت على شكل مجلة في ٤٢ صفحة، وقد أشارت اليمامة إلى أنها صحيفة أسبوعية جامعة تصدر مؤقتاً في أول كل شهر. ومدير الصحيفة ورئيس تحريرها الأستاذ حمد الجاسر يعاونه في التحرير الأستاذان محمد العبد، وعمران محمد عمران.

ويروي الأستاذ الجاسر قصة إصدار المجلة فيقول:

قابلت الملك سعود يرحمه الله حينما كان ولياً للعهد قلت له: مدينة الرياض ينبغي أن يكون فيها جريدة. رحب بالفكرة وقال: أنا مستعد، وبالفعل أمر وكتب كتاباً بأنه قد سمح لحمد الجاسر أن يصدر جريدة في مدينة الرياض باسم «الرياض» قلت له: ينبغي أن تصدر في أول الأمر مجلة لأنه لا توجد في البلاد معدات طباعية، ثم طبعتها في مصر سنة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٢م، فصدر العدد الأول من مجلة الرياض الذي اشرف على طباعته أبناؤنا الطلاب هناك من بينهم الاستاذ ناصر المنقور (السفير السعودي الاسبق في لندن) والاستاذ إبراهيم العنقري (المستشار الخاص لخادم الحرمين الشريفين)[١٢].

ولكن الحكومة اعترضت على اسم «الرياض» فأسميتها «اليمامة»، اعتباراً من صفر ١٣٧٥هـ تحولت صحيفة اليمامة من مجلة شهرية إلى جريدة أسبوعية تصدر في ٤ صفحات على المقاس الكبير، وتطورت تطوراً كبيراً بعد صدورها أسبوعية واشترك في تحريرها نخبة من رجال العلم والأدب والفكر.. وممن ساهم في تحريرها الأساتذة عبد الكريم الجهيمان، سعد البواردي، على حسن فدعق، حسن قرشي، عثمان شوقي، ابراهيم الحجي، عبد الله بن ادريس، ابراهيم الهاجري وغيرهم من الأدباء والكتاب.

واليمامة أول صحيفة اهتمت بشئون البادية، فأصدرت عدداً خاصاً عن البادية عالجت فيه الكثير من شئون البادية، ودعت إلى رفع مستوى حالتها

الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كما أنها أول صحيفة في الرياض نادت بتعليم المرأة وتثقيفها.

واعتباراً من شهر رمضان ١٣٨١هـ - ١٩٦١م انتقلت ملكية «اليمامة» إلى الأستاذ زيد بن عبد العزيز بن فياض فأصبح صاحبها ورئيس تحريرها. وقد صدرت في عهده مرتين في الأسبوع الاثنين والخميس وكانت تصدر في ٦ صفحات بالمقاس الكبير، وبصدور نظام المؤسسات الصحفية وتأسيس مؤسسة اليمامة الصحفية اصبحت اليمامة تصدر كمجلة، وتولى الأستاذ حمد الجاسر رئاسة تحرير اليمامة مرة أخرى، ثم أصدرت مؤسسة اليمامة جريدة الرياض اليومية.

ولقد طبعت صحيفة اليمامة في أول صدورها بمطبعة دار الكتاب العربي بمصر، ثم نقلت طباعتها إلى مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بجدة ثم نقلت طباعتها إلى بيروت، وبعد أن تم تأسيس مطابع الرياض في مستهل عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م أصبحت تطبع في مطابع الرياض، وكان تأسيس هذه المطابع سبباً في إصدار صحف أخرى بالمنطقة الوسطى ومن بين الصحف التي كانت تصدر في مطابع الرياض.. جريدة القصيم ومجلة الجزيرة[١٣].

قافلة الزيت:

صدرت مجلة «قافلة الزيت» عن شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو)، وكانت تصدر شهرياً من الظهران، وصدر العدد الأول في شهر صفر ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م. وكانت تطبع في بيروت حتى شهر جمادى الآخرة ١٣٨٤هـ - سبتمبر ١٩٦٥م حيث نقلت طباعتها إلى الدمام، ومازالت تطبع بالدمام.

وتصدر مجلة «القافلة» على ورق صقيل أبيض، وتعتني عناية كبيرة بالصورة وتلوينها وتركيزها وتختار للغلاف الخارجي والداخلي صوراً طبيعية وتاريخية وفنية ملونة.

وكان يرأس تحريرها السيد حافظ البارودي ويتولى سكرتارية تحريرها الأمريكي البرت اردلا، وفي رمضان عام ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م تولى رئاسة تحريرها الاستاذ شكيب الأموي، ثم تولى الأستاذ عبد العزيز مؤمنة سكرتارية التحرير، ثم تولى مدير تحرير «القافلة» الاستاذ سيف الدين عاشور مع بقاء الأستاذ الاموي في رئاسة التحرير والأستاذ مؤمنة في الإشراف على التحرير، وفي ذي القعدة عام ١٣٨٢هـ - مارس عام ١٩٦٣م اسندت رئاسة التحرير للاستاذ عاشور مع بقائه مديراً للإدارة.

وفي صفر عام ١٣٨٨هـ - ابريل عام ١٩٦٨م تولى الأستاذ منصور مدني رئاسة التحرير مع مديرية الإدارة، وفي رمضان عام ١٣٨٩هـ - نوفمبر عام ١٩٦٩م عين الاستاذ مصطفى حسن الخان مديراً عاماً للمجلة والأستاذ على حسن قناديلي مديراً مسئولا والأستاذ منصور مدني رئيساً للتحرير والأستاذ عوني ابو كشك محرراً مساعداً، والمدير العام لمجلة قافلة الزيت حالياً الأستاذ سالم سعيد آل عائض ويرأس تحريرها الأستاذ عبد الله خالد الخالد.

وتستكتب مجلة «القافلة» الكتاب اللامعين في مختلف مدن المملكة العربية السعودية والعالم العربي، ولا تتطرق للمواضيع التي تهدف إلى إثارة الجدل الديني أو الفلسفي، كما أنها لا تخوض في نقاش سياسي أو حوار مذهبي. وتطبع القافلة نحو ٣٠٠٠٠ نسخة شهرياً توزع مجاناً.

مجلة الرياض:

بدأ التخطيط لإصدار مجلة «الرياض» الأسبوعية في عام ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م، وصدرت المجلة شهرية مؤقتاً. أصدرها بمدينة جدة الأستاذ السيد أحمد عبيد ورئيس تحريرها الأستاذ مدني بن حمد. وقد صدر العدد الأول منها في شهر شعبان عام ١٣٧٣هـ في طباعة أنيقة، ومادة دسمة.

وفي افتتاحية المجلة قال الأستاذ أحمد عبيد: إن هذه المجلة جاءت لتكون ندوة محبوبة لكل من يريد أن يساهم في عمل صالح. إنها للكاتب حين يكتب، وللقصصي حين يقص، وللعالم حين يوجه، وللطبيب حين يرشد، وللمكافح حين يعمل للإنشاء. إنها منبر لكل إنسان طيب يريد أن يكون عضواً نافعاً في المجتمع الإنساني الكريم.

وكان من كتاب وشعراء مجلة الرياض صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل (محروم)، محمد حسن عواد، محمد حسين زيدان، أحمد عبيد، محمد مدني بن حمد. ولقد صدر من مجلة الرياض اثنا عشر عدداً في ٩ أجزاء، وتوقفت بعد ذلك نهائياً. وكان الإشتراك في مجلة الرياض ١٢ ريالا في الداخل و٢٤ ريالا في الخارج.

وتعتبر المسائل المالية سبباً في توقف مجلة الرياض، ولقد قال الاستاذ مدني بن حمد احد كبار موظفي المديرية العامة للجمارك بجدة.. قال للمؤلف عن أسباب إيقاف المجلة.. إن الإمكانات المالية كانت ضعيفة وكنا ندفع من جيوبنا لطباعتها وإخراجها ،كما أن الآمال التي كنا نتوقعها في بعض المواسم لم تتحقق، بالإضافة إلى أن الكتّاب كانوا يطلبون مكافآت مالية على مقالاتهم حتى أصبح ما يردنا من المقالات قليل جداً، كما أن مؤسسة الطباعة والنشر ضاقت ذرعاً وهددت بالتوقف عن طبع المجلة إذا لم نسدد الحسابات، وأمام هذه الضغوط توقفنا.

الهوامش:

(١) د. محمود أدهم، التعريف بالمجلة، ماهيتها قصتها مادتها خصائصها، القاهرة - دار الثقافة ١٩٨٥، ص ١٣ - ١٤هـ.
(٢) د. غازي زين عوض الله، الأسس الفنية للمجلة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٧، ص ٩ - ١٣.
(٣) عثمان حافظ، تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص ٢٤٠.
(٤) مجلة الاصلاح، العدد ١٧ ، ١ صفر ١٣٤٩ - ٢٧ يونية ١٩٣٠م.
(٥) الكتاب الفضي للمنهل، بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على إصدار المنهل.
(٦) المؤلف قابل الأستاذ عبد القدوس الانصاري مرات عديدات في صالون صاحب السمو الملكي الأمير الشاعر عبد الله الفيصل، وفي مكتبه بمجلة المنهل بالبغدادية.
(٧) مجلة المنهل، العدد (١)، ذو الحجة ١٣٥٥هـ - فبراير ١٩٣٧م.
(٨) تم الحصول على هذه المعلومات عبر اتصال هاتفي مع إدارة المجلة في ٦ جمادى الأولى ١٤١٩هـ - ٧ سبتمبر ١٩٩٨م.
(٩) د. محمد عبد الرحمن الشامخ، الصحافة في الحجاز، بيروت: دار الأمانة، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ص ١٦٣.
(١٠) قبل أن تتحول إلى وزارة الحج والأوقاف في ١٣٨١/١٠/٩هـ، ثم إلى وزارة الحج في ١٤١٤/١/٢٠هـ.
(١١) عثمان حافظ، مرجع سابق، ص ٢١٦.
(١٢) حمد الجاسر، علامة الجزيرة يستجمع الثمانين، جريدة الشرق الأوسط، ١٣ اكتوبر ١٩٩١م.
(١٣) عثمان حافظ، مرجع سابق، ص ١٨٣ - ١٨٦.

مولد النـ

نكراك ذكرى .. لها في القلب إجلالُ
ما استقبلت فرحة الميلاد أجيالُ

نكراك يا مولد الآمال أمنية
لمن تولوا .. وعن ركب الهدى مالوا

نكراك تأتى .. فيا أشواقنا اتئدى
سيف المحبة ـ لو تدرين ـ قتال

إنّ الذى أيقظ الدنيا بمقدمه
ما غاب عنك، وما أقصته أميال

في القلب .. منذ ابتدأت الخطو .. أغنية
عليك من ساحة الرضوان تنهال

وفي وجودك معنى، ليس تدركه
في رحلة البحث عن معناه .. أقوال

فاستقبلى فرحة الميلاد موقنة
أنّ اليقين به تخضر آمال

تسمعى نبض قلبى .. إنه نغمٌ
به المحب .. أمام الناس .. يختال

###

نكراك ذكرى .. وما نيل المنى بيدى
فدون ما تبتغيه النفس أهوال

إني أحب .. وهذا الحب مفخرتي
لا عذر .. كلٌ وراء الغيث رحال

ولستُ أطلب ـ حتى ـ أن تبادلني
حبا بحب .. فحالي في الهوى حال

يا سيدى .. أنت بالأنداء تمطرني
فهل يطيب لمثلى عنك ترحال؟

للشاعر : يس قطب الفيل
ـ عضو اتحاد كتاب مصر ـ

أنا الذى بك أستعصى على زمن
بالادعاء .. على من شاء .. يختال
أنا الذى بك أجتاز المدى أملا
في العفو . إن أحكم المكيال كيال
أنا الذى بك .. أنجدنى .. فقد عجزت
عن نشوة البوح .. عند الوصل .. أوصال
كن أنت لي منقذا .. واحفظ خطاي على
هذا الطريق .. فإن العجز إذلال

# # #

نكراك ذكرى .. أنا منها على حذر
وإن أفضت بها .. فالشرح إجمالى
أحس أنّ وجودى كله ملأ
من الكمال، وأنى فيه جوّال
وأنت هالة ضوء .. لست أدركها
أنا الذى لم أزل للضوء ميال
يا سيدى .. ضل من لم يصطحبك .. هدى
يحمى خطاه .. إذا ما امتد زلزال
فابسط يديك لنا .. إنا على سفر
وقد أضرت بنا .. في السعى .. أغلال
ذكراك .. ذكرى .. بها تخضر أودية
وفي مداها لمن يهواك أفضال
فامنن علينا بفيض منك يجمعنا
على صفاء .. فأنت العم والخال
لو لم تكن أنت .. ما كانت زوارقنا
حول الضياء .. بها تلتف أجيال

الوعي الجماعي وجماعية النص

«الوعي الجماعي وجماعية النص» عبارة بثها د. عبد الله محمد الغذامي، وضمنها كتابه (تشريح النص: مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة» في حديثه عن «الخطاب الشعري الجديد»[١]، وأراد منها أن تكون خصوصية ـ بحسب تعبير الدكتور ـ من خصوصيات المنجز العربي في خطابه الشعري الجديد، وقد استفزت هذه العبارة قلمي على استكناه سيرة المنجز العربي بخطابه المرسل سلفاً، والبحث عن حضور هذه (الخصوصية) أو غيابها فيه.

ولست أقصد من هذه الورقة؛ المساجلة النقدية مع الدكتور الغذامي، بل هي مشروع تعميم لهذه التقنية الحاسرة، واطلاق عنانها في فضائنا الشعري العربي.

فلو ولجنا سيرتنا العربية في منجزها الشعري الكلاسي واستقصينا رسائل مبدعيه وشفراتهم الخاصة لوجدناه ينشطر الى شعب تحتوي كل شعبة منها على آلية من آليات بنائية النص؛ فتجد شعبة «الشعرية: الادبية» التي تحدد قوانين خطابهم والمتجسدة بـ «العمودية: عمود الشعر»[٢]، الذي تحاكمُ على وفقه شعرية النص الكلاسي، وتجد شعبة «الاستهلال: الطلل/ الخمر» التي تعد ركيزة من ركائز آليات البناء النصي، وتجد شعبة «المضمون وتقنيات رسمه» ناهيك عن شعب أخرى تخرق فضاءات العام ـ الخطاب الشعري كله ـ لتحسره بفضاء الخاص ـ شفرة المبدع المميزة له ممّن سواه ـ .

وبعد أن رصدنا شُعب المنجز العربي على خارطة الانتاج الشعري نعدل صوب بيان استراتيجية هذه الشُعب وخط سيرها: «أفقياً وعمودياً» في رسائل المبدعين.

ولعل شعبة الشعرية: (الأدبية) الكلاسية أولى بالبدء لكونها الريشة الراسمة لملامح اللوحة الشعرية في المنجز العربي. إذ تجد الشعراء ينصاعون اليها: «العمودية: عمود الشعر» ويحققون من خلالها وعيا جماعياً ايديولوجياً؛ لالتزامهم بقانون واحد يحدّ آليات الانساق النَّصِّيَّة، مما يدفع من باب أولى أن تكون الصفات «الجينية الابداعية» متشاكلة وكأنهم توارثوا الخطاب شكلياً، مما يفضي من دون شك الى (جماعية النص) وتحققها من خلال السير على نهج واحد وبنائية واحدة، فـ «الوعي الجماعي وجماعية النص» تبعاً لما مرّ ذكره ـ خصوصية تجسّدت في الخطاب الشعري الكلاسي من جهة الشكل وقانون الانتاج[٣].

أما من حيث شعبة «الاستهلال»، التي عدّها بلاغيونا التراثيون[٤]: (القدامى ومن سار على هديهم من المحدثين) ركيزة من ركائز البناء النصي الجيد، فتجدها سُنّة آمن بها مبدعونا القدامى وتعويذة يعلقونها على افتتاحيات نصوصهم، وقد اختلفت مضامين هذه الاستهلالات وكان لكل مضمون أناس ينافحون عنه بحدّ القصيد، فالاطلال.. كانت عتبة يقف عندها مبدعو الجاهلية في خطابهم الشعري ولا تكاد تجد قصيدة تخلو مرابعها من هذا الثمر، ولعل أقرب شاهد على ما نريد، جُلُّ معلقات ذلك العصر ناهيك عن دواوين مبدعيه كامرىء القيس والنابغة الذبياني ومن لفّ لفّهما، كما تستوقفك في خريطة الاستهلال مواطن يقدّمها الشعراء في افتتاحيات نصوصهم، كالمقدمة (الخمرية) التي كان بذرها على أرض القصيد عريقاً يمتد الى يد الاعشى في قصائده الخمرية التي أورثها الى مبدعين جاءوا بعده لعل أشهرهم (الاخطل).. لكنها لم تنمُ وتثمر أغصانها حتى استحالت شجرة باسقة إلا في موسم (النواسي: ابي نواس) الذي جعلها مقدمة لابداع ومفتاحاً لرسالة، تابعه فيها قسم من المبدعين، فاصبح لهذا اللون الاستهلالي مريديه ومتبعيه، فشكل بذا وعياً جماعياً يقصد اليه المبدعون في رسائلهم فاتسمت بـ (جماعية النص) فكان (الوعي الجماعي وجماعية النص) خصوصية اتسم بها

بقلم: مشتاق عباس معن
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

خطابنا الشعري الكلاسي من حيث بنائية النص وآلية انتاجه.

اما من حيث المضمون، فقد لا يستقيم الحكم معه عند أغلب الشعراء الكلاسيين، لأنَّ المضمون يوحي بدلالة النص، والدلالة النصية ملك النَّاس، ورسم ملامحها مناط به، فله ان يشاكل سالفيه، وله ان يغور



د. عبدالله الغذامي

في خصوصيته، فأن كانت آليته الدلالية مستندة الى الاول: (السلف) يكون حينها متبعاً للسياق الابداعي الذي يمكن وصفه بالعمومية، وان كانت آليته مستندة الى الثاني : (الذات) دخل حينها محجر الشفرة التي لا يشاطره فيها من المبدعين سواه.

ولعل لنا منفذاً نلج من خلاله الى فضاء النص الدلالي ونعمد فيه للكشف عن تقنيات بنائه من حيث المضمون، لعل أقربها للتعميم؛ (حوارية الذئب) التى اصبحت متناً سردياً يعمد لاستغلاله وفضح مضامينه المبدعون الذين أوكلوا (علاميته) الى النص الشعري لينتجوا (شعرية سردية، أو سردية شعرية) مضمّنين إياها مقدماتهم أو بنية نصوصهم الرئيسة، وكان منبع هذا الرسم (السردي/الشعري) المضمَّن في المنجز الابداعي العربي ينبع من مناهل الجاهلية ومروراً بالحقب الابداعية التي تلته، ولعل آخر مصور أجاد رسم ملامح هذا المتن (السردي المتشاعر أو الشعري المتسارد - إن جاز لنا التعبير) مبدع من مبدعي العصر العباسي: (البحتري).

فكان هذا الرسم الشعري رسماً ذا وعي جماعي شكل نصوصاً تنتج مضمونه على نحو يصدق عليه وصف (جماعية النص) فكانت هذه الحوارية مضموناً ابداعياً تعامل معه المبدعون على وفق تقنية (الوعي الجماعي وجماعية النص) لتكون خصوصية من خصوصيات شعرنا الكلاسي من حيث المضمون.

وباستقراء الشُّعب الرئيسة التى تشكّل منها خطابنا الشعري الكلاسي نفقه أن خصوصية (الوعي الجماعي وجماعية النص) من خصوصياته ايضاً، لذا نرى أن نوسّع نطاق هذه اللفتة النقدية (الغذامية) من حدود الخصوصية الى مطلق العمومية، فنقول: عمومية (الوعي الجماعي وجماعية النص) في خطابنا الشعري العربي، مع الأخذ بنظر الاهتمام الفوارق الجزئية بين المتنين: القديم والحديث، بحكم الفارق الزمني والنضوج الفكري والثقافي تبعاً لتقنيات التطور وآلياته[٥].

الهوامش:

(١) ينظر: تشريح النص: مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة: د. عبد الله محمد الغذامي: ٧٠، دار الطليعة، بيروت - الطبعة الاولى؛ ١٩٨٧م.

(٢) ينظر في مسألة عمود الشعر: كتاب؛ شرح ديوان الحماسة: المرزوقي: ٨ وما بعدها، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٣م.

(٣) أفاض د. عبد الله الغذامي الحديث عن (العمودية: عمود الشعر) بوصفها شعرية: (أدبية) للانتاج الشعري الكلاسي وطرائق تعامل الشعراء معها بين الانصياع والانفلات من حلقتها: المشاكلة والاختلاف (قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه المختلف): المركز الثقافي العربي، بيروت؛ الطبعة الاولى ١٩٩٤م.

(٤) جعل بلاغيونا التراثيين بنائية النص الشعري مستندة الى ثلاثة لبنات: لبنة (براعة الاستهلال) ولبنة (حسن التخلص) ولبنة (الانتهاء: حسن الختام)، وعدّوا النصوص التي تعتمد على هذه اللبنات الثلاثة في بنائيتها نصوصاً جيدة تستحق لقب (الشعر)، ينظر: التلخيص في علوم البلاغة للامام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، تحقيق وشرح الاستاذ عبد الرحمن البرقوقي: ٤٢٩. وينظر ايضاً: البلاغة والتطبيق: د. أحمد مطلوب وكامل البصير: ٤٦٢ وما بعدها، مطابع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في جامعة بغداد، الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٥) ذكر هذه المسألة وفصل القول فيها أغلب نقادنا المحدثين، أمثال: أدونيس في كتابه (مقدمة للشعر العربي)، دار العودة، بيروت، ود. يوسف خليف في كتابه (حركات التجديد في الادب العربي: ٢٤ دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٥م.

تعريف ... وتاريخ

تعتبر القصة القصيرة لوناً من ألوان الأدب اختلف في تاريخه، ومراحل تطوره، ولكنه اختلاف يكاد ينتهي عندما تبرز بوضوح تعريفات القصة القصيرة كفن إبداعي يناسب العصر الحديث، ويلتصق به. فمعظم المسميات التي أطلقت على أي عمل إبداعي «قديمه وحديثه» نراها مسميات حديثة جاءت بعد تراكم الأعمال الإبداعية المتفاوته. والقصة القصيرة في شكلها الحالي كلون من ألوان الأدب الحديث ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر مكبلة بخصائص ومميزات معينة في الشكل والمضمون، ولكي نفهم هذا النوع من الأدب كفن إبداعي مصنف عند كثير من النقاد على أنه الأرقي والأكثر سمواً في عالم الإبداع، فلابد أن نعلم، ونؤمن بأن كل بناء جميل ومنسق ومرتفع إلى الأعلى، لابد وأن يقوم على قاعدة قوية تحمله وتنبيء بتاريخه.

والقصة القصيرة في هذا الإطار تعود إلى أزمان موغلة في القدم، وقد تكون بدأت مع أول رحلة صيد قام بها الإنسان الأول، فلا شك أنه كان يعود إلى كهفه أو مسكنه ويحدث أسرته بالإشارة أو اللغة عن مغامراته مع الحيوانات، وكيفية صيدها، ولهذا نستطيع أن نقول بلا تردد «أن القصة القصيرة بدأت مع الإنسان وقت بداية تعامله مع الحيوان وتفاعله مع بيئته المحيطة به، فكل صلة تمت بين الجماعات المختلفة لابد أن تبرز حدثاً أو حكاية. فلقد قرأنا كيف اكتشف الإنسان النار، وكيف صنع الأدوات، وكيف تعامل مع مخلوقات الله من أحياء وجمادات، وكيف نسج قصصاً من خياله كان منشؤها الخوف والقلق.

ولكي نفصل القصة القصيرة عن غيرها من ألوان الإبداع، لابد من إبراز تعريف يوضح الإطار العام لهذا اللون من الأدب.

فالقصة القصيرة: هي إبراز حدث معين، أو فكرة، بإسلوب مختصر وغني بالإشارات المضيئة، تمسك على القارئ أنفاسه في بعض الأحيان. يقول الناقد والكاتب الامريكي «إدجار ألن بو»[١]: بأن القصة القصيرة تعد مجالا أكثر ملاءمة من غيرها لتدريب القرائح الأرقى سمواً، مما يمكن أن تقدمه مجالات النثر العادية الأخرى.

بينما يقول الناقد الأرجنتيني «إندرسون إلبرت» إن القصة القصيرة «حكاية قصيرة ما أمكن، ويمكن أن تقرأ في جلسة واحدة».

ومهما تعددت تعريفات القصة القصيرة، فإننا نجد أنها لون ربما يستعصي على كتاب الرواية والمسرحيات، لأنها تحتاج إلى «إيجاز دقيق واهتمام شديد، وتوتر قسرى، وومضة كاشفة لا يقدر عليها إلا كاتب خلاق متمكن. ولكي نفهم ونستوعب تطور القصة القصيرة ووصولها إلى شكلها الحالي، لابد أن نستعرض مراحلها عبر السنين.

تاريخ القصة القصيرة[٢]:

ولكي لا نخلط بين القصة القصيرة وألوان الأدب الأخرى، فإننا سنقسم تاريخ القصة القصيرة الى مرحلتين:

١ ـ مرحلة ما قبل القرن التاسع عشر.
٢ ـ مرحلة القرن التاسع عشر.

مرحلة ما قبل القرن التاسع عشر:

أولى المحاولات كانت في القرن الرابع عشر، وبالتحديد في مدينة روما حيث كانت تجتمع مجموعة من موظفي الفاتيكان مع أصدقائهم وبعض الأهالي في

رفيق موسى
ـ السعودية ـ

غرفة واسعة في الفاتيكان، وفي هذه الغرفة التي كانوا يطلقون عليها « مصنع الأكاذيب» كانت تروى النوادر والقصص عن سكان روما، وكان يقود هذا الجمع رجل اسمه «بوتشيو» Poggio ، عمل سكرتيرا للبابا مدة طويلة، وقد جمع هذا الرجل مما قصّه وما سمعه في كتاب أسماه «الفاشيتيا» Focetio وقد تميزت قصص هذا الكتاب بالبساطة، وكان هدفها التسلية، وغالباً ما كانت تبتعد عن القصد الديني أو الاخلاقي.

أما المحاولة الثانية فكانت على يد «بوكاتشيو Boccocioå وهو إيطالي وسمّي كتابه «الديكاميرون» يعني «الليالي العشر»، وتضمن الكتاب «مائة قصة» وقد تميزت قصصه بالتفصيل والتروي، والنهاية الواضحة، التي تبعث في النفس السرور، والراحة.

أما المحاولة الثالثة فكانت على يد «ألفونسو مرتينيث» وهو إسباني كان كاهنا لمدينة طلبيرة (ت ١٤٧٠) وقد سمّى مجموعته «كرباج» وتميزت هذه المجموعة بالواقعية وربما تأثرت بالقصص العربية.

بينما المحاولة الرابعة كانت من تأليف «بنيد للولومبرادو» وهو إيطالي وقد كتب ٢١٤ قصة، وقد عكست قصصه إلى حد بعيد تقاليد وعادات عصره.

ثم توالت الكتابات «دي برييه» في كتاب «تسليات جديدة، وعظات بهجة» والإسباني «ثرفانتيس» (ت ١٦١٦) في مجموعته «روايات نموذجية»، ثم جاء الفرنسي «شارل بيترو» الذى صور التقاليد الشعبية على أيامه، وقد تميزت من بينها مجموعة «حكايات أمي لوا» وأسعدت أجيالا من الأطفال الأوروبيين[٣].

ثم بدأت القصة القصيرة تخبو تدريجيا وتدنت إلى مستويات أقل في القرن الثامن عشر، ولكنها عادت إلى الظهور مرة أخرى بثوب جديد أكثر قوة وإثارة.

مرحلة القصة القصيرة الحديثة في القرن التاسع عشر:

لقد تميز القرن التاسع عشر في أوروبا وأمريكا بأنه عصر القصة بحق فقد ظهر فيه «موباسان» ودوديه، وتشيخوف، وأوسكار، وإيلد، وإدجار ألن بو، وهوفمان، وجوجول ... وغيرهم.

ومن أكثر الإسهامات في بداية القرن كانت كتابات «جوجول» الذى أضاف في الموضوع على حساب الشكل الفني، وأبتعد بالقصة عن «الرومانسية» كما أسهم الأمريكي «إدجار ألن بو» في دفع القصة إلى الامام، وكانت قصصه إما تحليلية وإما خيالية، وكانت من النوع الذى يحبس على القارىء أنفاسه.

ثم ظهر «موباسان» في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الذى يعتبر بحق رائد القصة القصيرة في العصر الحديث. وقد قال عنه أحد كبار النقاد: إن القصة القصيرة هي «موباسان» - وموباسان «هو القصة القصيرة»[٤].

ولقد رأى «جي دى موباسان» الفرنسي أن تصوير اللحظات والمواقف العابرة بشكل واضح وصريح هو الوسيلة الوحيدة الطبيعية لإفهام القارىء الواقعية المليئة بالحقائق. وقد كان في ذلك ينتمى إلى الطبيعيين أمثال «زولا» و«فلوبير» وغيرهما.

وقد ظهر في الفترة نفسها «أنطون تشيخوف» الروسي الذى أبدع في مجال القصة القصيرة بحيث جعل لها مذاقاً خاصاً، وقد اتسمت قصصه بالسلبية تجاه الحياة الإجتماعية والسياسية وتميزت شخصيات قصصه باللامبالاة وضعف العزيمة على عكسه هو فقد كان نشيطاً يؤمن بكل القيم ويعيشها.

ومع دخول القرن العشرين[٥] صار للقصة القصيرة عشرات المبدعين في كل قطر، وقد أخذت القصة أشكالا جديدة وتناولت مواضيع شتى ضمن خصائص متفاوته في الشكل والمضمون.

الهوامش:

(١) القصة القصيرة دراسات ومختارات - د. الطاهر أحمد زكي ص ٦٤.

(٢) لا يشمل القرن العشرين.

(٣) القصة القصيرة «دراسات ومختارات. د. الطاهر أحمد زكي ص ٤٤.

(٤) فن القصة القصيرة - د. رشاد رشدى.

(٥) تحتاج القصة القصيرة في القرن العشرين إلى دراسة خاصة ومنفصلة.

نظرة في تحولات المنظور في القصـــة القصـــيرة

ربما كان الحديث عن المنظور القصصي هو حديث عن تلك التقنيات التي ما انفكت تفعل فعلها التجديدي في صنع الخطاب القصصي، من منطلق التعدّد في مستويات النظر وغائية الحدث في سياق المبنى القصصي، ذلك أن تجدد الأساليب وتعدد المدارس الادبية قد قاد الى تجدد وتعدد مماثل للمنظور القصصي، وبمقدار ما لحق بالبطل في القصة من تحولات فإن تلك التحولات تمثلت أكثر ما تمثلت في رؤيته للأشياء والأماكن، ونظرته للأشخاص ولنفسه وللماضي، وفي ظل ذلك تحقق تنويع متعدد الوجوه في سياق المنظور القصصي قدّمت فيه القصة انماطاً متعددة من الرؤى التى إن كانت قد أخرجت القصة عن طابعها المدرسي فإنها قدّمت فناً عرض فيه المبدع مهارته في ملاحقة الحدث بعد الحدث في تصاعد متصل حفلت به القصة المعاصرة.

ولعله من الواضح ان هذه المسألة إن كانت تمتلك استقلالها في البناء القصصي فإنها تشتبك واقعياً مع منظومات السرد المتعددة التى شكلت علامة اساسية من علامات التطور الذي طرأ على القصة القصيرة.

ومع تعدد منظومات السرد تعددت الرؤى وذلك في اطار ما يسميه (اوسبنسكي) بـ (البوليفونية) اي تعدّد الاصوات. وإذا ما اردنا ان نلج هذا المحور المهم من مداخله المتعددة فإننا سنواجه أولا محور المنظور الذاتي الذي طبع النص القصصي المعاصر من منطلق سيادة وجهة نظر الشخصية في حكمها على المواقف وفهمها وتفسيرها للأحداث. انها أحادية المنظور التي ما انفكت تلقي بظلالها على البناء القصصي في الاغلب الأعم.

فالطبيعة (الاحادية) للإبداع القصصي - على خلاف الشكل الجماعي للابداع السينمائي أو المسرحي مثلا، قد قادت قدماً الى ترسيخ هذه التقنية وحددت بناء النص في حدود ذلك المنظور، ولذا فإن كانت تلك الأحادية تتسع أو تضيق في بناء النص، فإنها في الغالب تقوم على تقمص الكاتب لإحدى شخصياته والتعبير عن تفاعلاتها. ومن المعروف ان تقنية المنظور المحدود أخذت شكلا جمالياً متكاملا تأسيسياً على يد فلوبير في روايته مدام بوفارى من منظور (ايما) الذاتي العمود الفقري لبناء الرواية، ونجد ما يقابل ذلك في قصص موباسان وبلزاك وغيرهما. وسط هذا نجد أن الخواص الحكائية للنص قد فرضت في الغالب نمطاً من التلقي دفع باتجاه الحرص على (تتابعية الحدث) ونموّه المضطرد، وقيادة القارىء الى تصاعد موضوعي متوازن ومقنع ومبرر.. واذا كنا في مجموعة انفعالات ناتالي ساروث مثلا نعدم ذلك التناغم الذي طبع ذائقة جيل بكامله مع القصة في اطارها المدرسي المألوف فإننا وجدنا نتاجاً وظف احساس الشخصية بما يحيط بها باتجاه تشظي وجهة النظر، لأن الشخصية إذ فقدت ذلك المنظور التقليدي القائم على (تقديس الحكاية) والعناية بها، فإنها راحت تتلمس افقاً حكائياً يتناسب مع تحوّلاتها هذه فراحت تقدّم منظورا مركباً لا يقوم بالضرورة على شكل موضوعي نام بل على ما تشعر به في لحظتها الراهنة كما هي

بقلم : طـاهـر عبـد مسـلم
جامعة الفاتح - ليبيـا

الحـال في نماذج فـرجـينيـا وولف رواية (دالاواي - خـاصـة) ان هذا (الارث) المتـداخل المتنوّع الشـاسـع الذي تدفق على القاص العربي عبر الترجمات، قدّم صـورة مـبـعثـرة في الغـالب للقصـة الغـربيـة بعـد أن عصفت بها الحربين الكونيتين وما تمخضتا عنه من (منظور) جمعي وفردي في آن معاً، ثم عندما تماهت مع الحوار الحداثة وما بعدها وما استجلبته من طمس لفرادة النص القصصي والروائي وما احيط به من هالة مـدرسـيـة عـمـقت في العـديد من المدارس الغـربيـة من ازمـتـه، ولهـذا قـادت الى ذلك الرفض الحـاد للأشكال التقليدية للحكاية واسـتـغـوار منافـذ جـديدة للمـنظور الروائي، خـرجت به عن تلك الأحادية التى حـجـمت من تفسـيـر الاشـيـاء وحـدّدت من فـهـمـهـا وهـو مـا يجـسـده (جيرار جينيت) في تفسيره للمنظور القصصي بأنه يقع بين (الرؤية) و(الصوت) فبينما تتعلق الرؤية بالعين والنفس اللتين تخبران عن العالم التخيلي فإنّ الصوت هو الصياغة على المستوى التعبيري وهو ما فصلّته سيزا قاسم في كتابها «بناء الرواية»، إنّ هذا الموقف القائم على ثنائية (الرؤية/ الصوت) هو مبعث السؤال عن طبيعة المنظور وفاعليته في النص القصصي، ذلك ان التحوّلات في الرؤية انما احالت قدماً الى متغيرات اسـهمت في صنع رؤى اجتماعيـة وفكرية وفلسـفيـة، ولهـذا صـارت وجـهـة النظر الأحـادية امـام خـيـارات لا حصر لها في لحظتها المعايشة أو زمنها الكلي، فهي محـاطه وفي وقت واحد بأحسـاسـهـا الذاتي ومنظورهـا الآني من جـهـة ونظرتهـا للآخر، ومن ثم اسـتـذكـاراتهـا وماضيها وبعد ذلك التحوّلات المتعلقة بالآتي من جـهـة اخـرى. يضـاف لذلك وجـود الآخـرين حـيث يجـري وضعهم وسط وجود اشكالي متسائل متشكك حذر.. لذا تبلورت شـخـصـيـات مـحـملة بهـذا الارث المتـداخل المتنوّع القائم على تداخل الازمنة واشتباكها من جهة واسئلة الذات وهي تحاول ان تفسر واقعها الموضوعي من جهة اخرى. ومن هنا وجدنا ان هذا التراكم الثقيل قد فتح رؤى مركبة ومتداخلة ليس من اليسير الفصل بين اي منهـا او تأطيـره في حـدود غـرضـيـة خـالصـة مرتبطة بغائية المنظور نفسه المقترن بغائية الشخصية.

ان هذه الخطوط المتعددة للمنظور هي التي اججّت في القصـة واحدة من أهم مـشكلات (التوصيل) في إطار علاقتها بمتلقيها، قارئها الذي إن كانت السبيل ممهّدة بالنسبة له وهو يتتبع السرد الخطيّ القائم على وجهة النظر والمنظور الواحـد فـإنه مع الرؤى المتـشـظيـه والاصـوات المتعـددة صـار ازاء بلبلة مـركّبـة ربمـا كـان مبعثها الاساس تلك النمطية الشائكة التي أثقلت المتن القـصـصـي وانهكت مكوناته بسـبب التكرار وتآكل الاشكال المستهلكة. وليس غريبا ان تحكي فرجينيا وولف في اطار من التشظية احدى حكاياتها من وجهة نظر (كلب) يعرض تاريخ حياته وعبر منظوره يفسر الاخـرين المحيطين به كما يفسّر وجود المدينة ايضـاً وعبره ثمّة وجهات نظر اخرى متنوعة غريبة وذلك في رواية (فـلاش). ولعلّ الخـوض في هذا الجـانب انما يحيلنا الى كم هـائل من المنجز القصصي العربي الذي هو في اغلبه في أمسٍّ الحاجة الى التفسير في اطار فـهم المنظور وتحـوّلاته. فـهـذا المنجـز القـصـصـي قـد تراوح بين اقصى درجات الاستسلام للذاتية والمحور المنظوري الأحادي من منطلق تفسير القصة على انها نشـاط وجداني شـخـصـي يتيح للمـرء ان يقص على النـاس مـا يعج في ذهنه ونفـسـه من أفكار وتجـارب وتذكُّرات.

وفي المقـابل نجـد اقـصـى درجـات الانجـذاب للاشكال المترجمة والاتجـاهات مـا بعد الحداثة في ملاحقة صاخبة لذلك المنجز القصصي الغربي بأجوائه وتفسيراته الخاصة وما بينهما ثمة منظور قصصي ما لبث ان تشكل مـؤكـداً نظرة اخـرى ربمـا وجـدت في التفاعل مع معطيات التيارات الحديثة والحفاظ على الشكل القصصي المدرسي حلا موضوعياً ومتوازناً وهو ما ميّز جُلّ النتاج الذي ظهر خلال العقود الأربعة الماضيـة على ايدي روّاد القصـة العربية، فقدّم نماذج متنوّعة من النتـاج القصصي المواكب للتحـديث في البناء القـصـصي والمتـفـاعل مع مـتطلبـات واقـعـيـة موضـوعـيـة ملحـة توجب نتـاجـاً قـصـصـيـاً مـواكـبـاً للمتغيرات الاجتماعية وللواقع الثقافي في آن معاً.

فن الكتابة للأطفال

يمكن أن نرصد في أدب الطفل ظاهرتين متميزتين، الأولى شعرية والثانية قصصية، وهذان الجانبان الأدبيان لهما دور فعال في التربية والتعليم والتثقيف، ولهما دور سلبي اذا أسيء استخدامهما، والقضية تتوقف على مقدرة الكاتب الذي يكتب شعرا أو قصة للأطفال، فمن أبرز مميزات الكتابة لهذا العالم الصغير أن يرسم الأديب للطفل على الورقة من وجهة نظره كأنه يتقمص شخصية الطفل، ويستخدم الأشياء استخداما مختلفا عن واقعها في عالم غير معقول ولكنه ممكن من وجهة نظر الطفل ومنطقه.

فالكاتب يحدد العالم بمنطق المتلقي الصغير في التفسير والتعليل والإستخدام، ولا يخلق عالماً لا يتماشى مع منطق الطفل، ويجده الطفل عالما غريبا وأحيانا يضحكه لسذاجته ويفهم أنه يخدعه.

فلابد أن نحمل هذا الأدب محمل الجدّ، ونضعه سوية مع ادب الكبار القصصي والشعري، فقاص الكبار ليس ارفع شأنا ومكانة من قاص الصغار، واعلم بأن القص للصغار لا يتأتى لكل من هبّ ودبّ، فالمضطلع بذلك ينبغي أن يعرف مراحل الطفولة وخصائصها ومراحل نموها العقلي والانفعالي والنفسي، والمعجم اللغوي الذي يستخدمه في كل مرحلة من مراحل الطفل.

فإذا كان كاتب الصغار يكتب بمنطق الكبار، فان ما يكتبه لا يقرأه الأطفال، فالطفل القارىء جاد إذا وجد بين يديه ما يثير اهتمامه ويتعلق بمحيطه ويروي نزعاته ورغباته النفسية، فاقباله على القصص التي ينبغي أن تتوفر فيها شروط قصص الأطفال شكلا ومضمونا، فالطفل يحتاج في كل مرحلة عمرية الى قصص تختلف عن المراحل الأخرى، وكذلك الأمر بالنسبة للاشعار والمسرحيات.

ولكي نتحدث عن ادب الطفل ومميزاته في البلاد العربية لابد من إلقاء نظرة موجزة على خلفيته التاريخية عند الغرب وعند العرب.

فالبداية الأولى لهذا الأدب كانت في فرنسا في القرن ١٧ حيث كانت السباقة في اخراج كتب الأطفال فقد ألف بيرو أقاصيص وحكايات الزمن الماضي، وكتب بعده لبرنس دي بومون عددا كبيرا من القصص، ونشر جان جاك روسو اراءه في تعليم الأطفال[١] وحدث نفس الشيء في انجلترا فظهر كتاب ادب الأطفال في القرن ١٧ فأنشأ نيوبيري مكتبة خاصة بالأطفال وألف توماس داي قصصا للأطفال وظهر بعدهما ديفو مؤلف قصة روبنسون كروزو، وتتابعت قصص الأطفال في انجلترا وفي غيرها من بلدان اوروبا وروسيا وامريكا والشرق الأوسط[٢].

وهذا الفن بشكله الأجنبي لم يكن موجودا في الساحة العربية بل وصل متأخرا بعد الاحتكاك بالآداب الغربية شأنه شأن القصة والمسرحية، وتأخر هذا الفن الى بداية القرن ١٩ وظهرت أول بادرة مترجمة على يد رفاعة الطهطاوي، وتبعه محمد عثمان جلال وأحمد شوقي والهراوي وكامل الكيلاني وسعيد العريان وظهرت العديد من المجلات وكتب خاصة بالأطفال[٣].

فقد كتب أحمد شوقي ديوان شعر للأطفال فيه حكايات عن (الصياد والعصفور)، وعن (الديك الهندي والدجاج البلدي) و(الثعلب الواعظ) وغيرها فلأحمد شوقي فضل المحاولة الأولى وقد كان رائداً في الكتابة للطفل، غير أنه كما يقول سليمان العيسى أنه كتب للصغار بلغة الكبار ونسيجهم وتركيبهم.

أما كامل الكيلاني فقد اهتم بالكتابة للطفل في

بقلم : د. قرش عبدالقادر
معهد اللغة والأدب العربي ـ جامعة الجزائر



ميدان القصة فأغنى مكتبته بعشرات القصص المؤلفة والمترجمة والمقتبسة من شتى الآداب العالمية، وعني بشكل خاص بتبسيط بعض الكتب العربية للشباب والأطفال الناضجين مثل حي بن يقظان، ورحلة ابن جبير، وبعض قصص (ألف ليلة وليلة)، وعني أيضا بشخصية (جحا) لارتباطها بعالم الفكاهة.

ولم تكن الكتابة عنده عملا عشوائيا بل كانت تخضع لدراية تامة بمراحل نمو الطفل، فكان يؤلف للطفل الصغير والمتوسط والكبير ووصل الى درجة من الكمال جعلته مثلا للذين يكتبون للأطفال من بعده[٤].

وقد أخذ هذا الفن ينتزع اعتراف الهيئات العلمية والأدبية وسلك طريقه فاهتم به الكثير من الكتاب وخبراء التربية لدراسة قواعد تأليفه ورسم مناهجه وبيان اجناسه كما ظهرت العناية بدراسة قاموس الأطفال اللغوي، وحُصرتْ الكلمات التي تناسبهم في مختلف مراحل العمر[٥].

وهناك جملة من الكتاب السوريين كتبوا في الموضوع مثل سليمان العيسى له مجلدات في القصص والأناشيد والأغاني والمسرحيات، وكذلك زكريا تامر وعادل أبو شنب الذين لهم آراء قيمة حول هذا الفن، فسليمان العيسى يقول: ثم تأتينا قصائد شوقي للأطفال فإذا هو يدق الباب الموصود ويدنو من العالم الذي أهمل حقبا طويلة ويلجه في كثير من المحبة والالفة، ان له فضل الريادة، فضل المحاولة الأولى، ولكن المحاولة تظل صلبة وعرة يسودها الجفاف في معظم الاحيان، لقد كتب شوقي للصغار ولكن بلغة الكبار وتعبيرهم، ولكن كان الرائد وتمضي الايام ويأبى شعراؤنا المرموقون أن يترجلوا عن خيولهم الخشبية ليداعبوا طفلا بانشودة أو يضعوا على ثغره أغنية[٦].

ولابد من تسليح الاطفال بقيم جديدة منها الكلمة الحلوة والفكرة النبيلة والصورة الجميلة والموسيقى[٧] ويحاول زكريا تامر ان تكون قصصه على مستوى فني يؤهلها لأن تصبح وسيلة تساعد الطفل على حب لغته العربية وتنمي قدراته على تذوق الادب الذي يخاطب قلبه وعقله دون ترفع ودون اسفاف[٨].

ويحاول عادل أبو شنب كتابة قصص ومسرحيات تحض على التعاون وتقاوم الروح الإتكالية.

وكلهم يريدون توظيف الكلمة في خلق مناخات اخلاقية وقيم جديدة تبني الطفل العربي.

ومن قصائد سليمان العيسى هذه الأنشودة التي ارادها أن تكون اغنية صباحية:

- القُبْلةُ الأولى من الصباح.
- لجبهة الفلاح.
- لساعد الفلاح.
- لمعول الفلاح.
- الساعد المفتول.
- تعطيه ما يشاء ثمر.
- من غلة كدفقة المطر.
- وتضحك البلاد.
- لموسم الحصاد.
- ويسعد البشر[٩].

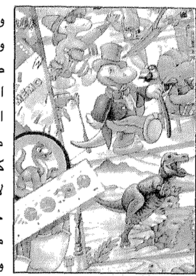
ومن المجموعات الشعرية الجيدة التي غناها مصطفى عكرمة للاطفال حب بلادي - بابا ماما - هري - البحر - الساعة - المطر - الشرطي ..... الخ مع رسوم جميلة ملونة تمثل المشهد ولنأخذ قصيدة بابا ماما كمثال:

بابا ماما ... لكما شكري
ملء الدنيا ... أبد الدهري
حبي لكما ... يملأ صدري
وعلى ثغري ... نغم يجري
بكما أحيا ... أحلا عمري
لكما مني ... كل الشكر[١٠]

ولعل الكلمة المأثورة (خاطبوا الناس بما يفهمون) خير ما ندخل به في الحديث عن لغة الطفل التي ينبغي ان تلائم عالمه ودرجة ادراكه ومحيط تخيله ودائرة معرفته، ومن هنا كانت الكتابة للطفل اصعب انواع الكتابة لما تقتضيه من المعرفة الدقيقة لمعطيات التبليغ حتى يحصل التجاوب.

ولعل الكاتب العربي لقصص الطفل يتوقف عند لغة ادب الطفل بسبب الانقسام الذي يعانيه المجتمع بين الفصحى والعامية.

ولابد في قصص الاطفال من عدد معيّن من الكلمات في الصفحة الواحدة حسب العمر وتشكيل الكلمات وكتابتها بحروف بارزة حتى يركز عليها الطفل، ويعوّد الطفل على خط ألفه في المدرسة يكتب به



ويقرأه في المدرسة وفي القصص، وعن طريق تشكيل الكلمات يتعلم الطفل النطق السليم وتنمى ملكته اللغوية، فقد كان من المفروض ان لا ينشر القصص حتى تمر على مصححين لغويين وتمر على لجنة السلامة الفكرية حتى لا نبقى في مرحلة التردي اللغوي.

فالكتابة للطفل تتطلب دراية واسعة وجلدا وصبرا، وانها محاولة لرصد الشخصية الانسانية في مراحل نموها وتطورها وتكاملها، وهي تراعي مستويات الذكاء المختلفة، والأمر لا يتوقف على كتابة الشعر والقصة للاطفال بل هناك في المجلات يلاحظ تنوع في الموضوعات والاركان وتعدد اساليب التعبير، وهي تنحو منحى تعليميا وترفيهيا وتحاول اقرار بعض القيم كالاخلاق الحميدة والصدق وعمل الخير والتعاون والعطف على الضعيف وبإمكاننا أن نقف قليلا مع بعض المجلات المخصصة للطفل والتي تنوّع في مواضيعها، فمجلة الكابتن سمير للصفوف الابتدائية من المجلات الرائعة غنية وثرية فيها عدة اركان:

القصة القصيرة المشوقة، التعرف على الشخصيات تاريخية عربية وعالمية - التعرف على مستحدثات الحضارة - الرسم والتلوين - بريد كابتن سمير - والتعرف على الاصدقاء - ضحكة وابتسامة - سؤال وجواب - نادي الموهوبين - المسابقة، إلى غير ذلك.

ومن القصص المترجمة سلسلة عالم ديزني العجيب، وتتكون هذه المجموعة من مغامرات وقصص مثيرة، من أبطالها: ميكي وبطوط ودامبو وغيرهم من شخصيات والت ديزني العجيبة، صدر منها: كلوب

وثعلوب ـ المطحنة السحرية ، روبين هود وعيد ميلاد الأرنب إسكيبي، بندق راعي بقر، ميكي في بلاد الأقزام.



وكذلك الأمر هو في مجلة سلسلة ثورمان المترجمة[١٢] فالغلاف فيه لوحة ناطقة ومعبرة وجذابة ويتخلل قصة ثورمان المغامر الجبار استراحة بين كل اثنين أو ثلاثة صفحات تقدم فيها مثلا ركن (اضف الى معلوماتك ـ اختبارات الذكاء). الاعلان على قصص أخرى ومغامرات أكس مان وسبيدرمان مثلا: كلام من ذهب (حكم)، نادي العلوم ـ حكايات عربية، كلمات متقاطعة.

وهناك سلسلة دونالدداك القصصية المترجمة منها: دونا الكسول ـ سارق البيتزا ـ مدينة البط ـ سباق الكلاب ـ الأميرة الذهبية.

فالتشخيص هو الأساس في هذه القصص فمثلا قصة دونا الكسول[١٣] الغلاف لوحة مرسومة بالالوان معبرة واللوحات الداخلية كثيرة في أعلى وأسفل الصفحات أو بجوار الكتابة، ويستطيع التلميذ ان يعيد سرد القصة من خلال هذه اللوحات.

فهذه القصة تجعل البط بطلا وتلك تجعل الذئب أو الثعلب أو السلحفاة، وأغلبها تؤكد على أن يكون الأبطال من عالم الحيوان، لأن قصص الأطفال فيها من الرمزية الشيء الكثير ومشكلاتنا كالحرية والوحدة والتعاون تعالج على لسان الحيوان في قصص الأطفال ونادرا ما ترى قصة أبطالها من البشر فهي مناسبة للكاتب يقول ما يشاء، ومالا يستطيع قوله في الواقع.

وهناك بعض القصص الصادرة في لبنان كقصة الحمامة والنملة[١٤] التى تجسد فكرة الاحسان ورد الجميل مع تشخيص النملة التي اسمها وفاء والحمامة اسمها حنان حيث أنقذت الحمامة النملة من الغرق وأنقذت النملة الحمامة من الصياد.

واذا كنت قد ركزت في حديثي عن القصص على اللغة والخط واللوحات المرسومة والموضوع فهذا عن قصد لأن الاخراج الفني للقصص وجمال الغلاف يجذب الطفل الى الكتاب فالغلاف لوحة فنية يحتاج الى جهد ووقت وابداع وهو أكثر فائدة للأطفال والأمر نفسه ينطبق على اللوحات الداخلية التى تقوم بمساعدة الطفل على القراءة لأنها تلخص جملة من المعاني عن طريق الخطوط والألوان وهذه ينبغي وضعها الى جانب الرموز الكتابية والا فقدت تأثيرها في الطفل، واحيانا يطغى التعبير بالرسم على التعبير بالكلمات بحيث تغدو اللوحة العامل الوحيد لفهم القصة وهذا النوع من اللوحات في الكثير من قصصنا مفقودة ومفقود ايضا المضمون، الذي غالبا ما يكون بعيدا عن واقع الطفل، وصورة الغلاف تساعد الطفل على الاحتفاظ بالقصة أو تبادلها أو اهدائها أو شرائها.

فليس كل من دب وهب يكتب قصة للأطفال فتكون هزيلة المحتوى بعيدة الموضوع عن واقعه وتطلعاته، ليس فيها ما يجذب به الطفل اليها. باهظة الثمن، وما انصراف الطفل عن قراءتها الا راجع لهذه الأسباب.

الهوامش:

(١، ٢، ٣) الموقف الأدبي ص ١٥٩، ١٦١، ١٧٤.

(٤، ٥) الموقف الأدبي ع ١٠٤/ ١٥٠ ص ٢١٩، ص ٢٢٢.

(٦) الموقف الأدبي عدد ١٠٤ ـ ١٠٥ ص ١٩٣، ١٩٤.

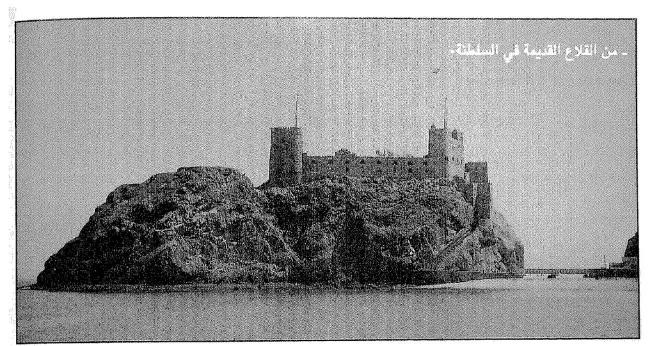
(٧، ٨، ٩، ١٠) نفس المصدر ص ١٩٥، ص ١٩٥، ص ١٩٥، ص ١٦٨/١٦٩.

(١١) روبين هود وعيد ميلاد الأرنب اسكيبي دار المعارف للطباعة.

(١٢) تورمان دار السلام للنشر ، مدينة نصر.

(١٣) دونالد الكسول شركة رشاد برس لبنان.

(١٤) الحمامة والنملة مكتبة الحياة بيروت.



ـ من القلاع القديمة في السلطنة.

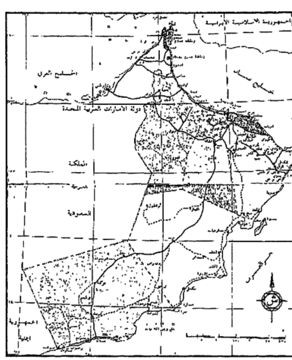
حضارة سلطنة عُمان في كتابات الجـ

شهدت سلطنة عمان حضارات عديدة متتالية منذ عصور ما قبل الاسلام، كما التقت على ارضها عدة حضارات بحكم موقعها الجغرافي الفريد مثل حضارة الشرق القديم في الصين والهند وبلاد ما بين النهرين، فضلا عن الصلات مع حضارات شرق البحر المتوسط ووادي النيل وشمال افريقيا .

كان لعمان أهميتها البالغة في مجال التجارة بحكم موقعها[١] الجغرافي الهام

بقلم: د. عبدالله كامل موسى عبده
قسم الآثار الإسلامية ـ كلية الآداب بقنا ـ مصر

بالنسبة لطرق التجارة القديمة بين العالم ككل، حيث تسيطر على أقدم وأهم الطرق التجارية والبحرية في العالم، وهو الطريق البحرى بين الخليج العربي والمحيط الهندي، ومن هذا الموقع ايضا اتصلت طرق القوافل عبر شبه الجزيرة العربية لتربط ما بين غربها وشرقها وشمالها وجنوبها، وقد لعب هذا الموقع دورا هاما في النواحي الفنية في التأثر والتأثير بين الفن في عمان وبين الفنون الاخرى القديمة والاسلامية، كما كان لهذا الموقع اثره على الجانب الآخر، فيما تعرضت له عبر تاريخها الطويل من مطامع وغزوات وتيارات داخلية كثيرة[٢].



- شكل (١) خريطة لعمان عن وزارة الاعلام العمانية (عمان ٩٥).

وقد ازدهرت صحار[٣] حاضرة عمان قبل الاسلام وبعده ازدهارا عظيما، فقد كانت احدى اسواق العرب السنوية قبل الاسلام، كما كانت مركزا هاما لنسج الثياب الصحارية، وقد انتشرت هذه الثياب في الجزيرة العربية في القرن الاول الهجري/ السابع الميلادي، وكانت تنتج بكميات كبيرة وتصدر الى عدة بلاد منها الحجاز، فقد أورد الواقدى ما نصه «وخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من المدينة يوم الاثنين لهلال ذى القعدة، فاغتسل في بيته ولبس ثوبين من نسج صحار»[٤]، كما اورد ايضا في المغازي وكذلك ابن سعد في الطبقات عند ذكرهما سعد بن معاذ ما نصه «ثم كفن في ثلاثة اثواب صحارية»[٥]، وفي موضع آخر قال ابن سعد «ان النبي {صلى الله عليه وسلم} كفن في ثلاثة اثواب، ثوبين صحاريين وثوب حبرة»[٦].

والواقع ان رحلات الرحالة وكتب الجغرافيين قد افادت عمان افادة كبيرة خلال العصور الوسطى نظرا لما سجله اصحابها عن حضارتها الاسلامية، حيث كان لهذه الرحلات وما ورد في كتب الجغرافيين دور هام وبارز في كشف العديد من أوجه الحياة في عمان جغرافيا، وتاريخيا، ودينيا، وثقافيا، وعمرانيا، وفنيا، حيث توافد عليها في اوقات مختلفة رحالة وجغرافيون سجلوا عنها كل ما عاينوه في كافة نواحى الحياة، فيحدثنا الاصطخرى في النصف الاول من القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادي عن عمان ونخيلها وفواكهها فيقول «وعمان مستقلة بأهلها، وهى كثيرة النخيل والفواكه الجرمية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك»[٧]، وقد امدنا الاصطخرى بمعلومات غاية في الاهمية عن صحار، حيث وصف لنا موقعها ومتاجرها وثراءها وعمارتها فذكر ما نصه «وقصبتها صحار وهى

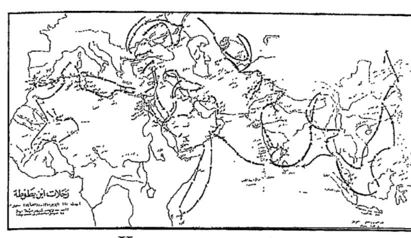
ـرافيين في العصور الوسطى

على البحر، وبها متاجر البحر، وقصد المراكب، وهي أعمر مدينة بعمان واكثرها مالا، ولا تكاد تعرف على شاطيء بحر فارس بجميع بلاد الاسلام مدينة اكثر عمارة ومالا من صحار»[٨].

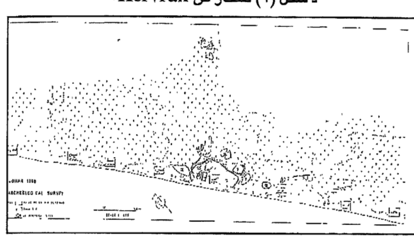
وقد أمدنا الاصطخرى بالفكر الاسلامى الغالب في عمان، كما أمدنا بمعلومات تاريخية هامة تتناول فتح عمان للخليفة العباسى المعتضد.

وتنتمى سلطنة عمان الى المناطق الحارة الجافة، وفي ذلك يذكر الاصطخرى ما نصه «وعمان بلاد حارة جدا، وبلغنى ان بمكان منها بعيد عن البحر ربما وقع ثلج دقيق، ولم أر احدا شاهد ذلك الا بالابلاغ»[٩].

ويتطابق ما اورده ابن حوقل[١٠] في صورة الارض في بداية النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادي مع ما اورده الاصطخرى.



ـ شكل (٢) صحار عن Kervran.

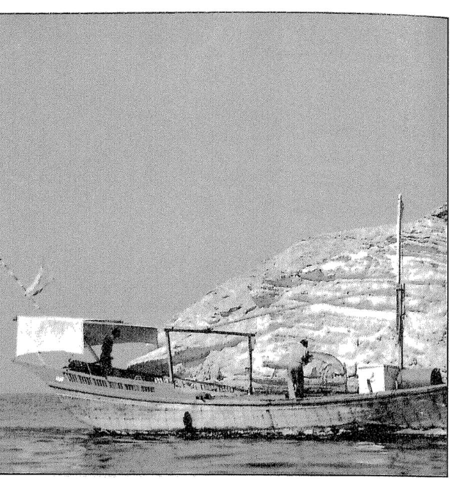

ـ شكل (٣) المواقع الأثرية في صحار عن: Kervran.

ويحدثنا المقدسي في الربع الاخير من القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادي عن عمان مساحتها ونخيلها وبساتينها ومائها فيذكر ما نصه «وعمان كورة جليلة تكون ثمانين فرسخا في مثلها كلها نخيل وبساتين عامة سقياهم من آبار قريبة ينزعها البقر اكثرها في الجبال[١١]. كما امدنا المقدسي بالفكر الدينى السائد في البلاد.

وقد امدنا المقدسي بوصف رائع لحاضرة عمان مدينة صحار فتحدث عن اهميتها وعمارتها وحسنها وخيراتها بما نصه «صحار هي قصبة عمان ليس على بحر الصين اليوم بلد أجل منه عامر، آهل، حسن، طيب، نزه، ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات»[١٢].

ويتضح مما اورده المقدسي ان صحار بلغت درجة عظيمة من الرقى والازدهار بحيث فاقت زبيد وصنعاء، فقد قال عنها «اسرى من زبيد وصنعاء اسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدة على البحر»[١٣]، ولكى نتبين مدى ما وصلت إليه صحار من رقى وازدهار نذكر ما اورده المقدسى عن زبيد وصنعاء، فقد قال عن زبيد «زبيد قصبة تهامة وهو أحد المصرين لانه مستقر ملوك اليمن، بلد جليل حسن البنيان يسمونه بغداد اليمن لهم ادنى ظرف وبه تجار وكبار وعلماء وأدباء مفيد لمن دخله مبارك على من سكنه آبارهم حلوة وحماماتهم نظيفة عليه حصد من الطين باربعة ابواب... وحولها قرى ومزارع»[١٤].

كما أورد عن صنعاء ما نصه «صنعاء هى قصبة نجد اليمن وقد كانت اجل من زبيد واعمر ... بها مشايخ لم أر بجميع اليمن مثلهم هيئة وعقلا ثم بلد رحب كثير الفواكه رخيص الاسعار اخباز حسنة وتجارات مفيدة اكبر من زبيد ولا تسئل عن طيب الهواء فانه عجب»[١٥].



وترد اول اشارة للعمارة الدينية الاسلامية في عمان على لسان المقدسي، حيث ذكر جامع صحار وموقعه من المدينة والاسواق ومحرابه فقال «والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الاسواق ولهم آبار عذيبية وقناة حلوة وهم في سعة من كل شيء دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومفوثة اليمن قد غلب عليها الفرس، المصلى وسط النخيل، ومسجد صحار على نصف فرسخ ثم بركت ناقة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد بنى احسن بناء وهواؤه اطيب هواء من القصبة ومحراب الجامع بلولب يدور تراه مرة اصفر وكرة اخضر وحينا أحمر»[١٩].

واغلب الظن ان منارة الجامع من خلال موقعها وارتفاعها كانت تؤدى وظيفة ابراج المراقبة وارسال الاشارات في اوقات الخطر انذارا باقتراب ما يهدد سلامة المدينة، وهداية من ضل بهم السبيل، حيث ان من وظائف المئذنة أو المنارة اضافة للأذان ارسال الاشارات والمراقبة والهداية، كما هو الحال في رباطي سوسة والمناستير.

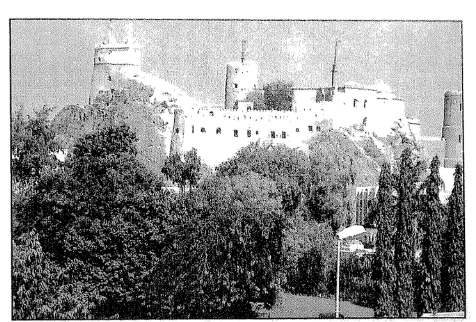
ويدل وصف المقدسي لمحراب الجامع انه كان يزدان بزخارف زجاجية بديعة جاء تصميمها من ثلاثة خطوط تباينت الوانها بين الاصفر والاخضر والاحمر في تكوين زخرفي هندسي رائع.

ويتضح مما ورد على لسان المقدسي من وصف لجامع صحار ودورها ان العمائر الاسلامية في عمان الدينية والمدنية قد شهدت تطورا كبيرا خلال القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادي، حيث انه من المرجح

ـ السلطنة حاضرة البحر.

وقد امدنا المقدسي بمعلومات هامة عن العمارة السكنية في صحار، ومادة البناء التى تستخدم في تشييدها وتميزها بالارتفاع الشاهق، مما يدل على انها كانت تتكون من عدة ادوار، حيث قال «دورهم من الآجر والساج شاهقة نفيسة»[١٦] ودور وقصور صحار كما وصفها المقدسي تبين انها كانت عمائر استحكامية في غالبها فهى اقرب الى الاستحكامات الحربية[١٧] منها الى العمارة السكنية العادية، وقد يكون لوقوعها على البحر اكبر الأثر في ذلك.

اما فيما يتعلق بخشب الساج فانه يعد من اهم الاخشاب التى استخدمت بكثرة في الحضارة الاسلامية، وكان يجلب من الهند والسند والزنج، حيث تفتقر عمان وبقية البلاد العربية انتاج عدة انواع من الاخشاب مثل الساج، والابنوس، والخيزران، والصندل، والنارجيل[١٨].



ـ قلعة الميراني.

انها مرت بعدة مراحل من التطور منذ نشأتها خلال عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهو التطور الذى ارتبط ارتباطا وثيقا بتطور العمارة الاسلامية في العالم الاسلامى عامة والمدينة المنورة[٢٠] وبلاد الشام[٢١] خاصة في عهد الخلفاء الراشدين بدءا من عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ذلك العهد الذى يمثل في اعتقادى مرحلة انتقالية للعمارة الاسلامية انتقلت فيها العمارة من دور التأسيس والبساطة إلى مظهر الفخامة، ومرورا بالعصرين الاموى والعباسي.

وقد زار المقدسي العديد من المدن العمانية فذكر لنا نزوة وموقعها ومادة البناء الرئيسية التى يستخدمها العمانيون في بناء عمائرهم بها، حيث قال «ونزوة في حد الجبال كبيرة بنيانهم طين[٢٢]، كما ذكر جامع نزوة وموقعه من المدينة ومصادر المياه فيها فقال «والجامع وسط السوق ... شربهم من انهار وآبار»[٢٣].

وتتميز مدينة السر التى ذكرها المقدسي بوجود النخيل الا أن مساحتها اقل من نزوة، ويقع جامعها في السوق، وتتفق هذه المدينة ومدينة نزوة في أن شرب اهلها من الانهار والابار، حيث قال المقدسي «والسر أصغر من نزوة والجامع في السوق مشربهم من انهار وآبار قد التفت بها النخيل»[٢٤].

كما وصف لنا مدينة ضنك فقال «وضنك صغيرة في النخيل ابدا بها سلطان قوى لانهم شراة»[٢٥].

وضنك مدينة داخلية في منطقة الظاهرة بالسلطنة عند مصب الفتحة الشديدة الانحدار في سلسلة الحجر الغربي، وهى ما تزال قائمة بها الآبار والنخيل والبساتين.

ومن المدن التى وصفها المقدسى حضيت التى ذكر جامعها وموقعه من المدينة فقال «وحضيت كثيرة النخيل من نحو هجر الجامع في الاسواق»[٢٦]، كما وصف لنا مدينة سلوت فقال «وسلوت مدينة كبيرة على يسار نزوة»[٢٧].

كما ذكر لنا مدينة دبا ومدينة جلفار فقال «وهما من نحو هجر قريبتان من البحر»[٢٨]، ومدينة دبا ميناء على خليج عمان كان يسكنها من ازد عمان العتيك بن الازد.

ومن المدن التى ذكرها المقدسي مدينة سمد التى تقع على الجانب الايسر لوادى سعد في الحجر الشرقى في عمان، وهى واحة تتوفر فيها المياه والمزارع قال عنها المقدسي «وسمد منبر لنزوة»[٢٩]، ويدل وصف المقدسى لها على انها كانت مركزاً إداريا، وهى قائمة محتفظة باسمها القديم الى الآن.

وقد ذكر لنا المقدسى من مدن عمان لسيا، وملح، وبرغم، والقلعة وضنكان[٣٠]، كما وصف لنا مدينة مسقط، وقد حرص على أن يذكر انه رآها فقال «والمسقط أول ما يستقبل المراكب اليمنية ورأيته موضعا حسنا كثير الفواكه»[٣١] ومسقط مدينة تقع على مدخل الخليج تحيطها جبال شاهقة فتأمن السفن فيها من اخطار العواصف واضطرابات البحر، مما

جعلها ميناءا طبيعيا ممتازا، وكانت مسقط من اكثر الموانيء التى اجتذبت العمانيين لركوب البحر.

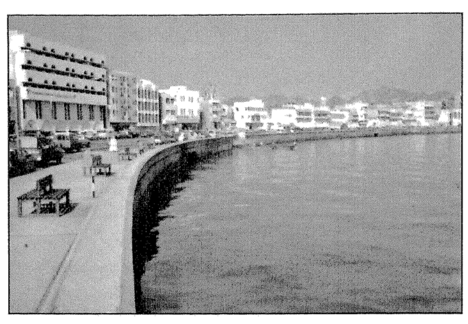
وكانت آخر المدن التى ذكرها المقدسى هى مدينة توأم، حيث قال، وتوأم قد غلب عليها قوم من قريش فيهم بأس وشدة»[٣٢].

وقد اورد ناصر خسرو في النصف الاول من القرن الخامس الهجري/ الحادى عشر الميلادى عند ذكره الحسا عمان فقال «واذا سار المسافر... يبلغ عمان، وهى بلاد العرب، وثلاثة جوانب منها صحراء لا يمكن اجتيازها»[٣٣]، وفي ايجاز شديد ذكر ناصر خسرو عمان مساحتها ومناخها وخشب النارجيل بها فقال «ولاية عمان ثمانون فرسخا في مثلها وهى حارة الجو، ويكثر بها الجوز الهندى المسمى نارجيل»[٣٤].

وقد ذكر البكرى في الممالك والمسالك في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادى عشر الميلادى حاضرة عمان مدينة صحار، حيث اورد ما نصه «وصحار سوق عمان»[٣٥]، وفى موضع آخر ذكرها عند ذكره بلاد عمان فقال «ومنها مدينة صحار وهى مدينة كبيرة على ساحل البحر مقدارها فرسخ في فرسخ، ومياهها من الآبار»[٣٦].

وقد ذكر البكرى من مدن عمان مدينة نزوة، حيث قال «نزوة اعظم مدن عمان»[٣٧]، كما ذكر لنا مدينة مسقط فقال «مسقط وهو مجتمع المراكب التى تخرج من صحار»[٣٨]، كذلك ذكر البكرى من مدن عمان اضافة لما تقدم مدينة ترون، مدينة صحم، مدينة يتجر، وقد وصف لنا مدينة صحم فقال «وهو ايضا في الجبل ماؤها من العيون بها نخل كثير وقصب السكر وبها اشجار يقال لها طلوق»[٣٩].

ويحدثنا الادريسى عن عمان في القرن السادس الهجرى/ الثاني عشر الميلادي عمرانها ونواكهها فيقول «وتتصل بارض مهرة بلاد عمان وهى مجاورة لها في جهة الشمال وبلاد عمان مستقلة بذاتها عامرة بأهلها وهى كثيرة النخيل والفواكه الجرمية من الموز والرمان والتين والعنب ونحو ذلك»[٤٠].



ـ سلطنة عمان فى زيها الحديث.

ويذكر لنا من بلاد عمان مدينتين لم يرد ذكرهما في احسن التقاسيم هما صور وقلهات، وهما مدينتان عامرتان، يصطاد بهما اللؤلؤ، فقد اورد ما نصه «ومن بلاد عمان مدينتان صور وقلهات وهما على ضفة البحر الملح الفارسي، وهما مدينتان صغيرتان لكنهما عامرتان وشربهما من الآبار ويصطاد بهاتين المدينتين اللؤلؤ قليلا وبين صور وقلهات مرحلة كبيرة في البر وفي البحر دون ذلك»[٤١].

وصور مدينة ساحلية، وهى الآن ميناء منطقة جعلان ومعظم المنطقة الشرقية من عمان، وبها تصنع السفن، اما مدينة قلهات فقد سكنها من ازد عمان مالك بن فهم بن اوس، ويدل ما اورده الادريسي عنها انها قد ازدهرت في القرن السادس الهجري/ الثانى عشر الميلادى، فهى ميناء يقع على مدخل الخليج العمانى متميزا بموقع حصين، وقد جاء ازدهار قلهات في فترة لاحقة لعهد الادريسى بعد تدهور حاضرة عمان مدينة صحار.

وقد وصف لنا الادريسي قرية دما التى بها مغاص اللؤلؤ، وهى قرية لم يرد ذكرها في احسن التقاسيم فذكر ما نصه «ومن قلهات على الساحل الى مدينة صحار مائتا ميل ويقرب منها على الساحل قرية دما وهى قرية يكون في الشتاء عامرها قليل ومعايشها كاسدة وتصرف اهلها قليل، واما في الصيف فانها تكون كالمدينة العامرة لأن بها مغاص اللؤلؤ الجيد جدا وهى مشهورة بجيد اللؤلؤ المستخرج بها»[٤٢].

كما امدنا بوصف رائع لحاضرة عمان مدينة صحار فذكر موقعها وثراءها ووفود التجار عليها فقال «ومن مسقط الى صحار وهما مدينتا عمان اربع مائة وخمسون ميلا لا ساكن بها ومدينة صحار على ضفة البحر الفارسى وهى اقدم مدن عمان واكثرها أموالا قديما وحديثا ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد مالا يحصى عددهم واليها يجلب جميع بضائع اليمن ويتجهز منها بانواع التجارات»[٤٣].

كما اعطانا الادريسي وصفا رائعا لثراء اهل صحار ونخيلها وفواكهها فقال «واحوال اهلها واسعة ومتاجرهم مربحة وبها نخل كثير ومن الفواكه الموز والرمان والسفرجل وكثير من الثمار العجيبة الطيبة وكان في القديم من الزمان تسافر منها مراكب الصين فانقطع ذلك»[٤٤].

وذكر الادريسي قريتين بمدينة نزوة لم يرد ذكرهما في احسن التقاسيم وهما سعال والعفر، حيث ورد ما نصه «ويقابل صحار في البرية على مسير يومين بلدان متصلان بينهما واد يسمى وادى الفلح واسم احد البلدين سعال والآخر العفر وهما مدينتان صغيرتان عامرتان بهما نخل كثير ومزارع وحدائق نخل وتمر وهما متقاربتان في القدر وشربهما من نهر الفلح وتسمى الارض التى هما فيها نزوة»[٤٥].

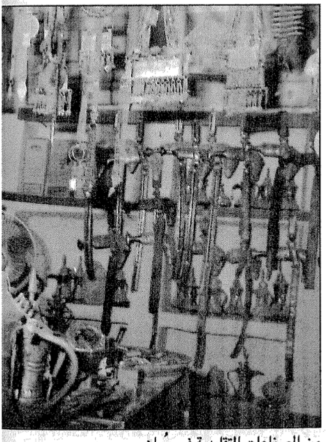
ومن المدن التى ذكرها الادريسى وتتصل بهاتين المدينتين ولم يرد ذكرها في احسن التقاسيم مدينة منح، حيث اورد ما نصه «وهى مدينة صغيرة في اسفل جبل يسمى شرم بها نخيل وعيون ماء، وهى على ضفة نهر الفلح ومن منح لى سر عمان مرحلتان»[٤٦].

وقد وصف لنا الادريسي نهر الفلح فقال «وهو نهر كبير عليه قرى وعمارات متصلة الى ان يصب في البحر بمقربة قرية جلفارة»[٤٧].

اما فيما يتعلق بحدود عمان ومناخها فقد قال «وفيما يقال ان حدود بلاد عمان دورا تكون تسع مائة ميل وهى بالجملة بلاد حارة ويذكر بأن جبل شرم ينزل باعلاه ثلج قليل»[٤٨].

ويحدثنا ياقوت الحموى عن نزوة في القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى فيقول «يعمل فيها صنف من الثياب منمقة بالحرير جيدة فائقة لا يعمل فى شيء من بلاد العرب مثلها ومآذر من ذلك الصنف يبالغ في اثمانها رأيت منها واستحسنتها»[٤٩]، وهو الأمر الذى يتضح في ضوئه أن نزوة كانت مركزا هاما لنسج الثياب.

وقد وصف لنا ياقوت من مدن عمان مدينة صحار، حيث قال «وقصبة عمان صحار»[٥٠]، وفي موضع آخر ذكر ازدهار كافة احوالها ومادة البناء المستخدمة في تشييد عمائرها فقال «وصحار مدينة

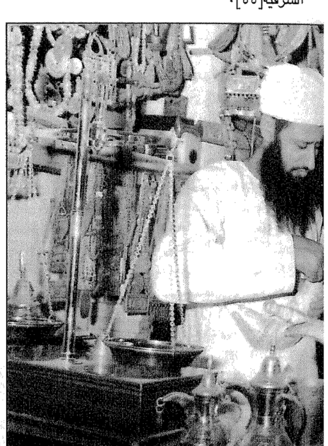


من الصناعات التقليدية في عُمان

طيبة الهواء والخيرات والفواكه مبنية بالآجر والساج ليس في تلك النواحي مثلها»[٥١].

وقد وصف لنا ياقوت مدينة دبا فقال «سوق من اسواق العرب بعمان»[٥٢]، كما ذكر جلفار فقال «بلد بعمان عامر كثير الغنم والجبن والسمن يجلب منها الى ما يجاورها من البلدان»[٥٣].

وذكر ياقوت لنا من مدن عمان مدينة مسقط[٥٤] فقال «ومسقط ايضا مدينة من نواحى عمان في آخر حدودها مما يلى اليمن على ساحل البحر»، وقد كان يحيط بمدينة مسقط منذ العصور الوسطى اسوار وكتل كبيرة من الصخور الطبيعية، الا أن تلك الاسوار قد تهدمت فاعيد بناؤها على ما هى عليه الآن فيما بين عامى ١٠٣٣ - ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٣ - ١٦٢٦م، وتعد هذه الاسوار بمثابة خط الدفاع لتحصين المدينة، وتحيط اسوار مسقط بالجانبين الغربي والجنوبي، اما الجانب الشمالى والشرقى فهما على خليج مسقط والجبال الشرقية[٥٥].



وقد ذكر ياقوت من مدن عمان مدينة نبعة[٥٦]، ومدينة سمائم[٥٧]، ومدينة قلهات التى قال عنها «وهى مدينة بعمان على ساحل البحر اليها ترفأ سفن الهند وهى الآن فرضة تلك البلاد وامثل اعمال عمان عامرة اهلة وليست بالقديمة في العمارة ولا اظنها تمصرت الا بعد الخمسمائة»[٥٨].

وقد ذكر ياقوت الحموى من مدن عمان مدينة شبا[٥٩]، ومدينة خورفكان[٦٠].

ويحدثنا الرحالة ابن بطوطة عن عمان في النصف الاول وبداية النصف الثاني من القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى فيذكر «ثم وصلنا بلاد عمان في اليوم السابع وهى خصبة ذات انهار واشجار وبساتين وحدائق ونخل وفاكهة كثيرة مختلفة الاجناس»[٦١].

وقد أمدنا ابن بطوطة بمعلومات غاية في الاهمية عن حاضرة عمان في عهده، وهى مدينة نزوى فوصف لنا موقعها وبساتينها وانهارها واسواقها، حيث قال «ووصلنا الى قاعدة هذه البلاد، وهى مدينة نزوا، مدينة في سفح جبل تحف بها البساتين والانهار، ولها اسواق حسنة»[٦٢]، كما اشار الى ازدهار العمارة الدينية في نزوا، حيث قال «ومساجد معظمة نقية»[٦٣].

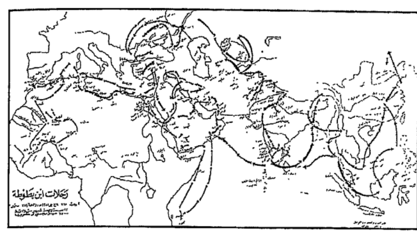
وقد ذكر لنا ان صحون المساجد في نزوا كانت تستخدم لتناول الطعام، حيث انها عادة عند اهل نزوا فقال «وعادة اهلها انهم يأكلون في صحون المساجد، يأتى كل انسان بما عنده ويجتمعون للأكل في صحن المسجد، ويأتى معهم الوارد والصادر»[٦٤].

وقد اورد ابن بطوطة عدة مدن عمانية، حيث ذكر مدينة زكى، وقد حرص على ذكر انه لم يرها حيث قال «من مدن عمان مدينة زكى لم ادخلها وهى على ما ذكر لى مدينة عظيمة»[٦٥].

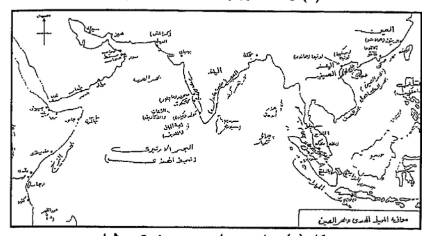
كما ذكر لنا من مدن عمان القريات، وشبا، وكلبا، وخورفكان، وصحار وقال عنها «وكلها ذات انهار وحدائق واشجار ونخل واكثر هذه البلاد في عمالة هرمز»[٦٦]، كما اورد ابن بطوطة منذ رحيله من ظفار الى وصوله عمان عدة مدن عمانية منها مسقط التى

قال عنها «وهى بلدة صغيرة بها السمك الكثير المعروف بقلب الماس»[٦٧]، ثم ذكر مرسى القريات ، ومرسى شبة، ومرسى كلبة، وقلهات.

والواقع ان العمانيين ساهموا من خلال نشاطهم التجارى والبحرى الكبير بدور بارز في نشر الاسلام والحضارة الاسلامية في الموانيء الاسيوية الهندية والصينية، وفي كثير من مناطق الساحل الشرقى لافريقيا ومناطق وسط افريقيا، وقد لاحظ ابن بطوطة وجود عرب من العمانيين على سواحل الهند يتولون مناصب هامة، فقد اورد ما نصه «فندرينا مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين واسواق، وبها للمسلمين ثلاث محلات، وفي كل محلة مسجد والجامع بها على الساحل، وهو عجيب له مناظر ومجالس على البحر، وقاضيها وخطيبها رجل من اهل عمان، وله اخ فاضل، وبهذه البلدة تشتو مراكب الصين، ثم سافرنا منها الى مدينة قالقوط، وهى أحد البنادر العظام ببلاد المالبيار ويقصدها اهل الصين والجاوة وسيلان والمهل، واهل اليمن وفارس، ويجتمع بها تجار الافاق، ومرساها من اعظم مراسى الدنيا»[٦٨].



ـ شكل (٤) رحلات ابن بطوطة عن د. حسين مؤنس.


ـ شكل (٥) موانيء عمان عن د. شوقي عثمان.

الهوامش والتعليقات:

(١) د. عبد الرحمن عبد الكريم العانى: عمان في العصور الاسلامية الاولى ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة والتجارة الاسلامية، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ٢٤ ـ ٣١، د. عائشة على السيار: دولة اليعاربة في عمان وشرق افريقية من ١٦٢٤ ـ ١٧٤١م، مخطوط رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس ١٩٧٣م، ص ٨٠، وزارة الاعلام: عمان (٩٥)، سلطنة عمان، مسقط ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ٤٥ ـ ٦٠.

(٢) د. شوقى عبد القوى عثمان: تجارة المحيط الهندى في عصر السيادة الاسلامية (٤١ ـ ٩٠٤هـ/ ٦٦١ ـ ١٤٩٨م) سلسلة عالم المعرفة، ١٥١، الكويت، ذو الحجة ١٤١٠هـ/ يوليو ـ تموز ١٩٩٠م، ص ١٧٦، وزارة الاعلام: عمان (٩٤)، سلطنة عمان، مسقط ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ٣٥ ـ ٣٦.

(٣) كانت صحار مركزا تجاريا هاما قبل الاسلام، حيث كان بها تجارات واسعة تجلب الى مختلف اقطار الجزيرة العربية، يجتمع في سوقها تجار الحبشة والهند والصين وفارس، وهى اليوم من اهم مدن ولايات منطقة الباطنة.

سعيد الافغاني: اسواق العرب في الجاهلية والاسلام، المطبعة الهاشمية بدمشق، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، ص ١٨٢ ـ ١٩٠، ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

DAvid Nicolle: Ar ms Manufacture and the Arms Trade in South Eastern Arabia in the Early Muslim Period (The Journal of oman studies), Vol.6, Part.2, The Ministry of National Heritage and Culture, Sultanate of Oman, 1983, P.236.

(٤) الواقدى (محمد بن عمر) ت ٢٠٧هـ: المغازى، تحقيق

د. مارسدن جونس، مطبعة جامعة اكسفورد، ١٩٦٥م، ص ٥٧٣.

(٥) الواقدي: المصدر السابق، جـ٢، ص ٥٢٧، ابن سعد (محمد) ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م:" الطبقات الكبرى، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، مج٣ ، ص ٤٣٢.

(٦) ابن سعد: المصدر السابق، مج٢، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٧) الاصطخري: المسالك والممالك، تحقيق د. محمد جابر عبد العال، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة ١٣٨١هـ/ ١٩٧١م، ص ٢٧.

(٨) المصدر نفسه ص ٢٧.

(٩) الاصطخري: المصدر السابق ص ٢٧.

(١٠) ابن حوقل: صورة الارض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ق١، ص ٤٤ ـ ٤٥.

(١١) المقدسي: احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٩٣.

(١٢) نفسه ، ص ٩٢.

(١٣) نفسه ، ص ٩٢.

(١٤) نفسه، ص ٨٤ ـ ٨٥.

(١٥) نفسه ، ص ٨٦.

(١٦) نفسه، ص ٩٢. انظر عن دور صحار في القرن التاسع عشر.

M. Kervran, C.Le Cour - Grandmaison.M Soubeyran and A. Vialattede Pemille: Suhari Houses, (The Journal of OMan Studies) Vol.6, Part.2, P.307, Figutes I - 7.

(١٧) د. سعاد ماهر محمد: العمارة الاسلامية على مر العصور، دار البيان العربي، جـ٢، ص ٧٩١ ـ ٧٩٥.

(١٨) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، جـ ٢، ص ٠٩، د. عبد الرحمن عبد الكريم: المرجع السابق، ص ١٦٠ ـ ١٦٤.

(١٩) المقدسي: المصدر السابق، ص ٩٢ ـ ٩٣.

(٢٠) اغلب الظن انه في عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه تكامل الشكل النهائي لتخطيط المسجد النبوي بالمدينة المنورة، ومن ثم فقد صار نموذجا اهتدى به المسلمون وساروا عليه في تخطيط المساجد في العالم الاسلامي كله من المشرق الى المغرب، فقد ازدهر المسجد في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ازدهارا كبيرا د. فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الاسلامية (عصر الولاة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م، ص ٦٧ ـ ٦٨، د. عبد الله كامل موسى عبده: تطور المئذنة المصرية من الفتح العربي وحتى نهاية العصر المملوكي ـ دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الاسلامي، مخطوط رسالة دكتوراه كلية الآثار ـ جامعة القاهرة ١٩٩٤م، ص ٧٠ ـ ٧٣.

(٢١) يمكن القول ان العمارة الدينية في بلاد الشام في عهد الخليفة عثمان بن عفان قد شهدت هي الاخرى ازدهارا كبيرا، حيث رغب معاوية بن ابى سفيان خلال ولايته على الشام في عام ٢١هـ/٦٤١م في تطوير عمارة المساجد واخراجها من بساطتها الى مظهر الفخامة فاذن له الخليفة عثمان بن عفان.

محمد كرد علي: خطط الشام، المطبعة الحديثة بدمشق ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٥م، جـ ٦، ص ٤٥ ـ ٤٦.

(٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢) المقدسي: المصدر السابق، ص ٩٣.

(٣٣، ٣٤) ناصر خسرو: سفرنامة، ترجمة د. يحي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م، ص ١٦١.

(٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩) البكري: الممالك والمسالك، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية غير مرقم الصفحات.

(٤٠) الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، المجلد الاول ص ١٥٥.

(٤١) المصدر نفسه، مج ١، ص ١٥٥.

(٤٢، ٤٣) نفسه، مج ١، ص ١٥٦.

(٤٤، ٤٥) نفسه، مج ١، ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٤٦، ٤٧، ٤٨) نفسه، مج ١، ص ١٥٨.

(٤٩) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٤ ، ص ٧٧٦.

(٥٠، ٥١) المصدر نفسه ، مج ٣، ص ٣٦٩.

(٥٢) نفسه، مج ٢، ص ٥٤٣ ـ ٥٤٤.

(٥٣) نفسه ، مج ٢، ص ١٠٤.

(٥٤) نفسه، مج ٤، ص ٥٢٩.

(٥٥) د. سعاد ماهر: المرجع السابق، جـ٢، ص ٨٨٠ ـ ٨٩٠.

(٥٦) ياقوت: المصدر السابق، مج ٥، ص ٢٥٨.

(٥٧) المصدر نفسه، مج ٣، ص ٤٩.

(٥٨) نفسه، مج ٤، ص ٣٩٣.

(٥٩) نفسه، مج٣، ص ٢٤٧.

(٦٠) نفسه، مج ٢، ص ٤٨٩.

(٦١) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ٢٦٢.

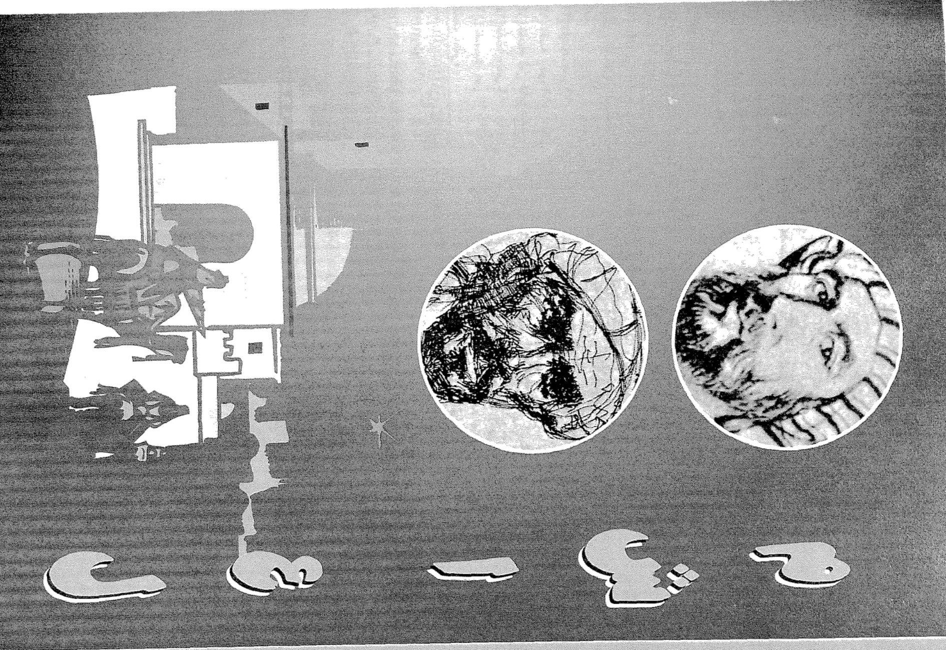
(٦٢، ٦٣، ٦٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٢.

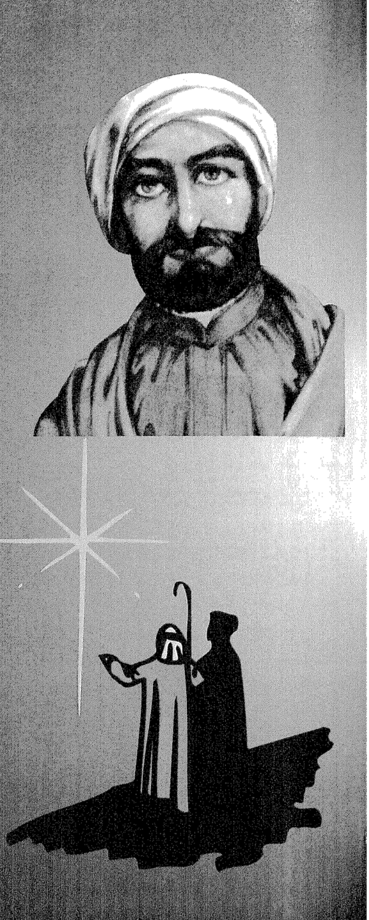
(٦٥، ٦٦) نفسه ، ص ٢٦٣.

(٦٧) نفسه ، ٦٣٦.

(٦٨) نفسه ، ٥٥٣.

مشاعل





علمـــاء المسلمين في عصورهم المتلاحقة، خدموا هذا الدين بجد واخـلاص ومثـابرة.. بل، وخـدمـوا الانسانية جمعاء بما كتبوا وألفوا ودونوا في جميع العلوم. بل في جمـيع ميادين العطاء الانساني.

وفي كل ذلك كـان لهم سبـقـهم التاريخي والموضوعي فيمـا ذهبوا اليه. وهذا ما جعل منصفي المستشرقين، والدارسين الأثبات من أهل الغـرب يشـيـدون بعطاء علمـاء المسلمين، بل يمجدونه.. بل ذهب الاثبات منهم الى ان أوروبا قد أفادت كثيراً من علم علماء المسلمين، في الطب والعلوم والفلك، في التـاريخ وعلم الاجـتـمـاع والفلسفة، في الادب والفكر. بل أفادوا من علماء المسلمين في أسلوبهم المميز في البحث والتقصي، وتوثيق المعلومة أو الخبر.

وعلماء بهذا القدر من المعرفة، وبهذا القدر من الجد والتفاني والاخلاص في الدرس والتمحيص، كـان جـديراً بنا نحن أبناء المسلمين، بل أحـفـاد أولئك الافـذاذ أن نكون على نهجهم، وإن كنا على شيء من ذلك، ما بلغ بنا الأمر ما نحن فيه الآن من جهل وتجهيل.

في هذا الملف الخاص (مشاعل) تنشر المنهل مجموعة من أعلام المسلمين ـ كنماذج ـ كان لها عطاؤها المتميز والتفرد في مجالات عطائها ـ وكم كانت الموسوعية سمتهم وطابعهم. نجد فيهم الصحابي الجليل الذي حسنت صحبته لسيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم).. ونجد فيهم عـالم التـفسـيـر، والحديث والفقـه، وعـالم اللغة والأدب.. ونجد فيهم الشاعر المبرز، وعالم الطب والفلك والجراحة، ونجد عالم التاريخ والجغرافيا والرحلات.

وهذا (الملف الخـاص) يمثل نماذج لعلمـائنا الابرار الذين أناروا الدنيا بعلمهم، وأفاد منهم من عرفوا قيمة العلم والعلماء.

ـ المنهل ـ

محمد بن مسلمة الأنصاري

(٣٥ ق٠هـ - ٤٣هـ/ ٥٨٩ - ٦٦٣م)[١]

بقلم: د. مولود بن مصطفى كونكور

اسمه: محمد، وهو اكبر من اسمه محمد من الصحابة[٢]، ولم تكن العرب لتسمى محمدا قبل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلا نادرا.

نسبه من جهة أبيه: محمد بن مسلمة بن مسلمة بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس[٣].

نسبه من جهة أمه: أم سهيم خليدة بنت أبي عبيد بن وهب بن لوذان بن ساعدة[٤].

كنيته: شهر بأبى عبد الرحمن، كما شهر ايضا بأبى عبد الله[٥]، وكما قيل فيه: «أبو سعيد»[٦].

لقبه: كان يلقب بفارس رسول الله {صلى الله عليه وسلم}[٧]، كما يلقب بفارس نبي الله[٨].

مولده: قال صاحب الأعلام: «ولد محمد بن مسلمة لخمس وثلاثين سنة خلت قبل الهجرة المحمدية الموافق لتسع وثمانين وخمس مائة ميلادية»[٩]. اما صاحب الاصابة يروى أنه ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة وكذلك يروى الواقدي[١٠].

صفاته: اختلفت روايات المؤرخين في صفات محمد بن مسلمة من الناحية الخلقية فمنهم من قال كان ابن مسلمة اسمر شديد السمرة طويلا اصلع[١١]. ومنهم من قال كان رجلا أسود طويلا عظيما وكان معتدلا أصلع[١٢]، والروايات الأخرى إما أن تزيد صفة أو تنقص صفة أو تبالغ في إحدى الصفات المذكورة.

أهله: وكان لمحمد بن مسلمة من الولد عشرة نفر وست بنات ومنهم: عبد الرحمن وبه كان يكنى، وأم عيسى وأم الحارث وأمهم: أم عمرو بنت سلامة بن وقش بن زغبة بن زعواء بن عبد الأشهل وهي اخت سلمة بن سلامة. وعبد الله وأم أحمد وأمهما: عمرة بنت مسعود بن أوس بن مالك بن سوداء بن ظفر وهو كعب بن الخزرج بن ضمضم من بنى مرة بن عوف من قيس عيلان. وعمرو وأمه زهراء بنت عمار بن معمر من بنى مرة ثم من بنى خصيلة من قيس عيلان. وأنس وعمرة وأمهما من الاطبا بطن من بطون كلب. وقيس وزيد ومحمد وأمهم: أم ولد. ومحمود لا عقب له وحفصة وأمهما أم ولد[١٣].

وصحب النبي {صلى الله عليه وسلم} من أبنائه: جعفر وعبد الله وسعد وعبد الرحمن وعمر[١٤].

إسلامه: لم يكن محمد بن مسلمة من المتخاذلين على دعوة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بل كان من السابقين الى تلبيته فأسلم على يد مصعب بن عمير وذلك قبل اسلام سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير[١٥] فحسن اسلامه وأبلى البلاء الحسن في رفع راية الاسلام وبذل كل ما في طاقته لنصرة هذا الدين الحنيف. ولقد آخى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح[١٦].

عمله في أيام رسول الله {صلى الله عليه وسلم}:

لم يكن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليطلب

من اصحابه طلبا إلا ويكون محمد بن مسلمة أول من يجيب لتلبية طلبه وتحقيق رغبته. ولقد شارك محمد بن مسلمة في كل الغزوات والسرايا ما خلا تبوك. فإن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} استخلفه على المدينة حين خرج الى تبوك[١٧]. ويقول ابن مسلمة هو شخصيا محدثا بنيه: «يا بنيَّ سلونى عن مشاهد النبي عليه السلام ومواطنه. فإني لم اتخلف عنه في غزوة قط إلا واحدة في تبوك خلفني على المدينة. وسلونى عن سراياه {صلى الله عليه وسلم} فإنه ليس منها سرية تخفى عليَّ إما أن أكون فيها أو أن أعلمها حين خرجت»[٨].

قتله كعب بن الأشرف:

كان كعب بن الأشرف من المعاندين لرسالة محمد {صلى الله عليه وسلم}. وكان من كبار اليهود الذين يقفون الى صف المشركين وكان شاعرا فرثى من قُتلَ ببدر من قريش وشبب بنساء المسلمين وحرّضهم على المؤمنين. فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «من لي من ابن الأشرف؟» فقال محمد بن مسلمة الأنصاري على الفور: «أنا لك به يارسول الله، أنا أقتله» فقال {صلى الله عليه وسلم}: «فافعل إن قدرت على ذلك» فقتله محمد بن مسلمة مع عدد من اصحابه حسب حيله مدروسة، وبذلك تخلص المؤمنون من هذا العدو الماكر.

محمد بن مسلمة رسول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في اجلاء بنى النضير:

بعد غزوة أحد قرر بنو النضير من يهود اغتيال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فاخبر الله عز وجل رسوله {صلى الله عليه وسلم} عن تآمر اليهود بقتله، فأرسل {صلى الله عليه وسلم} يطلب محمد بن مسلمة وقال له: «اذهب الى يهود فقل لهم أخرجوا من بلادى فلا تساكنوني وقد هممتم بما هممتم به من الغدر»، فذهب لهم ابن مسلمة وأخبرهم بما أمره الرسول {صلى الله عليه وسلم} فكان جوابهم: «يا محمد ما كنا نظن أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس» فقال محمد: «تغيرت القلوب ومحا الإسلام العهود»[١٩]، وتم اجلاء بنى النضير عن المدينة بعد محاصرتهم وقطع نخيلهم.

تولى محمد بن مسلمة قيادة الحرس النبوي:

وتولى ابن مسلمة رئاسة الحرس النبوي في غزوة بنى قريظة، وذلك بأمر من الرسول {صلى الله عليه وسلم} بعد أن أصيب سيد الأنصار سعد بن معاذ في غزوة الاحزاب. ولا شك فان اختيار الرسول {صلى الله عليه وسلم} هذا ليدل على مدى مكانته عنده وثقته بشجاعته.

محمد بن مسلمة على رأس عدة سرايا:

وكانت إذا انطلقت سرية من السرايا الى جهة من الجهات ولم يكن الرسول {صلى الله عليه وسلم} فيها كان يختار لقيادتها من المعروفين بالشجاعة والمشهورين بالقدرة العسكرية، ولقد أعطى النبي {صلى الله عليه وسلم} الى محمد بن مسلمة قيادة عدد من هذه السرايا التي خرجت تقاتل لإعلاء كلمة الله.

وفي بداية السنة السادسة للهجرة ارسله الرسول {صلى الله عليه وسلم} في رأس ثلاثين راكبا لشن غارة على بنى بكر بن كلاب فقتل منهم عشرة اشخاص وفر الباقون وعاد ابن مسلمة بسريته دون أن يصاب أحد منهم بشيء بأذى.

وفي السنة نفسها في شهر ربيع الأول ارسله الرسول {صلى الله عليه وسلم} في عشرة فوارس الى

ذى القصة وذلك لتأديب اهلها من بنى ثعلبة، الا أن الخبر وصل الى أعداء المسلمين فتربصوا بهم حتى نام أميرهم ابن مسلمة واصحابه فظهروا عليهم فقتل اصحابه جميعا ونجا هو وحده جريحا فرجع الى المدينة وأخبر الرسول {صلى الله عليه وسلم} بما حدث[٢٠].

وفي السنة السابعة سار الرسول {صلى الله عليه وسلم} الى عمرة القضاء وسارت امامه كتيبة الفرسان فكان عدد الخيل مائة فرس وعين الرسول {صلى الله عليه وسلم} عليها بطلنا محمد بن مسلمة ولقد ادى المهمة على ما يرام[٢١].

وفي سنة عشرة للهجرة بعثه النبي {صلى الله عليه وسلم} الى القُرطاء في سرية تناهز الثلاثين راكبا من اصحاب رسول الله وكانت نتيجة ذلك ان غنم ورجع الى المدينة سالما[٢٢].

قتله مرحب اليهودي:

ولما كانت غزوة خيبر خرج مرحب اليهودي مدججا بالسلاح راجزا في ساحة الميدان طالبا المبارزة فالتفت رسول الله الى اصحابه وقال: «من لهذا؟» فقام محمد بن مسلمة وقال: «أنا له يارسول الله، أنا والله الموتور الثائر قتلوا أخي بالأمس». قال رسول الله: فقم اليه، اللهم أعنه عليه». وتقدم محمد بن مسلمة الى عدو الله وجالا. وكانت حملة مرحب هي الأولى فوقع سيفه، فما كان من محمد الا أن قضى عليه بسيفه وضربه حتى قتله[٢٣].

وهكذا استمر محمد بن مسلمة طيلة حياة رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، يدافع عن الاسلام ويحمل لواءه ويحرس الرسول {صلى الله عليه وسلم} وتوفى نبى الله {صلى الله عليه وسلم} وهو راض عنه.

عمله في عهد عمر رضي الله عنه:

لم يذكر المؤرخون واصحاب السير والطبقات اعمالا لمحمد بن مسلمة في عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه. ومما لا شك فيه أنه شارك في الحروب للقضاء على الردة وغيرها وكان معه كما كان مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

أما اعماله في عهد عمر رضي الله عنه فكانت تتمثل في «صاحب العمال» مثل «المفتش العام» اليوم. وقد استعمله عمر ايضا على الصدقات ونذكر هنا مثلا ارساله لتفقد سيرة سعد بن أبى وقاص عامل العراق آنذاك وذلك لمرتين[٢٤]، والى جهينة لجمع الصدقات(٢٥) وكما ارسله الى مصر ليقاسم مال عمرو بن العاص[٢٦].

عمله في عهد عثمان رضي الله عنه:

ولقد أقر عثمان رضى الله عنه محمدا في منصبه مفتشا عاما لعمال الخلافة الاسلامية، قد ارسله الى الكوفة متفقدا يأتى بخبرهم، وذلك في سنة خمس وثلاثين للهجرة[٢٧]. كما قام بدور الوساطة هو وعلي رضي الله عنهما بين الوفود الثائرة على عثمان، ونجحا في اقناع الثائرين، فعادوا الى امصارهم مطمئنين، غير ان حيلة ابن سبأ في ارسال كتاب مزور عن الخليفة عثمان سبب عودة الوفود الثائرة الى المدينة فاعترضهم محمد بن مسلمة عن سبب رجوعهم وهم من اقطار متشتتة وكيفية اعلامهم وهم جماعات متفرقة وأكد لهم براءة عثمان من الكتاب المزعوم[٢٨].

وما أن حلت سنة خمس وثلاثين للهجرة حتى تأججت نار المتجردين على عثمان رضي الله عنه ولم تنته الا بشهادته. وبقيت المدينة المنورة في نوع من الفوضى وبعد ايام وقعت بيعة علي رضي الله عنه وبايعه المسلمون الا سبعة من الصحابة ومنهم محمد بن مسلمة[٢٩]، وكان لهم اجتهادهم وهم لم يطعنوا في امامته ولم يتكلموا عنه بسوء وهم اعلم الناس بمكانته عند رسول الله وخدمته في الاسلام.

ولم يشارك محمد بن مسلمة في الحروب بين المسلمين واعـتـزل المدينة وسكن الربذة واعـتـصـم بفـسـطاط مضروب له هناك[٣٠].

وفاته:

أما وفاته فقد مات شهيدا في المدينة المنورة، أما سنة وفاته فقد اختلفت فيها الرواة فمنهم من قال سنة ٤٢، ومنهم من قـال ٤٣ ومنهم من قـال ٤٦ ومنهم من قال ٤٧ للهجرة[٣١]. أما الشـهر فكان صـفر عند كلّ مؤرخ من هؤلاء وعمره فهو متفق عليه حيث عاش سبعا وسـبـعين سنة وقـد صلى عليـه مـروان بن الحكم وهو يومئذ كان اميرا على المدينة[٣٢].

رحم الله هذا الرجل الذى نذر حـيـاته لطاعـة الله ورسوله فـغزا وانتـصر حتى قيل «فـارس رسـول الله» وخـدم باخـلاص الدولة الاسـلامـيـة الجـديدة في حـيـاة الرسول {صلى الله عليه وسلم} ومن بعده، فالتحق بربه وترك لنا تأريـخـا حـافلا بالبطولات والتفانى في خـدمـة الاسلام والمسلمين واننا لنرجو أن يكون هذا الصحابي الجليل قدوة لشباب الاسلام.

الهوامش:

(١) الأعلام لخير الدين الزركلي ٣١٧/٧.
(٢) تقريب التهذيب للعسقلاني ٣٠٨/٣.
(٣) كتـاب الطبـقـات لخليـفـة بن خيـاط، تحـقيق: اكرم ضياء العمري ٨٠/١.
(٤) كتـاب الطبـقـات لخليـفـة بن خيـاط، تحـقيق: سـهل زكار ١٨٥/١.
(٥) تجريد اسماء الصحابة للذهبي ٦١/٢.
(٦) الإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني ٣١٣/٣.
(٧) المعارف لابن قتيبة ٣٦٦.
(٨) الطبقات الكبير لابن سعد ١٨/٣.
(٩) الاعلام ٣١٨/٧.
(١٠) الإصابة في تمييز الصحابة ٣٨٣/٣.
(١١) أسُدُ الغـابة في مـعـرفـة الصحابة ٣٣١/٤.
(١٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٨/٣.
(١٣) المصدر السابق.
(١٤) الإصـابة في تمـيـيـز الصـحـابة للعـسـقـلاني ٣٨٣/٣.
(١٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٨/٣.
(١٦) الاصابة في تمييز الصحابة ٣٨٣/٣.
(١٧) الطبقات الكبرى ١٨/٣.
(١٨) المصدر السابق.
(١٩) تاريخ الرسل والملوك للطبرى ١٤٥٠/٣.
(٢٠) المصـــدر الســـابق ١٥٥٤/٣، الكامل ٢٠٧/٢، الطبقات الكبرى ١٨/٣.
(٢١) تاريخ الرسل والملوك ١٥٩٦/٣ ـ ١٥٩٧.
(٢٢) الطبقات الكبرى ١٨/٣.
(٢٣) تاريخ الرسل والملوك ١٥٧٧/٣ ـ ١٥٧٨، الكامل ٣١٦/٢.
(٢٤) المصـدر السـابق ٢٤٦٣/٥، ٢٦٠٦/٥، الكامل ٥٣٩/٢، ٦٢٥/٣.
(٢٥) اسد الغابة ٣٣٠/٤.
(٢٦) الاستيعاب في معرفة الاصحاب ١٣٧٧/٣.
(٢٧) تـاريـخ الـرسـل والمـلـوك ٢٩٤٣/٦، الـكـامـل ١٥٤/٣.
(٢٨) تـاريـخ الـرسـل والمـلـوك ٢٩٧١/٦، الـكـامـل ١٥٥٠/٤.
(٢٩) تاريخ الرسل والملوك ٣٠٧٠/٦ و٣٠٧٢، الكامل ١٩١/٣.
(٣٠) الطبقات الكبير ١٩/٣.
(٣١) تهذيب التهذيب للعسقلاني ٤٥٤/٩.
(٣٢) الاستيعاب ١٣٧٧/٣.

قيس بن سعد

أول صاحب شرطة في الدولة الاسلامية

بقلم: د. احمد علي المجذوب

لم تحظ التنظيمات الادارية في الدولة الاسلامية التى اقامها الرسول [صلى الله عليه وسلم] في المدينة باهتمام المؤرخين والاخباريين وعلماء السيرة الذين تناولوا الاحداث التى وقعت سواء اثناء وجود الرسول بمكة المكرمة أو بعد هجرته الى المدينة المنورة، حيث بدأ يضع اسس الدولة الاسلامية ولعل ذلك يرجع الى عدة اسباب:

أولها: ان هؤلاء الاخباريين ورواة السيرة والمؤرخين لم يعاصروا قيام الدولة الاسلامية في المدينة، وانما دونوا ما سمعوه عما وقع في تلك الايام، وهى الاحاديث والروايات والاخبار التى انتقلت من جيل الصحابة الى جيل التابعين فتابعى التابعين وهكذا.

وثانيها: ان اهتمام اولئك الاخباريين ورواة السيرة والمؤرخين كان منصرفا في المكان الاول الى معرفة اخبار الرسول [صلى الله عليه وسلم] وصفاته واخلاقه وعاداته ومعجزته، وقد وجدوا من ذلك الشيء الكثير فيما حصلوا عليه من اخبار وروايات تناقلتها الاجيال المتعاقبة من التابعين. والواقع ان هذا النهج الذى انتهجه العلماء انما املاه عليهم اعجابهم الشديد بشخصية الرسول الكريم [صلى الله عليه وسلم] وتقديرهم العميق لاعماله وايمانهم القوى برسالته، وكلها امور من شأنها أن تصرف النظر عما عداها.

وثالثها: فهو ان اولئك العلماء لم يجدوا فيما قد يكتبونه عن الدولة الاسلامية الاولى ونظمها الادارية فائدة ذات بال بالنسبة للمسلمين وبخاصة بعد ان اخذت الدولة الاسلامية في القرن الثاني الهجري وعلى وجه الخصوص في ايام الخلافة العباسية شكلها الذى يختلف كل الاختلاف عن شكل الدولة الاولى، وبالذات من حيث صورة الحكم، ووضع الحكام وسلطاتهم، ونظم الدولة الادارية والمالية، وغير ذلك مما تناولته كتب التاريخ الكثيرة التى صنفها المؤرخون في ذلك العصر وفيما تلاه من عصور.

ورابعها: يرجع بلا شك الى أن الغالبية العظمى من المؤرخين المسلمين الذين صنفوا الكتب لم يكونوا اكثر من رواة ينقلون عن غيرهم الاحداث والروايات دون ان يحللوها ويفسروها ويستخلصوا منها مؤشرات او دلائل على ما كان قائما من نظم أو سائدا من أوضاع، بل إن بعضهم كان ينقل ما يسمعه أو يقرأه دون تحقيق أو تمحيص، مما جعل كتبهم تمتلىء بالمتناقضات والاوهام والاحداث التى لا يتصورها عقل ولا يقبلها منطق، بل إن منها ما ينكره الشرع ويناقض العقيدة مما يدل على انهم لم يبذلوا ادنى جهد للتحرى عما تحتمله من صدق أو كذب.

والواقع ان هذا المنهج لم يكن مما يعاب عليه المرء في تلك الاعصر، ذلك لأن المناهج العلمية في التحليل والتفسير لم تكن قد ظهرت بعد، فنحن لا نصادفها الا بعد ذلك ببضع قرون عندما بدأ ابن خلدون يتناول التاريخ المعروف بطريقة علمية تقوم على التحليل والتفسير وذلك في مقدمته الذائعة الصيت. ولم يكن المؤرخون المسلمون بدعا في ذلك، فقد كان هذا منهج المؤرخين جميعا اينما وجدوا في الشرق الاسلامى أو في الغرب المسيحي.

ومع ذلك فاننا نستطيع أن نستخلص معالم النظام الاداري في الدولة الاسلامية الاولى التى قامت في المدينة المنورة عقب هجرة الرسول [صلى الله عليه وسلم] اليها. وذلك مما ورد في الاحاديث وفي بعض

الاخبار والروايات التى جاء ذكرها في كتب المؤرخين ورواة السيرة. فعلى الرغم من صغر حجم تلك الدولة، حيث انها لم تكن تزيد في مساحتها على مساحة المدينة المنورة أو يثرب كما كانت تسمى، مضافا اليها بعض المناطق المتاخمة لها، الا انه توفرت فيها كل خصائص الدولة، أو بالاحرى انموذج الدولة الاسلامية، أو الدولة الحلم التى طالما حلمت بها البشرية وعبرت عن حلمها هذا بما كتبه الفلاسفة على مر العصور عن المدينة الفاضلة أو (اليوتوبيا). فقد كان لها حاكم هو الرسول {صلى الله عليه وسلم}، واعوان للحاكم يباشرون مهاما معينة الى جانب مهمتهم الاساسية في نشر العقيدة والدفاع عنها والتصدى لاعدائها.

ومع ان الرسول {صلى الله عليه وسلم} كان يباشر معظم المهام بنفسه تقريبا، فيقوم بدور الحاكم والقاضي والمسئول عن بيت المال ويقود الجيوش ويشرف على استقرار الامن والنظام، ويرجع المسلمون اليه في امور الصحة والزواج والطلاق والمشكلات الاجتماعية على اختلافها، الا انه كان يعهد ببعض تلك المهام الى اعوانه الذين كان يختارهم بدقة ويشرف عليهم اشرافا مباشرا ومن هؤلاء الذين اختارهم لتولى رئاسة الشرطة الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادة.

ولما كانت هذه هى المرة الاولى التى يظهر فيها نظام الشرطة، لا في العالم الاسلامي فحسب بل في العالم قاطبة، فان الاهتمام بشخصية أول رجل يعهد اليه بمسئولية رئاسة الشرطة يصبح واجبا لما فيه من فوائد كثيرة منها: تحديد الخصائص التى يجب توفرها فيمن يتولى هذا المنصب البالغ الاهمية، وبخاصة بعد أن تضاعفت المهام التى يعهد بها الى الشرطة في العصر الحديث ومنها ايضا اننا ونحن نسعى جاهدين الى تحديد هويتنا الاسلامية التى اوشك الغزو الفكرى والتقليد الاعمى للغرب أن يطمسها، فان جهاز الشرطة يعد في مقدمة الاجهزة والنظم الادارية التى يمكن الاستفادة بها في تعريف العالم بما في الاسلام من فضائل عظيمة ومزايا كثيرة، حيث ان الشرطة تعتبر اكثر الاجهزة الحكومية احتكاكا بالناس واستحوازا على الاهتمام. فاذا كان الرسول {صلى الله عليه وسلم} هو الذى اختار هذا الرجل، قيس بن سعد، ليعهد اليه بوظيفة صاحب الشرطة، فان هذا الاختيار يعد من قبيل التحديد الضمنى للشروط والخصائص التى يجب توافرها في رجال الشرطة، فكأن النبي {صلى الله عليه وسلم} يقول لنا: اذا اردتم أن تعهدوا بالشرطة الى أحد فليكن كقيس بن سعد أو شبيها به. أو كأنه يقول: اذا عُهد الى شخص بوظيفة صاحب الشرطة فليكن سلوكه مثل سلوك قيس بن سعد.

فمن هو قيس بن سعد وما هى صفاته وما هي اخلاقه؟.

كان قيس بن سعد من الانصار أي من أهل المدينة الذين وفد عليهم المهاجرون من مكة، وفي هذا دليل على فطنة الرسول {صلى الله عليه وسلم} وبعد نظره وحنكته، فهو لم يجعل على شرطته رجلا من المهاجرين، على الرغم من انه لو فعل ذلك فان احدا لم يكن ليعترض على اختياره أو يقف ضد قراره، وانما جعل على الشرطة رجلا من الانصار وذلك لسببين:

اولهما: ان الرسول {صلى الله عليه وسلم} كان يقصد الا يأمر في قبيلة الا لرجل منها، لنفور طباع العرب من أن يحكم في القبيلة احد من غيرها، فكان يتألفهم بذلك. ولما كان الانصار من اوس وخزرج هم اصحاب المدينة الذين استقبلوا اخوانهم من المهاجرين، وكانوا حديثي عهد بالاسلام، لا تزال طباعهم اميل الى القبلية والعصبية، فقد راعى الرسول ذلك وعهد بالشرطة الى واحد منهم هو قيس بن سعد.

ثانيهما: فهو أن الرسول راعى في هذا الاختيار ما يتوفر في ابن يثرب من خبرة بها ومعرفة باهلها وطباعهم واخلاقهم وعاداتهم مما لا يتوفر لدى غيره من المهاجرين الذين جاءوا من مكة.

وفضلا عن هذين الشرطين الموضوعيين، فإن قيس بن سعد كانت تتوفر فيه خصائص وصفات شخصية فهو بالاضافة الى كونه من فضلاء الصحابة، فقد كان احد دهاة العرب وكرمائهم، وكان من ذوى الرأى

الصائب والمكيدة في الحرب، مع النجدة والشهامة والشجاعة، وكان شريف قومه غير مدافع ومن بيت سيادتهم، ليس ذلك وحسب بل انه كان وفيا مخلصا، يلتزم بالعهد ويفى بالوعد، لا يخون ولا يغش ولا يخدع لا يخشى في الله لومة لائم، اذا رأى رأيا جهر به دون خوف واذا جوبه به اعترف ولم ينكره، وهو مع ذلك يعد في دهاة العرب، الذين قيل انهم كانوا خمسة: معاوية بن ابي سفيان والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وعبد الله بن بديل الخزاعي، وهو أى قيس بن سعد، ومع ذلك لا نجد انه صدر عنه من الافعال المنطوية على الدهاء مثلما صدر عن الاربعة الآخرين، وهو الذى قال عن نفسه: لولا انى سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول المكر والخديعة في النار لكنت من امكر هذه الأمة. وهذا صحيح فقد رويت عنه امور تدل على مبلغ دهائه، ومع ذلك فانه نأى بنفسه عن معركة الدهاء التى نشبت بين الاربعة الاخرين والتى انتهت بفوز معاوية.

ولعل هذا يبين لنا لماذا اختار الرسول عليه الصلاة والسلام قيس بن سعد لمهمة الشرطة ولماذا اختاره بعد ذلك عليّ بن ابي طالب لنفس المنصب، فهو رغم دهائه لم يكن يستخدم هذا الدهاء في الاساءة الى احد أو النيل منه، وانما كان يستخدمه لكشف الدهاة وفضح كيدهم ورده الى نحورهم، وفي هذا دليل على أن رجل الشرطة ينبغى ان يكون داهية، أو على اقل تقدير على مستوى ملحوظ من الذكاء والفطنة وبعد النظر لأهمية ذلك في ادائه لعمله، فلا يخدعه الكلام المعسول أو الوعود البراقة أو المظاهر المفتعلة والحيل المتقنة.

كذلك كان قيس بن سعد ممن يوفون بعهدهم اذا عاهدوا، مهما كانت المغريات أو المكاسب التى ستعود عليه من نكثه لعهده وله في ذلك حكاية مشهورة وقعت اثناء الفتنة الكبرى، وكان قيس في ذلك الوقت واليا على مصر من قبل الخليفة الرابع على بن ابي طالب، وكان معاوية يعرف لقيس قدره فاراد أن يستميله اليه ليترك علياً وارسل اليه كتابا يعده فيه ويمنيه، ولكن قيساً كشف مكيدة معاوية واعلنه برفضه خيانة على بن ابي طالب، وحتى عندما تمكن محمد بن ابى بكر من إيغار صدر علّي على قيس فبادر الى عزله عن حكم مصر، فإن قيساً لم يتخل عن علّي وظل يحارب الى جانبه ضد معاوية فلما قتل عليٌ انضم الى ابنه الحسن، فلما بايع الحسن معاوية، لم يعد قيس ملزما بالعهد الذى وفاه كاملا ومن ثم دخل في بيعة معاوية الا أن دخوله في هذه البيعة لم يكن دخول الاذلاء، بل كان دخول الكرام الذين يعرفون لانفسهم قدرها، فمما يروى في ذلك انه لما دخل في جماعة من الانصار على معاوية، فقال لهم معاوية: يا معشر الانصار، بم تطلبون ما قبلى؟ فوالله لقد كنتم قليلا معى كثيرا عليّ، ولفللتم حدى يوم صفين حتى رأيت المنايا تتلظى في اسنتكم، وَهَجَوْتُمُونى في اسلافي بأشد من وقع الاسنة، حتى اذا اقام الله ما حاولتم ميله قلتم: ارع فينا وصية رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، هيهات يأبى الحقين العذرة.

فقال قيس: نطلب ما قبلك بالاسلام الكافي به الله، لا بما تمت به اليك الاحزاب، واما عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك، واما هجاؤنا اياك نقول يزول باطله، ويثبت حقه، واما استقامة الامر فعلى كره كان منا، واما فلنا حدك يوم صفين فإنا كنا مع رجل نرى طاعته طاعة لله، واما وصية رسول الله بنا فمن آمن بها رعاها بعده، واما قولك يأبى الحقين العذرة فليس دون الله يد تحجزك منا يا معاوية، فقال معاوية: ارفعوا حوائجكم.

وكان قيس عفيف النفس طاهر اليد قنوعا لا يطلب مالا ولا جاها ولا منصبا، فانه لما ارسل اليه معاوية بسجل قد ختم عليه في اسفله فقال له اكتب في هذا السجل ما شئت فهو لك، وذلك من اجل ان يبايعه فما كان من قيس الا أن اشترط في السجل الأمان له ولشيعة علي كرم الله وجهه على ما اصابوا من الدماء والاموال، ولم يسأل معاوية في سجله ذلك مالا، فاعطاه معاوية ما سأل فدخل قيس ومن معه في طاعته، فالرجل لم يبايع مقابل مال أو منصب أو جاه أو سلطان على الرغم من أن معاوية ما كان ليمتنع عن تلبية كل ما يطلبه ولكنه اشترط على معاوية ان يعفو عما حدث من الجنود اثناء المعارك التى خاضوها ضد

ملف خاص

معاوية، وقال له: ليس دون الله يد تحجزك منا يا معاوية. وبعد البيعة عاد قيس الى المدينة المنورة فما زال بها حتى توفي.

كذلك كان قيس بن سعد شجاعا يضرب به المثل في الشجاعة. من ذلك انه لما ولاه على بن أبي طالب علي مصر اقترح عليه أن يصحب معه جيشا لكي يتمكن من دخولها، لان الوضع فيها لم يكن مستقرا اثناء الفتنة وما اعقب مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولكن قيس رأى أن يدخل مصر بدون جيش، فخرج اليها في سبعة نفر من اصحابه حتى دخلها فصعد المنبر فجلس عليه وأمر بكتاب معه من أمير المؤمنين على بن أبي طالب فقرىء على أهل مصر. وعلى الرغم من عدم استقرار الاوضاع في مصر بالنظر الى وجود البعض ممن انضموا الى معاوية في المطالبة بدم عثمان وعلى رأسهم: بسر بن ارطأة ومسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج الذين اقاموا في بلدة (خربتا) ومعهم يومئذ عشرة آلاف مقاتل، الا أن قيس بن سعد عرف كيف يسوسهم ويمنعهم من الثورة والانضمام الى معاوية ضد علي.

ومن شجاعته في ابداء رأيه انه لما اختلف مع علي. بن أبي طالب بشأن هؤلاء الناس، حيث امره علي. بأن يحاربهم، ورأى هو ان ذلك ليس في مصلحة علي. وانه يضعفه، لم يلجأ الى الكيد لعلي أو الخروج عليه استبدادا برأيه، وانما صارح عليًا بأنه اذا لم يكن يثق فيه فما عليه الا أن يعزله عن ولاية مصر، فما كان من على الا أن عزله وولى مكانه محمد بن ابي بكر فما لبث أن قُتل بعد أن دخل الى مصر، وعندئذ ادرك علي. عظم الخسارة التى لحقته بعزله لقيس، الذى عاد الى المدينة حيث اقام بعض الوقت ثم ما لبث ان لحق بعلى في البصرة، فلما بلغ ذلك معاوية قال إن وجود قيس بن سعد برأيه ومكانه مع على اعظم من امداده بمائة الف مقاتل. وهذا تقدير من معاوية لشجاعة وحكمة وصواب رأى قيس بن سعد.

ويقول المسعودي في كتابه (مروج الذهب) أن قيس بن سعد كان من الزهد والديانة والميل الى علي بالموضع العظيم، وبلغ من خوفه من الله وطاعته اياه انه كان يصلى فلما اهوى للسجود اذا في موضع سجوده ثعبان عظيم مطوق، فمال عن الثعبان برأسه، وسجد الى جانبه، فتطوق الثعبان برقبته، فلم يقصر في صلاته، ولا نقص منها شيئا، حتى فرغ، ثم اخذ الثعبان فرمى به، كذلك ذكر الحسن بن على بن عبد الله بن المغيرة عن معمر بن خلاد عن ابى الحسن على بن موسى الرضا.

كذلك كان قيس بن سعد فارع الطول قوى البنية جسيما، وقد رويت عن جسامته وطوله وقوة بنيته الروايات الكثيرة. من ذلك ما ذكره المسعودى فقال، قال العروضي: وتذاكرنا يوما بحضرة الراضي بالله (الخليفة العباسى) في حال صباه - وقد حضر جماعة من ذوى العلم والمعرفة باخبار الناس ممن غبر - فانتهى بنا الامر الى خبر معاوية بن ابي سفيان حين ورد عليه كتاب من ملك الروم ان يرسل اليه سراويل اجسم رجل عنده، فقال معاوية: لا اعلمه الا قيس بن سعد، فقال لقيس: اذا انصرفت فابعث الى بسراويلك، فخلعها ورمي بها، فقال معاوية: هلا بعثت بها من منزلك، فقال قيس:

اردت لكيما يعلم الناس انها
سراويل قيس، والوفود شهود
وان لا يقولوا: غاب قيس وهذه
سراويل عاد قد نمته ثمود

فقال قائل ممن حضر: قد كان جبلة بن الايهم احد ملوك بنى غسان طوله اثنا عشر شبرا، فاذا ركب مسحت قدماه الارض، فقال له الراضى بالله: قد كان قيس بن سعد هذا المذكور اذا ركب تخط قدماه الارض، واذا مشى بين الناس يتوهمون انه راكب.

وعلى الرغم مما في القصة من اختلاق حيث انه لم يثبت ان ملك الروم قد فعل ما هو منسوب اليه كما انه ليس هناك ما يبرر طلبه المزعوم، الا أن ما قيل عن أن قيس بن سعد كان جسيما هو امر صحيح لأنه كان معروفا بقوة البنية وطول القامة.

هذا هو قيس بن سعد اول من ولي الشرطة في الاسلام، ولاه الرسول {صلى الله عليه وسلم} وما كان

سفيان الثوري

الفقيه المحدّث (٩٥ ـ ١٦١هـ)

بقلم: ابراهيم مصطفى فتح الباب ـ مصر

أكتب هذه الكلمة المتواضعة عن رجل عظيم، إنه إمام الدنيا، وركن الدين الركين، إنه سفيان الثوري، فالرجل مجاهد مثابر، تعرض في حياته لشتى ضروب المحن والابتلاء ولكنه مع ذلك صبر وتحمل، أسوته وقدوته في ذلك هو الرسول الكريم {صلى الله عليه وسلم}.

وسفيان الثورى مع هذه المحن لم يلن، ولم يحابى أحداً، بل كان دائماً يقول كلمة الحق.. لا يخاف في الله لومة لائم، كان أبو جعفر المنصور كثيراً ما يطلب الثورى لمقابلته، ويأبى الإمام ملتمساً الأسباب، ويسأله الناس في ذلك فيقول، ما يريد منى أبو جعفر؟ فوالله لئن قمت بين يديه لأقولن له: قم من مقامك فغيرك أولى به منك، ويلتقى سفيان بأبى جعفر بمنى في موسم الحج، فيقول سفيان له: اتق الله فانما أنزلت هذه المنزلة، وصرت في هذا الموضع بسيوف المهاجرين والانصار، وأبناؤهم يموتون جوعاً، ثم يقول: حج عمر بن الخطاب فما أنفق إلا خمسة عشر ديناراً، وكان ينزل تحت الشجر، يقول سفيان: فقال لى: أتريد أن أكون مثلك؟ قلت: لا تكن مثلي، ولكن كن دون ما أنت فيه، وفوق ما أنا فيه. فقال لي: اخرج، ويذكر عبد الرزاق في مصنفه: أخذ أبو جعفر بتلباب الثورى، وحول وجهه إلى الكعبة فقال: برب هذه البنية (أى الكعبة) أى رجل رأيتني؟ قال: برب هذه البنية، بئس الرجل رأيتك، وأطلق يده. هكذا كان الإمام سفيان الثورى لا يحب التقرب الى الولاة والسلاطين لأنه يعلم مدى الفتنة التى تلحق به، فآثر مرضاة الله على مرضاة غيره من العباد.

مولده ونسبه رضى الله تعالى عنه:

هو سفيان بن سعيد الثوري، ولد سنة خمس وتسعين أو سبع وتسعين من الهجرة بالكوفة، من أسرة كريمة فاضلة فأبوه من ثقات المحدثين، قد وهبه والده للعلم، ولكي يرثه من بعده، فأفضل شيء يورّث هو العلم، فقرأ سفيان وتعلم على يد عظماء الشيوخ في عصره، يقول سفيان: طلبت العلم فلم تكن لي نية، ثم رزقنى الله النية. أى أنه طلب العلم أولا بحكم العادة البحتة، ثم وفقه الله تعالى لأن يقصد به وجهه الكريم، ولكن مما يجدر ملاحظته أن المحدثين إذ ذاك ما كانوا يأخذون على الحديث أجرا. لقد كانوا يتمثلون قوله تعالى {قل لا أسألكم عليه أجـراً إنْ هو إلا ذكرى للعالمين} (الأنعام/ ٩٠).

ويبدو أن والد سفيان لم يكن من ذوى الثراء العريض، ولكنه نشأ في جو علمى فيه النور، والاشراق، والصفاء، وكان جو الأسرة على ما يبدو كان جواً كريماً، فقد كانت أم سفيان من النساء الحصيفات التقيات، لقد كانت ذات عقل وتقوى، انظر الى عقلها وتقواها في نصيحتها لسفيان: عن وكيع بن الجراح أن والدة سفيان قالت له: يا بنى، اطلب العلم وأنا أعولك بمغزلى. واذا كتبت

** الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الخبز واللحم

** يا معشر القراء، ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق واعملوا ولا تكونوا عالة على الناس

عشرة أحرف، فانظر هل ترى في نفسك زيادة في الخير، فان لم تر ذلك فلا تتعبن نفسك. لم تكن الأم تفكر لابنها - من وراء تعليمه - في الجاه، أو الثراء، وانما كانت تفكر في أن يزداد الخير في نفسه. وبدأ سفيان يتعلم، اتباعاً لأبيه، واستجابة لرغبة أمه، ولكن سفيان بمجرد أن دخل في دور الشباب، بدأ يفكر جدياً في أمر معيشته، وليس من الطبيعي أن يغتبط سفيان - وهو صاحب الفطرة الصافيه - بأن تعوله أمه بمغزلها، أو أن تستمر أمه في إعالته بمغزلها. يقول سفيان فيما رواه يحى بن يمان: لما هممت بطلب الحديث، ورأيت العلم يدرس، قلت: أى ربّ إنه لابد لي من معيشة، فاكفني أمر الرزق، وفرغني لطلبه، فتشاغلت بالطلب فلم أر إلا خيرا.. بيد أن سفيان تنبه بسرعة إلى أن المال ضرورى للانسان على أى وضع كان الانسان. انه ضرورى له، لو أراد أن يسير في حياته على أن يكون متعبدا، وضرورى له، لو أراد أن يسير في حياته على أن يكون عالما، والعابد لا يأخذ على عبادته أجرا، والعالم لا يأخذ على علمه أجرا لابد إذن من التكسب ومن المال. ولذلك قال كلمته المدوية: عليك بعمل الابطال الكسب من الحلال، والانفاق على العيال[١].

شغفه لطلب العلم:

لقد حبب الله تعالى إليه العلم، قال العجلي في الثقات[٢]: كان سفيان لا يسمع شيئاً إلا حفظه حتى كان يخاف عليه. وقال الامام الذهبي في السير: كان ينوه بذكره من أجل فرط ذكائه وحفظه، وحدّث وهو شاب. لقد كانت شهرة سفيان تزداد كل يوم، ولكن سفيان لم يغتر بشهرته، وانما زادته هذه الشهرة محاسبة لنفسه في علمه وفي تقواه. ولم يتكبر على العلم ويقول إنى بلغت شأوه، والمنتهى فيه، بل على العكس من ذلك فهو يقول «لا نزال نتعلم ما وجدنا من يعلمنا» ويقول «الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الخبز واللحم» وكان أعطاه الله تعالى ذاكرة قوية، يحفظ كل ما يسمع قال أبو المثنى: سمعتهم بمرو يقولون: قد جاء الثورى، فخرجت أنظر إليه، فاذا هو غلام قد نفل وجهه[٣] (أي خرج شعره) وروى عبد الرزاق عن سفيان قال: ما استودعت قلبى شيئاً قط فخانني. وقال سفيان بن عيينه: كان الثورى كأن العلم ممثل بين عينيه، يأخذ منه ما يريد ويدع مالا يريد.

وروى الخطيب البغدادى عن أبى مسلم صالح بن أحمد قال: حدثنى أبى قال: ألقى أبو إسحق فريضة (أى مسألة في المواريث) فلم يصنعوا فيها شيئاً، فقال: لو كان الغلام الثورى فصّلها الساعة، إذ أقبل سفيان، فقال له: ما تقول في كذا وكذا؟ قال سفيان: أنت حدثتنا عن عليّ بكذا وكذا. والأعمش حدثنا عن ابن مسعود بكذا، وفلان حدثنا فيها بكذا، قال أبو إسحق: كيف ترون من ساعة فصّلها؟؟ ألا تكونون مثله[٤]؟. ويرسم الامام الثورى الخطوات التى تتبع بالنسبة للعلم: يروى مزاحم بن زفر هذه الخطوات عن الثورى يقول: انما هو طلبه، ثم حفظه، ثم العمل به، ثم نشره» وقال لتلاميذه وقد اجتمعوا حوله، قال لهم: «اطلبوا العلم ويحكم، فإنى أخاف أن يخرج منكم، فيصير في غيركم، اطلبوه ويحكم، فانه عز وشرف في الدنيا والآخرة».

وأخذت الأيام تسير، والأعوام تمر، ومع ذلك تزداد شهرة سفيان ، واذا به يبلغ حداً من النضج، ومن العلم يعز على من رامه ويطول، فيذيع اسمه في ربوع العالم الاسلامى ويقدره الناس أينما حلّ، يقدرونه لتقواه، ويقدرونه لعلمه، ويقدرونه لخلقه الطيب، ويقدرونه لزهده في الدنيا، وبعده عن متع الحياة الفانية ومغرياتها ومفاتنها، بل لقد أخذ الناس يعدون مناقبه، ومن ذلك مثلا ما رواه شعيب بن حرب قال: ذكروا سفيان عند عاصم بن محمد، فذكروا مناقبه، حتى عدوا خمس عشرة منقبة، فقال: فرغتم؟ إنى لأعرف فيه فضيلة أفضل من هذه كلها: سلامة صدره لأصحاب محمد {صلى الله عليه وسلم}[٥].

ويعدّد عبد الله بن المبارك بعض ما تحلى به الإمام الثورى فيقول: «تعجبنى مجالسة سفيان الثورى، كنت اذا شئت رأيته في الورع، واذا شئت رأيته مصليا، وإذا شئت رأيته غائصاً في الفقه» ويشبه هذا ما ذكره أحمد بن يونس قال: ما رأيت أحداً أعلم

من سفيان، ولا أورع من سفيان، ولا أفقه من سفيان، ولا أزهد من سفيان» فكان رضي الله عنه عالم الأمة وعابدها.

المحدّث الفقيه:

وسفيان عالم فقيه له مذهبه المعتمد وتلاميذه العظام، وقد ترك في المجتمع الاسلامى لعهده دوياً يجلجل، وصدى يرن، وقد نشأ الثورى في رحاب الكوفة، وقد وهبه أهله للحديث، فكان محدث الأمة ثم وصل الى الأوج في الفقه، وكان مفتي الكوفة الاكبر، وكان مذهبه يضارع مذهب أبى حنيفة النعمان، ولكن حياة الزهد التى عاشها سفيان الثورى لم تحقق لمذهبه الذيوع والانتشار، بينما لم يكن أبو حنيفة وتلامذته المباشرون زهاداً، فانتشر المذهب الحنفي، واندثر المذهب الثورى، وقد نشأ الثورى محدثاً، وهبه أهله للعلم، وكان العلم يعنى الحديث، والحديث يشمل الفقه. ولقد برع سفيان في الحديث والفقه إلى أكبر حد عرفه العالم الاسلامى إبان ذلك الوقت، ودُعي سفيان بأمير المؤمنين في الحديث، وكانت رحلاته الاولى لجمع الحديث وروايته فأخذ يتنقل من بلد إلى بلد.. فيتنقل من الكوفة الى الشام، ومن الشام الى اليمن، ثم يعود الى مكة كل ذلك وهو يطلب الحديث على يد عظماء الشيوخ الذين عاصرهم فحدّث عن زبيد بن الحارث، وحبيب بن أبى ثابت، والأسود بن قيس، وزياد بن علاقة، ومحارب بن دثار وغيرهم. ويقال عدد شيوخه ستمائة شيخ، وكبارهم الذين حدثوه من أبى هريرة، وجرير بن عبد الله، وابن عباس - رضى الله عنهم - وقد قرأ الختمة عرْضا على حمزة الزيات أربع مرات[٦]. وحين اكتملت أداة الحديث عنده وتمكن من حفظه بدأ يفتى المسلمين فكان سفيان (أفقه الناس) يقول: ابن المبارك، ما رأيت أحداً أفضل من سفيان ولا رأى سفيان مثل نفسه.

** اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، والآخرة بقدر بقائك فيها

** لا تأخذنّ دينك إلا ممن هو مشفق على دينه

** بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا

ولقد منح الله تعالى سفيان ذاكرة حافظة، يصفها سفيان بقوله: ما استودعت قلبى شيئاً قط فخانني، كما قلنا آنفاً، ويقول ابن مهدى عنه: ما رأيت صاحب حديث أحفظ من سفيان. ويصف الاشجعى ذاكرة سفيان فيقول: دخلت مع الثورى على هشام بن عروة، فجعل يسأل وهشام يحدثه، فلما فرغ قال: أعيدها عليك، فأعادها عليه، وقام ثم دخل أصحاب الحديث فطلبوا الاملاء، فقال هشام: احفظوا كما حفظ صاحبكم، قالوا: لا نقدر.. لقد كانت ذاكرة سفيان مهيأة بالفطرة، لأن تجعل من سفيان إماماً من أئمة الحديث والفقه. ومع الذاكرة لابد للمحدث من ذكاء يتوقد.

ولقد كان تقدير العلماء له في الحديث والفقه تقديراً يتناسب حقا مع مكانته التى بلغها، واذا كنا نذكر هنا شيئاً من ذلك فاننا نذكر بعضاً من كل، وقطرة من غيث. قال شعبة وابن معين: سفيان أمير المؤمنين في الحديث. وقال يحى بن يمان: كتبت عن سفيان عشرين ألفاً، وأخبرنى الاشجعى أنه كتب عن سفيان ثلاثين ألفا.

ويتحدث ابن المبارك - فيما يروى عبد الرزاق - عن استفاضة سفيان من العلم، وعن سعة دائرته، في فنونه، ولا سيما الحديث فيقول: أقعد إلي سفيان فيحدث فأقول ما بقى من علمه شيء إلا وقد سمعته، ثم أقعد مجلساً آخر فأقول ما سمعت من علمه شيئا، ومن أجل هذه الاستفاضة التى شاهدها ابن المبارك كان يقول: لا أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان. ويقول: كتبت عن ألف ومائة شيخ، وما فيهم أفضل من سفيان، ويقول: كنت اذا أعياني الشيء أتيت سفيان أسأله، فكأنما اغترف من بحر، وكان سفيان يفتن كل من يتصل به عن مشاهدة، أو عن دراسة لتاريخه وسيرته، كان يبهره بعلمه، يبهره بحفظه للحديث، يبهره بصلاحه وتقواه، ويبهره بأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، ويبهره بعفة نفسه عن كل ما فيه

شبهة. يقول عنه وكيع بن الجراح: كان بحرا، ويتحدث عنه الامام أحمد بن حنبل فيقول (لم يتقدمه في قلبي أحد)[٧].

زهده في الدنيا:

الزهد في الدنيا، والاقبال على الله تعالى كان طريق الإمام الثوري، فهو علم خافق في موكب الأخلاق النبيلة فقد احتقر شهوات النفوس، وارتفع بغرائز البشر الى مقام وضيء، ترفرف فيه أجنحة الكرامة والعزة، حتى صارت حياته كتاباً في السلوك الانساني، يقرؤه من يريد لنفسه شرف الحياة ومجد الأبد وسعادة الآخرة، روى عبد الله بن خبيق عن يوسف بن أسباط: قال لي سفيان بعد العشاء: ناولني المطهرة (الإناء الذي يتوضأ به) أتوضأ، فناولته فأخذها بيمينه ووضع يساره على خده، فبقي مفكراً ونمت، ثم قمت وقت الفجر، فاذا المطهرة في يده كما هي، فقلت: هذا الفجر قد طلع، فقال: لم أزل منذ ناولتني المطهرة أتفكر في الآخرة حتى الساعة.

ولم تعرف كلمة الزهد قبل سفيان الثوري - كمصطلح يطلق على ترك الدنيا والاتجاه الى الآخرة، وها هو يقول: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباءة. وكان يردد: ازهد في الدنيا ونم[٨].

وكان يرى أن الحكمة ثمرة الزهد، ينبتها الله في قلب المؤمن، يروى بشر بن الحارث أن سفيان الثورى سئل: أيكون الرجل زاهداً، ويكون له المال؟ قال: نعم، ان كان اذا ابتلي صبر، واذا أعطي شكر.. ولم تكن العبادة أو الزهد عند سفيان تعني التبطل عن التكسب، بل دعا القراء إلى العمل، والتكسب من ذات أيديهم فيذهب الى البصرة فيجلس في مجلس العابد البصري يوسف بن عبيد، فاذا فتيان كأن على رؤوسهم الطير، فقال: يا معشر القراء - ارفعوا رؤوسكم، فقد وضح الطريق، واعملوا ولا تكونوا عالة على الناس»[٩].

ومن حثه على الكسب والعمل، ما حدّث به عن مبارك أبي حماد قال: سمعت سفيان يقول لعلي بن الحسن فيما يوصيه: يا أخي: عليك بالكسب الطيب، وهو ما تكسب بيدك، وإياك وأوساخ الناس أن تأكله، أو تلبسه.. فالذى يأكل أوساخ الناس هو يتكلم بهوى، ويتواضع للناس مخافة أن يمسكوا عنه، ويا أخي ان تناولت من الناس شيئاً قطعت لسانك، وأكرمت بعض الناس، وأهنت بعضهم، مع ما ينزل بك يوم القيامة، فإن الذى يعطيك شيئاً من ماله، فانما هو وسخه، وتفسير وسخه، تطهير عمله من الذنوب، وان أنت تناولت من الناس شيئاً ان دعوك الى منكر أجبتهم.. يا أخي: جوع وقليل من العبادة خير من أن تشبع من أوساخ الناس. فاتق الله يا أخي، فانه ما نال أحد من الناس شيئاً إلا صار حقيراً ذليلا عند الناس، والمؤمنون شهود الله في الأرض، واياك أن تكسب خبيثا فتنفقه في طاعة الله، فان تركه فريضة من الله واجبة، وانه طيب لا يقبل إلا طيبا.

وقد التقى سفيان بمجموعة من الزهاد في عصره، وسار في ركابه ابراهيم بن أدهم.. بل اعتبره ابراهيم بن أدهم «إمام الزهاد» فيذكر صاحب الحلية «دخل ابراهيم بن أدهم المسجد ببيت المقدس وسفيان الثورى وجماعة، فلما صلوا في المسجد، وصاروا في الصحن، انحرف سفيان يريد الصخرة، فقال له ابراهيم: يا أبا عبد الله، ارجع. فانك قد ابتليت وصرت لنا إماماً، فلا يراك الناس فيروه حتماً. فانصرف سفيان وقال: صدقت: فخرجا، ولم يمض سفيان إلى الصخرة[١٠] وفي مكة قابل سفيان الزاهد الكوفى الفضيل بن عياض[١١] وكان قد استقر في مكة - وكانا يلتقيان في المسجد الحرام فما يتذاكران إلا النعم، حتى يفترقا - يقول فضيل للثورى: يا أبا محمد ألا عمل بنا كذا، ويقف فضيل على رأس سفيان وحوله

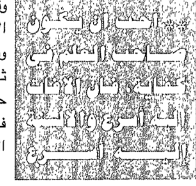
**** تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل، والعالم الفاجر**

*** البكاء عشرة أجزاء تسعة لغير الله، وواحد لله، فإذا جاء الذى لله في السَّنة مرة فهو كثير**

جماعة، فقال له «قل بفضل الله وبرحمته، فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون» ويرد سفيان فيقول له «يا أبا على، والله لا تفرح أبدا حتى تأخذ دواء القرآن، فتضعه على القلب. ويتقابلان مرة ثانية، فتذاكرا وبكيا. ويقول سفيان: إنى لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة: فرد الفضيل، ترجو، لكنى أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه علينا شؤماً، أليس نظرت إلى أحسن ما عندك، فتزينت به لي، وتزينت لك، فعبدتنى وعبدتك، فبكى سفيان، حتى علا نحيبه. ثم قال: أحييتنى أحياك الله[١٢]. وقد سئل الفضيل من إمامك؟ فقال: سفيان الثورى[١٣] وعن عبد الرحمن بن عبد الله البصرى قال: قال رجل لسفيان: أوصنى؟ قال: اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها، والسلام.. ومع كل ذلك وتمشياً مع المبدأ الاسلامي، وهو أن الزهد معناه: ألا يسيطر حب الدنيا على قلب الشخص، وألا تستعبد الدنيا الانسان، وأن الانسان يمكن أن يكون من اصحاب الملايين، وهو مع ذلك زاهد، لأن المال في يده وليس في قلبه، ولانه يتحقق بقوله تعالى: {لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم} (سورة الحديد/٢٣)، إن الامام الثورى لم يكن متزمتاً في مأكل أو ملبس أو مشرب. قال وكيع: رؤى سفيان يأكل الطباهج (وهو طعام من بيض وبصل ولحم مشرح) وقال: انى لم أنهكم عن الأكل، ولكن انظر من أين تأكل؟ وارتحل وانظر على من تدخل، وتكلم، وانظر كيف تتكلم؟ كيف أنهاكم عن الأكل والله تعالى يقول: {خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا} (سورة الاعراف/ ٣١).

وصايا سفيان لعلي بن الحسن:

لقد كان الثورى معنياً عناية خاصة بعلي بن الحسن، ولذلك كثرت وصاياه له، أذكر للقارىء الكريم بعضاً منها لأنها جمعت فأوعت: يقول: يا أخى عليك بتقوى الله، ولسان صادق، ونية خالصة، وأعمال شتى صالحة، ليس فيها غش ولا خدعة، فان الله يراك وان لم تكن تراه، وهو معك أينما كنت لا يسقط (أي لا يخفى) عليه شيء من أمرك، لا تخدع الله فيخدعك، فانه من يخادع الله يخدعه ويخلع منه الايمان ونفسه لا تشعر، ولا تمكرن بأحد من المسلمين المكر السيء، فانه لا يحيق المكر السيء إلا بأهله، ولا تبغين على أحد من المسلمين، فان الله تعالى يقول {يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم} (سورة يونس/ ٢٣) ولا تغشن أحداً من المؤمنين، فقد بلغنا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: (من غش مؤمنا فقد برىء من المؤمنين) ولا تخدعن أحداً من المؤمنين فيكون نفاقاً في قلبك، ولا تحسدن ولا تغتابن فتذهب حسناتك، وقد كان بعض الفقهاء يتوضأ من الغيبة كما يتوضأ من الحدث. وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك، وأصلح فيما بينك وبين الله يصلح فيما بينك وبين الناس، واعمل لآخرتك، يكفك الله أمر دنياك. بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا، عليك بالصدق في المواطن كلها، واياك والكذب والخيانة ومجالسة أصحابها، فانها وزر كلها. واياك والعجب، فان العمل الصالح لا يرفع وفيه عجب، ولا تأخذن دينك إلا ممن هو مشفق على دينه، كمثل طبيب به داء، لا يستطيع أن يعالج داء نفسه، وينصح لنفسه، كيف يعالج داء الناس وينصح لهم؟ فهذا الذى لا يشفق علي دينه، كيف يشفق على دينك؟ ويا أخى انما دينك لحمك ودمك؟ ابك على نفسك وارحمها، فان أنت لم ترحمها لم ترحم، وليكن جليسك من يزهدك في الدنيا، ويرغبك في الآخرة، واياك ومجالسة أهل الدنيا الذين يخوضون في حديث الدنيا، انهم يفسدون عليك دينك وقلبك، واكثر ذكر الموت، واكثر الاستغفار مما قد سلف من ذنوبك، وسل الله السلامة مما بقى من عمرك. ثم عليك يا أخى بأدب حسن، وخلق حسن، ولا تخالفن الجماعة، فان الخير فيها[١٤].. إلى غير ذلك من الوصايا الثمينة التى تنخلع منها



القلوب، وتدمع منها العيون، وتثبت أن الامام الثورى كان من الفصحاء البلغاء، الذين آتاهم الله الحكمة، قال تعالى: {يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا} (سورة البقرة/ ٢٦٩).

طرف من أقواله:

- احذر سخط الله في ثلاث: احذر أن تقصر فيما أمرك، واحذر أن يراك، وأنت لا ترضى بما قسم لك، وأن تطلب شيئاً من الدنيا فلا تجده أن تسخط على ربك - الزهد زهدان: زهد فريضة وزهد نافلة، فالفرض أن تدع الفخر والكبر والعلو والرياء والسمعة والتزين للناس، وأما زهد النافلة: فأن تدع ما أعطاك الله من الحلال، فاذا تركت شيئاً من ذلك، صار فريضة عليك ألا تتركه إلا لله.

- لا تغبط أهل الشهوات بشهواتهم، ولا ما يتقلبون فيه من النعمة، فإن أمامهم يوما تزل فيه الأقدام، وترعد فيه الاجسام، وتتغير فيه الألوان، ويطول فيه القيام، ويشتد فيه الحساب، وتتطاير فيه القلوب حتى تبلغ الحناجر، فيالها من ندامة على ما أصابوا من هذه الشهوات.

- اكسب حلالا، واجلس مع من كسبه من حلال، وكل طعام من كسبه من حلال، وليكن أهل مشورتك من كسبه من حلال، فان الورع ملاك الدين.

- أحب أن يكون صاحب العلم في كفاية، فإن الآفات إليه أسرع، والألسنة إليه أسرع.

- البكاء عشرة أجزاء، تسعة لغير الله، وواحد لله، فإذا جاء الذى لله في السنة مرة، فهو كثير.

- تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل، والعالم الفاجر، فان فتنتهما فتنة لكل مفتون.

وفاته:

قال الذهبي[١٥]: عن عبد الرحمن بن مهدى قال: مرض سفيان بالبطن (داء يصيب البطن) فتوضأ تلك الليلة ستين مرة حتى إذا عاين الأمر، نزل عن فراشه، فوضع خده بالأرض، وقال يا عبد الرحمن ما أشد الموت ولما مات غمضته، وجاء الناس في جوف الليل، وعلموا. قال الذهبي: والصحيح أن موته في شعبان سنة إحدى وستين ومائة. مات أمير المؤمنين في الحديث، مات المحدث الفقيه الحجة الثبت، رحمك الله يا سفيان فكثيراً ما كنت تردد هذه الأبيات.

نروح ونغدو لحاجاتنا
وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته
وتبقى له حاجة ما بقي

وكثيراً ما كان يقول: لو أن اليقين استقر في القلوب، لطارت شوقاً، أو حزنا، إما شوقاً إلى الله عز وجل وإما فرقاً من النار.

رحم الله سفيان الثورى وأجزل له المثوبة وتقبله الله في الصالحين.

الهوامش:

(١) سفيان الثورى - د. عبد الحليم محمود ص ١٩ - ٢١، بتصرف.
(٢) تاريخ الثقات للحافظ احمد بن عبد الله بن صالح العجلى (ص ١٩٠).
(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (١٦٥/٩).
(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (١٦٣/٩).
(٥) سفيان الثورى - د. عبد الحليم محمود (ص ٢٩ - ٣٠) بتصرف.
(٦) سير أعلام النبلاء للامام شمس الدين الذهبي (٧ / ٢٣٤).
(٧) سفيان الثورى (ص ٧٠ - ٧٣) بتصرف.
(٨) أبو نعيم في حلية الأولياء (٦. ٣٨٧)، نشأة الفكر الفلسفى في الاسلام للدكتور على سامى النشار (٢٤٢/٣).
(٩) حلية الأولياء لأبي نعيم (٣٨٢/٦).
(١٠) حلية الأولياء لأبى نعيم (٥٠/٨)، نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام (٢٤٣/٣) ط/ دار المعارف.
(١١) انظر مقالنا بمجلة الوعى الاسلامى عدد ذى الحجة سنة ١٤١٥هـ بعنوان (الزاهد التقى الفضيل بن عياض).
(١٢) حلية الأولياء لأبى نعيم (٦٤/٧).
(١٣) نشأة الفكر الفلسفى في الاسلام للدكتور/ على سامى النشار (٢٤٤/٣) ط/ دار المعارف.

الإمام أبو داود السجستاني

(٢٠٢هـ - ٢٧٥هـ)

بقلم: أ.د. مصطفى رجب

هو الإمام الورع الناسك، الزاهد، الحافظ، ذو الباع الطويل في تمييز الصحيح من السقيم، أبو داود سليمان بن عمران بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني[١].

وقال ابن خلكان هو أبو سليمان بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني، وقال محمد بن عبد العزيز الهاشمي، سليمان بن الأشعث بن بشير بن شداد، وقيل هو سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر، كذا أسماه عبد الرحمن بن أبي حاتم. وكنيته: «أبو داود السجستاني».

مولده:

ولد الإمام أبو دادو رضي الله عنه سنة اثنتين ومائتين من الهجرة (٢٠٢هـ)، قال أبو عبيد الأحدي سمعته يقول ولدت سنة اثنتين ومائتين[٢]. وقد اشتهر الإمام أبو داود بنسبته «السجستاني» إلى الإقليم الذي نشأ فيه، وهو اقليم صغير من أقاليم ايران، يجاور اقليم السند وفارس.

رحلاته:

نشأ الإمام أبو داود محباً للعلم مغرماً به ملازماً للعلماء يتلقى العلم على أيديهم، وكان مجداً في طلب الحديث منذ صغره فرحل الى الحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة طلباً للحديث من علمائه فأتاحت له كثرة رحلاته الالتقاء بكثير من أئمة الحديث وحفاظه في ذلك العصر.

وقال أبو عيسى الأزرق سمعت أبا داود يقول دخلت الكوفة سنة إحدى وعشرين وأخبرنا أبو عبيد محمد بن على بن عثمان سمعت أبا داود يقول: دخلت البصرة وصليت على عثمان سنة عشرين[٣].

وكان أول خروجه لطلب العلم سنة ٢٢٠هـ وكان عمره لم يتجاوز الثامنة عشرة، وأول بلد رحل إليها العراق، ثم رحل من بعدها إلى الشام ومصر والحجاز.

البلاد التي دخلها:

من البلاد التي دخلها الإمام أبو داود طلبا للعلم:

- العراق: وأول ما دخل بها بغداد سنة ٢٢٠هـ.
- الكوفة: دخلها سنة ٢٢١هـ.
- البصرة: سكنها فترة من الزمان وأكثر السماع فيها، ثم خرج منها، وعاد إليها مرة أخرى.
- الشام: ودخل منها دمشق وحلب وحمص.
- الجزيرة: دخل منها حران وسمع من أهلها.
- الحجاز: سمع من أهل مكة المكرمة، ولعل زيارته لها كانت زيارة الحج.
- مصر.
- خراسان: دخل منها نيسابور وهراة وبلخ.
- الري.
- سجستان: بلده وموطنه خرج منها طالبا العلم، ثم رجع إليها، وخرج منها ثانية.

شيوخه:

تتلمذ الإمام أبو داود على أيدي كثير من علماء عصره في علم الحديث، وقد أدى ارتحاله الكثير الى البلاد في طلب العلم الى أن يكون شيوخه من الكثرة بحيث يتعذر تسميتهم فقيل إن شيوخه تجاوز عددهم الثلاثمائة رجل من رجال الحديث. فقد تتلمذ على كل من: (الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، أبي زكريا محيي بن مهين، أبي رجاء قتيبة بن سعيد الثقفي، الحسن عثمان بن محمد بن أبي شيبيه، ابراهيم بن عثمان العبسي، أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة، الحافظ أبي الحسن مسدد بن سرهد الأسدي، أبي سلمة موسى بن إسماعيل اليمني، الحسن بن عمرو السنوي البصري). وغيرهم الكثير من الأئمة الذين يضيق المقام عن ذكرهم.

تلاميذه:

لقد تتلمذ على يدى أبي داود السجستاني وأخذ عنه الحديث خلق كثير منهم: (شيخه الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب «النسائى»، ابنه عبد الله بن سليمان الأشعث، أحمد بن محمد بن هارون، على بن الحسين بن العبد، محمد بن مخلد الدوري، اسماعيل بن محمد الصفار، أحمد بن سليمان النجاد). وهناك الكثير من تلاميذه المشهورين، والذين تتلمذوا على يديه، وتلقوا منه الحديث الشريف.

صفاته ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

كان الإمام أبو داود رضي الله عنه من الأئمة المشهور عنهم التقوى والورع والزهد في الحياة الدنيا، قال أبو بكر الحلال «أبو داود الإمام المقدم في زمانه رجل لم يسبق إلى معرفته بتخريج العلوم رجل ورع مقدم سمع أحمد بن حنبل منه حديثاً كان أبو داود يذكره وكان ابراهيم الاصبهاني وأبو بكر بن صدقه وغيرهما يرفعون من قدره»، وقال أحمد بن محمد بن ياسين «كان أحد حفاظ الإسلام للحديث وعلمه وعلله وسنده في أعلى درجة من النسك والعفاف والصلاح».

وقال موسى بن هارون «خلق أبو داود في الدنيا للحديث وفي الآخرة للجنة» وقال علان بن عبد الصمد «كان من فرسان هذا الشأن» وقال أبو حاتم بن حيان «كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وإتقاناً جمع وصنف كتاب السنن».

وقال أبو عبد الله بن منده «الذين أخرجوا وميزوا الثابت من المعلول والخطأ من الصواب أربعة: البخارى ومسلم وأبو داود والنسائي». وقال الحاكم «أبو داود إمام أهل الحديث في عصره». وقال القاضي أبو سعيد الخليل «سمعت أبا محمد أحمد بن الليث في بلدنا يقول جاء سهل بن عبد الله إلى أبى داود فقيل يا أبا داود هذا سهل جاءك زائراً فرحب به فقال له سهل أخرج إليّ لسانك الذي تحدث به أحاديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى أقبله فأخرج إليه لسانه فقبله[٤].

وقال أيضاً: «سليمان بن الأشعث أبو داود كان أحد حفاظ الحديث لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} وعلمه وعلله وصنفه في أعلى درجة النسك» وحدثنا عمر بن أحمد الواعظ والأزهري عن معاوية عن الأعمش عن ابراهيم بن علقمة قال «كان عبد الله يشبه بالنبي {صلى الله عليه وسلم} في هديه ودله وكان علقمة يشبه بعبد الله وقال جرير بن عبد الحميد كان ابراهيم يشبه بعلقمة وكان منصور يشبه ابراهيم وقال غير جرير كان سفيان يشبه بمنصور وقال عمر بن أحمد كان وكيع يشبه بسفيان وكان أحمد بن حنبل يشبه وكيع وكان أبو داود يشبه ابن حنبل[٥].

قال أحمد بن محمد الهروي كان أبو داود أحد حفاظ الاسلام لحديث الرسول {صلى الله عليه وسلم} ومن فرسان الحديث وفرسان هذا الشأن ولما كان

ببغداد دخل عليه الأمير أبو أحمد الموفق وقال له أعرض عليك ثلاث خلال: تنتقل الى البصرة فتجعلها وطناً ليدخل إليك طلبة العلم من أقطار الأرض فتعمر بك فإنها قد خربت وانقطع عنها الناس لما جرى عليها من محنة الزنج، وتروي لأولادي كتاب السنن وتفرد لهم مجلساً للرواية، فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة فقال أبو داود: أما هذا فلا سبيل إليها لأن الناس شريفهم ووضيعهم في العلم سواء فكانوا يحضرون بعد ذلك فإذا قعدوا ضُربَ سترٌ بينهم وبين الناس ويسمعون مع العامة[٦].

مؤلفاته:

ترك أبو داود العديد من المؤلفات النافعة التي ذاع ذكرها واشتهرت عند العلماء وتركز جلها حول السنة الغراء وأشهرها على سبيل المثال لا الحصر كتاب السنن.

- كتاب السنن: وهو أشهر كتبه على الاطلاق وقيل إن كتاب السنن مما لا يستغنى عنه ولكنه يأتي بصفة عامة بعد كتاب البخاري ومسلم من ناحية القيمة العلمية.
- كتاب المسائل: مخطوط بالظاهرية حديث ٣٣٤.
- المراسيل: طبع في القاهرة ١٤١٠هـ.
- كتاب العدد.
- الناسخ والمنسوخ.
- كتاب فضائل الأعمال.
- كتاب الزهد.
- كتاب دلائل النبوة.
- كتاب الدعاء.
- ابتداء الوحي.
- كتاب أخبار الخوارج[٧].

منزلة كتاب السنن وثناء الأئمة عليه:

إن سنن أبي داود أحد دواوين الإسلام فقد أجاد فيه مؤلفه ووضع التراجم وسوق الأبواب وأحكم تنسيقه وهو أحد كتب السنة الستة والأكثر، على أن منزلته تجيء بعد منزلة الصحيحين، وقد أثنى عليه كثير من العلماء ومنهم السيوطي الذي نقل عن زكريا الساجي قوله: «كتاب الله أصل الإسلام وكتاب السنن لأبي داود عهد الإسلام».

وقال ابن الأعرابي «لو أن رجلا لم يكن عنده العلم إلا المصحف ثم كتاب أبي داود لم يحتج إلى شيء».

قال الخطابي (اعلموا رحمكم الله أن كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف لم يُصَفْ في علم الدين كتاب مثله وقد رزق القبول من الناس كافة).

وقال العلامة ابن القيم لما كان كتاب السنن لأبي داود رحمه الله من الإسلام بالموضع الذي خصه الله بحيث صار حكماً بين أهل الإسلام يرضى بحكمه الجميع فإنه جمع شمل أحاديث الأحكام ورتبها وأحسن ترتيبها ونظمها أحسن نظام مع انتقائها واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء.

وقال الإمام النووي ينبغي للمشتغل بالفقه وغيره الاعتبار بسنن أبي داود فإن معظم أحاديث الأحكام التي يحتج بها فيه مع سهولة تناوله وتلخيص أحاديثه وبراعة مصيفه واعتنائه بتهذيبه[٨].

منهج أبي داود في كتابه السنن:

قال أبو بكر بن داسه سمعت أبا داود يقول كتبت عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب وجمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه وما كان فيه وهن شديد بينته وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح وبعضها أصح من بعض.

وقد اختلف العلماء في تفسير قوله (وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح) وخلاصة القول في هذا أن الأحاديث التي بيَّن ما فيها من ضعف، هي بالفعل واهية ضعيفة عنده وعند غيره بلا خلاف بين أحد من العلماء. والأحاديث التي سكت عنها إن كانت مروية

في أحد الصحيحين فهي صحيحة وإن لم تكن مروية في أحد الصحيحين ولم يكن أحد من العلماء قد بين درجتها فقد ذهب الإمامان الجليلان ابن الصلاح والنووي إلى أن ذلك من نوع الحسن وليس مرتقياً الى درجة الصحيح[٩].

شروح سنن أبي داود ومختصراته:

شرح سنن أبي داود كثير من العلماء ولا ريب في أن غايتهم بالشرح لم تصل إلى حد عناية شرّاح الصحيحين سيما البخاري. ومنهم:

١) الإمام أبو سليمان الخطابي: المتوفى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة (٣٨٨هـ) ومما شرحه (معالم السنن) وهو شرح وسط اعتنى فيه باللغات وتحقيق الروايات وضبط الكلمات واستنباط الاحكام والآداب والكشف على المعاني الفقهية المنطوية عليها الأحاديث. وقد ألف شرحه استجابة لجماعة من أهل العلم طلبوا منه شرح هذا الكتاب الجليل وهذا الشرح مطبوع في مصر وغيرها.

٢) شرح الإمام الشيخ سراج الدين عمر الملقب بالشافعي: المتوفى سنة أربع وثمانمائة - شرح زوائده على الصحيحين في مجلدين.

٣) شرح أبي الثناء بدر الدين محمود بن أحمد موسى العيني: ويقع جزء كبير منه في مجلدين لكنه لم يكمل.

٤) شرح الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: المتوفى سنة إحدى عشرة وتسعمائة شرح سنن أبي داود في كتاب وسماه (مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود).

٥) شرح العلامة ابي الحسن السيدي المدني: المتوفي سنة ألف ومائة وثمان وثلاثين. وهو تعليق لطيف وجيز على السنن سماه (فتح المودود في شرح ابي داود).

وفاة الإمام أبي داود:

توفي بالبصرة يوم الجمعة لأربع عشرة بقين من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة، ودفن الى جانب قبر سفيان الثوري[١٠].

وقد ذكر الحافظ البغدادي أن أبا الحسين بن المنادي قال ودخلها يعني بغداد أبو داود مراراً ثم خرج منها آخر مراته سنة إحدى وسبعين إلى البصرة فنزلها ومات بها في سنة خمس وسبعين ومائتين لأربع عشرة بقين من شوال وصلى عليه عباس بن عبد الواحد الهاشمي[١١].

الهوامش:

(١) أبو داود (ت ٢٧٥هـ) ، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين، جـ ١ ، ط ١ (بيروت: المكتبة العصرية، ص ٤).

(٢) الذهبي، (ت ٧٤٨هـ) تذكرة الحفاظ، ط ١٠ (بيروت: دار الفكر العربي، ص ٥٩١).

(٣) الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) تاريخ بغداد، جـ ٩ ، بيروت: دار الكتب العلمية، ص ٥٦.

(٤) ابن حجر العسقلاني، (ت ٥٨٢هـ)، تهذيب التهذيب، جـ ٤ ، ط ١ (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٨٤م) ص ١٥١.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مرجع سابق، ص ٥٨.

(٦) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ، جـ ٦، ص ٢٤٧.

(٧) أحمد محرم الشيخ ناجي، الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين، جـ ٢، (القاهرة: مطبعة الأمانة، ١٩٨٧م) ص ٢٦٨، ص ٢٦٩.

(٨) المرجع السابق، ص ١٧٤.

(٩) أبو داود، مرجع سابق، ص ١٠ - ١١

(١٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ط١، م٦، القاهرة: دار الغد العربي، ص ٧٢ - ٧٣).

(١١) الخطيب البغدادي، مرجع سابق، ص ٥٠.

منهج الامام الطبري في تفسيره

(٢٣٩ - ٣٢٣هـ/ ٨٣٩ - ٩٢٣م)

بقلم: د. احسان الحق عبد الحق

كان الامام الطبرى احد الأئمة الاعلام، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه احد من اهل عصره. فكان حافظا لكتاب الله، عارفا بمعانيه، فقيها في احكامه، عالما بناسخه ومنسوخه، ملما باقوال الصحابة والتابعين، مطلعا على ايام الناس واخبارهم. برع في علوم كثيرة منها علم القراءات والتفسير والحديث والفقه والتاريخ. وكان عالما باللغة والنحو، وخاصة مذهب الكوفيين، لقى امامهم ثعلبا، واخذ عنه النحو، وقرأ عليه دواوين الشعراء، واستخرج منها كثيرا من الشواهد التى عوّل عليها في التفسير والتاريخ وغيرهما، صنف في علوم كثيرة واجاد فيما صنف، ولكن معظم تصانيفه قد اختفت منذ زمن بعيد، وحظي الامام بالشهرة الواسعة الى يومنا هذا بكتابيه وهما كتاب التفسير والتاريخ. ويعدّ الامام من أحسن الامثلة للشخصيات الكبيرة من العلماء الذين تخرجوا بثقافة القرن الثالث، وكان من اخصب عصور العلم والمعرفة عند المسلمين، التقت فيه تيارات الفكر الاسلامي بتيارات الفكر الاجنبي، فظهرت فيه عقليات جديدة، امتازت بالنضج والدقة والعمق، وصفاء التفكير، وسيطرة المنطق على آثار العقول، والميل الى الاستقصاء في البحث، واستقلال الرأى.

وقد ظهرت هذه السمات الثقافية للقرن الثالث في عقل الامام الطبري ومنهجه في التآليف، فاخرجت منه عالما مستقل الرأى، وبحرا زخارا منقطع النظير، وظهرت آثار ثقافته الواسعة فيما ألف من تواليف أثنى عليها العلماء، وتلقتها الامة بالقبول، ولا سيما كتابه في التاريخ، ثم كتابه في التفسير، فهو أب للتفسير كما اعتبر أباً للتاريخ الاسلامي وذلك بالنظر لما في هذين الكتابين من الناحية العلمية العالية. فكتابه في التفسير (جامع البيان في تأويل آي من القرآن) يعتبر المرجع الأول والأهم للتفسير بالماثور وهي ميزة لا نعرفها لغيره من كتب التفسير بالرواية وان كان في الوقت نفسه يعتبر مرجعا غير قليل الاهمية من مراجع التفسير العقلي، نظرا لما فيه من الاستنباط، وتوجيه الاقوال، وترجيح بعضها على بعض ترجيحا يعتمد على البحث الحرّ الدقيق.

فاتفق الباحثون في الشرق والغرب بعظيم قيمته وعلى انه مرجع لا غنى عنه لطالب التفسير، فقد قال السيوطى رحمه الله «وبعده ابن جرير الطبرى، وكتابه أجلّ التفاسير واعظمها، ثم ابن أبى حاتم، وابن ماجه، والحاكم وابن مردويه، وابو الشيخ بن حبان، وابن المنذر في آخرين وكلها مسندة الى

الصحابة والتابعين واتباعهم، وليس فيها غير ذلك الا ابن جرير، فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط، فهو يفوقها بذلك»[١].

ثم ذكر الامام السيوطي انواع التفاسير المختلفة، ونقد نقدا على بعض النحويين والاخباريين والفلاسفة من المفسرين ورأى ان كلا منهم يقتصر في رأيه الذى يغلب عليه، ثم قال «فان قلت فأي التفاسير ترشد اليه، وتأمر الناظر ان يعوّل عليه، قلت تفسير الامام ابى جعفر الطبرى الذى اجمع العلماء المعتبرون على انه لم يؤلف في التفسير مثله»[٢].

وقول ابي بكر محمد ابن اسحاق ابن خزيمة معروف حول هذا التفسير عندما استعاره من ابى بكر وقرأه في سنتين ثم اعاده اليه قائلا: «نظرت فيه من أوله الى آخره وما اعلم على اديم الأرض اعلم من ابن جرير»[٣]، وقال ابو حامد الاسفرائيني «لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا، أو كلاما هذا معناه»[٤]، فنستطيع ان نقول ان تفسير الامام هو التفسير الذى له الاولية بين كتب التفسير من ناحية الزمن ومن ناحية الصناعة. فالمحاولات التفسيرية السابقة ذهبت بمرور الزمن الا ما وصل الينا في ثنايا الكتاب اي التفسير الطبري. اما من ناحية الفن والصناعة فالامر يرجع الى ما يمتاز به الكتاب من الطريقة البديعة التى سلكها فيه مؤلفه حتى أخرج للناس كتابا قيما نادرا، وقد استخار الامام قبل بدء عمله الجليل فيقول «استخرت الله تعالى في عمل كتاب وسألته العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن اعمله فأعانني»[٥].

وكتاب التفسير كتاب ابتدأه بخطبة، ومنهجه فيه منهج جلي، فعندما يبدأ تفسير الآية يقول: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا ثم يفسر الآية يستدل على ما قاله بما يرويه بسنده الى الصحابة والتابعين من التفسير المأثور عنهم في الآية اذا كان في الآية قولان أو اكثر، فانه يعرض لكل ما قيل فيها، ويستشهد على كل قول بما يرويه في ذلك عن الصحابة أو التابعين، ثم هو لا يقتصر على مجرد الرواية، بل يستعرض الاقوال، ويرجح بعضها على بعض، كما يتحدث عن الاعراب ان اقتضت الضرورة لذلك. ويستل الاحكام من الآية ما امكن مع توجيه الادلة وترجيح ما يختار. وهذه اهم ميزة من ميزات تفسيره التي فتحت باب تفسير الرأى بعد ذلك في تاريخ التفسير[٦].

وقد كتب صاحب الارشاد الى معرفة الاديب عن منهجه باسلوب بليغ فقال: «وكتاب التفسير كتاب ابتدأه بخطبة ورسالة التفسير تدل على ما خص الله به القرآن العزيز من البلاغة والاعجاز والفصاحة التي نافى بها سائر الكلام من مقدمات الكلام في التفسير وفي وجوه تأويل القرآن وما يعلم تأويله وما ورد في جواز تفسيره وما حظر من ذلك، والكلام في قول النبي {صلى الله عليه وسلم} أنزل القرآن على سبعة أحرف وبأي الألسنة نزل والرد على من قال إنّ فيه أشياء من غير الكلام العربي وتفسير اسماء القرآن والسور وغير ذلك مما قدمه، ثم تلاه بتأويل القرآن حرفا حرفا فذكر اقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم ومن تابعي التابعين وكلام اهل الاعراب من الكوفيين والبصريين وجملا من القراءات

واختلاف القراءة فيما فيه من المصادر واللغات والجمع والتثنية. والكلام في ناسخه ومنسوخه واحكام القرآن والخلاف فيه والرد عليهم من كلام اهل النظر فيما تكلم فيه بعض اهل البدع والرّد عليهم على مذاهب اهل الاثبات ومبتغي السنن الى آخر القرآن.

وذكر فيه من كتب التفاسير المصنفة عن ابن عباس خمسة طرق وعن سعيد بن جبير طريقين وعن مجاهد بن جبر ثلاثة طرق وربما كان عنه في مواضع اكثر من ذلك وعن قتادة ثلاثة طرق وعن الحسن البصرى ثلاثة طرق وعن عكرمة ثلاثة طرق وعن الضحاك بن مزاحم طريقين وعن عبد الله بن مسعود طريقا، وتفسير عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وتفسير ابن جريج وتفسير مقاتل ابن حيان، سوى ما فيه من مشهور الحديث عن المفسرين وغيرهم وفيه من المسند حسب حاجته اليه، ولم يتعرض لتفسير غير موثوق به فانه لم يدخل في كتابه شيئا عن محمد بن السائب الكلبي ولا مقاتل بن سليمان ولا محمد بن عمر الواقدى لانهم عنده اظناء والله اعلم. وكان اذا رجع الى التاريخ والسير واختيار العرب حكى عن محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام وعن محمد بن الواقدي وغيرهم فيما يفتقر اليه[٧].

اهتمامه باللغة والنحو والبلاغة:

قدّم الامام الطبري في تفسيره من البحوث اللغوية المتعددة التي تعتبر كنزا ثمينا في موضوعها. وهذا يدل على معرفته الواسعة بعلوم اللغة وأشعار العرب، معرفة لا تقل عن معرفته بالدين والتاريخ، فالامام يرجع الى شواهد من الشعر القديم بشكل واسع فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى {في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا}.

يقول الامام: «وأصل المرض السّقم، ثم يقال ذلك في الاجساد والاديان، فاخبر الله جل ثناؤه، ان في قلوب المنافقين مرض، وانما عنى تبارك وتعالى بخبره عن مرض قلوبهم، الخبر عن مرض ما غلوا من الاعتقاد، ولكن لما كان معلوما بالخبر عن مرض القلب، انه معني به مرض ما هم معتقدوه من الاعتقاد، استغنى بالخبر عن القلب بذلك، والكناية عن تصريح الخبر عن ضمائرهم واعتقاداتهم كما قال الشاعر:

وسبحت المدينة لا تلمها
رأت قمرا بسوقهم نهارا

يريد وسبح اهل المدينة، فاستغنى بمعرفة السامعين خبره، بالخبر عن المدينة عن الخبر عن اهلها، ومثله قول عنترة العبسي:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك
ان كنت جاهلة بمالا تعلمى

يريد هلا سألت اصحاب الخيل؟ ومنه قوله: يا خيل الله اركبي، يراد يا اصحاب خيل الله اركبوا. فمعنى قول الله جل ثناؤه «في قلوبهم مرض» انما يعني في اعتقاد قلوبهم الذى يعتقدون في الدين والتصديق بمحمد {صلى الله عليه وسلم} وبما جاء به من عند الله مرض وسقم[٨].

او مثلا عند تفسيره لقوله تعالى {فلا تجعلوا الله

أندادا، وأنتم تعلمون}. يقول ما نصه قال ابو جعفر: والانداد جمع ند، والند: العدل والمثل، كما قال حسان بن ثابت:

اتهْجُوه ولست له بندّ

فشركما لخيركما الفداء

يعني بقوله: ولست له بند، لست له بمثل ولا عدل، وكل شيء كان نظيرا لشيء أو شبيها فهو له ندّ[٩].

ويكثر الامام في مناسبات متعددة من الاحتكام الى ما هو معروف من لغة العرب فيرجح بعض الاقوال على بعض على هذا الاساس، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية من سورة هود {حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور} نراه يذكر الروايات عن السلف في معنى لفظ التنور فيروى لنا قول من قال: انه عبارة عن تنوير الصبح، وقول من قال انه عبارة عن اعلى الارض واشرفها، وقول من قال انه عبارة عما يختبز فيه. ثم يقول بعد سرد هذه الاقوال كلها «وأولى هذه الاقوال عندنا بتأويل قوله التنور قول من قال التنور، الذى يختبز فيه لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه الا الى الاغلب الاشهر من معانيه عند العرب، الا ان تقوم حجتهم على شيء منه بخلاف ذلك فيسلّم لها، وذلك انه جل ثناؤه انما خاطبهم بما خاطبهم لافهامهم معنى ما خاطبهم به»[١٠].

الرد على من يفسر بمجرد رأيه:

لا يمنع الامام لجوؤه الى كلام العرب ان يستنكر اصحاب الرأى المستقلين في التفكير، الذين يستغنون عن الرجوع الى اقوال الصحابة والتابعين في التفسير ويعتمدون على كلام العرب واللغة فقط. فمثلا عندما تكلم عن قوله تعالى {ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون} (يوسف/٤٩) فيقول ما نصه وكان بعض من لا علم له باقوال السلف من اهل التأويل، ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب، يوجه معنى قوله تعالى «وفيه يعصرون» الى وفيه ينجون من الجدب والقحط بالغيث، ويزعم انه من العصر، والعصر التي بمعنى المنجاة، من قول ابى زبيد الطائى:

صاديا يستغيث غير مغاث

ولقد كان عصره المخيور

أي المقهور. ومن قول لبيد:

فبات واسرى القوم آخر ليلهم

وما كان وقّافا بغير معصر

وذلك تأويل يكفى من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع اهل العلم من الصحابة والتابعين[١١]، هكذا نجد الامام في مواضع كثيرة من تفسيره يرد على مثل هذه الآراء التي لا تستند على شيء الا على مجرد الرأى أو محض اللغة.

اهتمامه بالمسائل الكلامية:

كان الامام الطبرى لم يقف كمفسر موقفا بعيدا عن مسائل النزاع التى تدور حول العقيدة في عصره، بل نراه يشارك في هذا المجال من الجدل الكلامى مع حرصه كل الحرص على الاحتفاظ بتعاليم اهل السنة فكان الامام عالما ممتازا في امور

العقيدة فهو في جدله الكلامي وتطبيقه ومناقشته، موافق لأهل السنة في آرائهم ويظهر ذلك في رده على القدرية والمعتزلة، فيرد على المعتزلة في كثير من آرائهم الاعتقادية ويجادلهم مجادلة جادة في تفسيرهم العقلى التنزيهى لآيات الرؤية ذاهبا الى ما ذهب اليه السلف من عدم صرف آيات الصفات عن ظاهرها، ومع المعارضة لفكرة التجسيم والتشبيه والرد على اولئك الذين يشبهون الله بالانسان.

الاحكام الفقهية وتقديره لإجماع الأمة:

نجد في تفسير الامام آثارا للأحكام الفقهية يبحث فيها عن اقوال العلماء ومذاهبهم فيختار لنفسه رأيا من الآراء ويرجحه بالأدلة القيمة فمثلا يكتب في تفسيره لقوله تعالى في سورة النحل: {والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون}.

فيختار قول من قال: إن الآية لا تدل على حرمة شيء من ذلك، ووجَّه اختياره هذا فقال ما نصه: والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله أهل القول الثاني - وهو أن الآية لا تدل على الحرمة - وذلك أنه لو كان في قوله - تعالى ذكره - {لتركبوها} دلالة على انها لا تصلح - اذ كانت للركوب - للأكل، لكان في قوله {فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون} دلالة على أنها لا تصلح - اذ كانت للأكل والدفء - للركوب. وفي اجماع الجميع على أن ركوب ما قال تعالى ذكره - ومنها تأكلون - جائز حلال غير حرام، دليل واضح على أن أكل ما قال لتركبوها - جائز حلال غير حرام، الا بما نص على تحريمه، أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب أو وحى الى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، فاما بهذه الآية فلا يحرّم أكل شيء. وقد وضع الدلالة على تحريم لحوم الحمر الاهلية بوحيه الى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، وعلى البغال بما قد بيّنا في كتابنا كتاب الاطعمة بما اغنى عن اعادته في هذا الموضع، اذ لم يكن هذا الموضع من مواضع البيان عن تحريم ذلك، وانما ذكرنا ما ذكرنا ليدل على ان لا وجه لقول من استدل بهذه الآية على تحريم لحم الفرس[١٢].

كذلك نجد ان الامام الطبرى يقدر اجماع الأمة، ويعطيه سلطانا كبيرا، فمثلا عند قوله تعالى في الآية من سورة البقرة: «فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره» يقول ما نصه[١٣] «فان قال قائل: فاى النكاح عنى الله بقوله: فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره؟ النكاح الذى هو جماع؟ ام النكاح الذى هو عقد تزويج؟ قيل كلاهما وذلك ان المرأة اذا نكحت زوجا نكاح تزويج ثم لم يطأها في ذلك النكاح ناكحُها ولم يجامعها حتى يطلقها لم تحل للاول، وكذلك ان وطئها واطيء بغير نكاح لم تحل للاول، لاجماع الامة جميعا، فما كان ذلك كذلك، فمعلوم ان تأويل قوله فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا، نكاحا صحيحا، ثم يجامعها فيه، ثم يطلقها، فان قال: فان ذكر الجماع غير موجود في كتاب الله ذكره، فما الدلالة على ان معناه ما قلت؟ قيل الدلالة على ذلك اجماع الأمة جميعا على ان ذلك مما تركه مالا يعنيه.

الامام الطبري لا يهتم في تفسيره بالامور التى لا تغنى ولا تفيد، فنراه مثلا عند تفسيره لقوله تعالى في سورة المائدة: {اذ قال الحواريّون يا عيسى ابن

مريم هل يستطيع ربك ان ينزّل علينا مائدة من السماء} يعرض لذكر ما ورد من الروايات في نوع الطعام الذى نزلت به مائدة السماء - ثم يعقب على هذا بقوله {وأما الصّواب من القول فيما كان على المائدة فأن يقال: كان عليها مأكول، وجائز ان يكون سمكا وخبزا، وجائز ان يكون ثمرا في الجنة، وغير نافع العلم به، ولا ضار الجهل به[١٤].

وهكذا نراه عند تفسيره لقوله تعالى في الآية من سورة يوسف: {وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين}، يعرض لمحاولات قدماء المفسرين في تحديد عدد الدراهم، هل هي عشرون ام اثنان وعشرون؟ أو اربعون؟ الى آخر ما ذكر من الروايات - ثم يعقب على ذلك كله بقوله: {والصواب من القول في ذلك ان يقال: ان الله - تعالى ذكره - أخبر انهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة، ولم يحدد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد، ولا وضع عليه دلالة كتاب ولا خبراً من الرسول {صلى الله عليه وسلم}، وقد يحتمل أن يكون كان عشرين ويحتمل ان يكون كان اثنين وعشرين، وان يكون كان اربعين، أو اقل من ذلك أو اكثر، واى ذلك كان فانها كانت معدودة غير موزونة، وليس في العلم بمبلغ ذلك فائدة تقع في الدين، ولا في الجهل به دخول ضرّ فيه، والايمان بظاهر التنزيل فرض، وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه»[١٥].

وفي الحق ان شخصية ابن جرير الادبية والعلمية جعلت تفسيره مرجعا مهما من مراجع التفسير بالرواية، فترجيحاته المختلفة تقوم على نظرات ادبية ولغوية وعلمية قيمة»[١٦] وهذه المزايا جعلتها حيَّة الى مدى الدهر فما طرأ عليه القدم وما تأثر بتقلبات الاحوال والازمان ولن يستغني عنه المفسر في المستقبل بالرجوع اليه الى يوم القيامة.

الهوامش:

(١) الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد ابو الفضل، ابراهيم، منشورات الرضى بيدار، الطبعة الثانية، مطبعة امير، الجزء الرابع ص ٢٤٢٠.

(٢) السيوطي (الاتقان في علوم القرآن) ص ٢٤٤.

(٣) ياقوت الرومي: معجم الادباء، تحقيق د.س مرجليوث، مطبعة هندية بمصر ١٩٣٠.

(٤) نفس المصدر: ص ٤٢٥.

(٥) نفس المصدر: ٤٢٤ - ٤٢٥.

(٦) نفس المصدر: ص ٤٣٩.

(٧) معجم الادباء: ص : ٢٤٠ - ٢٤١.

(٨) الطبرى، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل أي القرآن جـ ١ ص ١٢٥.

(٩) نفس المصدر: ص ١٦٣ جـ ١.

(١٠) نفس المصدر: جـ ١٢ ص ٣٨ - ٤٠ مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤ الموافق ١٣٧٣هـ.

(١١) الطبرى جـ ١٢ ص ١٣٨.

(١٢) تفسير الطبري جـ ١٤ ص ٥٧ - ٥٨.

(١٣) تفسير الطبري جـ ٣ ص ٣٩١.

(١٤) الطبري جـ ٧.

(١٥) تفسير الطبرى جـ ١٢ ص ١٠٣.

(١٦) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي جـ ١ ، ص ٣١٧.

الشاعر الحكيم: العنتري

(٠٠٠ ـ ٥٦٠هـ)

بقلم: د. ناظم رشيد

جمع كثير من رجالنا القدامى الأفذاذ بين العلم والأدب، والطب والفلسفة، والتاريخ والتفسير والحديث والفقه، والبلاغة والنقد الأدبي، والرياضيات والفلك.. وكانوا ماهرين في جميع هذه المعارف، متقنين لها، مجيدين في التأليف والتصنيف فيها، استطاعوا أن يخلدوا أنفسهم عند الاجيال اللاحقة بمعطياتهم النافعة.

عاش الحكيم العنتري في القرن السادس للهجرة، هو العالم الطبيب الأديب أبو المؤيد محمد بن المجلي بن الصائغ الجزري المعروف بـ «العنتري» إذ كان في أول أمره يكتب سيرة عنتر بن شداد العبسي فصار مشهوراً بنسبته إليه.

هو في الأصل من جزيرة ابن عمر التي تقع شمال الموصل، ولا نعرف السنة التي ولد فيها، والبيت الذي عاش فيه، والبيئة التي درج فيها، والشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم وأخذ منهم.

ومن يقرأ ما وصل إلينا من حكمه ووصاياه وشعره يستدل على دراسة واسعة وثقافة كبيرة في علوم اللغة العربية وآدابها. ونورد هنا جملة من أقواله ليقف القارىء على دقة فكره، وعمق تجربته، ووفرة درايته بشؤون الحياة:

- الجاهلُ عبد لا يُعتقُ رقُّه إلا بالمعرفة.
- كون الشخص بلا علم كالجسد بلا روح.
- الحكمة شرف من لا شرف له قديم.
- منْ أحبَّ أن ينوَّه باسمه فليكثر من العناية بعلمه.
- العالم المحروم أشرف من الجاهل المرزوق.
- عدم الحكمة هو العقم العظيم.
- الجاهل يطلب المال، والعالم يطلب الكمال.
- الغمُّ ليل القلب، والسرورُ نهاره.
- شرف السم أهون من معاناة الهم.
- الحكمة غذاء النفس وجمالها، والمال غذاء الجسد وجماله، فمتى اجتمعا للمرء زال نقصه، وتم كماله، ونَعُمَ باله.
- الأدب أزين للمرء من نسبه، وأولى بالمرء من حسبه، وأدفع عن عرضه وماله، وأرفع لذكره من جماله.

إنَّ مثل هذه الأقوال البليغة لا تصدر ـ كما هو المألوف ـ إلا من رجل خبر الحياة وعركها، وسبر أغوارها، ووقف على خيرها وشرها، وذاق حلوها

ومرها، وعرف حسنها وقبحها. ولم يكن الصفدي مجانباً الحقيقة حين قال عنه: «كان طبيباً مشهوراً، عالماً مذكوراً، حسن المعالجة، فيلسوفاً، متميزاً بالأدب».

كان العنتري طيب القلب، دمث الأخلاق، رقيق الشعور، صافي السريرة، يبغي الصلاح والفلاح للناس جميعاً، ويطلب لهم العزَّة والرفعة وعلو الشأن والمقام المحمود والعيش الكريم، ودليلنا في ذلك ما وصل إلينا من وصاياه التي صاغها في قوالب شعرية تتسم بجودة اللفظ، وحسن السبك، ووفرة الموسيقى، وصفاء الديباجة، يفهمها المتلقي بلا عناء وبلا كد للذهن، مثل قوله:

بُنيَّ كنْ حافظاً للعلم مُطَّرحاً
جميع ما للناس فيه تكتسبْ نسبا
فقد يسودُ الفتى من غير سابقة
للأصل بالعلم حتى يبلغ الشُّهُبا
غذِّ العلوم بتذكار تزدْ أبداً
فالنارُ تخمدُ مهما لم تجدْ حطبا
إني أرى عدم الإنسان أصلح من
عمر به لم ينل علماً ولا نشبا
قضى الحياة فلما مات شيعه
جهل وفقر لقد قضاهما نصبا

إنَّ هذا الشعر السهل المأنوس يمثل درساً تربوياً سديداً للأبناء في بناء كيانهم على الهدى والصلاح، وإرساء قاعدة حياتهم على المعرفة التي تسهل الصعود الى ذرى العلى والمجد، والارتقاء إلى المكانة الحصينة الرفيعة التي يتشرَّف المرء بها ويزهو بقدرها. وقال في أبيات أخرى ناصحاً ومرشداً:

بُنيَّ تعلَّم حكمة النفس إنها
طريق إلى رشد الفتى ودليلُ
ولا تطلب الدنيا فإنَّ كثيرها
قليل وعما رقدة فتزول
فمن كان في الدنيا حريصاً فإنه
يظلُّ كئيب القلب وهو ذليلُ

هذا اللون من النظم ليس بغريب ولا بجديد، فقد وجدناه سابقاً عند الشعراء المصلحين الزاهدين أمثال الإمام على بن أبى طالب، والإمام الشافعي، والإمام عبد الله بن المبارك رضي الله عنهم، فإنهم أتحفونا بشعر تهذيبي رائع يدعو إلى الفضيلة ونبذ الرذيلة.

وشاعرنا العنتري سار على هداهم واقتفى أثرهم وجاراهم في كثير من معانيهم التي ضمنوها شعرهم، وهي في الغالب شبيهه بالدروس التعليمية التي يوجهها المعلمون إلى تلامذتهم أو الآباء إلى أبنائهم، يرومون بها تقويم الأخلاق، وتحسين السيرة، وتجنب الشرور والآثام، والابتعاد عن مكامن المفاسد والقبائح. وتُعدُّ قصيدة العنتري التي يقول في مطلعها:

احفظ بُنيّ وصيتي واعمل بها
فالطب مجموع بنص كلامي

من النظم التعليمي أو الدرس الأخلاقي المفيد، وقد تنازع على هذه القصيدة شاعران آخران هما الشيخ الرئيس ابن سينا، والمختار بن الحسن بن بُطلان، ولكن ابن أبي أصيبعة في عيون أنبائه يؤكد أنها للعنتري، ومن جملة ما جاء فيها قوله:

واجعل طعامك كلَّ يوم مرة
واحذر طعاماً قبل هضم طعام
لا تحقر المرض اليسير فإنه
كالنار يصبحُ وهي ذات ضرام
واذا تغيَّر منك حال خارج
فاحتل لرجعه حلَّ عقد نظام
لا تشربنَّ بعقب أكل عاجلا
أو تأكلنَّ بعقب شرب طعام
وخذ الدواء إذا الطبيعة كررت
بالاحتلام وكثرة الأحلام
وإذا الطبيعة منك نقَّتْ باطناً
فدواء ما في الجلد بالحمَّام

وعلى هذا النهج تمضي أبيات القصيدة في تقديم الوصايا للإنسان في حفظ صحته ومعالجة ما يصيبه من مرض وتجنب ما يضره ويسيء اليه. ولعل عمله الطويل في معاينة المرضى وصنع العقاقير لهم ومداواتهم أكسبه خبرة كبيرة ومعرفة فائقة ودراية واسعة في حقائق الأشياء ودفعه الى نظم مثل هذا الشعر التعليمي، وقد أشار بنفسه إلى ذلك فقال:

أبلغ العالمين عني بأنّي
كلُّ علمي تصوُّر وقياسُ
قد كشفتُ الأشياء بالفعل حتى
ظهرت لي وليس فيها التباسُ

وكان للعنتري نظرة خاصة في الحياة، فهو يراها أن تكون قائمة على أركان ثلاثة، لا يصح للمرء أن يتركها أو يتخلى عن ركن منها، لكيلا ينهدم بنيانه أو يتضعضع، الركن الأول السعي في طلب العلم والمعرفة والارتحال من أجلهما، والركن الثاني الكسب الحلال الذي يعينه على العيش الكريم ويقيه ذلَّ السؤال، والركن الثالث التمتع بما لذَّ وطاب من الأطعمة في ظل الراحة البعيدة عن الفحش ومهاوي الرذيلة:

اقسم العمر ثلاثاً واستمع
يا بُنيَّ النصح مني والرشادا
فاطلب الحكمة في أوله
واحرز العلم وجُبْ فيه البلادا
واكسب الأموال في الثاني وكل
واشرح الراح ولا تبغ الفسادا
وترقبْ آخر العمر فإنْ
جاءك الموتُ فقد نلت المرادا
وان اعتافك في إحداهما
طارق الموت فقد حزت الجهادا
هذه سيرة مسعود بها
نال في الدنيا وفي الآخرى السدادا

وله شعر رائق جميل سلس في وصف الطبيعة وما فيها من نباتات بهية وثمار شهية، ولا سيما ما شاهده في ديار الشام، وكان معجباً بمدينة دمشق وبمناظرها الخلابة وأجوائها الساحرة وحدائقها الغناء وفاكهتها الجنيَّة، وقد وسمها بالجنة الوارفة الظلال، ودعا قاطنيها الى المكوث فيها وطلب منهم

أن لا يبارحوها ويستبدلوها بغيرها، فإن ذلك الخسران الكبير:

لا تطلبنَّ بغيرها بدلا
هي جنةُ الله التي وعدا
قضٌ الزمان ولا تبعْ طمعاً
نقداً بوعد ترتجيه غدا
فالعاقلُ الفطنُ اللبيبُ إذا
نال المنى في منزل قعدا

وله شعر رقيق في الغزل والعتاب، وكذلك في المديح، ونقف هنا عند مقطوعة له يمتدح فيها فضيلة الشريعة الإسلامية التى أنارت السبيل للعباد، وهدتهم إلى الأعمال الصالحة، وجنبتهم الأفعال الطالحة، ووقتهم من الوقوع في الشبهات، وعصمتهم من الآثام وما نها الله عنه:

إنَّ الشريعة ألفَّتْ بصلاحها
للعالم المتضادد المتمازج
الشرعُ أصلح كلَّ غاو مارد
وأمات شرَّة كل جان مارج
لولا الشريعة ما تجمع واستوى
شملُ الورى ومنوا بشر هائج
إنَّ الشريعة حكمة ومنافع
لمداخل ومصالح لمخارج
والعقلُ نور الله إلا أنه
للعالم المحسوس غيرُ ممازج
فمتى اكتفيت بفعل عقل داخل
فسدتْ أمورك كلها من خارج
الأنبياء كواكب تهدي إلى
سُبُل الهدى لذوي السُّرى والدالج

وكان العنترى إلى جانب نظم الشعر مؤلفاً قديراً ومصنفاً بارعاً، وقد ذكر له ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء، والصفدي في الوافي بالوفيات، واسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين أسماء عدد من كتبه، منها: كتاب «النور المجتنى من روض الندما، وتذكار الفضلاء الحكماء، ونزهة الحياة الدنيا»، وكتاب «الجمانة في العلم الطبيعي والإلهي»، وكتاب «الأقرباذين» وهو كبير استقصى فيه ذكر الأدوية المركبة، ورسالة «الشعرى اليمانية إلى الشعرى الشامية» كتبها إلى عرفة النحوي بدمشق جواباً عن رسالة جاءت إليه منه، ورسالة «حركة العالم» هنأ بها حجة الدين مروان لمَّا وزَّره أتابك زنكي بن آق سنقر، ورسالة «الفراق ما بين الدهر والزمان والكفر والايمان»، ورسالة «العشق الإلهي والطبيعي».

رحم الله هذا العالم الشاعر، فإن الوفاة أدركته سنة ٥٦٠ للهجرة تقريبا، ولم يذكره العماد الأصبهاني - وهو معاصر له - في خريدة القصر وجريدة العصر ما خلا بيتين من الشعر لا قيمة لهما. وكذلك أغفله ياقوت الحموي في معجم أدبائه وابن خلكان في وفيات أعيانه.

إنّ ما كتبناه عن العنتري لا يشكل إلا إضاءة يسيرة لعل فيها نفعاً والله من وراء القصد.

الخليل بن احمد الفراهيدي

حياته وجهوده في النحو والصرف
(١١٨ ـ ١٩١هـ/ ٧١٨ ـ ٧٩١م)

بقلم: فاروق صالح باسلامه

اسمه ونسبه:

هو ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى، وقال يونس (بن حبيب): الفرهودى بضم الفاء، الازدي اليحمدي البصرى، أبوه احمد أول من سمي بعد النبي {صلى الله عليه وسلم} بهذا الاسم.

صفاته:

وصفه الانباري في نزهة الألبَّاء في طبقات الادباء (تحقيق أبى الفضل ابراهيم) بقوله: «سيد أهل الادب قاطبة في علمه وزهده». وقال ياقوت في معجم الادباء (طبعة الرفاعى) «سيد الادباء في علمه وزهده» وقال ابن النديم في الفهرست (الطبعة المصرية): قال ابراهيم الحربي احد المحدثين: كان أهل العربية كلهم اصحاب أهواء الا أربعة فانهم كانوا اصحاب سنة: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب البصرى، والاصمعي».

ويقول خير الدين الزركلي في معجم الأعلام يصفه: «كان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغمورا في الناس لا يعرف».

وينقل الزركلي قول النضر بن شميل: «ما رأى الراءون مثل الخليل، ولا رأى الخليل مثل نفسه»..

ويقول السيوطي في بغية الوعاة «تحقيق أبي الفضل ابراهيم».. وكان خيِّرا متواضعا.. ذا زهد وعفاف.

من أخبار زهده وتقشفه:

ذكر ابن خلكان في وفيات الاعيان (تحقيق محي الدين عبد الحميد ود. احسان عباس) وكان له راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب بن ابى صفره الازدي وكان والي فارس والاهواز فكتب اليه يستدعى في حضوره، فكتب الخليل جوابه:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة
وفي غني غير أني لست ذا مال
شحا بنفسي انى لا أرى احدا
يموت هزلا ولا يبقى على حال
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه
ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه
ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فقطع عنه سليمان الراتب فقال الخليل:

ان الذى شق فمى ضامن
لى الرزق حتى يتوفاني
حرمتنى مالا قليلا فما
زادك في مالك حرمانى

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته، وكتب الى الخليل يعتذر اليه وأضعف راتبه فقال الخليل:

وزلة يكثر الشيطان ان ذكرت
منها التعجب جاءت من سليمان
لا تعجبن لخير زل عن يده
فالكوكب النحس يسقى الارض احيانا

ونقل السيوطى ايضا - عن النضر بن شميل - قوله:

«اقام الخليل في خص بالبصرة - والخص - في اللغة - البيت من القصب (المختار من صحاح اللغة) لا يقدر على فلسين، وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال».

ولا شك ان رجلا كالخليل بن احمد - رحمه الله - على هذا القدر من الجلالة في نفسه وسمو روحه لا يستغرب أن تنقل كتب التاريخ عنه كل ما سقناه - وغيره - ومن هذا قول الحنبلي في (شذرات الذهب في أخبار من ذهب).

«قيل لما دخل الخليل البصرة لمناظرة أبي عمرو بن العلاء (وكان أستاذه كما نعلم) جلس اليه ولم يتكلم بشيء فسئل عن ذلك فقال: هو رئيس منذ خمسين سنة فخفت أن ينقطع».

ونقل الحنبلى أيضا: «قال الواحدى في تفسيره: الاجماع منعقد على انه لم يكن أحد أعلم بالنحو من الخليل.. وقال ابن الاهدل: ونقله صاحب العبر: «الخليل بن أحمد.. كان اماما كبير القدر.. خيّرا متواضعا، فيه زهد وتعطف» وقول ياقوت: «وكان يحج سنة ويغزو سنة وكان من الزهاد المنقطعين الى الله تعالى» ومن صفاته ايضا ما قاله الامام سفيان الثوري: «من أحب أن ينظر الى رجل خلق من الذهب والمسك فلينظر الى الخليل بن أحمد» وقد سقت هذه الاقوال استطرادا لوصف الرجل كما رآه غيره من القائلين فيه بالحق.

اساتذته وتلاميذه:

أخذ الخليل بن أحمد العربية عن ابى عمرو بن العلاء اللغوى وأحد مؤسسى النحو اضافة الى انه أحد القراء السبعة المعروفين أو العشرة على وجه الدقة.

وفي ذكر من تتلمذ عنهم الخليل في العربية والنحو وغيره يجدر بي أن أشير الى أن الاستاذ أحمد حسن الزيات قد أخطأ في كتابه (تاريخ الادب العربي) ص ٣٧٢ حينما قال في ذكره للخليل: «وأخذ عن سيبويه وعن نفر من الائمة كالنضير بن شميل ومؤرج السدوسي» والحق الذى نقله التاريخ ان هؤلاء المذكورين هم تلاميذ الخليل وليسوا بأساتذته ومعروف أن سيبويه كان كثير التردد على مجلس الخليل حتى كان الخليل يقول له: (مرحبا بزائر لا يمل) كلما جاءه أو جلس مجلسه. ويقول السيوطي: «وهو أستاذ سيبويه، وعامة الحكاية في كتابه عنه وكلما قال سيبويه «وسألته» أو «قال» من غير أن يذكر قائله فهو الخليل ا.هـ (بغية الوعاة) .. وهذا الكلام نقله السيوطى عن السيرافي المعروف.

ومن أساتذة الخليل ايضا عيسى بن عمر النحوى الذى يعد من مؤسسى علم النحو ايضا، ويعد الخليل بن احمد أحد مؤسسى علم النحو كذلك باعتبار آثاره التى نقلها عنه تلاميذه خاصة سيبويه في الكتاب وقد أثر عن الخليل كتب ورسائل في النحو والصرف الا ان القفطى كما يقول الدكتور شوقى ضيف يظن انها

منتحلة عليه: (المدارس النحوية) وسأضطر في زاوية جهود الخليل في النحو والصرف الى نقل جزء كبير مما سرده الدكتور ضيف في كتابه المذكور نظرا الى انه قد أتى بالقول الفصل في هذا الموضوع وخاصة أن الدكتور قد أتى بذلك في كتابه الذى خصصه للنحو ومدارسه ورجاله الذين اسهموا بجهودهم في بنائه واتساع آفاقه فيما بعد بكثرة التصانيف والكتب والمؤلفات المتون منها مثل المنظومات والألفيات وغيرها وشروحها الشروح الجامعة والمتعددة الاصناف.

ويقول الدكتور ضيف:

«وحقا سبقت الخليل في النحو والتصريف خطوات مهمة، وخاصة عند ابن ابى اسحاق وعيسى بن عمر ولكن من الحق ايضا أنه هو الذى رفع قواعدهما واركانهما وشاد صرحهما وبناءهما، يهتدى في ذلك ببصيرته النافذة التى أتاحت له وضع العروض وضعا تاما بحيث لم تستطع الاجيال التالية أن تضيف الى صنيعه شيئا. وبالمثل تناول علمى النحو والتصرف سانحين من اسلافه وما زال بهما حتى استويا في صورتهما التى ثبتت على الزمن، ونستطيع أن نقول في اجمال أن جمهور ما يصوره سيبويه في كتابه من أصول النحو والتصريف وقواعدهما إنما هو من صنيع أستاذه ولا ينكر احد ما لسيبويه من اكمال في العلمين وتتميم، ولكن المهم ان واضع تخطيطهما وراسم لوحتيهما انما هو الخليل، يتضح ذلك في محاوراته التى لا تكاد تنتهى مع تلميذه والتى تدور فيها مصطلحات النحو والصرف وابوابهما، من مثل المبتدأ والخبر وكان وإن وأخواتهما والافعال اللازمة والمتعدية الى مفعول به واحد أو مفعولين أو مفاعيل، والفاعل والمفاعيل على اختلاف صورها.. والحال والتمييز والتوابع والنداء والندبة والاستغاثة والترخيم والممنوع من الصرف وتصريف الافعال والمقصور والمحدود والمهموز والمضمرات والمذكر والمؤنث والمعرب والمبني وهو الذي سمى علامات الاعراب في الاسماء باسم الرفع والنصب والخفض وسمى حركات المبنيات باسم الضم والفتح والكسر غير المنونة في مثل مررت بعبد الله باسم الجر، كما سمى السكون الذى يقع في اواخر الافعال المضارعة المجْزومة باسم الجزم وكان يرى ان الالف والياء والواو في التثنية وجمع المذكر السالم هى نفس حروف الاعراب كما كان يرى ان اسماء الافعال مبنية ولا محل لها من الاعراب مثلها في ذلك مثل ضمير الفصل.

وأدته بحوثه الواسعة في بنية الكلمة وما لحروفها من اصالة وزيادة الى ان يقسم الكلمات الى مجردة ومزيده، ملاحظا ان المجردة لا تزيد علي خمسة ولا تقل عن ثلاثة.. ووضع للابنية المجردة والمزيدة الميزان الصرفى المشهور، وهو شديد الصلة بميزان تفاعيله في العروض مما يؤكد انه هو واضعه، وقد اتخذ فيه من تفعيلة الصيغة الثلاثية المجردة أصلا هو (فعل) وأضاف اليها (لاما) في وزن الرباعى المجرد مثل (جعفر) فوزنه فعلل (ولامين) في وزن الخماسي المجرد مثل (سفرجل) فوزنه فعلل، اما الكلمات المزيدة فلاحظ أن حروف الزيادة فيها عشرة، وتجمعها حروف كلمة (سألتمونيها) وقد رأى أن تنطق في الميزان بلفظها ليمتاز الاصلى من المزيد، فمثلا اكرم وزنها افعل وتفضل وزنها تفعل واقتطف وزنها افتعل وانكسر وزنها انفعل واستغفر وزنها استفعل، ومثلا اكرام وزنها افعال واقتطاف وزنها مفعال، واليه يرجع الفضل في

وضع قوانين الاعلال والقلب، ويكفى أن نذكر لذلك ثلاثة أمثلة، أما أولها فصيغة اسم المفعول من الفعل الاجوف مثل مقول ومبيع فقد كان يرى أن واو مفعول الزائدة هى المحذوفة من الصيغتين لأن الزائد أولى بالاعلال من الاصلى، وبذلك يكون وزن الكلمتين عنده (مفعْل) و(مفُعْل) بينما يذهب بعض النحاة الذين خلفوه الى ان عين صيغة اسم المفعول هي المحذوفة وأنّ وزنها لذلك (مقول) والمثال الثاني صيغة اسم الفاعل من الفعل الاجوف المهموز مثل جاء من جاء. وكان يرى انه حدث في الصيغة قلب، اذ قدمت ياء لفظه جائى على الهمزة، وذلك أن اسم الفاعل من الفعل الاجوف الثلاثى تقلب عينه همزة مثل سائل، فلو لم تتقدم الياء لأدى ذلك الى انقلابها همزة وان تجتمع همزتان في كلمة واحدة وهو شيء تكرهه العرب في لغتها، ومن أجل ذلك قدر حدوث قلب في الصيغة فأصبحت (جاييء) جائى، واعدها ذلك لان تعل اعلال كلمة قاض، فأصبحت (جاء) ودعم رأيه في هذا الاعلال والقلب بقياس كلمة جاء على كلمة شاك في قول طريف بن تميم العنبرى.

فتعرّفونى اننى انا ذاكم
شاك سلاحى في الحوادث مُعلم

فإنه قدم الكاف على الهمزة في الصيغة الاصلية لكلمة: (شاك) اذ اصلها «شائك» فأصبحت (شاكىء) ثم أعلها فأصبحت «شاك» ووزنها اذن «فالع» لا فاعل.

أما المثال الثالث فكلمة «اشياء» فانها جاءت عن العرب ممنوعة من الصرف مع انها جمع شيء وصيغة جمعها وهى افعال لا تمنع من الصرف، ومن أجل ذلك ذهب الخليل الى أنه حدث فيها قلب، وانها ليست على وزن أفعال، كما يتبادر فقد جمعت «شيئاء» على وزن فعلاء الممنوع من الصرف مثل خضراء بعلة ألف التأنيث المدودة، والكلمة اذن اسم جمع لا جمع، وحدث فيها قلب مكانى اذ قدمت الهمزة الأولى التى هى لام الكلمة على فائها، وبذلك أصبح وزنها (لفعاء) لا فعلاء وظلت ممنوعة من الصرف. واستدل الخليل على رأيه بأن الكلمة تجمع على (أشاوى) كما تجمع صحراء على صحارى، وأصلها عنده «أشايا» فأبدلت الياء واوا.

وعلى هذا النحو من التحليل، للقلب والاعلال في هذه الامثلة كان الخليل يحلل تحليلا واسعا عبارات اللغة، كما كان يحلل أدواتها وصيغها اللفظية تحليلا جعله يلتفت فيها الى النحت وأن من الممكن أن تكون الكلمة استخلصت من كلمتين، من ذلك اسم الفعل «هلُمْ» فإنه ذهب الى انه مركب من «ها» للتنبيه وفعل «لُم» أى لُمَّ بنا، ثم كثر استعمال الصيغة فحذفت الالف من «ها» تخفيفا لأن اللام بعدها وان كانت متحركة فإنها في حكم الساكنة، وكأنها حذفت لالتقاء الساكنين فصارت «هلم». ومن ذلك تحليله للفظة «مهما» الشرطية فقد كان يرى أن أصلها «ما» ثم دخلت عليها «ما» التى تدخل على اخواتها الشرطيات مثل «اينما» واستقبح التكرار فى «ماما» فأبدل الالف الاولى هاء لانها من مخرجها، وحسن اللفظ بها، ومن ذلك «لن» الناصبة للمضارع فأصلها عنده: «لا أن» فحذفت الهمزة تخفيفا لكثرة دوران الصيغة في الكلام على نحو حذفها فى مثل «خُذْ وكُلْ ومُر وسلْ» ثم حذفت الالف لسكونها وسكون النون بعدها، أو بعبارة أخرى حذفت لالتقاء الساكنين، ومن ذلك تحليله لكلمة «ليس» فأصلها عنده: لا أيس فطرحت الهمزه وألصقت اللام بالياء ومن ذلك كلمة اذن فأصلها عنده إذْانْ...).أهـ

الزهراوي أبو الجراحة

(٣٢٥ ـ ٤٠١هـ/ ٩٣٦ ـ ١٠١٣م)

بقلم: د. محي الدين لبنيه

كـان الزهراوي المعلم الرائد في الجراحـة، ذاع صيته ولمع نجمه خلال قرون عديدة ثم طوى اسمه النسيان فيما بعد لسنوات طويلة ثم عرفت حديثاً أهمية أعماله وانجازاته في مجال الطب والجراحة وبدأ باستعادة المكانة التي يستحقها، ولقد تردد اسمه في المراجع الطبية.

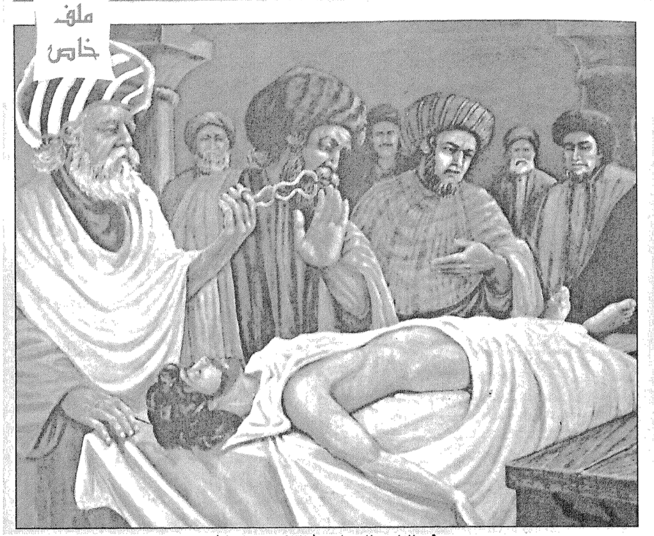
من هو الزهراوي؟:

ذكرت كتب التراجم والأعلام أنه «أبو القاسم خلف بن عباس» الملقب بالزهراوي أما في اللغات الاوربية فقد عرف اسمه بصور مختلفة فسمي بـ أبو الكاسس ـ البلكاسس ـ السروي ـ أكاراي ـ زاهر فيوس ـ الكارافي ـ الزهراوي. ولم يهتم أحد بتسجيل تاريخ ميلاده ووفاته بالتحديد شأنه في ذلك شأن أعلام العرب في تلك العصور الذين أهملوا في مطلع حياتهم، وتشير عدة مراجع بأنه ولد في الزهراء في القرن الرابع للهجرة ٣٢٥هـ (٩٣٦م) ومات في سنة ٤٠١هـ (١٠١٣م).

وقضى عمره في الأندلس التي كانت جزءا هاماً من الدولة الاسلامية في أوج مجدها، وكان الزهراوي أستاذ فن الجراحة وقد مارس بنفسه الكثير من فروعها المختلفة، وابتكر عدداً كبيراً من العمليات الجراحية وشرحها باستفاضة في كتابه «التصريف» مبيناً كيفية اجرائها، كما اخترع الكثير من الأدوات الجراحية، وسجل تفصيلياً طرق استعمالها وكان أول طبيب جراح شرح بالرسوم نوع الأدوات المستعملة في العمليات الجراحية وشكلها وحجمها حتى أن جوانب كبيرة من صفحات مجلدات كتابه احتوت على رسومات كثيرة لها الى حد جاوز أحياناً ما شغلته سطور الحديث عنها، ولقد كرس الزهرواي حياته وعبقريته لتقدم الطب بوجه عام والجراحة بوجه خاص.

البيئة التي عاش فيها:

عاش الزهراوي في مسقط رأسه «الزهراء» ولقب بها بعد أن تحولت من ضاحية قريبة من قرطبة الى مدينة مزدهرة بالعمران ويقال إنه عاش خلال فترة حكم الأمير عبد الرحمن الثالث والمعروف بالناصر ٣٠٠ ـ ٣٤٠هـ (٩١٢ ـ ٩٦١م) وهو أحد ملوك بني أمية الذي شيد الزهراء وأطلق عليها اسم زوجته محبة ووفاء وشجع الوجهاء والعلماء والمثقفين على الاستقرار فيها وقدم لمن يبني منزلا فيها منهم منحة مقدارها ٤٠٠ دينار، كان يحكم الأندلس في ذروة ما يعرف بالعصر الذهبي لها وحيث تمتعت هذه المدينة بالثراء وازدهار التعليم وانتشار مجالس العلم والمعرفة، واحتضنت قرطبة في ذلك العهد أعظم

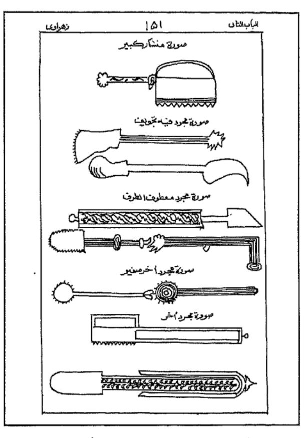


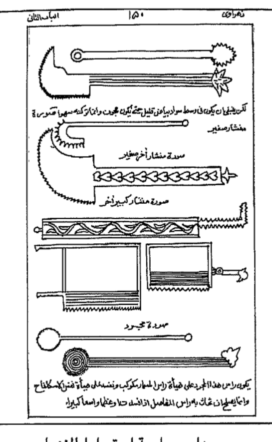
ـ أبو القاسم الزهراوي (٩٣٦ ـ ١٠١٣)
ممسكا باحد الالات الجراحية التي ابتكرها وحوله تلاميذه يلقي عليهم درساً سريرياً

جامعة في الأرض اهتمت بمختلف مجالات العلوم وبلغ تعداد سكانها قرابة ربع مليون نسمة، كما كان يوجد فيها مكتبة عامة ضمت مالا يقل عن ٤٠٠ ألف مجلد وكان من الميسور الاستفادة من أي مؤلف فيها حتى القرن الثاني عشر الميلادي، وعرف في الاندلس بذلك الوقت ما يزيد عن ٧٠ مكتبة عامة تشابه في عظمتها ما كانت عليه مكتبة قرطبة.

أثار الزهراوي:

اتفق معظم المؤرخين على أن كتاب «التصريف» هو أهم مؤلفات الزهراوي، ويتكون هذا الكتاب من ٣٠ جزءاً تحتوي بمجموعها على ١٥٠٠ صفحة كبيرة، اشتمل على معلومات تفصيلية في جميع التخصصات الطبية كالجراحة وعلم العيون والعظام والصيدلة والتغذية، وأصبحت معروفة لدى الكثير من الناس واحتلت هذه الموسوعة مكانة كبيرة بصفتها أحد المراجع الطبية في الكثير من الجامعات الأوربية خلال القرن الثاني عشر حتي السابع عشر الميلادي، ولقد انتقل هذا الكتاب من الأندلس الى جهات كثيرة في العالم وتداولته الأيدي بالطباعة والترجمة والنسخ


- صفحة من كتاب «التصريف» فيها رسوم توضيحية لأدوات جراحية متنوعة.


- رسوم معدات جراحية استعملها الزهراوي.

والتقسيم بجانب الاستفادة مما احتواه من معلومات ثمينة كما ترجم الى معظم اللغات الأوربية، ولم يتمكن المهتمون بالتراث القديم حتى اليوم لسوء الحظ من جمع أجزائه الثلاثين داخل مكتبة واحدة في العالم، وتكون مجلداته مكتوبة بلغات مختلفة ومحفوظة في العديد من العواصم الاسلامية كالقاهرة ودمشق وبغداد والرباط واستانبول وفي بعض المدن الأوربية كباريس ولندن واكسفورد والفاتيكان وفينيسيا، وبالرغم من أن كتاب «التصريف» احتل مكانة كبيرة خلال قرون عديدة مضت، إلا أن الزهرواي لم ينل حظه من الاهتمام والتقدير في البلاد العربية والاسلامية سواء في العصر القديم أو الحديث فكل ما ذكر عنه في كتب الأعلام والتاريخ والتراجم سطور قليلة لا تكفي لالقاء الضوء على مكانته العلمية وانجازاته الطبية وكان الأجانب أسبق منا إلى اجراء الدراسات حوله في حركة الاستشراق فمنهم من خلصت نيته.

اختراع الأدوات الجراحية:

كان الزهراوي أول من استحدث رسوم الآلات الطبية ووصفها في أجزاء كتابه (التصريف) كما سلف وكانت تصنع من الحديد أو الذهب أو الفضة ويختلف استعمال كل منها حسب الحالة المرضية ومكان الاصابة، بعضها المستخدم في الكي وهي ذات أشكال مختلفة ومنها المشارط كالمبضع الخاص بشق الخراريج أو تشريح ما تحت الجلد أو السلخ غير الحاد أو المستخدم لفتح الأذن وهناك آلة الكحت والكلاليب المتنوعة لخلع الاسنان وقاطع اللوزه وجفت

الحلق وأنواع مختلفة من المسبارات والسنانير والمشارط لاستئصال الأورام.

المعالجة بالكي:

عرف الكي لدى العرب منذ العصور القديمة وكان الزهراوي أول من ذكر الحالات التي يمكن بها استعماله تفصيلياً ووصف طريقة إجرائه وأكد على أهميته العلاجية واخترع أشكالا مختلفة من أدوات الكي لاستخدامها في أجزاء الجسم المختلفة ، وأشار الى ضرورة استعمال المعادن في الكي وقد لاحظ أن الحديد يصبح ذا لون أحمر في بداية تسخينه الشديد ثم يتغير الى الأبيض عند استمرار تعرضه لدرجات حرارة أعلى، ونصح أبو القاسم باستعمال الحديد المسخن لدرجة الاحمرار للكي لأنه يحدث تجمعاً بالأنسجة في مكان الكي، أما الحديد الساخن حتى الابيضاض فانه يقطع الأنسجة كالسكين، ودافع عن استعمال الحديد في الكي بدلا من النحاس والذهب لأن المعدن الأخير يبرد بسرعة واذا سخن لدرجة حرارة أكبر فانه ينصهر، ولقد تأكدت هذه الحقيقة التي لاحظها قبل زمن ليس بعيد فعرف أن نقطة انصهار الذهب هي ١٠٦٣ أم بينما تصل الى ١٥٣٥ أم في الحديد، ولقد فضل هذا الطبيب الكي بالمعادن عن استعمال المركبات الكاوية لامكانية التحكم بمساحة الكي المطلوبة بينما لا يكون ذلك سهلا في حالة القلويات التي قد تحدث تلفاً بالأنسجة المجاورة لها ولا تكون قابلة للشفاء لحدوث التعفن فيها، وكان يوصف الكي في علاج الكثير من الأعراض المرضية كالصرع والسكتة المزمنة واسترخاء جفن العين ووجع الأذن وأمراض المعدة والامعاء والرأس وفي علاج الجذام الدرني وتقلصات الوجه الاختلاجية المؤلمة، كما استعمل الكي للتخلص من الزوائد التي تحدث في الأقدام وفي ايقاف النزيف الناشيء عن قطع شريان دموي بوضع إصبع السبابة على الجزء المقطوع منه في منطقة الاصابة لايقاف تدفق الدم ثم يكوى المكان بعد رفع الاصبع عنه.

الكسور والخلوع:

وبلغت عبقرية الزهراوي حداً لم ينس معها جراحة العظام أو التجبير كما كانوا يسمونه فقد كتب باستفاضة عن علاج حالات اصابة العظام ولم يغفل حتى عن عظام الأنف والفكين، وأشار إلى امكانية شفاء الكسور والخلوع واستعمل صفار البيض لتثبيت الكسور وعمل فتحة في جبيرة العظام لمعالجة الجرح المصاحب للشروخ العظمية. ولقد احتوى المجلد الخاص من كتابه «التصريف» موضوعات كثيرة حول الكسور والخلوع في أجزاء الجسم المختلفة مثل كسور الجمجمة والفك السفلي واليد والساق وأصابع القدم وخلوع الفك والأصابع والرسغ والحوض والركبة، ووصف بصورة مفصلة أسلوب المعالجة المعروف الآن بطريقة «كوشير» لاصلاح خلع مفصل الكتف.

جراحة الأنف والأذن والحنجرة:

شرح الزهراوي في كتابه أيضا طريقة عمل فتحة بالقصبة الهوائية في العنق Tracheostony وذلك بأن يعد الجراح ثلاث حلقات من القصبة الهوائية (الرغابي) أو أربعاً ثم يقطع الغشاء الواقع بين الجزءين الغضروفيين ويستمر ذلك حتى الوصول الى الجلد، كما كتب عن استئصال اللوزتين كلياً أو جزئياً وذلك بأن يضغط الجراح لسان المريض

بوساطة أداة خاصة ثم يدخل صنارة أو خطافا في اللوزة ويسحبها الى خارج الفم ثم يقطعها بمقص قوي، كما وصف عملية الشق لاخراج ما يسقط في الأذن وطريقة غسل الأذن بالمحقن المصنوع من النحاس أو الفضة.

جراحة الأسنان:

وتمكن هذا الطبيب من استعمال كلاليب مختلفة الأشكال لخلع الأسنان ابتكرها بنفسه ووصف طريقة تثبيت الأسنان المتحركة بأسلاك رقيقة مصنوعة من الذهب أو الفضة، واقترح استخدام عظام الحيوانات لصنع أسنان بديلة للانسان، وعالج الأورام والزوائد الليفية في لثة الفم بالاستئصال ثم الكي.

جراحة الأوعية الدموية:

كما أشار إلى وجود نوعين من الأوعية الدموية أحدهما ينبض، مما يدل على أنه كان على دراية بالاختلاف بين الأوردة والشرايين، وقام بوصف تفاصيل قطع الشريان الصدغي لمداواة المريض بالصداع المستمر، وأثار الانتباه الى الحقائق التالية:

- تنكمش الشرايين عند قطعها عرضياً ويتوقف تدفق الدم منها إذا كانت صغيرة.
- يسبب القطع غير الكامل للشرايين حدوث إدماء غزير.
- هناك احتمال حدوث نزيف متأخر إذا لم يُعتن بنظافة الجرح.
- يمكن أن يوقف النزيف الدموي في مكان الإصابة بضغطه بالاصابع ثم بالكي، أو ربطه بضماد جاف أو سكب الماء البارد عليه.

واستعمل لأول مرة الحرير في ربط الشرايين المقطوعة، كما استخدم أوتار العود المصنوعة من جدر أمعاء الغنم فيها.

المسالك البولية:

وصف أبو القاسم العمليات الجراحية في العديد من الحالات المرضية للجهاز البولي ومن ذلك ما يلي:

- الأطفال الذين يولدون بدون فتحة بول خارجية ظاهرة أو فتحة ضيقة موجودة في غير مكانها الطبيعي.
- الختان وذكر الأخطاء الشائعة التي تحدث فيه.
- حالة احتباس البول واستعمال القسطرة فيها.
- عملية ازالة حقن المثانة بعد عمل شق مقعدي للمريض تفصيلياً.
- تحويل مجرى البول الى الشرج في الرجال والمهبل عند النساء.

القبالة وصناعة التوليد:

لقد كان الزهراوي أول من وصف ما يعرف حالياً وضع ولشر Walcher,s Position في حالات الولادة العسيرة، وطريقة كريد Crede,s Method للتخلص من المشيمة المتبقية داخل جسم المرأة بعد الوضع، وهو الذي نصح بثقب رأس المشيمة وتفريغها من السائل المحيط بالجنين حتى يسهل خروج الوليد، واخترع واستعمل كلاليب خاصة لسحب رأس الجنين وبهذا يكون قد سبق عائلة كامبرلين الشهيرة في استعمال أمثال هذه الأدوات في صناعة التوليد.

طب العيون:

وشرح أيضاً بصورة مفصلة عملية علاج الشعرة Entropion Tnithias,s وهي تشابه

الطريقة المستعملة حالياً وإن كانتا تختلفتان في مقدار عمق الشق وبعض الأشياء الأخرى وفيها تزال حافة الجلد من جفن العين ثم يعمل شق في الملتحمه وهو الغشاء المخاطي لباطن العين ثم تخاط حواف الجلد معا، ويمكن بهذه العملية استدارة الجفن الحامل للشعر الى الخارج بعيداً عن مقلة العين.

كما وصف معالجة الظفرة Pterygium كالآتي: تدخل إبرة تحت الظفرة لرفعها ثم تغرس اسفلها شعرة خيل وتسلخ بالشعرة جانب الظفرة الذي يلي حدقة العين كأنك تنشرها بالشعرة الى آخرها، ثم يزال الجزء الموجود على قرنية العين بمبضع أملس حاد، وهي الطريقة المستعملة حالياً إلا أنه لا يستعمل فيها بالطبع شعرة الحصان.

وذكر طريقة علاج غزو القرنية بالأوعية الدموية Corneal Vascalarization والتي تنمو فيها أوعية دموية فوق قرنية العين بأن تلقط بالصنارة ثم يقطع كل وعاء دموي فيها بالمقص ويستعمل حالياً المشرط لهذا الغرض، وكتب عن علاج الاصابة بالماء الأبيض Cataract وذلك بأن يؤخذ مبضع أو مشرط مدبب الرأس ويدخل تحت حافة القرنية حتى وصوله لمكان الاصابة ثم ينزل مستواه إلى أسفل لفتح عدسة العين المحتوية على الماء الأبيض والتخلص منه، ويستطيع المريض بعد هذه العملية استعادة قدرته على الرؤية.

أعمال طبية أخرى:

وكان الزهراوي أول من وصف الاستعداد الخاص في بعض الاجسام للنزيف حيث شاهد عدة حوادث نزيف في عائلة واحدة، كما استحدث رسوماً للأعضاء والهيكل العظمي في أجزاء كتابه «التصريف» ووصف طريقة اخراج الاجسام الأجنبية من داخل المريء بوساطة اسفنجة متصلة بخيط متين ممتد إلى خارج الفم وحسن طرق عمليات البتر حيث كان يلجأ الأطباء قبله الى بتر الجزء المعتل فقط أما هو فقد أوصى بالقطع في الأنسجة السليمة عن بعد من المنطقة المريضة وهي الطريقة المتبعة حالياً واستعمل أنبوبة دقيقة الرأس لادخالها بعد شق جدار البطن للتخلص من السائل المتجمع في الغشاء البريتوني في حالة الاستسقاء عند الاصابة ببعض الأمراض، واخترع عمليات جراحية للفتق الأربي والأدرة المائية ودوالي الحبل المنوي أو الصفني والبواسير والناسور الشرياني والأصابع الملتحمة والأظافر التي تنمو داخل اللحم وتضخم ثدي الذكر والمرأة والخثونة وغير ذلك.

والخلاصة فان أبا القاسم الزهراوي كان أحد أعلام أمة سبقت عالمي زمانها، قعوداً الى الطريق التي عزت بها وأصبحت خير أمة اخرجت للناس وهذا هو المراد من الذكري.

المنهل:

كتاب الزهراوي (التصريف) اشتمل على ثلاثين مقالا..

ولقد اهتم الغربيون فقط بالمقال الأخير في هذا الكتاب وهو المقال الخاص بالجراحة.. وركزوا عليه تركيزاً واضحاً في دراساتهم وبحوثهم.

ولم تحظ بقية المقالات الأخرى بالدراسة والتحليل بما حظى به المقال الاخير من الكتاب.

وكل هذه المقالات لها أهميتها العلمية، وكثير منها يتحدث عن الادوية وصناعتها.. ولكي نكون قد أوفينا الكتاب حقه نأمل أن يقوم الباحثون والمختصون بدراسة الكتاب دراسة متكاملة فان فيه من السبق العلمي ما يستحق البحث والتنقيب.

العالم العربي .. أبو الريحان البيروني

(٣٦٢ ـ ٤٤٨هـ / ٩٧٣ ـ ١٠٤٨م)

بقلم: عبد العزيز اسماعيل احمد

تميز القرن الحادي عشر الميلادي بغزارة الانتاج العلمي، والادبي في العالم العربي الاسلامي رغم التدهور السياسي، ويعود ذلك الى: «تشجيع حكام الأقاليم الطامعين في الانسلاخ عن بغداد، واغداق العطاء على العلماء الذين استعانوا بهم في تطبيق البرامج الحربية التي رسموها من أجل الغزو والتوسع. فمنذ القرن الرابع الهجري كان الوهن قد دبَّ الى صرح الخلافة الاسلامية في بغداد، ولم يعد للخليفة من سلطان حقيقي، كما تغلب العنصر التركي على الخلفاء الذين اضطروا صاغرين الى تفويض الاتراك والفرس في حكم بعض الولايات النائية، وعمد فريق من أولئك المفوضين الى البقاء في بغداد مع تفويض غيرهم ممن يثقون بهم في حكم تلك الولايات النائية نيابة عنهم».

في ذلك العصر نبغ مجموعة من العلماء العرب الذين زخرفت أسماؤهم صفحات التاريخ مثل ابن يونس المصري الذي اخترع رقاص الساعة وكان أول من استعمله لقياس الزمن وابن الهيثم المهندس البصري وعالم البصريات، وابن سينا الملقب بـ «الشيخ الرئيس» العبقري الذي اشتغل بالفلسفة، والطب، والمنطق، والرياضة، والفلك والفيزياء والموسيقى حتى عُدَّ منظم الفلسفة في الاسلام.. وبرزت سمةٌ علمية لذلك العصر تمثلت بظاهرة «الانتاج الغزير» لابي الريحان البيروني. ذلك العالم الجليل الذي احتل قمة المجد والازدهار العلمي مع لفيف من علماء العرب في عصر النهضة.

حياة البيروني:

ولد ابو الريحان البيروني وكان اسمه «محمد بن احمد البيروني» في احدى ضواحي عاصمة الدولة الخوارزمية وذلك عام (٣٦٢هـ) الموافق لعام (٩٧٣م) وهناك نوع من الغموض في المعلومات الواردة الينا عن حياته الأولى فلا نعرف له بشيء يذكر عن أسرته، أو عن صباه، وما تلقاه في أول عهده بالتعليم.

يمكننا أن نتعرف على شخصية البيروني من خلال رسائله ومقالاته وكتبه.. فنرى أنه اتصل بثلاثة من أشهر علماء عصره.. من الذين كتبوا في العلوم الطبيعية والرياضيات والفلك، فأناروا له طريق البحث، ومهدوا أمامه سبيل المعرفة وهم: ابو نصر منصور علي بن عرّاق، وابو سهل عيسى بن يحيى المسيحي، وابو علي الحسن بن علي الجبلي.

وتمكن البيروني وهو شاب من اجادة اللغتين العربية والفارسية مع لغته الأصلية الخوارزمية ثم أضاف اليها فيما بعد اللغات السنسكريتية، واليونانية والسريانية.. مما جعله يغترف من معين الدراسات العلمية، والاطلاع على مراجع الثقافات المختلفة.

نبغ ابو ريحان البيروني في الرياضيات والفلك، ويعتبر جغرافياً ومؤرخاً، ولغوياً، وفيلسوفاً كما كتب رسائل في بعض النواحي العلمية الأخرى كالاقتصاد والنبات حتى إنه أطلق عليه لقب الاستاذ، وقد بقي في موطنه حتى بلغ الثالثة والعشرين، حيث عمل في باديء الأمر مساعداً لأحد علماء النباتات يجمع له الكثير منها ومن بذورها، فغرس ذلك في نفسه حب الاستطلاع والتقصي، وطلب العلم.

ولعل حب الاستطلاع عنده جعله ينتقل من دراسة

العلوم الدانية الى دراسة الاسرار النائية التي تتمثل في الأجرام السماوية، فتدرَّب علمياً على يد أستاذه أبي نصر منصور بن علي بن عراق كما اتصل بابن سينا، ونشر في تلك الفترة أوائل مؤلفاته.

لم يقتصر البيروني آنذاك على الحياة العلمية بل اشترك أيضاً في الحياة السياسية في خوارزم وانضم الى أنصار شاه أبي العباس. وفي عام ٣٨٥هجرية اغتيل أبو العباس نتيجة نضاله ضد العائلة الملكية الجديدة التي كان يرأسها مأمون بن محمد، فاضطر البيروني الى الهجرة خارج حدود وطنه الى (جرجان) في الجنوب الشرقي لبحر قزوين، حيث التقى باستاذه الطبيب المنجم أبي سهل المسيحي، وفي رعاية أمير جرجان (قابوس بن وشمكير) بدأ البيروني التأليف وكتب باسم هذا الأمير كثيرا من المقالات والكتب كما نشر أول مؤلفاته الكبرى عن «التقاويم والتواريخ» ومسائل في الفلك والرياضيات.

وفي عام ٤٠٠ هـ عاد البيروني الى وطنه خوارزم وعهد اليه الأمير علي بن مأمون ببعض المهام السياسية نظراً لطلاقة لسانه وقدرته على الاقناع. والي جانب منصبه السياسي لم يدع نهمه الى العلم والاختراع.. فقد استمر في أبحاثه العلمية والفلكية، إلا أن نتاجه العلمي انخفض نتيجة للأعباء السياسية الموكولة اليه.

وفي عام ٧٠٤هـ/ ١٠١٧م تم أسر البيروني أثر غزوة السلطان الغزنوي محمود بن سبستكين لخوارزم واحتلاله لها.. ونقل البيروني مع طائفة من العلماء الى مدينة (غزنة) وهناك كتب موسوعته النفيسة في علم الفلك (القانون المسعودي في الحياة والنجوم). وازداد اعجاب السلطان مسعود الغزنوي بالبيروني فاصطحبه معه في غزواته لشمال الهند حيث قام بنشر علوم الحضارة الاغريقية وفي الوقت نفسه درس العلوم الهندية ونشر كتاب (طريق الهند) عام ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، وكتاب (التفهيم لأوائل صناعة التنجيم) وأصبحت مدينة (غزنة) مقراً دائماً للبيروني حتى انطفأ تألق فكره.. وخمدت جذوة عبقريته الى الابد عام (٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م).

ويحدثنا المؤرخ ياقوت الحموي عن النيسابوري أن أحد أصحاب البيروني جاء لزيارته أثناء مرضه وقبيل لحظات من موته فقال: (دخلت على ابى الريحان البيروني وهو يجود بنفسه وقد حشرج بنفسه وضاق به صدره فقال لي في تلك الحال: كيف قلت لي يوما حساب الجدات الفاسدة؟.

فقلتُ له اشفاقاً عليه: أفي تلك الحالة؟.

قال لي: يا هذا، أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيراً من أن أخليها وأنا جاهل بها؟.

فأعدت ذلك عليه وحفظه، وعلمني ما وعد، وخرجت من عنده. وأنا في الطريق فسمعت الصراخ.

مؤلفات البيروني:

لم يتحمل الباحثون كثيراً من المشقة أثناء حصر مؤلفات البيروني، ذلك لأنه قام بتثبيت غالبيتها في رسالته المعروفة بالفهرس (اسماء الكتب التي اتفق لي عملها سنة سبع وعشرين واربعمائة وقد تم من عمري خمس وستون سنة قمرية وثلاث وستون سنة شمسية).

ويبدأ فهرسه هذا بذكر ثماني عشرة مقالة له أغلبها في الفلك. ويمكننا القول بأن البيروني خلف أكثر من (١٨٠) كتاباً ضاع الكثير منها والباقي موزع في مكتبات العالم.. ومن أشهر مؤلفاته العلمية هي:

- كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية.
- كتاب تاريخ الهند.
- كتاب الهند الكبير، أو تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة.
- كتاب تقاليد علم الهيئة وما يحدث في بسطة الكرة.
- كتاب القانون المسعودي في الهيئة والنجوم.
- كتاب استيعاب الوجوه الممكنة في صفة الاسطرلاب.
- كتاب الوساطة بين أبي الحسن الأهوازي والخوارزمي.
- جوامع الموجود لخواطر الهنود في حساب التنجيم.
- أطوال البلاد وعروضها.

- الآلات والعمل.
- الشعاعات والقمر.
- الحساب.
- الازمنة والأوقات.
- المذنبات والذوائب.
- تحقيق منازل القمر.
- عشر مقالات في خواص المعادن الهندسية الطبية والفلك.
- التنجيم.
- دوائر السموات في الاسطرلاب.
- منازعة مجال الاسطرلاب.
- اصلاح شكل منالاوس.
- مواقع السمت.
- مسائل المسائل الهندسية.
- كريَّة السماء.
- القسي الفلكية.
- الارشاد في احكام النجوم.
- الجماهير في معرفة الجواهر.
- تكميل زيج «حبش» بالعلل وتهذيب أعماله من الزلل.
- اختلاف الأقاويل لاستخراج التحاويل.
- مفتاح الهيئة.
- نقل ضواحي الشكل القطاع الى ما يغنى عنه.
- تهذيب الاقوال في تصحيح العرض والأطوال.
- تعيين البلد من العرض والطول كلاهما.
- تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن.
- تهذيب فصول الفرغاني.
- اختلاف ذوي الفضل في استخراج العرض والميل.
- تصحيح الطول والعرض لساكن المعمور من الأرض.
- ايضاح الادلة على كيفية سمت القبلة.
- استخراج قدر الأرض برصد انحطاط الافق عن قلل الجبل.
- تصفح كلامه «أبي سهل الكوهي» في الكواكب المنقضة.
- تكميل صناعة التسطيح.
- تصور أمر الفجر والشفق في جبهة الشرق والغرب من الافق.
- استخراج الكعاب والاضطلاع بما وراءه من مراتب الحساب.
- جدول الدقائق.
- امتحان الشمس.
- رؤية الأهلة.
- التفهم لأوائل صناعة التنجيم.
- جدول التقويم.
- العمل بالاسطرلاب.
- جمع الطرق السائرة في معرفة أوتار الدائرة.
- أفراد المقال في أمر الظلال.
- استخراج الأوتار في الدائرة بخواص المنحنى فيها.
- الطريقة من ابتكار وحل بعض الاعمال.
- التحليل والتقطيع للتعديل.
- تمهيد المستقر لتحقيق معنى الممر.
- التطبيق الى تحقيق حركة الشمس.
- جلاء الازهار في زيج البتاني.
- تحقيق منازل القمر.
- كيفية رسوم الهند في تعليم الحساب.
- براهين سد هانة في طرق الحساب.
- الصيدلة في الطب.
- استشهاد باختلاف الارصاد.

ويفتخر البيروني بكتبه. ويعتد بكل ما كتبه فيقول: «ويجب عليك أن تعلم فيما عددته من كتبي مما عملته في حداثتي وازدادت المعرفة بفنه بعد ذلك فلم أطرحه أو استرذله فانها جميعاً أبنائي والاكثر بابنه وشعره مفتون».

ويردد في مكان آخر فيقول: (انها بمنزلة الربائب في الحجور والقلائد على النحور لا أميز بينها وبين

الأنهار)٠ ويتفق الشهرزوري في كتابه «نزهة الأرواح في تاريخ الحكماء» مع ياقوت الحموي على أن البيروني كان: «لا يكاد يفارق يده القلم وعينه النظر وقلبه الفكر الا في يومي النيروز والمهرجان من السنة لاعداد ما يمس الحاجة اليه في المعاش من بلغة الطعام وعلقة الرياش»٠

أسلوب البيروني في الكتابة:

تتميز الكتابة عند البروني بالنقاط التالية:

١ ـ ترتيب الافكار وتسلسلها٠

٢ ـ استعمال المصطلحات العلمية وابتداع التراكيب التي لا يصعب فهمها على المختصين٠

٣ ـ عدم تنميق الجمل الا على قدر ما يقتضي الحال٠

٤ ـ بقاء شيء من المسحة الأدبية٠

٥ ـ الميل الشديد الى الجدل والنقد٠

٦ ـ تجنب التعبيرات الفنية المائعة التى لا تجدي علمياً٠

٧ ـ العناية الفائقة بمقدمات كتبه٠

٨ ـ صياغة القوانين الرياضية٠

ويمكننا القول أن (البيروني يتميز بالشجاعة العلمية ويتمسك بالعلم اليقين ويعده عن الأوهام واخلص لعلمه وعشيرته ولغته مع تواضعه أما أسلوبه في الكتابة فقد كان أسلوباً علمياً الى حد بعيد، موجهاً الى الخاصة دون العامة٠ كما آمن ايماناً تاماً باللغة العربية وفضلها على غيرها من اللغات٠ فكتب بها كل مؤلفاته تقريباً، وبذلك رفع من شأنها، وحبب الناس فيها، ودافع عنها ضد كل تيار فارسي أو أعجمي)٠

منهج البحث العلمي عند البيروني:

لخص الدكتور (الفندي) وزميله منهج البيروني في البحث العلمي بالنقاط الآتية:

١ ـ البحث والتجربة هما الوسيلة الى تحصيل المعارف، ومعنى ذلك عدم الأخذ بما يسلم به على سبيل القياس٠

٢ ـ النجاح والتوفيق موهبة من الله تعالى، ولعله يقصد بذلك أن الالهام والتوفيق في الكشوف العلمية يلعب فيهما الاحتمال حسب تعبيرنا الحديث وتتحكم فيهما الصدفة الى أكبر حد وهو قول مقبول لا غبار عليه٠ ونحن نؤكد هذا المعنى لأن البيروني يشترط المواظبة واستمرار الممارسة، وهما من شروط زيادة الاحتمال الرياضي والتوفيق والنجاح العلمي٠

٣ ـ التحذير من كلام التقاليد٠ أي أن قول العالم (والله أعلم)، ليس فيه مسامحة بالجهل أي أن من يقولها لا يعفي نفسه من الجهل بما ينبغي أن يكون من علم الانسان٠

٤ ـ التواضع أو التجرد من فكرة التفوق العنصري أو الديني٠

٥ ـ الرجوع الى علوم الآخرين وخاصة من أهل اللغات الأخرى ومن هنا نجده يقبل على تعلم اللغة التي نقل غن أهلها٠

٦ ـ ضرورة الرجوع الى المراجع الاصيلة ليستعين بها المرء أو ينقل عنها٠

٧ ـ ضرورة سلوك المسلك الحسي٠ في طلب المعرفة، وهو العنصر الرئيسي في النهضة العلمية الحديثة٠

ـ لقد تحدث الكثير من الأدباء والمفكرين عن حياة «البيروني» وكتبه التى حررت الفكر العلمي٠٠ وأوجدت ابتكارات في مجالات العلوم الرياضية والفيزياء والفلك، وعلم الحياة، والفلسفة٠

ومهما تحدثنا عن هذا العالم الجليل فلن نستطيع ايفاءه حقه إذا ما قورن بالذخائر القيمة التي خلفها للعصور المتعاقبة والحضارات المتتالية٠

وقد اهتمت الأمة العربية في أيامها الزاهرة بالعلم والادب حتى كانت جميع الحركات العلمية، والثقافية قطعة من حياتها المجيدة٠ ويحق لنا على مر الأجيال أن نفتخر بالرعيل الأول من مفكرينا٠٠ وعلمائنا٠٠ وفلاسفتنا الذين قضوا لينيروا لنا دروب الحياة نحو

ابن بطوطة رحالة العرب والعجم

(۰۰۰ ـ ۷۷٦هـ)

بقلم : ابن الريف البخلاخي امحند

ابن بطوطة في سطور

*** هو محمد بن عبد الله اللواتي (۱۳۰٤ - ۱۳۷۸م)**
رحالة عربي ولد بطنجة، قضى (۲۸) سنة يجوب الارض، قطع مسافة قدرت بنحو (۱۲۰ر۰۰۰) كم٠٠ كانت رحلته الأولى بغرض الحج في ۱۳۲٥م٠
قضى ثمانية اعوام في خدمة سلطان دلهي، عاد الى طنجة في (۱۳٤۷م) ثم قام بعدة رحلات أخرى، وعاد بعدها الى فاس (۱۳٥٤) فأقام بها حتى وفاته، وفيها أملى وصف رحلاته المشهورة باسم (تحفة النظار وغرائب الامصار وعجائب الاسفار)، ترجمت أجزاء منها الى كثير من اللغات٠

ابن بطوطة ورحلاته:

زار الشمال الافريقي تونس وليبيا ومصر، ثم ارتحل عبر فلسطين الى الشام وزار لبنان وسوريا، ثم انحدر جنوبا وتوجه الى مكة المكرمة حاجا، وتوجه بعد ذلك مع ركب الحجاج العراقيين عبر الصحراء العربية الى البصرة وواسط والنجف ووصل الى بغداد، ومن بغداد توجه الى الموصل وسنجار وماردين ووصل الى ايران، وتجول في شيراز وأصفهان، وزار اليمن وعبر البحر الاحمر الى افريقيا فزار الصومال وعاصمتها مديشو متوغلا في افريقيا ٠٠ ثم زار الخليج العربي وزار ظفار وعمان والاحقاف وسيراف والبحرين، ومن ايران توجه شمالا الى بلاد الاناضول وهي ما يسمى الآن بالجمهورية التركية، وزار القسطنطينية وكانت انذاك عاصمة بلاد الروم البيزنطية، وتوجه الى خوارزم بالاتحاد السوفياتي حتى وصل الى البلغار، على مقربة من سيبريا، ومنها الى هراة من جمهورية افغانستان ثم توجه الى الهند وباكستان وبنغلاديش ووصل الى دلهى عاصمة الهند وعبر نهر السندو من موانيء الهند الجنوبية، سافر بحرا الى جزائر (ذيبة المهل) وهي جمهورية مالديف ومنها سافر الى سرنديب جزيرة سيلان حاليا واليوم تسمى جمهورية سريلانكا، ومنها توجه الى جاوة وهي اليوم جمهورية اندونيسيا وزار جزيرة الفلبين وسافر الى الصين من شرقي اسيا، التي تضم الملايو وفيتنام وكمبوديا وبورما، ومنها سافر الى الهند بحرا الى سومطرة عبر تركستان حتى وصل الى خراسان وايران وعاد الى العراق مرة ثانية وزار بغداد ومنها سافر الى تدمر صحراء الشام ومنها الى دمشق والى القدس ومصر والقاهرة وتونس عبر البحر المتوسط الى جزيرة سردانية بايطاليا الى المغرب عبر مستغانم



وتلمسان بالجزائر وعبر جبل طارق الى بلاد الاندلس اسبانيا حاليا وحتى وصل الى غرناطة وعاد الى المغرب وزار الصحراء الكبرى متوغلا في انحاء افريقيا الغربية والوسطى حتى وصل الى مالى والنيجر وركب النيل من تنبكتو الى كوكو، ثم عاد الى مسقط رأسه طنجة عبر صحراء سلجماسة.

والحق يقال انه لا يوجد اي رحالة من الاجانب او العرب في القديم أو الحديث ينافس ابن بطوطة وزار بلدان العالم مثله، وعاش رحالا جوالا مدة ٣٠ سنة من عمره، انه كما قال له بعض العلماء الصلحاء المنصفين في تحفة النظار (رحالة العرب والعجم).

تأليف رحلته:

ولما سمع السلطان المريني ابو عنان بأخبار رحلات ابن بطوطة استدعاه الى حضرته بفاس واختبره ورأى صدق رواياته فأكرمه وجعله من اعضاء مجلسه العلمى وكلف مؤرخا وأديبا أندلسيا مقتدرا في مملكته هو ابن جزى ان يقوم بتلخيص تقيدات رحلات ابن بطوطة وان تكون رحلته تضم المواضيع التالية:

(ما شاهده في رحلته من الاقطار - وما علق بحفظه من نوادر الاخبار - وذكر ما لقيه من ملوك الاقطار - وعلمائها الاخيار - وأوليائها الابرار).

وانتهى ابن جزى من اختصار رحلة ابن بطوطة حسب ما سطره الملك المريني في شهر صفر عام سبع وخمسين وسبعمائة وقد نقل ابن جزي كلام ابن بطوطة بلفظه ونصه، مما يؤكد ان ابن بطوطة صاحب الرحلة المدونة كان عالما ونابغة وموسوعة من المعارف، وقد وصفه العلامة اسماعيل ابن الاحمر

الغرناطي بالفقيه الخطيب القاضي الحاج الكثير الجولة بالمشرق والمغرب العارف بالتاريخ، ونقل المؤرخ الزياني ان ابا عبد الله ابن الخطيب ترجم له في (الاحاطة) وذكر ان ابن بطوطة كانت له مشاركة في الطب وارتحل للمشرق وتزيا بزي الصوفية وجال الاقطار ودخل بلاد العجم والسند والهند والصين وعاد لبلده طنجة وجاز البحر للاندلس وبلغ غرناطة.

وكانت له معرفة باللغات العالمية السائدة في عصره كاللغة الفارسية والتركية وغيرها كما انه كان عالما له تأليف جليلة في علم الحديث والتراجم تدل على علمه، فقد ذكر له ابن سودة في دليله جـ ١ ص ٣٩ كتاب (الواسط في اخبار من حل مدينة تمنطيط) قال عنه: «بأنه تكلم فيه على رجال مدينة (تمنطيط) التى تقع في قبيلة تواتى لانها كانت عامرة بالعلم في القرن السادس والسابع ولازال اثر العلم بها الى الآن. يقع في مجلد ضخم، كذا اخبرني بعض علماء القبيلة المذكورة حفظه الله».

ومن خلال المواضيع السابقة التى حددها السلطان المريني ابو عنان لابن جزي لتلخيص تقيدات رحلات ابن بطوطة يتضح لنا علم هذا الملك ودرايته واطلاعه الواسع على علوم عصره، فقد ذكر المؤرخ المغربي الناصري انه: (كان فقيها يناظر العلماء الاجلاء، عارفا بالمنطق وأصول الدين وله حظ من علمى العربية والحساب وكان حافظا للقرآن عارفا بناسخه ومنسوخه، حافظا للحديث، عارفا برجاله، فصيح القلم كاتبا، بليغا، حسن التوقيع شاعرا، ذكر له صاحب «الجذوة» اشعاراً في الحكمة كقوله:

واذا تصدر للرياسة خامل
جرت الامور على الطريق الاعوج

ولو ان ابن بطوطة كان رجلا كذابا متقولا مرائياً لعرفه ابو عنان ولما قربه اليه واكرمه، فانه كان ذكيا يعرف بالبديهة اهل الرياء والادعاء، وفي هذا نقل الناصرى عن ابن الاحمر قال: كنت جالسا بمقعد ملكه من المدينة البيضاء بفاس فدخل عليه رجل صالح فلما نظر اليه قال بديهة:

تراهم في ظواهرهم كراما
ويخفون المكيدة والخداعا

وبسبب المكانة الرفيعة التى نالها ابن بطوطة لدى هذا الملك الاديب الشاعر العالم كثر حساده ومنتقدوه من علماء عصره الذين برزوا على الساحة العلمية والفكرية مثل الفيلسوف ابن خلدون الذي وشي به الى ابن ورد وزير ابي عنان وقال له: ان الناس يتشككون في اخباره، وطرده من مجلسه ولم يلتفت اليه بعدما اختبر ابن بطوطة فيما يدعيه، وتأكد من صدقه فيما يرويه، من اخبار العالم، لا سيما اخبار مصر التى زارها وعرف مدنها الكبرى.

اما الاديب الاندلسي المتفنن لسان الدين ابن الخطيب فانه احط من قدر ابن بطوطة وقال: ان له مشاركة يسيرة في الطلب، ورغم سمو أدبه وعلو شأنه وجاهه فانه كان سليط اللسان ذا قلم حاد كالجاحظ.

ردنا على منتقديه:

١ - نقد المؤرخ الزياني لابن بطوطة:

كذبه في كتابه (الترجمانة الكبرى في اخبار العالم برا وبحرا) فيما رواه في رحلته عن اخبار ملوك الهند وفي قوله ان المدرسة العنانية لا يوجد لها

نظير في العالم، وقد اثبتت الابحاث الحديثة لعلماء الهند والمستشرقين صدقه في اخباره عن الهند، وما نقله عن ملوك الهند فيه عبرة وموعظة للمتقين والمام دقيق بتاريخ الهند، كما اثبتت ايضا الحفريات التي اجريت لكشف المدرسة العنانية انها كانت فعلا عظيمة البنيان، لا مثيل لها كما وصفها ابن بطوطة[١] وكيف لا تكون كذلك والملك ابو عنان ورث عن والده مملكة واسعة الاطراف تمتد من طنجة الى حدود طرابلس الغرب[٢] وفيه يقول لسان الدين ابن الخطيب:

واحـد آحـاد الملك العظمـا
ومطلع النصـر اذا مـا أقـدمـا
ومـخـجل الغـيث اذا همـا
وعـالم الملك وملك العلمـا
أوجب حق الشـعـر والكتـابة
فـأملت اعـلامـه جنابه

٢ـ تكذيبه في حديثه عن ابن تيمية:

اتهموه بكذبه على شيخ الاسلام ابن تيمية بحجة انه كان في سجنه في تاريخ وصوله الى دمشق، وهذا امر فيه نظر، فابن بطوطة لم يذكر لنا تاريخ وصوله الى دمشق بالضبط حتى يمكن لنا تكذيبه، فقد ثبت ان الشيخ ابن تيمية استدعاه حاكم مصر اليه عام ٧٠٥هـ لمحاكمته امام مجلس العلماء على آرائه الواردة في رسالته (الحموية) ففي مسألة تفسيره قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) التى فسرها البعض بأنه يرى فيها رأى المجسمة، وهى مسألة اثارت جدالا عنيفا حادا بين العلماء في وقته، وكانت السبب في سجنه سنة ٧٢٦هـ وبقى في سجنه الى ان توفى سنة ٧٢٨هـ وأظن أن ابن بطوطة رأى فعلا الشيخ ابن تيمية بدمشق وسمع محاضراته التى كان يلقيها على الناس ولم ينكر علمه وقال بأن ابن تيمية لما كان في سجنه فسر القرآن الكريم في اربعين مجلدا، وسماه (التفسير المحيط) وهو تفسير يعتبر الآن ضائعا لم يذكر ضمن مؤلفاته.

وما تعرض له ابن تيمية رحمه الله من امتحان وسجن كان امرا طبيعيا، لان العصر الذى عاش فيه كان عصر التصوف والمتصوفة، فهذا السلطان ابو عنان رغم علو قدره وعلمه ينتقل بنفسه الى سلا لزيارة وليها وعالمها ابن عاشر فلا يحظى مقابلته ويرجع خائبا الى مقر ملكه بفاس، ومثل هذه الحالة كانت سائدة في المغرب وغيره من البلدان الاسلامية.

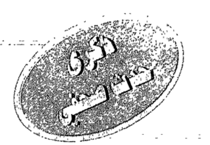
اما في مصر والشام مواطن ابن تيمية فكان شيوخ التصوف هم الحكام بيدهم عامة الشعب.

وقد زرت قبر الرحالة ابن بطوطة بمدينة طنجة ودعوت له بدعوة الخير، وكان هذا الرحالة الفذ رحمه الله يتمني في حياته كما قال أمنيتين: الأولى ان يزور جميع بلدان العالم، والثانية ان يمن الله عليه بفضله ويدخله الجنة يوم القيامة، وقد حقق الله امنيته الاولى، ونرجو من الله ان يحقق له امنيته الثانية ويرحمه ويدخله الجنة برحمته.

الهوامش:

(١) الاقصى المراد به: المغرب الاقصى.

(٢) جنان قبط: الموضع المسمي (جنان قبطان) الحي الصغير المتواضع حيث مدفن الرحالة الكبير ابن بطوطة.

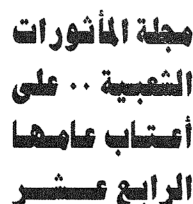


هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، .. وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبداً.

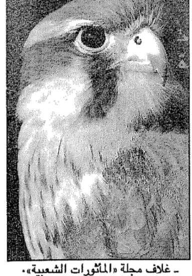
ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها.

ونظرا للدور البناء والمؤثر الذى تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر - فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره.

وفي هذا الباب ستلقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتبعة نشأتها وتطورها.



مجلة المأثورات الشعبية .. على أعتاب عامها الرابع عشر



- غلاف مجلة «المأثورات الشعبية».

في مثل هذا الشهر «ربيع الآخر» من العام ١٤٠٦هـ الموافق يناير ١٩٨٦م صدر العدد الأول من مجلة «المأثورات الشعبية» التى يصدرها مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، وهو مؤسسة إقليمية بحثية مقره مدينة الدوحة - عاصمة دولة قطر.

ومجلة المأثورات الشعبية، مجلة فصلية تصدر أربع مرات في العام، في الشهور (يناير - ابريل - يوليو - اكتوبر) وهى مجلة متخصصة، تعنى بالتراث الشعبي في منطقة الخليج والجزيرة العربية بصفة خاصة وبالتراث الشعبي بصفة عامة.

ومجلة «المأثورات الشعبية» استقطبت إليها طوائف الباحثين والمهتمين بالتراث الشعبي، والقراء الذين يتابعون الإصدارات المحكَّمة - فـ «المأثورات الشعبية» مجلة محكمة تنشر فيها المقالات والبحوث بعد تحكيمها، مما ساعد على ازدياد توزيعها في معظم انحاء الوطن العربي، وكذلك في المعاهد والجامعات في أوربا وأمريكا.



- الاستاذ/ عبد الرحمن المناعي المدير العام رئيس التحرير.

والمنهل ومنسوبوها كافة إذ يهنئون الشقيقة «المأثورات الشعبية» باصدارها العدد رقم (٥٠) ودخولها عامها الرابع عشر - ليتمنون لها ولكل القائمين عليها المزيد والمزيد من التقدم والازدهار.

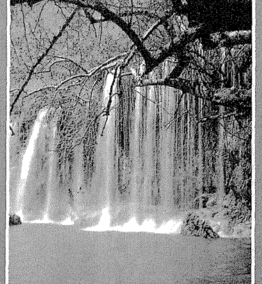
اعداد : يعقوب السيد حسنين

في البلدان والعمران..
في التقاليد والأعراف
في تقاطيع وجوه الناس
السائح يستقري،
الملامح ويرسم اللوحة



روزيتا

رشيد مدينة المليون نخلة

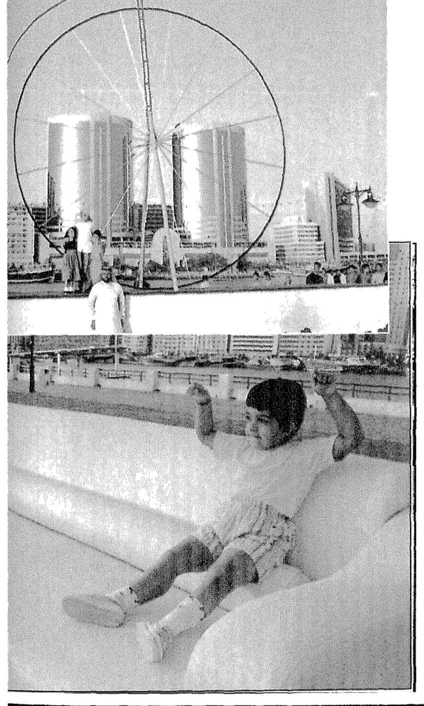


انطاليا انشودة الطبيعة والتاريخ

السائح

Rabia I-2, 1420 H -- July -- Aug., 1999 C

مهرجان دبي للتس



في الأشهر الفائتة أقيم في دبي (مهرجان دبي للتسوق ٩٩) وشمل المهرجان مجموعة من الاعمال الفنية الرائعة التى شدت الجمهور اليها لغرابتها وابداعها.

صنعت لهذا المهرجان: أطول أريكة في العالم بطول (١٠٠) قدم، حوالي (٣٣) مترا، عمل في تصنيعها فريق مكون من ٢٢ نجارا وتتسع لمئة شخص.

وأكبر طاولة طعام في العالم بطول (١٣) مترا وعرضها (٣) أمتار.

وأطول كرسي حديدي مزخرف.

وأطول دراجة هوائية، ارتفاعها (٥ر٧) متر وقطر العجلة الامامية (٦) أمتار وقطر العجلة الخلفية (٧ر١) متر.

وأطول سلسلة ذهبية في العالم.

وهذه الاعمال أدخلت البهجة والسرور في زوار هذا المهرجان وأعطت المهرجان فاعلية فنية رائعة.



روزيتا رشيد مدينة المليون نخلة

** كانت ثالث ميناء مصري بعد الاسكندرية ودمياط.

** كنوز من الآثار الاسلامية والمساجد.

** اكتشف فيها «حجر رشيد» الذى فك طلاسم اللغة الهيروغلوفية.

** قاومت غزاة مصر طوال تاريخها.

** فيها يلتقي النيل بالبحر الابيض المتوسط.

** مدينة «الفسيخ والبوري وأم الخلول».

روزيتا كما أسماها الفرنسيون.. أي الوردة:

ورشيد الآن بلد جميل يقع عند التقاء النيل بالبحر الابيض، ومناخها معتدل طوال العام، جوها جاف وتمتلىء بالحدائق والبساتين وأشجار النخيل التى تحتل مساحات واسعة لذا سميت باسم مدينة المليون نخله.

رشيد في التاريخ:

وهى مدينة قديمة ترجع في تاريخها الى ما قبل الأسرة الاولى من العصر الفرعونى لأن الملك (مينا) «نارمر» زحف اليها من الصعيد في ثورته الأولى من أجل تحقيق الوحدة بين الوجهين، الوجه البحرى والوجه القبلى، فاصطدم بأهل هذه المنطقة وهم طائفة من المواطنين يسمون (رخيتو) أي «عامة الناس» وهذه الكلمة قريبة من الاصل القبطى لاسم رشيد وهى (شيت) فصارت (رشيد) فيما بعد.

ثم أنه في عهد الاسرة التاسعة عشرة أقام الملك (مرن بتاح) استحكاماته على الضفة الغربية لفرع

إعداد : ابراهيم العربى أبو حمد
- مصر -



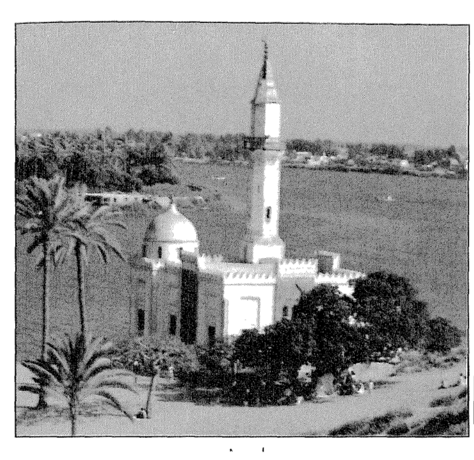
النخيل على شاطيء رشيد

رشيد شمالا، وذلك لصد هجمات الليبيين والاغريق والصقليين فانتصر المصريون في أول موقعة حربية بين مصر وأوروبا جرت أحداثها على ارض رشيد، كما أقام الملك بسماتيك الاول سنة ٦٦٣ ق٠م معسكرا على ساحل مدينة رشيد وجعل ثلاثين سفينة حربية لحمايتها من الغارات الليبية في الغرب والاشوريين في الشرق.

واذا كان كل فرع من فروع الدلتا يسمى باسم المدينة الواقعة عند مصبه فان الفرع البولبتينى (فرع رشيد الحالى) قد سمى بذلك نسبة الى (بولبتين) التى قامت رشيد على أنقاضها أو بجوارها في العصر اليونانى وكان يصنع بها العجلات الحربية.

ولهذا نتبين أصالة رشيد ومدى عمق جذورها الموغلة في أعماق التاريخ وهذا يدحض أقوال بعض المؤرخين ولا سيما الافرنج أمثال بريشيا وفورستو وبدج الذين يؤكدون أنها حديثة النشأة لانها نشأت سنة ٨٧٠هـ في خلافة المتوكل على الله العباسي ومما يؤكد نظرتنا التاريخية لنشأة المدينة الاولى ما جاء في فتوح الشام للواقدى أن عمرو بن العاص كتب الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره بفتح مريوط الاسكندرية ورشيد وفوه ودمنهور والبحيرة وغيرها في بلاد الوجه البحرى وبعث بالكتاب عامر بن لؤى).

وكان لهزيمة الانجليز في رشيد وقع كبير على



نفوس أهل القاهرة فقد خرجوا للفرجة على أسرى الانجليز عند وصولهم الى العاصمة يوم ٥ ابريل ولا ريب أن انتصار أهل رشيد على الانجليز قد أزال الوهم الذى كان مستوليا على القاهريين إذ لم يكن أحد منهم يعتقد أن من السهل الانتصار على الجيش الانجليزي المزود بأسلحة الحرب الحديثة.

فقد ذكر الجبرتي (أنه لما شاع أخذ الانجليز للاسكندرية، داخل المعسكر والناس وهمٌ عظيم وعزم أكثر العسكر على الفرار الى الشام وذلك لانه لم يخطر ببالهم هذا الواقع (أى هزيمة الانجليز في رشيد) ولا أن الرعايا والعسكر لهم القدرة على حروب الانجليز).

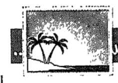
وانهزم الانجليز في معركة كبيرة في ٢١ أبريل عام ١٨٠٧، فاعتصموا بالاسكندرية ثم حاولوا تحريك البكوات لمساعدتهم ولكن دون طائل.

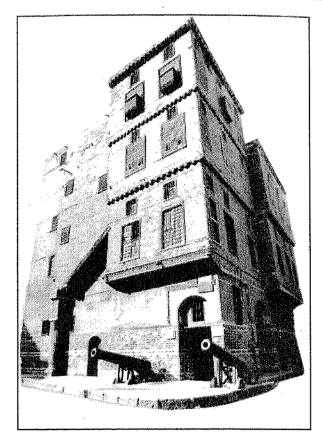
رشيد الطريق للاسكندرية:"

ولما كانت الفكرة السائدة لدى رجال الحرب والسياسة من الانجليز انه لا يمكن الاحتفاظ بالاسكندرية من غير الاستيلاء على رشيد لضمان تموين حاميه الاحتلال في الاسكندرية بسبب وقوع رشيد على مصب النيل، وسهولة الاتصال بطريقها بين داخل البلاد وبين الاسكندرية وعلى ذلك فإن فريزر مالبث أن طلب الصلح من محمد على، على اساس الجلاء من الاسكندرية مقابل تبادل الاسرى والجرحى فتم ذلك في اتفاق بتاريخ ١٤ سبتمبر عام ١٨٠٧ وفي ١٩ سبتمبر كان قد تم جلاء الانجليز عن الاسكندرية وعن مصر جميعها.

مدينة الآثار الاسلامية:

ورشيد التى تمتد في أعماق تاريخ مصر تمتلىء بالاثار ذات الطابع الاسلامى ومن أهم مساجدها مسجد زغلول وأبي مندور.. والاول يقع في شارع





المتحف القومي فى رشيد

دهليز الملك حيث كانت توجد على جانبيه منازل الامراء والملوك والوالى في العصر العثمانى وعهد محمد على وقد أنشأه الحاج خليل ابراهيم عام ١٢١١هـ.

والثاني وهو «أبو مندور» تصل اليه عن طريق رحله نيليه، وهو مقام في منطقة رائعة الجمال تقع على ربوة تتخذ شكل شبه جزيرة، حباها الله بمكان ساحر خلاب، ومن خلال الربوة العالية تستطيع أن ترى رشيد وأكثر من مليون نخله.. التى تمتد على اتساع رشيد.. وأبو مندور من مواطنى (كربلاء) وهو من سلالة على بن أبى طالب كرم الله وجهه وكان عالما بالفلك زاهدا متصوفا، اتخذ هذا التل مكانا لعبادته، والغريب أن باب مسجده يستقبل شروق الشمس وغروبها.. وبرشيد ما يزيد عن ١٢ مسجدا أثريا و٢٢ منزلا ضمت جميعها لمصلحة الآثار.

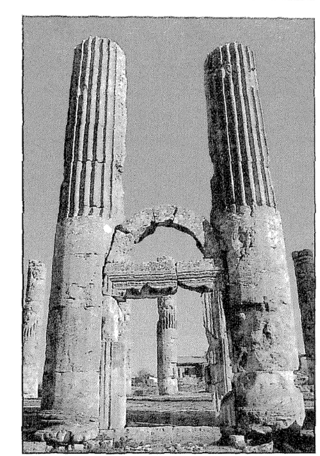
الشاطىء المهجور:

رشيد كانت تمتاز بشاطىء من أجمل شواطىء مصر حيث كانت في عهد محمد على احدى ثلاث موانىء رئيسية في مصر بعد الاسكندرية ودمياط.. وقد تعرض الشاطىء لطغيان مياه البحر عليه التى غطت الشاطىء.. وأزالت الكبائن.. وتقوم الآن شركة صينية بقرض كويتي مقداره ٥٤ مليون جنيه ببناء حاجز أمواج.. حتى تعود لشاطيء رشيد شهرته القديمة.. ويكون امتدادا.. لشواطىء الاسكندرية التى تبعد عنها حوالى ٦٠ كليومتر.

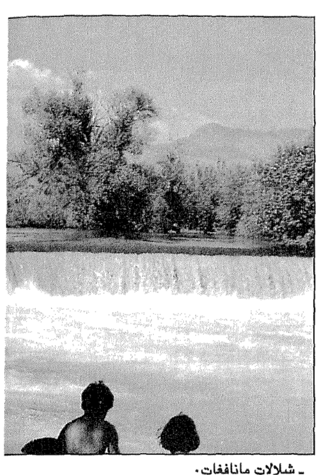
صناعات بدائية:

وعدد سكان رشيد حوالى ٦٠ ألف نسمة وأهم صناعاتها بعد الزراعة هى تصنيع أجزاء النخيل وتحويلها الى حبال وأقفاص وحصير كما تمتاز بالسجاد اليدوى وبعض الصناعات الخشبية.

وشهرتها على مستوى مصر كلها.. فان بها أجود أنواع الاسماك الملحة (فسيخ وسردين).. وتمتاز بأجود أنواع البورى وهو نوع ممتاز من السمك (البورى) يعتمد الصيد البحرى عليه.. ويصدَّر الى محافظات مصر والخارج.. ويوجد بها أيضا نوعيات عديدة من المحارات.. مثل «أم الخلول» ، و«الجندوفلى» و«الخيتينا».



ـ من آثار اوزونكابورج.



ـ شلالات مانافغات.

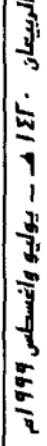


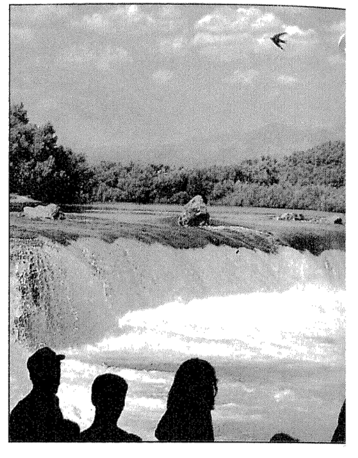
أنشودة الطبيعة والتاريخ

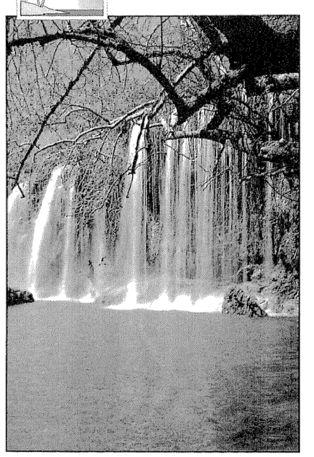
تنساب جبال طوروس المكسوة باشجار الصنوبر عبر انطاليا هبوطا الى البحر الرائع الصافي مشكلة ساحلا صخريا متعرجا، وتعتبر المنطقة التي تتمتع بشمس ساطعة ٣٠٠ يوم في السنة مقصدا رئيسيا للمهتمين بالاستحمام الشمسي والسباحة وركوب الامواج والتزحلق على الماء وتسلق الجبال وارتياد الكهوف. ولا غرابة في ان تكون انطاليا ومعها الساحل الجنوبي المطل على البحر عاصمة السياحة التركية بلا منازع.

تقع المدينة اذن على خلفية منظر طبيعي أخاذ

إعداد: الحسان الرزاقي
ـ المغـــرب ـ





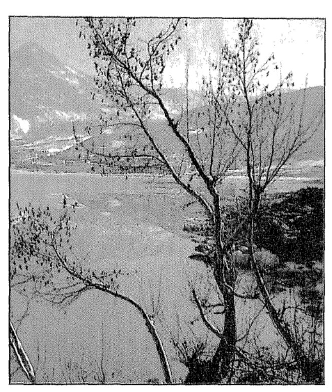


- شلال كورشونلو.

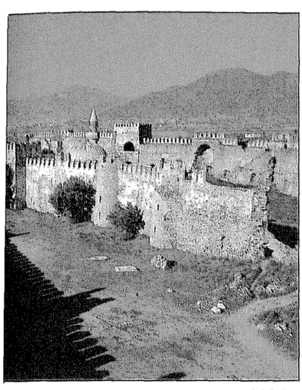
وتشتهر بشوارعها التي تظلها اشجار النخيل وبدروبها الخلفية الضيقة التي تحتضن منازل خشبية عديدة بالاضافة الى اسوار المدينة العتيقة والشاطىء الجميل حيث تصطف قوارب الصيد واليخوت في مراسي طبيعية مليئة بالتكوينات الصخرية المتنوعة، وتتمتع المدينة ايضا بماض عريق: فقد بنيت في القرن الثاني قبل الميلاد على يد اطالوس الثاني ملك بيرغامون الذي اشتق اسم المدينة القديم: اتليا من اسمه الشخصي فاصبحت عامرة بالسكان منذ ذلك الزمن السحيق وتعاقب على حكمها على التوالي كل من الرومان والبيزنطيين والسلاجقة وأخيرا الاتراك العثمانيين.

وتعتبر منارة مسجد ييفلي ميناريلي المزخرفة الواقعة وسط المدينة - والتي بناها السلطان السلجوقي علاء الدين كيكوبات في القرن الثالث عشر الميلادي - رمزا للمدينة كلها، أما المدرسة الدينية (قاراطاي ميدريسي) في حي قالايجي والتي شيدت في نفس القرن فتجسد روعة فن النقش على الحجر السلجوقي، وأهم مسجدين عثمانيين في انطاليا هما: مسجد مراد باشا المبني في القرن السادس عشر والمتميز بقرميده المزخرف، ومسجد تيكيلي محمد باشا الذي يعود الى القرن الثامن عشر الميلادي، وبجوار خور انطاليا يقع مسجد اسكيلي المشيد خلال القرن التاسع عشر بواسطة اجزاء الاحجار المقطوعة والمبنية على اربعة اعمدة فوق نبع ماء طبيعي.

حينما زار الامبراطور هادريان انطاليا في سنة ١٣٠ ميلادية، بنيت بوابة ذات ثلاثة اقواس مزينة في سور المدينة احتفاء به، ومازال اثنان من الابراج قرب البوابة وبعض جدران السور باقية على حالها، اما برج



- بحيرة ايغيردير.



- قلعة انامور.

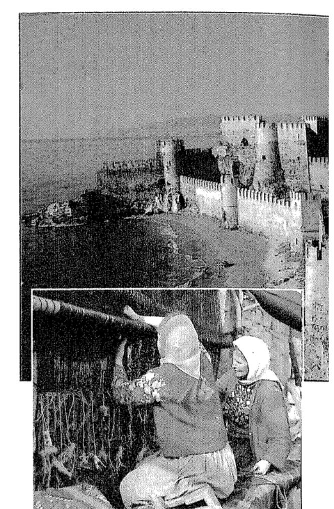
الساعة في ساحة كاليكا بيسي فهو يعتبر بدوره جزءا من تحصينات المدينة القديمة.

ويمكن للزائر التجول في متنزهي اتاتورك وكاراليوغلو حيث العديد من الزهور الغريبة الملونة وحيث يمكن مشاهدة المياه وهي تصطدم بصخور الشاطيء على خلفية جبال مخضرة، وكل هذه المعالم المختلفة تفسر كون المدينة منطقة جذب سياحي متزايد فبالاضافة الى متاجر التحف التقليدية والمقاهي التقليدية الشعبية وكذا متحف الاثار ومتحف اتاتورك، يمكن القيام بنزهة خارج المدينة خلف شلالات دودون على بعد ١٤ كيلومتر الى الشمال الشرقي، ففي الطريق المؤدي الى شاطيء لارا تصب شلالات دودون السفلى مباشرة في البحر، وليست هذه هي الشلالات الوحيدة في المنطقة: فعلى بعد ١٨ كيلومتر من انطاليا نجد شلالات كورجونلو اضافة الى بحيرة النيلوفر وهما موقعان طبيعيان رائعان لا يمكن اغفال زيارتهما.

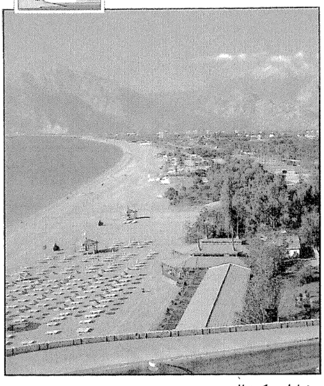
وفي الجانب الشرقي لجبل جان - الواقع على بعد ٣٠ كيلومتر من انطاليا - يقع كهف كاراين الذي يعتبر اقدم موقع استيطاني في تركيا فقد آوى الانسان منذ ٥٠ سنة قبل الميلاد، ولهذا الكهف مدخل واحد تضيئه شمس الصباح وينفتح على ثلاث غرف فسيحة متصلة، ورغم أن المتحف الصغير بالداخل يعرض بعض الآثار المكتشفة فيه، فان الكثير منها يعرض في متاحف كثيرة في كل انحاء تركيا.

يشتهر اقليم البحيرات (غولر بولغيسي) الواقع على بعد ١٥٠ كيلومتر الى الشمال من انطاليا في منطقة جبلية، بمحافظته على بيئته الطبيعية البكر، وتقصد هذه المنطقة ليس فقط للتمتع بمناظر البحيرات الساحرة التي تزخر بها بل ايضا لرؤية واقتناء سجاجيدها التقليدية المميزة.

وتحتفظ «بوردور» ببعض كنوز العمارة العثمانية التي تعود الى قرون عديدة خلت، فلا يخلو بيت من بيوت المدينة من آثار هذا التراث الفني، وتستمر السهول الفسيحة الخصبة في موازاة شواطيء رملية لا



- نسج الكليم.



- شاطىء كونيالتي.

حصر لها الى الشرق من انطاليا، وبالاضافة الى المنشآت والمرافق السياحية الحديثة، تحظى هذه الناحية بالعديد من الاثار التاريخية المهمة، واهم هذه المواقع التارخية مدينة بيرجي على بعد ١٨ كيلومتر من أنطاليا والتي شيدها الحيثيون سنة ١٥٠٠ ق.م، وقد ألقى القديس بولس أولى مواعظه وخطبه الدينية على سكان هذه المدينة.

أما المسرح القديم فيشتهر بنقوشه الرخامية المميزة التي تعرض منها عينات هي الاخرى في رحاب ملعب المدينة، ويستمتع هواة علم الآثار كثيرا بمشاهدة بوابة المدينة البديعة التي يحفها برجان شامخان ودرب طويل كان ممهدا بالموزاييك ومحاطا بالدكاكين، والساحة العامة الفسيحة والحمامات العامة والملعب الرياضي.

وعلى نهر كوبرو في الطريق إلى أسبندوس يتوقف السياح لالتقاط صور عديدة لجسر سلجوقي بديع في بنائه ورائع في مظهره وبعد ذلك يتوجهون إلى مركز أسبندوس للمجوهرات ثم إلى مسرح أسبندوس التاريخي الذي احتفظ بشكله الاصلي على مدى قرون عديدة، ويتسع هذا المسرح لحوالي ١٥٠٠ متفرج وهو مازال مستعملا الى حد الآن، وتظهر شرفاته الداخلية ونقوشه وخصائصه السمعية عبقرية الفن المعماري القديم بجلاء، وإذا حدث أن تساءلت يوما ما: كيف يتحول التبر الى قطعة فنية بديعة؟! وكيف تنقش الاحجار الكريمة؟ فلا تتردد في زيارة مركز أسبندوس للمجوهرات حيث يمكن مشاهدة صناع القطع الفنية وصائغي الذهب والمجوهرات وهم يؤدون عملهم من الألف الى الياء.

قيس بن عاصم المنقري

يتصل قيس بن عاصم بتميم ثم بمضر، ولما كان تميمياً فإن معنى ذلك أنه كان يعيش في ظلال قبيلة كبيرة لها بطونها، ومياهها، ولما كانت لها أيامها في الحروب، فإنها استحقت أن يقال لها «جمرة العرب».

والمقصود بالجمرة هو تلك القبيلة المنيعة التى تغزو ولا تُغْزَى ولقد وجد نفسه في منعة من قبيلته، ومن أبنائه الذين وصلوا إلى ثلاثة وثلاثين، ولهـذا وجد الطريق معبداً أمام الرئاسة، فقد كان فارساً شاعراً[١]، هذا إلى جانب أنه كان من الذين ينطقون بالحكمة ويشرعون للقبيلة، وحين سئل: بأى شيء ساد القبيلة قال: ببذل الندى، وكف الأذى، ونصر المولى، وتعجيل القرى، ولقد كان يضرب به المثل في الحلم، فقد قال الأحنف بن قيس عنه: ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم، ذلك لأن ابن أخ له قتل واحداً من أبنائه، وقد حمل ابن أخيه إليه مكتوفا، فما كان منه إلا أن قال: ذعرتم الفتى، ومن ثم قال للفتى القاتل: يا بنى بئس ما صنعت، نقصت عددك، وأوهنت عضدك، وأشمت عدوك، وأسأت بقومك، ثم أمر بإخلاء سبيله، وما حل حبوته، ولا تغير وجهه، ولا ارتعشت أطرافه، ولا تغير صوته

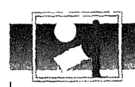
وقال، لبعض بنيه قم إلى ابن عمك فأطلقه، والى أخيك فادفنه[٢].

كما كان يضرب به المثل في الكرم، ففي ليلة عرسه لم يأكل، وحين حملتْ عروسه له الطعام في الليلة الثانية لم يقل إلا كلمة واحدة هي: أين أكيلى؟ ولما سألتْ عن معنى الكلمة قال لها:

أيا ابنة عبد الله، وابنة مالك
ويا بنة ذى البردين، والفرس الورد
إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له
أكيلا.. فإنى لست آكله وحدى
أخا طارقا، أو جار بيت .. فإنني
أخاف ملالات الأحاديث من بعدي
وإنى لعبدُ الضيف من غير ذلة
ومابي إلا تلك من شيم العبد[٣]

كما أنه حرم الخمر على نفسه، حين غمز عكنة ابنته - وقيل أخته - فكان أن هربت، وصوَّر

بقلم : أ . د . عبده بدوي
- مصر -



الموقف[٤]، وفي الوقت نفسه كان شديد العصبية لقبيلته[٥].

وقد كان من الطبيعي أن يدخل في صراع مع الشاعرين الفارسين عبادة بن مرثد، وزيد الخيل، ومع أنه تعددت مكارمه إلا أنه أخذ عليه موقفان في الجاهلية وفي الإسلام، فأما الموقف الذى أخذ عليه في الجاهلية فهو «الوأد»، بل إن هناك رأيا يقول «إن أول من فعل هذا من العرب كان «قيس بن عاصم».

والمعروف أن العرب كانوا يقولون، إن الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات به، فهو أحق بهن ويقال: إن الخوف من الفقر والسبى والاسترقاق، وبشاعة المنظر كان وراء الوأد، ولكن قيس بن عاصم قال بوضوح إنى أئد، للغيرة، والأنفة من النكاح، ويقال: إن هناك حادثا شخصيا وقع له، وهو الذى كان وراء عملية الوأد، وذلك لأن المشمرج اليشكرى البكرى - وبكر ضد تميم - قد أغار على جانب من تميم، وهو الجانب الذى كان منه قيس بن عاصم، وقد سبى فيما سبى امرأة من تميم، وقد ذهب قيس لاستخلاصها، وكان أن وجد أن عدوه المشمرج قد اصطفاها لنفسه، فسأله أن يطلقها، فقال «المشمرج»، قد جعلت أمرها إليك، فادخل عليها فإن اختارتك فخذها، وبالفعل دخل عليها، وخيرها بين العودة إلى قومها، وبين بقائها بين أعداء قومها وتحت المشمرج، وبحسم وبلا تردد اختارت المرأة التميمية بقاءها تحت المشمرج في بكر.. وأطرق قيس برأسه، وكان ذلك لم يفارقه أبدا، ومن هذا اليوم عزم على أن يئد - بلا رحمة - كل فتاة تولد له[٦]، ويقال إن العرب تبعوه في هذا، قال عنه أبو عبيدة: غدرة العرب ثلاثة أولهم قيس بن عاصم[٧].

ومن المعروف أن قيس بن عاصم وقومه لم يلتفتوا الى الإسلام إلا في وقت متأخر وإلا حين اصطدم الإسلام بهم اصطداماً شديداً ، وقد كان هذا بعد فتح مكة، ونحن نعرف أنهم اصطدموا بمسئول الصّدقات، وأنهم شهروا السيوف في وجه المسلمين، فما كان من الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلا أن قال: من لهؤلاء القوم؟ وقد أنفذ إليهم حملة تأديبية، سرعان ما تفوقت عليهم وسبت أحد عشر رجلا، وإحدى عشرة امرأة، وثلاثين صبياً، وقد أسرع وفد لاسترجاع الأسرى وكان في الوفد قيس بن عاصم، وقد أكرم الرسول الوفد، ورد عليهم من أخذ منهم، وكان أن قال في قيس بن عاصم: هذا سيد أهل الوبر، ولقد أكثر من التردد على الرسول، ويبدو أن تسلل الاسلام كان بطيئا في نفسه، فإنه يروى أنه دخل على الرسول في بيته، وحين رأى وجه الرسول متبسما، ورأى بين يديه إحدى بناته يشمها في حنو بالغ قال للرسول متعجباً: ما هذه السخلة التى تشمها، وكان أن قال الرسول: هذه ابنتى، ويرد قيس: والله لقد ولد لى بنون، ووأدت بنات ما شممت منهن أنثى ولا ذكراً قط؟ فكان رد الرسول: فهل إلا أن ينزع الله الرحمة من قلبك.

.. أما الموقف الذى أخذ عليه في الاسلام فقد كان في عهد أبى بكر، ذلك لأنه كان من الذين ارتدوا عن الاسلام، ومن الذين توقفوا عن أداء الزكاة، بل لقد وصل الحد إلى أنه آمن «بسجاح» ومن المعروف أن سجاحاً التى ادعت النبوة كانت تميمية بل يقال إنه عمل مؤذنا لها، وأنه قال شعرا يبارك فيه دعوتها مثل:

أصبحت نبيتنا أنثى نطيف بها

وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

ويقال إنه فعل ذلك مضطراً لأن مسيلمة أسر ابنا له، وأنه اقترب من سجاح ومن مسيلمة ليخلص ابنه من الأسر وفعل هذا حباً لابنه، ويقال: إنه اعتذر بهذا الأمر عند خالد بن الوليد، حين غزا سجاحا ومسيلمة، وأن خالداً قال له: احلف على هذا، فلما حلف على هذا، خلى سبيله، ومما يؤكد هذا أنه هجا سجاحا ومسيلمة بعد أن تزوجا، فقد قال:

يا لعنة الله، والأقوام كلهمُ

على سجاح ومن بالأفك أغرانا

فيا مسيلمة الكذاب.. لاسقيت

أصداؤه ماء مزن حيثما كانا!

والواضح أنه عاش حتى أواخر عهد أبى بكر، وأن ما فيه من شدة وعنجهية قد ذاب وتلاشى، فقد اكتسب بمرور السنين حكمة، وكان ندمه الواضح على موقفيه من «الوأد» ومن «الردة»، ولهذا نراه في أواخر حياته يجمع أبناءه من حوله ثم يوصيهم فيقول «إياكم والبغى، فما بغى قوم قط إلا قلوا، وذلوا» وحين أحسَّ بالموت، ذكرهم بأنه لا مفر لأنسان من الموت، فالرحيلُ عن الحياة حق لابد منه، وكان فيما قال في وصيته الأخيرة يا بنى.. إذا مت فسوِّدوا كباركم، ولا تسوِّدوا صغاركم، فيسفه الناس كباركم، وعليكم بإصلاح المال فإنه منبهة الكريم، ويستغنى به عن اللئيم، وإذا مت فادفنوني في ثيابى التى كنت أصلى فيها وأصوم، وإياكم والمسألة فإنها آخر مكاسب العبد ومما نسب له.

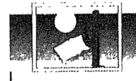
وإن ابن عمٍّ المرء فاعلم جناحُه

وهل ينهض البازى بغيْر جناح[٨]

ويلتفت الأبناء بعضهم الى بعض حين يثقون من الرحيل الذى لا لقاء بعده، ولا يملكون إلا أن يقولوا: رحمك الله يا أبانا، رحمك الله يا قيس بن عاصم، فقد كنت دائما كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: هذا سيد أهل الوبر! ومع أن صفحته تطوى، إلا أن ذكره يظل حيا في المسيرة العربية، وبخاصة موقفه من ابن أخيه، حين علم أن ابن أخيه قتل ابنه، فقد قال:

إنى امرؤ لا يعترى خلقى

دنس يفنده ولا أفنُ



من منقـــــر في بيت مكرمـــــة
والفــــرع نبت حــوله الغــصْن
خطبـــاء حين يقــوم قــــائلهم
بيضُ الوجـــوه مــصـــاقع لُسن
لا يفطنون لعـــــيب جـــارهم
وهم لحــــفظ جــــواره فطن[٩]

كما أنه تذكر له الضربة التى ألحقها «بأبجر بن بجير» في أواخر معاركه، تلك الضربة التى كانت في العرقوب بحيث قطعت العصب، والتى دعت الشاعر عفيف بن المنذر إلى التغنى بها حين قال:

فإن يرقأ العرقـوب لا يرقأ النسا
ومـــا كـال من يهـوى بذلك عــالم
ألم تر أنا قــــد فللنا حــمــــاتهم
بأسرة عمرو والرباب الأكارم[١٠]

٠٠ وأخيرا فقد كان من رواة الحديث، فقد روى عدداً، منها، قوله عن الرسول عليه الصلاة والسلام، نعم المال الأربعون، والكثر الستون، وهلك أصحاب المئين إلا من نحر سمينها، وأفقر ظهرها، ومنح غزيرتها، وأطرق فحلها، وأعطاها في نجدتها ورسلها[١١].

الهوامش:

(١) الأعلام لخير الدين الزركلي ٥٧/٦ ط ٢.

(٢) ديوان المعانى ١٢٥/١، والكامل للمبرد ٧٠٩/٢ ط١.

(٣) الحاسة البصرية ٢٣٨/٢ ط ٣.

(٤) قال كما جاء في الأغانى ١٤.

فيا شارب الصهباء دعها لأهلها الـ
ـقواة وسلم للجسيم من الأمر
فإنك لا تدرى إذا ما شربتها
وأكثرت منها ما تريش وما تبرى

(٥) إنى امرؤ لا يعترى خلقى
دنس يفنده، ولا أفن
من منقر في بيت مكرمة
والغصن ينبتُ حوله الغصن!

(٦) الأغانى للأصفهانى ج١٤ ص ٤٩٤٥ ط دار الشعب بالقاهرة، سئل عمر بن الخطاب عن الآية {وإذا الموءودة سئلت» فقال: جاء قيس بن عاصم إلى الرسول فقال: إنى وأدتُ ثمانى بنات في الجاهلية، فقال الرسول: اعتق عن كل واحدة منهن رقبة ـ الإصابة ٢٥٨/٢.

(٧) الديباج. تحقيق عبد الله بن سليمان بن عبد الرحمن بن سليمان ص ٦٥ ط الخانجي.

(٨) الحاسة البصرية ٦١/٢.

(٩) شرح ديوان الحماسة المرزوقى ١٥٨٤/٤.

(١٠) شعر الحرب حتى القرن الثالث الهجرى. د. نورى حمودى القيسى ص ١٠٨، ١٠٩ ط ١ بيروت.

(١١) كتاب التعازى والمراثى. لأبى العباس المبرد. تحقيق محمد الديباجى ص ٣٧ ط ٢ دار صادر بيروت.



عبد العزيز الربيعي (عاشق المتنبي)

كتبت في مجلة الأديب اللبنانية بالعدد الصادر في يونيو سنة ١٩٧٣م مقالا تحت عنوان «فتى المروءة» تحدثت فيه عن نموذج حيّ للإنسان العربي في مروءته وهمته وعروبته ممثلا في صديقي عبد العزيز الربيعي، ومرَّ أكثر من ربع قرن، ولا تزيدني الأيام إلا تأكيدا لما أعتقد وتثبيتاً لما سجلت من قبل، ثم رأيت خواطرى تجيش بعواطف عنه، منها ما ينزع إلى اتجاهاته الخلقية، ومنها ما ينزع إلى اتجاهاته الأدبية، وفي هذه الأخيرة متسع للحديث عن ناحية هامة من نواحيه، شغلت فكره ولا تزال تشغله دون إمهال، وهى هيامه بالمتنبي شاعر العرب الأكبر، وهو هيام قامت أسبابه في نفسه، وتأصلت تأصلا يجد له جذوره العميقه في إطرابه، وقد علم عنه أصدقاؤه الباحثون هذا الهيام المفرط، فناقشوه كثيرا، وطال الجدل إطالة مسرفة، وكنت أحد هؤلاء الذى ناقشوه في ساعات كثيرة من أعوام شتى، وفي رسائل متصلة تحفل بالدقيق الخفي من أنباء الشاعر، التى فسرت حيناً على غير وجهها، ولعبد العزيز فهم خاص في كثير من أبيات المتنبي، يذكرنى بالأستاذ الكبير محمود محمد شاكر إذ فتح الله على الرجلين بما تعذر أن نجده في شروح المتنبي على كثرة مفسرى شعره، في القديم والحديث، وليست المسألة موقوفة عند شرح النص، فهو متيسر لدارسي الأدب جميعا، ولكنها تقف عند فهم دواعي النص، وسبر غوره البعيد حين يتصل بأحداث خفية تستشف استشفافاً، ولا يلقاها إلا ذو حظ عظيم.

وأكاد أجزم أن حبّ عبد العزيز لشاعر العربية قد انبثق من حب عبد العزيز للعروبة تاريخاً وأدباً، بل أخصُّ من العروبة البادية بالذات! فقد نشأ عبد العزيز كما نشأ المتنبى بالبادية وإن اختلفت الباديتان، بين الشام والجزيرة العربية، ولكن خصال البادية العريقة من الشجاعة والنجدة والوفاء والحمية والغيرة على المرأة قد تمكنت من نفس المتنبي كما تمكنت من نفس عاشقه، واذا كان القراء يعلمون عن حياة المتنبي في بادية السماوة مالا أجد مجالا للخوض فيه، فإن حياة عبد العزيز العصامية بالبادية، تلك الحياة التى تحدث عنها الأستاذ محمد سعيد ذو الفقار في بعض أعداد مجلة المنهل في حوار عقده مع الأستاذ عبد العزيز، هذه الحياة تدل على أن عبد العزيز قد انحدر من أصلاب قبيلة الدواسر العربية وعشيرتها الأقربين (آل عويمر) وقد شارك والده فلاحة الأرض في زمن لم يكن الماء ميسرا إلا بالجهد الجاهد، ثم جف النبع، فأخذ الشاب الذى يحمل عبء أسرته بعد وفاة والده ينتقل الى جهات مماثلة، حتى ترك عمل الأرض الى الجيش السعودي المظفر، فصار جنديا ببأسه، ثم كاتباً بقلمه! وهنا مصدر العجب، لأن هذا الفلاح العصامي قد علّم نفسه بنفسه، لا ليقرأ أو يكتب فحسب، بل ليكون أديبا تظهر آثاره اللافتة في الصحف ظهوراً بارزا، ثم يختاره المسئولون لإدارة تحرير مجلة الجزيرة في الرياض، فيُسيطر على الحركة الأدبية حيناً ما ويرعى من الناشئة من صاروا اليوم من أصحاب الفكر الأدبي!

بقلم: أ. د. محمد رجب البيومي
عضو مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر -


عبدالعزيز الربيعي

ويدركه التواضع فلا تجمع آثاره في كتاب، وهي على تعدد مناحيها جديرة بالبعث في سفر خاص، وإذا كان الأستاذ الربيعي كالدكتور منصور فهمي يرى في كل ما كتب مالا يحرص على جمعه، مع سمو أدبه وذيوع فضله، فإني لأرجو من ولده الأديب الأستاذ محمد عبد العزيز أن يقوم هو بتخليد هذه الآثار المترامية في شتى الصحف والمجلات لا في الجزيرة وحدها، فهي إرث خالد، وكنز حفيل.

لقد رجعت الى ما تبودل من الرسائل بيني وبين الأستاذ الربيعي حول المتنبي بالذات، فرأيت من الأفكار ما لم يذع من قبل، وضنت عليّ بعض هذه الأفكار أن تظل مستورة بين صديقين، وهي جديرة بأن تذاع، فقد تلقى التأييد إذا صدقت، وقد تلقى التصويب إذا حادت عن الصواب.

مما أذكره عن عبد العزيز قوله إن قارىء شعر المتنبي في وقائع سيف الدولة يحسُّ عروبة متوهجة في مواقف كثيرة، فهو في وقائع الروم يُغلظ على العدو، ويتهكم به، ويبالغ في احتقاره مسلطا جام غضبه عليه، ولكنه في وصف معاركه مع من خرجوا على سيف الدولة من العرب، يقف في صراع بين نفسه العربية ومجاملة ممدوحه، إذ لا يجيز في أعماقه إطلاقا أن يقاتل العربيُّ العربيَّ في ميدان، ورجل السياسة كسَيْف الدولة لا يرى ما يراه رجل الأدب ـ هكذا قال عبد العزيز ـ لذلك نجد المتنبي يلجأ إلى الاسترحام والاستعطاف ليلين من حمية سيف الدولة وغضبه فيقول:

وكــيف يتم بـأسك في أناس
تصـيـبـهم فيـؤلك المصـاب؟

ترفق أيهـا المولى عليـهم
فـإن الرفق بالجـاني عـتـاب
ومـا جـهلت أياديك البـوادى
ولكن ربما خـفي الصـواب
وكم ذنب مـولِّده دلال
وكم بُعـد مـولِّده اقـتـراب

ويعلو صوت عبد العزيز، وهو يروى ما قاله المتنبي عن شجاعة كلاب وفروسية أبطالها فينشد قوله:

ولو غـير الأمـير غـزا كـلابا
ثناه عن شُـمـوسـهم ضـبـاب
ولاقى دون ثـايـهم[١] طـعـانا
يـلاقي عنده الذئب الغـراب
وخـيـلا تغـتـذى ريح الموامي
ويكفـيـهـا من الماء السـراب

ثم يقول، أترى عروبته الصادقة، حين غمر أعداء سيف الدولة بكل ود وحب، واعترف لهم بالشجاعة النادرة! إنه هنا العربى الأصيل.

وقد كتب الأستاذ محمود محمد شاكر حديثاً حلوا مطرباً عما استنتجه من حب المتنبي لخولة شقيقة سيف الدولة، ولكن عبد العزيز في حديثه معي امتد بالحبل الى أقصاه، إذ أرجع هذا الحب الآخذ بمجامع قلب الشاعر الكبير لا إلى ما اتسمت به الحبيبة من الجمال والحسن، بل إلى شمائلها العربية التى يعشقها المتنبي ويراها نمطا يحب أن يحتذى، وقد قلت له إن المتنبي قد وصف جمال خولة بما لا مزيد عليه حين قال:

فليت طالعـة الشـمـسين غـائبـة
وليت غـائبـة الشـمـسين لم تغب

فقال الجميلات كثيرات، رآهن المتنبي ولم يشغف بهن للجمال وحده، ولكنه شغف بالمروءة العربية

والهمة العلوية التى فاضت بالخير والمعروف على الناس من كف خولة، والتي أشار إليها المتنبي في قوله:

كأن (فعلة) لم تملأ مواكبها
ديار بكر ولم تخلع ولم تهب
ولم تردّ حياة بعد تولية
ولم تغث داعيا بالويل والحرب
وهمّها في العلا والمجد ناشئة
وهمّ أترابها في اللهو واللعب

فصفات المرأة العربية، ذات المروءة السامية، والنجدة المسعفة هى التى أوقدت شعلة الحب في نفس المتنبي! وليس الجمال وحده.

والقارىء يرى أن المتنبي قد قال كأن (فعله) ولم ينطق باسم خولة، وقد دارت بينى وبين الأستاذ عبد العزيز مناقشات حول هذا التستر المتحفظ، وجرّتْ هذه المناقشات إلى نتائج لم يقلها أحد من قبل ممن كتبوا عن المتنبي على كثرتهم الكاثرة! فقد لاحظت مع أخى عبد العزيز أن من سمات البدو ألا يذكروا اسم المرأة حبيبة أو زوجة أو أمًّا، ويرون ذلك عاراً أي عار، (إلا ما اشتهر لدى العذريين حين أفصحوا عن الأسماء تحت وطأة حب جارف لم يملكوا معه الكتمان) وجاء المتنبي فلم يسلك مسلك الشعراء ولو بالحديث عن مسميات عامة مثل هند وسلمى وليلي كما ترى في دواوين أبي تمام والبحترى وابن الرومى وعشرات الشعراء بل مئاتهم، فكان يتغزل في المجهولات دائما، فيقول:

عواذل ذات الخال فيّ حواسد
وإن ضجيع الخود منى لماجد
هام الفؤاد بأعرابية سكنت
بيتاً من القلب لم تمدد له طنبا
وفتانة العينين قتالة الهوى
إذا نفحت شيخا روائحها شبا
يا أخت معتنق الفوارس في الوغى
لأخوك ثم أبر منك وأرحم

وبين الفرع والقدمين نور
يقود بلا أزمتها النياقا
في مقلتى بشر تنيرهما
بيوية فتنت بها الحلل

بل قد يلجأ إلى الغزل الجمعى الذى يتحدث عن النساء جميعا، كيلا يخص واحدة منهن، فيقول مثلا:

من الجآذر في زىّ الأعاريب
حمر الحلى والمطايا والجلابيب
بأبى الشموس الجانحات غواربا
اللابسات من الحرير جلاببا
سربٌ محاسنه حُرمت نواتها
داني الصفات بعيد موصوفاتها

ومعنى هذا كله! أن تقاليد البادية حرّمت عليه ذكر خولة باسمها، وحرمت عليه التحدث عن اسم نسائى بذاته إلا ما ندر - فقد ذكر مرة اسم ريا - وهنا نقف أمام الذين يأخذون على المتنبي أنه لم يذكر اسم أمّه فلا نعلم عنها شيئا، كما لم يذكر اسم «زوجته» فلا نعلم عنها شيئا! نقفُ أمام هؤلاء لنقول لهم اذا كان لم يذكر اسما ما لحبيبته، ولو كان اسماً شائعا كعادة الشعراء، وإذا كان لم يذكر اسم خولة الذائعة مع اشتهاره، أفيجوز لمثله في حميته العربية، وغضبته المضرية أن يتحدث عن أم وزوج! فنتساءل من أمه؟ ومن زوجه؟ ثم نقول: تركهما لضآلة نسبهما!! أهذا تاريخ؟.

وأنا أعرف أن الأستاذ الربيعى ممن يؤثرون الأستاذ عباس محمود العقاد على الدكتور طه حسين ويرى الأول أشد نفاذاً إلى أعماق البحث، وأحسن وصفا لمعضلاته، وكشفا لغوامضه، وكنت أظن حبه للمتنبى بعيداً عن هذا التفضيل المؤكد لديه، وكأنى أردت أن أزيده استطالة على الدكتور طه حسين فأرسلت إليه ذات مرة أقول له، إنى قرأت كتاب «مع أبى العلاء في سجنه» للدكتور طه حسين، وأعجبت كثيراً بمذهبه في التحليل، وأطربنى قوله في الكتاب

عن المتنبي: «أنا أقدر فن المتنبي وأعجب ببعض آثاره إعجاباً لا حدّ له، وأعجب ببعضها الآخر إعجاباً متواضعا إن صح أن يتواضع الاعجاب، وأمقت سائرها مقتاً شديدا، ولا تثير حياة المتنبي بنفسي إشفاقا عليه، ولا رثاء له، وإنما هو مغامر طلب ما لم يخلق له، وتعرض لما كان يحسن أن يعرض عنه فانتهى إليه أمثاله المغامرون»·

كتبت هذا الى الأستاذ الربيعي، وقد أدرك ما أريد أن أستفزه به، ولكنه في رده اصطنع هدوء ساكناً، وكأن الأمر لا يعنيه فكتب إليّ يقول: هذه مسألة فرغ منها الأستاذ العقاد حين قال تعليقا على كلام الدكتور طه الذى أشرت إليه:

«الحق أنى لأعجب لهذا النفور من الدكتور وشاعرنا العربي الكبير، وما أنا ممن يستحسنون كل شعره ولا كل عمله، ولكن أزن ما زاده في ثروة الآداب العربية، وما زاده من شرور الحياة بسوء عمله وسوء خلقه، فأعلم أن الحياة لم تفسد بفساد المتنبي، وأن الأدب قد صلح بصلاح شعره، وأنّ لأصغر الهلافيت من خلق الله سيئات أكبر من سيئات المتنبي، واحتملتهم الدنيا مع ذلك أفتحتمل الدنيا هذا من أصغر الهلافيت، ولا تحتمله من الرجل الذى لو قبلنا حسناته بألف ضعف من سيئاته لكنا من الرابحين»·

هذا ما أقتطفه الأستاذ الربيعى من دفاع العقاد، وأنا أشمت به وبشاعره حين اختار هذا الدفاع المتواضع، لأنه لم يكن تبرئة خالصة للشاعر المنقود، ولكنّه يحمل من النقد الصارخ ما كان على الأستاذ الربيعي أن يرد عليه، فالمتنبي في مرآة العقاد رجل زاد شرور الحياة بسوء عمله وسوء خلقه كما أن له سيئات كما لمثل صغار الهلافيت! لقد كان فى طوق العقاد أن يعبّر عن هذه المعانى بأسلوب لا يجرح اللحم والعظم معا هكذا، بأن يقول كما قال غيره:

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعدّ معايبه

ولكنه مشى مع الدكتور طه إلى أكثر من منتصف الطريق، والربيعي في أطواء ذاته يرى المتنبي شاعر العروبة الذي قفز بمثلها الى أبعد غايات الكمال! أفيكون صاحبى قد راجع نفسه، وعلم أن المتنبي بشر ذو سقطات!

على أنى أزجى لأخى عبد العزيز نصاً للدكتور طه حسين في كتاب (مع المتنبي) إخاله سيفرح به كثيرا، ذلك أن الدكتور طه في بعض سهواته عن مؤاخذة المتنبي، اعترف اعترافاً صريحا بأن أبا الطيب هو الذي وجه أبا العلاء إلى الشعر الفلسفي، فأبو الطيب هو استاذ أبو العلاء فلسفيا! وليست أستاذيته مقصورة على النهج الشعري! يقول طه تعليقاً على قول المتنبي:

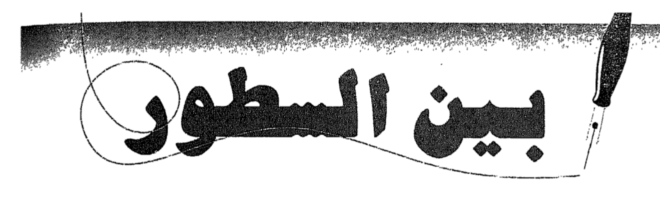
تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم
إلا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة
وقيل تشرك جسم المرء في العطب

«وأحب أن تلاحظ أن المتنبي يصطنع في هذه الأبيات لغة أصحاب الكلام، أكثر مما يصطنع لغة الشعراء، وسيقلده أبو العلاء في هذا النحو من التعبير، كما يذهب مذهبه في هذا النحو من التفكير·· ثم قال طه (خير ما في الشعر هذه الإلماحات القصيرة ببعض الآراء الفلسفية التى كانت بذورا صالحة لفلسفة أبى العلاء»·

أخى عبد العزيز: أى كسب للمتنبي أكثر من أن يكون موجها أبا العلاء فيما انغمس فيه من هذه الفلسفيات!!

الهوامش:

(١) المراد بالنأي: المنازل والرباع، والموامي هي الصحاري·



الفضول الثقافي ـ من اغاريد الطفولة ـ

كانت اختى تكبرنى بثلاث سنوات لكنها كانت تمثل لي كنزاً ثقافيا باعتبار أن «اكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة» كما يقول المثل الشعبي فكانت تعرف اكثر مني بمئات السنين تبعا لهذا المثل، كانت تعرف اين يقع نهر بطاطيا واين جزر واق الواق وماذا فعل المفتش الشهير عطاطه مع المجرم الخطير بطاطة واين ذهب حسن في مسلسل مجلة الهلال الذى يختفى في آخر كل حلقة ليظهر في بداية الحلقة التالية، كانت اختى باختصار تعرف كل شيء وكنت انا اتمتع بالفضول الثقافي فكانت علاقتى بها تتجاوز علاقة الاخوة الى المحبه والهواية واجلال التلميذ لمعلمته.

كان ابن بائع الحلوى يسمى «شلبايه» أو كان هذا لقبه الذى يناديه به ابواه لكن اختى كانت تضيف ان اسم الاب والام «شلبى وشلبيه» واضافت اختى انها سألت المدرس عن معنى كلمة «شلبى» فقال انها محرفة عن الاسم التركى «جلبى» وتعنى الشيء النفيس ومؤنثه «شلبيه» وتصغيره «شلباية» وتبعاً لارشادات اختى التى نوهت اننا يمكن ان ندرس خصائص الجنس التركى على عائلة شلبى فقد كنت احوم حول حانوتهم اشاهد انواع الحلوى المغرية «العسلية والمصاصة وبراغيث الست ونبوت الغفير وخد الجميل» ـ والتى كنا محرومين منها لفقرنا، وفي نفس الوقت ادرس علم الاجناس على «الشلبيين» تكرر منى ذلك عدة مرات حتى شك «الشلبي» في امرى وامسك بى ليعاتبنى قبل توجيه الاتهام والدفاع فأخذت في الانتحاب معتذراً وانا اقول «يا عم شلبى انا ادرس علم الاجناس» لم يفهم الرجل آخر الجملة لكن استفزه مناداتى له باسم «شلبى» فازداد ضربه لي، فقد اعتقد اننى اسخر منه إذ أن اسمه «الشنشورى، بدأت أشك في معلومات اختى.

هيروشيما صبي ـ من أغاريد الطفولة:

عندما بلغت العاشرة من العمر كان لدى مائة سبب على الاقل لكى اكره امريكا، على رأس تلك الاسباب مأساة هيروشيما تلك المدينة اليابانية التى القت عليها امريكا القنبلة الذرية مع سبق الاصرار والترصد فجعلتها شاهداً حياً على ظلم الانسان لاخيه الانسان، كان يقطن في الشارع شاب صغير السن نصف وجهه معجون تماما والنصف الآخر عادى جداً وكانت شقيقتى الكبرى تشرح لى مأساة هيروشيما على هذا الشاهد المتحرك وكيف ان ما حدث له بسبب الاشعاع الذرى ثم هربت به أمه المسكينة من اليابان الى مصر عن طريق البحر في مركب قديم متهالك بعد أن مات افراد الاسرة كلهم اثر الانفجار وجاهدت الام في مصر الحنون التى فتحت ذراعيها لاستقبالها هى وابنها للعيش فيها حتى دخل الابن المدرسة الثانوية كانت اختى تقول تلك المعلومات ـ التى لا ندرى مصدرها ـ فتغرورق عيوننا بالدموع وكان املى ان اتعرف على هذا الانسان واشد على يديه واخبره أن مصر كلها ـ ممثله في شخصى الضعيف انا واختى ـ نقف وراءه، مرت سنوات طويلة واختفى الهيروشيمى من شارعنا وقابلته في اول حياتى العملية في نفس المكان الذى اعمل به وعلمت أنه مصرى صميم لم

د. عبدالغني عبدالحميد رجب
ـ مصر ـ

يذهب لليابان في حياته لكنني لم اكف عن كراهية امريكا ·

لا تقتل نفسك ـ حكايه من العيادة النفسية :

تقع في اطراف المدينة مستشفى صغيرة وامكانياتها ضئيلة ولا ادرى الى الآن ما الذى دعا مديرها المجنون الى افتتاح عيادة نفسية في مكان يعانى من نقص الخدمات الاساسية ويطلق عليها الاطباء اسم الخرابة، لم تكن العيادة النفسية سوى لافته وطبيب حتى المكان لم يتوافر فجلس الطبيب النفسانى مع اطباء الباطنة في نفس الحجره وكان لابد أن يدور بينهم حوار اثبت لهم من خلاله ان طريقة عملهم خاطئة، وعرض عليهم كتاباً لطبيب امريكى عن مريض يعانى من آلام شديدة بالمعدة وبعد أن خضع لفحوص وتحاليل واشعات وتناول ادوية كثيرة بلا فائدة كانت المحطة الاخيرة هى الطبيب النفسانى الذى اكتشف أن حماة الرجل هى السبب في مرضه كان عنوان الكتاب «لا تقتل نفسك» وكان عنوان الباب «اقتل حماتك وعش سعيدا» بعد أن تخلص الفتى الامريكى من حماته شفى تماماً من آلام المعدة واصبح يعيش حياة طبيعية ويتناول من الاطعمة ما يروقه·

بسبب نقص الامكانيات في المستشفى أو انعدامها اصبح السؤال الرئيسى الذى يسأله اطباء الباطنة لمريضهم عن الحماه وكان احد المرضى من الشباب يعانى من مرض مزدوج بصمام القلب وسأله الطبيب عن حماته فأجابه انها سيده كريمة ورائعه وتوضع على الجرح فيندمل ولما سأله عن زوجته اجابه انه غير متزوج·

وعرفت ان الحماه هى كائن رمزى موجود في الوجدان الجمعى للناس جميعا حتى لو لم يكونوا متزوجين وانه طالما الانسان غير متزوج فحماته سيده طيبه والعكس بالعكس·

الشاعر والراوية ـ شطح الصبا ـ

كان مدرس اللغة العربية في المرحلة الثانوية يعانى من جنون عظمة من نوع خاص يتمثل في صلته بشعراء الغزل على مدى قرون متطاولة وكان يعتقد أنه راوية عمر بن ابى ربيعة وكاتم سره وذات يوم دخل علينا وقبل ان يلقى بتحية الصباح إذا به يقول بصوت جهورى: إن هناك من اشعار ابراهيم ناجى ما لم يكتب بالقلم الحبر وان من اشعاره ما لم يكتب بالقلم الجاف وما لم يكتب بالقلم الرصاص أو حتى القلم الكوبيا · رفع احد التلاميذ اصبعه يطلب الكلمة معتقداً ان هذه لغزه تتطلب حلا ولم ينتظر ان يسمح له المدرس بل قام من تلقاء ذاته وهو يقول أن ابراهيم ناجى كان يكتب شعره بالوان الشمع والوان الطباشير، نظر اليه المدرس شزراً وهو يقول له اجلس يا جحش، وما إن قعد التلميذ الجحش حتى اضاف المدرس قبل ان يقطع عليه احد نشوته «ان من اشعار ابراهيم ناجى ما كتب باحمر الشفاه واقلام الحواجب على مرايا العذارى في خدورهن ·· وكنت معه وهو يكتبها»·

بالاذن يا خليل (١) :

ـ استدراك على الشيخ الجليل الخليل بن احمد الفراهيدي ـ

كنت منذ الطفولة وحتى الآن اعتقد أن الخليل بن احمد الفراهيدى من اعظم العبقريات التى انجبتها الحضارة الاسلامية لكن في عصرنا هذا ـ عصر الحداثة والجنون ـ اعتقد أننا بحاجة لخليل جديد ·· مجنون·

ـ بحر الظلمات هو البحر الذى استدرك به شعراء الحداثة على الخليل بن احمد·

ـ نظر الشاعر الحداثى في المرآه في لحظة مكاشفة فلم يرشيئاً·

ـ رقص الشاعر الحداثى على قدر ايقاع الزمان فلا تلمه اذا اصيب بغيبوبه دائمة حيث ان ايقاع الزمان اسرع من أن يرقص عليه بتوعدة التفاعيل الخليلية القديمة·

ـ الشعر الحداثى ليس مهنة ·· لكنه امتهان·

ـ هل انطلق شعر الحداثة من صلب القديم ام من رحمه؟ اعتقد انه انطلق من امعائه·

- الشاعر الحداثي هو الذي يحلب الثور حقيقة لا مجازا.
- كان الشعراء يتجادلون وبيزنطه تحترق في اكثر الوسائل شاعرية لاطفاء الحريق.
- شاعر الحداثة وجهه لا يضحك للرغيف الساخن الا إذا كان ممتلئاً باللحم.
- هذا الشاعر ظل محتفظاً بمبادئه حتى مات كأطول شاعر في العالم.
- هذا الشاعر افضل شاعر في العالم .. فهو صديقي.
- هذا الشاعر لا يغير مبادئه بسهولة.. يغيرها بصعوبة.
- لم اندهش عندما علمت ان سفاح الصرب «رادوفان كاراجيتش» طبيب نفساني وشاعر.
- كانت كلمة ثورى في قصائد شاعر الحداثة نسبة الى الثور وليس الثورة.
- يقول شاعر الحداثة انه لن يريق ماء وجهه.. فهو ليس به ماء.
- شاعر الحداثة قد لا يثير اعجاب كل الناس لكنه بلا شك يثير اشمئزازهم.
- عندما قرأت قصيدة من شعر الحداثة اعتقدت انها طلاسم شيطانية لتفريق الاحبة.
- شعر الحداثة هو الكتابة بالحبر الابيض على ورقة بيضاء شفافة.
- اخذ يقرض شعر الحداثة حتى اصبح اصلع تماما.
- شاعر الحداثة يغترف شعره من البحر الاسود ويصبه في بالوعة الصرف الصحي.
- شاعر الحداثة هو الذي لا يحترم قواعد الشعر ولا قواعد اللغة ولا قواعد الاخلاق ولا قواعد المرور.
- شاعر الحداثة محموم لا ينفس عنه الا أن يهذي.
- ليس من العار أن تكون شاعراً حداثيا طالما لا تجاهر بشعرك..
- الشاعر السريالى يريد أن يصور مشاعر الكرسى عندما يجلس عليه - اعتقد انها القرف الشديد.
- ان القسوة على الطفل تدفعه ان يصبح شاعراً حداثيا عندما يكبر.

بالاذن يا خليل (٢):

استدراك على الشيخ الجليل الخليل بن احمد الفراهيدى

- شعر الحداثة احيانا يثير الدهشة .. دائما يثير القرف.
- شاعر الحداثة يعتقد أن الكناية معناها النكاية في الآخرين.
- لم يكن افلاطون على حق عندما طرد الشعراء من جمهوريته، كان عليه ان يسلخ جلودهم.
- الشاعر الفرنسي تلقى رصاصة في رأسه في الحرب العالمية الاولى ثم مات بعد سنتين بالانفلونزا، ربما كانت هذه هي كنايته الاخيرة.
- هذا الشاعر يعتقد ان فائدة حروف الهجاء أن يهجو بها الاخرين.
- هذا الشاعر يجيد استخدام الرمز في شعره .. فهو يدعى رمزي.
- شعر الحداثة هل يمكن تفسيره على نفس الاسس التى تستخدم في تفسير الاحلام اذا كانت من نوع الكوابيس؟.
- بين الشعراء والمجانين فاصل ادق من نسيج العنكبوت لو انقطع لصار المجنون شاعرا.
- هذا الشاعر يبدو وكأنه قنبلة موقوته ستنفجر عندما يسمع شعره الآخرون.
- كل ما عليك هو أن تضع الكلمات في غير مواضعها حتى تصبح من شعراء الحداثة.
- اكتب الشعر دائماً فإن لم تجد قارئاً فستجد كاتباً.
- الاحمق هو من يقول الشعر الحديث والاكثر حمقاً هو من يقرأه.
- هذا الشاعر يلوح وكأنه خارج لتوه من مستشفى الامراض العقلية.
- اننى لا افهم ما يقوله شعراء الحداثة لكنني افهم ما يقصدونه.

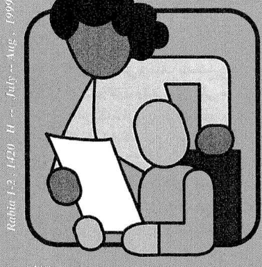
رسالة من الرجولة .. الى السيدة الجميلة

التين .. غذاء كاف .. وعلاج واف

الفنان المسلم

١١٧

Rabia I-2 . 1420 H -- July -- Aug . 1999 C







التين .. غذاء كاف .. وعلاج واف



التين لغة، هو شجر من الفصيلة التوتية وثمر ذلك الشجر يعرف في مصر بالتين البرشومي. وهو من الأشجار أو الشجيرات الصغيرة المعمرة، متساقطة الأوراق، الاسم العلمي فيكس كاريكا (Fi-cus Carica) والاسم الأنجليزي (Fig)، موطنها حوض البحر الأبيض المتوسط، ويقال إن اليونانيين أول منْ أخذوها من كاريكا، ومن هنا جاء اسم نوعها «كاريكا»، وقد عنى بها اليونان وحسنوا ثمارها. وقد كان التين مقدساً عند باكوس، والتين الهندى مقدس عند البراهمة والبوذيين، وقد ولد بوذا تحت ظلال شجرة التين المقدسة، وكان التين يسمى «نوة - أنت - داب» (Nuhe - ent - dab) وكان يستعمل كغذاء ودواء وفي صناعة الخمر كذلك. ويسمى التين باليونانية سيقمورس وبالفارسية هجار. وقد عثر على التين في قبر ميتين (Methen)ـ قبل عصر الأهرام - على وصف بستان كرم حيث كان يزرع العنب والتين، وقد عثر على صور لشجر التين في مقابر عدة ترجع الى عصور مختلفة. وكانت العادة إذا جمعت الثمار ربطت في الخيوط كما هو الحال الآن. وقد عثر بالفعل على شيء منها بهذه الحالة كان مقدما للموتى في القبور المصرية القديمة، وقد وفق بيترى للعثور عليها في القبور الملكية التى ترجع للأسر الأولى.

كان التين يزرع بكثرة في مصر، وكان رمسيس الثالث يقدم كميات هائلة منه للمعابد العظيمة، وكان مزروعا في حديقة معبد الإله آمون في طيبة خمس شجرات من التين.

وقد ورد ذكر التين في القراطيس الطبية، ففي قرطاس أبيرس وحده ذكر التين ٤٧ مرة وكلها كانت للاستعمال من الباطن ما عدا اثنتان منها كانتا للأستعمال من الظاهر.

وقد أقسم الله في كتابه الكريم بالتين، وذلك لكثرة فوائده كغذاء ودواء، وقد اختلف المفسرون في ذلك، وقال مجاهد (هو تينكم هذا) .. والله أعلم.

ومما هو جدير بالذكر أن التين لم يكن بأرض الحجاز والمدينة، ولم يأت له ذكر في السنة، وقد قال ابن قيم الجوزية في «الطب النبوى»: يذكر عن أبى الدرداء: أهدى إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} طبق من تين فقال: «كلوا» وأكل منه، وقال: «لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة، لقلت هذه، لأن فاكهة الجنة

اعداد : أ.د. سامية محمد مصطفى عامر
- مصـــر -



بلا عجم، فكلوا منها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس» وفي ثبوت هذا نظر.

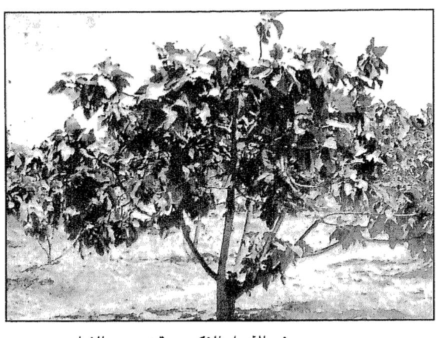
الموطن الأصلي وطبيعة التلقيح وأهم الأصناف والدول المنتجة له:

ترجع زراعة التين إلى فترة ما قبل التاريخ، حيث انتشرت زراعته في حوض البحر الأبيض المتوسط، ويعتقد أن الموطن الأصلي للتين هو جنوب شبه الجزيرة العربية حيث ينمو هناك بحالة برية.

وقد قام المهاجرون الأسبان بنقل التين إلى كاليفورنيا في منتصف القرن الثامن عشر، وحاليا يزرع التين في كثير من مناطق أوروبا. ويذكر (Goor) ١٩٦٥ في مؤلفه أنه ربما زرع التين لأول مرة في مصر وشبه الجزيرة العربية وذلك عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد.

وثمرة التين كروية أو كمثرية الشكل، ويختلف لونها، فمنها الأبيض، والأحمر، والأسود وأجوده الأبيض.

وتنقسم أصناف التين إلى قسمين: قسم تؤكل ثماره طازجة، وقسم تؤكل ثماره مجففة. أما التين الطرى الكامل النضج: فهو مركب من ثلاثة أجزاء: أحدها القشر، والثانى الحب، والثالث اللحم. فأما حبه فهو غير مفيد للجسم حيث يشبه في صلابته الرمل والحصى. وأما قشره فهو عسير الهضم جدا، ومن أجل ذلك فمن الواجب ألا يؤكل التين الرطب بقشره. وأما لحمه فأكثر غذاء من لحم التين اليابس. أما طبيعة التلقيح والعقد في هذه الثمرة فهي مختلفة عن بقية الفواكه الأخرى حيث يتم التلقيح بواسطة حشرة قيضها الله سبحانه وتعالى لنقل حبوب اللقاح من الأزهار الذكرية إلى ثمار التين المؤنثة، فنجد الأزهار في التين وحيدة الجنس، ويكمن



في الأزهار الذكرية نوع من الذباب يسمى «بلاستوفاجا» يخرج في الربيع محملا بحبوب اللقاح، ويدخل في ثمار التين المؤنثة فيلقح الأزهار، وعند نضج الثمار تقطف وتؤكل أو تجفف.

أهم أصناف التين:

- أصناف ذات قشرة حمراء فاتحة: مثل التين الفيومى والعبودي.
- أصناف ذات قشرة خضراء أو صفراء أو صفراء مخضرة: مثل أبيض أسوانى والكهرمانى والكمثرى والعدس وهذه المجموعة تسمى أصنافا بيضاء.

وأهم الدول المنتجة للتين (المجفف) في العالم هي: تركيا وتأتى في مركز الصدارة تليها اليونان ثم الولايات المتحدة الأمريكية في المركز الثالث ثم إيطاليا والبرتغال وأسبانيا.

التين كغذاء واف:

يحتوي التين على نسبة عالية من المواد السكرية ونسبة متوسطة من البروتين ونسبة بسيطة من المواد الدهنية كما يحتوى على أملاح معدنية، مثل الكالسيوم والفوسفور والحديد، والتين غني بفيتامين

(ك) الذى يساعد على تجلط الدم وإيقاف النزيف، كما يحتوى على فيتامين (أ) ، (ب) ونسبة بسيطة من فيتامين (ج).

وترجع القيمة الغذائية لثمرة التين لما تحتويه من نسبة عالية من المواد السكرية علاوة على البروتين والدهن وعنصرى الحديد والكالسيوم، ومما هو جدير بالذكر أن التين غني بالألياف النباتية التى تساعد على تنبيه الحركة الدودية للأمعاء ومنع حدوث الإمساك.

والجدول التالى يبين القيمة الغذائية لثمار التين:

يعطي الكيلو جرام الواحد من ثمار التين حوالى ٣٥٧ سعرا حراريا.

اسم العنصر	نسبة وجوده
بروتين	٦,٤ جرام
دهـن	١,٨ جرام
كربوهيدرات	٩٨ جرام
كالسيوم	٢٤٥ ملليجرام
فوسفور	١٤٥ ملليجرام
حديد	٠,٧ ملليجرام
فيتامين أ	٣٥٠ وحدة دولية
ثيامين	٠,٢٥ ملليجرام
ريبوفلافين	٠,٢٣ ملليجرام
نياسين	٢,٥ ملليجرام
فيتامين جـ	٠,٧ ملليجرام

التين كعلاج واف في الطب القديم:

مما يدل على الفوائد الجمة للتين أن سورة في القرآن الكريم سميت باسمه، أقسم الله فيها بالتين، ولو أمعنا النظر في شجرة التين المباركة لوجدنا أن الله وضع فيها من روائع صنعته وابداعه ما تفردت به عن بقية الفواكه فمن روائع الابداع الإلهى في هذه الشجرة أن كل جزء منها يشفى من بعض الأمراض حتى الرماد بعض الحرق له فوائد طبية.. سبحان الله الخالق العظيم.. أليس هذا إعجازاً علميا.. وقد عرف الأطباء الأوائل سر هذه الشجرة العظيمة، فقد أطال ابن سينا في القانون في سرد هذه الفوائد، وكذلك البيطار وداود الأنطاكى وغيرهم كثير.. نذكر بعض هذه الاستعمالات في العلاج لكل جزء على حدة.

ثمرة التين الناضجة سواء غضة أو مجففة:

استعملت في علاج كثير من الأمراض فقد وجد أن تناوله يصلح اللون الفاسد بسبب المرض، والأورام الحارة الرخوة وينضج الدماميل، ويشفى من الصرع، ينفع من خشونة الحلق ويوافق الصدر وقصبة الرئة، وشراب التين يدر اللبن، ينفع من السعال المزمن وأوجاع الصدر وأوجاع القضيب والرئة، ويفتح سدد الكبد والطحال وقال جالينوس: رطبه ردئ للمعدة ويابسه ليس بردئ، وإذا أكل بالمرئ (ما يؤتدم به) نقى فضول المعدة، وهو مما يقطع العطش الذى من بلغم مالح، ويابسه يهيج العطش، وينفع من الاستسقاء خصوصا بالأفسنتين وكذلك شرابه نافع للمعدة، ويقطع شهوة الطعام، ولاستعماله على الريق منفعة عجيبة في تفتيحه مجارى الغذاء، وخصوصا مع اللوز والجوز علاوة على أن رطبه ويابسه ينفع الكلى والمثانة، ويصبر على حبس البول، ورطبه إذا تُنوول معه لوز مدقوق كان ملينا ومسهلا قليلا كما يستخدم كذلك لصلابة الرحم إذا خلط مع النطرون والقرطم وأخذ منه قبل الطعام. والتين الأبيض يجلو الكلى من الرمال ويؤمن من السم ويلطف ويدفع الأدران من الصدر والظهر وهزال الكلى وضعف الباءة وكذلك يسكن الحرارة ويلين مخمد الرائب من الدماء والألبان ويذيب الجامد منها، ويهيء البدن لدفع الفضول الغضة الى خارج البدن وله ضرر وحيد إن أكثر من أكله جدا ولد القمل في البدن، والسلاق في الفم والحميات المزمنة لذلك ينبغى أن يقلل. وهو أقل الفواكه نفخاً، يطلق البطن، كاسراً للرياح، وهو يخصب البدن، ويزيد في اللحم، ويسكن النبض من القلب بخاصة فيه فسبحان الخالق العظيم.. الذى أحسن كل شيء صنعاً، أصح الفواكه غذاء، إذا أكل على الريق ولم يتبع بشيء، وإذا داوم على الفطور



عليه أربعين صباحاً بالأينسون سمن تسمينا لا يعدله فيه شيء، وإذا نقع في الخل تسعة أيام ثم لوزم على أكله وشرب الخل والضماد به أبرأ الطحال عن تجربة.

الثمار الفجة:

ومن فعل التين الفج على سبيل الدواء يطلى به ويضمد على الخيلان والثآليل وأصنافها والبهق، تبرىء قروح الرأس ذروراً، وإذا خلط بعسل نفع من عضة الكلب والقروح التى تسيل منها رطوبة عسلية لزجة، وإذا خلط معه نطرون وعجن بنحل أبرأ القروح الرطبة التى بالرأس، وإذا طبخ وعمل منه ضماد، لين العقد والخنازير وحللها ومما يجدر الإشارة إليه أن طبيخه مع رغوة الخردل تطلى على الحكة وتقطر في الأذن التي بها طنين فتشفى بإذن الله.

الأوراق والأغصان وعصارتها:

تقطع آثار الوشم، وتنفع من القوباء، ويجعل على الشرى وعلى القروح الغليظة الرطوبات، ويدلك بالأوراق الأجفان وجربها وعصارة أوراقه تفتح أفواه المقعدة أما عصارة الأغصان فهى تنفع في السن المتآكلة، ويفيد استعماله على أورام ما تحت الاذن ضماداً.

اللبن:

يقطع آثار الوشم، لبنه مع العسل ينفع من الغشاوة الرطبة، وابتداء الماء وغلظ الطبقات، ولبن التين البرى يجمد اللبن (يعمل كالمنفحة)، ويذيب الجامد منه (مثل الخل)، ويفتح أفواه العروق وإذا احتمل بصفرة بيض الرحم وأدر الطمث، وقد تفعل عصارة الأغصان كذلك.

الرماد مع الزيت:

ينقى القروح ويجلو الآثار، ويبيض الأسنان لا يعدله فيه غيره، وينفع اللثة، ويسود الشعر مع الخل، وبصفرة البيض والشمع يصلح أمراض المقعدة، وإذا احتمل في صوفه بعسل نقى القروح والرطوبات الفاسدة وقطع نزيف الدم.

الفوائد الطبية لثمرة التين في الطب الشعبى الحديث:

١ ـ لعلاج الإمساك:

ينقع (٣ ـ ٤) من ثمار التين الجاف في كوب من الماء البارد في المساء وفي الصباح تؤكل هذه الثمار المنقوعة ويشرب ماؤها على الريق، أو تطبخ ثلاث أو أربع ثمار طازجة مقطعة في قدح من الحليب مع ١٢ حبة زبيب، ويشرب الخليط صباحاً على الريق.

٢ ـ لعلاج كسل الأمعاء:

يقطع (٦ ـ ٧) من ثمار التين الجاف إلى شرائح، وتغمس في زيت الزيتون مع إضافة بضع شرائح من الليمون، وتترك لمدة ليلة كاملة، وفي الصباح تؤكل هذه الشرائح على الريق.

٣ ـ لعلاج الجروح والقروح:

تضمد الجروح بثمار التين المجففة والمغلية بالحليب، لهذا الغرض تشق بضع ثمار من التين الجاف، بحيث يفتح داخلها تماما.. وتغلى لمدة بضع دقائق بالحليب العادى. وبعد أن تبرد قليلا يغطى بها الجرح بحيث يكون سطحها الداخلى فوق الجرح مباشرة، وتثبت فوقه برباط من القطن، مع تجديد هذا الضماد ٣ ـ ٤ مرات يومياً.

٤ ـ لعلاج اضطراب الحيض:

يغلى (٢٥ ـ ٣٠) من أوراق التين في لتر من الماء ويشرب من المغلى لعلاج السعال واضطراب الحيض، وإدرار الطمث ويؤخذ قبل ميعاد الدورة الشهرية.

٥ ـ لعلاج التهابات الحلق واللثة:

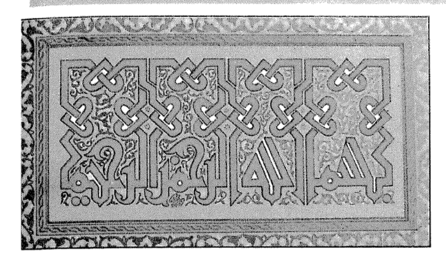
يستخدم المستحضر السابق كغرغرة وغسول للفم والتهابات اللثة.

٦ ـ لعلاج نقص إدرار البول واللبن:

منقوع التين المجفف يساعد على إدرار البول واللبن.

وفي النهاية يجب علينا أن نخر ساجدين لله الذى أنعم علينا بهذه النعم الوفيرة في نوع واحد من الفواكه حيث جعله غذاء وشفاء لملايين البشر.

الفنان المسلم



الطبيعة ٠٠ الجمال ٠٠ الكون، كلها عناصر تتضافر لتكون الفنان المسلم المتميز بحسه المرهف، الذي استطاع أن يترك بصماته الفنية واضحة عبر العصور التاريخية باختلاف البقاع التي وطأتها قدماه، وإنه من الحري بنا أن نسلط الضوء على تلك اللمسات الفنية الرائعة التي برزت في مظاهر عديدة لتكون خير شاهد عبر القرون على أن المسلم هو أكثر الناس إحساسا بالجمال في كل مظاهر الحياة، بل حتى في تلك المظاهر التي قد تبدو بسيطة بعيدة كل البعد عن القيمة الفنية، لأن الفنان المسلم كان يحيا بروح جميلة فرأى الجمال في كل ما حوله مستعينا على ذلك بصفاء سريرته وشفافية حسه.

والفنان هو شخص موهوب ذو حساسية خاصة تستطيع أن تلتقط الإيقاعات الخفية للطبيعة التي لا تدركها الأجهزة الأخرى في الناس العاديين، وذو قدرة تعبيرية خاصة تستطيع أن تحول هذه الإيقاعات التى يتلقاها حسه مكبرة مضخمة إلى لون من الأداء الجميل، يثير في النفس الانفعال ويحرك فيها حاسة الجمال[١].

والفنان إنسان نافذ البصيرة يعلم أن معنى الحياة ليس رهنا بالبحث العادي عن مطالب الجسد ومشاغل الحياة المادية، بل هو رهن بعملية البحث عن القيم والسعي وراء المعاني الروحية ٠٠ وهو ليس مجرد إنسان يحيا لذاته ويعمل من أجل إشباع حاسته الفنية، بل هو أيضا إنسان يحمل رسالة ٠٠ إنه ذلك المخلوق الذي لا يحيا لنفسه بل للآخرين ٠٠ لأنه هو الذي يخرجنا من قواقعنا الذاتية لكي ينقلنا إلى العوالم الفنية الجديدة التي قد تؤلف بين قلوبنا وتوحد بين أفكارنا ٠٠ والفن هو في صميمه لغة إنسانية يحقق البشر عن طريقها ضربا من التواصل فيما بينهم، ونحن حين نحرص على ابراز صلة الفن بالإنسان فإنما نبغي التشديد على الدور الذي يقوم به الفن في الحضارة البشرية بوصفه أداة للاتصال، والمشاركة والتبادل المستمر ٠٠ فالإشعاع الروحي الذي يتحقق عن طريق الأعمال الفنية يمثل مدرسة أخلاقية كبرى نتعلم فيها التعاطف والتناغم وشتى أحاسيس المشاركة الوجدانية، وهذا هو السر في أن الفن كان وما يزال أعمق مظاهر النشاط البشري تعبيرا عن الاتصال[٢].

الفنان وكل بشر بصفة عامة لابد ما دام حيا أن يتلقى من الكون إيقاعات معينة في حسه تتوقف على طبيعة هذا الحس بين العمق والضحالة والكبر والضالة، وتتوقف على المساحة التى يكشف عنها

بقلم : ابتهال محمد على البار
- جـدة -

حسه من صفحة الكون الكبير ثم يحاول التعبير عن هذه الإيقاعات بالطريقة الفنية الميسرة له، من لفظ أو لحن أو خطوط أو ألوان. ومن ثم لا يمكن الفصل بين الفن وبين الصورة التي يتخذها الوجود في نفس الفنان، لذلك يكون من المهم أن نعرف صورة الكون في حس كل فنان قبل أن نقوم بتقويم إنتاجه الفني، ويكون من أصلح المقاييس في هذا التقويم أن نعرف المساحة التي يشغلها الكون في نفسه، فعلى قدر اتساع هذه المساحة أو ضيقها يكون اتساع أفقه الفني أو ضيقه.. وذلك مع الوفاء بشروط الأداء الفني بطبيعة الحال.

فالفنان الذي يرى من الكون المادي مشاهده «الحية» وحدها أو «الجامدة» وحدها أصغر مساحة في التقويم الفني والإنساني من الفنان الذي يرى ذلك الكون المادي في مجاليه، فيحتفل حسه بالجمال المبثوث في ربوع الكون كله من أناسي وطير وحيوان ونبات وجبال وأنهار.. ويكون هذا الأخير أكبر مساحة في التقويم الفني والإنساني لو استطاع في الوقت ذاته أن يدرك الروح السارية في هذا الكون كله.. الروح التي لا تجعله مادة جامدة حتى في الأشياء الصامتة بل تجعله حيا يتحرك ويحس ويتعاطف.

والتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان هو أشمل تصور عرفته البشرية حتى اليوم، إنه التصور الذي لا يأخذ جانبا من الوجود ويدع جانبا آخر.. التصور الذي لا يجعل الحس بمعزل عن الحياة المنبثة في أعماق الكون، بل يطلق الحس ليتملى الحياة في كل شيء في هذا الكون ويتصل به اتصال المودة والقربى والإخاء.

إنه التصور الذي لا يأخذ الإنسان ضرورات قاهرة ويدعه أشواقا طائرة.. بل يأخذه بمجموعه كله، ثم لا يأخذه فردا واحدا في جيل واحد.. بل لا يأخذه في الحياة الدنيا وحدها ويدع الآخرة، وإنما يأخذه فردا وجيلا وسلسلة متصلة من الأجيال ثم يأخذه كيانا ممتدا بين الدنيا والآخرة على نسق متصل مترابط الأجزاء. ذلك أصفى تصور لحقائق الوجود وأجمل تصور في تاريخ البشرية كله. فكل نظام آخر وكل عقيدة أخذت شيئا من هذه الجوانب المتعددة فنشأ من ذلك قصور في التصور وخلل في التوازن.

**** الفنان المبدع يلتقط الإيقاعات الخفية للطبيعة.**

**** يقوّم الفنان من حيث مساحة الكون في نفسه.**

ولكن كيف ربّي الإسلام الحس الجمالي عند الإنسان؟

«القرآن الكريم يوجه النفس إلى جمال السماء وإلى جمال الكون كله، لأن إدراك جمال الوجود هو أقرب وأصدق وسيلة لإدراك جمال خالق الوجود. هذا الإدراك هو الذي يرفع الإنسان إلى أعلى أفق يمكن أن يبلغه لأنه حينئذ يصل إلى النقطة التي

**** التصور الاسلامي للكون والحياة والانسان هو التصور الاشمل والأرحب.**
**** الجمال عنصر أصيل في بنية الكون والأحياء.**
**** الفن الاوروبي في جميع ادواره كان مشغولا بمعبوده الذى صنعه بيديه، يدور معه حيث دار.**

يتهيأ فيها للحياة الخالدة، في عالم طليق جميل، بريء من شوائب العالم الأرضي والحياة الأرضية، وإن أسعد لحظات القلب البشري لهي اللحظات التي يتقبل فيها جمال الإبداع الإلهي في الكون، ذلك أنها هي اللحظات التي تمد له وتهيئه ليتصل بالجمال الإلهي ذاته ويتملاه»[٣].

فالوجود كله صديق للإنسان متعاون معه بار به عاطف عليه، لا تقوم بينهما العداوة والبغضاء ولا الجفوة والنفور، وهذا الوجود الجميل المتعاطف مع الإنسان كائنات حية ذات حس ووعي وإدراك. (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) (فصلت/١١).

فالجمال عنصر أصيل في بنية الكون والأحياء، وعنصر مطلوب ليستمتع به الناس وموهبة يذكّر الله بها الناس ليشكروه ويعبدوه. {**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون**} (النحل/ ٥، ٦) فالأنعام ذات فوائد حسية ومنافع يبينها الله للناس ليشكروه، لكنه لا يوجههم إلى الفوائد الحسية فحسب، بل يوجههم توجيها صريحا إلى الجمال في هذه الأنعام؟ وهذا التوجيه له دلالته فيما ينبغي أن يكون عليه الإنسان في التصور الإسلامي. فهو مخلوق واسع الأفق متعدد الجوانب. ومن جوانبه الحسي الذي يرى منافع الأشياء، والمعنوي الذي يدرك من هذه الأشياء ما فيها من جمال، **وهو مطالب ألا تستغرق حسه المنافع. وألا يقضي حياته بجانب واحد من نفسه مهملا بقية الجوانب. فكما أن الحياة فيها منافع وجمال، كذلك نفسه فيها القدرة على استيعاب المنفعة والقدرة على التفتح على الجمال، فينبغي أن يأخذ الحياة هكذا بكليتها، ويتلقاها بنفسه كلها عاملا فيها بجميع طاقاته ليصبح جديرا بمكانه الكريم عند الله.**



وصلة الإنسان بالأحياء الأخرى صلة وثيقة لأنها كلها يجمعها شعور واحد، فهي تتجه إلى خالقها بالتسبيح والعبادة كلّ على طريقته {ألم تر أن الله يسبح له ما في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه} ، ولا تقتصر علاقات القربى على هذه الإيحاءات الدقيقة.. فهناك إيحاءات أخرى {والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير} (النور/ ٤٥).

إن صلة القربى هذه ليست معنوية فحسب، بل هي مادية محسوسة، إنها الاشتراك الحقيقي في مادة واحدة خلقت منها الكائنات ثم تعددت أنواعها وتفرقت أشكالها، إن الإنسان إذن ليس واهما ولا متخيلا خيالا شعريا حين يحس بالرابطة الوثيقة بينه



وبين الكائنات الحية في الوجود من حوله، إنها الحقيقة لكنها حقيقة تفتح للقلب منافذ شتى ليطل منها على الحياة، فتتسع مساحتها في نفسه وتعمق أصولها في حسه ويجد فيها الشعر والفن منفذا يصل بين النفس والكون في أوسع مداه[٤].

وكما استطاع الإسلام أن يجعل الإنسان يندمج مع الطبيعة والأحياء التي حوله جعله يرتبط بالبشرية جمعاء برباط الحب الطاهر الذي لا تشوبه أغراض دنيئة ولا نوايا خسيسة، كيف لا وقد وسع قلب المسلم حب الله خالق الموجودات، ومن هنا «كان الفنان هو مصدر لإنتاج الجمال ونشره في حياة الناس ودنياهم بما حباه الله من موهبة، **وهذا يعني أن يشيع السعادة فيما حوله، وهذه أولية مهمة في حياة الناس ودنياهم بما حباه الله من موهبة، وهذا يعني أن يشيع السعادة فيما حوله، وهذه أولية مهمة في شخصيته، وإلا فما فائدة أن يخط الجمال بقلمه أو ريشته ثم يعجز أن يخط به سلوكه أو يكون ممن يثبت المتناقضات بذلك السلوك؟.**

وإن نماذج الفنانين أصحاب المتناقضات لكثيرة، «فبيكاسو» الذى ملأت سمعته الآفاق تقول زوجته الرابعة في مذكراتها: إنه كان يرى الحياة رواية فاشلة، كما تشتكي من بخله الشديد رغم غناه الفاحش، بل إن هفوة بسيطة كافية أن تنسيه عشرة طويلة كما حدث لسائقه الذي طرده بعد خدمة ربع قرن.

وفي العصر الحديث أضحى الباب مفتوحا أمام كل إنسان ليصبح فنانا، سواء أكان موهوبا أم غير موهوب، وكان ذلك بفضل المدارس الفنية الحديثة كالسريالية والتجريدية.. فقد ذهبت الأسس والقواعد والمقومات وقامت ذاتية الفنان، وارتفع المستوى الفني العام وأصبح كل إنسان فنانا؟.. وكان الموضوع هو الفكرة التى يسعى الفنان لابرازها وتسليط الضوء عليها من خلال فنه وعبقريته وموهبته، إذن كانت هناك غاية يسعى لتحقيقها، ثم جاءت بعض المدارس الحديثة فأعفت الفنان من عناء هذه المهمة، وأصبح الفن نفسه هو الغاية.. وظهرت رسوم لرسامين كبار تشبه رسوم الأطفال والمجانين والذين يرسمون بلا غاية.. وأصبح العبث واللامعقول والوهم والأحلام هدفا يسعى إلى تحقيقه في العمل الفني. وكان غياب الغاية تعبيرا عن غياب العقل وسيطرة الهوى والفوضى. وكل ما سبق يرجع إلى سبب رئيسي واحد هو فقدان التصور الصحيح لدى الفنان عن الألوهية والكون والحياة (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور).

ويمكن إجمال خصائص الفن الإسلامي فيما يلي:

* الفن في التصور الإسلامي وسيلة لا غاية، والوسيلة تشرف بشرف الغاية التي تؤدى اليها، ولذا فليس الفن للفن وإنما الفن في خدمة الحق والفضيلة والعدالة.

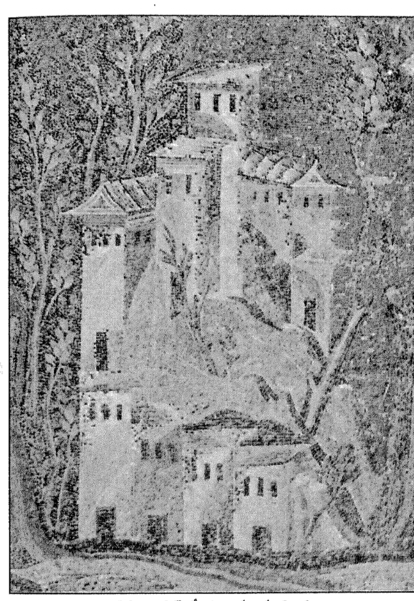
* الفن الإسلامي فوق العبث والباطل، فحياة الإنسان ووقته أثمن من أن يكون طعمة للعبث، فغايته: ايصال الجمال الى حس المتلقي والارتقاء به نحو الأسمى، أي نحو الأجمل فهي اتجاه نحو السمو في المشاعر والتطبيق والانتاج ورفض للهبوط.

* كما إن له هدفا يسعى إليه فله باعث يدفع إليه، هذا الباعث يغذيه جذران، جذر يمتد في أعماق النفس، فمن فطرة النفس البشرية السعي الي الجمال. وجذر آخر يغذيه الشرع الآمر بإتقان العمل وإحسانه (إن الله كتب الاحسان على كل شيء).

* وحدة الفن الاسلامي، هذه الوحدة التي تخطت عالم المكان، فلم يفرقها بعد المسافات بين ديار المسلمين، كما تخطت عامل الزمان فلم يغيرها مرور الأيام وتتابع القرون. يقول درمنغايم: إنه رغم

اخـتــلاف الأقطار الاســلامــيــة وابتعادها فإننا نلاحظ قرابة وشيجة لا تنقطع بين لوحـة الجص المنحوت في قصر الحمراء، وتزيين لوعاء من النحاس الفارسي.

*** اختفاء جنسية الفنان وبقاء الاســلام هوية واحــدة لكل فنان مسلم، يقول آرنست كونل «ولا شك أن وحدة العقيدة الدينية في العالم الاســلامي أقـوى تأثيـرا منهـا في العـالم المسـيحي، ذلك لأن الاسـلام قـضى على الفـوارق الناشـئـة من اختلاف الأجناس والتـقـاليـد، وعني بتـوجـيــه شـئـون الفكر والآداب والعادات في مختلف البلاد. وكان الأمـر بنشـر القرآن بلغتـه الأصلية العــربيــة وحــدها، مما جـعـل لـهـا وللتعاليم القرآنية سيادة مطلقة في العـالم الاسـلامي كله، فكان ذلك في مقدمة العوامل التي أدت إلى ابتداع كثير من الفنون وازدهارها».**



فسيفساء جامع بني أمية في دمشق

ومن نماذج الفن الاسلامي، فن الخط العربي، وقد كان فنا إسلاميا خالصا فهو من صنع هذا الدين وله ارتباطه الوثيق بكتابه الكريم ولم يسبق للكلمة أن كانت فنا مرئيا في أمـة من الأمم.. ولا شك أن لكل أمـة لغـتـهـا ولهـا كتابتها ولكن هذه الكتابات ظلت وظيفتها التعبيرية باعتبارها رموزا منطقية لمعان يراد التعبير عنها. ولم يحـدث أن ارتفـعت هذه الرمـوز لتـصـبح فنا جماليا، كما حدث للكلمة العربية بعد أن أضفى عليها القرآن الكريم رداء قداسته.. ولم يقف المسلم في فن الخط عند حدود الحرف وتحسينه وتجميله وإبداعه بل قطع شوطا آخر إذ جعل الحرف نفسه مـادة زخـرفـيـة فـتـحـولت لوحـات الخط إلى لوحـات جـمـاليـة زخـرفـيـة. أمـا فن الرسم فـقـد حـفلت به طائفتان من الكتب هي:

الكتب الأدبية: حيث تكون مهمة الصورة الاسهام مع خيال القاريء في استكمال الواقعة الأدبية التي بين يديه والعيش في أجوائها.

الكتب العلمـيــة: وهنا يكون العبء الملقى على الصورة أقرب الى الجانب التطبيقي منه الى الجانب التزييني، فرسوم النباتات في كتب العقاقير ورسوم



آلات العمليات في الكتب الطبية والرسوم الهندسية في كتب الهندسة تعتبر من وسائل الايضاح أكثر من كونها وسائل زينة[٥].

ومن نماذج الفن الإسلامي المتميز أيضا الفن المعماري، فالبيوت الاسلامية عامة وبيوت الاندلس خاصة كانت لها سمات متميزة «فالبيت العربي القرطبي بلونه الأبيض يبدو نظيف المظهر وهو يعكس عناية أصحابه به، كما تطل حجراته على الفناء في الوسط.. وهذا الفناء الذي يمتليء بالنور الطبيعي المنبثق من أشعة الشمس يؤثر جوه على النفس فتتفاعل معه المشاعر برقة يحس بها الفرد. والحقيقة إن الطابع العربي الشرقي في البناء طابع أصيل تطور على مدى آلاف السنين، وهو جزء من تراث عظيم انتشر في بلاد كثيرة لجماله. وهو جزء من أسلوب متكامل في الحياة.. أسلوب ذو طابع إنساني القصد منه إسعاد الإنسان.

إن لهذا الطابع القديم صفات ومميزات ايجابية كثيرة تعمل على ايجاد حياة اجتماعية مترابطة وسليمة، فالبساطة هي سر جمال ذلك الطابع بالاضافة الي احتوائه على العناصر الطبيعية من نور وماء وهواء ونبات، فكلها تضيف الكثير الي جماله لأنها عناصر محببة الى نفس الانسان مهما كان موطنه[٦].

ولم يغفل الفنان المسلم عن معرفة تأثير الألوان على النفس، بل حتى تأثير الروائح وفي ذلك يقول الفيلسوف «الكندي»: «فلنذكر أيضا ما يصل الي النفس بالحاسة البصرية من قوى مزج الألوان.. إذا قورنت الحمرة بالصفرة تحركت القوة العزية، وإذا قورنت الصفرة بالسواد تحركت القوة الذلية، وإذا قورن السواد بالحمرة والصفرة والبياض معا تحركت القوة الكرمية.. ولنذكر ما يتأتى الى النفس من الحاسة الشمية، إن رائحة الياسمين تحرك القوة العزية.. وإذا مزج السوسن مع الورد تحركت القوة المحببة مع الفخرية.. وكل ما كان من رائحة العود والآس والبنفسج والياسمين.. فإنها محركة للسرور والعز والجود والكرم»[٧].

ذلك هو الفنان المسلم الذي أبدع في انتاجه لأن تصوره للوجود من حوله كان أعمق بكثير من الفنان الأوروبي، «فالفن الأوروبي في جميع أدواره التاريخية كان مشغولا بالمعبود. فحين كان المعبود في الجاهلية الاغريقية مجموعة من الآلهة المختلفة توجه الفن الاغريقي الى تلك الآلهة سواء في الأساطير أو المسرحيات أو التماثيل. وحين انتقلت أوروبا الى المسيحية عني الفن بالإله كما صورته الكنيسة، وحين كفرت أوروبا بإله الكنيسة وألهت الطبيعة اتجه الفن الى المعبود الجديد وخاصة في الفترة الرومانسية، وحين صار المعبود هو الانسان اتجه الفن كله الى دراسة الانسان في جميع أوضاعه ، واليوم صارت المعبودات فوضى وتمثلت الفوضى كذلك في الفن الأوروبي الحديث»[٨].

فمتى يأتي اليوم الذي نستعيد فيه ثقتنا بأنفسنا وبتراثنا العريق ونكف عن الركض لاهثين وراء كل صرعة غربية؟؟.

الهوامش:

(١) محمد قطب، منهج الفن الاسلامي، دار الشروق، ص ٥ ، ١٩٨١.
(٢) زكريا ابراهيم، الفنان والانسان.
(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، سورة الملك.
(٤) محمد قطب، المرجع السابق.
(٥) صالح أحمد الشامي، الفن الاسلامي، دار القلم، ط ١، ١٩٩٠.
(٦) طارق الخالد، بيروت قرطبة العربية.
(٧) سليم الحلو، تاريخ الموسيقى الشرقية، بيروت ١٩٧٤.
(٨) محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق.

رسالة من الصولى إلى السيدة الجميلة

* هو أبو اسحق ابراهيم بن العباس بن محمد بن عم عمرو بن مسعدة٠٠ ولد سنة ١٧٦هـ٠
* نشأ ببغداد وأخذ العلم عن علماء زمانه٠
* اشتغل بالشعر ونبغ فيه ومدح كثيرا من الأمراء٠
* تولى في خلافة المتوكل ديوان النفقات٠
* كان من أكبر الكتاب وأفذاذهم المعروفين في زمانه حتى لقب بكاتب العراق٠
* له رسائل كثيرة، أشهرها ما كتبه في التعازي٠
* توفي بسرَّمَنْ رأى سنة ٢٤٢هـ٠

حبيبتي ساهر:

أطرت النوم من عيني٠٠ ونزعت الأمن من قلبي٠٠ وغشيت بصرى بغشاوة من الهموم والأحزان٠٠ وأطفأت من دارى كل نور وضياء٠٠ وذلك منذ أن غضبت علينا وهجرتنا؛ فأخذت معك سرورنا وهناءنا٠٠ أقفرت الدار من غنائك الشجى الذى كان يسحرنا ويسكرنا٠ فأين صوتك الندى وهو يرسل الآهات عذبة رخية، تطير بالنفوس وتبعث الأشواق في الأفئدة؟ أين ألحانك الملائكية التى كانت تحيل ندوتنا إلى كوكب درى يرف بعطر الضياء ويزهو بأزاهير الهناء٠

فأين أنت يا أميرة الغناء؟ أين أنت يا أميرتى وسيدتى؟ من يوم أن غبت عن دارى وقد قلَّ زواري، وجفانى النوم وصادقنى الأرق٠٠ أرسلت أسأل عنك في دار أمير المؤمنين الواثق، وفي دار أحمد بن أبي دؤاد، وفي دار وهب بن سليمان٠٠ وما تركت داراً أظن أنك تشدين بها وتغنين إلا بعثت وراءك أصدقائى وصديقاتك لعلهم يعثرون لك على أثر٠٠ ثم علمت أنك تحتجبين بدار أمير المؤمنين٠٠ ولا اعتراض لى ولا عتاب على ما تحبين٠ فأنا كما تعلمين، وكما خبرتنى أحب لك الخير كل الخير،

بقلم: محمد عبدالواحد حجازي
- مصر -



والسعادة كل السعادة، ترفلين فيها وتنعمين بها..
لكن يا حبيبتي لم هذا الاختفاء المباغت؟ ولم لَمْ تخبريني من قبل؟ هل سئمتنا يا ساهرة؟ لمَ هذه القسوة التي لم أشهدها فيك من قبل؟ لم أعرفك قاسية أبدا.. لقد أضناني غيابك وأسهرني شوقي المحتدم إليك:

أحسب النوم حكاكا
إذ رأى منك جفاكا
مني الصبرُ ومنك الـ
ـهجر فابلغ بي مداكا
كنت همة عين
طمعت في أن تراكا
أيُّ ما حظ لعين
أن ترى من قدر رآكا؟
ليت حظي منك أن تعـ
ـلم ما بي من هواكا

إن تعمد اختفائك عني بغير سبب أو جريرة جعلني أستنطق ماضي حبنا.. فلم أترك ليلة إلا وأنا أفكر وأديم التفكير، وأشك وتعنف بي الشكوك.. وتأتيني الذكريات بدلائل تكاد تعصف بيقيني أنك مازلت على عهدك لي وفية حبيبة.. هل تذكرين يا حبيبتي يوم أن غبت عني ثلاثة أيام متصلة؟ لقد جئت بعدها ومعك جاريتان وقلت لي: قد أهديت صاحبتي إليك عوضا عن مغيبي عنك. فقلت لك يومها:

أقبلن يحففن مثل الشمس طالعة
قد حسن الله أولاها وأخراها
ما كنت فيها الا كنت واسطة
وكن دونك يمناها ويسراها

وأذكرك يا حبيبتي أنني جلست يوما مع إخواني للشرب.. وأعترف أنني بعثت خلفك فأبطأت علي، وتنغص عليّ وعلى جلسائي يومنا. وكان عندنا عدة من القيان ثم وافيت لحظتها وعندما أهللت بمحياك سرى عني وطابت نفسي وشربنا، وأطربتنا بصوتك الشجي البديع.. وقلت:

ألم ترنا يومنا إذ نأت
ولم تأت من بين أترابها
وقد غمرتنا دواعي السرو
ر بإشعالها وبإلهابها
ونحن فتور إلى أن بدت
وبدر الدجى تحت أثوابها
ولما نأت كيف كنا بها
ولما دنت كيف صرنا بها

فما كان منك إلا أن تغضبت فقلت: ما القصة كما ذكرت وقد كنتم في قصفكم مع من حضر، وإنما تجملتم لي لما حضرت؛ فقلتُ لك:

يا من حنيني إليه
ومن فؤادي لديه
ومن إذا غاب من بيـ
ـنهم أسفت عليه
إذا حضرت فمن بينـ
ـهم أصبُ إليه
من غاب غيرك منهم
فإذنه في يديه

وطابت ليلتنا وانتهت على أجمل ما نهوى..
ومن عجيب أمرك معي أنك عاتبتني مرة عتاباً مراً، لا لذنب جنيته، ولا لجرم اقترفته، ولا لخطأ ارتكبته. ولكنك خلت أنني ممن يزوقون الكلام

ويزيفون على الحق ويختلبون النفوس بالكذب والنفاق

ـ عاتبتني فأرسلت إليّ رسالة تقولين فيها:

بالله يا ناقص العهود بمن
بعدك من أهل ودنا نثقُ؟
واسوأتا ما استحيت لي أبداً
إن ذكر العاشقون من عشقوا
لا غرني كاتب له أدب
ولا ظريف مهذب لبقُ
كنت بذاك اللسان تختلني
دهراً ولم أدر أنه ملقُ

ـ فعجلّت بالاعتذار إليك وعاد الصفاء بيننا.

حبيبتي ساهر:

ذكرت لك أن هجرانك لي بغير ما سبب أو جريرة جعلني أستنطق ماضي حبنا بل تاريخ حياتي معك ومع الناس. وكأنما العشق فاتحة لكل ضني ومدخل لكل عذاب.. تذكرت في وحدتي التي أرهقتني بكآبتها وتجهمها يوم أن أدخلني موسى بن عبد الملك الحبس بدون ذنب إلا الافتراء عليّ عند أمير المؤمنين وعند الأمراء. ألا ما كان أثقل الحديد الذي كبلوا قدميّ به. لقد أدماهما حتى أنني كنت أئن من الجراح التي كانت تنزف بدمي.. كانوا يكنون موسى بن عبد الملك بأبي الحسن. أما أنا فكنيته بأبي عمران وكتبت اليه قصيدة قلت له فيها مهدداً ومندداً لعله يرعوى أو يرجع عن التآمر على حياتي:

كم ترى يبقى على ذا بدني؟
قد بلى من طول همي وفني
أنا في أسر وأسباب ردى
وحديد فادح يُكْلِمُني
وأبو عمران موسى حنق
حاقد يطلبني بالإحن
ليس يشفيه سوى سفك دمي
أو يراني مدرجاً في كفني

ـ أتدرين يا حبيبتي ماذا كتب صديقي أحمد بن مدبر على ظهر الصفحة التي كتبت فيها قصيدتي؟ لقد كتب يقول:

أبي إسحق إن تكن الليالي
عطفن عليك بالخطب الجسيم
فلم أر صرف هذا الدهر يجري
بمكروه على غير الكريم

ـ وبعد أن ذهبت رسالتي إلى موسى بن عبد الملك، هوّنْت على نفسي المحنة فقلت:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى
وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تفرج

ولعل المحنة الكبرى التي ابتليت بها في حياتي فكادت تدمرني وتهلكني هي المؤامرة التي أحكمها حولي محمد بن عبد الملك الزيات حتى دخلت السجن.. أجل، صرت استعطفه في رسالة بعد رسالة، وفي قصيدة بعد قصيدة.. فقلت في إحدى رسائلي: كتبت وقد بلغت المدية المحز، وعدت الأيامُ عليّ بعد عدواى بك عليها، وكان أسوأ الظن وأكثر خوفي أن تسكن في وقت حركتها، وتكف عند أذاتها، فصرت أضر عليّ منها، فكف الصديق عن نصرتي خوفا منك، وبادر إلى العدو تقرباً إليك.

ثم كتبت في أسفل الرسالة:

وكنت أخي بإخاء الزمان فلما نبا صرت حرباً عوانا

وكنت أذم إليك الزمان فأصبحت فيك أذم الزمانا

وكنت أعدُّك للنائبات فها أنا أطلب منك الأمانا

فلما أن نصرني الله عليه بفضل أمير المؤمنين الواثق، فرفع يده عني ورجعت إلى حضرته معززا مكرما، هجوت ابن الزيات وبسطت فيه لساني بما أشتهي.. وكان مما قلته فيه:

دعوتك في بلوى ألمت صروفها فأوقدت من ضغن عليّ سعيرها

واني إذا أدعوك عند ملمة كداعية بين القبور نصيرها

حبيبتي ساهر:

هل إلى رجوع اليَّ من سبيل؟

إيه يا حبيبي، متى ترجع إليَّ؟ متى تتعطف عليَّ فتحنو على قلبي الذي ظلمته؟ إنني في حزن مقيم لا يبرح وجداني.. اكتوى به في كل لحظاتي:

حتى متى أنا في حزن وفي غصص إذا تجدد حزن هون الماضي

وقد غضبت فما باليتم غضبي حتى رجعت بقلب ساخط

* * *

فهبني مسيئا مثل ما قلت ظالما فعفواً جميلا كي يكون لك الفضل

فإن لم أكن بالعفو منك لسوء ما جنيت به أهلا فأنت له أهل

مشوق أنا يا ساهر.. مشوق الى عودتك إلى داري فتغنين بل تصدحين بأعذب الألحان فنعيد لزمان حبنا صباه؛ أبعد أن علمتني كيف أحبك، بل بعد أن علمتني الحب تتخلين عني وتتركيني لعبث الحسرات؟ لماذا هذا التنكر والصدود؟

وعلمتني كيف الهوى وجهلته وعلمكم صبري على ظلمكم ظُلمي

وأعلم مالي عندكم فيردني هواي الى جهلي فأرجع عن علمي

لقد آن الأوان يا حبيبتي أن تعودي الى الصواب وأن ترتفعي عن التجني والتظني حتى لا تشمتي بي أعدائي.

ختاما، أبعث برسالتي اليك عسى أن يعود قلبك الى سابق صفائه ويكف عن التمادي في الهجران واختلاق التهم بغير دليل:

ابتداء بالتجني وقضاء بالتظني

واشتفاء بتجنيك لأعدائك مني

بأبي قل لي كي أعلم لم أعرضت عني؟

قد تمنى ذاك أعدائي فقد نالوا التمني

«المعذب في هواك»

(ابو اسحق)

أوراق زوجية

١٠٠١ ـ أبو عواد:

قالت لي ودمعها ينهمر على وجنتيها في كآبة المهزوم: ألا يكفي أنني أرملة رجل حي!؟! صفعتنى تلك السيدة بثلاث كلمات تحتاج الى ثلاث مجلدات لشرح معاناتها.. كم تألمت لها ولمآلها.. ولكن ترى وعلى الضفة الأخرى كم من متزوج هو في عداد المترملين؟!.. ترى أيهما أصعب؟ لست أدري.

١٠٠١ ـ أم عمرو:

اذا قالت لك إمرأة إنها أرملة لرجل حي؟ قل لها اخلعي ثياب الحداد واستخرجي تصريح دفن لجثة العلاقة الزوجية التى تربطكما قبل أن تظهر لها رائحة.

١٠٠٢ ـ أبو عواد:

صدقينى أنني لا أبحث عن شهرة، فمهما استطالت قاماتنا تظل ظلالنا تعانق الأرض لا تفرّق بين غامرها وعامرها.. إن آمالي لتتواضع فلا أنشد معك غير ستر الحال.

١٠٠٢ ـ أم عمرو:

عندما يتزوج رجل وامرأة يفقد كل منهما ظله ويصبح ظلا للآخر، ولذا لا يشتهر طرف في العلاقة الزوجية ولكن تشتهر الأسرة بقدرتها على البقاء والاستمرار وتأمين ورعاية كل طرف منها للآخر ولما تنتجه من الصغار.

١٠٠٣ ـ أبو عواد:

مؤهل واحد لا يكفي المرأه لتتبوأ وظيفة محترمة في إدارة القفص الذهبي! فالجمال وحده لا يكفي ولو نفع لنفع ملكات الجمال، والعلم وحده لا يكفي ولو نفع لنفع كثيراً من المتعلمات اللواتي لم يسعفهن العلم والشهادة في صناعة طبق «سلطة»!! ولو أن الحسب والنسب ينفع لما وجدت ذات جاه تتسلم ورقة الطلاق من رجل يقل عنها في حسبه ونسبه وهكذا إلى كثير غيرها وسنجد أن المرأة بحاجة لأن تكون منظومة من المؤهلات ومع ذلك لا أحد يضمن لها السعادة!!



١٠٠٣ ـ أم عمرو:

وعلى الرغم من ثبات هذه الحقيقة وهى أن جمال الشكل لا يكفى لصنع زوجه صالحة وأن جمال النفس أفضل وأبقى نرى الرجال يتهافتون على الزواج من الجميلات وأن كثيرات ممن ينقصهن جمال الشكل ولو قليلا لا يجدن من يقدر محاسنهن الأخرى والدليل على ذلك رواج صناعة المساحيق والألوان.

١٠٠٤ ـ أبو عواد:

أعرف أنك قد لا تكونين المرأة التي كنت أبحث عنها لكنني توسمت فيك ذلك في لقاء الصدفة وليته ما كان!!

١٠٠٤ ـ أم عمرو:

اذا اختار رجل زوجته في لقاء صدفة وتبين له عيب اختياره يستحق كل ما يحدث له فالاختيار مسئولية ومهمة يستخدم فيها العقل والقلب معاً.

١٠٠٥ ـ أبو عواد:

كم هو جميل أن تعترف المرأة أن امكاناتها الجمالية محدودة وتسعى للتعويض عنها بأشياء أخرى ليس أقلها الطاعة ودماثة الخلق والتدبير، لكن المصيبة أن كل قبيحة لا ترى في مرآتها إلا ملكة جمال ومن هنا تبدأ المأساة بل سلسلة المآسي.

١٠٠٥ ـ أم عمرو:

إن أجمل الوجوه هو وجه زوجه حانية أو أم رؤوم بصرف النظر عن التفاصيل ولكن السعي وراء جمال الشكل صفة اكتسبتها النساء من طول خبرتهن بمطالب الرجال ولو تغير سلوك الرجل في هذا الجانب لتغير سلوك المرأة تبعاً له.

١٠٠٦ ـ أبو عواد:

المدارس الحريمية وأعنى بها منهجية



وطرائق تصرفات النساء مع أزواجهن على تباين واختلاف تفترش مساحة جد واسعة!! لكن اكثر ما يستفزني ذلك النوع من النساء اللواتي في داخل بيوتهن يُردن من الزوج أن يلبس ثوب السائق والخادم وينفذ ما يطلب منه بلا نقاش. لكنهن في مواجهة المجتمع يتظاهرن في ظل رجل قوي الشخصية مهيب الجانب لا يستطعن أن يكسرن كلمة من كلماته بل حرفاً من حروفه!! وإنني أرى في مثل هذا النوع من النساء دهاءاً لم أقرأ عنه في سير دهاة العرب ولا العجم.

١٠٠٦ ـ أم عمرو:

اذا شارك الرجل في اعمال المنزل فيجب ألا يكون ذلك مفروضاً ولكن ما تقتضيه المشاركة الإيجابية وخاصة اذا كانت زوجته تعمل خارج المنزل أما أن ننتقد المرأة التى تكبر من زوجها أمام الناس ونسمى هذا تظاهراً ومدارس حريمية فهذا مالا أفهمه أليس هذا ما يريده الرجل أن تجعل له زوجته هيبة بين الناس؟ احترنا واحتار دليلنا!.

١٠٠٧ ـ أبو عواد:

تستطيع المرأة بكلمة واحدة أن تطفىء غضب الرجل الذي يحتاج الى أقوى المهدئات ولكنها في الوقت نفسه بوسعها أن تفتح النافذة لتجدد كل الهواء من حوله، فلماذا تصر المرأة أن يكون تجاوبها مشروطاً بالمبادأة من الرجل، هذا مالا أفهمه ما دمنا مؤمنين أن أحد مظاهر السعادة ومباهجها امرأة تجتهد لأن يكون زوجها رجلا عظيما.

١٠٠٧ ـ أم عمرو:

المبادأة بتهدئة الغاضب بين الزوجين تأتى من الطرف الأعقل والأكثر حكمة واتزاناً فإذا كان الرجال يرون أن المرأة هي دائماً الأعقل والأكثر حكمة واتزاناً فلتفعل الزوجات ذلك ويكفيهن في المقابل هذا الاعتراف من الرجل

١٠٠٨ ـ أبو عواد:

تجهد المرأة نفسها في تلوين شعرها وتتفنن في موديل وشكل تسريحته وقصته.. ولا تدري أن الأهم من ذلك هو رائحة هذا الشعر وأهم من لون الشعر ورائحته ذلك اللب الذي تحيط به تلك الفروة التي مهما تكلفت المرأة فيها لن تضاهي بها ريشة واحدة من الطاووس!!

١٠٠٨ ـ أم عمرو:

الصورة أم المعنى؟ أيهما هو المطلوب؟ المشكلة الأبدية المسألة كلها عرض وطلب.

١٠٠٩ ـ أبو عواد:

في البدء كان «الحب» رواية جميلة وقصة رومانسية وقصيدة غزلية، كان المحب يسعد حتى بشقائه وصد حبيبه وتباريح وجده ويباهي بصبره وجلده أما اليوم فالحب ليس اكثر من كلمة «السر» التي يدخل بها المبرمج على برامج الحاسوب وملفاته.

١٠٠٩ ـ أم عمرو:

الحب كان ولا يزال عاطفة يتجرد فيها المحب من حبه لذاته ليعطى لمن يحب بلا حدود ولا مقابل. أما هذا الجديد الذى يوصف بأنه «كلمة السر التى يدخل بها المبرمج على برامج الحاسوب فاسمه «تكنولوجيا الفهلوة» إلا اذا اصبح من المكن الزواج من انسان آلى.

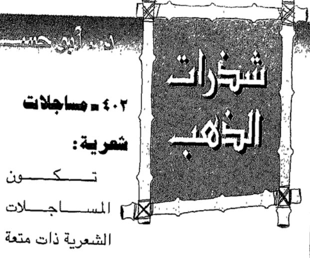
١٠١٠ ـ أبو عواد:

لا يكفى الرجل رجولة شهادة الأطباء، فالحكماء لهم رأي في كثير من الرجال. كما لا يكفي المرأة أنوثة شهادة الأطباء أيضا فالحكماء لهم رأي في كثير من النساء شأن الرجل.

قرأنا عن الكثير من الرجال الذين تحولوا إلى اناث بتدخل جراحى وقد يكون لديهم ما يبرروا به فعلتهم ليس أقلها أنهم لم يجدوا أنفسهم بين الرجال أو الذكور، لكن ما يحيرني حقاً أنك ترى رجالا يتصرفون كالنساء ونساء يتصرفن كالرجال وهذا يدعي الفحولة وتلك الأنوثة والغريب أنك لو ذكرت له أو لها ذلك لاعتبروها شتيمة لن يمرروها لك بسهولة!

١٠١٠ ـ أم عمر:

الرجل المتوازن انفعالياً يحب ما خلقه الله عليه والمرأة كذلك تستمتع بما وضعه الله فيها من صفات ولا تقبل تغييرها بأى مقابل. أما طائفة المتشبهين والمتشبهات فمكانهم الطبيعي هو مصحات الأمراض النفسية.



٤٠٢ - مساجلات شعرية:

تكون المساجلات الشعرية ذات متعة خالصة، إذا صدرت عن تجارب عاناها المساجلون، وصدقت في تصوير ما يحس به ناظمها من المشاعر، وقد تكون هذه المساجلات في بعض منها، وليدة احتيال عقليّ يدل على البراعة في النظم أكثر مما يدل على صدق الانفعال، والنوعان كثيران في الشعر العربي قديمه وحديثه، وقد يكون في الاستشهاد الشعرى ما يقدم الدليل على ترجيح كفة على كفة، اذ أن القارىء سيرجع الي شعوره الصادق، بإزاء ما يقرأ، والشعور الصادق ميزان أمين.

لقد كان الصاحب بن عباد صاحب مجلس أدبي يحتشد فيه كبار الشعراء، وهم في حاجة إلى رفده وعطائه، لذلك جعلوا يفرطون في مدائحه إفراطاً جاوز الحد، وهو يستريح إلى ما يسمع، ويجزل العطاء لمن أفرط وبالغ، وقد دعا المتنبي واحتال كل احتيال كي يزوره مادحا، فأبى أبو الطيب واستعصم، إذ عرف ولوع الصاحب باستجداء المديح ممن لا يرون أنفسهم في حاجة الى نواله ولهم شهرة مستفيضة تغنيهم عن النباهة المرجوة في حضرة الصاحب! وعلى كل فقد جعل الصاحب مجلسه مجلس أدب وشعر حين يفرغ من أمور الدولة، وشئونها السياسية والإدارية، وهو في هذا المجلس يقترح الموضوعات، ويفتح الميدان للمساجلات فيما تعنّ له من أغراض، لذلك نجد الثعالبي في اليتيمه يفرد بابا لقصائد الداريات يتضمن بضع عشرة قصيدة قيلت في وصف الدار التي بناها الصاحب بناء على اقتراحه، كما يفرد باباً للبرذونيات يتضمن ثلاث عشرة قصيدة قيلت في رثاء برذون لأبي عيسى المنجم - وهو من شيعة الصاحب إذ أراد أن يكون بكاء البرذون العتيق المسن موضع المساجلة الشعرية واجتهد الشعراء فقالوا وأطنبوا، والموضوع من الهوان بحيث لا يجب أن تقوم فيه هذه المناحة الصاخبة، كما اقترح أن يصف شعراء الحضرة (الفيل) في قصيدة حدّد وزنها وبحرها ورويها فاستجابوا طائعين، وفي اليتيمة شذور مما قالوا، ولا ننكر براعة هؤلاء الشعراء فيما احتالوه من المعانى، ولكنها براعة عقل، لا براعة إحساس فمثلا نرى أبا العباس الضبي يصف دار الصاحب مبتدئا بقوله:

دار الوزارة ممدود سرادقها
ولاحقٌ بذُرى الجوزاء لاحقها
والأرض قد واصلت غنط السماء بها
فقطرها أدمع تجرى سوابقها

* ونرى أبا الحسن صاحب البريد يبتدىء بقوله:

دار على العزّ والتأييد مبناها
وللمكارم والعلياء مغناها

فـاليُمْنُ أصبح مقرونا بيمناها
واليسر أصبح مقرونا بيسراها

* ونرى أبا القاسم الزعفراني يبتدىء بقوله:

سـرَّك الله بالبناء الجديد
تلك حال الشكور لا المستزيد
هذه الدار جنة الخلد في الدنيا
فصلها وأختها بالخلود

* وموجز ما نقول في كل ذلك إنه شعر رأس لا شعر قلب، وروحه ضعيفة وانية.

٤٠٣ ـ الفنجان المكسور:

أما شعر القلب حقا فهو ما صدر عن عاطفة صادقة، وتمثل له بمساجلة طريفة، أبطالها آل المعلوف في المهجر الأمريكي، وكلهم شعراء ملهمون هم فوزى المعلوف وشاهين المعلوف، وميشال المعلوف، وشفيق المعلوف، ومن حديث هذه المساجلة أن زوجا كريماً للسيدة الحسناء إيزابل المعلوف كان يستضيف الشعراء الأربعة في سمر أخوي بداره، وأديرت كؤوس القهوة، فشاء الحظ أن يسقط فنجان القهوة من كف الزوجة الحسناء وهى تشرب مع الزائرين، فتحطم على الأرض، وبلل الثوب، وارتاعت الزوجة لأمر لم تتوقعه، وشاء الشعراء أن يجعلوا من الحادث مناسبة للشعر، وهم في نفوسهم يكبرون السيدة ويشعرون بتقدير لها فوق الوصف، وبهذا الشعور الصادق اندفعوا الى القول في اخلاص، يشف عن مودة صادقة،

فقال شاهين المعلوف:

ثمِلَ الفنجان لما لامستْ
شفتاه شفتيها واستعرْ
وتلظتْ من لظاه يدها
وهو لو يدرى بما يجنى اعتذر
وضعته عند ذا من كفها
يتلوّى قلقا أنى استقر
وارتمى من وجده مستعطفا
قدميها وهو يبكي فانكسر

* وقال ميشال المعلوف:

عاش يهواها ولكن
في هواه يتكتم
كلما أدنته منها
لاصق الثغر وتمتم
دأبه التقبيل لا
ينفك حتى يتحطم

* وقال شفيق المعلوف:

إن هوى الفنجان لا تعجبْ وقد
طفر الحزن على مبسمها
كلّ جزء طار من فنجانها
كان ذكرى قبلة من فمها

* أما فوزى المعلوف صاحب الملحمة الخالدة (شاعر في طيارة) فقد قال:

ما هوى الفنجان مختاراً فلو
خيّروه لم يفارق شفتيها

هـي ألقـــتــــه وذا حظُّ الـذي
يعـتـدى يومـاً بتـقـبـيل عليـهـا
لا ولا حطمــه اليـــأس فـــهـــا
هو يبكى شـاكـيـاً منهـا إليـهـا
والذى أبقـــاه حـــيًّـــا ســـالمـا
أمل العـــودة يومـــاً ليـــديهـــا

وقـد نشـرت المساجلة في مـجلة السـمـيـر المهجرية، وكانت موضع موازنات وتعليقات أدبية ناقدة، والذى نؤكده أن الشعراء الأربعة قد صدقوا الترجمة عن مشـاعرهم دون افتعال، وأن منزلة الزوجة الحسناء من نفوسهم قد ألهمتهم بارع التعليل ورقيق الوصف.

٤٠٤ ـ بين شوقى وولي الدين يكن:

حين تنازل السلطان عبد الحميد عن الخلافة لسلفه، اندفع كثيرٌ ممن كانوا يسبحون بحمده إلى ذمه، وانهالت المقالات والقصائد تسفيهـا للرجل، وتنديداً بعهده، لأن الدنيا لمن غلب، وتلك حال أليمة عبّر عنها الشاعر الغيور الأستاذ أحمد محرم حين قال مواجها من ذموه اليوم ومدحوه بالأمس:

ألـم يك ظـل الله بـالأمس بيننـا
نلوذ به والخطب ضنْكٌ مـــذاهبـــه
ألا راحمٌ؟ هل من شفيع؟ أما كفى
أكلُّ بنى الدنيـا عـدوٌّ يغـاضـبـه
أكلُّ مـــآتيـــه ذنوب؟ أكلُّه عـيـوبٌ؟
ألا من منصف إذ نحـاسبــه
أليس الألى غـشـوه أجـدر بالأذى
وأولى الورى بالشـر من هو جالبه

وفي هذه الغمرة الغاشية، هتف أحمد شوقى بقصيدة رنَّانة تقف في صفّ السلطان المخلوع، وتلمس له الأعذار، وكان لها صدى قوي بين دعاة الوحدة الاسلامية، ولكنّ الشاعر ولى الدين يكن، وهو من الطراز الأول من شعراء عصره قد ساجل شوقى مساجلة المعارض، فعمد إلى آرائه لينقضها نقضا، إذ كان من خصوم السلطان ذوى اللدد المرير، وقد بدأ شوقى قصيدته قائلا:

سل «يلدزا» ذات القـــصــــور
هل جـــاءهـا نبـــأ البـــدورْ
لو تســـتطيع إجـــابة
لبكتك بالدمع الغـــزير
أخنى عليـــهـــا مـــا أنا
خ على الخـــورنق والســـدير
ذهب الجـــمـــيع فـلا القـصـور
تـرى ولا أهـل القـــصـــور
فـلكٌ يـدور ســـعـــوده
ونحـــوســـه بيـــد المدير

* ولكنّ ولى الدين يكن يرفض هذا الاتجـاه، فيصيح في وجه أمير الشعراء هاتفا:

هاجـتك خـــاليـــة القـــصـــور
وشــــجــتك آفلة البـــدور
وذكـــرت سكان الحـــمـــى
ونســـيت سكان القـــبــور

وبكيت بالدمع الغـــز
ير لباعث الدمع الغزير
ان كان أخلى يلدزا
ربّ الخورنق والسدير
فلتأهلنْ من بعدها
آلاف أطلال ودور

* وحين يعدل شوقى الى التماس الأعذار لسلطان تسلح بالروية والعزم فيخاطبه قائلا:

عبد الحميد حساب مثلك
في يد الله القدير
سُدْت الثلاثين الطوا
ل ولسن بالحكم القصير
ماذا دهاك من الأمو
ر وأنت داهية الأمور
أين الروية والأنا
ة وحكمة الشيخ الخبير
قالوا اعتزل قلت اعتز
لت الحكم لله القدير

* حين يقرر شوقى هذه المعانى آسفا معتذرا نرى ولى الدين يخالف هذا النهج المتسامح فيقول:

لما سُلبت الحكم قلت
الحكم لله القدير
ورآك جندك ضارعا
لهم ضراعات الأسير
لقد استجرت بمعشر
ما كنت فيهم بالمجير
هى غارة لكنها
دارت على رأس المغير
لقد استطرت بشرٍ
يومك كلُّ شر مستطير

والقصيدتان طويلتا النفس، وتحتاجان إلى بحث مستقل، وقد شغلت بهما الدوائر السياسية والأدبية حيناً من الدهر، وأذكر أنى في عهد الشباب الأول تسرعت فكتبت بمجلة الرسالة ١٩٥١/١٢/١٠ بحثاً موازنا عنهما رجحت فيه كفة ولى الدين، لأنى كنت أجهل المؤامرات الاستعمارية التى دبرت للخلافة الاسلامية في شخص الخليفة العثمانى، ولأن الأمور لم تنكشف على وجهها الصريح الذى كشفت عنه الأيام فيما بعد، وهكذا يجد الإنسان نفسه في حاجة الى المراجعة الدائمة لما كتب ويكتب لأنه بشر، وقد نشرت جريدة المقطم القصيدتين بتاريخ ١٩٠٩/٥/٢٨ وعلقت عليهما بقولها:

«على أن هذين الأديبين الكريمين ـ شوقى وولي الدين ـ اللذين يجريان في حلبة الأدب كفرسي رهان، واتفقا في إحراز قصب السبق على الأقران، مختلفان رأياً في الحكم الحميدى، ومتباينان ميلا الى السياسة الحميدية، وقد عارض ولى الدين شوقى بأبيات رقت مبانيها، ودقت معانيها، وتجلت الحرية الدستورية في كل بيت فيها» والمقطم جريدة استعمارية عريقة، فجاء تعليقها متفقاً مع سياستها العوجاء.



الناس والشكوى

الناس في الشكوى أصناف وأنواع، فمن الناس من اعتاد الشكوى فما يكاد يجلس لأحد حتى يبدأ في الشكوى من حاله وما فعلت به الأيام، وهذا الصنف من الناس لا يرغب الناس في الجلوس له ولا الحديث معه، فالجلوس معه مُملٌ والحديث إليه حسرة، وكثرة شكوى هذا الصنف من الناس منبعه السخط.

ومن الناس من اعتاد كتم همومه وغمومه وأحزانه مهما عظمت، وهو في ذلك يفعل كما فعله نبي الله يعقوب - عليه السلام - حين قال: {إنما اشكوا بثي وحزني إلى الله}، وفي المثل: الشكوى لغير الله مذلة، وهذا النوع من الناس الذين منَّ الله عليهم بالرضا فلا تكاد تسمع منهم توجعاً أو شكوى ولسان حالهم يقول كما قال المتنبي:

كم غـر صـبرك وابتسامك صاحبا
لما رآه وفي الحشا ما لا يرى
أمر الفؤاد لسانه وجفونه
فكتمنه وكفى بجسمك مخبرا

وهؤلاء حبب للناس الجلوس لهم والحديث معهم.

ومن الناس من اعتاد كتم همومه وغمومه، ولكن كثرة الهموم والغموم وتكالب المصائب عليه جعل الأمر أعظم من طاقته واحتماله فكان حاله مثل حال أبي تمام حين قال:

شكوت وما الشكوى لمثلي عادة
ولكن تفيض الكأس عند امتلائها

فهناك من الهموم والغموم والأحزان والمصائب ما يفوق الطاقة والتحمل، فلزهير بن أبي سلمى:

ثلاث يعز الصبر عند حلولها
ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبّها
وفرقة أخوان وفقد حبيب

ومن الناس من يشكو ليس من أجل الشكوى ولا بسبب سخطه مما هو فيه ولكن يشكو الى من يثق بعلمه وعقله طالباً للاستشارة واخذ الرأي لعله يجد دواء لما يشكو منه عند من يشكو له، مثلما قال الشافعي - رحمه الله -

بقلم : عبدالله ناصر بن ثنيان - الرياض -

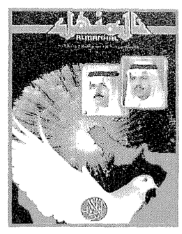


شكوت الى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي

ومن الناس من جعل شكواه إلى أوراقه وقلمه، فكلما أصابته مصيبة من مصائب الدهر، أو حلَّ به ما يحزنه ويأسى له، فزع إلى قلمه وأوراقه وكأنها صديق حميم فالأوراق تأن بدلا عنه، والقلم يبكي بدلا منه، وما هي إلا دقائق وسطور حتى يزول ما في نفسه، أو على الأقل يهون كثيرا مما أصابه.

وهناك نوع من الشكوى حبب للناس سماعها وحفظها وترديدها، وهي شكوي الحبيب لحبيبه، يشكو هجره، ويرجو وصاله، كما جاء عن البهاء زهير حين قال:

يعاهدني لا خانني ثم ينكث
وأحلف لا كلمته ثم أحنث
وذلك دأبي لا يزال ودأبه
فيا معشر العشاق عنا تحدثوا
أقول له صلني يقول نعم غدا
ويكسر جفننا هازئا بي ويعبث
وما ضر بعض الناس لو كان زارني
وكنا خلونا ساعة نتحدث
أمولاي إني في هواك معذب
وحتَّام أبقى في الغرام وأمكث
فخذ مرة روحي ترحني ولا أرى
أموت مرارا في النهار وأبعث
فإني لهذا الضيم منك لحامل
ومنتظر لطفا من الله يحدث
أعيذك من هذا الجفاء الذي بدا
خلائقك الحسنى أرق وأدمث
تردد ظن الناس فيَّ فأكثروا
أحاديث فيها ما يطيب ويخبث
وقد كرمتْ في الحب مني شمائلُ
ويسأل عني من أراد ويبحث



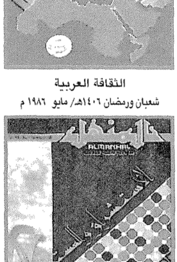
الأمن والأمان
شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٥ م



الثقافة العربية
شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ/ مايو ١٩٨٦ م



الأثر والأثار
رمضان وشوال ١٤٠٧هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٧ م



العادات والتقاليد
رمضان وشوال ١٤٠٨هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٨ م

الاستشراق والمستشرقون
رمضان وشوال ١٤٠٩هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٩ م

الابداع والبدعون
شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ/ مايو ويونيو ١٩٩٠ م



الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري
شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٢ م

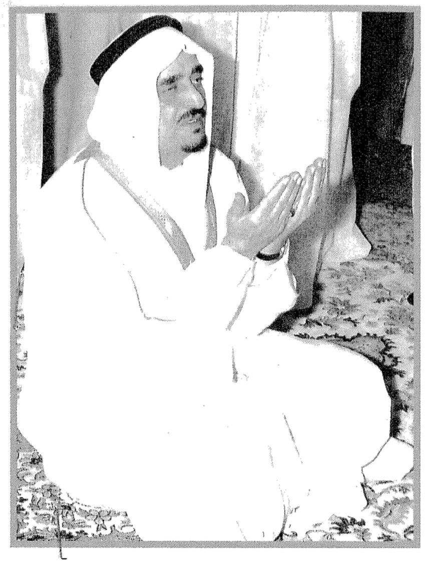


اللغة العربية .. آفاق مستقبلية
شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٣ م

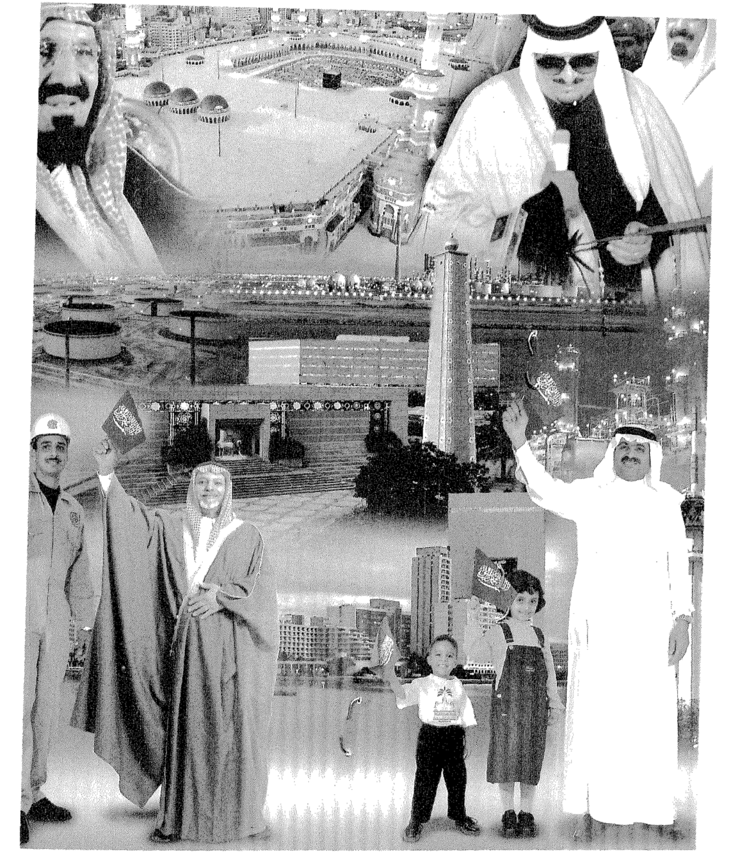


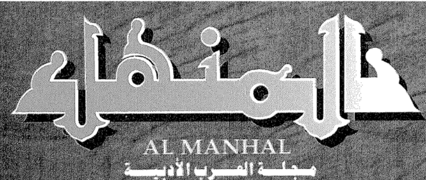
النقد والنقاد
شوال وذو القعدة ١٤١٦هـ/ فبراير ومارس ١٩٩٦ م

من اعدادنا السنوية المتخصصة



اعظم به من عـــاهل مـــتـــواضع
لـلـه لا يـزهـو، ولا يـتـكـبـــــــــر
وهو الحـبـيـب لشـعـبـه، ولكل من
هو مـــؤمن، ومع السـجـود يكبـــر
إن الدعـــاء بحــفظه مـتــواصل
وبه الجـــوانح والجـــوارح تهــدر
هو قـــرة لعـيـوننا وشـفـــاؤه
فـــضل به الرحـــمن حـــقـــا يشكر
وله السـلامـة حيث حل وحسـبـه
من كل مـــا عـــاناه مـــا هو يذخـــر





مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٦٠) المجلد (٦١) العام [٦٥] جمادى الأولى والآخرة ١٤٢٠هـ ـ سبتمبر واكتوبر ١٩٩٩م

الأنصاري تجربته في الصحافة

الحوار المفتوح هو الحل

- مفهوم «لدن» في القرآن الكريم
- الضرائر الشعرية في النحو العربي
- العميد .. والتراث النموذجي الأوروبي
- المرأة العاملة
- العلاقة الصحيحة تأخذ مكانها في الوضوء

البيئة .. مطلب حضاري



مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرقية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ٢٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيـه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

قل معا

صفاء الحياة!..

تصفو الحياة لجاهل أو غافل
عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه
ويسومها طلب المحال فتطمع

«أبو الطيب»

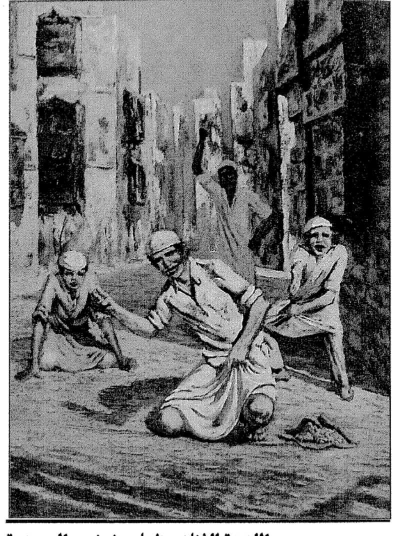
أترى في هذا القول كل الحق، أم بعض الحق وبعض الباطل؟ أما أنا فارى ان هذا القول ليس كله حقا، لا يقبل شائبة باطل. وليس كذلك باطلا لا يقبل ومضة حق.. ففيه من الحق والحقيقة اطراف. وفيه من الباطل كذلك اطراف.. ذلك اننا اذا اردنا بصفاء الحياة، صفاء شاملا كاملا، ومطردا مستديما لا يعروه كدر فذلك مالا اخال انه يتسنى حتى لجاهل، أو لغافل، أو لمغالط نفسه في حقائق الامور.. واذا اردنا بصفاء الحياة صفاءها الجزئى الموقوت الذى ليس من شأنه ان يمتد لا طولا ولا عرضا ولا عمقا، فهذا اللون من الصفاء الجزئى يناله العاقل المتأمل الواعى لشؤون الحياة ومسارب الامور، آنا، وفي لحظات وفترات محدودة خاطفة وغير خاطفة، كما يساهم فيه الجاهل بحقائق الامور والغافل عن مجاريها، والعارف بما فيها، المغالط نفسه في حقائقها، على السواء، ويعب من هذا السلسبيل ايضا فئة خامسة تمت الى اولئك بأسباب من اسباب الحياة خاصة اذا جمعتهم المحافل، وكانت هذه المحافل التى تجمعهم تتسم بالانسجام الفكرى والعاطفى وتتصف بالتجاوب النفسي وتواكب النظريات وتجانس الاهداف والآراء.. ان هذه الفئة المقصودة هنا هم فئة الادباء.. فهم اذا وفق فريق منهم متجانس الاتجاهات الى الاجتماع استحال اجتماعهم هذا الى روضة عبقة بالسعادة وبصفاء الحياة ولمعانها واشراقها، فتراهم يجولون في كل مجال، ويطيرون مغتبطين في كل جو، ويحلقون.. وفي تلك الساعات تنال ارواحهم المثالية الوانا من صفاء الحياة وبهجتها واشراقها مالا يكاد يصفه بيان.

«عبدالقدوس الأنصاري»

جمادى الآخرة ١٣٧٦هـ/ يناير ١٩٥٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

حرف ولون



اللوحة للفنان : ضياء عزيز ــ السعودية

الحياة .. لحظات ما قبل النهاية .. واللحظات تختلف .

اشارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

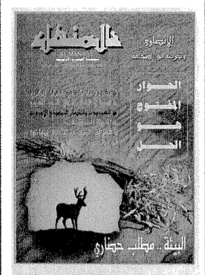
صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



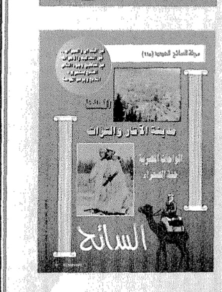
غلاف العدد

طبع بمطابع
شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
جدة . تليفون ٦٣٩٦٠٦٠ . فاكس ٦٣٩١٠٠٣

المنهل
Almanhal
مجلة شهرية للأدب والعلوم والثقافة

العدد: (٥٦٠)
المجلد: (٦١)
العام: (٦٥)

الفهرس



فقرات مستقلة

**** بانتشار حركة الصحافة بدأت تبرز معالم النهضة الادبية والفكرية واضحة.**

(يحى محمد يحى) ص ١٠

**** الحوار المفتوح هو الحل الوحيد القادر على امتصاص التوتر في عالمنا العربي.**

(د٠محمد عمارة) ص ٣٦

**** جاء كتاب (مستقبل الثقافة في مصر) ليكون وثيقة اعلان انتصار النموذج الأوربي) .**

د٠ عبد الحميد ابراهيم ص ٤٠

**** الحفاظ على البيئة، حفاظ على حياة معافاة .**

(ملف البيئة ص ٥٩)

**** (في الشعر الجاهلي) لم يكن السبب المباشر في فصل العميد٠٠!!**

د٠ محمد رجب البيومي ص ١٢٠

**** الاعتدال ٠٠ النتيجة المثلىَ لتجربتي في الصحافة ٠٠**

عبد القدوس الانصاري ص ١٣٢

**** العلاقات الصحيحة تأخذ مكانها في الضوء.**

د٠ ام عمرو ص ١٥٢

منهليات

صرعات المحبين

**** في عالم الكرة٠٠**

عشرات الآلاف، تدافع وتزاحم واصطراع في الدخول٠
صراخ وضجيج وهيستريا في التشجيع٠
اقتتال وتحارب، ودماء وجرحى، إذا ما حمي الوطيس٠
هل قانون اللعبة يقول بهذا؟ أم انه اصطراع (خارج النص)٠٠؟

أليس في ميادين حياتنا ما يستحق أن تُصْرف إليه هذه الطاقة الجبارة من الحيوية والنشاط والتدافع٠٠ منقطع النظير؟٠

**** في عالم الغناء٠٠**

عند مشاهير المغنين، تزدحم الصالات بمحبيهم وعشاق فنهم٠
آلاف الآلاف من البشر، لا تجد بينهم موقع قدم٠
يرددون، يرقصون، يصفقون، بل يُصعقون!
عندما توفي أحد مشاهير الغناء، هلك في إثره منْ هلك!
وكثير منهم نقل الى المستشفيات في حالات اغماء!٠
تُرى، أى نوع من الصرْع هذا٠٠؟!

**** حتى في عالم المتصوفة٠٠**

نعم ٠٠ حتى عالم المتصوفه٠٠
في حلقات الذكر، يميلون يميناً ويسارا٠
ترتفع أصواتهم ٠٠
تختلط بأصوات الطبول٠٠ يُغشى على أحدهم٠
يقع على الأرض، في اغماءة، تطول أو تقصر٠٠
يسمونها (الحالة) أو (الجذبة)٠٠ إنه الصعق٠٠
ما أعجب ٠٠ وما أغرب، وما أدهش، صرعات المحبين !؟

المحـــرر

٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩ .

خاص بالمنهل

أيام لا تنسى في أرض الحرمين

كنت سعيداً غاية السعادة حين تلقيت نبأ قبول مشاركتي بدراسة عن مساجد مدينة فوة وخصائصها المعمارية والفنية، في ندوة عمارة المساجد التي نظمتها كلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك سعود، في إطار الاحتفالات بمئوية المملكة العربية السعودية.

كان استقبال المشاركين في المؤتمر في مطار الملك خالد بالرياض حافلا، وترك الوقت الذي انتهى فيه مرافقونا من الاجراءات المعتادة، فرصة لنا لتأمل عمارة هذا المطار الذي اكتسب شهرة دولية.

كان مرافقونا هم طلبة كلية العمارة والتخطيط تبرعوا بجهدهم ووقتهم لصالح تنظيم هذا المؤتمر، فقد بذلوا أقصى ما في جهدهم لراحة الضيوف.

اتيح لنا يوم نظم لنا خلاله زيارة لمهرجان الجنادرية، وشدنا التنظيم الشديد للمهرجان، خاصة المنطقة التي تضم الحرف التقليدية، والعمارة التقليدية بكافة مناطق المملكة الممثلة في المهرجان.

وفي المساء بدأت جلسات الندوة وقد صاحبها معرض لعمارة المساجد، ضم نموذجين لتطور عمارة الحرمين عبر العصور، وشدني في المعرض نشاط الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك في إعمار مساجد البوسنة التاريخية والحديثة. ومثل هذا المشروع يساعد على تثبيت الهوية الإسلامية، للمنطقة، وإعادة الثقة لمسلميها، وكذلك إقامة جسور للتواصل بينهم وبين المسلمين في شتى أنحاء المعمورة، ومن أبرز مشروعاتها، مسجد إيفي في زينتسا، ومسجد مجاس في توزلا، ومسجد فينستيا في بيهاتش.

ولفت انتباهي أيضا برنامج الأمير سلطان بن عبد العزيز للعناية بالمساجد، وهو يهدف الى المحافظة على المساجد القديمة بالمملكة العربية السعودية وترميمها، وأهمية هذا البرنامج تعود لكون المساجد وثائق تاريخية على قدر كبير من الأهمية. ويجرى في اطاره مسح لجميع القرى والمدن وتسجيل مساجدها ورفعها معمارياً ثم القيام بترميمها.

وقدمت مؤسسة التراث ومكتبة الملك فهد في المعرض ما معها من صور قديمة للحرمين في اطار مشروع الأرشيف الوطني للصور التاريخية، وهو أرشيف متخصص تقوم مؤسسة التراث بالعمل على إنشائه، لصالح مكتبة الملك فهد الوطنية.

وكانت جلسات المؤتمر موزعة بين قاعات الجامعة، وشهدت العديد من الأبحاث الجديدة، خاصة في عمارة مساجد جنوب شرق آسيا، مثل مساجد ماليزيا وأندونيسيا، وقدم الدكتور على أبو غنيمة دراسة تقويمية للمركز الإسلامي في روما، الذي يعد تحفة معمارية جمعت بين أصالة العمارة الاسلامية والعمارة المعاصرة بينما شد الدكتور عبد الستار عثمان انتباه الحاضرين ببحثه عن الأحكام الفقهية وعمارة المساجد.

وقدم الدكتور عبد العزيز الدولاتلي محاضرته عن جامع الزيتونة بمدينة تونس، فالزيتونة ساهمت منذ تأسيسها كمسجد وجامعة من أعرق الجامعات التي عرفتها البلاد الاسلامية، في تركيز القيم ونشرها

اعداد : د . خالد عزب
ـ مصر ـ



افتتاح معرض ندوة عمارة المساجد



افتتاح ندوة عمارة المساجد بجامعة الملك سعود

بافريقية والمغرب، ويعود البناء الحالي لجامع الزيتونة الى العصر العباسي. وظلت الإضافات تتوالى على هذه المؤسسة حتى القرن الماضي.

وشهدت كلية الآداب واحدة من أكثر جلسات الندوة ثراءاً بالمناقشات، في محاضرة كل من الدكتور محمد زينهم والدكتور عمرو الجوهري عن مشروع ترميم الجامع الأزهر، واتسمت المناقشات بقدر كبير من الاحترام المتبادل، بل والمستوى العلمي الرفيع، وهو ما جعل لهذه الجلسة صدى واسعاً داخل أروقة جامعة الملك سعود.

كما شهدت كلية الآداب عرضا شيقا من فيروز أشرفى لمساجد أوزبكستان، خاصة في مدينتى بخارى وسمرقند. وقدم الدكتور حسام مهدى دراسة عن مساجد الكويت التراثية وهى الاولى من نوعها عن هذه المساجد، ولفت الانتباه الى بعض خصائصها، واهتمام اليونسكو بها من خلال مساعدة الكويت على توثيقها.

زخرت الندوة بـ ١٥٠ بحثا في شتى تخصصات عمارة المساجد بدءاً من الأحكام الفقهية التى تصوغها حتى المساجد التراثية وتوثيقها الى التصميم المعمارى الى دراسة أثر المسجد على محيطه العمرانى، عشرة مجلدات ضمت أبحاث هذه الندوة، جعلت منها موسوعة لا غنى عنها للمعماريين والأثريين العاملين في حقل تصميم ودراسة عمارة المساجد.

وأعقبت - ثلاثة أيام - هى أيام الندوة، جولة خاصة لنا نظمها طلاب الدكتور محمد عبد الستار عثمان الذى عمل خمس سنوات في قسم الآثار بجامعة الملك سعود الى المتحف الوطنى ودارة الملك عبد العزيز وقصر المصمك ولفت انتباهنا وجود العديد من التقنيات الحديثة للعرض المتحفى في هذه الأماكن.

وتستطيع أن تتوقف كثيراً أمام المتحف الوطنى الذى يقع في الجانب الشرقى لمركز الملك عبد العزيز التاريخي، ليكون معلما وطنيا يساهم في إثراء عشر قاعات ومنها قاعة الممالك العربية القديمة وقاعة العصر الجاهلي وقاعة الانسان والكون، وتتنوع معروضات المتحف لتشمل المواد والقطع الأثرية والوثائق والمخطوطات ولوحات العرض ومجسمات المدن بالاضافة الى وسائل العرض الالكترونية.

وغادرنا الرياض بعد ذلك الى مكة المكرمة والمدينة المنورة لأداء مناسك العمرة، حيث استضاف خادم الحرمين الشريفين المشاركين في الندوة لأداء العمرة على نفقته، ومن هناك توجهنا الى جدة حيث عاد المشاركون الى بلادهم.

أطلس المملكة العربية السعودية

خلال قرن من الزمان في مسيرة الخير والنماء والعمران، سجلت المملكة العربية السعودية اسمها بأحرف من نور على جبين التاريخ.. وحققت نهضة حضارية في كل المجالات.. وهذا ما ينبغي توثيقه للتاريخ وللأجيال، كأنموذج يحتذى، وسبيل يسلك ويشاد به.

بمناسبة مئوية المملكة جاء أطلس المملكة العربية السعودية واحداً من ادوات التوثيق ووسائله التى أعدتها ونشرتها الهيئات المختصة.

هذا الأطلس تعاونت على اعداده وطباعته ونشره الأمانة العامة لمئوية المملكة، ووزارة التربية والتعليم ودارة الملك عبد العزيز.

وهو تعريفي توثيقي احتوى على ثلاثة عشر باباً تحدثت عن: موقع المملكة ومراحل تكوينها، وخارطتها الجغرافية التى شملت المظاهر الطبيعية والجيولوجية، والتربة والمعادن، والامطار والمناخ، والموارد المائية والسدود، والزراعة.. السكان، عددهم وتوزيعهم، والكثافة السكانية والتركيبات النوعية، الموارد الحيوانية والسمكية، والمحميات الطبيعية، التكوين الاقتصادي للمملكة وموارد الدولة الاقتصادية، البترول، المعادن، الزراعة، التجارة، الصناعة وغيرها. وما يتبع هذا من نقل ومواصلات وطرق..



غلاف الأطلس الجديد

النهضة التعليمية في المملكة، النهضة الرياضية..

وقبل هذا كله، وفي مقدمة هذا السفر التوثيقي كان الحديث عن الحرمين الشريفين من حيث توسعتهما العمرانية، وعن المشاعر المقدسة والعناية بها، وعن الحجاج والزائرين والمعتمرين، والاهتمام الكبير براحتهم جميعا.

أدوماتو .. مجلة متخصصة بالدراسات الآثارية في الوطن العربي

أدوماتو
Adumatu

تصدرها مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية

مجلة علمية محكّمة نصف سنوية تُعنى بالدراسات الآثارية على مستوى الوطن العربي، وقد أخذت المجلة اسمها من الاسم القديم لمدينة «دومة الجندل».. إحدى أبرز المواقع الأثرية في الجزيرة العربية.

مجالات النشر:

- الأبحاث والدراسات العلمية عن الكشوفات الآثارية في العالم العربي.
- دراسات عن الآثار في العالم العربي.
- قضايا المصطلحات الآثارية.
- مراجعة الكتب الحديثة في حقل الآثار.
- تقارير عن الندوات والمؤتمرات العربية والعالمية حول آثار العالم العربي.

العدد الأول:

ستصدر المجلة كل ستة أشهر في يناير ويوليو من كل عام، وسيصدر العدد الأول - إن شاء الله - في شوال ١٤٢٠هـ الموافق يناير ٢٠٠٠م.

والمجلة موجهة بشكل خاص إلى: الآثاريين، الأنثروبولوجيين، المؤرخين، البيئيين، مؤرخي الفنون.

هيئة التحرير:

- أ.د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري - رئيسا.
- د. خليل بن ابراهيم المعيقل - عضوا.
- د. عبد الله بن محمد الشارخ - عضوا.

الاشتراك السنوي (شاملا أجور البريد):

*** في العالم العربي:**

- الأفراد ٧٠ ريالا سعودياً (٢٠ دولاراً أمريكياً).
- المؤسسات ١٢٠ ريالا سعودياً (٣٥ دولاراً أمريكياً).

*** خارج العالم العربي:**

- الأفراد: ٣٠ دولاراً أمريكياً
- المؤسسات: ٤٠ دولاراً أمريكياً.

عنوان المراسلة:

مجلة أدوماتو- ص.ب ١٠٠٧١ - الرياض ١١٤٣٣ - المملكة العربية السعودية.

هاتف: ٤٠٣٦٧٨٠ (٩٦٦١ +) - ٤٠٣٤٧٥١ (٩٦٦١ +)

فاكس: ٤٠٢٢٥٤٥ (٩٦٦١ +).

بريد إلكتروني: adumatu @ suhuf.net.sa

المؤتمر الأول للشعر العربي

في مدينة (فاس) بالمملكة المغربية وبحضور جمهرة من الادباء والشعراء والنقاد العرب، جاءت اعمال المؤتمر الأول (للشعر العربي).

المؤتمر في مجمله نظرة ووقفة تأملية في واقع الشعر العربي وما وصل إليه من قدر كبير من الفوضى، في الموضوع المطروح وفي أسلوب الأداء، حتى غدا في كثير من أحواله (خبط عشواء) أو (حاطب ليل).

تبحث عن موضوع للقصيدة، فلا تجد شيئا، تبحث عن موسيقى أو نغمة شعرية، فلا تعثر على شيء. تبحث عن مسمى لهذا الذي بين يديك، فتحار فيه.

الكل يعلم أن الشعر قيمة انسانية، ينفعل بها الشاعر وتتعامل مع وجدانه وأحاسيسه، ويكون الناتج (قصيداً) يكون هو النغمة الجميلة الخالدة الرائعة التى تغمر وجدان الانسان وتتفاعل معه.

وكم يود الانسان ان يجد نفسه في هذا القصيد.. وكم يود أن يجد من يعبر عن كوامنه ودواخله وما يجيش في انحاء نفسه، يحمل عنه أناته وآهاته، وما يعاني.

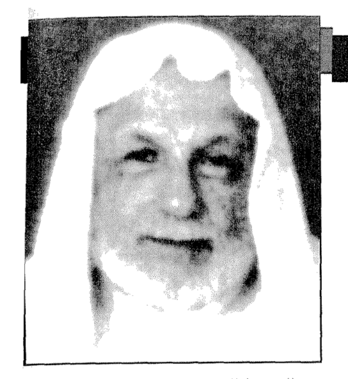
حقيقة، كما افتقد الشعر المعاصر كثيراً من موضوعاته افتقد ايضا جمالياته، وهي أسّ الشعر وجوهره.

ما اكثر القضايا المطروحة على ساحة الشعر اليوم. على مستوى عالمنا العربي والاسلامي، قضايا مصير الأمة وهويتها، قضايا ثقافتها وفكرها، قضايا توحدها وتلاقيها.

كلها تحتاج لـ (القصيد) الذي يحمل عنها الراية، انسان اليوم، هو أودية القصيد الحق.

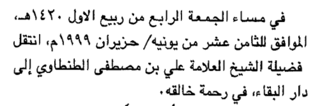
هذا المؤتمر الاول للشعر العربي، بهذه الصيغة التي انعقد عليها نحسبه، نقطة انطلاق للتصحيح، تصحيح يواكب ويجاري هموم الامة، وأحداثها الضخام.

محمد السمان - السودان -



الشيخ العلامة علي الطنطاوي

(١٩٠٩ - ١٩٩٩م)



في مساء الجمعة الرابع من ربيع الاول ١٤٢٠هـ، الموافق للثامن عشر من يونيه/ حزيران ١٩٩٩م، انتقل فضيلة الشيخ العلامة علي بن مصطفى الطنطاوي إلى دار البقاء، في رحمة خالقه.

شيخ جليل فاضل، مليء علماً وفضلا، وحلما.

عالم في موسوعية متفردة في زماننا هذا، عامل بعلمه، داعية مصلح، يحمل منطق الاقناع، وعاطفة المحب، وكياسة الحكيم، فلا تغادره أو يغادرك في مشكلة طرحت عليه إلا وقد امتلأ قلبك منه اعجابا واحتراما.

يملك الكلمة، ويملك مقدرة الايصال، هكذا عاش عمره، داعية خيْر.

كانت كلمته (قولا أو كتابة) مدوية في الآفاق انتصاراً لهذا الدين في وجه خصومه، وفي وجوه المرجفين، لا تأخذه في الحق لومة لائم.. كان قوياً في قول الحق من غير تجاوز، كما لا يحب الظلم، فهو عدل في خصومته أو دفاعه.

نشأ في بيت علم وفضل، واضاف للفضل فضلا وللعلم علما.

يقول عنه فضيلة الشيخ العلامة الفقيه الدكتور يوسف القرضاوي: إنه أديب الفقهاء، وفقيه الأدباء، كان موسوعي الثقافة، مشعلا من مشاعل الهداية، ونجماً من نجوم التنوير ولساناً من ألسنة الصدق، وداعية من دعاة الحق والخير والجمال، وكان يجمع في عظاته بين العلم والادب أو بين الاقناع والامتاع.

جند الشيخ طوال عمره قلمه ولسانه للذود عن حياض الاسلام، وحراسة قلاعه من المغيرين عليه من أعدائه الصرحاء المكشوفين من الصهاينة والصليبيين والشيوعيين وأمثالهم، أم من المقنعين الذين يلبسون لبوس المسلمين ويتسمون بأسماء المسلمين، وليسوا على شيء من هذا الدين، وهؤلاء هم الأشد خطرا حينما ظهرت فتنة (القومية العربية) لتكون يوما بديلا عن الاسلام، وتكون مصدر ولائهم وانتمائهم بدل الولاء للاسلام، والانتماء للاسلام.

حينئذ وقف الشيخ الطنطاوى في وجه هذه الدعوة المضلة وكشف زيفها وباطلها وسجل في ذكرياته موقفه من هذه الدعوة وخصوصا بعد أن ارتبطت بدعوة اخرى هى دعوة الاشتراكية الثورية.

يعتبر الشيخ الاعتزاز باللغة العربية التى هى لسان الاسلام جزءا من الاعتزاز بالدين وبالذاتية الثقافية والهوية الحضارية للأمة ويرفض استخدام الكلمات الدخيلة المنقولة من اللغات الاجنبية الا بعد تعريبها أو ايجاد البديل لها كوصفه كلمة (الرائى) بدل كلمة (التلفزيون) وكلمة (الراد) بدل (الراديو) كما عرب كلمة (الكيلو) بـ (الكيل) وغيرها.

ومن هنا دافع الشيخ عن الفصحى دفاعه عن الاسلام، ودافع عن الأدب الراقي وقاوم الأدب السوقي

ودافع عن الشعر العمودي شعر العرب ذى الوزن والقافية ووقف ضد هذه البدع (الموضة) المستوردة مما يسمى الشعر الحديث.

ولد الشيخ على الطنطاوي في مدينة دمشق في ٢٣ جمادى الاولى ١٣٢٧هـ (١٢ حزيران ١٩٠٩م) من أسرة علم ودين فأبوه الشيخ مصطفى الطنطاوي من أهل العلم، وجده الشيخ محمد الطنطاوي عالم كبير. وخاله الاستاذ محب الدين الخطيب الكاتب الاسلامى الكبير والصحافي الشهير.

تلقى تعليمه في دمشق حتى تخرج من جامعتها في الحقوق والآداب عام ١٩٢٢م.

وتدرج في الوظائف التعليمية والقضائية حتى بلغ فيها مكانة عالية، وقد درس في كلية دار العلوم في مصر وكان زميلا للأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله.

كانت له مواقف محمودة في مقاومة الاستعمار الفرنسي أيام طلبه العلم ثم في المراحل التالية من عمره، ثم درس في العراق سنة ١٩٣٦م ورجع الى بلده فلم يلبث ان انتقل الى القضاء فكان القاضي الشرعي في دوما، ثم مازال يتدرج في مناصب القضاء حتى وصل إلى أعلى تلك المناصب. وكان قد ذهب الى مصر لدراسة أوضاع المحاكم هناك. ثم هاجر الى المملكة العربية السعودية ١٩٦٢م فعمل في التدريس في كلية اللغة العربية وكلية الشريعة في الرياض ثم انتقل الى التدريس في كلية الشريعة في مكة المكرمة ثم تفرغ للعمل في مجال الاعلام وله برنامج إذاعي يومي بعنوان (مسائل ومشكلات) وبرنامج تلفزيوني أسبوعي بعنوان (نور وهداية).. ولتفانيه في خدمة الاسلام والمسلمين، فقد نال جائزة الملك فيصل العالمية.

يعد الشيخ على الطنطاوي أحد رموز الدعوة الاسلامية الكبيرة في العالم الاسلامي وشخصية محببة ذائعة الصيت نالت حظا واسعا من الشهرة والاعجاب والقبول وله سجل شرف في خدمة الاسلام والمسلمين فالشيخ على الطنطاوي استطاع ان يجمع جمعا قويا بين الثقافتين الإسلامية العربية من جانب، والحديثة المعاصرة من جانب آخر، مما جعله قنطرة فكرية مقبولة من الفريقين الى حد كبير.

ثم انه يتمتع بأسلوب سهل جميل جذاب لا يكاد يشبهه فيه أحد، يمكن ان يوصف بأنه السهل الممتنع، فيه تظهر عبارته أنيقة مشرقة، فيها جمال ويسر فضلا عن الصحة والسلامة، وهذا ما جعله يستطيع ان يعرض أخطر القضايا والافكار بأسلوب يطرب له المثقف ويرتاح له العادي، ويفهمه من نال أيسر قسط من التعليم.

عرف بعلمه وحلمه:

يقول فضيلة الشيخ مجاهد محمد الصواف ـ الذي رافق فضيلة العلامة الشيخ على الطنطاوى يرحمه الله منذ كان في العاشرة من عمره.. وللشيخ رحمه الله مواقف في مؤتمر القدس ومواقف من قضية فلسطين في سبيل فلسطين قام العالم الاسلامي الطنطاوي وزار العالم من أجل العمل على انقاذ الشعب الفلسطيني وتحرك بقوة بالرغم من حيائه وخجله ورغم انه لا يريد الظهور في الصحافة وغيرها ولكن كان لابد لمن هو مثله ان يقدم كل ما يقدر عليه لخدمة أمته.. والشيخ كان من أول المشايخ الذين بلغوا الدعوة عن طريق التلفاز والكل يعلم ذلك وله مآثر كثيرة لا ندري من أين نبدأ وأين ننتهي في ذكرها؟. وله مواقف مشرفة في كل المآسي التي يتعرض لها المسلمون.. كان يبكي رحمه الله على ما يحدث للمسلمين في البوسنة والهرسك وفي كوسوفا.

هدوء الشيخ وعصريته وفهمه لما يجري في العالم وارتباطه العميق بالدعوة الى الله والتزامه في ذلك بالقرآن والسنة ورأي اصحاب السلف مكنه من طرح مواضيعه وما يهدف اليه من نشر التوعية والدعوة.

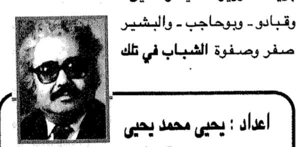
ألا رحم الله الشيخ الداعية المصلح، الشيخ على الطنطاوي، وأحسن نزله، ووسع مرقده، وجعل الجنة متقلَّبه ومثواه، والهم آله وذويه ومحبيه الصبر، وحسن العزاء.

الخصوصية والآفاق

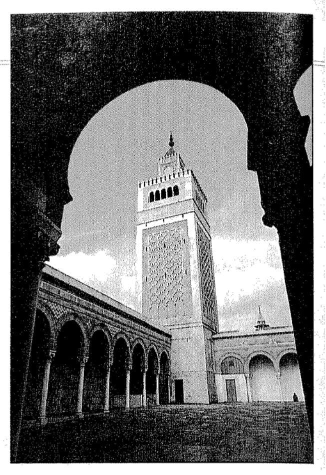
مدخل عام:

الحديث عن الكتابة القصصية والروائية في تونس يرتبط بداهة بتاريخ تطور الادب والعلم، خاصة ما شهده هذا الجنس الادبي الراقي من تغيرات فكرية ومنهجية عبر شتى العصور، واصل فيها نحت الجسور بين البلاد العربية وغيرها مما زاد في تعميق البحث في هذا الخصوص بضرورة معرفة التداخل والتمازج في الخطاب الادبي الغني بين خصوصية وأخرى، في مراحل مختلفة تستقطب الدارسين بحثا عن الجذور المميزة في هذه الكتابة النوعية، وذلك ما نحرص على محاولة الالمام به وبشتى الجوانب ولو لماماً في هذه الومضة الادبية عن مدرسة افرزت الكثير من الاجيال والتيارات كما سنرى.. لهذا بات من الضروري اعطاء بعض العلامات عن الادب التونسي عامة كاشارات تسمح باعطاء فكرة عامة عنه، وعن الادب القصصي والروائي وفق ما يلي:

- ان تميز جيل الوثبة الادبية والاجتماعية في تونس بجذوة النضال املا في الخلاص والتحرر من ربقة التبعية الاستعمارية المفروضة خاصة في اعقاب انهيار الخلافة العثمانية الى غير ذلك من مختلف العوامل، يُعدّ من المؤثرات التي تطلبت انبثاق رؤية ادبية وفكرية تمد الجسور نحو وثبة العالم العربي والاسلامي، لا سيما سعي المغرب العربي في نحت الوصل والتواصل وربط الصلات العلمية والادبية في ضوء اعتزاز هذا الجزء الحساس من الوطن العربي والاسلامي باللغة العربية هوية وامتداداً كما وضّح ذلك العلامة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور[١] في كتابه: (الحركة الادبية والفكرية في تونس) من خلال الدور العظيم الذي اضطلعت به الجامعة الزيتونية والمعاهد العلمية الجليلة - كالمعهد الصادقي - والعلوي - والمدرسة الخلدونية، التي اسهمت في تطوير الحركة العلمية والادبية ابان انتشار حركة الطباعة والصحافة والنشر وانبعاث الحركة الاصلاحية، ونشأة ادب الرحلات الذي أسس نظرة اخرى في مجال الاعتناء بالتحرير الادبي كما جاء في (صفوة الاعتبار) للشيخ محمد بيرم - و(الرحلة الحجازية) للشيخ محمد السنوسي - وكلاهما يحتل منزلة ادبية هامة في التحرير السياسي، والتعبير الادبي والعلمي.. ومتانة اللغة الادبية والروحية اعتباراً الى خصوصية الكتابة مع هذا الجيل الادبي والعلمي الذي ما انفك يبحث عن تواصل الوعي الروحي والقومي منذ أوائل (القرن العشرين) كركيزة ننطلق منها مع ما لغيرها من اضافات تاريخية وفكرية لا شك لها شأنها في بلورة منهج - الكتابة الفنية - مع جملة من الدوافع والمؤثرات والحركات مع طائفة الاصلاحيين بريادة الوزير خير الدين - وقبادو - وبوحاجب - والبشير صفر وصفوة **الشباب في تلك**



اعداد : يحيى محمد يحيى
- تونس -



ـ جامعة الزيتونة.

المرحلة لا سيما عند نشأة الحركة الوطنية التي عمقت الاحساس بالتحرر والتطور وربط الصلات العربية الاسلامية ومع العالم الخارجي بصورة أشمل! وبانتشار حركة الصحافة السياسية والادبية انتشر الاحساس بالوعي العقلي والاصلاح الاجتماعي وبدأت معالم النهضة الادبية تبرز واضحة عبر تجديد سبل التحرر من ربقة الاستعمار الفرنسي الجاثم على البلاد منذ عام ١٨٨١[٢].

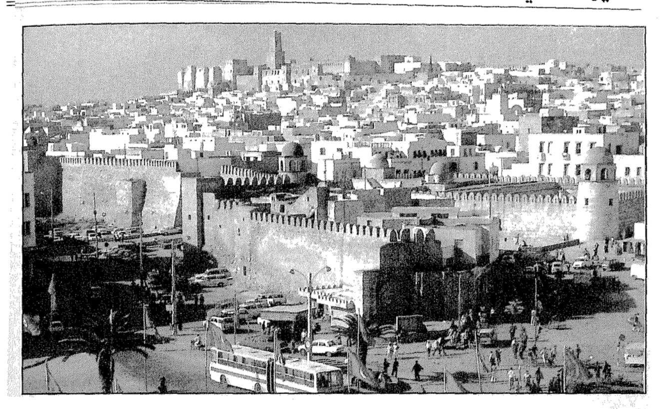
حيث نحت التعليم طرائق جديدة لتحسيس الشباب بواقع الوطن ومستلزمات تحرره بواسطة المقالات الصحفية والادبية وحركة الجمعيات الثقافية فساهمت الصحافة ـ رغم موجة التعطيل والمصادرة ـ التي قام بها الاستعمار الفرنسي ـ في احكام المعرفة ونشرها عبر فضاء (المدرسة الخلدونية) التي كانت منبراً لاشاعة الوعي الفكري والوطني والقومي.

الكاتب في سطور

- عضو مؤسس لنادي القصة (النادي الثقافي ـ ابو القاسم الشابي ١٩٦٤).
- عضو مؤسس لاتحاد الكتاب التونسيين ـ في السبعينيات ـ .
- عضو مؤسس للنادي الثقافي (علي البلهوان) في السبعينيات.
- سكرتير تحرير مجلة «اللغات» التونسية ١٩٦١/٦٠.
- رئيس الجامعة التونسية لمسرح الهواة ورئيس تحرير مجلة «مسرح» ٨٣/ ١٩٨٧.

مؤلفاته:

- نداء الفجر ـ مجموعة قصصية ـ الدار التونسية للنشر ١٩٦٠ ـ اعيد طبعها عديد المرات ، طبعة (١١) دار شوقي ١٠٩٧.
- حوار في الظل ـ مجموعة قصصية ـ دار الكتب الشرقية بتونس ١٩٧٣.
- نوافذ السرداب ـ رواية ـ منشورات المؤلف ١٩٧٩.
- احاديث النسيان ـ رواية ـ منشورات قصص ١٩٧٧ ـ اعيد طبعها ١٩٩٢.
- زمن الغياب ـ مجموعة قصص ـ منشورات المؤلف ١٩٨٤.
- زاد الوفاء مجموعة مقالات ـ منشورات المؤلف ١٩٨٥.
- في الدرب المسرحي ـ دراسة عن مسرح الهواية ـ منشورات المؤلف ١٩٨٨.
- نفق الطوفان ـ رواية ـ منشورات المؤلف ١٩٩٠.
- اولاد الحومة ـ رواية ـ منشورات المؤلف ١٩٩٤ ، (١٠) زمن الحظ ـ مجموعة قصص ١٩٩٦.



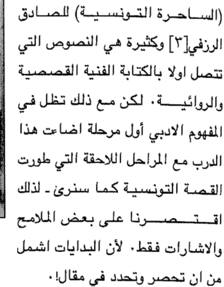
- صورة عامة (تونس)

كذلك فضاء (جمعية قدماء الصادقية) حيث اهتمت بالمحاضرات الادبية والتاريخية بريادة ثلة من المؤرخين والادباء - امثال - حسن حسني عبد الوهاب - عثمان الكعاك - محمد بن حسين - محمد العربي الكبادي - عبد الرحمن الكعاك - محمد الشاذلي فزندار - مصطفى الكعاك - الشيخ مناشو - محمد الحبيب - زين العابدين السنوسي - صاحب مطبعة (العرب) بمدينة تونس - الشيخ الامام الطاهر بن عاشور - احمد توفيق المدني - الشيخ الخضر حسين - محمد المنصف المستيري - محيي الدين القليبي - عبد العزيز الثعالبي وغيرهم.

مع البدايات:

من المعلوم ان مرحلة بدايات القصة التونسية كانت مع المجلات الادبية - كالعالم الادبي - وغيرها مقترنة بفترة الكتابة الفنية في الرواية والمسرح وشتى الفنون، غير ان القصة التي لها تياراتها الفكرية والمذهبية امتازت انئذ بالترجمات والاقتباسات - مثل - اهتمام محمد العربي الجلولي (١٩١٢) بنقل قصة (فيدورا) عن الكاتب الفرنسي (فيكتوريان ساردو) متعاونا مع محمد الجعايبي في نسقها الفني، وحسن سبكها عربية، الى غير ذلك من اوجه اهتمام بعض الكتاب بالقصص الروائي عبر موضوعات التضحية والامانة والعاطفة الانسانية والوفاء، وما الى ذلك.

اي مسايرة للاحداث الواقعية مع تخيل الشخوص وابراز الاحداث كاهتمام - محمد الحبيب - بالكتابة الروائية اقتباساً من «حدث تركي» تأثر به .. والاستاذ محمد مناشو - وعثمان بن الخوجة - واحمد خير الدين - كذلك (السهرة الاخيرة في غرناطة) مع الكاتب والمؤرخ الكبير حسن حسني عبد الوهاب (والهيفاء وسراج الليل) لصالح سويسي - القيرواني - ورواية



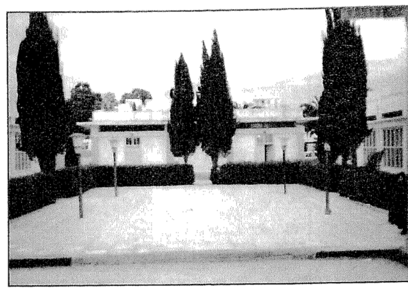
(الساحرة التونسية) للصادق الرزقي[٣] وكثيرة هي النصوص التي تتصل اولا بالكتابة الفنية القصصية والروائية. لكن مع ذلك تظل في المفهوم الادبي أول مرحلة اضاءت هذا الدرب مع المراحل اللاحقة التي طورت القصة التونسية كما سنرى - لذلك اقتصرنا على بعض الملامح والاشارات فقط. لأن البدايات اشمل من ان تحصر وتحدد في مقال!.

المنحى الاجتماعي: (١٩٠٥ / ١٩٣٠):

يشير الاستاذ رضوان الكوني[٤] الى دلالات مختلفة في هذا الاتجاه اذ **تأثر كتاب الادب التونسي في تلك المرحلة بالبعد الاجتماعي باسلوب يغلب عليه النمط الاخلاقي والسلوكي تجاوباً مع شتى الظواهر التي تسود العلاقات الاجتماعية في مجتمع ما.**

قصص هذا الاتجاه عديدة منها:

فظائع المقامرة ترجمة ابراهيم بن شعبان - عن شريط سينمائي. وقصة (آخر بني سراج) لشاتو بريان. ترجمها محمد المشيرقي. وغير ذلك من انماط الكتابة الاجتماعية التي كان جيل البدايات يختارها عن قناعة ثقافية وفق ما يقتضيه العرف، والمعرفة المحدودة انذاك بهذا الفن، كما يلاحظ الاستاذ الكوني في كتابه الى المراحل الموالية مشدداً علي أن التوجه القصصي بدأ مع مجلة (العالم الادبي) لصاحبها الاديب زين العابدين السنوسي خلال فترة الثلاثينيات، ثم ابتدأت المرحلة الفنية بداية من (١٩٦٠) وما اليها حيث توزعت الكتابة القصصية منذ الخمسينيات بصورة مسترسلة في الصحافة والمجلات التونسية - الفكر - الندوة -



- نادي القصة.

وغيرهما وعبر جائزة «علي البهوان» لبلدية تونس. ووزارة الثقافة.

الكتابة الفنية:

يمكن ان نعتبر هذه الكتابة عند الاديب محمود المسعدي من خلال نصه: (السد) أو نصه «حدث ابو هريرة» هي كتابة الانموذج ذات لغة عربية متمكنة من جزالة العبارة ودقة الاسلوب ومجانسة الحداثة.. لذلك يعتبر المسعدي رائد جيل الكتابة الفنية بلا منازع. كما ان «علي الدوعاجي» في: «سهرت منه الليالي» وغيرها يحتل نفس الموقع في نوعية كتابته الفنية وبساطة اسلوبه المتميز بالشاعرية الاجتماعية التي تغترف من معين المجتمع ونهره الذي لا ينضب.. كما نجد في نفس نسقه الكاتب - محمد المرزوقي - الذي امد الموروث الاجتماعي والتاريخي بكتابة واعية تهافتت عليها الوسائل السمعية والمقروءة وقدمتها كانموذج للكتابة الاجتماعية.. ثم يأتي الكاتب محمد العريبي في (الرماد) ضمن التيار الواقعي الذي يندرج فيه عديد الكتاب في طليعتهم الاديب الكبير محمد العروسي المطوي من خلال نصيه: حليمة - التوت المر -



- علي الدوعاجي.



- د. عز الدين المدني

وغيرهما - والبشير خريف - في (حبك درباني) و(الدقلة في عراجينها) و(برق الليل) وما الى ذلك! كما يعتبر الكاتب - عز الدين المدني - ضمن التصنيف الفني بمعية ثلة كبيرة من اجيال - نادي القصة - بتونس. كما يتبين لاحقا.

لعل من اهم خصائص الكتابة الفنية في القصة والرواية معرفة طرق ومناهج الصياغة والاسلوب المتوخى من كاتب لآخر.. مع قدرة على الاضافة والتنوع سواء في نص عادي، أو نصوص تجديدية أو تندرج ضمن الكتابة التجريبية المحتوية على اسباب التجانس والتغير في اللاقصة أو قصة القصة.. كما ان **الكتابة الفنية في نظرنا هي تنزيل الفكر الحديث منزلة جادة وفق الرؤية ونمط الفلسفة التي يختار سبيلها الكاتب عن اقتناع ذاتي ومخزون ادبي تحديثي اي معنى متغير مستبطن لشتى الطروحات والاساليب،** يحدثك النص الفني في القصة والرواية حديث العصر ولو مع الاسقاط واعادة الكتابة.

نادي القصة: مرحلة التأسيس:

نذكر لامانة البحث ان بعض المحاولات التأسيسية لبعث - فضاء ثقافي مختص - سواء بالشعراء أو بالقصاصين قد بذلت منذ الخمسينيات بصورة اخص تلك الفترة التي شهدت ميلاد عديد من الجمعيات الادبية والنوادي والمجالس الشعرية والادبية منها بصورة اوضح: مجلس شيخ الادباء محمد العربي الكبادي بتونس العاصمة - مجلس القاص البشير خريف - اضافة الى (المقاهي أو المطاعم الادبية) - مثل - نادي مقهى المغرب شارع فرنسا بالعاصمة التونسية الذي تداول على حضوره نخبة من الكتاب - منهم - عز الدين المدني - حماد السنوسي - شلفوح - الخنيسي - حنيديد - شريط - نعمان - وكاتب المقال وغيرهم.

وبعيد تأسيس (نادي القلم) ثم (رابطة القلم الجديد) واثر نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات - بذل ثلة من الكتاب - امثال: مصطفى الفارسي - البشير خريف - صالح الجابري - عز الدين المدني - السويسي - وكاتب المقال - بعض الجهود لتأسيس جمعية ثقافية تضم كتاب القصة في تونس في اعقاب احداث (نادي القصة بمصر) الشقيقة بريادة الكاتب نجيب محفوظ وصدور مجلة - القصة - هناك.. مما زاد في تفعيل السعي لاحداث النادي وفق التحرك الذي بذله الاستاذ محمد العروسي المطوي بسعي من الزميل الدكتور محمد صالح الجابري الذي تحمس للاقتراح المتضمن امكانية احتضان النادي الثقافي (ابو القاسم الشابي) بضاحية بالفي - الوردية بتونس العاصمة لنادي القصة[٥] الذي اسهم بدرجة كبيرة في التعريف بالانتاج القصصي والروائي قديمه وحديثه كما سنوضح ذلك.

التف كتاب القصة حول النادي كأعظم حدث ثقافي سجل في دفتر الحركة الادبية والفكرية التونسية تقبلته الصحافة بالترحاب حيث اقيم حفل تشريفي ضم الادباء ممن يكتب القصة أو الشعر أو المقالة بفضاء

النادي الثقافي «ابو القاسم الشابي»، بالوردية[٦]. حيث ترأس نادي القصة الى يوم الناس الاستاذ محمد العروسي المطوي رفقة ثلة من اعضاء الجيل الاول: البشير خريف - رشيد الغالي - حسن نصر - محمد صالح الجابري - يحي محمد - عز الدين المدني - عبد الواحد ابراهيم - محمد منصور - احمد الهرقام - وغيرهم.. ومنذ الجلسة التأسيسية اتفق على تداول النشاط مساء كل يوم سبت بقراءة قصة أو اكثر مع نقاش حر ومسؤول.

بعد اكثر من جلسة تم التفكير في اعداد العدة لاصدار مجلة تحمل اسم (قصص) وبدأ المشوار يكبر ويكبر والاحلام تتوسع وترفل بحلول اول موعد لتحقيق اعز أمنية لكتاب هذا الفن النبيل وتشاء الصدف ان تكون - الدار التونسية للنشر[٧] أول مؤسسة للنشر باشراف وزارة الثقافة، فتحظى المجلة بدعمها ويصدر عددها الاول في سبتمبر ١٩٦٦ ويحتفل بصدوره بدار الثقافة ابن خلدون - باشراف نخبة الثقافة الوطنية واعلامها - امثال - الاستاذ الشاذلي القليبي - وزير الثقافة والاخبار انذاك والاستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور - ثم تتوالى الاعداد منتظمة الصدور، منوعة المحتوى من دراسات وترجمات وقصص قصيرة كاهتمام المجلة بكتاب مرحلة البدايات!.

لقد كانت مرحلة التأسيس مبوبة الى مزيد الاضافة والاسهام بصدق في دفع الحركة الادبية والفنية في تونس لأنها كانت المرحلة البكر خالية من محاولات القفز على الحبال، والرغبة في الطموح غير المشروع لمجرد التسلية والاطاحة بتركيبة على حساب اخرى.. في نادي القصة كان السيناريو الذي يدور في الفضاء الثقافي انبعاث الكيان وتجذير الصلة به

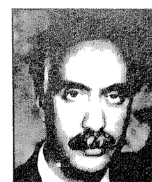




- احمد ممو. - رضوان الكوني.

في الداخل والخارج.. والكتابة اذ لا شيء غير الكتابة القصصية والروائية والندوات المتخصصة[٨] بهذا الاسلوب كان النادي عبارة عن مدرسة ادبية أو فضاء اكاديمي، تدون بسجلاته جلسات علمية - قصصية - نقدية - يمكن لها ان تجمع لافادة الدارسين والباحثين لا في شؤون القصة التونسية فحسب، بل العربية عامة ذلك أن هذا النادي قد استضاف الكثير من العناصر العربية اللامعة في دنيا الرواية والادب العربي والاجنبي من الشرق والغرب - وكان لا شيء يقدمه النادي لاعضائه وضيوفه - غير كأس من الشاي «المنعنع» الخفيف جداً.

نزولا عند رغبة رئيسه.. وكأس واحد لا غير! ولو احتد النقاش وسخن الحديث حول مسألة بلغ فيها التباين في الرأي ما بلغ .. غير ان «الكرم الحاتمي» تفضل واغدق على الاعضاء خلال اواخر الستينيات والسبعينيات - بصورة اخص بحفل عشاء سنوي ينضم بضاحية «حلق الوادي» اثناء الصيف يسدد من ميزانية النادي المتواضعة جداً جداً.. وهي عبارة عن محصول حقوق التآليف الجماعية بحساب (٥٠,٠٠٠) ديناراً للعدد الواحد من مجلة (قصص) تمنحها الدار التونسية للنشرالى ان فسخ العقد معها سنة ١٩٧٤ عندها اعتمد النادي على نفسه نشراً وتيسيراً وفي هذا





- الناصر التومي   - ابو القاسم الشابي.

الخصوص سجل الكثير من الطرائف لدى الاشخاص والمؤسسات التي كان النادي يتوجه الى الجميع بغية الاشتراك باقتناء كمية محترمة من النسخ قد تصل ذات مرة الى اقل من اصابع اليد الواحدة! فيصر السيد رئيس النادي على اجابة من ذكر بالمقولة الشعبية التي تردد: «بوزيد مكسي، بوزيد عريان»!!.

مع فضاء .. الشابي:

كان النادي الثقافي «ابو القاسم الشابي» ببالغي - الوردية بتونس العاصمة أول فضاء ثقافي يشيد في الاستقلال سنة ١٩٦٢ بهمة نخبة من الوطنيين في هذه المنطقة - امثال - البشير زرق العيون - الذي تخلى عن رئاسة هذا النادي للمناضل الوطني السيد محمد بن عمارة - ثم الاديب الاستاذ الطاهر قيقة - وحاليا الاستاذ محمد العروسي المطوي الذي قبض على الرئاستين في نادي - الشابي - ونادي القصة.

وقد استقطب نادي الشابي ثلة خيرة من اهل الفكر والثقافة - مثل - الاساتذة: الجيلاني بن الحاج يحيى - الطيب العنابي المحامي - د. عبد القادر المهيري - د. محمد اليعلاوي - حمادي الساحلي - ونظم عديداً من اللقاءات الثقافية والوطنية حول قضايا وطنية وقومية - ولهندسة هذا النادي وشكله المعماري الجميل كان افضل فضاء احتضن نادى القصة عن جدارة - وادار الحوار مع مفكرين من تونس والوطن العربي - امثال - وزيرة الثقافة السورية وغيرها.

ونادي القصة استطاع ان تبلغ شهرته الآفاق!.

مجلة «قصص» ومشتقاتها:

كانت تجربة المجلة فريدة من نوعها واصلها - نادي القصة - بمفرده - بمساعدة اعضائه اولا الذين تحمسوا اولا لتأسيس شبكة من المنخرطين في المجلة ومن انصار النادي ورواده - وقد ساندت وزارة الثقافة بشراء كمية من النسخ في البداية وايضا من السلسلة التي واصلت اصدارها حتى فاقت (٢٣) كتاباً وهي عبارة عن مجموعات قصصية أو روايات - الى ان حل موعد الاحتفاء بصدور - العدد مائة - (يونيه ٩٣) وما اليه حتى سنة ٩٤ - وهي الآن تستعد للظهور بحلة اخرى لمواصلة الدور الذي اضطلعت به في الثقافة المتخصصة واعدة آفاقها بالجديد الجيد ان شاء الله.

من أسرار بقاء النادي:

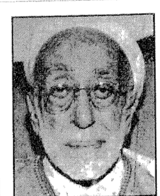
انه علامة وضاءة في تاريخ الحركة الادبية والفكرية في تونس وسر بقائه يعود الى الاريحية - التسامح - المواصلة - اي لا يمكن أن توجد اسباب القطيعة والبغضاء بين الاعضاء من منطلق اعتباري وفكري.. فالمنافع فيه ادبية أولا وآخراً.. اي المادية فيه قليلة وتكاد لا توجد لأن اغلب النسخ المطبوعة تعود لأخذ مكانها بين - رفوفه الصامتة - عدا النسخ المحظوظة بالبيع أو المبادلة مع المجلات العربية والاجنبية ولدى الجامعات والكليات والموسوعات العلمية التي تشرفت بذكر النادي ومجلته ضمن «فهرسة

الاعلام» لذلك حافظ هذا النادي على هذه الكينونة مع اجيال شابة واعدة ترتقي الى الصدارة الآن. وفق نزعة التواصل لدى جيل التأسيس في مرحلته الاولى (في الستينيات) أو الثانية «في السبعينيات» وهكذا بقي للاضافة والنوعية وانارة سبيل الوافدين على النادي نخبة الفضاء - امثال: رضوان الكوني - احمد ممو - محسن بن ضياف - التابعي الاخضر - عروسية النالوتي - نافلة ذهب - وغيرهم وابتعد الكثير بحكم كثرة المشاغل أو الابتعاد عن المقر.

كما ان مختلف الهزات السياسية التي توالت على البلاد (٢٦ يناير ١٩٧٨م) - أو (٣ يناير ١٩٨٤م) أو قبلهما (٥ يونية ١٩٦٧م) لم تنل من مسيرة هذا النادي الذي يواكب مسيرة التغيير الاجتماعية والسياسية والفكرية (بعد ٧ نوفمبر ٨٧) اي أنه يواصل نشاطه الادبي سواء داخل فضاء «الشابي» أو في الندوات الثقافية المتخصصة أو في المهرجانات المختلفة واضعا اسمه في الميزان ورصيده في الآن والمستقبل الجذلان!

القصة خارج نادي القصة:

بكل امانة يمكن القول بان ساحة هذا النادي قد اسهمت في تطور القصة التونسية خارج النادي بالذات.. اي من خلال مجلته (قصص) «٦٤/٩٤» والسلسلة القصصية التي صدرت، فعملية التواصل هنا تمثل في نظرنا افضل خارطة وسعت من رقعة الاهتمام بالقراءة والنقد في الاتجاهين السلبي والايجابي وبهذه الاستمرارية برزت وجوه واعدة في النادي نفسه ومن خارجه بلا شك .. مكملة لدوره - لا متأثرة به - التأثير التقليدي الجاف - وبذلك تنوعت الصورة وتباينت المناهج والتيارات بصورة اصبح



- الشيخ محمد بن عاشور

- محمد البشير الاراهيمي





- الشاذلي القليبي.

- محمد العروسى المطوى

الانتاج القصصي والروائي عندنا لا ينحصر عند - نادي القصة - فقط بل به واليه وحوله من شتى الاضافات النوعية الجيدة - سواء - مع رضوان الكوني في (رأس الدرب) أو حسن نصر في (دار الباشا) أو مع - د. محمود بلعيد في انتاجه الغزير وغير ذلك من الاسماء - امثال - يوسف عبد العاطي - مسعودة بو بكر - جنات اسماعيل - أو مع صلاح الدين بوجاه - وميهوب - وغيرهما من خارج نادي القصة.. اي أن صورة الانتاج اليوم مطروحة للبحث والاضافة النقدية لاكثر من نص وهي علامة صحية تواصلية عامة لها اكثر من دلالة معرفية أو تزيد!

اي مع جيل الالوان الجديدة - مع محمد الجابلي - ابراهيم الدرغوثي - ابراهيم بن سلطان - من عصارة الحصة الاذاعية الشهيرة (مع ادبائنا الناشئين) بادارة

الاستاذ الجليل المنجي الشعلي ـ أو حصيلة المهرجان الوطني لنفس الاتجاه بريادة دار الثقافة (الطيب المهيري) بحي الزهور بالعاصمة.. وغيره من المهرجانات والملتقيات التي تراهن على الغوص في عالم القصة والرواية!.

وتصر ـ الكاتبات ـ على نوعية الاضافة في الكتابة القصصية والروائية ـ مع عروسية النالوتي ـ فاطمة سليم ـ حفيظة قارة بيبان ـ الرايس ـ وغيرهن وذلك من منظور لا تحديد فيه لجنس على آخر.

على ان التجربة النقدية التي اقدم عليها بعض الجامعيين ـ امثال ـ توفيق بكار ـ محمد صالح القرماوي ـ محمد صالح بن عمر ـ وغيرهم قد خدمت الكتابة النصية الفنية تنوعت بها واليها القراءة ككتابة ثانية اضافة الى جهود ـ الاستاذ رشاد الحمزاوي الروائية والنقدية كذلك الاستاذ محمد الهادي المطوي الذي خصص تأليفا عن الرؤية النقدية عند محمد العروسي المطوي [٩]، وهو كتاب يستحق الذكر.

من القصة واليها:

لابد من الاشارة الى بعض رموز مرحلة التأسيس السالفة الذكر مع الاستاذ سمير العيادي الذي تحول الى ـ المسرح ـ انتاجا وتمثيلا واخراجاً وهو الكاتب الذي واصل النشاط التأسيسي للنادي ثم تخلى عنه لماماً. مفضلا طرق ابواب الشهرة في المسلسلات التلفزيونية والسينمائية ـ كما فضل ـ محمود التونسي ـ الاستاذ الرسام الاتجاه نحو الفن التشكيلي لاستيعاب اطروحات الفن والحياة اكثر من استيعابه ـ لصحن كفتاجي بالعظمة ـ كما ابدع ـ عز الدين المدني ـ في الفضاء المسرحي عبر عديد الاعمال التي جلبت له بصمات الطريق الطويل في عالم ـ الفن الرابع ـ كما ان الدكتور محمود بلعيد ـ المختص في طب الاسنان لم تمنعه وظيفته الحساسة من الكتابة المعمقة في القصة وما اليها مستندا الى الذاكرة الاجتماعية الغزيرة بالملامح والنبضات الشعبية التي ظلت تعيش معه الى الآن! كذلك الاستاذ احمد ممو ـ المختص في المياه يكتب القصة والنقد الفني كتابة جيدة كما لو كانت هذه القصة قناة من قنوات المياه التى تتفجر عطاء وثروة في: مكعبات الزجاج ـ وغيرها!

اما الدكتور عبد القادر بن الحاج نصر ـ الديبلوماسي بفرع الجامعة العربية بتونس الذي نال الجائزة التقديرية من سيادة رئيس الدولة قد فضل ان يتجاوز نصوصه المنشورة من (اولاد الحفيانة) و(الزيتون لا يموت) الى غيرهما من الاعمال الجديدة الروائية والتلفزية ـ بعد مسلسلة (الحصاد).. اما الاستاذ احمد الهرقام ـ زميله في نفس المحك الديبلوماسي العربي بفرع الجامعة العربية بتونس قد انقطعت صلته بالقصة وما اليها ـ على ما يبدو ـ رغم الاعتقاد بانه لا ينقطع عن الكتابة اطلاقا.. اما الاستاذ رضوان الكوني ـ المباشر الآن في الحقل التعليمي باحدى دول الخليج العربي الذي يعتبره «نادي القصة» سفيره المنتدب بغرض تمثيل القصة التونسية افضل تمثيل لدى الاخوة الاشقاء ولانه كاتب لا يمكن لقلمه ان يسكت أو يرتاح من هموم القصة وكلومها!.

لقد كان «نادي القصة» مدرسة بحق للألفة والتآلف، مع رحابة الصدر، والقدرة على تقبل وهضم الافكار المتباينة. وبهذا اعطى المثال في الاستمرارية والابتعاد عن التعسف الفكري وارتجال المواقف خاصة حين تفعل السياسة فعلتها بالكلمة الادبية! هذا الفضاء بقي يطرح شتى المسائل الفنية والنقدية بعيداً عن ـ

الفبركة - متمسكاً باللغة العربية ونقد القصة بالقصة ولا شيء غير ذلك! اذ يمكن للدارسين الكتابة الغزيرة عنه وعن اعماله ونشاط اعضائه في ضوء المخزون الخام الموضوع تحت الطلب منذ تأسيسه الى اليوم اذ على هذا الدرب يسير وفي آفاق التطوير والتحدي!

الخلاصة:

ان نادي القصة بتونس ينظر اليه كمكسب ثقافي هام، استوعب عديد الشرائح الفكرية والاجتماعية مبرزاً القصة التونسية عبر نشأتها وروادها في العصر الحديث، بقي يحافظ على رصيده، وموقعه المميز في الخارطة الثقافية الوطنية والقومية والعالمية من خلال ذكره في الموسوعات العلمية واعتماد نصوصه في المقاربة العلمية وتمشيه الرصين بين التراث والحداثة معانقا كل الاتجاهات والمدارس الفنية من التقليدية الى التجريبية دون استثناء باعتباره - ساحة تعبير حر - كما قال الكاتب السوداني الاستاذ الطيب صالح اثناء زيارته للنادي في بداية تأسيسه!

ان الاستاذ محمد العروسي المطوي رئيس هذا النادي قد نجح في ربطه لشرايين انتاجاته المختلفة عبر مجلة (قصص) ومشتقاتها بفضل الاعضاء الذين واكبوا حضور لقاءاته الاسبوعية والاعمال الابداعية المختلفة من محمود المسعدي، فرج الشاذلي خريف - الدوعاجي - العريبي - إلى: عز الدين المدني - محمود التونسي - عبد الواحد ابراهيم - احمد الهرقام - بن جنات - ابن مراد - الكوني - ممو - ڤيڤة - الفارسي - بن سلامة - حسن نصر - حياة بن الشيخ - عروسية الفالوتي - مسعودة بو بكر - يوسف عبد العاطي - الناصر التوي - التابعي الاخضر - وغيرهم وغيرهم. دون تحديد أو استثناء في انتظار قراءة اخرى للقصة التونسية - مع صلاح بو جاه - فرج لحوار - حسونة المصباحي - ابراهيم الدرغوثي - ابراهيم بن سلطان - وغيرهم ايضا مواصلة مع الجيل الجديد من اجل الابداع الرحب والمعاناة والحداثة.

الهوامش:

(١) جملة المحاضرات التي القاها الشيخ محمد الفاضل بن عاشور التي جمعت في الكتاب: نشر - الدار التونسية للنشر - تونس.

(٢) نالت تونس استقلالها في ٢٠ مارس ١٩٥٦.

(٣) كتاب القصة التونسية نشأتها وروادها د. صالح الجابري، تونس ١٩٨٢. القصة والرواية في تونس د. نور الدين بن بلقاسم ، تونس ، العربية للكتاب ١٩٨٩.

(٤) كتابه: الكتابة القصصية في تونس - خلال عشرين سنة - سلسلة قصص ١٩ تونس ١٩٩٣، تأليف الاستاذ رضوان الكوني، عضو نادي القصة بتونس.

(٥) تأسس - نادي القصة بتونس - بفضاء النادي الثقافي «ابو القاسم الشابي» يوم ١٠ اكتوبر ١٩٦٤ بالوردية تونس العاصمة.

(٦) تأسس النادي الثقافي - ابو القاسم الشابي يوم ١٧ يوليه ١٩٦٢.

(٧) الدار التونسية للنشر - تأسست في الستينيات بغية دعم الكتاب الثقافي.

(٨) عبر ملتقيات نادي القصة بالمركز الثقافي الدولي بمدينة الحمامات.

(٩) كتاب: الرؤية النقدية عند محمد العروسي المطوي، نشر دار الغرب الاسلامي - بيروت - اشراف النادي المطوي للتعارف والتعاون بتونس.

من مظاهر إعجاز الآيات الكونية في سورة البقرة

هذه الدراسة القرآنية البيانية وعنوانها: «من مظاهر إعجاز الآيات الكونية في سورة البقرة» عُملت تلبية لدعوة كريمة من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة للإسهام بكتابة بحث من أجل المؤتمر الذي عقد في شهر صفر عام ١٤٠٨هـ في إسلام أباد بالباكستان عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

ولما كنت بفضل الله تعالى قد انتهيت لتوّي من دراسة سورة البقرة الكريمة دراسة بيانية متأملة بعنوان: «تأملات في سورة البقرة» وقد استغرقت الدراسة ست سنوات بالتمام والكمال وغطت من الصفحات ألفين ومائة وخمسين صفحة، ولما كانت سورة البقرة قد عُنيت، من بين ما عُنيت به، آيات الله تعالى في الكون بقصد حمل الإنسان على استعمال عقله استعمالا صحيحاً بعبادة الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد الخالق البارىء المصوّر وحده جل وعلا لا شريك له، ولّما كانت تلك الآيات الكونية قد عُرضت في أسلوب القرآن الكريم المعجز، فقد وقع الاختيار على هذا الجانب للدراسة، وقد تمثل في آية كريمة واحدة ابتداء، إضافة الى موضعين آخرين متممين تجلي في **أولهما**: حديث سورة البقرة عن بعض الآيات الكونية بقصد الكشف عن خبايا نفوس المنافقين في المدينة المنورة، وتجلى في **آخرهما**: حديث السورة عن بعض الآيات الكونية بقصد الكشف عن حقائق قلوب بنى إسرائيل وكون هذه القلوب قاسية كالحجارة بل هي أشد قسوة من أقسى الحجارة وأصلب الصخور.

وهذا معناه أن ثمة ثلاثة مواضع من سورة البقرة أو ثلاثة أنواع من الآيات ستتناولها الدراسة. والحقيقة أن هذا الجانب بحاجة إلى تبيين بين يدي تعيين الآيات الكريمات ميدان الدراسة.

إن المتأمل لسورة البقرة الكريمة من زاوية حديثها عن الآيات الكونية، يصح أن يتبين أن هذه الآية الكريمة الثانية والعشرين من السورة الكريمة {**الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**} وأن الآية الكريمة التاسعة والعشرين من السورة الكريمة: {**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثمّ استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم**} وما شاكلهما من آيات كريمات يصح الاستئناس بها في سبيل تبيين المعانى وتعيين المرامى والكشف عن وجوه إعجاز النظم لأشمل آيات سورة البقرة الكريمة حديثاً عن الآيات الكونية وهي الآية الكريمة الرابعة والستون بعد المائة.

قال تعالى: {**إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**} ولأجل هذه الأسباب اتخذت الدراسة هذه الآية الأخيرة ميداناً لدراستها.

وفيما يتصل بانتفاع سورة البقرة الكريمة من الآيات الكونية في سبيل الكشف عن خفايا نفوس المنافقين فقد كانت آيتا



بقلم : أ.د. حسن محمد باجوده
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

المثل المائي ميداناً للدّراسة، وهما الآيتان الكريمتان التاسعة عشرة والعشرون. قال تعالى: {**أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذَر الموت والله محيط بالكافرين، يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا. ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم، إن الله على كل شيء قدير**}.

وفيما يتصل بانتفاع سورة البقرة الكريمة من الآيات الكونية في سبيل الكشف عن خبايا قلوب بني اسرائيل، فقد كانت هذه الآية الكريمة الرابعة والسبعون ميداناً للدراسة. قال تعالى: {**ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة. وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار. وإنّ منها لما يشقق فيخرج منه الماء. وإنّ منها لما يهبط من خشية الله. وما الله بغافل عما تعملون**}.

من مظاهر إعجاز الآية الكونية الرابعة والستين بعد المائة من سورة البقرة:

سبب النزول:

عن عطاء قال: نزل على النبي {صلى الله عليه وسلم} بالمدينة: {**وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**}[١] فقال كفّار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله تعالى ذكره: {**إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**}[٢] فبهذا يعلمون أنه إله واحد وأنه إله كل شيء وخالق كل شيء[٣].

هذه الآية الكريمة الرابعة والستون بعد المائة من سورة البقرة الكريمة تكاد تكون أشمل آيات السورة الكريمة حديثا عن آيات الله تعالى في الكون ونظماً بين حبّاتها في عقد وجمعاً بين فرائدها في نسق. كل ذلك بقصد حث عباد الله تعالى الذين أنعم الله تعالى عليهم بنعمة العقل أن يستعملوا هذه النعمة استعمالا صحيحاً بالانتفاع بها في موضعها واستعمالا في ميدانها لا أن تبدد في غير طائل أو تحمل فوق ما تطيق. وبشأن فرائد هذا العقد نستطيع أن نقول بشأن نظمها المعجز ورصفها المبدع إنّ كلّ حبّة تُسلم إلى أختها في تحوّل لطيف من أكبر الآيات إلى التي تليها وانتقال ظريف من الشيء إلى إلفه المتصل به المفضي إليه، بحيث إنّ هذا التدرّج المعجب والنسق المؤنق يفضيان بكل متأمل للآية الكريمة متدبر لها، إلى أن حبات معانيها لا يمكن أن تكون إلا في النسق الذى جاءت وفقه في الآية الكريمة.

ومن البيّن أنّ اسم إنّ مؤخر: «لآيات لقوم يعقلون» وأنّ خبرها مقدّم. وإنّ الخبر وما عطف عليه هو ميدان دراستنا لإعجاز الآية الكريمة، التى تلفت النظر الى ملكوت الله تعالى والتى تنبه إلى أن الله سبحانه وتعالى له الخلق والأمر وحده لا شريك له فينبغى إفراده جلّ وعلا بالعبادة.

روي أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: ويل لمن قرأ هذه الآية فمجّ بها أي لم يتفكر فيها ولم يعتبرها[٤]، والآية الكريمة تنص ابتداء على خلق السماوات والأرض: {**إنّ في خلق السماوات والأرض**} وإنما كان الابتداء بالسماوات والأرض لأنهما أكبر مخلوقات الله تعالى، وإنما تقدم ذكر السماوات على الأرض لأن السماء الواحدة أكبر من الأرض فكيف إذا كان ثمة سبع سماوات، وقد قال تعالى[٥]: {**لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون**}، وقال تعالى[٦]: {**والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون**} والأيد بمعنى القوّة. {**وإنّا لموسعون**} أي قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي[٧] وإنّ من العلماء المتأخرين من فهم من الآية الكريمة أنها تشير الى ما يعتبر حقيقة علمية من كون السماوات في اتساع وامتداد دائمين ونظرة العلماء المتأخرين لقوله تعالى: {**وإنّا لموسعون**} قائمة على آراء العلماء المتقدّمين ومبنية عليها.

ومعنى خلق الله سبحانه وتعالى السماوات والأرض والأشياء ابتداعه وإيجاده إياها بعد أن لم تكن موجودة[٨].

وبعد أن نصّت الآية الكريمة على السماوات

والأرض مقدمة الأكبر على الأصغر نصت على الليل والنهار باعتبار الظلمات والنور قادرين على ملء السماوات والأرض. قال تعالى: **{إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار}** وقيل في اختلاف الليل والنهار اختلافهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر. وقيل اختلافهما في الأوصاف من النور والظلمة والطول والقصر[٩] وذهب الطبري[١٠] الى أنّ معنى اختلاف الليل والنهار تعاقب الليل والنهار، بمعنى أنّ كل واحد منهما يخلف مكان صاحبه، إذا ذهب الليل جاء النهار بعده، وإذا ذهب النهار جاء الليل خلفه. وقدّم الليل على النهار باعتبار الليل هو السابق وجوداً ولأن الظلام هو الأصل. والقرآن الكريم في العديد من المواضع ومنها هذا الموضع قدّر أسبقية الليل على النهار وكونه أصلا، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الفرقان[١١]: **{وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكورا}** وقوله تعالى في سورة يس[١٢]: **{وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعُرْجُون القديم. لا الشمس ينبغي لها أن تُدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلّ في فلك يسبحون}** فالليل يذكر قبل النهار في موضعين اثنين. وقوله تعالى في سورة الإسراء[١٣]: **{وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربّكم ولتعلموا عدد السنين والحساب. وكل شيء فصلناه تفصيلا}**.

ومن أكبر الأدلة على كبر السماوات والأرض على الليل والنهار أن الكرة الأرضية وهي لا تقاس بضخامة السماوات إذا كان في أحد شقيها الليل كان في آخر شقيها النهار، فليس ثمّة في الأرض ليل مطلق ولا نهار مطلق. والنهار على ظاهر اللغة مأخوذ من السّعة، فهو من وقت الإسفار إذا اتسع[١٤] وهو الوقت الذى ينتشر فيه الضوء[١٥] وفي نظرة القرطبي الشرعية الى النهار يقول[١٦]: «والصحيح أن النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس» ويوافق الراغبُ الأصفهاني القرطبيَّ في هذه النظرة الشرعية للنهار[١٧].

وإنّ تحوّل سياق الآية الكريمة للحديث عن السفن، واستعمال لفظ الفلك بالذات دليلا على السفن، وذلك في القول: «والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس» وذلك عقب حديث الآية الكريمة عن الليل والنهار يلفت نظرنا، في مجال تبين قرينة التحول من الليل والنهار وكل في فلك يسبح إلى الفلك التي تسبح في البحر، يلفت نظرنا إلى حديث سورة يس عن آية الزّمان وقوامها الليل والنهار والشمس والقمر وتقرير السّياق أن كلا في فلك يسبحون، واتخاذ السياق من النص على عملية السباحة قرينة من أجل تحوّل السياق من الحديث عن آية الزمان إلى الحديث عن آية حمل الإنسان فوق الماء. قال تعالى[١٨]: **{وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون. والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون. وآية لهم أنّا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون}**، واللطيف في الأمر أن لفظة الفلك هي التى تطلق على السفن وذلك على غرار آية سورة البقرة. إنّ كلا من الليل والنهار والشمس والقمر يسبح في الفضاء بإرادة الله تعالى، وإن الفلك تسبح في الماء بإرادة الله تعالى. وإنّ المعنى الذي يدور حوله الأصل اللغوي «فلك» هو الدوران. ففلك السماء الذى تدور عليه النجوم. وفلكت الجارية استدار ثديها. ومنه فلكة المغزل[١٩]، وفلكت الجارية: استدار نهدها[٢٠] وسميت السفينة فلكا لأنها تدور بالماء أسهل دور[٢١] والفلك: السفن. وإفراده وجمعه بلفظ واحد ويذكّر ويؤنّث[٢٢] والفلك المفرد مذكر. قال الله تعالى: **{في الفلك المشحون}** فجاء به مذكراً. وقال: **{والفُلك التي تجرى في البحر}**، فأنّث. ويحتمل واحداً وجمعاً. وقال[٢٣]: **{حتى إذا كنتم في الفلك وجَرَيْنَ بهم}**، فجمع. فكأنه يذهب بها إذا كانت واحدة إلى المركب فيذكّر، وإلى السفينة فيؤنّث[٢٤].

يقول ابن فارس[٢٥]: «الفاء واللام والكاف أصل صحيح يدلّ على استدارة في شيء. ومن ذلك فَلْكة المغزل بفتح الفاء، سميت لاستدارتها، ولذلك قيل: فلّك ثدي المرأة إذا استدار.

ومن هذا القياس فلك السماء.. وأما السفينة

فتسمى فُلكاً. ويقال إن الواحد والجمع في هذا الاسم سواء. ولعلها تسمى فُلكاً لأنها تدار في الماء» ويقول الرّاغب[٢٦]: «والفلك مجرى الكواكب وتسميته بذلك لكونه كالفلك، قال: **{وكلٌ في فلك يسبحون}** وجاء في سورة الأنبياء[٢٧] قوله تعالى: **{وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كلٌ في فلك يسبحون}**.

ومن البيّن أنّ الحديث عن البحر هنا من زاوية كبرى منافعه وهي جري السفن فيه بما ينفع الناس وقد جاء في سورة الروم[٢٨] قوله تعالى: **{ومن آياته أن يرسل الرّياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون}** وجاء في سورة الجاثية[٢٩]: قوله تعالى: **{الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون. وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه. إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون}** ومما هو معمق لمعنى النفع في القول: **{والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس}** لفظ فلك الذى فهمنا منه إفادته سهولة دوران السفينة في الماء ومن باب أولى ما يقل عن الدوران، وجملة تجرى التى يفهم منها جريان السفن التى تشبه الجبال ضخامة ومن باب أولى ما يقل عن الجري حركة حتى ينتهي الأمر إلى مرحلة المشي ببطء فالوقوف فوق الماء بإرادة الله تعالى ذلك الماء الذى لا يقوى على الإمساك بأصغر حجر عن الاستقرار في قاعه! ولفظ البحر الذى يفيد كثرة الماء واتساعه فبإرادة الله تعالى مهما كان الماء عميقاً غوره واسعاً مداه فإنّ السفينة تمخر عبابه.

والحقيقة أن لفظ البحر الذى يفيد صفة السعة في المكان والجمع الكثير للماء[٣٠] يصرف الانتباه بدرجة أكبر الى الماء الملح الأجاج، خاصة وأن الماء الملح الأجاج مصدر الماء العذب الفرات بإرادة الله تعالى، وفي الوقت ذاته يتسع لفظ البحر كي يشمل الماء العذب الفرات الواسع الكثير المتمثل أساساً في الأنهار والبحيرات التى تجرى فيها السفن.

وإن عجيبة جري السفن كالأعلام الموفرة بالأثقال فوق الماء الذى يعجز عن منع أصغر حصاة من الاستقرار في قاعه تستأثر بهذه الحيثية أو الزيادة: «بما ينفع الناس» بقصد التنبيه إلى نعمة الله تعالى على الناس بتسخير السماوات والأرض وما فيهن للناس. وإنّ الحديث أساساً عن الماء الملح الأجاج الذى يحمل السفن والذى يشاركه بالتبعية في هذه المهمة الماء العذب الفرات مرشح قوي لتحوّل السياق إلى الحديث عن الماء العذب الفرات النازل من السماء إلى الأرض اللتين كانتا أولى حبات عقد هذه النعم المادية والآلاء المحسوسة. قال تعالى: **{وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كلّ دابة}**.

إنّ حديث الجزئية الكريمة عن الماء يشير إلى مصدره: **{وما أنزل الله من السماء من ماء}** إنّ الماء ينزل بإرادة الله تعالى من السماء أو السحاب بعد تكثف البخار وتحوّله ماء، وبذلك يعود الماء الملح الأجاج، المصدر الأول للبخار أو السحاب، ماء، ولكنه هذه المرة بعود ماء عذباً فراتاً يتدفق أنهارا، أو يتفجر ينابيع، أو يستقرّ آباراً وما إلى ذلك.

ومع أنّ الماء النازل من السماء يصح أن ينزل على الماء الملح الأجاج الذى يشكل أكثر أجزاء الكرة الأرضية، كما يصح أن ينزل على اليابسة، فإنّ السّباق يولي اليابسة بالحديث ويعطيها حظها بعد أن أخذ الجانب المائي من الأرض حظه. وتمشياً مع تحقيق النفع للخلائق، وتقرير التسخير يكون النص على أهمّ أثرين بارزين للماء النازل من السماء وهما إحياء الأرض الميتة ونشر الخلائق في أنحاء اليابسة، باعتبار اليابسة المكان الرئيسي لحياة الإنسان: {فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابة}.

ونستطيع أن نفهم القول: «فأحيا به الأرض بعد موتها» في ضوء قوله تعالى في سورة الروم[٣١]: **{الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون. وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين. فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها. إنّ ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير}** كما أننا نستطيع أن نفهم القول: **{وبث فيها من كل دابة}** بمعنى ونشر في الأرض من كل دابة في ضوء قوله تعالى من سورة النور[٣٢]: **{والله خلق كل دابة**

من ماء. فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع. يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير} وبناء على ذلك يكون القول: **{وبثّ فيها من كل دابة}** شاملا لجنس الإنسان وجنس الحيوان، وقد قال تعالى[٣٣]: **{وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ أفلا يؤمنون}** وهكذا يتبين أنه من متممات الحديث عن الماء الحديث عن الدّواب على الأرض وهي قد خلقت من الماء وتحيا بالماء.

وتتحدث الآية الكريمة بعد ذلك عن آيتين ماديتين أخيرتين هما تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض. قال تعالى: **{وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض}**.

وبالنظر إلى آية تصريف الرياح يتبين أن السياق قد اقتضى من قبل أن يتم الحديث عن النوعين من الماء، الماء الملح والماء العذب، فثمة ذكر للأصل وهو الماء الملح وللفرع وهو الماء العذب.

وبالنظر الى عمل الرّياح المتعلق بآيتي السحاب والماء نستطيع أن نرتب الآيات الثلاث المادّية على النحو التالي: تثير الرياح السحاب وتزجيه بمعنى أنها تسوقه برفق وتلقحه فينزل الماء. يحدث كل ذلك بإرادة الله تعالى. وحينما تكون الآية الكريمة قد قدّمت الحديث عن نزول الماء العذب الفرات من السحاب بسبب وجود القرينة الحاملة على هذا التقديم وهو ذكر الماء الملح مصدر الماء العذب الفرات، يكون معنى ذلك أنه بقي لدينا في ضوء ترتيب هذه الآيات الثلاث آيتان هما الرّياح والسّحاب، وترتيبهما على النحو المذكور في الآية الكريمة.

وتصريف الرّياح للسحاب بمعنى إثارة الرّيح للسحاب فبسطه في السماء فجعله كسفاً أي قطعاً متفرقة فترى المطر يخرج من خلاله، وبمعنى إزجاء الريح السحاب فالتأليف بينه بضم بعضه إلى بعض فجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة، فجعله ركاماً، أي بعضه فوق بعض، فترى الودق يخرج من خلاله كذلك. والآية الكريمة في تقديمها تصريف الرّياح على السحاب تنبه إلى الترتيب لهذه الآيات الثلاث المترابطة، الرّياح، السحاب، المطر.

واللطيف في الأمر أن آية الرّياح قد صرفها جلّ وعلا عن الشر والضر إلى الخير والنفع الخالصين وذلك بذكر صيغة الجمع «الرياح» وليس صيغة المفرد «ريح» وبذلك تكون صيغة الجمع قوّة للنفع المقصود المنصوص عليه بشأن الفلك التى تجرى في البحر. وتصريف الرياح هو صرفها من حال الى حال[٣٤]، والرياح جمع ريح جمع تكسير[٣٥]، وتصريف الرياح إرسالها عقيماً وملقحة وصراً ونصراً وهلاكاً وحارّة وباردة ولينة وعاصفة.

وقيل: تصريفها إرسالها جنوباً وشمالا ودبوراً وصباً ونكباء، وهي التى تأتى بين مهبي ريحين[٣٦]، وجاءت في القرآن الكريم مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب إلا في يونس في قوله: وجرين لهم بريح طيبة. وفي الحديث: اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً. قال ابن عطية: لأن ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء كأنها جسم واحد. وريح الرحمة لينة متقطعة فلذلك هي رياح[٣٧].

وآخر الآيات المادية في الآية الكريمة السحاب المسخر بين السماء والأرض: **{والسحاب المسخر بين السماء والأرض}** وبذلك يتم تقرير حقيقتين مهمتين في حق السحاب، هما كون السحاب مسخراً وكونه بين السماء والأرض. وبالنظر إلى لفظ السحاب بالذات بالقياس الى غيره من الألفاظ كالغمام والرّباب وما إليهما وما قيل في سبب تسميته: «إما لجرّ الريح له، أو لجرّه الماء، أو لانجراره في كل مرة»[٣٨]، وانسحابه في الهواء، بالنظر الى لفظ السحاب يفهم حركة السحاب المقدرة المضبوطة الأقرب الى البطء كي يتحقق بالسحاب نفع البلاد والعباد.

إنّ السحاب مسخر، أي مذلل[٣٩] هذه هي الصفة الأولى. إنه حينما تبدو قطعة من السحاب تركض في السماء فمن منّا الذى لا يتبين حركتها واتجاهها، إقبالها وإدبارها، تجمعها وتفرّقها، وفاءها أو إخلافها، يحدث كلّ ذلك بإرادة الله تعالى وحده لا شريك له.

ويبدو هذا التسخير أشد وضوحاً حينما نتأمل الحقيقة التالية المتعلقة بالسحاب وهي كونه بين السماء والأرض. إنّ هذا السحاب يخيل للناظر أنه لا شيء أخف منه، ولهذا يضرب المثل بمرّ السحاب في حق

الأشياء التى تمرّ سريعاً. ولكن هذا السحاب حينما يكون ثقيلا موفراً بالماء هو يحمل من كميات الماء الهائلة الحجم والثقل مالا يدرك حقيقته إلا الله تعالى، وقد قال عزّ من قائل[٤٠]: {**هو الذى يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشىء السحاب الثقال**} وبهذا يتبين المعنى الحقيقي لمعنى التسخير وللقول: {**والسحاب المسخر بين السماء والأرض**}.

إنّ السحاب شأنه شأن السماوات والأرض معلق في السماء بيد القدرة الإلهية، فليس ثمة الدعامة التي تدفع ولا العلاقة التي ترفع. وإنّ هذا السحاب الثقال منه وغير الثقال، رهين تصريف الرّياح له بإرادة الله تعالى الواحد القهار الفعّال لما يريد. وإنّ السحاب الذى يستطيع بإرادة الله تعالى أن يحمل تلك الكمية الثقيلة من الماء، لا يستطيع بإرادة الله تعالى أن يحتفظ في أثنائه ويستبقي في أحشائه أصغر حجر تلقيه عليه، شأنه في ذلك شأن الماء الذى تجرى فيه الجوارى كالجبال الشامخات ويعجز عن منع أصغر حجر من الاستقرار في قاعه.

وختمت الآية الكريمة بالقول: {لآيات لقوم يعقلون} روي أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «ويل لمن قرأ هذه الآية فمجّ بها أي لم يتفكر فيها ولم يعتبرها[٤١]، وهذا الموضع الذى يشاد فيه بالعقل واحد من بين أكثر من أربعين موضعاً في القرآن يذكر فيها العقل مقروناً بالتبجيل والتكريم [٤٢].

للدراسة صلة

الهوامش:

(١) الآية ١٦٣ من سورة البقرة.
(٢) الآية ١٦٤ من سورة البقرة.
(٣) انظر تفسير الطبري ٣٧/٢ وتفسير القرطبي ٥٧٢ وتفسير ابن كثير ٢٠٢/١ والبحر المحيط ٤٦٤/١.
(٤) تفسير القرطبي ٥٨١.
(٥) سورة غافر / ٥٧.
(٦) سورة الذاريات/ ٤٧.
(٧) انظر تفسير ابن كثير ٢٣٧/٤.
(٨) تفسير الطبري ٣٨/٢.
(٩) انظر تفسير القرطبي ٥٧٢.
(١٠) تفسير الطبري ٣٨/٢.
(١١) الآية ٦٢.
(١٢) الآيات/ ٣٧ ـ ٤٠.
(١٣) الآية/ ١٢.
(١٤) تفسير القرطبي ٥٧٤ وانظر معجم مقاييس اللغة «نهر» ٣٦٢/٥.
(١٥) مفردات الراغب الأصفهاني ٥٠٧.
(١٦) تفسير القرطبي ٥٧٣.
(١٧) مفردات الراغب الأصفهاني ٥٠٧.
(١٨) سورة يس ٣٧ ـ ٤١.
(١٩) تفسير القرطبي ٥٧٤ والبحر المحيط ٤٥٥/١.
(٢٠) البحر المحيط ٤٥٥/١.
(٢١) تفسير القرطبي ٥٧٤.
(٢٢) تفسير القرطبي ٥٧٤.
(٢٣) سورة يونس/ ٢٢.
(٢٤) تفسير القرطبي ٥٧٤.
(٢٥) معجم مقاييس اللغة ٤٥٢/٤.
(٢٦) مفردات الراغب الأصفهاني ٣٨٥.
(٢٧) الآية/ ٣٣.
(٢٨) الآية ٤٦.
(٢٩) الآية ١٢، ١٣.
(٣٠) مفردات الراغب الأصفهاني ٣٧.
(٣١) الآيات/ ٤٨ ـ ٥٠.
(٣٢) الآية/ ٤٥.
(٣٣) سورة الأنبياء/ ٣٠.
(٣٤) مفردات الراغب الأصفهاني ٢٧٩.
(٣٥) البحر المحيط ٤٥٥/١.
(٣٦) تفسير القرطبي ٥٧٧.
(٣٧) البحر المحيط ٤٦٧/١.
(٣٨) مفردات الراغب الأصفهاني ٢٢٥.
(٣٩) تفسير القرطبي ٥٨٠.
(٤٠) سورة الرعد/ ١٢.
(٤١) تفسير القرطبي ٥٨١.
(٤٢) الله في العقيدة الإسلامية للشهيد حسن البنا ص ١٢.

مفهوم «لدن» في القرآن العظيم

لما كان القرآن العظيم هو كتاب منزل من الله عز وجل، ولما كان هذا الكتاب الكريم الذي أنزله العزيز الحكيم على عبده وخاتم النبيين سيدنا محمد **{صلى الله عليه وسلم}** هو خاتم كتبه سبحانه وتعالى، فلابد أن يكون كتابا ليس كمثله كتاب. فلقد ميزت إلهية مصدر القرآن العظيم هذا الكتاب الكريم عن كل كتاب غير الهي فجعلته كتابا عصيا عن أن يأتي بمثله أحد: **{أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين}** (يونس/ ٣٨)، سواء كان هذا الاحد من الانس أو الجن أو معشر الانس والجن كل مجتمعين: **{قل لئن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا}** (الاسراء/ ٨٨)، وأما حقيقة كون القرآن العظيم آخر كتبه سبحانه وتعالى فقد جعلت منه كتابا لا تنتهي معجزاته الى يوم القيامة وكانت سببا لتفرد هذا الكتاب الكريم حتى عن ما سبقه من الكتب الالهية.

من بين الصفات الاعجازية لهذا الكتاب العزيز هو أنه كتاب لكل سورة ولكل آية ولكل كلمة فيه سر ومعنى. وهذا امر يمكن استبيانه من قول الواحد الاحد في وصف كتابه الكريم: **{ألر كتابٌ أحكمت آياته ثم فُصلتْ من لدُن حكيم خبير}** (هود/١). بل وينطبق هذا الوصف على كلّ حرف في القرآن العظيم، حيث جعل الله عز وجل وراء نزول كل حرف من حروفه قصدا وحكمة. ودليل هذا هو الكتاب العزيز نفسه الذي فيه آيات كريمة تتكون كل منها من حروف فقط الله اعلم بمغزاها، وهي الآيات التي تبدأ بها بعض السور، كسورتي البقرة وآل عمران اللتين تبدأ كل منهما بالآية الكريمة: **{ألم}**، وسورة الاعراف التي بدأها عز وجل بالآية الكريمة: **{ألمص}**، وسورة مريم التي أولى آياتها قوله الحكيم: **{كهيعص}**، وغيرها من السور الكريمة.

من الواضح إذاً أن وراء نزول كل حرف من هذه الحروف التي تمثل آياتٍ من آيات الكتاب الكريم سراً الهياً مثلما هو الامر وراء نزول كل كلمة وآية وسورة. وهذه الحقيقة يجب ان تجعلنا نعي اكثر القدسية الواجب ان نتعامل من خلالها مع كتاب الله العزيز وان ندرس هذا الكتاب الكريم من خلال ايمان ووعي بأن الله عز وجل قد بث حكمته في كل مواضعه.

إن هذه المقدمة المختصرة هي تمهيد لمحاولة دراسة المعنى القرآني لكلمة «لدن» التي ورد ذكرها في العديد من آيات الكتاب العزيز.

ذكر الله عز وجل كلمة «لدُن» ثماني عشرة مرة في سبع عشرة آية كريمة من آيات القرآن العظيم. وجاءت هذه الكلمة مسبوقة في كل مرة بحرف الجر «من»، وكما في الآيات الكريمة التالية التي نوردها على سبيل المثال: **{ربَّنا لا تُزغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب}** (آل عمران/٨)، **{إنَّ الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنهُ أجراً عظيماً}** (النساء/٤٠)، **{وقل رب أدخلني مُدْخل صدْق**

بقلم: د. لؤى فتوحى
برمنغهام ـ المملكة المتحدة

وأخرجني مُخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً} (الاسراء/٨٠).

لو نظرنا الى المعجم لوجدنا بأن كلمة «عند» تعرف على انها «اسم لمكان الحضور ولزمان الحضور، ولا تقع الا ظرفا أو مجرورة بمن فقط»، بينما تعرَّف كلمة «لدُن» على انها «ظرف زماني ومكاني بمعنى عند الا انه اقرب مكانا وأخص. وهو مبني ويجوز جره بمنْ وهو كثير فيه». من الواضح أن هنالك تشابها كبيرا في المعنى بين كلمة «لدُن» وكلمة «عند»، الا ان من الواضح ايضا أن هنالك اختلافا دقيقا بينهما. إن استعمال البشر لكلمة «لدُن» ليس شائعا شيوع استعمالهم لكلمة «عند»، الا انه عند استخدام كلمة «لدُن» فإنها تستخدم بنفس معنى، وفي نفس سياق استخدام كلمة «عند»، أي ان الكاتب من البشر يركز على التشابه الكبير في المعنى بين كلمة «لدُن» وكلمة «عند» ويهمل اختلافهما الدقيق بحيث تظهر الكلمتان في كتابات البشر ككلمتين مترادفتين مستخدمتين من دون تمييز، الا ان التشابه الكبير والواضح في المعنى بين هاتين الكلمتين والاستعمال البشري لهما كمترادفتين يجب ان لا يدفعنا الى الاستنتاج خطأً بأن لهما نفس المعنى ايضا في كتاب الله العزيز، القرآن العظيم. إذ ذكرنا في البدء بأن الله عز وجل اختار كل حرف وكلمة في القرآن بحكمته وان وراء كل منها سراً إلهياً **{ألر، كتابٌ أحكمت آياتُهُ ثم فُصلّتْ من لدُن حكيم خبير}**. لذلك، لا يجوز لأي كان ان يغير كلمة «لدن» في آية كريمة ما بكلمة «عند» كما لا يجوز العكس كذلك. لذلك يجب الاستنتاج بأن الله يريد بكلمة «لدُن» معنى خاصا يختلف عن المعنى العام الذي يريده باستخدام كلمة «عند»، على الرغم من تشابههما الكبير.

فما هي هذه الخصوصية التي تتميز بها كلمة «لدن» عن كلمة «عند» في السياق القرآني؟.

لقد كشف لنا الله عز وجل المعنى الخاص الذي ميز به كلمة «لدُن» في القرآن العظيم في احدى الآيات الكريمة التي وردت فيها هذه الكلمة والتي نذكرها هنا مع الآية الكريمة التي تسبقها لتوضيح المعنى: **{وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين * لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتَّخذناه من لدُنا إن كنا فاعلين}** (الانبياء/ ١٦ ـ ١٧).

إن الله عز وجل يخبرنا في الآية الكريمة الاولى بأن خلقه للسماء والارض وكل ما بينهما ليس عبثا بالباطل وانما خلقا بالحق، حيث خلق الله عز وجل كل شيء بحكمته الالهية وجعل لكل ما خلق من سماء وأرض وما بينهما هدفا لا يستطيع عنه حيودا وهو السعي الى يوم القيامة: **{أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مُسمّى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون}** (الروم/٨)، **{وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار}** (ص/٢٧) **{ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون}** (الأحقاف/٣). ففي يوم القيامة يتغير الخلق الى خلق آخر: **{يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهّار}** (ابراهيم/ ٤٨).

من الواضح أن الله سبحانه وتعالى يشير بتعبير **{السماء والأرض وما بينهما}** في الآية الكريمة الاولى من سورة الانبياء اعلاه الى «كل الخلق». أما في الآية الكريمة الثانية فإنه عز وجل يقول ما معناه بأنه لو اراد ان يتخذ لهواً، سبحانه وتعالى عن ذلك، فإنه كان سيتخذ ذلك من «لدُنه» لا من «السماء والارض وما بينهما». والآن، اذا كان تعبير «السماء والارض وما بينهما» يشير الى «كل الخلق»، فإن تعبير **{من لدُنا}** لابد وان يكون مشيرا الى «الذات الالهية» نفسها. إذ قبل خلق «السما.

والارض وما بينهما» لم يكن من موجود سوى الله الازلي والاول قبل كل شيء: **{هو الأول والآخر والظاهر والباطن}** (الحديد/٣)، ومن دون خلق «السماء والارض وما بينهما» ما كان سيكون هنالك موجود آخر سوى الله الاول الصمد. إذاً فإن الله سبحانه وتعالى يعلمنا في آيتي سورة الانبياء أعلاه بأن ظن الكفر بأنه خلق «السماء والارض وما بينهما» لهواً هو ظن ضال بدلالة ان لو كان يريد لهوا، سبحانه وتعالى عن ذلك، فإنه ما كان سيحتاج خلق شيء وانما لاتخذ اللهو «من لدُنه»، اي من ذاته الالهية.

يتبين مما تتقدم ان الله يميز كلمة «لدُن» في القرآن الكريم عن كلمة «من عند» باستخدامه الاولى للاشارة الى ما هو قريب جدا منه، بينما يستخدم الثانية بشكل اكثر عمومية. اي ان كلمة «لدُن» المنسوبة الى الله تشير الى الخاص الذي يأتي من الله مباشرة، فإذا كان الموصوف رحمة فهي رحمة من لدُن الله مباشرة وان كان علما فهو علم من لدُن الله مباشرة وهكذا. وعلى سبيل المثال فإن الله يصف القرآن العظيم بقوله الكريم: **{ألر كتابٌ أحكمت آياته ثم فُصلت من لدُن حكيم خبير}**، ولذلك فإن القرآن العظيم هو من علوم الله اللدنية التي ليس لمخلوق ان يتوصل اليها: **{قل لئن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا}** (الإسراء/ ٨٨). ففي الثمان عشرة مرة التي وردت فيها كلمة «لدُن» في القرآن العظيم لا نجدها منسوبة الى غير الذات الالهية سوى في مرة واحدة فقط، وفي هذه المرة الوحيدة لم يكن الله عز وجل هو المستخدم المباشر لهذه الكلمة في الاشارة الى احد من خلقه وانما جاءت على لسان سيدنا موسى في خطابه للخضر عليهما السلام: **{قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدُنّي عُذرا}** (الكهف/ ٧٦).

أما كلمة «عند» الواردة في تعبير «من عند» فإن استخدامها في القرآن العظيم غير محصور في الاشارة الى ما هو «من عند الله» وكما في الآيتين الكريمتين اللتين هما خطاب مباشر من الله عز وجل وليس على لسان أحد من خلقه: **{ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير}** (البقرة/ ١٠٩)، **{أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنىَّ هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير}** (آل عمران/ ١٦٥).

إن من الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمة «لدُن» والتي توضح الدلالات القرآنية الخاصة لهذه الكلمة هي دعاء زكريا عليه السلام أن يرزقه الله عز وجل بذرية. فعندما علم سيدنا زكريا بالطعام الذي كان يأتي مريم عليها السلام «من عند الله» سأل الله عز وجل بذرية كما رزق مريم طعاما، وطلب ذلك «من لدُنه»: **{فتقبلها ربّها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب * هنالك دعا زكريا ربَّه قال ربِّ هب لي من لدُنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء}** (آل عمران/ ٣٧ ـ ٣٨)، **{قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقياً * وإني خفتُ الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا}** (مريم/ ٤ ـ ٥). فاستجاب الله سبحانه وتعالى بمعجزة وأتاه يحيى عليه السلام: **{فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين}** (آل عمران/ ٣٩)، **{يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبلُ سميا}** (مريم/ ٧).

ونجد بأن الله عز وجل يؤكد الحقيقة «اللدُنية»

لولادة يحيى عليه السلام بإشارته الى الحنان الذي آتاه يحيى «من لدنه»: {**يا يحيى خذ الكتاب بقوة وأتيناه الحكم صبياً * وحناناً من لدُنا وزكاة وكان تقياً**} (مريم/ ١٢ ـ ١٣). فزكريا طلب ولدا «من لدُن» الله سبحانه وتعالى الذي استجاب لدعاء عبده واتاه يحيى «من لدُنه»، اي بتدخل مباشر اعجازي من قبله لتيسير حمل الزوجة العاقر من زوجها المُسن زكريا والذي ما كان ليقع لولا التدخل الالهي.

ومن الآيات الكريمة التي تلقي ضوءا على معنى كلمة «لدُن» القرآنية هي الآيات الكريمة التي تصف لقاء موسى والخضر عليهما السلام. فقد جاء في الحديث الشريف بأن موسى عليه السلام قام يوما خطيبا في قومه فسُئل «أي الناس أعلم؟» فأجاب «أنا» فعتب الله عز وجل عليه لأنه لم يرد العلم اليه وامره بالذهاب في رحلة لمقابلة عالم اعلم منه سيرسله الله عز وجل ليلتقيه في طريقه. وصف الله سبحانه وتعالى هذا العالم، وهو الخضر عليه السلام، بقوله: {**عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدُنا علماً**} (من الكهف/ ٦٥). وهذا العلم اللدني هو من العلوم التي لا يؤتيها الله عز وجل الا لمن اصطفى من عباده. حين قابل موسى الخضر عليهما السلام طلب منه أن يرافقه قائلا له: {**هل أتبعك على أن تُعلمن مما عُلمت رُشدا**} (الكهف/ ٦٦)، الا ان الخضر عليه السلام كان يعرف مسبقا بفضل علمه اللدني بأن موسى عليه السلام ما كان ليستطيع مرافقته فقال له: {**إنك لن تستطيع معي صبرا * وكيف تصبرُ على ما لم تحط به خبرا**} (الكهف/ ٦٧ ـ ٦٨). لكن موسى عليه السلام اراد مع ذلك ان يرافقه ووعده بانه لن يعترض عليه {**قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمرا**} (الكهف/ ٦٩).

اثناء مصاحبتهما لم يستطع موسى عليه السلام ان يمنع نفسه من الاعتراض على ثلاثة افعال قام بها الخضر عليه السلام، رغم انه كان قد وعده بأن لا يعترض. إذ خرق الخضر عليه السلام، من دون أي سبب ظاهر، سفينة كان اهلها قد قبلوا ان يركبوهما معهم من غير أجر، ثم قتل غلاماً دون سبب ظاهر، واخيرا بنى من غير ان يأخذ اجرا جدارا كان يريد ان ينقض في قرية رفض اهلها ان يضيفوهما. بعد ان اعترض موسى للمرة الثالثة قرر الخضر عليه السلام ان قد حان وقت فراقهما وفسر له ما لم يستطع ان يفهمه من افعال: {**أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً * وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا * فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحماً * وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري**} (الكهف/ ٧٩ ـ ٨٢).

تلقي هذه الآيات الكريمة الضوء على تعبير «من لدُن»، حيث نجد طبيعة العلم اللدُني الذي آتاه الله عز وجل الخضر عليه السلام، وهو علم مكن هذا العبد الصالح أن يدرك من الامور ما لم يفهمه حتى نبي من أولي العزم كان قد آتاه الله حكما وعلما، هو موسى عليه السلام.

إن تمييز الله عز وجل في كتابه العزيز بشكل دقيق بين كلمات تبدو للوهلة الاولى متشابهة في المعنى مثل «لدُن» و«عند» انما هو مظهر آخر من مظاهر إعجاز القران العظيم، وهو بعد تذكرة أخرى بالقدسية التي يجب أن نحملها لهذا الكتاب العظيم الذي جعله الله عز وجل كنزا زاخرا بالاسرار، وبالاحترام والتبجيل اللذين يجب ان نتعامل من خلالهما مع كتاب الله العزيز.

القصص النبوي | عن الجنة ونعيمها

وأحب أن أذكر القارىء الكريم بما قلته في بداية الكتابة عن القصص النبوي: (بأن القصص النبوي أوسع وأشمل من القصص الحديث، لاتساع أنماط الكتابة، وتحررها من القيود التي وضعها النقاد مجلوبة من الشرق والغرب، مما تأباه الموهبة والفطرة السليمة، بالإضافة إلى أن القصص النبوي يتوخى الحق والخير والفضيلة في المقام الأول، ولا ينشد التسلية والسمر، وقطع الوقت فيما لا يفيد، وإنما القصص النبوي لإتمام مكارم الأخلاق، وفي النهاية هو من صميم رسالته [صلى الله عليه وسلم] وهو قصص يتلاءم مع فطرة الإنسان وتقويم هذه الفطرة وإصلاحها، ويرسم المنهج السوى لما يجب أن يكون عليه بناء القصة، حيث يتسع هذا المجال، ولا يوضع في قوالب ضيقة.. مما هو ظاهر في الفروق بينه وبين فنون القصة الحديثة) وقلت: (ولا يصح أن نخضع كلام من لا ينطق عن الهوى، لمقاييس اخترعها بشر من خلال رؤيتهم وما راق لهم، وهي قابلة للتغيير والتبديل من وقت لآخر، وتختلف من إنسان لإنسان، ومن أدب لأدب، فالقصص - عموما - له تأثيره وبيانه في النفوس، ويصل إلى أغراضه دون النظر إلى تلك الوسائل التي اصطلح عليها أرباب هذا الفن، أو خيال وفكر الكاتب. ونحن نؤمن بأن السنة النبوية هي نتاج قول النبي [صلى الله عليه وسلم]: (أدبني ربي فأحسن تأديبي).

ومسألة الخيال والمجاز والصور الأدبية في مجال هذا القصص مستبعدة لأنها في كثير من الأحيان تتحدث عن أمور غيبية وأمور من السمعيات، كالجنة والنار والملائكة وذلك مما يفسر ويبين الوحي القرآني، وما ينبغي لرسول من الرسل أن يتقول على الله تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين).

ومع ذلك البيان والتوضيح نحاول أن ندرس القصص النبوي في ضوء ما تعطيه مفاهيم اللغة وأساليبها العربية التي هي مجال الإعجاز والتفوق بين الناطقين بها.

المضمون:

يتضمن القصص النبوي عن الجنة حلقات من المعاني يسلم بعضها إلى بعض مما يجعلها تكون رواية من أكبر الروايات تنبثق أحداثها من الحياة الدنيا الفانية إلى الآخرة الأبدية الخالدة.

وتبدأ ملحمة رواية الجنة ونعيمها بالدعوة إلى الجنة بتصوير رائع، هو في الحقيقة واقعي، ولكي يصل إليها العبد، عليه باتباع الداعي وإجابته، فإذا ما أجاب الداعي دخل الدار، فإذا دخل الدار أكل من المأدبة ورضي عنه سيدها: (والله السيد، والدار الإسلام، والمأدبة الجنة، والداعي محمد [صلى الله عليه وسلم]) و(من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة) و(يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام) و(اثنتان من وقاه الله شرهما دخل الجنة؛ ما بين لحييه، وما بين رجليه)



بقلم: أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
- مصر -

و(اضمنوا لي ست خصال أضمن لكم الجنة).

وبعد هذا التشويق بالدعوة إلى الجنة تأتى حلقة تصف الجنة، ولا يمكن لوصف يحيط بها، وإنما تقرب حقيقتها الى الناس (يقول الله - عز وجل - أعددت لعبادى الصالحين: مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر) ثم قرأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قُرّة أعين) و(هي - ورب الكعبة - نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة) و(لبنة من فضة ولبنة من ذهب، بلاطها المسك الأزفر.. من دخلها لا ييأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم).

وفي حلقة تالية يتحدث عن أسماء الجنة وعددها وأنواعها، فمن أسمائها الجنة، ودار السلام، ودار الخلد، ودار المقامة، وجنة المأوى، وجنات عدن، ودار الحيوان، والفردوس، وجنات النعيم، إلى غير ذلك. وأعلاها الفردوس ومنها تفجر الأنهار الأربعة، ومن فوقها يكون عرش الرحمن.

وتأتى حلقة من القصص النبوي تتكلم عن أبواب الجنة وعددها، وكيفية فتحها والدخول منها، وسعة هذه الأبواب (في الجنة ثمانية أبواب، باب منها يسمي الريان) والأبواب مقسومة على أعمال البر، كالصلاة، والصوم، والجهاد، والصدقة وغيرها وهناك أبواب كثيرة أخرى، كباب الضحى، وباب محمد، وباب الرحمة، وباب الداخلين الجنة بغير حساب، وغير ذلك.

وفي سعة أبوابها يقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (.. إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر)، (.. لمسيرة أربعين سنة).

ولأبواب الجنة خزنة كبيرهم رضوان، وهو اسم مشتق من الرضا، ولدى الخزنة تعليمات ألا يفتحوا أبواب الجنة إلا لمن أمر الله بدخولهم الجنة، وفي مقدمتهم محمد {صلى الله عليه وسلم} (فآخذ بحلقة باب الجنة، فأقعقها، فيقال: من هذا؟ فيقال محمد، فيفتحون لي) ثم يدخل المؤمنون، وتلقاهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء.

وتوضح حلقة من القصص النبوى أن للجنة مفتاحا، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وهذا المفتاح له أسنان هي الطهور والصلاة وسائر أعمال البر، فإذا حصل المرء المؤمن على المفتاح، أعطى جوازاً بالذهاب إلى مكانه المخصص له: (لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله لفلان بن فلان، أدخلوه جنة عالية، قطوفها دانية).

ويكشف القصص النبوى أن الجنة درجات حسب درجات ورتب الأعمال، حيث منازل الأنبياء، ومنازل الشهداء والصالحين، وقراء القرآن.. (فإن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، وأوسطها، وفوقها عرش الرحمن، ومنها تفجر أنهار الجنة) و(إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم).

ويسرد القصص النبوي درجات ومنازل الجنة حتى يصل إلى أعلاها، وهى الوسيلة درجة عند الله - عز وجل - ليس فوقها درجة، لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله (وأرجو أن أكون أنا هو) أي رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

وأما أدنى أهل الجنة، وليس فيهم دنىء (لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم..) - ويحدثنا الصادق المصدوق عن قصور الجنة وغرفها وخيامها ومساكنها الطيبة (قصر من لؤلؤ في الجنة، في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء) و(إنه ليجاء للرجل الواحد بالقصر من اللؤلؤة الواحدة، في ذلك القصر سبعون غرفة) و(إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها) و(إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب

الدرى) وللمتحابين في الله (٠٠ لعلى عمود من ياقوتة حمراء، في رأس العمود سبعون ألف غرفة، يضيء حسنهم أهل الجنة)٠

وهذا وصف حقيقي، وهو وصف دقيق ومعجز لأى خيال وتصور، ولا يتأتي إلا لنبي معصوم لا ينطق عن الهوى: (إنه أسلوب منفرد في هذه اللغة، قد بان من غيره بأسباب طبيعية فيه، وأن ما أشبهه من بلاغة الناس في الكلمات القليلة والجمل المقتضبة، لا يشبهه في العبارة المبسوطة، ولا يستوى له الشبه مع ذلك في كل قليل، ولا في كل مقتضب، حتى يقع التنظير بين الأسلوبين على الكفاءة، وحتى يميل الحكم إلى الجزم بأن بعض ذلك كبعضه، بلاغة ونسقا وبيانا)[١]٠

والمتأمل لوصف مساكن أهل الجنة يوقن بأن ذلك المضمون والمنظوم هو من املاء الحكيم الحميد (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) من ذلك ـ إلى جانب ما أشرنا إليه ـ قوله [صلى الله عليه وسلم]: (دار المؤمن في الجنة درة مجوفة، في وسطها شجرة تنبت الحلل) و(إن دار المؤمن في الجنة من لؤلؤة، فيها أربعون بيتا، في وسطها شجرة تنبت الحلل)٠

فهذا التصوير الحقيقي بهذا الأسلوب البلاغى لقصور الجنة ودورها وغرفها، لا تستوعبه معاجم اللغة، ولا يمكن لخيال البشر أن يقع على هذه الصور، وما سمع أحد أو قرأ للسابقين أو المقلدين من اللاحقين من أتى بهذه المضامين٠ ومن هنا ندرك أثر وتأثير القصص النبوي، إلى جانب القرآن الكريم، في بعث اللغة وتجديدها وارتقاء الفنون الأدبية، والهندسة المعمارية والزخرفية وغيرها لدى المسلمين عبر العصور التى أعقبت البلاغة القرآنية والنبوية٠

وتأتي حلقة من القصص تبين كيف يرقى المؤمن إلى هذه الدرجات، وبأى وسيلة؟ فتكون تلك الوسيلة هى سلالم لها درج بعدد آيات القرآن الكريم: (درج الجنة على عدد آي القرآن، لكل آية درجة) وتقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ (٠٠ فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن) و(يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد٠٠)٠

وهكذا تتوالى حلقات القصص النبوى في سرد وتصوير فرش أهل الجنة، وبناء الجنة وتربتها وأنهارها وسحبها وأمطارها، وجبالها وأوديتها، وطعام أهل الجنة وشرابهم وآنيتهم، وثمار الجنة وفاكهتها وزروعها٠ كذلك الكلام عن المطايا والخدم من الولدان والغلمان، وصفة الزوجات من نساء الدنيا والحور العين، ومهور الحور العين، ويجيب القصص النبوى عن مآل المرأة التي تزوجت في الدنيا بأكثر من واحد لمن تكون؟ وعن الجماع والولد في الجنة، والغناء والطرب وكيفيتهما، وعن الأطفال ودخولهم الجنة ممن لم يبلغوا الحلم من أبناء المؤمنين وأبناء المشركين٠

وبعد التشويق بما في الجنة مما سبق عرضه يأتى القصص إلى ما يحدث قبل دخول الجنة وكيفية الدخول، وعن البطاقات أو التصاريح التي يدخلون بها، وهو كتاب مرقوم عند خروج الروح للكافر والمؤمن، غير أن كتاب الأبرار يكتب ويوقع لهم عليه بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين٠ ومع ذلك فدخول الجنة بفضل الله ورحمته (إنما الأشياء برحمة الله)٠

وفي القصص النبوي أول من يفتح باب الجنة محمد [صلى الله عليه وسلم] الذى يقول: (إلا أن امرأة تبادرني، فأقول لها: مالك ومن أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على يتامى) ثم يتوالى الدخول بعد النبي [صلى الله عليه وسلم] من الأمم والفئات والأصناف الذين ورد ذكرهم في الروايات٠ وعند دخول الجنة يتجهون إلى منازلهم: (فو الذى نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا)٠

ويفتح القصص النبوى الأمل أمام العاملين بأن

الجنة لا تضيق بأحد، فيدخل الله فيها برحمته من يشاء وبشفاعة الشافعين، ومع ذلك: (ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشيء الله لها خلقا آخر مما يشاء)٠

وفي الجنة سوق كأسواق الدنيا، لكن في الجنة يذهبون إليه يوم الجمعة، فتهب عليهم ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم٠٠ فيرجعون إلى أهلهم، وقد ازدادوا حسنا وجمالا أو كما قال [صلى الله عليه وسلم]: (إن في الجنة لسوقا، ما يباع فيها ولا يشترى إلا الصور، من أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها)!!

وأهل الجنة يتزاورون، يزورون ربهم، ولهم مجالس عنده، ويرحب بهم ويحتفي ويأمر الله - تبارك وتعالى - داود - عليه السلام - فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، وتوضع لهم مائدة الخلد، فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون، ويقرئهم السلام ويكلمهم ويكلمونه وتحقق لهم الحسنى وزيادة برؤية الله٠

ويزور أهل الجنة بعضهم بعضا (٠٠ إن من نعيم الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والبخت٠٠)٠

وأهل الجنة في نعيمهم يرون من كوى الجنة أهل النار، ويخاطبونهم في انكارهم للبعث والحساب٠

ولا نوم في الجنة والخلود فيها أبدى، وهي تتكلم وموجودة الآن، وآخر دعوى أهلها (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن)، (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)٠

نظرة إلى النقد الأدبي الحديث والمضمون:

ونحن نحاكم النقد الأدبي في ضوء القصص النبوي، وكما قلت في أكثر من موضع في هذه الدراسة لا يصح أن نحكم أو نحاكم القديم أو السابق في ضوء الجديد أو اللاحق، ولا أدب أمة بأدب أمة أخرى[٢]: (وفي الحق إن في الكتب العربية القديمة كنوزا، نستطيع إذا عدنا إليها وتناولناها بعقولنا المثقفة ثقافة أوربية حديثة أن نستخرج منها الكثير من الحقائق، التى لا تزال قائمة حتى اليوم، وإن كنا حريصين على أن لا يستفاد من دعوتنا إلى تناول التراث القديم بعقولنا الحديثة، أي إسراف باقحام ما لم يخطر بعقول أولئك المؤلفين القدماء من نظريات وآراء، كما أننا حريصون على ألا نجهل أو نتجاهل الفروق الأساسية الموجودة بين الأدب العربي وغيره من الآداب الأوربية بما يستتبعه ذلك من تفاوت كبير في مناهج النقد وموضوعاته ووسائله)٠

وأما النصوص المقدسة وهى القرآن والسنة فلها خاصية أشرنا إليها من قبل وهى أنها وحى قائم على الحقائق البعيدة عن الخيال وسائر الوسائل التى يلجأ إليها أصحاب الفنون الأدبية والجمالية٠

وإذا تأملنا في الفنون الأدبية ومذاهب النقد الحديثة نرى تأثرها بتراث الماضى من مقدسات في سائر الأديان، ومن آثار الأمم في العصور القديمة والوسيطة حيث إن هذه الجذور تمتد الى الأجيال التالية، وإن بدت ثورة المحدثين على تراثهم القديم لأن الإنسان لا يمكن أن يعيش أو يتجاهل الواقع المشاهد من هذه الآثار القديمة أو أن يصم فكره ووعيه عن التراث الثقافي والحضارة الإنسانية، وهذا ثابت في دعائم النقد الأدبي عند الرومانتكيين في اعتمادهم على (تاريخ الأدب) و(الأدب المقارن)٠

ومن غير شك أن تراثنا العربي - وهو مستمد من القرآن والسنة - له تأثير في الآداب العالمية على اختلافها في الزمان والمكان، وهذا ما يقرره البحث العلمي السليم، ويتضح ذلك في قصصنا العربي في القرون الوسطى[٣]، (ولا نجد أن أدبنا القديم توافر له نوع من الأدب القصصي، وقد يكون من دواعى الغرابة، أننا في العصور السالفة، قد أثرنا بهذا الأدب القصصي في الآداب العالمية، أكثر مما أثرنا بشعرنا الغنائى، الذى كان الجنس الأدبى الأثير الغالب على أدبنا قبل العصر الحديث٠٠ كيف

أثرت المقامات العربية في قصص الشطار الأسبانية، ثم الفرنسية التى تأثرت بدورها بهذا النوع من القصص الأسبانية، وكان لقصص الشطار ـ بالطابع الذى أخذته عن المقامات العربية ـ تأثير بالغ المدى في نشأة قصص العادات والتقاليد في الأدب الفرنسى، كقصة (جيل بلا) للكاتب الفرنسي لوساج. ثم أثرت قصص العادات والتقاليد بدورها في قصص القضايا الاجتماعية التى كانت من بواكير القصة الحديثة العالمية في معنى القصة الفني، فكان للمقامات العربية تأثير مباشر وغير مباشر في نهضة القصة العالمية).

وفي بداية هذه الدراسة، وفي ثنايا بعض موضوعاتها عرضنا التأثير المباشر وغير المباشر للقصص النبوي على القصص الأوربي في بداية النهضة الأوربية، كما وقفنا مع عروض لهذا التأثير في (الكوميديا الإلهية) لدانتى.

وبالتأمل في القصص النبوي للجنة ونعيمها، وهو قصص حق، على لسان من لا ينطق عن الهوى، ذلك الوصف والمضمون الذى تتراجع عقول البشر عن الاقتراب إلى عالمه، إضافة إلى التدقيق والتفصيل لخفاياه منذ احتضار المؤمن إلى استقراره في عالم الخلود الأبدى.

نقول بالتأمل في هذا المضمون نرى أحدث القصص في عالم الرومانسية ينزع إلى الإغراب والفرار والغموض أو الدخول في عالم الأسرار طمعا في تشويق القاريء ليجرى وراء المخاطرات ويجسم له في تصوير الحوادث في مجتمعات مختلفة وكل ذلك للهروب من الواقع، ولعله امتداد لما ورثوه من مفكري القرن الثامن عشر في فرنسا وانجلترا والمانيا، ولكن الرومانتيكيين صبغوه بصبغتهم الحالمة، وبثوا فيه شعورهم القوى التأثر[٤] (ومن القصص الرومانتيكية ما يسمى (القصص الأجنبية) وتدور حوادثها في بلاد أخرى غير الذى يقيم فيه المؤلف، ولم يخترع الرومانتيكيون هذا النوع، وإنما ورثوه من القرن الثامن عشر، ولكن في ذلك القرن كان الكتاب لا يصفون من البلد الآخر إلا بقدر ما يساعدهم على تصوير الحوادث وعرض الآراء) ولهم في هذا المجال (قصص العجائب) و(القصص التاريخية).

هكذا نرى التراث الثقافى والحضارى يؤثر في عصر بعد عصر حتى يصل إلى عالم اليوم ولكن في عالم اليوم تتغلب الأباطيل بانقلاب الموازين والمفاهيم، فالأدب العربي لا يعرف القصص، وقصص التراث ليست لها قيمة في الشكل أو المضمون وتشتد الحملات على كل أدب يتصل بالدين. وهي حملات لا تخفى دوافعها ولا غاياتها. ويصدقها ويذيعها أصحاب الثقافة الضحلة، أو النفوس المريضة والحاقدة.

ومع وضوح الزيف وتفاهة المضمون في القصص الحديث، وجريه وراء كل مدهش غريب، لا يعبر إلا عن نزوة طائشة، وغرائز وعواطف غير سوية، تتوالى وتكثر في ملايين القصص التى تغمر الأسواق، وتشغل قراء عالم اليوم، نقول مع ذلك فإن القصص الحديث لدى نقاد الشرق والغرب هو المثال الذي يُحْتَذَى وبه يقتدى. وللأسف الشديد قد تعمقت هذه المفاهيم على مدى أكثر من قرن من الزمان وليس من السهل العدول عنها، لأن الغزو الثقافي لقنه لجيل بعد جيل، ثم استقر في عقيدة جيل يملك ويتحكم بسلطان المناصب والجاه والنشر والتوجيه.

ويؤخذ على القصص الحديث ـ دون أن نقارن أو نوازن بينه وبين القصص النبوى ـ عدة أمور[٥]:

١ ـ إشتمال القصة الحديثة على الحوادث المدهشة الغريبة للفت النظر والتشويق لدى القراء الذين تأخذهم المدهشات، فذلك مما يقلل من خلود القصة وبقائها زمنا طويلا.

٢ ـ تصوير القصة بعيد عن واقع الحياة، فهى زور وبهتان، إذ المعروف أن القصة لا تتم في مجال الحياة بالصورة التى يسكبها الروائى، فتفقد قيمتها أو تحول مجراها إلى ناحية تافهة، فتفتر أو تنسى.

٣ ـ تفقد القصة الحديثة الحقائق القوية ذات الأثر البعيد في سير الحياة الإنسانية فلا تبعث عواطف عامة قوية يشترك فيها الأفراد جميعا.

٤ ـ اكثر القصص مادتها الرئيسية هي الحب، على أن انفراد الحب الباكر بتكوين مادة القصص وبواعثها لا يكسبها درجة أدبية، ولا قوة عميقة خالدة، لأن الأدب العظيم هو الذى يصور الطبيعة الإنسانية بجهودها العظيمة وطاقاتها الأصيلة، كالعواطف القوية، والإرادة الصارمة، والتجربة العميقة الشاملة.

٥ ـ يبتعد كثير من القصص الحديث عن المادة التي تمتعنا بعرض الأخلاق الكريمة، وتصوير الحياة الإنسانية في مظاهرها الهامة، والتى تختار من التجارب والشخصيات والأعمال ما يثير في نفوسنا أصدق العواطف وأسماها.

وقد تركزت الجهود وتضافرت القوى المختلفة من الشرق والغرب على ترويج وإشاعة المضمون القصصي الحديث، وجعله النموذج الرائج في غزو الحياة المادية وجنى ثمارها، والوصول إلى عالم الوجاهة والسلطة وصدارة المجتمعات، كل ذلك على حساب المضمون والقيم التراثية المشبعة بروح العربية وروح الإسلام، وبدت النظرة بروح السخرية والاستخفاف من كل أدب يميل أو ينزع بأى صورة أو ينتمى اليها[٦] (ذلك أن المستشرقين وأتباعهم من العرب والمسلمين، قد ركزوا كل جهودهم في ترجمة الآداب والاجتماع والفلسفة والتاريخ وعلم النفس، والروايات القصصية، وكتب الإلحاد والتحلل والاضطراب الفكرى التى ظهرت في أوربا.

وقد برع بعض الكتاب في هذا اللون، فترجموا لنا قصص الخلاعة والمجون والتحلل، لسارتر وسيمون دى بوفوار، وقصص شكسبير وغيرهم). وأكثر ذلك القصص من لهو الحديث، وشغل المسلمين عما يذكرهم بأصول عقيدتهم ويرسخ قيمهم الإسلامية، فيعيشون بين اللهو أو الدوران في فلك أعدائهم.

لكن القصص النبوى من أهم مضامينه التى أشرنا إليها في بداية كتابة هذه الدراسة يتوخى مقاصد الرسالات السماوية، وترسيخ الإيمان في نفس الإنسان، الإيمان بالله وصفاته والوحى الحق المنزل على الأنبياء والمرسلين، والإيمان بالبعث، والثواب والعقاب، والجنة والنار والإيمان بالقضاء والقدر، والإخلاص في السر والعلن ابتغاء مثوبته، ويجعل المؤمن بين الرجاء والخوف، والبعد عن الرياء والكبر، والرفق بالفقير والمسكين وابن السبيل، ورحمة الإنسان والحيوان، وأن الإنسان مستخلف في الأرض، وأنه قد يحرم الرزق بسبب ذنوبه وغير ذلك، وعلى كل حال فالقصص النبوي يسعى إلى صلاح الفرد والجماعة، وتطهير الحياة من الفساد والإفساد، ويقوي جانب الخير، ويضعف جانب الشر، بل ويدفع الشر بالخير حتى لا تفسد الحياة على الأرض، ويصعب العيش عليها، وتكون بمثابة الغابة التى يسود فيها القوي، ويستذل فيها الضعيف، وتتكرر قصص الجبابرة الذين قال بعضهم: (أنا ربكم الأعلى).

وهذه المقاصد واضحة جلية في سائر القصص النبوي وفي قصص الجنة ونعيمها.

■ للحديث صلة ■

الهوامش:

(١) الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٣٥٨.

(٢) د. محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب ص ٦.

(٣) د. محمد غنيمى هلال: في النقد التطبيقى والمقارن ص ١٤.

(٤) د. محمد غنيمى هلال: الرومانتيكية ص ١٨٧.

(٥) أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب (بتصرف قليل).

(٦) د. سعد الدين السيد صالح: احذر الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ص ١١٥.

هل هناك مستقبل للصحوة الإسلامية؟!

على مدى ثلاث حلقات متتالية سابقة وتحت عنوان رئيسي «الاستشراق والظاهرة الاسلامية» عرض الأستاذ الدكتور محمد عمارة ما سبق أن نشرته مجلة (الوسط) في ملفها الخاص عن (الاصولية الاسلامية) - وقد استطلعت فيه آراء ثلاثين من المستشرقين.

وكان عرض الدكتور عمارة شيقاً، وتحليله دقيقاً للآراء الواردة في ذلك (الملف).

وهذه الحلقة الرابعة والأخيرة من هذا العرض والتحليل.. والمنهل إذ يشكر الاستاذ الدكتور محمد عمارة على هذا التواصل العلمي الرائع، فانه ينتظر بكل التقدير جديد دراساته وبحوثه.

في «ملف» (الوسط) عن «الأصولية الإسلامية».. والذى استطلعت فيه آراء ثلاثين مستشرقا، يمثلون دول وتيارات ومذاهب وأجيال الاستشراق الغربى المعاصر.. وقف هؤلاء المستشرقون، فى ظاهرة المد الاسلامى وحركاته، أمام قضايا رئيسية خمسة.. قضية مصطلح «الأصولية» ومدى تطابق معانيها الغربية السلبية مع منطلقات وغايات وسمات الحركات الاسلامية؟.. وقضية الأسباب التى أفرزت وأبرزت هذه الحركات في العقود الأخيرة على وجه الخصوص؟.. وقضية الحقيقة والوهم في الكلام الشائع الآن عن «التهديد الإسلامي للغرب»؟..

ولقد تناولنا هذه القضايا الثلاث في الحلقات الثلاث التي سبقت من دراستنا هذه لهذا «الملف».

والآن.. وفي هذه الصفحات، نقف أمام رؤية المستشرقين لقضية «الوحدة.. والتنوع» في فكر وتوجهات الحركات الإسلامية.. وقضية «المستقبل» وهل لهذه الحركات منه نصيب؟ .. وإذا كان، فبأية شروط؟؟.

الوحدة.. والتنوع:

على الرغم من أن هذه القضية - قضية الوحدة والتنوع في توجهات الحركات الاسلامية - لم تكن موضوع سؤال مستقل في «ملف» (الوسط).. إلا أن جميع المستشرقين الذين التفتوا إليها في إجاباتهم قد اجتمعت آراؤهم على أن الحركات الإسلامية المعاصرة، وخاصة في العالم العربي، ليست كتلة واحدة صماء.. ومن الخطأ اختزالها في تيار «العنف الراديكالي».. فهى ظاهرة فكرية وحركية شديدة التنوع - مع اجتماعها في إطار المرجعية الاسلامية العامة والمقاصد الاسلامية العامة.. فهى تتنوع بتنوع واقع البلاد التى تعمل



بقلم المفكر الاسلامي: أ.د. محمد عمارة
- مصر -

فيها كل حركة من هذه الحركات.. وبتنوع التحديات التى تجابهها هذه الحركات.. وباختلاف المرجعيات المذهبية لهذه الحركات - من «سنية» و«شيعية».. و«تجديد» و«تقليد» - وبتنوع مناهج العمل المعتمدة في عمل كل حركة من هذه الحركات.. فهناك الحركات التي تتخصص في «الدعوة» الخالصة لإضاءة القلوب بنور الاسلام.. وحركات العمل السياسي والاقتصادي لتغيير الواقع في هذه الميادين.. وجمعيات وجماعات العمل الخيري والاجتماعي.. وهناك الحركات التى ارتضت منهاج التعددية، والعمل وفق قوانين «لعبتها».. وهناك، أخيرا، حركات العنف والراديكالية السياسية والإرهاب. فهي حركات، وإن انطلقت من المرجعية الإسلامية، إلا أن فهمها للإسلام، ومنهاج عملها له، والجوانب التى تركز عليها من منهاجه الشامل، قد أوجد فيها العديد من «ألوان الطيف الاسلامي»، وذلك فضلا عن «ألوان طيف الواقع المتنوع» الذى تعيش فيه وتعمل على تغييره هذه الحركات.

وفي تقرير هذه الحقيقة - التى يغفل عنها - أو يتغافل - كثيرون - يشير المستشرق الايطالي «كلاوديو لوياكونو» فيقول: **«إن الحركات الإسلامية متنوعة بتنوع واقع بلدانها.. ومن الضرورى التميز فيها بين أولئك الذين يعتمدون على «الدعوة» الخالصة، محاولين إبقاء نور الدين الاسلامى مضيئا في قلوب المسلمين ومن يمكن اعتبارهم «ملتزمين ومنظمين سياسيا»**، وهم الذين يولون اهتماما أكبر للقضايا والمشاكل ذات الطابع السياسي والاقتصادى. ومن بين هؤلاء مجموعات تعمل بشكل حازم ضد حكومات بلدانها، وأخرى ركزت اهتمامها على العمل في المجالات الاجتماعية. وتوجد أيضا منظمات اختارت الإرهاب أساسا لعملها السياسي، فحددت لنفسها بذلك موقعا خارج التقاليد المعتدلة التى اتسمت بها الحركات «السنية» عبر التاريخ. كما توجد حركات اخرى ارتضت «قوانين اللعبة»، دون أن يفوتها التركيز على المسائل الاجتماعية الضرورية لإحداث تغييرات في الواقع المتنوع الألوان والاتجاهات. وينبغى التذكير بأن هناك اختلافات جذرية بين الأصولية «السُّنّية» والأصولية «الشيعية»..

ويهتم المستشرق الانجليزي «فيردهاليداى» بالإشارة الى «الجامع» الذى يجمع هذه الحركات، فيرى أنها لا تقف عند «الماضي والتقاليد»، وإنما تعيد تفسيرهما كي تقدم برنامجا للحاضر والمستقبل.. ولا تقف عند «التبشير الدينى»، وإنما تتغيا أهدافا سياسية واجتماعية.. وانها جميعها تسعى لامتلاك السلطة السياسية.. فهذه «جوامع» تحتها تنوع واختلاف.. «**إن هذه الحركات تختلف بعضها عن بعض، إلا أنها تشترك في أمور ثلاثة:**

أولا: لا تمثل الحركة محاولة لإدخال الناس في دينها، بل لتعبئة هذه المجتمعات الدينية بقصد بلوغ اهداف سياسية.

ثانيا: فيما تستعين الحركة بالتقاليد، فإنها تعيد تفسير الماضى والتقاليد الدينية كى تقدم برنامجا سياسيا معاصرا عن التنمية الاقتصادية والاستقلال وقضايا اجتماعية.

ثالثا: أهم ما يعنى هذه الحركات هو الوصول الى السلطة السياسية والاحتفاظ بها.

أما المستشرق الفرنسي «دومينيك شوفالييه» فيميز في هذه الحركات الاسلامية بين «المتطرفين» و«المعتدلين»، كما يميز في عالم الاسلام بين «المسلمين» وبين «الاسلاميين»، فيقول: **«إن الحركة الاسلامية ليست بالضرورة حركة متطرفة. وأعرف مثقفين إسلاميين وأصوليين متمسكين بإيمانهم وقيمهم، لكنهم قادرون على الحوار، ومستعدون للسجال مع الذين لا يوافقونهم الرأى، سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين، وهم ليسوا أبدا انفعاليين كما يظن بعضهم».**

ويرى المستشرق الروسى «أرتورسعادييف» أن في الحركات الأصولية - مع تجانسها الأيديولوجي - المعتدلون.. والراديكاليون.. كما يختلف تركيز كل حركة باختلاف التحديات التي تمثلها الأنظمة الحاكمة

في بلادها.. «في الحركات الأصولية اتجاهات معتدلة وراديكالية.. إنها متجانسة أيديولوجيا، واختلافاتها تعود في الدرجة الأولى إلى طابع الأنظمة الحاكمة التى تعارضها.. ففي سورية هناك انتقادات للاتجاه «العلمانى» وفي مصر معارضة للعلاقة بالغرب.. وفي الجزائر معارضة العنف، بإطلاق من قبل كل الأطراف..

وعن ضرورة اعتماد التعددية الحضارية - في العلاقة بين الاسلام والغرب - وذلك لنزع فتيل نزعات الحروب الحضارية والصليبية.. **واكد بعض المستشرقين على أهمية الحركات الاسلامية في مستقبل العالم العربي والاسلامي، لأن المستقبل - برأيهم - هو للتيارات ذات الرؤى الايمانية والدينية.. والإسلام هو محور النهضة ومرجعيتها في العالم العربي والاسلامي.**

ومن الشروط التى رأوها لازمة كي يكون للحركات الاسلامية فاعلية في مستقبل أوطانها ومجتمعاتها: ضرورة العمل على كسب ثقة الجماهير .. وتحسين صورة الطرح الفكري.. والعدول عن سبل وآليات الفتن في تحقيق المقاصد .. وتأسيس العمل السياسي الاسلامي على النهضة الدينية والروحية، استثمارا لحيوية الاسلام، الذى هو أكثر الأديان حيوية، والذى يحتاج الى نهضة دينية، وليس الى مجرد «إسلام سياسي»..

ومن الآليات التى أشاروا بها، لإخراج بعض الاسلاميين من العزلة «الماضوية» دفعهم الى أن يجيبوا على أسئلة العصر ومشكلات واقعه.. ففي ذلك اكتشاف وتنمية للأرض المشتركة بينهم وبين التيارات الفكرية الأخرى.

كما نصحوا الذين يريدون سحب البساط من تحت أقدام الحركات الاسلامية مستقبلا، بأن يحلوا المشكلات والأزمات التى استدعت البديل الإسلامي، بعد أن فشل العلمانيون - بل وصنعوا - هذه المشكلات والأزمات.

فعلى سبيل المثال، رأى المستشرق الأمريكى «جون إيسبوسيتو» أن الحركات الاسلامية طرف فاعل فى المجتمعات الاسلامية، تشارك في الحوار حول شئونه، ويتوقف حجم نصيبها من النجاح أو الفشل على كفاءة أدائها، وآفاق الحرية في مجتمعاتها.. ذلك **«أن الجدال سيتواصل في المجتمعات الاسلامية، في خصوص قضايا تتعلق بالدين، والهوية الوطنية، والشرعية والمشاركة السياسية أو تطبيق الديمقراطية.. وستكون الحركات الاسلامية طرفا في النقاش حيث يسمح لها ان تساهم فيه. وسيلاقى الاسلاميون النجاح أو الفشل، شأنهم شأن أى حزب سياسي».**

أما المستشرق الايطالي «كلاوديولوياكونو» فينصح بضرورة «الحوار العقلانى» بين مختلف الفرقاء، لحل كل المشكلات.. إذ «لابد من إعلاء صوت العقل والحوار.. وهى مهمة عسيرة وصعبة للغاية، تحتاج الى عمل متواصل ورغبة صادقة»..

ومعه - في أهمية الحوار - تقف المستشرقة الألمانية «جودرون كرامر»، التى تقول: **«أعارض استعمال العنف ضد الحركات الأصولية.. وأرى أن الحوار المفتوح مع هذه الحركات هو الحل الوحيد القادر على ان يخفف من حدة التوتر، وان يعطى لجميع القوى السياسية - داخل النظام وخارجه - الفرصة اللازمة للتفكير والتأمل والتحليل».**

أما المستشرق الأمريكي «جون فول» فيعظم من مكانة الحركات الاسلامية في مستقبل مجتمعاتها، لأن المستقبل هو لحركات الرؤى الدينية، وخاصة بعد تراجع العلمانية، وتضاؤل فعاليات برامجها.. **فالحركات الاسلامية «تتوقف درجة نجاحها في صياغة مستقبلها ومستقبل مجتمعاتها، على قدرتها على نيل تأييد شعبي وتحقيق تحسينات، بدلا من التسبب في فتنة مدمرة. وعلى وجه العموم، سيكون للرؤى الدينية الشاملة تأثيرات مرئية في المستقبل، مع تضاؤل فعالية البرامج العلمانية الحديثة».**

ومع هذا الرأى يقف المستشرق الامريكي «ريتشارد بوليت» الذى يرى الاسلام هو المرجعية

المرشحة للمشروع النهضوي، في العالم العربي والاسلامي **«فلا مفر من أن يلجأ المجتمع العربي والاسلامي إلى اعتماد الاسلام محورا له من جديد»**.

ويعلق «جاك بيرك» نجاح الحركات الاسلامية في صياغة مستقبل مجتمعاتها على إقامتها مشروعها السياسي على الإحياء الديني والنهضة الروحية الاسلامية.. وعدم الوقوف عند البرنامج السياسي فقط.. وعنده **«ان الحركات الاسلامية محكومة بالفشل إن لم تكن مؤسسة على نهضة دينية، وما لم تؤد إلى حركة شاملة (جامعة) في المجتمع، إنها إذا انطلقت من نهضة روحية أمكنها ان تبني، شيئا فشيئا، نهضة اخلاقية للمجتمع المسلم. وفي هذه الحالة توفر الفرصة لبناء المجتمعات الاسلامية بناء قابلا لأن يدوم. فالاسلام طاقة وحيوية تدعو إلى الاحترام، إنه دين حي جدا، وربما أكثر من الأديان الأخرى، ومن هنا حاجته الى نهضة دينية»**.

أما المستشرق الألماني «ستيفان فيلد» فإنه يدعو إلى دفع الأصوليين المتطرفين لمواجهة العصر، وذلك بتقديم أجوبة واضحة على المسائل المطروحة.. ومساعدة المثقفين العرب المستنيرين - بواسطة أوربا - على بلورة حلول للمشكلات .. والعمل على ردم الهوة بين الشرق والغرب.. **«فعلينا أن نطالب الاسلاميين المتطرفين بتقديم أجوبة واضحة على المسائل المطروحة. أى ان ندفعهم الى مواجهة العصر. وعلى أوربا أن تساعد المثقفين المستنيرين في العالم العربي على البحث عن حلول.. وأن تتيح لهم فرصة التعرف بعمق الى حضارتها وثقافتها وعلومها، حتى لا تتسع الهوة بين الشرق والغرب من جديد، وتنفتح الأبواب على مصراعيها أمام أولئك الذين يتحدثون طول الوقت عن حروب صليبية»**.

وإذا كان هذا الرأى قد حبذ تحسين «الحالة العلمانية» بواسطة أوربا.. فإن المستشرقة الألمانية «أردموتة هيلر» قد وضعت شروط تحسين هذه «الحالة العلمانية» حتى تستطيع مقاومة المد الاصولى .. فلابد - برأيها - من تغيير العوامل التى صنعت أزمة النظم الحاكمة، وذلك باقامة العدل.. والقضاء على الفساد والرشوة.. وإصلاح التعليم.. وتحقيق الديمقراطية.. وإعادة الاعتبار الى المثقفين .. وإقامة مجتمع مدنى حقيقى.. «فليس هناك، لمقاومة المد الأصولي، سوى طريقة واحدة: توزيع خيرات البلاد توزيعا عادلا، والقضاء على مظاهر الفساد والرشوة.. وإصلاح مناهج التعليم.. وتحقيق الديمقراطية.. وإعادة الاعتبار الى المثقفين.. وإقامة مجتمع مدنى حقيقى ولو بصفة نسبية.

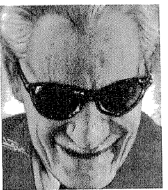
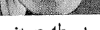
هكذا تحدث المستشرقون عن المستقبل.. وعن مكانة الحركات الاسلامية في هذا المستقبل.. وعن شروط تخفيف التوتر بينها وبين تيارات الفكر الأخرى.

لكن المستشرق الألمانى «أودوشتاينباخ» قد انفرد بتجريد الحركات الاسلامية من أي نصيب في هذا المستقبل.. فهى حركات ضعيفة.. تعانى من فراغ نظرى.. وستنصرف عنها الجماهير عندما تكتشف أن وعودها ليست أكثر من تهويمات، فتقف وحيدة عارية على قارعة التاريخ!.. «إن هذه الحركات لا يمكنها أن تجد، لا في الماضى القريب ولا البعيد، نظاما ما إسلاميا يمكنها أن تقتدى به، وتستمد منه حلولا جذرية وحين تدرك الجماهير أن الحلول التى تلوح بها الحركات الاسلاموية، ليست سوى تهويمات.. فإنها سوف تتخلى عنها، وتتركها وحيدة وعارية على قارعة التاريخ».

على هذا النحو تناول المستشرقون الثلاثون أخطر ظواهر العصر الذى نعيش فيه.. الحركات «الأصولية» الاسلامية.. فعرضوا، من خلال الإجابة على أسئلة (الوسط)، لمختلف جوانب هذه الظاهرة.. الأمر الذى جعل من هذا «الملف» الذى نشرته (الوسط) في اعدادها السبعة (٩٦ - ١٠٢) - (٢٩ - ١١ - ١٩٩٣م - ١٠ - ١ - ١٩٩٤م) - مرآة الاستشراق الغربى لأخطر ظواهر الشرق العربى والإسلامى.

إنه جهد صحفى متميز.. حبذا لو تحول الى كتاب يضاف - في المكتبات - إلى ما فيها عن الظاهرة الاسلامية من مؤلفات.

طه حسين



د. طه حسين


رفاعة رافع الطهطاوى

وانتصار النموذج الاوروبى

لم يمض على مجيء الاستعمار الى مصر سنوات، الا وولد طه حسين سنة ١٠٨٩م.

انتهت النزعة التوفيقية، التى كانت سائدة بين علماء القرن ١٩، انتهت بطبيعة الحال الى انتصار النموذج الأوربي.

فقد كان علماء القرن التاسع عشر أو معظمهم، يقولون بضرورة الجمع بين الدين والدنيا، أو بعبارة أخرى بين التراث العربى الإسلامى والحضارة الأوربية، وراحوا يلتمسون في نصوص السلف الصالح وفي مواقفهم ما يثبت أنهم لا يقفون ضد تيار التحضر والتمدين، كانوا يبغون بذلك أن يضفوا الشرعية على منجزات الحضارة الأوربية.

وأقول «بطبيعة الحال» لأن تلك التوفيقية كانت تحمل في تضاعيفها انتصارا للنموذج الأوربي وإن كان متخفيا، وبهرا بالحضارة الأوربية وإن كان متسترا، **فقد فهم علماء القرن التاسع عشر من الدنيا أنها دنيا الحضارة الأوربية**، ولم يستطيعوا حتى أن يفكروا في أنه من الممكن أن تكون لهم دنيا هى دنياهم، ومن الممكن أن تكون لهم حضارة جديدة هى حضارتهم، لو اتجه التفكير هذه الوجهة لاتخذت النزعة التوفيقية، اتجاها آخر يجعل هناك نماذج حضارية أخرى، يمكن أن تقف جنبا الى جنب مع النموذج الأوربي، بل ربما يمكن أن تقدم البديل المناسب لهذا النموذج، ومن هنا تتخذ عبارة «الجمع بين الدين والدنيا» مفهوما آخر لا يركز بالضرورة على دنيا وحضارة من صنع الغرب.

كانت نزعة التوفيقية تحمل في طياتها الانتصار للنموذج الأوربي، وتمادت الأمور، وظهر طه حسين، وما كان متخفيا أصبح ظاهرا، وما كان متسترا اصبح جهارا.

كانت نبرة الإعجاب بالنموذج الأوربى، تتخفى عند الطهطاوى وراء السطور. وكان يخالطها شيء من الأمل في أن ينبعث الماضي، فيحقق ما حققه النموذج الاوروبي، وكان أمله يحوم حول مشايخ

بقلم : د. عبد الحميد ابراهيم
- مصر -

الازهر، الذين اهتموا بما كان يسميه «العلوم الحكمية» وهو يعنى الخبرة بشئون الحياة، ومتابعة المنجزات الحديثة.

ولكن النموذج الأوربى كان قد انتصر، واستقر الاستعمار الانجليزى في مصر، وأخذ يبشر بحضارته ومنجزاته المادية والعلمية.

وجاء طه حسين يعكس ظروف تلك اللحظة التاريخية، فلم يعد في حاجة الى إخفاء إعجابه بالنموذج الأوربي، ولم ييأس على الماضي، ولم يعقد أمله على مشايخ الازهر الشريف.

وصدر كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» سنة ١٩٣٨، ليكون وثيقة إعلان انتصار النموذج الأوربي، إنه يرى أن دعوة الخديوي إسماعيل إلى أن تكون مصر قطعة من أوربا، ليست فنا من فنون التمدح، أو لونا من ألوان المفاخرة، وإنما كانت مصر دائما جزءا من أوربا، في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية على اختلاف فروعها وأنواعها (ص٣٥).

ويحشد هذا الكتاب بابتهاج شديد مظاهر انتصار الحضارة الأوربية على المجتمع المصرى في القرن التاسع عشر. ويرى أنها أصبحت المثل الأعلى لنا في حياتنا المادية والمعنوية، وعلى قدر حظوظنا من القدرات والاجتهادات يكون قربنا من هذا المثل الذى يظل يغرينا من بعيد ونحن نقترب منه.

ففي حياتنا المادية «نأخذ بأسباب الحياة الحديثة على نحو ما يأخذ بها الأوربيون في غير تردد ولا اضطراب، حياتنا المادية أوربية خالصة في الطبقات الراقية، وهى في الطبقات الأخرى تختلف قربا وبعدا عن الحياة الاوربية باختلاف قدرة الأفراد والجماعات وحظوظهم من الثروة وسعة ذات اليد، ومعنى هذا «أن المثل الأعلى للمصرى في حياته المادية، إنما هو المثل الأعلى للأوربي في حياته المادية» (ص٤٠).

والأمر كذلك في حياتنا المعنوية «والتعليم عندنا على أى نحو قد أقمنا صروحه ووضعنا مناهجه منذ القرن الماضى، على النحو الأوربى الخالص ما في ذلك شك ولا نزاع. نحن نكون أبناءنا في مدارسنا الأولية والثانوية والعالية تكوينا أوربيا لا تشوبه شائبة» (ص٤٦).

إن النموذج الأوربى لم يعد قابلا للنقاش عند طه حسين، كما أن الظواهر الأوربية التى تغلبت على حياتنا المادية والمعنوية، لم يعد يفهمها طه حسين مرتبطة بلحظتها التاريخية، ولم يعد ينظر إليها بموضوعية من خلال تراث المنطقة، بل تحولت عنده إلى حقائق فعلية يمكن أن يبنى عليها نتائج تتخذ مظهر النظرية العلمية، إن النتيجة لكل هذا لا تقبل النقض وهى يجب أن «نسير سيرة الأوربيين، ونسلك طريقهم، لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره. وما يحمد منها وما يعاب، ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع» (ص٥٤).

فإذا كان **الطهطاوى** قد لخص باريس على صفحات الورق، ووضعها بين عينى القارىء يغريه بها.

وإذا كان **على مبارك** قد حول هذه الصفحات الى واقع فعلي، يعايشه المواطن المصرى صباح مساء.

فإن **طه حسين** جاء ليبارك هذا الواقع، وليضفي عليه مسحة شرعية، وليلبسه ثوب النظرية العلمية التى لا تقبل النقض.

وراح يكسو تلك النظرية المظهر العلمى الذى يعتمد على حقائق التاريخ ومسلمات الجغرافيا.

فالجغرافيا تقدم لنا مصر مرتبطة بموقعها على

الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط، في مواجهة دائما مع أوربا التى تقف على الساحل الشمالي. والتاريخ يتحدث باستمرار، ومنذ عهد الفراعنة عن صلات ثقافية مستمرة بين مصر في الجنوب، والاغريق في الشمال.

أما صلة مصر بالإسلام فهى صلة طارئة، لا تتعدى في نظريته مجرد الشعور الدينى وإذا صح أن المسيحية لم تمسخ العقل الأوربى، ولم تخرجه عن يونانيته الموروثة، ولم تجرده من خصائصه التى جاءته من إقليم البحر الأبيض المتوسط، فيجب أن يصح أن الإسلام لم يغير العقل المصرى، أو لم يغير عقل الشعوب التى اعتنقته، والتى كانت متأثرة بهذا البحر الأبيض المتوسط (ص٣٢).

وإذن يجب على الأزهر في ظنه أن يبارك هذا الوضع، وأن يجعل الدين في خدمة النموذج الأوربي، وليس من الخير أن يكون الأزهر حربا على الحياة الحديثة، فإن هذه الحرب لا تجدي ولا تفيد، وإنما الخير والواجب أن يكون الأزهر ملطفا للحياة الحديثة، مخففا لأثقالها، ملائما بينها وبين ما يأمر الله به من الخير والمعروف، مباعدا بينها وبين ما ينهى الله عنه من الشر والمنكر (٤٣٦).

يخيل لي أن هناك تيارين في تاريخ الإنسانية، تيار شرقى يعظم من دور النبي ويعتمد على الدين. وتيار غربي يعظم من دور الفيلسوف ويعتمد على الفلسفة ويبدو أن بينهما صراعا لا ينتهى، وأن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا كما قال كيبلنج.

ولكن طه حسين يرى أنهما يمكن أن يلتقيا، وأن مقولة كيبلنج هذه غير صادقة (ص٣٥)، ولكن التقاءهما يأتى في نظريته على حساب التيار الشرقى، إنه يلغيه تماما، ويخلصه من خصوصيته حتى يستطيع أن يندمج في التيار الغربي، ويصبح جزءا منه، فهو يقول «إذن فكل شيء يدل على أنه ليس هناك عقل أوربى يمتاز من هذا العقل الشرقى، الذى يعيش في مصر وما جاورها من بلاد الشرق والغرب، وإنما هو عقل واحد، تختلف عليه الظروف المتباينه المتضادة، فتؤثر فيه آثارا متباينة متضادة» (ص٣٨).

وهذه الفكرة التى تعنى في النهاية الالتقاء بين الشرق والغرب ولو على حساب الشرق، تتحول عند طه حسين إلى واجب قومى، يدافع عنه بحماسة، ويرى أن يتبناه المصلحون بعد فترة الاستقلال وظهور الديمقراطية فالواجب «أن نمحو من قلوب المصريين أفرادا وجماعات هذا الوهم الآثم الذى يصور لهم أنهم خلقوا من طينة غير طينة الأوربي، وفطروا على أمزجة غير الأمزجة الاوربية، ومنحوا عقولا غير العقول الأوربية» (ص٥٠).

كان يخيل لطه حسين، أنه يستطيع أن يخلص المصريين من الإحساس بالدونية، فيربطهم بالعقل الأوربى المتفوق، فهو لا يختلف عن العقل المصرى، والأوربى لا يتميز عن المصرى، ومن هنا لا يملك حق الافتخار، والإحساس بأنه من طينة أرقى.

وهو حل في ظنى يصدر من إحساس قوى بالتبعية فأن تمحو ذاتك لكى تصبح صورة من الشخص القوى، انما هو في حقيقته إمتهان للذات.

وكان من الطبيعي أن يؤدى هذا التفكير بطه حسين الى تلك الحقيقة النفسية، وأن ينكر هوية الشرق، وأن يجرده من خصوصيته لكى يضيع في النموذج الأوربي «وبعد، فهذا الشرق الروحي، ليس هو شرقنا القريب من غير شك، فشرقنا القريب كما رأيت هو مهد هذا العقل الذى يزدهى ويزدهر في

أوربا، وهو مصدر هذه الحضارة الأوربية التى نريد أن نأخذ بأسبابها، وما أعرف أن لهذا الشرق روحا يميزه من أوربا، ويتيح له التفوق عليها» (ص٧٨).

إن السؤال الذى طرحه طه حسين في بداية كتابه «أمصر من الشرق أم من الغرب» كان يحمل في تضاعيفه إحساسا كبيرا بالتبعية، وجاءت إجابته تعكس هذا الإحساس، فمصر ليست من الشرق الأقصى كالصين واليابان، وإنما مصر من الغرب الأوربي.

إنها إجابة تحمل قدرا كبيرا من الاستهانة بالذات، وتلغى ثقافة عريقة في تاريخ الإنسانية، وهى ثقافة الشرق الأوسط، إنها تفترض أن المواطن في تلك المنطقة الشاسعة حتم عليه أن ينحاز إلى أحد الخيارين المطروحين، الشرق الأقصى أو الغرب الأوربي أما أن يقدم ثقافة مميزة، فهذا ما لم يرد على ذهن صاحب السؤال وإلا لطرحه بصيغة أخرى، لا توقع في شرك إجابة جاهزة.

إن الإجابة عن هذا السؤال المطروح لا تعنى حتمية الإيجاب، أو الانحياز إلى أحد الطرفين، بل قد تكون سلبية، بمعنى أن مصر ليست من الشرق ولا من الغرب، ولكنها من منطقة الشرق الأوسط، من تلك الشجرة المباركة، التى هي لا شرقية ولا غربية، ولكنها وسطية، تضم الشرق والغرب معا وتتجاوزهما في أنظومته المميزة التى تقدم النموذج المتكامل، الذى يمكن أن يعيد الطرفين المتباعدين إلى التصالح والالتقاء على مفهوم جديد.

إن هذا معناه بالدرجة الأولى أن الوسطية العربية لا تعرف بأنها مع. أوضد، أي لا تعرف من خلال نموذج خارجي، ولكنها تعرف من داخلها، وليست مشكلتها مع أو ضد، فتلك هى مشكلة الآخر، إن أراد أن نكون معه أو ضده، فهو قراره، أما الوسطية فهى هي.

ليس حتما أن تقاوم التطرف بأن تقع في تطرف آخر، وليس حتما أن تقاوم التطرف في استخدام المذاهب الجديدة، بأن تخاصم كل ما هو جديد، أنت لست مع الغرب ولا ضده، وإنما أنت فوق ذلك، تجمع بين الشرق والغرب، أنت إذن وسطى، تحاور كل المذاهب من منطلق القوة، ومن منطلق اختيارك وحدك، ومن منطلق قرارك وحدك.

أراد طه حسين أن يجرد مصر من واقعها الأصيل، وأن يقترب بها الى النموذج الأوربي، هو حقا أراد أن يلحقها بمناطق القوة، حتى تشعر بالقوة، وحتى لا تحس بالدونية حين تقارن نفسها بالنموذج الأوربى، فهى أوربية أيضا، ولكنها قوة مجلوبة من خارج، يمنحها صاحبها متى ما شاء، ثم يستردها متى ما تعارضت مع مصالحه، هى قوة تجعل تاريخ مصر العريق، يبدأ من مظاهر التحضر في القرن التاسع عشر، أما ما عدا ذلك فهو تأثيرات طارئة، لا تتعدى المشاعر والعواطف الدينية.

إن الممثل «كين» في مسرحية سارتر، كان يمثل دور العظماء والملوك والقادة في مسرحيات شكسبير، ولكنه أبدا لن يكون عظيما أو ملكا أو قائدا، وحين اكتشف ذلك في نفسه، هجر أدوار العظماء وتزوج ابنة البقال، وأراد أن يكون هو.

إن طه حسين يريدنا أن نكون كالممثل «كين»، ولكن أبدا لن يكون هذا الطريق هو الطريق الصحيح لمعرفة أنفسنا، الطريق الصحيح أن نكون نحن، لا شرق ولا غرب، ولكننا فوق الشرق والغرب، ونجمع بينهما، ونضيف إليهما، في أنظومة جديدة، هى الوسطية الإسلامية.



إفساد السـ ـاء

الأحماض من الجذر الثلاثي (حمض) يقال: أحمض القوم: أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث والكلام، فهي مفاكهة ومؤانسة!
وهي لون فكاهيّ فنيّ ساخر، يتناول مظاهر الحياة المعاصرة كالمخترعات والمعاني الحديثة، ويصوغها على ألسنة أدباء العربية القدامى في عصورها الأولى الزاهرة بأسلوب حواري قصصي.

*** موضوع الأحماض:**
تتناول عدداً من مظاهر الثورة المعرفية والتقنية في العصر الحديث كالمخترعات والمعاني العصرية مثل: الكهرباء، والثلاجة، والتلفاز، والهاتف، والسيارة، والطائرة، والحاسوب، والمشروبات الغازية، والعولمة، والدكتوراة، والانترنت!

*** أسلوب الأحماض:**
يقوم على الحوار، ويفيد من أسلوب المقامات والقصة المعاصرة، ويتسم بالإيجاز والوضوح والرصانة، ويتجاوز حدود الزمان والمكان.

*** أهداف الأحماض:**
تهدف إلى إمتاع فؤاد المتلقّي، وإدخال السرور على نفسه، وإمداد عقله بشحنات من المعرفة الأدبية من خلال الخطوط التالية:
١ ـ تخيّل مواقف الأدباء القدامى من المخترعات الحديثة وردود أفعالهم لو كانت في زمانهم والتعريض بأدباء هذا العصر الذين لم يحتفوا كثيرا بهذه المخترعات المثيرة في أعمالهم الأدبية.
٢ ـ توجيه النقد السّاخر للمظاهر الزائفة في الحياة المعاصرة.
٣ ـ مناقشة بعض القضايا اللغوية المتعلقة بتعريب هذه المخترعات وأوزانها الصرفية، ومثناها وجموعها.
٤ ـ إثراء لغة الناشئين من المتلقين بالمفردات والتراكيب وأساليب البيان العالية.
٥ ـ تقدير الأدباء الأوائل، واستذكار أعمالهم وجهودهم في نهضة العربية والحفاظ عليها.
٦ ـ ربط الواقع المعاصر بالماضي الأصيل الزاهر للإسهام في البناء الحضاري الشامخ للأمة.

حدثنا ابن عصفور الإشبيلي[١] قال: حدثنا ابن سيدة[٢] قال: أخبرنا ابن القوطية[٣] أنه رأى أبا علي القالي[٤] لمّا قدم من بغداد، ونزل الأندلس سنة ثلاثمائة وثلاثين للهجرة المباركة لعهد عبد الرحمن الناصر[٥]، وأنه رأى عجباً عجاباً!

قال ابن سيده: قلت يا أبا بكر فما كان من أمر القالي لمّا نزل الأندلس؟

قال: وجد في ربوعها خيراً كثيراً، ونشر فيها علماً غزيرا، ولقي من حكامها عطاءاً وفيراً.

قلت: وما الذي دعاه إلى هجر بغداد حاضرة العلم ومنارة الأدب؟

قال: شدّة فقره، وعظمُ فاقته، وخمولُ ذكره، وهوانُهُ على الناس!

قلت: وكيف وصل إلى الأندلس، والمسافة جدّ شاسعة، والأرضُ بعيدة واسعة؟.

قال: وصلها «بالسيارة» طبعاً، وقطع المسافة في عشرة أيام قطعاً!

قلت: يا أبا بكر، أيعقل أن تقطع قافلة الإبل أو سيارة الخيل[٦] المسافة في عشرة أيام، وهي تستغرق ثلاثة أعوام؟!

قال: يرحمك الله، إنما قطعها «بالسيارة» وهي غير الإبل والخيل والدواب!

قلت: عجباً، وما السيّارة؟

قال: آلة من المعادن مصنوعة، فيها مقاعد موضوعة، كهوادج العرائس على روائع



بقلم: د. أحمد عطية السعودي
ـ الاردن ـ

إضاءة شخصية:

- د. احمد عطية ضيف الله السعودي ـ دكتوراة أدب ونقد.
- من مواليد الأردن ١٩٦٠م.
- له عدّة مقالات وبحوث منشورة في عدد من الصحف والمجلات المحلية والعربية منها:
* الرأي ـ الدستور ـ اللواء ـ النماء (الأردنية)
* منار الإسلام (الإمارات).
* الأدب الاسلامي (رابطة الأدب الاسلامي)

ائقين لأذواق الراكبين

القلائص، تجري على عجلات جري الرياح العاتيات!

قلت: فما الذي يحركها، أهو ريح عاصف أم عفريت مارد، أم رعدٌ قاصف؟

قال: بل وقود يشتق من «النفط» تأكله كما نأكل الطعام!

قلت: ما أحسن هذه الرحلة! ونعم الرحالة على نعم السيارة[٧]، وكيف تلقاه الناس يا أبا بكر؟

قال: أستقبل بحفاوة بالغة، واصطف الناس في مواكب يتقدمهم الخليفة الناصر، وولي عهده الحكم[٨]، وقد أصابهم ذهول شديد، واستولى عليهم العجب، وأخذتهم الرهبة لما رأوا السيارة!

قال ابن القوطية: كان سائقها الأخفش[٩]، وكان الخليفة في بغداد قد أهدى السيارة إلى الخليفة الناصر الأندلسي، وحمل فيها مجموعة من المصنفات والقصائد المطولات، وساعة من الخليفة الراحل هارون الرشيد[١٠] الى ملك الفرنج «شارلمان»[١١] وشيئا من فواكه بغداد!

قلت: لله در أهل المشرق، لقد سبقونا في العلم والأدب والصناعة والعجائب!

قال: حقا، لقد تفوقوا في الصناعة أيما تفوق، وصنفوا في السيارات مجلدات، ولم يبقوا لنا شيئا غير الموشحات[١٢].

قلت: من صنف فيها من علماء المشرق يا أبا بكر؟

قال: أبو هلال العسكري[١٣] في كتابه «سر الصناعتين» وهما صناعة السفن والسيارات! والثعالبي[١٤] في «فقه اللغة وسرّ العربية» فقد ذكر في الفصل الثامن عشر في ترتيب السوابق أكثر من ثلاثين نوعاً للسيارات ذكر منها:

الداتسون، والهوندا، والفوكس، والشبح، وأنها عربية خالصة الأسماء!.

وقام عدد من رجال السير العرب بتصنيف كتب في إشارات المرور أشهرهم: ابن هشام[١٥] الشرطي الأنصاري في كتابه «أوضح المسالك»!

قلت: فما كان حال أدباء الأندلس لمّا اجتمعوا بأبي علي القالي، وعرفوا السيارة العجيبة ذات المقام السامي؟

قال: طلبوا منه كتاباً عن رحلته وسيارته فأملى عليهم «الأمالي» ثم انبروا يصنفون في فضائل السيارة وفوائدها ما عنَّ لهم من خواطر وأشعار وحكايات، فصنف تلميذه الزبيدي[١٦]: «الواضح»، وصنف ابن عبدربه[١٧] «العقد الفريد» وصنف المقري[١٨] «نفح الطيب»!

قلت: هلا متعتنا برائق من الشعر الذي قيل فيها، فليس يحلو سمر إلا بشعر!

قال: زعم ابن عبد ربه في عقده الفريد أن «معروف الرصافي»[١٩] قال في وصف السيارة وبيان حالها وسرعتها، ونعت سروره وغبطته بها:

وفدفد قاتم الأعماق متسع ... طويتُ أجوازه طيَّ المكاتيب!

بتومبيل جرى في الأرض منسرحاً ... كما جرى الماء من سفح الأهاضيب

ينسابُ مثل انسياب الأيم تحمله ... عوامل عجلات من دواليب

كأنها وهي بالمطاط منعلة ... تمشي بأخفاف أنواق مطاريب

يمرّ كالريح لم تسمع لأرجله ... سوى حفيف كنفخ بالأنابيب!

تظلُّه قبة فيه منجدة ... فزانه حسن تنجيد وتقبيب

يخال من حلَّ فيه نفسه ملكا
يزهى بتاج على الفودين معصوب
فكنتُ أبصر حولي الأرض جارية
كمثل تيار بحر وهو يجري بي!
يلوح فضلُ الربى وصلا فأحسبها
من سرعة المرّ قد صفت بترتيب
تلك المطية لا ما كان يذكرها
أديب ذبيان من عيرانة النيب
ولم يهم لو رأى ابن العبد منظرها
من وصف عوجائة في كلّ أسلوب
ولا أطال ابن حجر وصف منجرد
عالي السَّراة كميت اللون يعبوب
لو امتطاها لبيدُ الشعر تاه بها
على الحواضر قدماً والأعاريب!

قلت: الله الله، ما أحلى هذا الوصف ، وأمتن الرصف، لا فض فوك يا أبا بكر، ولكن قل لي: كيف كانت صحبة الأخفش لأبي علي القالي؟

قال: كان الأخفش يسوق السيارة بمزاج حاد، وسرعة عالية، ويزعج القالي بالأغاني الماجنة حتى خشي الأستاذ على ذوقه من الفساد، وعلى ذهنه من الكدر، فلما وصل إلى قرطبة رمى به الحاكم في سجنها.

قال ابن سيدة قلت: يا أبا بكر، قد حدثتني طويلا عن رحلة القالي، وفي كنانتي اسئلة أودّ أن أنثرها بين يديك.

قال: هاتها وأوجز.

قلتُ: من الذى اخترع السيارة؟

قال: قُطرب[٢٠]! قلت: من قطرب؟ قال: هو أبو علي محمد بن المستنير تلميذ سيبويه صاحب «المثلثات» في اختراع السيارات.

قلت: ومن صنع حديدها؟ قال: ابن أبي الحديد[٢١] صاحب «الفلك الدائر على المثل السائر!

قلتُ: ومن صهره وركّبه؟ قال ظافر الحدّاد[٢٢]!.

قلت: ومن ركب أبوابها؟ قال: ابن البواب[٢٣] الخطاط المشهور!

قلت: ومن جهزها بالعجلات؟ قال: أحمد بن يوسف العجلي[٢٤] صاحب عبد الحميد الكاتب، وقد عيّنه المأمون وزيراً بوزارة المواصلات!

قلت: ومنْ دهّانها؟ قال: ابن الدّهان[٢٥] يرحمه الله هل في ذلك شك؟

قلت: ومن نسج فراء مقاعدها الوثيرة؟ قال: الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد[٢٦] وهو من أعلم النساجين، وله المنقوص والممدود، في الفراء الناعم والمشدود!

قلت: ومن خرط زجاجها وسوّاه؟ قال: هو الزجاج[٢٧]، وكان مصنعه قرب مدرسة البصرة النحوية، وله كتاب «الاشتقاق» يسترشد به عُمّال المصنع!

قلت: ومن الذي تمم البقية؟ قال: ابن البقية أبو الطيب ناصر الدولة[٢٨]!

قلت: يا ابا بكر، قد فرغتُ. قال: مازالت في صدرك أسئلة تختلج!

قلت: نعم الحُرُّ يعرفُ بالإشارة. قال: هاتها.

قلت: ما بال الأخفش يزعج عالمنا وشيخنا القالي بالأغاني، ألا يعرف قدر الرجل؟

قال: إنَّ الأخفش ـ هداه الله ـ قد فسد ذوقه لمّا قرأ كتاب «الأغاني» للموسيقار الشهير أبي الفرج الأصفهاني[٢٩]، فصار مبتذلا يجالس الدهماء عند «خزانة» الحموي[٣٠]، ويأكل الشطائر من «كشكول» العاملي[٣١]، ويتصفح الجرائد ليطلع على «عيون الأخبار»[٣٢]!

قلتُ: وكم لبث في سجن قرطبة؟

قال: بضع ليال، تم نفاه الخليفة الى المشرق، وفي طريقه اكتشف بحراً كبيراً لولا أنْ تداركه بعض الغواصين لكان من المغرقين، فسماه «المتدارك» فعبره، ونجا من أمواجه المتلاطمة!

قلت: فما كان من أمر السيارة؟

قال: نعم بها الخليفة زماناً، ثم سرقها لصوص مملكة «قشتالة»[٣٤] فانتقلت الى الغرب فظنوها دابة



فقدموا لها التبن والشعير!

قال ابن عصفور راوية هذه الحكاية العجيبة: ثم إنَّ ابن سيده صنف معجماً قصره على السيّارة ومعانيها سمّاه «المخصص» في سبعة عشر مجلداً، وجعل تاج معجمه رسالة القالي في كتابه الأمالي: «إفساد السائقين لأذواق الراكبين»!!

هوامش:

(١) ابن عصفور: أبو الحسن علي بن مؤمن الحضرمي الاشبيلي، له في النحو والتصريف: المُقرِّب، والممتع في التصريف، ومختصر المحتسب لابن جني، ت (٦٩٣هـ).

(٢) ابن سيده: علي بن اسماعيل، لغوي أندلسي كبير، له «المخصص»، والمحكم والمحيط الأعظم» في اللغة، وكان ضريراً ت(٤٥٨هـ). كان أعلم زمانه.

(٣) ابن القوطية: أبو بكر، تلميذ أبي علي القالي، له كتاب الأفعال وتصاريفها، ت (٣٦٧هـ).

(٤) أبو علي القالي: اسماعيل بن القاسم، تتلمذ على ابن دريد وأبي بكر بن الأنباري، رحل الى الأندلس ونزلها سنة ٣٣٠هـ، وقاد فيها نهضة لغوية ونحوية خصبة، وكان موضع إجلال بين العلماء وعامة الناس، وقد عاش فيها نحو ثلاثين سنة وتوفي فيها سنة (٣٥٦هـ) وأملى فيها «الأمالي» وله كتاب «البارع».

(٥) عبد الرحمن الناصر: خليفة أندلسي حكم خمسين سنة (٣٠٠هـ - ٣٥٠هـ) وهو أعظم خلفاء الأندلس بنى قصر الزهراء، بلغت البلاد في زمانه أوج مجدها علماً وقوة وديناً ومالا.

(٦) السيارة: هي القافلة، قال تعالى: {وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم}.

(٧) إشارة الى مثال يسوقه الفرّاء وجماعة من الكوفيين على اسمية «نعم وبئس» بدخول حرف الجرّ عليهما في قول محبٍّ سار الى محبوبته على حمار بطيء السير: نعم السَّير على بئس العير!.

(٨) الحكم: ابن عبد الرحمن الناصر، ولي الخلافة بعد أبيه، وكان حازماً محباً للعلم. ت (٣٦٦هـ).

(٩) الأخفش: سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، إمام في النحو، وتلميذ سيبويه، له البحر «المتدارك».

(١٠) هارون الرشيد، خليفة عباسي، كان يغزو عاماً ويحج عاماً، ت (١٩٣هـ).

(١١) شارلمان: ملك فرنجي، حكم (٧٦٨م - ٨١٤) كانت بينه وبين الرشيد علاقات ودية.

(١٢) الموشحات: كلام منظوم على وزن مخصوص، لها أقفال وأبيات، وهي مشبهة بوشاح المرأة.

(١٣) أبو هلال العسكري: عالم في النقد والبلاغة، له «سر الصناعتين» ت (٣٩٥هـ).

(١٤) الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد، أديب متمكن في اللغة، له «يتيمة الدهر» و«فقه اللغة» ت (٤٢٩هـ).

(١٥) ابن هشام: صاحب قطر الندى، وأوضح المسالك، نحوي مصري ت (٧٦١هـ).

(١٦) الزبيدي: أندلسي ت (٣٧٩هـ).

(١٧) ابن عبد ربه: أديب أندلسي ت (٣٢٧هـ).

(١٨) المقري: أحمد بن محمد، رجل صالح صاحب «النفح» ت (١٠٤١هـ).

(١٩) معروف الرصافي: شاعر عراقي كبير ت (١٩٤٥م).

(٢٠) قطرب: عالم بصري ت (٢٠٦هـ).

(٢١) ابن أبي الحديد، عالم بالأدب، له شرح نهج البلاغة ت (١٢٥٧)م.

(٢٢) ظافر الحداد: شاعر.

(٢٣) ابن البواب: خطاط مشهور ت (١٠٢٢م).

(٢٤) العجلي: كاتب، وزير للمأمون ت (٨٢٨م).

(٢٥) ابن الدهان: صاحب الفصول في العربية ت (٥٦٩هـ).

(٢٦) الفراء: زعيم الكوفيين بعد الكسائي، ت (٢٠٧هـ).

(٢٧) الزجاج: من أكابر أهل العربية ت (٣١١هـ) عمل في صناعة الزجاج، له «معاني القرآن».

(٢٨) ابن بقية: وزير مشهور مات تحت أقدام الفيلة ت (٩٧٨م).

(٢٩) الأصفهاني: ناقد بليغ ت (٣٥٦هـ).

(٣٠) الحموي: عبد القادر بن عمر البغدادي ت (١٠٩٣هـ).

(٣١) العاملي: بهاء الدين صاحب الكشكول والمخلاة ت (١٠٣١هـ).

(٣٢) عيون الأخبار: كتاب أدب لابن قتيبة (٢٧٦هـ).

(٣٣) البحر المتدارك: بحر عروضي استدركه الأخفش على الخليل وزنه الشائع: فَعِلن فَعِلنَ فعلن فعلن فَعِلن فَعِلن فَعِلن فَعِلن.

(٣٤) قشتالة: مملكة قديمة في إسبانيا حاربت المسلمين في الأندلس وبخاصة بعد زواج إيزبيلا من فرديناند الثاني.

الضرائر الشعرية والنثرية في النحـــو العـــربي

لقد عُني العلماء - قديماً - بحفظ اللغة العربية، وخدمتها، وروايتها وضبطها، وحرصوا على نقائها.

ودافعهم في ذلك أنها لغة «القرآن الكريم»، قال تعالى: {**إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون**} (الحجر/ ٩)، وقال سبحانه: {**نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين**} (الشعراء/ ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥).

وقد جمعوا «الشعر العربي» لأنه ديوان مآثرهم، وسجل مفاخرهم وترجمان أفكارهم، وعنوان تراثهم، ورافع ألوية عظمتهم. وهو الذى حفظ على «العرب» تاريخ مجدهم الأدبي، الذي تاهوا ولا يزالون يتيهون به بين الشعوب والأمم، ويرفعون به الرأس عالياً، وأنه لتتجلى به قدرتهم على البيان وسحره.

ولما اتسعت رقعة البلاد، وكثرت الفتوحات الإسلامية، واختلط أبناء المسلمين العرب بالأعاجم تسرَّب اللحنُ إلى الألسنة.

قال «المبرد»[١] في «الفاضل» (ص٤):

(كان الصدر الأول من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يعربون طبعاً حتى خالطهم العجم، ففسدت ألسنتهم، وتغيرت لغاتهم).

فقام الغيورون من علماء العربية باستقراء كلام العرب - منثوره ومنظومه - بغرض وضع القواعد، وتثبيتها، لحماية الألسنة والأقلام من الخطأ.

قال «المبرِّد» في «الفاضل» (ص٥):

(ذكر أن السبب الذي بُني له أبواب النحو، وعليه أصلت أصوله أن ابنة «أبي الأسود الدؤلي[٢]» قالت: يا أبت ما أشدُّ الحرِّ! قال: الحصباء بالرمضاء.

قالت: إنَّما تعجبتُ من شدَّته. قال: أو قد لحن الناس؟ فأخبر عليا - رحمة الله عليه - فأعطاه أصولا بنى منها، وعمل بعده عليها، فأخذه عن «أبي الأسود» عنبسة بن معدان المهري الذي يقال له: «عنبسة الفيل»[٣].

تصدى علماء النحو العربي لظاهرة اللحن، وكان من أبرز مصادرهم بعد «القرآن الكريم»: «الشعرُ العربيُّ»، و«النثرُ العربي»، فقد استمدوا منهما أصول النحو وقواعده.

وقد عثروا في مسيرتهم هذه على ألفاظ وتراكيب تشذُّ عن الأصول التي استنبطوها، والقواعد التي قعَّدوها. وليس كلُّ شاذ أو نادر مرفوضاً، كما أنه ليس كلُّ مطَّرد مقبولا. وأبسطُ القول في ذلك: فقد قسم «ابنُ جني» في «الخصائص» (١ : ٩٧) الكلام إلى أربعة أضرب:

بقلم: د. محمود فجَّال
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
أبها - السعودية -

الأول: مطرد في القياس والاستعمال جميعاً، وهذا هو الغاية المطلوبة، والمثابة المنوبة، وذلك نحو: «قام زيد»، و«ضربت عمراً» و«مررت بسعيد»٠

الثاني: مطرد في القياس، شاذ في الاستعمال، وذلك نحو الماضي من «يذر» و«يدع» وكذلك قولهم: «مكان مبقل» هذا هو القياس، والأكثر في السماع: «باقل» ، والأول مسموع أيضاً٠

الثالث: مطرد في الاستعمال، شاذ في القياس، وذلك نحو: «استصوبت الأمر»، يقال «استصوبت» ولا يقال: «استصبت» ومنه «استحوذ»، و«أغْيَلَتْ[٤] المرأة»٠

الرابع: شاذ في القياس والاستعمال جميعاً، وهو كتتميم «مفعول» فيما عينه «واو» وذلك نحو: «ثوب مصوون»، «مسك مدووف»[٥]٠

ولا يحسن استعماله فيما استعملته العرب فيه إلا على وجه الحكاية٠

واعلم أن الشيء إذا اطرد في الاستعمال، وشذ عن القياس، فلابد من اتباع السمع الوارد به فيه نفسه، لكنه لا يتخذ أصلا يقاس عليه غيره، ألا ترى أنك إذا سمعت: «استحوذ» و«استصوب» أديتهما بحالهما، ولم تتجاوز ما ورد به السمع فيهما الى غيرهما٠ ألا تراك لا تقول في «استقام»: «استقوم»، ولا في استساغ «استسوغ»، ولا في «استباع»: «استبيع»، ولا في «أعاد»: «أعود»، لو لم تسمع شيئا من ذلك قياساً على قولهم: «أخوص الرِّمْثُ»[٦]٠

فإن كان الشيء شاذاً في السَّماع مطرداً في القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك، وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله٠ من ذلك امتناعهم من: وذر، وودع؛ لأنهم لم يقولوهما٠٠)٠

وقد وجد علماء العربية في تتبعهم واستقرائهم مفردات وأساليب خرجت عن قواعدهم، وشذت عن أصولهم التى أصلوها من كلام العرب الخُلَّص، ولا يباح لهم أن يرفضوا هذا الشذوذ، أو الخروج عن القواعد، لأنه مطرد في الاستعمال٠

فما كان من علماء النحو العربي إلا أن يصنفوا هذه المفردات، والأساليب تحت عنوان «الشذوذ» أو «الضرورة»٠

وقد اختلف «النحاة» في حدِّ «الضرورة»: ففي «الضرائر» لـ «الألوسي» (ص ٦ ـ ٨) بتصرف:

ـ ذهب الجمهور: إلى أن «الضرورة» ما وقع في «الشعر» مما لا يقع في النثر سواء أوجد للشاعر عنه مندوحة[٧] أم لم يوجد٠

ـ ومنهم من قال: إنها ما ليس للشاعر عنه مندوحة٠ وبه قال «ابن مالك»[٨]، فإن «الضرورة» مشتقة من الضرر، وهو النازل مما لا مدفع له٠

وقد بسط الردَّ على القول الثاني «أبو إسحاق، الشاطبي»[٩] في «المقاصد الشافية فى شرح الخلاصة الكافية»٠ وتوسع في بيان هذه المسألة في (باب الضرائر) من كتابه: «أصول العربية» وحاصل ما ذكره في «شرح الألفية» أن هذا القول باطل من وجوه:

أحدها: إجماع النحاة على عدم اعتبار هذا المنزع وعلى إهماله في النظر القياسي جملة، ولو كان معتبراً لنبهوا عليه٠

الثاني: أن «الضرورة» عند «النحاة» ليس معناها أنه لا يمكن في الموضع غير ما ذكر، إذ ما من ضرورة إلا ويمكن أن يعوض من لفظها غيره٠ ولا ينكر هذا إلا جاحد لضرورة العقل٠ هذه «الراء» في كلام العرب من الشياع في الاستعمال بمكان لا يجهل، ولا تكاد تنطق بجملتين تعريان عنها، وقد هجرها «واصل بن عطاء»[١٠] ، لمكان لثغته فيها، حتى كان يناظر الخصوم، ويخطب على المنبر، فلا يسمع في نطقه «راء»[١١]٠، فكان إحدى الأعاجيب حتى صار مثلا٠

ولا مرية في أن اجتناب «الضرورة الشعرية» أسهل من هذا بكثير. وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد أدى الى أن لا ضرورة في شعر عربي، وذلك خلاف الإجماع.

وإنما معنى «الضرورة» أن الشاعر قد لا يخطر بباله إلا لفظة ما تضمنته ضرورة النطق به في ذلك الموضع إلى زيادة أو نقص، أو غير ذلك بحيث قد يتنبه غيره إلى أن يحتال في شيء يزيل تلك الضرورة.

الثالث: أنه قد يكون للمعنى عبارتان، أو أكثر، واحدة يلزم فيها ضرورة إلا أنها مطابقة لمقتضى الحال، ولا شك أنهم في هذه الحال يرجعون إلى الضرورة؛ لأن اعتناءهم بالمعاني أشدُّ من اعتنائهم بالألفاظ، وإذا ظهر لنا في موضع أن مالا ضرورة فيه يصلح هنالك فمن أين يعلم أنه مطابق لمقتضى الحال؟

الرابع: أن «العرب» قد تأبى الكلام القياسي لعارض زحاف، فتستطيب المزاحف دون غيرها، أو بالعكس، فتركب «الضرورة» لذلك.

وقد تعقَّب «أبو حيان»[١٢] ابن مالك في (مسألة الضرورة)، قال في «شرحه للتسهيل»: لم يفهم «ابن مالك» معنى قول النحويين في «ضرورة الشعر»، فقال في غير موضع: ليس هذا البيت بضرورة، لأن قائله متمكن من أن يقول: كذا، ففهم أن «الضرورة» في اصطلاحهم هي الإلجاء الى الشيء.. فعلى زعمه لا توجد «ضرورة» أصلا، لأنه ما من ضرورة إلا ويمكن إزالتها، ونظم تركيب آخر غير ذلك التركيب. وإنما يعنون بـ «الضرورة» أن ذلك من تراكيبهم الواقعة في الشعر، المختصة به.

ولا يقع في كلامهم «النثر»، وإنما يستعملون ذلك في الشعر خاصة دون الكلام).

وقد اختلف «النحاة» أيضا في محل «الضرورة» فمنهم من خصها بـ «الشعر» وحده، دون «النثر»، باعتبار أن «الشعر» فن له قافية ووزن، ومنعها في النثر.

والحق جوازها في «النثر المسجوع» أيضا، لأن السجع هو النطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن.

والحكم بامتناع «الضرورة» في «النثر» دعوى بلا دليل، وتقييد جوازه بـ «الشعر» تخصيص بلا مخصص.

وفي «همع الهوامع» (٢:١٥٨) بتصرف:

(المختار وفاقا لـ «الأخفش»، وخلافا لـ «أبي حيان» وغيره جواز ما جاء في الضرورة في «النثر»، للتناسب والسجع، نحو قوله {صلى الله عليه وسلم} فيما رواه الحاكم[١٣] وغيره: «اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، وربَّ الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن» وكان القياس «أضلوا» فأتى بضمير مؤنث لمناسبة «أضللن»، و«أقللن».

وقوله فيما رواه «البزَّار»[١٤] في «مسنده» وغيره: «أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا»[١٥].

نوَّن المنادى المعرفة، ونصبه لمناسبة «إقلالا».

وقوله فيما رواه «البخاري»[١٦]: «أعيذُكما بكلمات الله التامَّة، من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامَّة».

«شيطان هامَّة» أي: حنش مخوف، و«عين لامَّة» أي: تصيبُ بسوء.

قال: «لامَّة» ليزاوج ويؤاخي لفظ «هامَّة»، لكونه أخفُّ على اللسان. والقياس: «مُلمَّة» من «ألممتُ بالشيء».

والشواهد على «الضرورة النثرية» كثيرة في «الحديث النبوي»، والكلام الفصيح.

الهوامش:

(١) هو «أبو العباس، محمد بنُ يزيد» المتوفى سنة ٢٨٥هـ.

(٢) مختلف في اسمه، قيل: «عمرو بن سفيان»، وقيل: «ظالم بن عمرو بن سفيان» من كبار التابعين، مخضرم متوفى سنة ٦٩هـ.

(٣) انظر «مراتب النحويين» (ص ٢٣ ـ ٣٠).

(٤) يقال: أغيلت المرأة ولدها إذا أرضعته، وهي حامل.

(٥) أي: مخلوط أو مبلول ـ قال: (والمسكُ في عنبره مدووف) «لسان العرب» (دوف ٩ : ١٠٨).

(٦) الرِّمث: شجر ترعاه الإبل، وإخواصه أن يبدو فيه ورق ناعم كأنه خوصة.

(٧) المندوحة: المخلص. والمتسع.

(٨) هو «محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك، جمال الدين، أبو عبد الله، الطائي الجيانيّ» المتوفى سنة ٦٧٢هـ.

(٩) هو «إبراهيم بن موسى اللخميّ، الغرناطي» المتوفى سنة ٧٩٠هـ.

(١٠) أبو حذيفة، المعتزلي. طرده «الحسنُ البصري» عن مجلسه فاعتزل عنه، توفي سنة ١٨١هـ.

(١١) انظر «البيان والتبيين» (١ : ١٤).

(١٢) هو «محمد بنُ يوسف بن علي، أثير الدين، الأندلسي الغرناطي» المتوفي سنة ٧٤٥هـ.

(١٣) «المستدرك» في (كتاب المناسك) (١ : ٤٤٦) من حديث «صهيب». وأخرجه «ابن حيان» في صحيحه في (ذكر ما يقول المسافر إذا رأى قرية يريد دخولها) (٤ : ١٧٠). والديلمي في الفردوس (١ : ٤٤٧).

(١٤) هو «أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، أبو بكر، العتكي المتوفى سنة ٢٩٢هـ بـ «الرملة» صاحب المسند الكبير، المسمى «البحر الزاخر»، حافظ صدوق.

(١٥) أخرجه «الديلميُّ» في الفردوس (١:٤٣٢) من حديث عمر وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢:٢٨٠) من حديث أبي هريرة. وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠:٢٤١)، وعزاه لـ الطبراني والبزار، وأورده العجلوني في كشف الخفاء (١:٢١٠)

أقول: روايات الحديث التي عثرت عليها «بلالُ» بضم اللام وتعرب: منادى مبنى على الضم إما بـ «يا» منكورة، كما، في بعض الروايات وإما بـ «يا» مقدرة، كما هو في غالبها.

وظاهر كلام «السيوطي» في كتابيه «همع الهوامع» و«الأشباه والنظائر» (١:٣١) أن الرواية بالنصب، وكلامه لا يفيد حصر الرواية بالنصب. ونفيُ «السخاوي» في المقاصد الحسنة (ص ١٠٣) الوقوف على رواية النصب لا ينفي الورود، لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ فهما روايتان فلا منافاة.

والسيوطي : هو جلال الدين، أبو الفضل، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، الخضيري، السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ. الحافظ، المسند، المحقق، المدقق، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة، التي قاربت الألف مصنف. انظر «شذرات الذهب» (٨:٥٠).

(١٦) أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء) (٤ : ١١٩)، من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ برواية: «أعوذ بكلمات الله التامة» وانظر «فتح الباري» (٦ : ٤١٠). و«ابن ماجة» في «سننه» في (كتاب الطب ـ باب رقية الحية والعقرب) (٢ : ١١٦٥) مثله. وأخرجه «أبو داود» في (كتاب السنة ـ باب في القرآن). انظر «مختصر سنن أبي داود» (٧ : ١٢٧) برواية: «أعيذُكما».

العين حقٌ

العين ذلك العضو الصغير في حجمه؛ وتلك الجارحة العظيمة في خطرها، تعد من اكبر نعم الله على عباده، وهي وسيلة الى خيرات كثيرة، ومعينة على مكارم جمة.. فهي معينة على القراءة، ونور في السفر والحضر، ودليل الى الجمال والمتعة البريئة.. ولكن ذلك العضو يمكن أن يكون وسيلة ضرر كما هو وسيلة نفع[١]، وهو يضر صاحبه ويضر الناس؛ وكما سنرى في هذا المقال، فإن العين سهمٌ مسمومٌ يورد المهالك ويزيِّن لصاحبه فعل محاذير كثيرة.. وها هي الآيات الكريمة تقصُّ علينا واحداً من آثار العين، قال الله تبارك وتعالى:

{وقال يابنيَّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكمُ إلا للّه عليه توكلتُ وعليه فليتوكل المتوكلون} (يوسف/ ٦٧).

يرى أكثر المفسرين أنَّ في هذه الآية دليلا على ثبوت أثر العين وضررها، وقدم معرفة ذلك في التأريخ وعند الأمم جميعها.. ومن أجل بسط الحديث في هذا الموضوع.. ولمعرفة أثر العين، وما وجَّه إليه الإسلام كلا من العائن والمعين للوقاية من ذلك الأثر.. لكل ذلك سنبدأ الموضوع بهذه السطور من تفسير القرطبي - رحمه الله - من حديثه في معنى الآية السابقة.

قال - رحمه الله - «لما عزموا على الخروج خشي عليهم العين؛ فأمرهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد؛ وكانت مصر لها أربعة أبواب؛ وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلا لرجل واحد؛ وكانوا أهل جمال وكمال وبسطة؛ قال ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم.

وإذا كان هذا معنى الآية فيكون فيها دليل على التحرز من العين، والعين حق؛ وقد قال رسول الله **{صلى الله عليه وسلم} «إن العين لتُدْخل الرجل القبر والجمل القدر»**[٢].

وفي تعوذه عليه السلام: «أعوذ بكلمات الله التامَّة من كل شيطان وهامَّة ومن كل عين لامة»[٣] ما يدل على ذلك.

روى مالك عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أنه سمع أباه يقول: اغتسل أبو سهل بن حنيف بالخرَّار فنزع جُبَّة كانت عليه، وعامر بن ربيعة ينظر، قال: وكان سهل رجلا أبيض حسن الجلد قال: فقال له عامر بن ربيعة: **ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء!** فوُعك سهل مكانه واشتد وعكه، فأتي رسول الله **{صلى الله عليه وسلم}** فأخبر أن سهلا وعك، وأنه غير رائح معك يارسول الله؛ فأتاه رسول الله **{صلى الله عليه وسلم}** فأخبره سهل بالذي كان من شأن عامر، فقال رسول الله **{صلى الله عليه وسلم}: «علام يقتل أحدكم أخاه، ألا برَّكت، إنَّ العين حق، توضأ له» فتوضأ عامر، فراح سهل مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليس به بأس؛** في رواية (اغتسل) فغسل له عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخل إزاره في قدح ثم صُبَّ عليه؛ فراح سهل مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليس به بأس[٤].

وركب سعد بن أبي وقاص يوماً فنظرت إليه امرأة فقالت: إن أميركم هذا ليعلم أنه أهضم الكشحين؛ فرجع إلى منزله فسقط، فبلغه ما قالت المرأة، فأرسل إليها فغسلت له؛ ففي هذين الحديثين دليل على أنَّ العين حقٌ، وأنها تقتل كما قال النبي **{صلى الله عليه وسلم}**، وهذا قول علماء الأمة، ومذهب أهل السنة؛ وقد أنكرته طوائف من المبتدعة، وهم محجوجون بالسنة وإجماع علماء هذه الأمة، وبما يشاهد من ذلك في الوجود؛ فكم من رجل أدخلته العينُ القبر، وكم من جمل ظهير أدخلته القدر، لكن ذلك بمشيئة الله تعالى كما قال: **{وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله}**. قال الأصمعي: رأيت رجلا عيُوناً سمع بقرة تُحلب فأعجبه شخبها فقال: أيتهنَّ هذه؟ فقالوا: الفلانية لبقرة أخرى يورون عنها، فهلكتا جميعاً، الموَّرى بها والمورَّى عنها. قال الأصمعيُّ. وسمعته يقول: **إذا رأيتُ الشيء يعجبني وجدتُ حرارة تخرج من عيني»**[٥].

وما الذي تدفع به العين؟ يرى العلماء أنَّ العين تدفع من طريقين؛ الأول هو صرفها عن المعين وهو ذو النعمة المحسود. وذلك يكون بدعاء علَّمه رسول الله **{صلى الله عليه وسلم}** أصحابه وهو: «أعوذ بكلمات الله التَّامَّة من كل

بقلم: عبد العزيز بن صالح العسكر
- السعودية -

شيطان وهامة ومن كل عين لامَّة»[٦] فيدعو المسلم بهذا الدعاء: وهو بإذن الله تعالى حرز من العين وغيرها»[٧].

أما العائن فقد وجه الى ما فيه دفع ضرره عن الناس. يقول القرطبي: «واجب على كل مسلم أعجبه شيء أن يُبَرِّك؛ فإنه إذا دعا بالبركة صرف المحذور لا محالة؛ ألا ترى قوله عليه السلام لعامر: (ألا بركت) فدل على أن العين لا تضر ولا تعدو إذا برَّك العائن، وأنها إنما تعدو إذا لم يبرك والتبريك أن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين! اللهم بارك فيه»[٨] ومما يسن للعائن قوله مع عامة الناس (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) فقد روى أنس رضي الله عنه أن النبي {**صلى الله عليه وسلم**} قال: «ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت»[٩].

ثم إنه إذا وقع المحذور، وأصيب أحد بالعين فإنَّ لذلك علاجاً نافعاً بإذن الله تعالى دلَّ عليه العلماء يقول القرطبي: العائن إذا أصاب بعينه ولم يبرك فإنه يؤمر بالاغتسال، ويجبر على ذلك إن أباه؛ لأن الأمر على الوجوب، لا سيما هذا؛ فإنه قد يخاف على المعين الهلاك، ولا ينبغي لأحد أن يمنع أخاه ما ينتفع به أخوه ولا يضره هو، ولا سيما إذا كان بسببه وكان الجاني عليه.

ومن عرف بالإصابة بالعين مُنع من مداخلة الناس دفعاً لضرره وقد قال بعض العلماء: يأمره الإمام بلزوم بيته؛ وإن كان فقيراً رزقه ما يقوم به، ويكف أذاه عن الناس، وقد قيل: إنه ينفى، وحديث مالك الذى ذكرناه يرد هذه الأقوال؛ فإنه عليه السلام لم يأمر في عامر بحبس ولا بنفي، بل قد يكون الرجل الصالح عائناً، وأنه لا يقدح فيه ولا يفسق به، ومن قال: يحبس ويؤمر بلزومه بيته. فذلك احتياط ودفع ضرر، والله أعلم.

ويضيف القرطبي:

وقد روى مالك عن حميد بن قيس المكي أنه قال: دُخل على رسول الله {**صلى الله عليه وسلم**} بابني جعفر بن أبي طالب فقال لحاضنتهما: (مالي أراهما ضارعين) فقالت حاضنتهما: يارسول الله! إنه تسرع إليهما العين، ولم يمنعنا أن نسترقي لهما إلا أنَّا لا ندري ما يوافقك من ذلك؟ فقال رسول الله {**صلى الله عليه وسلم**} «**استرقوا لهما فإنَّه لو سبق شيء القدر سبقته العين**»[١٠]. وهذا الحديث منقطع، ولكنه محفوظ لأسماء بنت عميس الخثعمية عن النبي {**صلى الله عليه وسلم**} من وجوه ثابتة متصلة صحاح؛ وفيه أن الرقى مما يستدفع به البلاء، وأن العين تؤثر في الإنسان وتضرعه، أي تضعفه وتنحله؛ وذلك بقضاء الله تعالى وقدره. ويقال: إن العين أسرع إلى الصغار منها إلى الكبار، والله أعلم.

وقد أورد الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ أن من علاج العين والوقاية منها ستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردُّها عنه، كما ذكر البغويُّ في كتاب «شرح السنة» أنَّ عثمان رضي الله عنه رأى صبياً مليحاً، فقال: وسِّمُوا نونته، لئلا تصيبه العين، ثم قال البغويُّ في تفسيره: ومعنى وسموا نونته، أي سودوا نونته، والنونة: النقرة التي تكون في ذقن الصبي الصغير.

ومما تقدَّم نجد أن النَّبي {**صلى الله عليه وسلم**} أمر في حديث أبي أمامة العائن بالاغتسال للمعين، وأمر بالاسترقاء؛ قال العلماء: إنما يُسترقى من العين إذا لم يعرف العائن؛ وأما إذا عرف الذي أصابه بعينه فإنه يؤمر بالوضوء على حديث أبي أمامة، والله أعلم[١١].

نسأل الله بمنِّه وكرمه أن يدفع عنَّا وعن إخواننا المسلمين هذا البلاء، ونعوذ بكلماته التامَّة من شر ما خلق والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

(١) وقد ورد أن العين تزني، وزناها النظر إلى ما حرم الله. ولذلك فإن البصر مما سيسأل عنه العبد أمام ربه سبحانه وتعالى فيم استعمله؟ أفي حلال أم حرام.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية وحسَّنه الألباني. وضعفه الذهبي.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مالك في الموطأ. ورواه أحمد والنسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان.

(٥) الجامع لأحكام القرآن جـ ٩/ ١٤٨، وانظر تفسير أبي السعود جـ٣/ ١٦٧ ـ ١٦٨. وتفسير ابن كثير جـ٢/ ٤٨٤.

(٦) رواه البخاري.

(٧) انظر تفسير أبي السعود جـ ٣/ ١٦٧ ـ ١٦٨. وزاد المعاد لابن قيم الجوزية جـ٤ ص ١٦٢ فصل في هديه {صلى الله عليه وسلم} في علاج المصاب بالعين.

(٨) الجامع لأحكام القرآن جـ ٩ /١٤٩.

(٩) أخرجه الحافظ أبو يعلى في مسنده. وانظر تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٨٤.

(١٠) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وسنده جيد. وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين».

(١١) انظر الجامع لأحكام القرآن جـ ٩ ص ١٤٩. وزاد المعاد جـ ٤ ص ١٦٨ وما بعدها.

ذكرياتي مع «جبران»

أجمل ما في حياة الانسان ذكرياته.. بجمالها وروعتها.. بأفراحها وأتراحها.. برقتها وقساوتها.. والمهم في الذكرى، أن تكون من الصنف الذى يترك في النفس بصمات خصوصية، ليس من السهل نسيانها أو تجاهلها.

والأديب الفنان باعتباره كتلة نارية من الأحاسيس وشحنة ملتهبة من المشاعر، تشكل الذكرى في حياته جزءا مهما وقويا من الصعب جدا أن يتحرر من آثارها عليه وعلى أدبه وفنه معا.. وسواء كانت الذكرى عنوانها «امرأة» في حياة الأديب، أو صدمة، أو «فكرة» تسكن وجدانه وتؤرق مضجعه، فللذكرى طعم خاص ووقع مثير في النفس.. فاذا كانت تلك الذكريات عن أديب عبقرى وفنان فذ من مستوى «جبران خليل جبران» فذلك ما يزيد من شهية القراءة وحب الاطلاع، خاصة اذا كانت الذكريات من تأليف فنان آخر عاش فترة معينة تحت ظلال «جبران خليل جبران» في «باريس» يتدارسان معا الفن، في صفاء ووداعة وانسجام.. وأما هذا الفنان الذى دون ذكرياته الرائعة فهو الفنان اللبنانى «يوسف الحويك» الذى درس الفن وتخصص في فن النحت بتوجيه من «جبران» ذاته كما ورد في كتاب «ذكرياتي مع جبران» والذي ضمنه صاحبه ذكرياته مع «جبران خليل جبران» في الفترة ما بين سنتي (١٩٠٩ ـ ١٩١٠)، حيث اجتمع وعاش الفنان «يوسف الحويك» أجمل ذكرياته مع مؤلف «النبي» في عاصمة الجن.

وفي هذه الفترة بالذات كان جبران يعيش الارهاصات الأولى لميلاد أديب وفنان سوف يفيض على الكون بعبقرية أفكاره وفنه وآرائه فيما بعد.

ـ الآنسة أولغا ـ

في بداية الكتاب يتحدث «الحويك» عن لقائه الأول بـ «جبران خليل جبران» فيقول:

«في ربيع ١٩٠٩ كنت حديث العهد في باريس ما أزال منصرفا الى ترتيب شؤوني وتنظيم معيشتي، أجلس بين الحين والحين الى جبران، الذى كان قد سبقني الى هذه المدينة أسأله عن هذا الأمر وذاك لعلي أستفيد من اختباراته وتوجيهاته، وفيما نحن يوما نتناول طعام الغداء في مطعم صغير قرب حديقة: «اللوكسمبورج» انتبهت أن جبران شارد الذهن ملتهيا عني، ولما سألته أين هو، قال: ما لنا ولمشاغل الحياة الآن يا يوسف، التفت الى يسارك الى تلك الحسناء الجالسة وحدها تأكل على مهل وتطالع في كتاب أمامها.. واستطرد جبران ليقول:

كنت أراقبها ولاحظت أنها تختلس النظرة اليك.. ألم تشعر بسهام عينيها العسليتين؟..

تقديم : عمر بو شموخة
ـ الجزائر ـ


قوس النصر في باريس

جبران خليل جبران

والتفت حيث أشار جبران ورأيت العينين العسليتين تحدقان بي لترتدا بسرعة الى الصحن٠٠ والى الكتاب تأملتها مليا، كانت مكشوفة الرأس عن شعر مائل الى الشقرة، وعن وجه مشرق النقاوة، ويدين بضتين، وكان على كتفيها «شال» رمادى مقصب الحواشي٠

قلت لجبران بعد تفكير:

ـ ليست هذه فتاة باريسية على ما أرى ٠٠ من أي بلد هي يا ترى؟٠٠

قال جبران:

يبدو لي أنها ليست فتاة عادية٠٠ عليها سمة الأشراف٠٠ لعلها طالبة اسكندنافية٠٠ رفعت الفتاة رأسها مرة ثانية صوبنا، فلحظت أننا مشغولون بها، فعادت للحال تركز اهتمامها في الكتاب٠

ـ توق الى التحليق ـ

يلقي «يوسف الحويك» الضوء على حياة «جبران» ابان هذه الفترة التاريخية من حياته، ومن ذلك حديثه عن عدم رضا جبران خليل جبران الالتحاق بأكاديمية «جوليان» بسبب الجو الغوغائي الذي لا يلائم مزاجه، الأمر الذى جعله يفكر جديا بالشغل ضمن محترفه الفني الحر، بعيدا عن التقيد بأكاديمية خاصة٠

وفي الحديث بين الفنانين: «الحويك» و«جبران» كثيرا ما تستوقفنا أفكار جبران وآراؤه التي تنفلت من لسانه، وكأنها حكمة الفلاسفة حين يتحدث الى صديقه «الحويك»:

«أرض الشرق بور قاحلة٠٠ والجو ثقيل جامد ان لم نقل فاسد٠٠ أنا يا يوسف عازم على أن أهز

أعصاب الأمريكان، وأنفخ في أوساطهم بوقي٠٠بلادهم خصبة والدولارات بحر، رغم أن أغنياءهم ـ ككل الأغنياء ـ عميان أنانيون٠٠ لعن الله المال كيف يقف بالمرصاد بين المرء وأمانيه»٠

ويقول «الحويك» معلقا على هذه العبارة التى نطق بها «جبران»:

«بهذه العبارة الأخيرة طالما أنهى جبران كلامه معي، متذمرا من ظروفه وضيق أفقه، تواقا الى التحليق والانطلاق والبوح بما يصطرع في صدره وعقله، وليس في جناحيه بعد، الا الزغب الطري الذى لا يقوى على حمل الجسد الضخم الى الأعالي»٠

ـ مقهى الدوم ـ

في الحي اللاتيني الشهير حيث يوجد أهم مقهى يقصده الرواد «مقهى الدوم» يطلعنا المؤلف عن تأفف جبران خليل جبران من الجلوس في المقهى، حيث يرى أن ذلك مضيعة للوقت، وكان يحب السير على ضفاف «السين» أو في شوارع باريس القديمة، شأنه في ذلك شأن «بلزاك» كما يضيف «الحويك» أن جبران لم يكن يكثر من السهر، لا في علب الليل ولا في سواها، كان ضعيف البنية يؤثر الذهاب الى الفراش باكرا والانصراف الى التفكير والكتابة٠

ـ في متحف اللوفر ـ

وفي متحف «اللوفر» كثيرا ما يختلف اليه جبران مع صديقه مؤلف الكتاب٠٠ وكثيرا ما كان يعلق على اللوحات والتماثيل الفنية الثمينة التي يزخر بها المتحف، فيكشف لنا الكتاب عن رؤية جبران للفن وعن تصوره الفني للوحات والتماثيل فيقول:

«أنا بدأت أؤمن أن النوع ـ اللوحة أو التمثال أو أى أثر فني آخر ـ الذى تفهمه العين وتألف خطوطه وألوانه ومعانيه، غالبا ما يكون مبتذلا باردا، يجلب النعاس الى الجفون، حتى أن الناظر اليه يكاد يتثاءب، بخلاف النوع الذى يعصى على العين فهمه بسهولة، فانه يهيج المخيلة، وفي التهيج والفهم بعد التعب نشوة عظمى٠٠ ألا ترى معي يا يوسف كيف أن هذا النوع محاولة للتعمق والتفكير٠٠ هو الابداع؟٠٠ وفي الابداع لذة تفوق كل اللغات٠

ـ نزهة ليلية ـ

دخل جبران قاعة الرسم في المعهد الفني حاملا تحت ابطه محفظة أوراقه وأقلامه وألقى نظرة تأمل على «الموديل» وهي صبية مستلقية على المنصة تظهر عليها امارات السأم والاعياء، فبدت منه اشارة عدم رضا، وبحث بعينيه عني (يقول الحويك)، ثم اقترب مني وهمس في أذني:

ـ هذه المسكينة توحي إليّ بالشفقة، لا رغبة لي بالرسم، نفسي يضيق حتى الاختناق في هذا الجو الواجم الكئيب٠٠ أفضل النزهة على ضفاف النهر لمشاهدة هول الفيضان٠٠ وفي أثناء النزهة الليلية على رصيف «فولتير» يبدأ جبران حديثه مع صديقه «الحويك» بعد أن كان غارقا في التأمل:

«لقد زارتني الأنسة «أولغا» بعد الظهر، وأخبرتني أن الرطوبة من ارتفاع النهر ابتدأت تتسرب الى المحل حيث تتمرن على البيانو٠٠ وطلبت مني السماح لها بنقله الى محلي، وهي كما تعلم لطيفة مهذبة وذات أخلاق سامية، وقد زاد من اعجابي بها ثقافتها العميقة، إنها تتكلم الانجليزية

والألمانية عدا الفرنسية والروسية٠٠ آه يا يوسف ما أكبر الفرق بين امرأة وامرأة٠٠ كأن النساء لسن جميعا من فصيلة واحدة٠

▪ الآنسة «مارتين» ▪

تتواصل ذكريات «الحويك» مع «جبران» وها هو يضعنا أمام صورة أخرى له داخل مطعم «مدام بوده»، فيقول المؤلف مسترجعا صورة صاحب «الأرواح المتمردة» في مخيلته قائلا:

«أغمض عيني الآن وما أسرع ما تمتثل صورة جبران في خاطرى بابتسامته الحنونة ورنة صوته الدافيء وحركة يده المعبرة، وأصابعه المتسائلة أبدا، كأني وإياه سائران في طريقنا الى حديقة اللوكسمبورغ نعرج الى الشمال ونجلس على السطح المشرف على القصر وعلى قسم من الحديقة، كأنني الآن أسمع صدى صوت جبران في أذني:

- نحن في باريس يا يوسف، في هذه الحديقة الغناء، أمامنا على هذه الطريق مرت أقدام الكثيرين من العلماء العظام والفنانين الكبار٠٠ أحس أنفاس «بوفي دى شافان» و«كاريار» وبلزاك» و«ألفريد دى موسيه» و«فيكتورهيجو» و«باستور»٠٠ يخيل إلي أنني أتبين آثار أقدامهم على هذه الطريق٠

وبعد صمت طويل يسألني «جبران»:

- ما رأيك في زيارة «الست جنقياق» ما دمنا على مقربة منها، من زمان وأنا مشتاق الى طلتها٠

وفي موقع آخر من الكتاب يأخذنا الكاتب في جولة بعيدا عن صحبة «جبران» قائلا: «لا أريد أن يتبادر الى الذهن بأنني كنت دائما برفقة جبران أو هو برفقتي، فكم من أسبوع أو أكثر نقضي دون أن يشاهد واحدنا الآخر، حتى اذا التقينا بادرني جبران الى السؤال:

- أين كنت محتجبا كل هذا الوقت؟ كيف حال بنات الأبرشية؟٠

وأجيبه على الفور: بألف خير ٠٠ يسألن خاطرك٠٠

▪ مرض جبران ▪

في جزء آخر من كتاب «ذكرياتي مع جبران» يحيطنا «يوسف الحويك» بذكرى عن مرض «جبران خليل جبران» حينما جاءه الخبر أثناء الليل، فيستعيد ذلك المشهد ليقول: «أسرعت لعند جبران فاذا هو ملقى بكامل ثيابه على الديوان، مغمض العينين من شدة الألم، فقمت للحال أضيء قنديل الغاز، وأحس جبران بحركة ففتح عينيه بجهد، ولما رآني تمتم بصوت مخنوق:

- جئت يا يوسف ٠٠ دخيلك ٠٠ لا تتركني وحدى٠٠

وبأنين أشبه بالبكاء أردف:

- يا أمي يا أمي٠٠

وخفَّت الخادم على صوت الأنين حاملة صحن حساء ساخن وقالت لي بلهفة:

- جبران لم يأكل شيئا طوال النهار٠

وعبثا حاولت اقناع جبران بضرورة الأكل ولو بضع ملاعق حساء ساخن ولكنه أصر على الاشاحة بوجهه واطباق فمه مرسلا أنينا متواصلا ومغمغما هذيانا مبهما انقبضت له نفسي، وطفرت الدموع من عيني، وحرت في أمرى لا عارفا ماذا أفعل، وشعرت بوحشة الغربة٠

وبعد قليل تحدث جبران الى صديقه الحويك:

ـ أنا ولا ريب سأموت قبلك يا يوسف، وأرجو من الآن أن تضع على قبري أسدا ناهضا يزمجر.

ـ وأنا أرجوك يا جبران أن تسكت الآن بلا موت ولا قبر ولا أحد.

في شطر آخر من الكتاب، نقف على مفهوم «جبران» لفلسفة الحب من خلال ما يرويه الفنان «الحويك» قائلا: «كان جبران يستمع إليّ أسرد له أخباري عن «أولغا» و«سوسان» وعن راهبات المحبة، ويحلل ويسمو في التحليل، ثم لا يلبث أن يهبط.. ثم يبتعد.. ليعود يسألني بكل بساطة وسذاجة:

ـ هل تحب أنت الأنسة أولغا؟..

ـ هذا تطفل منك يا جبران في صميم خصوصياتي، هل سألتك أنا هذا السؤال يوما؟.. بالحقيقة أنا لا أعرف اذا كان هذا الذي أشعر به نحوها هو الحب الذي تعني.

ـ الحب هو الحب يا يوسف.. سكر يجري مع الدم في العروق، وأنواعه متعددة لا تحصى حتى أنه يكاد أن يكون لكل انسان نوع خاص، تعينه الصدف والحظ، وربما طول القامة ولون العينين.. ان الانسان لم يعد يعيش في المغاور والغابات، حياته تطورت مع الزمن.. وهكذا تفكيره.. كان للعامل الديني أثره الفعال.. من الكهان شرائع الحب تكرهها نفسي، لأنها مستوحاة من الجهل والكبرياء والظلم والعبودية، فالمرأة المسكينة مضطرة للخضوع، فهم لم يشاوروها غداة وضعوا الشرائع والقوانين في أمر يهمها أكثر مما يهمهم، ثم راحوا ينسبون شرائعهم للخالق والخالق براء منها، لأنها متى حللت وجدت بعيدة عن روح العدالة الالهية.

▪ سفر جبران ▪

ويختتم «يوسف الحويك» ذكرياته الأثيرية عن صديقه «جبران» بالحديث عن سفر هذا الأخير الى أمريكا بعد صداقة وحياة في باريس.. وبعد استقرار جبران على أرض أمريكا، يبعث بالرسالة التالية الى «يوسف الحويك» مؤرخة يوم: ١٩ كانون الثاني ١٩١١/ بوسطن:

أخي يوسف:

سعدا لمن له مرقد عنزة في باريس وهنيئا لمن يسير على ضفاف نهر السين متأملا بصناديق الكتب العتيقة والرسوم القديمة.. أنا في هذه المدينة المملوءة بالأصدقاء والمعارف كمنفى الى أقاصى العالم، حيث الحياة باردة كالثلج وقاتمة كالرماد وصامته كأبي الهول.. شقيقتي بقربي والمحبون حولي في كل مكان، والناس يأتون الى منزلي صباحا مساءا، ولكنني غير مسرور من حياتي يا يوسف.. أشغالي كثيرة وسائرة نحو قمة الجبل، وأفكاري هادئة، وجسدي يتمتع بكل ما في الصحة من لذة الوجدان، لكنني لست مغبوطا يا يوسف، ونفسي جائعة ظامئة الى مأكل ومشرب لا أدري أين هما.. النفس زهرة علوية لا تعيش في الظل.. اما الأشواك فتعيش في كل مكان.

«الريحاني» في مكان قريب من نيويورك وهو يعيش حياته.. كلانا يشكو الى الآخر ما في قلبه ويتوق الى لبنان ويتشبب بمحاسنه.. تلك حياة أبناء الشرق المصابين بداء الفن.. سلام الى الأرواح المتطايرة حول رأسك.. سلام اليك من أخيك ومحبك: جبران.



التلوث بالمواد العضوية
وحياة البحر المتوسط



تلوث المياه
خطر كبير يهدد الإنسان

Jumada 1-2, 1420 H - Sep - Oct, 1999 G

البيئة النظيفة في الاس

لقد أنعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان منّا منذ بدء الخليقة ببيئة نظيفة نقية ومتوازنة في كل مكوناتها حتى يحيا فيها الإنسان حياة طيبة آمنة تليق به، ولما جاء الإسلام حرص كل الحرص على عمارة الكون وتنظيم مكونات البيئة وتجميلها للمؤمن لتكون خالية من الشرور والأمراض، وإذا تدبرنا آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وجدناها زاخرة بكل ما يدعو إلى الحفاظ على مكونات البيئة المختلفة من نبات وحيوان وأنهار وبحار وغيرها حتى يبقى للكون نقاؤه وطهارته، وبما أن الله تعالى قد استخلف الانسان في الأرض وذلك عبر جميع العصور السابقة وحتى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وخصه وميّزه بنعمة العقل التى حرم منها بقية المخلوقات فإنه يجب على الانسان أن يشكر لله هذه النعم بالحفاظ عليها وعدم المساس بها قال تعالى: {**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**} (الاسراء/٧٠).

ولقد ارتبطت خلافة الإنسان في الأرض بتسخير الله تعالى الأرض له وتمهيدها وتسخير ما في السموات، الشمس والقمر والنجوم وجميعها مسخرات بأمره، أما تسخير ما في الأرض فيقصد به كل ما هو ظاهر على سطح الأرض من نبات وحيوان وبحار وأنهار وكذلك تسخير ما في باطن الأرض من ثروات معدنية، يقول الله تعالى {**ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض**} (الحج/ ٦٥)

ويؤكد الله تعالى على أن كل ما في الأرض ملك للإنسان وذلك في قوله تعالى جل شأنه {**هو الذى خلق لكم ما في الأرض جميعاً**} (البقرة/ ٢٩).

كما أن الله تعالى قد سخّر الأرض وما فيها للإنسان ومهدها له ليتمتع بالحلال من الطيبات يقول تعالى: {**الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا**} (طه/ ٥٣). ويقول تعالى في موضع آخر {**هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**} (الملك/١٥).

تسخير البحار والأنهار:

البحار والأنهار هي جزء مما سخره الله تعالى للإنسان في الأرض فهي تزخر بثروات هائلة من الأسماك والمعادن كما أن مياه الأنهار تستغل في الرى والعمليات الزراعية الأخرى كذلك تسير في البحار والأنهار السفن والمراكب التى يجنى الإنسان منها الفوائد الجمة، يقول تعالى في سورة الجاثية آية/١٢ {**الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**}، ويقول الله تعالى في موضع آخر في كتابه الكريم {**وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى**

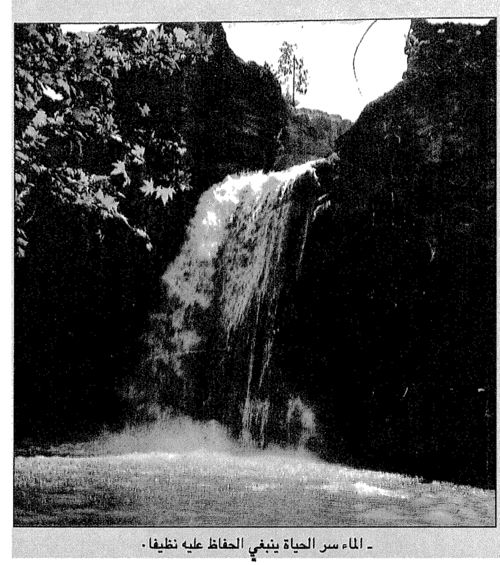
بقلم: فيصل صالح اسعد
- جـدة -

ـلام

الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون} (النحل/ ١٤).

تسخير الأنعام وغيرها من المخلوقات:

الأنعام من نعم الله على عباده التي لا تعد ولا تحصى واسمها مشتق من النعمة ويؤكد الله تعالى تسخير الأنعام للإنسان في قوله تعالى: **{أو لم يروا أنّا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون}** (يس/ ٧١). وقد ذكر الله تعالى الفوائد المتعددة التي يجنيها الإنسان من تسخير الأنعام له فيأكل لحومها ويشرب ألبانها ويتخذها وسيلة من وسائل الاتصال بالركوب عليها ويتخذ من أصوافها وأشعارها وأوبارها وجلودها الأثاث ويبين الله تعالى هذه المنافع في الآيات التالية: **{أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون، ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون}** (يس/ ٧١، ٧٢، ٧٣). ويقول الله تعالى في موضع آخر: **{والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمالٌ حين تريحون وحين تَسْرَحُون، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون}** (النحل/ ٥، ٦، ٧، ٨).



ـ الماء سر الحياة ينبغي الحفاظ عليه نظيفا.

تسخير الرياح:

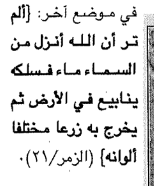
كذلك سخر الله تعالى الرياح لفائدة الإنسان وقد ذكر الله تعالى أن الرياح هي سبب في نزول الأمطار ولم يرد ذكر الرياح في القرآن الكريم إلا وهى مقترنة بالسحاب أو الودق أو المطر ووصف الله سبحانه وتعالى الرياح بأنها بشرى للإنسان لأنها تتسبب في هطول الأمطار التى يستبشر بها الإنسان لما فيها من نعم وفيرة له ولأنعامه إذ

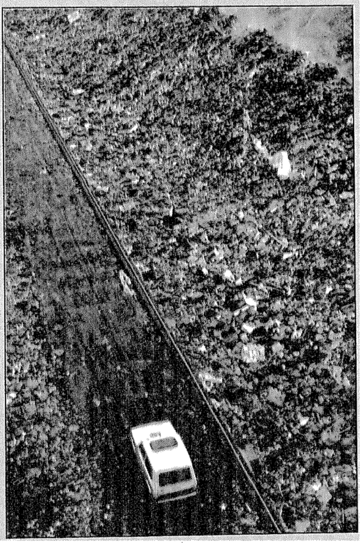
تخضر الأرض وتخرج خيراتها، يقول تعالى في محكم تنزيله **{الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون}** (سورة الروم/٤٨).

ويذكر الله تعالى فائدة أخرى لتسخير الرياح وهى أنها وسيلة للتلقيح مساعدة بذلك في انتشارها، ويقول تعالى في ذلك **{وأرسلنا الرياح لَوَاقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين}** (الحجر/٢٢).

وجعلنا من الماء كل شيء حي:

لا أحـــد ينكر أهمية الماء وأنه عصب الحياة لكل المخلوقات الحية لذا ورد ذكره في القرآن الكريم في مواضع كثيرة بينها للإنسان لأهميته حتى يحافظ عليه نظيفا نقيا كما أنزله الله تعالى وأن يتصرف فيه بحذر وأن يتجنب تلويثه لأن هناك مخلوقات تستمد حياتها منه كالأسماك والحيتان يقول الله تعالى **{وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون}** (الأنبياء/٣٠) ومعظم المواضيع التى ورد فيها ذكر الماء في القرآن الكريم يكون مرتبطا بالأرض وهى إما ميتة أو خاشعة أو هامدة فينزل الماء فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج، فكأن الماء هنا بمثابة الروح للجسد فيحيا عندما تنفخ فيه الروح ويموت عند مفارقتها له، والله تعالى يريد أن يلفت نظر الانسان إلى هذا المصدر الحيوى المهم وهو الماء كى يحافظ عليه، يقول الله تعالى **{وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج}** (الحج/٥) ويقول تعالى في موضع آخر: **{ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه}** (الزمر/٢١).





ـ النفايات ـ هكذا ـ تلويث البيئة.

تسخير الأشجار والجنان:

كذلك سخر الله تعالى خيرات الأرض للإنسان فأنزل الماء من السماء فأخرجت الأرض نعمها من نخيل وأعناب وزيتون ورمان وسائر الفواكه الأخرى، يشكر الإنسان هذه النعم بالحفاظ عليها وعدم إتلافها بقطعها أو

حرقها لغير منفعة، ولابد أن نتذكر هنا وصية أبى بكر الصديق رضي الله عنه لجيوش الفتح المتوجهة الى الشام **(لا تقتلوا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تحرقوا زرعا ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله)**.

يتضح من تلك الوصية أن الإسلام حتى في حالة الحرب ينهى عن قطع الشجر أو حرق المزروعات أو ذبح الحيوان انتقاما من الخصم وحرصا منه على مفردات البيئة الحية إلى جانب عدم المساس بمصالح المدنيين العزل من السلاح وفي هذا الشأن يقول الله تعالى {**وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون، ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون**} (يس/ ٣٣، ٣٤، ٣٥).

حفظ النوع والسلالة وأثرهما في التوازن البيئى:

اهتم الإسلام بحفظ النوع والسلالة في الإنسان والحيوان والنبات وجميع المخلوقات الحية لأن هذه المخلوقات تؤثر في التوازن البيئى وتتأثر بأي خلل يحدث فيه وإبقاء النوع والسلالات هو أكبر ضمان لإبقاء هذا التوازن المطلوب، لأن طغيان عنصر على آخر يحدث خللا في مفردات منظومة البيئة الحية قد يؤدى إلى دمار بقية المخلوقات هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الله تعالى قد خلق كل مخلوق ليؤدى دوراً معينا في الحياة، وبقاؤه واستمراره أمر غاية في الضرورة ولهذا وذلك اهتم القرآن الكريم بأمر النوع والسلالة في قصة الطوفان التى حدثت قبل عدة قرون خلت في عصر سيدنا نوح عليه السلام حيث أمره الله تعالى بأن يصنع الفلك وأن يحمل معه فيها من كل زوجين اثنين حفظا للنوع والسلالة، يقول المولى عز وجل في كتابه الكريم: {**حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول**} (هود/ ٤٠) ويذكر الله تعالى في مواضع عدة في القرآن الكريم أنه خلق من كل زوجين ذكراً وأنثى لضمان عملية التناسل وبقاء وحفظ النوع، يقول تعالى في محكم تنزيله: {**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تَذَكَّرون**} (الذاريات/ ٤٩).

الضوابط الإلهية للحفاظ على مكونات البيئة:

الإستخلاف في الأرض يعنى الانتفاع بها دون إتلافها بوجه غير مشروع، وبما أن الإنسان مستخلف في إدارة الأرض واستثمارها فهو أمين عليها ويجب أن يتصرف فيها تصرف المؤتمن على أمانته فهو يتصرف في حدود الأمانة مراعيا بذلك قول الله تعالى: {**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا**} (الأحزاب/٧٢).

وسطية الإسلام في التعامل مع مفردات البيئة:

الاسلام دين الوسطية والاعتدال. فلا إفراط ولا تفريط ولا ضرر ولا ضرار، وهكذا يكون أمر المسلم دائما وسطا، فإذا تعامل مع البيئة من حوله

فلا يجور ولا يستنزف، يقول الله تعالى: {**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يَقْتُروا وكان بين ذلك قواما**} (الفرقان/ ٦٧). ويقول في موضع آخر: {**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**} (الإسراء/ ٢٩). ويقول الرسول الكريم {صلى الله عليه وسلم} «**كلوا واشربوا والبسوا وتصدَّقوا في غير إسراف ولا مخيلة**» رواه النسائي وابن ماجه، وقد نهى الرسول {صلى الله عليه وسلم} عن الاسراف في استهلاك المياه حتى ولو كان الغرض من ذلك هو الوضوء أو الغسل «فقد أخرج ابن ماجه من حديث ابن عمر أن النبي {صلى الله عليه وسلم} مرَّ بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ فقال له: «**ما هذا السرف**» ـ فرد عليه سعد ـ أفي الوضوء إسراف؟ قال النبي الكريم {صلى الله عليه وسلم}: «**نعم .. وإن كنت على نهر جار**». وقال أيضا {صلى الله عليه وسلم}: «**ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ـ حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لابد فاعلا فثُلُثٌ لطعامه وثُلُثٌ لشرابه وثُلُثٌ لنفسه**» رواه الترمذي. إذن التوسط هو مسلك المسلم في المأكل والمشرب والملبس والصلاة والإنفاق والاستهلاك وفي كل شيء يمكننا أن نعتبر أن مبدأ الوسطية والاعتدال هو أوّل ضوابط خلافة الإنسان في الأرض.

ـ المفاعلات والصناعات الثقيلة تحولت الى كارثة على البيئة.

تحريم صيد الحيوانات البرية في موسم الحج:

ويمكن اعتباره الضابط الثاني لاستخلاف الإنسان في الأرض، فقد حرم الله تعالى الصيد على الحجاج في الأراضي المقدسة ما داموا محرمين بحج أو بعمرة يقول الله تعالى في محكم تنزيله: {**يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حُرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثلُ ما قَتَلَ من النَّعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام**} (المائدة/ ٩٥). وفي الآية السابقة وضع الله سبحانه وتعالى كفارة لمن يقتل صيدا وهو مُحرم، وهذه الكفارة أن يذبح من الأنعام ما يوازى ما قتله من الصيد أو أن يشترى بقيمة الصيد المقتول طعاما يوزعه على المساكين، وهذا بالنسبة لمن يرتكب هذا الخطأ لأول مرة، أما من يعود للمرة الثانية فسوف ينتقم الله منه يوم القيامة وقد روى النسائي وابن حبان أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة يقول يارب فلان قتلنى عبثا ولم يقتلنى

لمنفعة» ومعنى عج أى رفع صوته بالشكوى لله تعالى يوم القيامة، كل هذا في سبيل حماية الصيد والحفاظ على البيئة نقية طيبة.

النهي عن الفساد في الأرض:

ويمكن اعتباره الضابط الثالث من ضوابط استخلاف الله تعالى للإنسان في الأرض، فمما لا شك فيه أن إتلاف مكونات البيئة من قتل الأنعام وتلويث المياه وتلويث الهواء وقطع الأشجار والزروع وغير ذلك لغير مصلحة عامة يؤدى إلى فساد الحياة والله لا يحب الفساد ولا المفسدين، يقول تعالى: {**يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين**} (العنكبوت/ ٣٦). ويقول الله تعالى في موضع آخر من كتابه الكريم {**كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين**} (البقرة/ ٦٠). ويقول الله تعالى أيضا: {**وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد**} (البقرة/ ٢٠٥).

ويقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «إذا قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر» رواه أحمد.

وفي هذا الحديث نجد إلى جانب ما فيه من معنى إيجابي في الحض على المضى في العمل المنتج والاقبال عليه حتى قيام الساعة فيه أيضا الأمر من رسولنا الكريم {صلى الله عليه وسلم} بتوسيع المساحة الخضراء كمنظومة حيوية أساسية لتجميل الحياة على الأرض، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول {صلى الله عليه وسلم}: «**لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون**» متفق عليه.

والحقيقة العلمية في هذا الحديث تكمن في منع تلوث الهواء من استمرار عملية الاحتراق لسببين:

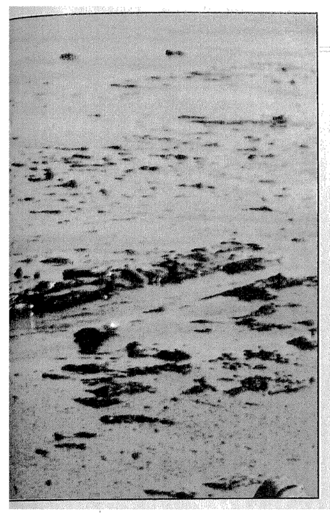
أولهما: أن المنتج الرئيسي للغازين أول وثانى أوكسيد الكربون ترتفع نسبته في هواء الغلاف الجوى للأرض.

ثانيهما: تبقى عملية الاحتراق مستهلكا شرساً ومباشرا لنسبة معلومة من الأوكسجين الحيوى عن طريق تعطيل فاعليته وتثبيته في مركبات سامة مثل الكربون وغيره كما حرص الإسلام على حماية البيئة من التلوث بالنهى في السنة المطهرة عن التغوط أو التبول على الطريق وفي الظل والمياه الراكدة، ومن الأحاديث النبوية الشريفة التى وردت في هذا الشأن ـ عن جابر عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه نهى عن البول في الماء العذب.. رواه الإمام مسلم في صحيحه ـ وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «**اتقوا الملاعن الثلاث**» ـ قالوا يارسول الله وما هي؟ قال {صلى الله عليه وسلم}: «**البراز في الموارد وعلى قارعة الطريق وفي أماكن الظل**» (أخرجه أبو داود في سننه).

وأخيرا.. كانت هذه هي الضوابط الثلاثة التى وضعها الله سبحانه وتعالى كموجهات عامة يهتدى بها الانسان الذى استخلفه الله تعالى في الأرض. ولا شك في أن الإنسان منا لو سار مستضيئا بنهج هذه الضوابط فسوف يحفظ للبيئة اتزانها وجمالها وطهارتها السماوية وبالتالى نضمن السلامة لنا ولأبنائنا ولأجيالنا المقبلة بإذن الله تعالى.



تلوث المياه .. خطر كبير يهدد الإنسان



** الماء من أكبر نعم الله تعالى على الإنسان وباقي الأحياء، وهو كل شيء بل هو الحياة يقول تعالى: «وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون» سورة الأنبياء آية/٣٠.

فالماء سر الحياة ولا يعرف قدره إلا عند فقده، وبدون الماء يموت الإنسان وينفق الحيوان ويهلك النبات، لذا يجب علينا الاهتمام بالوسط المحيط بنا والمحافظة عليه لمنع تلوث الماء والهواء والتربة، إن تلوث الماء يعتبر من المواضيع البيئية الهامة ويشكل خطراً كبيراً يهدد الإنسان أينما كان، وبصورة عامة فإن كل عمل يدخل في الوسط الطبيعي عناصر غريبة عنه يشكل سبباً من أسباب التلوث، وما يحدثه الإنسان من فساد للطبيعة هو خطر يهدد البشرية في عصرنا الحاضر والمستقبل. يقول تعالى: {ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون} (الروم/٤١).

تلوث الماء Water Pollution:

الماء سر الحياة لجميع الكائنات الحية من الإنسان والحيوان والنبات، والماء بالنسبة للنبات أساسي في حياته فهو ضروري لقيام الأحياء بوظائفها ففي الوسط المائي تتم جميع العمليات الفيزيولوجية من تحليل وتركيب وتنفس وتعرق وحركة الماء وغيرها، ويدخل الماء في كثير من التفاعلات الكيميائية الحيوية في النبات، وإذا انخفضت نسبة الماء إلى حد معين يذبل النبات ويموت، ويلعب الماء دورا هاما في الصناعة والزراعة وحياة البشر وتوزعهم السكاني.

تتوزع المياه على الكرة الأرضية على الشكل التالى (٩٧٫٢٪) مياه البحار والمحيطات و(٢٪) بشكل جليد دائم في القطبين الشمالي والجنوبي وفي قمم الجبال العالية.



أما المياه العذبة فلا تشكل سوى (٠٫٨٪) من المجموع الكلي للمياه وهذه العذبة في تجدد

بقلم : أ. د. محمد غسان سلوم
جامعة دمشق ـ سوريا



- تلوث مياه البحار بالنفط يضر بالحيوانات البحرية وبالانسان.

دوري، تتبخر بتأثير الحرارة فتشكل الغيوم ثم تتكاثف بتأثير البرودة فتهطل الأمطار على الأرض فتشكل انهارا وسيولا، وهذا ما يسمى دورة الماء في الطبيعة.

إن المياه العذبة ليست موزعة بشكل متساو في الأرض فهناك مناطق محرومة كليا من الماء مثل الصحارى وبعضها يعاني من الشح، وفي تحقيق لمنظمة الصحة العالمية هناك (١٣٠) مليون إنسان في (٧٥) بلدا يعانون من نقص المياه أو يستعملون مياهاً ملوثة.

ملوثات الماء Water Pollutants:

مصادر تلوث الماء عديدة منها طبيعي في الجو والتربة ومنها عن طريق الإنسان وخاصة الملوثات الكيميائية والفضلات الصناعية الحاوية على مركبات سامة بنسب مختلفة كالمبيدات السامة والمواد المشعة وغيرها.

يمكن تصنيف الملوثات المائية إلي:

١ - ملوثات بيولوجية: فيروسات، جراثيم، طفيليات ممرضة.

٢ - ملوثات كيميائية: غازات، مبيدات، معادن ثقيلة، فحوم هيدروجينية.

٣ - ملوثات فيزيائية: ملوثات حرارية، ملوثات بالمواد المشعة.

وفيما يلي نذكر أهم تلك الملوثات:

١ - تلوث جرثومي ناتج عن مجاري مياه الفضلات والأوساخ الناتجة عن استعمالات الإنسان التي تشكل مياهاً ملوثة مملوءة بالجراثيم وتصبح وسيلة للعدوى وانتشار الأمراض.

٢ - الغازات والفضلات الناتجة عن الإحتراقات بمختلف أشكالها التي تغطي الشوارع وتسوقها مياه الأمطار إلى الأنهار والبحار والبحيرات، بالاضافة للغبار العالق بالهواء.



- مجاري الصرف تصب في الماء وتضر بالبيئة.

٣ - المياه الناتجة عن المصانع وتشكل ٦٠٪ من المياه الملوثة وهذه المياه مضرة بالحياة المائية لأنها تقضي على كثير من الحيوانات والنباتات الموجودة في الأنهار والبحيرات.

والمياه الملوثة الناتجة عن المصانع تصدر عن الدباغات ومصانع الرصاص والزئبق والنحاس والنيكل والتوتياء ومصانع تعقيم الألبان والمسالخ ومصانع تكرير السكر وغيرها وهذه الملوثات تتراكم في أجسام الكائنات الحية الى درجة تؤدي الى تسمم الإنسان عبر السلسلة الغذائية Food chain .

٤ - الترسبات: وهي عبارة عن حبيبات التربة والحبيبات الرملية والمعدنية المنجرفة من اليابسة إلى الماء، وهي تملأ الخزانات والموانيء، ومن العوامل المساعدة على تشكل هذه الترسبات استخدام التربة الرشيدة المسببة للتعرية.

٥ - المخلفات الطبيعية لأجسام الكائنات الحية والمواد العضوية الميتة، حيث تأخذ طريقها إلى الماء عن طريق مياه الأمطار كما تنقل مياه الأمطار المبيدات الكيميائية وغيرها من التربة الي الأنهار والبحيرات وتصبح المسطحات المائية عكرة تؤدي إلى خلل في النظام البيئي، مما يقلل من نسبة الأشعة الشمسية الداخلة إلى الماء وبالتالى من عملية التركيب الضوئي والإنتاج النباتي.

٦ - التلوث الناتج عن الفحوم الهيدروجينية من مصافي البترول وعن السفن التي تجري في البحار والأنهار والبحيرات فتلقي فيها الزيوت والفضلات المحترقة وتشكل هذه الزيوت طبقة رقيقة عازلة على سطح الماء تنتشر على مساحات كبيرة وتمنع من تجدد الأكسجين في المياه وبالتالي تقضي على الحياة المائية.

٧ ـ استهلاك مواد التنظيف الكيميائية الناتجة عن الاستعمالات المنزلية والصناعية وهذه المركبات الكيميائية لا تتفكك بيولوجيا وتسبب تلوثا مائيا، وهذا التلوث ناتج عن التكنولوجيا الحديثة للبشرية في الصناعات الكيميائية، مما يسبب ضررا بالأحياء المائية.

٨ ـ مبيدات وأسمدة كيميائية (نتيجة الزراعة الحديثة) فالسيول تجرف كمية كبيرة من المبيدات والأسمدة الكيميائية التي تحتوي على نتريت ونترات الأمونياك وأملاح الفوسفور ومركبات الكلور العضوية مثال مركب D.D.T وغيرها.

تنتقل المبيدات الكيميائية وتصل إلى المسطحات المائية وتلوث المياه مما يسبب انخفاضاً في احتياطي الأحياء البحرية كالأسماك والطحالب الخضراء Al-gae التي تصنع المادة العضوية وتطلق الأكسجين. تتراكم المواد الكيميائية السامة وتنتقل عبر السلسلة الغذائية الى الإنسان.

٩ ـ المواد البترولية: وهي من أخطر ملوثات مياه البحار نظرا للحاجة الماسة للبترول الذي يشكل المصدر الاقتصادي الرئيسي للطاقة، كما أنه يستخرج حوالي (٢٠٪) من بترول العالم من أعماق البحار وقد تحدث بعض الحوادث أو الإهمال أثناء حفر الآبار فتسبب في تسرب البترول إلى مياه البحر بكميات كبيرة.

وتساهم ناقلات البترول العملاقة بالقسط الأكبر من التلوث حيث تصل هذه الكمية الى مليوني طن في السنة ناتجة عن غسيل خزانات الناقلات بالمياه الساخنة ثم تلقي هذه المياه المشبعة ببقايا البترول في البحر وعندما تفرغ الناقلات حمولتها تملأ خزاناتها الواسعة بمياه البحر لأنها لا تستطيع السير فارغة لئلا يختل توازنها نتيجة تعرضها لأمواج البحر العاتية، ثم تفرغ هذه المياه المشبعة بالبترول في البحر لتضيف كميات جديدة من المواد الملوثة هذا بالإضافة إلى كميات البترول التي تفرغها الناقلات في البحر نتيجة تعرضها لحوادث مختلفة. تقدر كمية البترول التى ترمى في البحار بمليوني طن سنويا موزعة بالشكل التالي:

(١٠٪) تنتج عن غرق البواخر والناقلات.

(٣٥٪) من تنظيف خزانات الناقلات.

(٥ر٢٪) من قذف الزيوت المحروقة في البحار.

(٤٥٪) من مصافي البترول والصناعات البتروكيميائية والبواخر المختلفة.

تدوم المواد البترولية طويلا في مياه البحار وتشكل طبقة عازلة رقيقة تمنع دخول الأكسجين وثاني أكسيد الكربون والضوء إلى المياه وبالتالي توقف عملية التركيب الضوئى التي تعتبر المصدر الأساسي للأكسجين والتنقية الذاتية للماء، ومن نواتج البترول مركب البنزوبيرين وهو من المركبات العضوية المسرطنة التي تسمم حيوانات بحرية وبالتالي تنتقل الى الإنسان عبر السلسلة الغذائية.

١٠ ـ التلوث بالمواد المشعة (التلوث الإشعاعي):

إن النظائر المشعة الناتجة عن التجارب الذرية وغيرها تشكل خطرا واضحا على الإنسان لقد دلت الدراسات الحديثة على أن السترونسيوم ٩٠ يثبت في العظام ويمكن أن يكون له تأثير مسرطن عند الأطفال وكذلك في الأسنان عند الإنسان.

أهم منابع التلوث الإشعاعي:

- الانفجارات التجريبية في المحيطات.
- سقوط المياه المشعة في المياه وعلى الأرض.
- المواد الناتجة عن المحطات النووية الكهربائية.
- المواد الناتجة عن اليورانيوم ذات الفعالية الإشعاعية.
- حوادث تصيب مولدات ذرية تستعمل في الملاحة (مثال غواصات وبواخر ذرية).

هذا التلوث الإشعاعي الذي ينتشر في البحار لا يخلو من الخطر حيث أن هذا التلوث الإشعاعي يمتص

من قبل البلانكتون النباتي والحيواني ويركز في جسمها ويصبح البلانكتون بذلك مدخرا للعناصر المشعة ومن هنا ينتج خطر دخول المواد المشعة في البيئة الطبيعية (البحرية والأرضية).

١١ ـ التلوث بالمعادن الثقيلة (الكادميوم والزئبق والرصاص):

وهذه المواد الكيميائية اكثر خطرا وأكثر سمية من الفحوم الهيدروجينية إن تركيز هذه المواد قليل في الوسط البحري ولكن مع ذلك فإنها شديدة الخطر على الإنسان ويعود خطرها على تركيزها في البلانكتون النباتي والحيواني (كائنات دقيقة، عوالق أو طافيات). تنتقل هذه المواد عبر السلسلة الغذائية (نبات ـ حيوان ـ إنسان) وبعض المواد السامة جدا مثل الزئبق والكادميوم تشكل أكبر خطر على الحياة الإنسانية.

الرصاص: كثير الانتشار في أجواء المدن، وهو ناتج عن عوادم السيارات ينتقل الرصاص بوساطة الأمطار الى المسطحات وهو عنصر سام بالنسبة للأحياء المائية وينتقل بدوره الى الإنسان عبر الغذاء من اللحوم البحرية الملوثة.

الزئبق: ينتقل الى المياه عن طريق الإنتاج الصناعي ورمي النفايات في المياه، وتقدر نسب الحد الأعلى المسموح به في المياه ٥ر٠ جزء من المليون (PPM) وعنصر الزئبق له خواص تراكمية خلال انتقاله عبر السلسلة الغذائية، لقد وجد أن تركيزه في أنسجة بعض الأسماك التي تعيش في المياه الملوثة يسبب التسمم والخلل الوراثي.

الكادميوم والنحاس والتوتياء وغيرها:

تنتقل هذه العناصر إلى مياه البحار والبحيرات والأنهار عن طريق مياه المصانع، وهي من أخطر الملوثات المائية وخاصة الكادميوم المستخدم في صناعة التوتياء وصناعة أصبغه المواد البلاستيكية والدهانات، ويتصف الكادميوم بخواصه التراكمية في أجسام الكائنات الحيوانية والنباتية، وينتقل إلى الإنسان عبر الغذاء، ومن أهم أعراضه التسممية اضطراب في العظام وتغير في تركيب الدم.

١٢ ـ التلوث بالمواد الصلبة: مثال النايلون الذي يتفكك حيويا ويتجمع في البيئة البحرية وكذلك مخلفات صناعة الورق والسيللوز التي تعتبر مصدرا لتلوث المسطحات المائية بالألياف الخشبية وقشور الأشجار والتي يستهلك تفككها كميات كبيرة من الأكسجين، ويتغير لون الماء وتزيد كثيرا من عدد الكائنات الدقيقة في الماء مما يسبب زيادة في تلوث الماء.

١٣ ـ التلوث الحراري: مثال المحطات الكهربائية النووية التي ترمي في البحار والأنهار، مياه ساخنة يمكن أن يكون لها تأثيرات سيئة على النباتات، والحيوانات المائية مما يؤدي إلى تغيرات مختلفة في النظام البيئي.

ومن المعروف ان كمية الأكسجين المنحل تقل في المياه الدافئة عن المياه الباردة (لاحظ الجدول)، مما يزيد من احتمال انخفاض كمية الأكسجين المنحل دون المستوى المطلوب لبقاء الأحياء البحرية على قيد الحياة، وبصورة عامة كلما انخفض محتوى الماء من الأكسجين الضروري للتنفس كلما قلت الكائنات الحية في الماء.

درجة الحرارة	كمية الأكسجين المنحل (جزء في المليون) P.PM
صفر	١٤,٦
١٠	١١,٣
٢٠	٩,٤
٢٥	٨,٤
٣٠	٧,٦
٣٥	٧,١

جدول يوضح كمية الأكسجين المنحل في الماء

العذب (جزء بالمليون PPM) مع درجات حرارة الماء.

وقاية الماء من التلوث:

الماء ضروري لكل كائن حي بالإضافة لأهميته في الزراعة والصناعة وقد يكون الماء الملوث سببا لأمراض عديدة تنتقل بواسطته، بعد تلوث الماء بواسطة الصرف الصحي هو السبب الرئيسي لنقل الأمراض للإنسان بسبب وجود الفيروسات والجراثيم والطفيليات المرضة المسببة لانتشار المرض، يمكن السيطرة على انتشار الأمراض المعدية والوقاية منها عن طريق تنقية موارد مياه الشرب المختلفة، وان زيادة بعض المواد الكيميائية في ماء الشرب أو نقصانها قد يسبب أمراضا مختلفة أيضا مثال: (زيادة الكلور الناتج عن زيادة مركبات املاح كربونات وكلوريدات وكبريتات الكالسيوم، كذلك زيادة تركيز الفلور في الماء أو نقصانه عن حد معين. ونقصان نسبة اليود تسبب تورم الغدة الدرقية، لذلك لابد من تأمين الماء النقي للشرب دون شوائب جرثومية أو كيميائية ضارة).

تعتبر المياه الجوفية النقية والينابيع من أهم موارد مياه الشرب التى تزود التجمعات السكنية بالمياه اللازمة، ويمكن استعمال المياه السطحية كالأنهار والبحيرات كمصدر للمياه العذبة بعد تنقيتها وتحسين الصفات الطبيعية بإزالة العوالق والترسبات منها وكذلك اللون والطعم والرائحة وإزالة الجراثيم المرضة منها وجعلها صالحة للاستعمال والشرب.

طرق معالجة المياه من التلوث:

هذه الطرق تهدف إلى جعل الماء في حالة كيمائية وفيزيائية وبيولوجية بحيث لا تسبب ضررا للإنسان والحيوان والنبات ومن أهم هذه الإجراءات:

- إنشاء محطات تنقية الماء بالترشيح البطيء والترشيح السريع بحيث تصبح خالية من أي رواسب ضارة أو مواد طافية ذات رائحة أو لون أو أي مواد سامة تضر بالأحياء.

- مراقبة المسطحات المائية المغلقة كالبحيرات من تراكم المواد العضوية المختلفة مما يحدث خللا في التوازن البيئي، وذلك عن طريق إزالة انجراف التربة ومن أفضل الوسائل لتحقيق هذا الهدف تشجير المناطق المحيطة بالمسطحات المائية.

- مراقبة المياه الجوفية المستخدمة للشرب بعدم التلوث بترشيد والحد من البناء السكني أو المنشآت الصناعية المجاورة أو شق الطرق العامة كما وينصح بزراعة الأشجار المناسبة.

- وضع اجراءات بالمواصفات الضرورية وإصدار قوانين لتحديد صفات المياه الكيميائية والبيولوجية منها: الأكسجين الحيوي المستهلك، والرقم الهيدروجيني pH ودرجة الحرارة والمواد العالقة واللون والتلوث الجرثومي والمواد الكيميائية السامة وغيرها.

- الاهتمام بالبيئة المحيطة بالمياه ورصد تلوثها ووضع كافة الإجراءات لحمايتها من التلوث الكيميائي وخاصة المبيدات الكيميائية والعناصر المعدنية السامة التي تتراكم في أنسجة الكائنات الحية.

- مراقبة المياه مخبريا بالتحاليل الكيميائية والحيوية الخاصة وإجراء تحاليل دورية لمراقبة تلوث الماء.

- معالجة المياه المستعملة سواء للاستعمال المنزلي أو الصناعي للحد من زيادة تلوث المياه الجوفية أو المسطحات المائية ومشاكل نقل الأمراض بالإضافة لتأثيرات المياه المستعملة سلبيا على الأحياء التي تعيش في المياه.

وتشتمل معالجة المياه المستعملة على عمليات بيولوجية وكيميائية خاصة تهدف إلى تحسين خواص المياه.

- إصدار قوانين وتشريعات خاصة بالمحافظة على حماية المياه من التلوث الجرثومي والكيميائي والحد من وصول الملوثات إلى مصادر المياه.

التلوث بالمواد العضوية وحياة البحر المتوسط

إن المواد العضوية التي تسبب تلوث المياه يمكن أن تكون منحلة أو معلقة. ويحدث ذلك عندما يتم طرح كميات كبيرة وبشكل منتظم في مجال محدد. يوجد في الطبيعة أمثلة مدهشة للتنظيم الذاتي. هكذا، مثلا يأخذ الإنسان من الوسط البحري مواد عضوية (بشكل نباتات وحيوانات)، ولكنه يعوض جزئيا الخسارة في المواد العضوية، لذلك نجد أنه حتى زمن غير بعيد لم يحدث خلل في دورة المواد. عندئذ نجد أن الكمية الكلية للفضلات العضوية التي تصل إلى الوسط المائي لا يجب أن تزيد عن الكمية التي يستخلصها الإنسان من المياه. بيد أن، في وقتنا الحاضر وفي غالبية مناطق كوكبنا هذا ما يحدث بالضبط، هو أن الإنسان يأخذ أكثر من (٩٠٪) من المواد اللازمة لوجوده من اليابسة، أكثر من نصف الفضلات كلها تطرح في مياه البحيرات، الأنهار، البحار والمحيطات، أي في الوسط المائي.

إن طرح المواد العضوية يؤدي إلى ما يسمى اضطراد النمو البيولوجي أو الإغناء الغذائي (Eu-trophication) كما يسميه البعض والذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى نتائج لا تحمد عواقبها. مثلا، إن طرح الفضلات العضوية التي لم تخضع لعملية التنقية (التطهير) الجزئية أو الكلية مباشرة في الأنهار، كما يحدث هذا كثيراً في معامل الألبان والمسالخ، يؤدي إلى عمليات تحلل (تفكك) نشيطة لهذه الفضلات في الماء، وهذا بدوره ما يترافق مع انخفاض كمية الأوكسجين المنحل في الماء. ونتيجة ذلك يتضرر البلانكتون (العوالق) وتموت الأسماك. ومن هنا نرى أنه يمكن تحديد مستوى التلوث بالمواد العضوية من خلال ما يسمى بالأكسجين الحيوي الممتص (الاستهلاك البيوكيميائي للأوكسجين)، أو كما يسمونه أيضاً المتطلب الحيوي من الأوكسجين أو الطلب البيولوجي على الأوكسجين (BOD) الذي يحدد كمية الأوكسجين المنحل اللازمة للجراثيم (البكتريات) المحللة الهوائية من أجل أكسدة (معدنة) المواد العضوية الموجودة في ليتر واحد من المياه الملوثة.

من أجل المقارنة نذكر أنه في المياه الطبيعية (النظيفة نسبياً) يشكل هذا المقدار تقريباً (١) ملغ O2/ل (ملغ - ميليغرام، ل - ليتر، O2 - الأوكسجين)، أما في المياه الجارية الصناعية والمنزلية فهو يزداد حتى (٣٠٠ - ٥٠٠) ملغ O2/ل.

في الوقت الحاضر ومن أجل حساب الحمولة العضوية (كمية المواد العضوية الموجودة في المياه) وتقييم تركيز الفوسفور، غالباً ما يستخدم وعلى نطاق واسع المؤشر (BOD5)، أي الأوكسجين الحيوي الممتص خلال خمسة أيام.

من أجل إظهار تأثير الكثافة السكانية على شواطيء البحر المتوسط، يمكن أن نذكر مثلا، أن الفضلات الناتجة عن النشاط الحياتي لكل إنسان بالغ تساوي (٢٠) كيلو غرام من المواد العضوية و(٩ر٠) كيلو غرام فوسفور في السنة. ومن الجدير بالذكر أنه على جزء الشاطيء المتوسطي الذي يبلغ طوله (١٠٧٠) كيلومتر، والواقع بين الأيبرو (إسبانيا) والأرنو (ايطاليا) يعيش تقريباً (٩) ملايين إنسان (في الكيلو

بقلم : د. جمال الحنون
جامعة تشرين - سوريا



- مكب نفايات على مسافة ليست بعيدة من الشاطىء.

متر المربع الواحد ٢٥٠ إنسان في الجزء الغربي من الشاطىء و٣٠٠ - ٣٤٠ في إيطاليا) لكن في فصل الصيف تزداد كثافة السكان في هذه المنطقة بـ (٥ - ١٠) مرات. وبالتالي تزداد كمية المواد العضوية أيضاً في مياه الصرف الصحي.

تقدر كمية المواد العضوية في المياه الجارية المنزلية (مياه الصرف الصحي) وسطياً بـ (٣٣٦) طناً من الأوكسجين في السنة في كل كيلومتر واحد من الشاطيء (حسب معلومات اللجنة العامة للصيد في البحر المتوسط CGPM ، ١٩٧٢)، أما بالنسبة للفوسفور فإن الرقم الموافق يقدر بـ (١٥) طناً من الأوكسجين في السنة.

تقييم التلوث العضوي في الألب يجري منذ مائة عام: قدر الـ BOD بـ ٥ ملغ O2/ل في عام ١٨٨٠، ١٣ - في عام ١٩١٠، ٤٢ - في عام ١٩٤٠، ٧٠ - في عام ١٩٥٠، ٨٠ - في عام ١٩٦٠، والخ...

١ - التلوث العضوي بمياه مجاري الصرف الصحي وبمياه بعض الأنهار الكبرى التي تصب في البحر المتوسط:

يمكن تقسيم مصادر التلوث بالمواد العضوية إلى مجموعتين رئيسيتين:

١ - مياه الصرف الصحي للمدن الناتجة عن النشاطات المنزلية والقمامات (الفضلات) المعيشية.

٢ - البقايا الناجمة عن الصناعات التي تعالج مواد عضوية مثل الصناعات الغذائية (المسالخ، معامل السكر والألبان) وصناعة الورق، والدباغة، وصناعة الأنسجة الطبيعية، الخ..

على الساحل الشمالي لأفريقيا، ينقل مصب نهر النيل إلى البحر المتوسط المياه الجارية المنزلية والصناعية لمنطقة القاهرة. وقد قدر العدد الإجمالي لسكان حوض النهر بـ (٩ر٦) مليون نسمة، وتصل الحمولة العضوية لنهر النيل، على الأقل إلى (١٤) ألف طن سنوياً (BOD5)، في حين أن حمولة نهري

الكاتب في سطور

- دكتوراه (بيولوجيا البحار).
- أستاذ مساعد جامعة تشرين/ اللاذقية/ سوريا.
- شارك في العديد من الندوات والمحاضرات في عدد من الدول العربية.
- له العديد من الدراسات في المجلات العلمية.



- أنبوب صرف صحفي يصب مباشرة في الشاطىء.

الرون والبو هي على التوالي (٩٨) ألف طن و(٤٧٫٦) ألف طن سنوياً.

وتضاف إلى هذه الحمولات العضوية التي تعود فقط إلى مياه الصرف الصحي التي يصرفها القاطنون في محاذاة الأنهار، الحمولات الناجمة عن المناطق الصناعية والتي تبلغ (١٤٢) ألف طن و(١٠٣٫٦) ألف طن سنوياً بالنسبة لمنطقتي الرون (فرنسا) والبو (إيطاليا). ومما يزيد الأمر تعقيداً، هو أن مدناً عديدة وخاصة على الشواطيء المتوسطية العربية مازالت تطرح مياهها الملوثة بالمواد العضوية مباشرة في البحر دون أية معالجة. وغالباً ما تكون طول المصارف في هذه المدن أقل من (١٠٠) متر، كما أنها ذات فعالية محدودة، أو تصب مجاري الصرف الصحي حمولتها مباشرة عند الشاطىء. ولا يجري التطهير البيولوجي الحقيقي إلا بنسبة (٥ - ١٠٪) من المياه الملوثة في القسم الشمالي من الحوض الغربي (حسب معلومات اللجنة العليا للصيد في المتوسط/ منظمة الأغذية والزراعة (CGPM/FAO)، ١٩٧٢). ولكن الوضع قد تحسن بشكل ملموس منذ عام (١٩٧٢). هكذا، مثلا على الشاطىء اللازوردي، حيث عولجت جزئياً على الأقل نسبة (٣٠٪) من المياه عام (١٩٧٥)، على الرغم من المشكلات الكبيرة التي مازالت تطرحها منطقة مرسيليا. ومع ذلك تبقى هذه النسبة غير كافية. ونجد على هذا الشاطىء أطول المصارف المائية على البحر المتوسط، مثل مصرف مياه «كان» الذي يصل إلى (١٢٠٠) متر ويطرح مياه الصرف الصحي على عمق (١٠٠) متر.

يضم الساحل الإيطالي (٢٠٪) من سكان البلاد، أي حوالي (١٠) ملايين نسمة و(٥٥٦) مركزاً مدينياً، بينها (٤٠) مركزاً فقط (أي ٧٫٢٪) يهتمون فيها بمعالجة مياه المعامل الملوثة.

وفي الحوض الشرقي الأقل تصنيعاً وكثافة بالسكان، ينحصر التلوث العضوي على شواطىء المدن المرفئية الكبرى.

وعلى الساحل الشرقي، مثلا تضم التجمعات السكانية اللبنانية الكبرى (١٫٢) مليون نسمة، ولا وجود لأية محطة تطهير، في حين أن سُبُعَ شبكات المجاري لمدينة بيروت تصب مباشرة على الشاطىء (جيلدا زخيا، ١٩٨٢).

٢ - التلوث العضوي ذو المصدر الصناعي:

بالاضافة إلى المياه الملوثة المطروحة من المدن والفنادق والمطاعم المنتشرة على طول الشاطىء، هناك الفضلات السائلة المطروحة من المصانع والتي تسهم على الأقل بنصف التلوث العضوي الإجمالي، فمثلا، بالنسبة للحوض الشمالي الغربي، تقدر الحمولة العضوية للفضلات المنزلية السائلة بـ (٣٣٥) ألف (BOD5) طن سنوياً، وحمولة الفضلات الصناعية السائلة تقدر بـ (٣١٠) آلاف (BOD5)طن سنوياً.

لقد رسم تقرير اللجنة العامة للصيد في المتوسط (منظمة الأغذية والزراعة الدولية) لعام ١٩٧٢، خريطة للحوض المتوسطي تشير بصورة تقريبية إلى الحمولة العضوية المطابقة للنفايات المنزلية، وقد قدرت هذه

الحمولة انطلاقا من الطلب البيولوجي على الأوكسجين (BOD5)مقداره (٢٠) كيلو غراماً للفرد الواحد سنوياً ومن عدد سكان كل منطقة ساحلية. ثم قدرت هذه الحمولة على بعد كيلومتر واحد من الشاطيء، مما يتيح بصورة أساسية مقارنة حمولات مختلف المناطق فيما بينها.

إن الوضع خطير، بوجه خاص، على الشواطيء الإسبانية والفرنسية والإيطالية بين «الأيبرو» و«الأرنو» وفي شمال الادرياتيك، وأخيراً على الشاطيء اللبناني.

٢ـ آثار التلوث بالمواد العضوية:

(أ) آثار التلوث بالمواد العضوية على الكائنات الحية البحرية:

إن وصول المواد العضوية مع المياه الجارية من منزلية وصناعية إلى المياه الشاطئية يؤدي إلي تغيير الفلورا (النباتات) والفاونا (الحيوانات). هكذا، في بانولاس في منطقة طرح المياه الجارية، فإن الطحالب الخضراء من الأجناس كوديوم، أولفا، أينتير ومورفا (Codium, Ulva, Enteromorpha) ازاحت المجموعات النباتية الغنية من الطحالب الحمراء.

في مارسيليا اختفى نهائياً الطحلب الأسمر (البني) سيستوزيرا (Cystoseira crypta) بالمقابل ازدادت كمية كورالينا (Corallina of-ficinalis)، أولفا Ulva lactuca ـ خس البحر لاكتوك) وميتيلوس البحر المتوسط (Mytilus gal-loprovincialis (Bcllan - Sanlini, 1964) ومن خلال تصنيف كل التغيرات في تكوين النباتات والحيوانات الخاصة بمنطقة ما، يمكن من حيث المبدأ تحديد طبيعة تلوث المياه البحرية وتحديد شدته (التدليل البيولوجي للتلوث).

إذا استمر التلوث بالمواد العضوية لفترات طويلة، فإن النباتات والحيوانات تزول بالتدريج، وتتحول البحيرات والأنهار إلى صحار مائية بهذا الصدد يمكن ذكر مثال واضح ومعبر وهو بحيرة انتاريو، في عام ١٩٢٥ تم صيد (٥٠٠) طن من الأسماك، في عام ١٩٤٠ ـ (٤٠٠) طن، في عام ١٩٥٥ ـ (٥ر٠) طن، وفي

I – الحمولة العضوية للفضلات المنزلية السائلة التي تصب مباشرة في البحر			
المصب	BOD 5 / طن / سنة	BOD 5 / طن / سنة/ كم (كم – على بعد كم واحد عن الشاطئ)	م / طن / سنة / كم من الشريط الساحلي (م – ميغاغرام)
إسبانيا	١٢٠٠٠٠	٦٠	٢,٧
الحوض الشمالي الغربي	٢٥٥٠٠٠	٢٣٠	١٥,٠
إيطاليا	٣٢٠٠٠٠٠	٤٩	٢,٢
يوغوسلافيا	١٧٠٠٠	٢٧	١,٢
مالطا	٨٠٠٠	٦٧	٢,٧
اليونان	١٠٠٠٠٠	٣٧	١,٧
تونس	١٢٨٠٠٠	-	-
مصر	١٢٦٠٠٠	١٢٦	٥,٧
ليبيا	٧٨٠٠	٧,٨	٠,٣
تركيا	١٠٠٠٠٠	٣٦	١,٦
قبرص	٩٦٠٠	١٥	٠,٧
سوريا	٦٥٠٠	٣٦	١,٤
لبنان	٢١٢٥٠	١٤٩	٦,٠

II – الحمولة العضوية للفضلات الصناعية السائلة التي تصب مباشرة في البحر	
المنطقة البحرية	BOD 5/طن/سنة
الحوض الجنوبي الغربي	٧٠٠٠٠
الحوض الشمالي الغربي ، البحر التيرني	٣١٠٠٠٠
خليج توركتو	١٧٠٠٠٠
البحر الأدرياتيكي	٢١٠٠٠٠

III – الحمولة العضوية المقدر وصولها (دخولها) من خلال الأنهار الرئيسية				
النهر	الغزارة كم³/سنة	BOD 5/طن/سنة	الحمولة العضوية الصناعية BOD 5/طن/سنة	الحمولة العضوية الإجمالية BOD 5/طن/سنة
الرون	٥٥	٩٨٠٠٠	١٤٢٠٠٠	٢٤٠٠٠٠
البو ، الأدرياتيكي	٥٤	٤٧٦٠٠	١٠٣٠٠٠	١٥٤٠٠٠
أديج ، الأدرياتيكي	٦,٩	٠	-	-
ايبر	٨,٤	٣٥٢٠٠	٥٤٦٠٠	١٠٧٨٠٠
النيل	٤٨	١١٠٠٠	٣	١٤٠٠٠

ـ جدول يوضح الحمولة العضوية لبعض انواع الفضلات التي تصب في البحر والانهار

عام ١٩٧٠ لم يتم صيد شيء منها، ولم يسلم من هذا المصير البحر أيضاً.

(ب) الآثار على الصحة:

يختلف العلماء المتخصصون حول آثار مياه البحر الملوثة على الصحة البشرية، ولقد أثبتت قدرة البحر على التنقية الذاتية عدة مرات منذ مطلع القرن الحالي. فالوسط البحري هو عموماً معاد للبكتريات، وتتدخل كائناته بعدة أشكال عن طريق امتصاص البكتريات أو إعاقة نموها.

ولمعرفة نوعية المياه تستخدم مؤشرات التلوث البكتيري (الجرثومي)، وعادة «الكوليفورم» و«ايتشيرشياكولي» أو «الستربتوكوك»، و«الكوليفورم» خلافاً للبكتريات الأخرى ليست بذاتها ممرضة، غير أنه يعتقد بأن وجودها في المياه يشير إلى احتمال احتواء هذه الأخيرة على عناصر ضارة أخرى.

وحسب السيد كيكس، منسق «برنامج الأمم المتحدة» (منظمة الصحة العالمية) لمراقبة نوعية المياه

الإقليمية، ليس من المؤكد حقاً أن «الكوليفورم» البرازية هي أفضل المؤشرات في مياه المتوسط الساخنة.

وإذا لم يكن هناك أفضل من هذه الطريقة، فإننا سنرجع إلى معايير منظمة الصحة العالمية التي توصي باعتماد مقدار (٥٠٠٠) جرثومة من الكوليفورم بالليتر الواحد كمستوى مقبول بالنسبة لمياه الاستحمام، مع العلم أن عدة شواطئ في الولايات المتحدة وأوروبا تتجاوز بكثير ضعف هذا المقدار، وكذلك في البحر المتوسط وبالنسبة للإنسان، ينبغي التوقف عند ناحيتين بارزتين هما: أخطار الاستحمام واستهلاك أصداف البحر.



ـ البحث في تأثير أنواع مختلفة من الملوحات على الكائنات الحية البحرية والآثار الناجمة عن ذلك.

ـ الاستحمام في البحر المتوسط: من الأفضل التحدث عن «الخطر» الذي يزداد في البحر المتوسط، حيث يسترخي السياح على الشواطئ وفي المياه مدة أطول بكثير من المدة التي يقضونها مثلا على أحد شواطئ الادرياتيك الشمالية.

بالإضافة لذلك، يضاعف توافد السياح خطر تبادل الجراثيم المسببة للأمراض، لا سيما وأننا نلاحظ غياباً أو نقصاناً عاماً في المنشآت الصحية على الشواطئ.

من جهة أخرى، وإذا ما سلمنا بأن الاستحمام يصبح خطيراً حقاً عندما تزيد نسبة الكوليباسيل (Colibacills) على (٢٠) ألف/ الليتر الواحد من المياه، وإذا جمعنا نتائج مختلف المصادر، يتضح لنا عدم جواز الاستحمام في عدد لا يستهان به من الشواطئ المتوسطية.

وعلى الصعيد الاجمالي الصرف، نضيف بأن قيمة الاستحمام الترفيهية على شواطئ المتوسط قد انخفضت انخفاضاً كبيراً في ضواحي كافة التجمعات السكانية مع وجود القطران والنفايات الصلبة، والمياه العكرة الناتجة عن اضطراد النمو البيولوجي (Eutrophication) الجاري.

ـ استهلاك أصداف البحر: تصفي الأصداف كميات كبيرة من المياه، وهي قادرة على تجميع الجراثيم المرضة الموجودة في مياه البحر، فبلح البحر (Moules) المنتشر في البحر المتوسط، يشكل مثالا جيداً على الأصداف الملوثة في كل مكان تقريباً، ويشكل غذاء واسع الانتشار في منطقة نابولي الإيطالية، وإذا تم تطبيق معيار معقول ـ أقل من (٧٠٠) كوليفورم/ ليتر واحد مثلا، لإجازة تربية بلح البحر، فقد لا نعثر في البحر الأدرياتيكي على أي مكان يتوفر فيه هذا المعيار ويكون قريباً من المراكز السكنية إلى حد يكفل تأمين وصول السلع طازجة إلى الأسواق.

٤ ـ آثار إغناء المياه بالمواد العضوية على الوسط البحري:

في مصبات الأنهار والأماكن المسورة والخلجان شبه المغلقة الطبيعية وغير الطبيعية (الاصطناعية)، يمكن أن يؤدي قرب المجاري إلى نشوء ظاهرة الإغناء

الغذائي أو اضطراد النمو البيولوجي (Eutrophication) المذكورة سابقاً وزيادة تركيز المواد الغذائية (الأملاح المعدنية) إلى حد يتجاوز طاقة الوسط البحري على استهلاكها وتدويرها. ونشهد أن بداية «اضطراد النمو البيولوجي» تتجلى بانتظام في انخفاض عدد النباتات القاعية وحلول بعض النباتات البلانكتونية (العوالق النباتية) محلها. وتستطيع هذه الأخيرة تحمل المياه الفقيرة بالأوكسجين، وغالباً يعض الأنواع التابعة لبعض أجناس السوطيات (Dinoflagells) التي تلوث المياه بخضابها (موادها الصباغية) الذي يتراوح بين البني المخضر والأحمر البرتقالي. هذه هي بداية مصدر ظواهر «مد الطحالب الحمراء»، التي يكون لها آثار سلبية على الحيوانات التي تهاجر أو تموت، وعلى المستحمين.

لقد لوحظت ظواهر «المد الأحمر» - «المرض البيئي» هذه في عدة مرافيء وأحواض متوسطية، وكذلك أمكن اكتشاف عدة أجناس بلانكتونية نباتية يمكن اعتبارها كمؤشرات للمياه الملوثة.

كما تطرأ أيضاً على أنواع البلانكتونات الحيوانية وحيوانات الأماكن المغلقة تغيرات ملموسة، فمن بين مجدافيات الأرجل (Copepods) تم التعرف على أنواع خاصة بمياه الخلجان، يمكن اعتبارها كدلائل (مؤشرات) حيوية (Bioindicators) على التلوث.

ومن خلال الدراسات والأبحاث التي قمنا بها في الجزء الشمالي الغربي من البحر الأسود (الحنون ١٩٨٢)، الذي يتصل بدوره مع البحر المتوسط توصلنا إلى عدة نتائج نذكر بعضها، وهي ما تتعلق بالتدليل البيولوجي للتلوث العضوي:

١ - وجود النوع Synchaeta baltica (من الدوارات Rotatoria) الذي يعتبر كدليل على التلوث العضوي الشديد، خلال العام كله، وليس نادراً بكميات كبيرة في المناطق المدروسة، وخاصة في خليج أوديسا، يشهد على تلوثها الكبير بالمواد العضوية.

٢ - يمكن استخدام النوعين Plcopis Polyphemoides. S. baltica (من متفرعات القرون Cladocera)، وبدرجة أقل S.grimpei (من الدوارات) كدلائل على مستوى تلوث مياه الجزء الشمالي الغربي من البحر الأسود بشكل عام، وخليج أوديسا والمناطق المجاورة له خاصة بالمواد العضوية.

ومن خلال الدراسات والأبحاث التي أجريناها في النصف الأول من التسعينيات (الحنون ١٩٩٢، ١٩٩٣، ١٩٩٤) حول تأثير التلوث العضوي (التلوث بمجاري الصرف الصحي) على العوالق الحيوانية في عدة مواقع من الساحل السوري في منطقة شرق المتوسط، قد توصلنا الى كثير من النتائج، نذكر منها ما يتعلق بتأثير التلوث (العضوي) على العوالق الحيوانية:

١ - توجد أنواع (من مجدافيات الأرجل) مميزة للمنطقة الملوثة متمثلة بأنواع فصلية Acartiidae، وبعض الأنواع الأخرى التي كانت أقل غزارة ووجوداً، وبلغ العدد الإجمالي لهذه الأنواع (٩) فقط.

٢ - كان عدد الأنواع التي ظهرت في المنطقة النظيفة أكثر نسبياً من عدد الأنواع التي ظهرت في المنطقة الملوثة، حيث بلغ عددها (٢٥) نوعاً.

٣ - ظهرت أنواع ذات درجة وجود أعلى في المناطق المعرضة لمصبات مجاري الصرف الصحي، بالمقارنة مع المنطقة النظيفة نسبياً، تنتمي هذه الأنواع بشكل خاص إلى فصيلة Acartiidae، ومن بينها النوع Acartia grani بالدرجة الأولى.

٤ - ظهرت أنواع ذات درجة وجود أعلى في المنطقة الأقل تعرضاً للتلوث بالمقارنة مع المناطق الأخرى المعرضة لمصبات مجاري الصرف الصحي، من هذه الأنواع نذكر مثلا Temora stylifera Corycella rostrata.

وهكذا، لحظنا ما للتلوث بالمواد العضوية من تأثير على البيئة البحرية وكائناتها الحية من نباتية وحيوانية، ومن الناحيتين النوعية والكمية. وكذلك على الخواص الحيوية الأخرى للمياه ونوعيتها (جودتها)، وعلى الخواص الصحية أيضا لمياه البحر المتوسط، وخاصة المناطق الشاطئية، وما لذلك من انعكاسات على السياحة بشكل عام، وصحة الإنسان بشكل خاص.

لعنة الرصاص
من العهد الروماني إلى القرن العشرين

اثيرت في السنوات الأخيرة قضية الرصاص عربياً وعالمياً وازدادت الأهمية بهذا العنصر الملوث، في حين كشفت الدراسات أن هذا العنصر معروف منذ القديم فقد استخدم الرومانيون هذا المعدن حيث ساهم في زوال مملكتهم، وموت أباطرتها ومفكريها، لقد صنعوا منه أواني الطهي وكؤوس الشراب وصنعوا منه الواحاً تسقف بها مبانيهم وأنابيب لنقل المياه إلى قصور وبيوت الطبقة الحاكمة وسلط الله عليهم لعنة الرصاص من خلال النبيذ الذي كانوا يخزنونه في أوعية فخارية مبطنة بالرصاص وبمرور الزمن يتأكسد النبيذ تأكسداً جزئياً وينتج عنه بعض الأحماض فتذيب هذه النواتج الحمضية الرصاص ويختلط مع النبيذ وبذلك يجد طريقاً سهلا إلى أجسام الشاربين.

ويربط اصحاب هذا الرأي بين افتراضهم العلمي هذا وبما سجله التاريخ من كثرة ما كان يولد ميتا من أطفال «الطبقة العليا والحاكمة» كذلك بانتشار حالات الجنون والصرع في أفراد الاسرة الذين يبلغون سن الرشد ويربطون ذلك ايضاً بوفاتهم المبكرة حيث تدل الدراسات على ان متوسط عمر افراد هذه الطبقة كان لا يتعدى ٢٥ سنة ويؤكد العالم الكندي «جيروم فيرياجو» مدير معهد بحوث الماء في اونتاريو تلك الحقيقة وذلك بالدراسة التي نشرها عام ١٩٨٧ ويشير الى نهاية كل من «كلوديوس» الذي كان يعاني من ارق دائم واضطراب في معدته، و«كاليجولا» الذي وصفت تصرفاته بالشذوذ واتسمت قراراته بالعبثية الى «نيرون» الذي اصيب باضطراب عقلي. فكان وباء الرصاص بمثابة سوسة وئيدة الخطى نخرت بنيانهم وهدته تدريجيا وعجلت في زوال امبراطورتهم.

الرصاص في بيئتنا:

هذا ما جاء عن الاقدمين وقصصهم ولكن الرصاص الذي يستخدم اليوم في صناعات مختلفة يفوق رصاص الدولة الرومانية اضعافاً مضاعفة فقد تجاوز الانتاج العالمي للرصاص ٥ر٥ مليون طن وهو يوجد بشكل طبيعي في التربة والمياه والنبات والحيوان رغم أنه لا يعتبر عنصراً غذائياً، ويدخل الرصاص في العديد من الصناعات الحديثة وأنابيب المياه التي تستخدم لجر المياه الى المنازل وبعض المزارع وفي العديد من الصباغات التي تطلى بها جدران المنازل والمباني، كذلك يدخل في صناعة البطاريات والمبيدات الفطرية والحشرية والمعجون الذي تثبت به الالواح الزجاجية في الأطر، والمادة التي تستخدم في اللحام الجانبي لعلبات الأغذية وتحتوي حروف الطباعة على رصاص وحتى صناعة الذخيرة يدخل فيها الرصاص وهو كذلك في القوارير واطباق المائدة ويعرفه صناع الخزف كما أن لصناع الكريستال خبرة فيما يفعله اكسيد الرصاص في منتجاتهم فيما يحلل الضوء إلى أطيافه الزاهية البراقة، ويدخل الرصاص في كثير من

بقلم : د. عواد جاسم الجدي
ـ الكويت ـ



ـ الحدائق رئة المدينة وتقاوم التلوث بالرصاص.

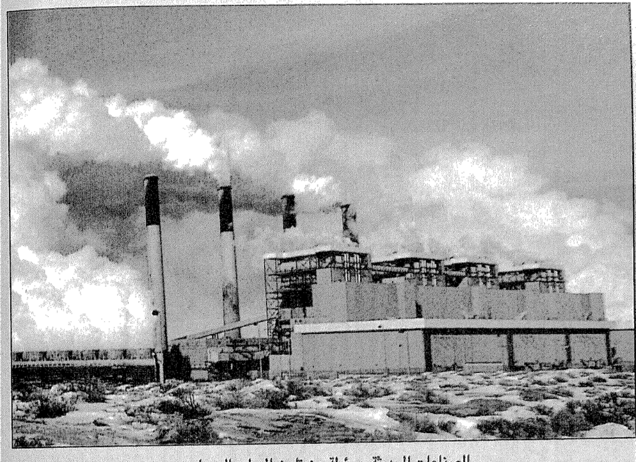
ـ زحام السيارات وعوادمها مسئولة عن التلوث.

مستحضرات التجميل كأصباغ الشعر والكريمات والكحل والعديد من المنتجات الأخرى التي تدخل في صميم حياتنا اليومية.

وللدلالة على ازدياد استخدام الرصاص نشير الى أن انتاج العالم منه قد ازداد عام ١٩٩٠م الى ستة اضعاف عما كان عليه عام ١٩٦٠م.

عوادم السيارات السبب الرئيسي:

قدرت الدراسات البيئية المختلفة ان عوادم السيارات التي تنفث الدخان هي المسؤولة عن ٨٠٪ من إجمالي الرصاص الموجود في الهواء ويعود ذلك الى مركبات مثل رباعي ايثيل الرصاص Lead tetra-ethyl ورباعي ميثيل الرصاص Lead tetra-methyl التي تعمل على زيادة فاعلية الاحتراق في المحرك والحد من عمليتى الخبط والفرقعة التي تحدث داخل محركات السيارات نتيجة لتبادل اشواط الاحتراق في المحرك الواحد وبعد اكتشاف هذه المركبات اضيفت الى وقود السيارات (بنزين) إما مركب لمفرده أو الاثنان معاً، ولكن نجاح الفكرة لم يدم طويلا إذ سرعان ما عرف الخبراء ان الوقود المرخص الذي اضيف اليه أحد المركبين السابقين أو كليهما، يحترق في آلات الاحتراق الداخلي وتتأكسد مكوناته



- الصناعات الحديثة مسئولة عن تلوث الهواء بالرصاص.

وينتج اكسيد الرصاص ضمن ما ينتج من عوادم السيارات، كذلك عرفوا امكانية ترسبها داخل جدران المحرك فأضافوا مادة «برومير الاثيلين» الى البنزين لمنع الترسب حيث تتفاعل هذه المادة مع رصاص الوقود المرصص لتتحول إلى مادة جديدة هي «بروميد الرصاص» وهي مادة متطايرة تخرج مع غازات المحرك الساخنة وتترسب بعد ذلك مزودة البيئة باضافات جديدة من الرصاص.

لقد حددت منظمة الصحة العالمية وهيئات حماية البيئة اعلى حد لاضافة مركبات الرصاص الى البنزين وهو ٠,٨٤ غرام لكل ليتر من البنزين ولكن دولا عديدة خطت خطوات عملية لتخفيض هذا الرقم كثيرا أملاً بالوصول الى إزالة هذا العنصر نهائياً من البنزين من خلال تحسينات تدخل على المحرك للمحافظة على أدائه وقوته وسرعة اندفاع السيارة، وفي مارس عام ١٩٨٥ اعلنت منظمة حماية البيئة العالمية تخفيض نسب الرصاص المضاف الى البنزين على النحو التالي:

- لغاية يوليو ١٩٨٥ تخفض الكمية الى ١٣ر٠ غرام/ليتر.
- لغاية يناير ١٩٨٦ تخفض الكمية الى ٣ر٠ غرام/ليتر.
- لغاية يناير ١٩٨٨ تخفض الكمية الى ٠١ر٠ غرام/ليتر

واتخذ المسؤولون في دول متقدمة كاليابان والسويد وبريطانيا وفرنسا واليابان اجراءات مماثلة وذلك للحد نهائيا من اضافة الرصاص الى البنزين.

والجدول (١) يبين كمية الرصاص المضافة الى البنزين في بعض الدول الأوربية وذلك عام ١٩٨٣ والخطة للتخلص منها حتى عام ١٩٩٠.

ويبين الجدول (٢) مواصفات البنزين في دول الخليج.

الدولة	كمية الرصاص(غم/لتر)	ملاحظات
بلجيكا	٤ر٠	سيخفض الى ١٥ر٠ في ١٩٨٧/١/١
هولندا	٤ر٠	سيخفض الى ١٥ر٠ في ١٩٨٧/١/١م
ألمانيا	١٥ر٠	ادخال البنزين الخالي من الرصاص في ١٩٨٦م.
النمسا	١٥ر٠	
بريطانيا	٤ر٠	سيخفض الى ١٥ر٠ في ١٩٨٦م
سويسرا	١٥ر٠	ادخال البنزين الخالي من الرصاص في ١٩٨٦م

جدول (١) كميات الرصاص في البنزين في بعض الدول الأوربية في نهاية عام ١٩٨٣.

المصدر: د. ابراهيم صالح المعتاز مرجع للبحث.

الدولة	النوع	الرقم الاوكتيني RON	محتوى الرصاص غم/لتر
السعودية	ممتاز	٩٥	٠.٨٤
	عادي	٨٣٠	٠.٨٤
البحرين	سوبر	٩٨	٠.٨٤
	عادي	٩٠	٠.٨٤
الكويت	ممتاز	٩٨	٠.٥٣-٠.٨٤
	عادي	٩٠	٠.٥٣-٠.٨٤
قطــر	ممتاز	٩٧	١.٠٦
	عادي	٩٠	٠.٨٥
الامارات	ممتاز	٩٧	٠.٨٤
	عادي	٩٠	٠.٨٤
عمان	ممتاز	٩٧	٠.٦٢
	عادي	٩٠	٠.٦٢

جدول (٢) مواصفات البنزين في دول الخليج العربي المصدر السابق نفسه.

إن عملية الاستغناء عن إضافة مركبات الرصاص في مصافي البترول ومصانعه لانتاج البنزين عالي الكفاءة وإن كانت مكلفة وتتطلب جهوداً إضافية إلا إنها مفيدة بيئيا وتستحق التطبيق والسعي في تنفيذها لحفظ وحماية البيئة من هذا الملوث الخطير ووسيلته للحد من انبعاث الملوثات الغازية الأخرى

**** نيرون مات متأثرا بتلوث الرصاص**

**** يدخل في صناعات عديدة وأدوات نستخدمها يومياً**

**** الدول المتقدمة والخليجية تسعى لوقف إضافة الرصاص إلى بنزين السيارات**

**** زيادة الرصاص في الهواء تؤدي إلى تراجع ذكاء الأطفال**

**** بعض الأشجار والنباتات تقاوم تلوث الرصاص**



ـ الثمار الملساء لا تتأثر بالتلوث بالرصاص.

جليد القارة الشمالية ثم بدأت نسبة الرصاص في الجليد تتناقص عما كانت عليه من قبل ويشار إلى ان اقدام الولايات المتحدة الاميريكية على تخفيض نسبة الرصاص المضاف الى البنزين هو السبب في خفض نسبة الرصاص في جليد القارة القطبية.

إن أول طريق يسلكه الرصاص الى أجسامنا هو التنفس فعن طريق الهواء الذي نتنفسه تتسرب نسبة ٩٠٪ من كمية الرصاص وكذلك الطعام الذي نتناوله ويصل الرصاص الى الأغذية التي نتناولها عن طريق ترسب دقائق الرصاص المعلقة في الهواء على اجزاء النباتات والخضروات المختلفة وأثبتت الدراسات أن ثمار الطماطم والجزر تكون دائماً أقل في محتواها من الرصاص مقارنة بأنواع الخضر الورقيه التي تؤكل طازجة أو مسلوقة كالخس والجرجير والسبانخ والملوخية حتى لو زرعت هذه الخضر في تربة واحدة. وبنفس الطريقة ولنفس السبب يقل المحتوى الرصاصي في ثمار الفاكهة الملساء السطح كالتفاح والعرمط موازنة بثمار الفاكهة التي تغطي سطحها شعيرات كالمشمس والخوخ وأمثالها.

وبتحليل عينات من الخضار والفواكه التي تباع في المدن الكبيرة المزدحمة بالسيارات ومقارنتها مع عينات من نفس الخضار والفواكه التي تباع في القرى البعيدة عن الزحام فإن تلك التي تباع في القرى تحتوي على كميات أقل من الرصاص وذلك طبيعي ومنطقي.

وهناك سبيل آخر لوصول الرصاص إلى اجسامنا وهو علبة الأغذية المصنوعة من الصفيح (خاصة تلك غير المطلية بشكل جيد من الداخل) حيث تسرب الى الطعام المحفوظ داخلها مزيداً من الرصاص، كذلك لأن معظم الوسائل المستخدمة عالمياً للحد من انبعاث ملوثات السيارة تتعطل بوجود ملوثات الرصاص وتُجري الآن في دول عديدة من العالم ابحاث لايجاد وقود بديل للبنزين كما تمت إضافة بعض المواد الأخرى التي لا تحتوي على الرصاص لرفع كفاءة البنزين في المحرك مثل مادة «مثيل ثلاثي بيوتيل الأثير MIBE.

وتعود خطورة الرصاص إلى بقاء دقائقه معلقة زمناً طويلا في هواء الشوارع والمنازل والمكاتب خاصة في المدن الكبيرة المزدحمة بالسيارات حيث وجد أن المتر المكعب الواحد يحتوي من ١٠ ـ ١٥ ميكروجراماً رصاصاً. وهذه الكمية هامة جداً رغم انها تبدو للبعض ضئيلة فالرصاص مركب عالي السمية وله قدرة هائلة على التراكم في الأجسام وتتعرض لتأثيره كل يوم خاصة إذا ما علمنا ان الليتر الواحد من البنزين المحترق يعطي، ميلي جرام، واحد من الرصاص.

وتنتقل هذه الملوثات الى مسافات بعيده فعند دراسة الجليد للقارة القطبية الشمالية والجنوبية البعيدتين كل البعد عن المصانع والشوارع المزدحمة بالسيارات اشارت هذه الدراسات إلى وجود كميات ازدادت باستمرار حتى عام ١٩٨٠ من الرصاص في

الأمر بالنسبة لسبيكة اللحام الجانبي للعلبة إذ تتألف من القصدير والرصاص ويزداد هذا التأثير الضار كلما طالت مدة التخزين وكان الغذاء حامضيا.

ولا يقتصر وصول الرصاص الى اجسامنا على الهواء والطعام فالمياه الملوثة ايضاً تحتوي على كميات معينة من الرصاص حيث تترسب دقائق الرصاص الملوثة للهواء بفعل الأمطار فيسقط بعضها على اليابسة وبعضها الآخر يصل الى الأنهار وجداول المياه التي يشرب منها بعض السكان.

مخاطر الرصاص:

لعل اخطر ما يقال عن الرصاص هو أنه متى دخل الى جسم الانسان تركز فيه ومكث ولا يستطيع جسم الانسان ان يفرز من الرصاص الواصل إليه سوى ١٠٪ فقط اما نسبة ٩٠٪ المتبقية في جسم الانسان فتستقر في العظام غالباً ومن العظام يتسلل الرصاص الى تيار الدم ومنه الى خلايا الجسم حيث يتسبب في ابطاء عمل الأنزيمات ولهذه تتوقف العديد من التفاعلات الحيوية كبناء هيموجلوبين الدم الذي يتأثر بشوارد الرصاص مما يسبب فقر دم واضح على الأشخاص المصابين بتلوث الرصاص ومن أكثر المتأثرين بالتسمم بالرصاص هم الأطفال حيث يمرون بأكثر مراحل العمر قابلية للنمو مما يزيد قدرة أجسامهم على امتصاص هذا العنصر، وأول ما يظهر على الأطفال من اعراض تسمم بالرصاص عند الأطفال ما يعرف بداء مغص الرصاص (Lead Cloic) وهو مغص مصحوب بامساك شديد ويحدث اعقاب ذلك خلخلة في تركيز الطفل ويصبح عصبياً متوتراً ومع مرور الزمن تتدنى قدرته العقلية وتقل بوضوح درجات ذكائه ولا تزال دراسات العلماء تؤكد على الربط بين بلادة الاطفال وبين نسبة الرصاص في دمائهم ففي دراسات اجريت في بانكوك تبين أن الأطفال يفقدون في المتوسط ٤ نقاط أو اكثر في معامل الذكاء عند بلوغهم سن السابعة بسبب ما يتعرضون له في حياتهم من الرصاص.

وفي مكسيكوسيتي وجد أن ٢٩٪ من مجموع الأطفال تحتوي دماؤهم على مستويات غير مقبولة من الرصاص مما يؤثر بشدة في قدرتهم الذهنية ومقدرتهم على متابعة المدرسة والتحصيل المدرسي.

وباستطاعة الرصاص أن يخترق جدار المشيمة ويحدث فيها تشوهات دائمة كما يتسبب في اجهاض الحوامل من النساء.

وإذا احتوت دماء الكبار ٣٠ ميكروجرام رصاص بالنسبة الى ليتر واحد من الدم فان ذلك يتسبب في ارتفاع ضغط الدم، ويصيب خلايا القشرة المخية بتلف، الأمر الذي يؤدي الى تدمير هذه الخلايا واصابتها وبالتالي فقد قدرة هذه الخلايا على الاتصال بالمراكز العصبية الأخرى مما يضعف ذاكرة المصاب ويسبب له اضعافاً واحباطاً ذهنيا وبَلاده وتقلباً في المزاج وتشتتاً في التفكير.

امام هذه الاضرار الكبيرة التي يحدثها الرصاص للانسان ولصحة الأطفال بشكل خاص فقد تنادت الدول المتقدمة لاستخدام تقنيات جديدة تحد من انتشار ذلك الملوث الخطير وأصدرت قوانين تتعلق بتحديد نسبة الرصاص في الوقود أو تحريم إضافة الرصاص الى البنزين أو استخدام محولات خاصة تمنع انطلاق الرصاص مع غازات العادم. ولا يقتصر الأمر عند وقود السيارات فيصل الرصاص الى اجسامنا عن طريق مواسير الرصاص المستخدمة في شبكات المياه، الأمر الذي حدا بالحكومة الامريكية لرصد ميزانية هائلة لاستبدال انابيب نقل المياه في المدن بأنابيب اخرى مصنوعة من النحاس الأحمر أو البلاستيك وذلك لتجنب تسلل الرصاص إلى مياه الشرب ووضعت هذه الدول قيودا على صناعة الدهانات ومواد الطلاء تمنع إضافة الرصاص الى هذه المواد وذلك للحد من خطورة التلوث به.

ومما يبعث على التفاؤل ان نسبة الرصاص في دماء اليابانيين والامريكيين قد انخفضت الى ثلث ما كانت عليه سابقاً. فالى أية نسبة وصلت كميات الرصاص في دمائنا؟ هل وصلت الحد الخطر؟ أم لا تزال قبل حدود الخطر؟ وما هي الاجراءات المستقبلية التي نستخدمها للحد من التلوث بالرصاص؟ تلك خطوات تحتاج الى بحث ودراسة وتحر وتحتاج الى جهد علمي متواصل للوصول الى الحقيقة.



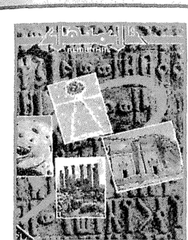
الأمن والأمان

شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٥ م



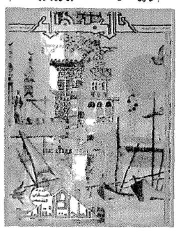
الثقافة العربية

شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ/ مايو ١٩٨٦ م



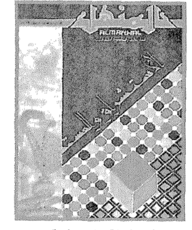
الأثر والآثار

رمضان وشوال ١٤٠٧هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٧ م



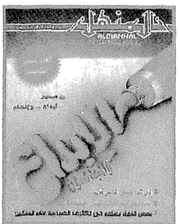
العادات والتقاليد

رمضان وشوال ١٤٠٨هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٨ م



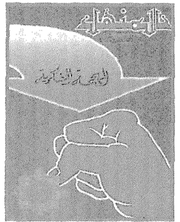
الاستشراق والمستشرقون

رمضان وشوال ١٤٠٩هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٩ م



الابداع والمبدعون

شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ/ مايو ويونيو ١٩٩٠ م



الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري

شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٢ م



اللغة العربية .. آفاق مستقبلية

شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٣ م



النقد والنقاد

شوال وذو القعدة ١٤١٦هـ/ فبراير ومارس ١٩٩٦ م

من اعدادنا السنوية المتخصصة

في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطيع وجوه الناس
السائح يستقري:
الملامح ويرسم اللوحة

مجلة السائح العدد (١١٥)



السلط

مدينة الآثار والتراث



الواحات المصرية جنة الصحراء



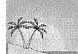
السائح



في استراليا

** في غابات استراليا وأحراشها، لا تزال هناك شعوب تعيش حياة بدائية يمارسون طقوس أجدادهم وأعرافهم وتقاليدهم، لم يدخلوا عليها جديدا، يخرجها من طابعها الأول، كأنما هى قداسات، لا تتخلف.. وحتى اولئك الذين انقطعوا عن حياة الغابة، وانصهروا في حياة المدينة، والمدنية، يرجع بهم العشق القديم الى الغابة وطقوسها، ولما كان لا سبيل الى الرجوع إليها، فلا أقل من أن يقيموا مهرجاناً سنويا يستعيدون فيه حياة أجدادهم وأسلافهم.

وهذه الرقصات والازياء والاقنعة واحدة من استعادة ذلك التراث.



في الهند



** الهند بلد العجائب ، ولا غـــرابة في ذلك٠٠ من ركـوب الفـيل، إلى رقـصـة الثعبان، إلى صراع الجمال، واقــتــتــال (الديكة) ٠٠ إلى السحر، وأفلام الحركة التى تشد الانفاس وتقطعها٠

ولعل من جديد عجائبهم وغرائبهم رقصة الدب، ولعب القـــرود، باسلوب جـــديد متفرد٠

(السلط) مدينة الآثار والتراث


- أعمدة منحوتة على الحجر.


- الازياء الشعبية لنساء السلط.

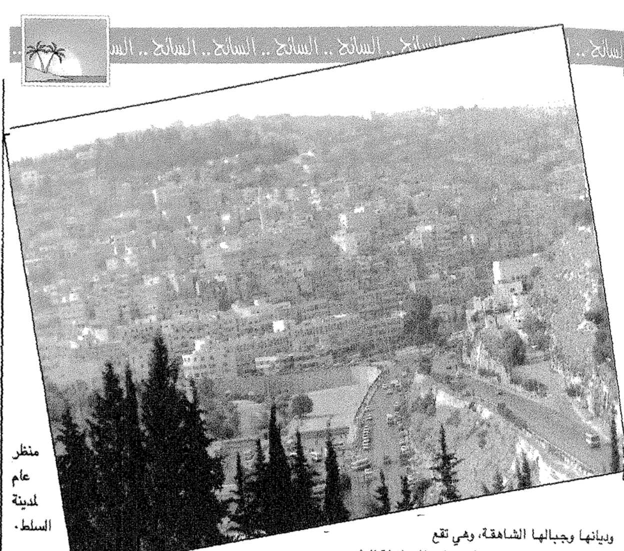
تاريخ المدن وتراثها ثروة كبيرة لا تقدر بثمن، وهي مع الأسف البالغ ثروة مضيعة في كثير من الأحيان والأقطار.. ولعل ما تتميز به بعض مدن عالمنا العربي من ثروة تراثية وأثرية خصبة ما يحفز المرء على دق نواقيس الخطر للفت الانتباه إليها وللحفاظ على ثرواتها، ولبذل المزيد من الجهد والمال من أجل الوقوف على عجائب هذه الثروة وصيانتها والحرص على بقائها في أزهى صورة، وأرقى حال.

سوف أتناول في هذا الاستطلاع إحدى أقدم المدن العربية تاريخاً وحضارة، وقبل الخوض في تفاصيل ذلك، لابد من القول أولا أن هذه المدينة لم تنل بعد حظها من العناية والرعاية كمدينة ذات تاريخ عريق وتراث معماري مميز، لا، بل لقد جرت كثير من المحاولات المعاصرة لطمس العديد من معالمها التراثية الرائعة، وتحويل هذه المعالم إلى صناديق حجرية هي ما بات يشكل العمارة الحديثة في عالم اليوم دون أدنى شعور بأهمية ما تنطوي عليه المدينة القديمة من تراث عريق زاخر، ولولا حماية الله تعالى لهذه الثروة، ثم ما اتجهت إليه أنظار بعض المؤسسات المتنورة إلى هذه الثروة، وإدراك ما تبقى منها، وأشير هنا إلى جهود واهتمام مؤسسة إعمار المدينة، لما وجدنا شيئاً من معالمها وتراثياتها العظيمة الرائعة.

مدينة أخّاذة موقعاً وطبوغرافية:

تأسرك مدينة السلط وأنت دالف إليها من العاصمة الأردنية (٢٥كم إلى الغرب من عمّان)، فأجمل ما يميز المدينة هو طبوغرافيتها الرائعة إذ أول ما يواجه القادم هو

استطلاع: موسى الصبيحى
- الريـاض -



منظر عام لمدينة السلط.

وديانها وجبالها الشاهقة، وهي تقع وسط محافظة البلقاء وتمثل مركز المحافظة الرئيسي، وتتربع على قمم وسفوح ثلاثة جبال رئيسة عملاقة هي القلعة والجدعة والسلالم (سميت بالسلالم لعلوها وصعوبة الصعود إليها)، ويخترق وسط المدينة واديان رئيسان هما وادي الأكراد، ووادي الميدان اللذان يشكلان شوارع السلط الرئيسة ثم يلتقيان جنوب المدينة ليشكلا وادياً واحداً يلتقى بدوره مع واديين آخرين: وادي المحباصية من جهة الغرب، ووادي الشجرة من جهة الشمال الشرقي لتؤلف الأودية الأربعة معاً وادياً واحداً هو الشهير بوادي السلط.

ترتفع مدينة السلط عن سطح البحر بحوالي ثمانمائة متر، وتقع على خط عرض (٣٢ر٢) درجة شمالا، وعلى خط طول (٣٥ر٤٤) درجة شرقاً، ويبلغ عدد سكان المدينة حوالي مائة ألف نسمة من مجموع عدد سكان محافظة البلقاء البالغ قرابة ثلاثمائة ألف نسمة.

ولقد كانت السلط على مرّ التاريخ هي مركز البلقاء، وقد أكسبها موقعها وطبوغرافيتها الجبلية حصانة طبيعية فريدة من نوعها إذ وصفها أبو الفداء بقوله: (بليدة وقلعة في جبل الغور الشرقي.. وهي تقابل أريحا، وتشرف على الغور، وللصلت بساتين كثيرة، وحب الرمان المجلوب منها مشهور في البلاد وهي بلد عامر آهل بالسكان..) وقد أدت طبيعتها الطبوغرافية الجبلية هذه إلى توسعها توسعاً عمودياً، وبدت بيوتها ذات الحجارة الصفراء والعقود والقناطر والطوابق المتعددة وكأنها شجرة كرمة تشعبت أغصانها وتسلقت جبالها الثلاثة فأضفت عليها طابعاً معمارياً جميلا أخاذاً.

السلط أو سالتيوس:

يعود تاريخ المدينة إلى العصور القديمة، والاسم الحالي لها (السلط) هو اسم حديث نسبياً، وأقدم مرجع ورد فيه هذا الاسم هو كتاب (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) لمحمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي المعروف بشيخ الربوة (متوفى عام ٧٢٧هـ)، كما ورد ذكر لهذا الاسم

عند الجغرافي ابن سعيد المغربي (١٢١٤ - ١٢٤٣م). وهناك لفظ (الصلت) ومن معانيها الجبين الواضح، كما أنها ربما تكون مأخوذة من قولنا أصلت السيف أي جرّده، وقد أورد ذكر هذه التسمية المؤرخ ابن الأثير (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) في سياق حديثه عن حوادث عام ٥١٢هـ، واللفظان المذكوران (السلط) و(الصلت) هما صيغتان محرفتان عن الكلمة اللاتينية سالتوس وتعني الغابة أو الوادي المشجر، ومن المعاني التي حملتها المعاجم لكلمة السلط: القهر والشدة، كما لابد أن نذكر أن هذه المدينة عرفت قديماً باسم (جدارا) أو جادورا)، وقد وردت هذه التسمية في وثائق الآشوريين ومن معانيها الجدار أو الحائط، كما أن هذا الاسم ربما يكون منحدراً من اسم النبي جاد بن يعقوب الذي يقال بأنه سكنها.

تاريخ المدينة القديم والحديث:

يرجع تاريخ مدينة السلط إلى العصور الحجرية القديمة أي قبل نحو ثلاثين ألف عام قبل الميلاد منذ أن كان الانسان الأول يعمل بمهنة الصيد إذ كان يتخذ من مدينة السلط مسرحاً لممارسة الصيد في غاباتها الكثيفة آنذاك إلى أن شرع بأولى خطواته نحو تكوين التجمعات الزراعية، ولقد دلت على ذلك العديد من أعمال التنقيب في التل والوادي التي كشفت عن فؤوس ورؤوس حراب وخناجر ومُدَى وغيرها من مخلفات الإنسان في تلك الحقبة.

وقد توالت بعد ذلك الحضارات المختلفة على المدينة إذ دخلها الهكسوس قادمين من مصر إبان العصر البرونزي المتأخر (١٦٠٠ ق.م) وجلبوا معهم مخترعات الحضارة المصرية القديمة من فخار ومنسوجات وأسلحة وعربات تجرها الخيول، وفي عام (١٠٠٠ ق.م)، إبان العصر الحديدي، اكتسح العمونيون مدينة السلط وقسّموها إلى ثلاثة أجزاء: الجزء السكني المقام على سفوح الجبال، والأرض الزراعية المحيطة به، والقلعة المشادة على أعلى قمم جبالها (سنأتي للحديث عن هذه القلعة فيما بعد)، وبعد زوال الدولة العمونية تعاقب على حكم المدينة البابليون والآشوريون والكلدانيون، والفرس، واليونانيون، والرومان، والبيزنطيون، حيث شهدت المدينة ازدهاراً كبيراً في العهد البيزنطي ولا أدل على ذلك من بقايا معصرة الزيت التي عثر عليها منذ عهد قريب، كما أصبحت مركزاً للأسقفية المسيحية، وقد ظل البيزنطيون في المدينة إلى أن دخلتها جيوش الفتح العربي الاسلامي، حيث أصبحت السلط في العصر الاسلامي



- جزء من جبل الجدعه.

الراشدي حاضرة البلقاء، وفي العهد الأموي الذي شهد انتقال عاصمة الخلافة الاسلامية من دمشق إلى بغداد تراجعت أهمية السلط، إلى أن هاجمها الصليبيون وتعرضت المدينة للدمار بعد أن أصبحت مركزاً للقائد الاسلامي صلاح الدين الأيوبي (حوالي القرن الثاني عشر الميلادي)، حيث قام الملك الصليبي بلدوين بهدم قلعتها عام (١١٠٧م) وأعيد بناؤها عام ١٢١٧م، وقد اجتاح التتار المدينة ودمروا قلعتها مرة ثانية عام (١٢٦٠م) إلى أن أعاد الظاهر بيبرس ترميمها في العام التالي، بعدها وقعت المدينة تحت حكم المماليك واعتبرت إحدى ولاياتهم.

وفي سنة ١٥١٧م أصبحت (السلط) تحت مظلة حكم السلطان العثماني سليم الأول، وبقيت تابعة للدولة العثمانية حتى نهاية الأخيرة عام ١٩١٨م.

وفي عام ١٩١٧م دخلت القوات الانجليزية مدينة السلط على إثر انسحاب الأتراك منها وتم فرض الانتداب البريطاني على الأردن عام ١٩٢٠م، وفي نيسان من العام ١٩٢١م قام الأمير عبد الله بن الحسين - ملك الأردن فيما بعد - بتأسيس إمارة شرق الأردن وجعل عمان مركزها الإداري، إلى أن قام الأمير شاكر بنقل مركز الإمارة إلى مدينة السلط عام ١٩٢٣م بصورة مؤقتة ثم أعاده الأمير عبد الله إلى عمان في العام ذاته.

تراث السلط وآثارها:

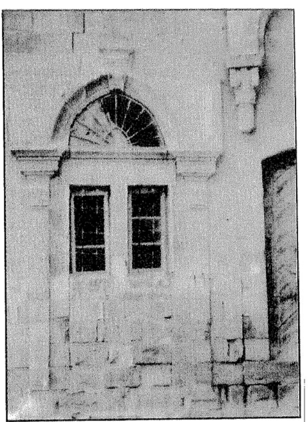
- مدفن بيزنطي:

تم العثور في موقع يسمى (سارة) يقع بمنطقة وادي الشجرة على مغارة تتشح جدرانها برسومات دينية يرجح أنها كانت تستخدم كمدفن للبيزنطيين، وعثر إلى جوارها على غرفة مربعة منحوتة في الصخر ذات ستة أقواس، نقش على أحدها رسم لرجل وامرأة.

- قبر روماني:

أيضاً عثر عام ١٩٧٨م في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة وبطريق المصادفة على قبر روماني يتألف من حجرة مربعة الشكل ذات باب حجري، ويتكون القبر من طابقين في كل منهما ثلاثة قبور، وينتصب في أحد الطابقين تمثال لرجل طاعن في السن يرجح أن يكون هو رب الأسرة، وتدل الشواهد على أن تاريخ القبر يرجع الى القرنين الثالث والرابع للميلاد حيث تم العثور فيه على قطعتي نقد نحاسيتين تحمل إحداهما نقشاً لصورة الملك هيرودوس بينما تحمل

- فن العمارة القديمة في السلط.



ـ مدينة السلط القديمة.

لثانية نقشاً لصورة الأمبراطور قسطنطين الأول (٣٠٦ ـ ٣٣٧م).

ـ الحمّام الروماني:

ولعل من أحدث ما تم الكشف عنه من بقايا أثرية في المدينة تدل على قيام العديد من الحضارات فوقها هو ذلك الحمّام الروماني الذي عثر عليه في تموز من عام ١٩٨١م عند مدخل مدينة السلط وقد اكتست جدرانه بطبقات القصارة، ولكن زال هذا المعلم الأثري النادر ـ مع الأسف ـ بعد أن تم إقامة بناء فوقه (بناء مجمع النقابات المهنية الحالي في المدينة).

ـ قلعة السلط:

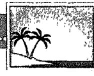
تقوم هذه القلعة فوق قمة جبل يتوسط المدينة، وقد تردمت القلعة ولم يتبق منها سوى بقايا قليلة، ويعود تاريخها الى القرن الحادي عشر الميلادي حيث قام ببنائها الملك شرف الدين عيسى ابن الملك العادل، وهي بالاضافة إلى موقعها الحصين فقد كانت أيضا محاطة بسور مبني من الحجارة الضخمة، وتنتصب على السور أبراج عديدة لم يبق منها سوى برج واحد هو برج (خيار)، كما يحيط بالقلعة خندق ضخم أيضا لا تزال المنطقة تعرف باسمه حتى يومنا هذا.

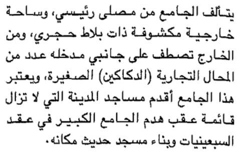
ملك القلعة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بعد استيلائه على دمشق ثم سقطت بأيدي التتار إلى أن قام القائد قطز باسترجاع البلاد، كما أجرى السلطان بيبرس عام ١٢٦١م بعض الإصلاحات في القلعة التي استمر استخدامها حتى القرن التاسع عشر الميلادي حين قام ابراهيم باشا بتدميرها عام ١٨٤٨م.

وتطل القلعة على معظم مناطق المدينة بوضوح، إذ يمكن للناظر من القلعة أن يشاهد إلى الجنوب منها وادي الأكراد، والى الجنوب الغربي منطقة الصافح الآهلتين بالسكان، وإلى الشمال شارع ومنطقة الميدان، وإلى الشرق منطقة السلالم، ولعل من أسرار وعجائب هذه القلعة ذلك النفق السري الممتد من وسطها إلى وسط المدينة حيث عين الماء القديمة إذ يرجح أنه كان يستعمل معبرا ومنفذا للجنود إضافة إلى استخدامه طريقا للتزويد بالماء والطعام.. ويذكر الرحالة بيركهارت الذي زار المدينة في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي وشاهد هذا النفق بأنه ـ أي النفق ـ لا يزال يستخدم حينئذ.. وكل ما تبقى من القلعة حاليا هو بعض الأساسات والأقسام السفلى من الجدران، ويعلو تل القلعة مسجد حديث تحفه بساتين التين والعنب والزيتون، كما جرى استخدام المنطقة الجنوبية من التل كمقبرة لا يزال بعض أهل المدينة يدفنون فيها موتاهم.

ـ جامع السلط الصغير:

يتوسط هذا الجامع مدينة السلط، وقد بني على نفقة أهالي المدينة في مطلع هذا القرن وبالتحديد ما بين عامي ١٩٠٦ ، ١٩٠٧م ويقع في نهايات شارع قديم عريق مبلط بالحجارة الصفراء وتنتصب على جانبيه العمارات والمحال التقليدية التى عكست أسلوب وفن العمارة التقليدية في المدينة، ولا يزال هذا الشارع قائما ومحافظا على طابعه المعماري الفريد، ويسمى شارع (الحمام)، وقد استخدمت في بناء المسجد حجارة صفراء تم تحضيرها في محاجر المدينة، وهو ذو أعمدة داخلية مبنية من الحجارة أيضا، وذو عقود استخدم في إشادتها الطوبار الخشبي، ويمتاز الجامع بارتفاع سقفه المؤلف من ألواح خشبية مغطاة من الخارج بمادة القرميد الأحمر، وتتم عملية إنارة الجامع من خلال فتحات وترية تعلوها نوافذ دائرية ذات زجاج ملون.

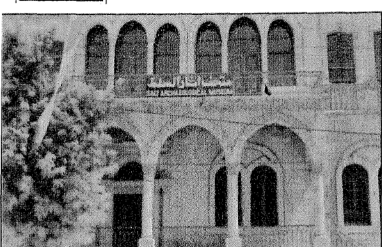




يتألف الجامع من مصلى رئيسي، وساحة خارجية مكشوفة ذات بلاط حجري، ومن الخارج تصطف على جانبي مدخله عدد من المحال التجارية (الدكاكين) الصغيرة، ويعتبر هذا الجامع أقدم مساجد المدينة التي لا تزال قائمة عقب هدم الجامع الكبير في عقد السبعينيات وبناء مسجد حديث مكانه.

- مبان تراثية عريقة:

تحفل مدينة السلط بالكثير من المباني السكنية ذات الطراز المعماري المتميزة بعقودها الرائعة الجميلة، بعض هذه المباني تم هدمها واستبدالها بمبان حديثة، وبعضها لا يزال قائماً إلى الآن، وهي في نظري تحتاج الى المزيد من الاهتمام والعناية للحفاظ عليها، ومن هذه المباني التي لا يتسع المجال للدخول في تفاصيل ومميزات كل منها نذكر: مبنى الخطيب، الذي يضم بيتاً فلاحياً كبيراً ربما يعود بناؤه إلى العام ١٨٦٠م، ومبنى المعشر الذي يقع في وسط ساحة السلط الرئيسة وهو مكون من ثلاثة طوابق يتم الصعود إليها عبر درج ضيق متعرج، ومبنى الداود وهو يتألف من طابقين ويتميز بجدرانه السميكة التي تفصل بين غرفه المغطاة بعقود متقاطعة وأخرى برميلية، وهناك أيضاً مبنى السكر ويتألف من عمارتين تتكون الرئيسية منهما من أربعة طوابق ويتسم هذا المبنى بتفاصيل معمارية رائعة الجمال.



- متحف آثار السلط.

السلط الحديثة اليوم:

تطورت مدينة السلط تطوراً مشهوداً في العقدين الماضيين، وأخذت تمتد وتتوسع أفقياً وعمودياً، وتسارعت وتيرة النمو في المدينة، وتزايدت أعداد سكانها بصورة ملوحظة.. وقد شيدت المباني والمنازل الحديثة فيها وأقيمت المجمعات التجارية الكثيرة، وشهدت المدينة قيام بعض الصناعات الناجحة فيها مثل مصنع الحسين للأدوية التابع للشركة العربية لصناعة الأدوية، وهو أول مصنع للدواء في الأردن وربما كان من أقدم المصانع الدوائية في منطقة الشرق الأوسط أيضاً.

وأكثر ما يميز مدينة السلط الآن مقاهيها الشعبية وبخاصة ذلك المقهى الشهير المسمى (مقهى المغربي) وبلسان أهل السلط (قهوة المغربي)، حيث يلتقي كل مساء الأصدقاء ويقضون عدة ساعات في لعب (الشدة) وتبادل الأحاديث وتناقل الأخبار العامة، ويقول أحد رواد هذا المقهى بأن الجلوس في المقهى هو أفضل مكان لتسقط *أخبار البلد!!*

وقد أنشئت في مدينة *السلط* حديثاً جامعة رسمية ضخمة أطلق عليها اسم جامعة البلقاء التطبيقية، وتضم العديد من الكليات الجامعية المتخصصة في العلوم التطبيقية والموزعة في كافة انحاء الأردن، ولعل أهم ما تفتقر إليه المدينة هو المتنزهات العامة، ومن مشكلاتها ما تعانيه من اختناقات مرورية صعبة في شوارع وسط المدينة حيث تتركز الأسواق والمجمعات التجارية، كما أنها تفتقر إلى مقبرة كبيرة خارج حدود المناطق السكنية، إذ أن مقابر المدينة المتعددة أصبحت الآن وبحكم تطور المدينة وتوسعها واقعة وسط الأحياء السكنية المأهولة.

وبعد:

السلط مدينة التاريخ والتراث والعراقة.. مدينة بساتين الزيتون والرمان، وكروم العنب والتين، وغابات الصنوبر والشيح والقيصوم، لا تزال بأمس الحاجة إلى مزيد من الاهتمام والرعاية والتخطيط السليم، للحفاظ على مكنونها التراثي، ولدفع عجلة تطورها إلى الأمام ضمن معادلة التوازن المطلوب ما بين الحفاظ على التراث والدفع باتجاه التطور أو لنقل التوازن ما بين الأصالة والمعاصرة.

الواحات المصرية جنة الصحراء

تستطيع أن تقضي أسبوعاً كاملا في منطقة من اجمل مناطق مصر «الواحات البحرية» ذات الطبيعة الخلابة الساحرة ويمكن ان تقيم هناك داخل عشش من جريد النخل وان كنت تملك خيمة فلتنصبها في اي مكان في الحقول أو في الصحراء فلن يمنعك احد لأن سكان الواحات يستضيفون الغرباء لاسابيع كاملة دون مقابل.. اما اذا كنت تود الاقامة في الفنادق أو القرى السياحية فهناك مستويات حتى اربعة نجوم.

والرحلة الى الواحات المصرية هي في الحقيقة رحلة الي الطبيعة التي لم تفسدها ملوثات البيئة الصناعية بعد.

امتدت بنا الرحلة لاكثر من خمس ساعات من القاهرة الى اجمل منطقة في قلب الصحراء المصرية الي الواحات البحرية التي تقع في الجنوب الغربي للقاهرة على بعد ٣٦٠كم.. وإذا كنا قد قرأنا أو سمعنا الكثير والمثير عنها لكن من سمع ليس كمن رأى.

هناك ثلاث محطات للسفر للواحات البحرية الاولى محطة اتوبيسات اسفل «قلعة صلاح الدين» بالقاهرة وتستطيع أن تركبها من ميدان الجيزة وتلك هي المحطة الثانية اما المحطة الثالثة في حي السيدة زينب امام حي جنوب القاهرة وهي خاصة بسيارات الميكروباص وهي مستمرة طوال اليوم، اما الاجرة فهي ١٢ جنيها في اي من المواصلتين.. ولكن صديقنا ياسين عبد الهادي باعتباره واحداً من كبار عائلات الواحات نصحنا ان نستقل الاتوبيس لانه اكثر راحة وامنا في طريق طويل كهذا.

المهم، بدأت السيارة طريقها مخترقة قلب القاهرة الي ميدان الجيزة ومنه الى شارع الملك فيصل ومنه الى طريق الفيوم ثم ادلفت يمينا بعد ثلاث كيلو مترات

اعداد : عبدالسلام سيد محمد
- مصـــر -

السائح .. السائح .. السائح .. السائح .. السائح .. السائح .. السائح .. السائح .. السائح .. السائح



ـ رسوم جدارية فرعونية في الواحات.

الي طريق الواحات البحرية، نرى على يمين ويسار الطريق تلك القرى والمنتجعات السياحية الحديثة والاحياء الراقية وعلى اليسار نجد مدينة الانتاج الاعلامي ثم على اليمين تطالعنا مدينة ٦ اكتوبر بأحيائها المتعددة، والمنطقة الصناعية التابعة لها وهي واحدة من عشر مدن حديثة تم بناؤها في مصر مؤخرا.. ونرى بعض الشركات التي بدأت في استصلاح الاراضي الصحراوية لزراعتها وشيئا فشيئا بدأ الطريق يخلو من زحام السيارات خاصة بعد ان تجاوزنا مدينة ٦ اكتوبر وانطلقت السيارة في سرعتها وبعد ٤٠ كيلومتر نجد حقول بترول قارون على الجانبين تبشر بمستقبل مشرق لهذه المنطقة وقد تم اكتشافها منذ ما يقرب من عام.. ويتسلل إلينا السكون لا يقطعه سوى صوت احد القطارات بين الحين والآخر نراه على يسارنا.. يقول مرافقنا ياسين عبد الهادي انه يحمل خام الحديد من مناجم الواحات ـ اكبر واهم مناجم للحديد في مصر ـ الى المصانع

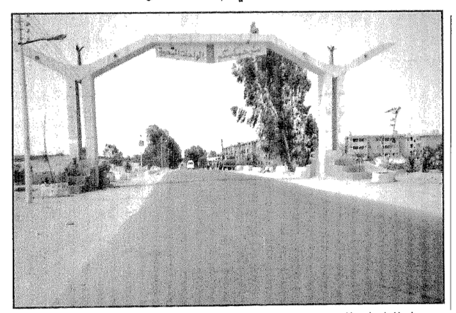
جبال على شكل طيور وتكوينات صخرية عجيبة

بمنطقة التبين بحلوان بمسافة ٣٦٠كم.

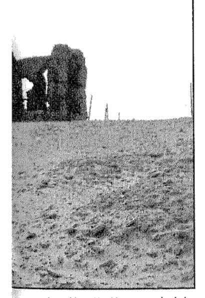
تلال ورمال تحيطنا من كل جانب.. اننا الآن في قلب الصحراء، ركاب الاتوبيس بدأ معظمهم يغط في نوم عميق برغم صوت الكاسيت الذي بدأه السائق بآيات من القرآن الكريم في أول الطريق، ويبدو انه يعشق ام كلثوم كثيرا.

لم اتعود على النوم في السفر وصاحبي راح في نوم عميق لعله لم يكمل نومه بالأمس، قرأت جرائدي ثم اخذت اطالع وجوه الركاب .. اكثر ما لفت نظري ان ما يقرب من ثلث الركاب سياح اجانب.. تجاذبت اطراف الحديث مع احدهم «جون ماليت» من المانيا ويتحدث الانجليزية، قال هذه ليست المرة الاولى التي آتي فيها الي الواحات فقد حضرت إليها عام ١٩٩٤م وكنت قد سمعت عنها من اصدقائي الذين أتوا اليها قبلي ثم قرأت عنها في عدد من الكتب والمجلات التي كتبها بعض الصحفيين والكتاب الالمان الذين زاروا مصر والواحات، وعن اهم ما اعجبه في الواحات قال ان اكثر ما اعجبني هو جوها النقي الخالي من التلوث ومناظرها الطبيعية فعندما تصعد احد الجبال ترى الواحة وكأنها مفروشة بالنخيل وهذه المرة انوي البقاء انا وصديقي لمدة اسبوع وقد اعددت نفسي لأرى كل المناطق الاثرية، والتقط بعض الصور خاصة في «وايت ديزرت» الصحراء البيضاء.. قطع حديثنا صوت السائق وهو يتوقف بالاتوبيس، قال: لقد وصلنا «الرست» ربع ساعة فقط حتى لا نتأخر.

انها استراحة كبيرة ونظيفة تقدم بعض الاطعمة



ـ مدخل الواحات البحرية.



ـ اطلال قصر الحاكم الانجليزي

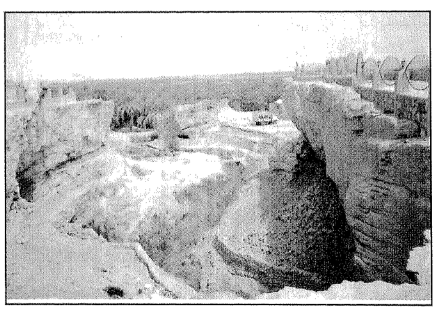
والمشروبات وتبيع منتجات الواحات مثل العجوة بانواعها واخرى بالمكسرات والبلح والمشمش وقمر الدين وزيت الزيتون.

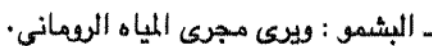
يقول محمد علي احد العاملين فيها ان هذه الاستراحة اقامتها شركة الحديد والصلب لتخدم المسافرين من والى الواحات منذ ما يقرب من ٢٥ سنة ونحن اجرناها مؤخرا من الشركة وتواجهنا مشكلة المياه فنحن ننتظر سيارات نقل المياه التي كثيرا ما تتأخر وتعرضنا لمواقف محرجة.

▪ الرست :

وانطلقت السيارة لتستأنف الرحلة مرة اخرى ولم ينقطع حوارنا المتواصل مع مرافقنا الذي يشير الي احد المباني نراها بعد عشرة كيلومترات تقريبا اقامها بعض اهالي الواحات لتكون استراحة اخرى على الطريق وتقع هذه الاستراحة في منتصف الطريق تقريبا ورغم طول المسافة إلا أن الواحات البحرية تتبع محافظة الجيزة ربما لانها اقرب محافظة اليها وترتبط معها بطريق مرصوف رغم انه قد تم ربط الواحات منذ فترة ليست قريبة بطريق بالوادي الجديد وطريق آخر بواحة سيوة ولكن يظل طريق القاهرة هو الطريق الرئيسي خاصة وان اهالي الواحات لم يختلطوا بمحافظات اخرى سوى الجيزة والقاهرة برغم ان الواحات كانت من قبل تابعة لمحافظة مرسى مطروح الا ان اهالي الواحات كانوا يسافرون اليها عبر القاهرة لعدم وجود طريق آخر غيره

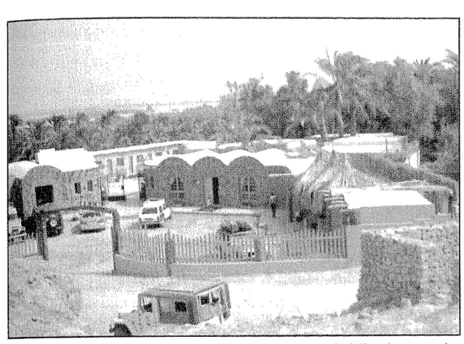
متحف مفتوح للآثار الفرعونية والرومانية والقبطية والاسلامية





ـ البشمو : ويرى مجرى المياه الروماني.

منتجع سياحي طبيعي لعلاج الروماتيزم والروماتويد في الرمال الآبار الكبريتية والمياه الجوفية الساخنة تتدفق ذاتيا من باطن الارض



- واحد من فنادق الواحة.

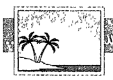
وبالفعل ثبت فشل ارتباطها بمحافظة اخرى غير الجيزة ولان الطريق غير مزدحم فهو يصلح لسياحة السفريات وتقام عليه سنويا سباقات رالي الفراعنة التي تبدأ من تحت سفح الهرم مارة بطريق الواحات.

ومما قرأناه عن الواحات انها عبارة عن منخفض شبه بيضاوي ينحصر بين خطي طول ٣٠ر٢٨ درجة، ١٠ر٢٩ درجة وبين خطي عرض ٣١ درجة، ٥٠ر٣١ درجة وتبعد عن وادي النيل بمسافة ١٨٠كم غربي مدينة «سمالوط بالمنيا» ولكن لا يوجد طريق يربط بينهما وربما كان ذلك سببا في احتفاظها بطبيعة وعادات خاصة.. يبلغ طول منخفض الواحة حوالي ٩٥كم وعرض حوالي ٤٢كم وتبلغ المساحة الكلية لهذا المنخفض ٢٠٠٠كم.

بدأ يظهر اسم الواحات البحرية بعد سقوط الاسرة الثالثة عشرة وبداية حكم الهكسوس وقد عرفت باسم «زس زس» ومع بداية الاسرة ٢٦ دخلت الواحات البحرية اعظم فترات تاريخها ومعظم آثارها الهامة ترجع الي هذا العصر برغم وجود آثار اخرى فرعونية ورومانية وقبطية واسلامية ثم عرفت باسم «الواحة الصغرى» ثم حديثا باسم الواحات البحرية.

- مناجم الحديد :

ويتوقف الاتوبيس امام نقطة تفتيش يقول صاحبي.. الحمد لله على السلامة لقد وصلنا أول منطقة في الواحات وهي المدينة السكنية للعاملين



بمناجم الواحات البحرية المدينة شاملة المرافق والخدمات وبها تقريبا كل مقومات الحياة لا تختلف كثيرا عن اي مدينة حديثة يسكنها ما يقرب من ١٢٠٠ اسرة كلهم من العاملين في المناجم تحيط بالمدينة اشجار كثيفة من الكافور يقول مرافقي ذلك لامتصاص الاتربة من خام الحديد المتطاير اثناء عملية الحفر.. نزل بعض الركاب ثم استأنف الاتوبيس السير علي اليسار نرى جبالا ضخمة من خام الحديد الاحمر الداكن وبني اللون والاصفر تم اكتشاف هذه المناجم في أواخر الخمسينيات وبدأ الانتاج يزداد، والآن هناك اربعة مناجم رئيسية هي «منجم الجديدة - ناصر - الحارة - غرابي» ويوجد بها اكبر احتياطي لخام الحديد في الشرق الاوسط.

بعد خروجنا من منطقة المناجم بدقائق هبطت بنا السيارة، وانا اعني كلمة هبطت كأننا نواجه مطباً هوائياً شديد الخطورة، يشعرك بالطنين.. انه مدخل المنخفض ويسمى عندهم «النقب» بعمق ١٣٠ مترا تحت سطح البحر..

■ الباويطي:

ما هي إلا نصف الساعة قضيناها بين القرى المتناثرة هنا وهناك حتى وصلنا الى مدينة «الباويطي» وهي المدينة الأم عاصمة الواحات البحرية.. هنا بعض الاهالي يستقبلون اقاربهم وآخرين يستقبلون السياح، المهم، توجهنا الي مقر اقامتنا في احد الفنادق بالواحة بجوار المحطة ولم يتركنا مرافقنا نقيم في الفندق إلا بعد أن وعدناه باننا سنتناول الغداء لديه يوميا، انه الكرم الواحاتي الذي اشتهروا به.

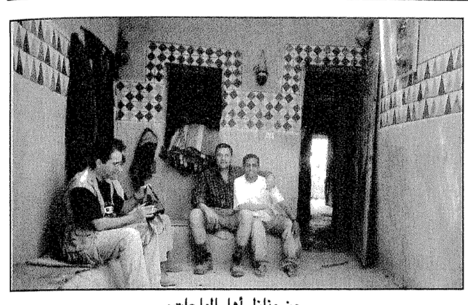
يقول صالح شريف صاحب الفندق، انا أول من اهتم باقامة فندق للسياح منذ ما يقرب من عشرين عاما وكان السياح قبل ذلك يقيمون في استراحة مجلس المدينة أو خيام يأتون بها معهم ينصبونها في الحقول.. انشأت هذا الفندق وقرية سياحية على الطراز الواحاتي تتلاءم مع البيئة المحيطة فعندما اقامت محافظة الجيزة عددا من الشاليهات كان السياح لا يقبلون عليها لانها لا تختلف كثيرا عما يقيمون فيه في اي مكان في مصر وهي الآن مغلقة للاسف لهذا السبب ولعدم مقدرة مجلس المدينة على ادارتها.. ويقبل السياح على الاقامة هنا لإعجابهم الشديد بشكل ومحتويات المكان بالاضافة الى اننا نقدم برنامجاً مثيراً للسائح.

■ الوليمة:

وبعد الاستراحة أتى صديقنا ياسين بسيارة «جيب» ويقول هذه السيارة هي اصلح وسيلة للتجوال هنا وفوجئنا به وقد اعد لنا وليمة كبرى وسط الحقول والحدائق بها كل ما لذ وطاب وقد استضاف بعض الشخصيات الهامة من ابناء الواحات لنتعرف عليهم.

يقول رشدي سلطان عضو مجلس المحافظة ونائب رئيس المدينة: لقد تم تغيير رئيس المدينة منذ ايام ولم يبدأ الجديد عمله بعد، اما الواحات، فقد تحولت الى مركز ومدينة خاصة بعد انشاء عدد من الوحدات القروية الجديدة.. يبلغ عدد سكان الواحات البحرية ما يقرب من ٤٠ ألف نسمة موزعين على عدد من القرى وتوابع القرى بدءا من مدينة الباويطي وتتركز بها كل الخدمات والمرافق ما بين «قسم الشرطة - ومجلس المدينة ومدارس لكل المراحل التعليمية - وسنترال - و...» ثم قرى القصر ومنديشة والزبو والعجوز والحارة وتتكون من «عين جديد وعين يوسف وعين وادي والحيز» وتتكون من «طبلامون وريس والعزة

مغامرة مثيرة في عالم من الاساطير



ـ من منازل أهل الواحات.

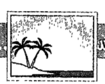
وعين الشيخ» والقبالة وعين الجفارة، وعن الزراعة يقول: يبلغ الزمام المنزرع حوالى ١٥ الف فدان على آبار جوفية واهم المحاصيل، النخيل والزيتون والمشمس والموالح كما توجد محاصيل حقلية مثل الخضر والبقول وهناك مساحات لا تقل عن ٦٠ الف فدان صالحة للزراعة ولكنها تحتاج لآبار جديدة.

ـ المعابد والقصور:

ويقول عشري شاكر عضو مجلس المحافظة ورئيس آثار الواحات: هناك العديد من المناطق الاثرية الهامة التي تضمها الواحات فمثلا في منطقة القصر يوجد «عين المفتلا» وبها اهم معبد «امازيس» يرجع للعصر الصاوي الاسرة ٢٦ و«جارة حلوة» وبها مقبرة أول حاكم للواحات البحرية امنحوتب والمقبرة منقوشة وملونة ويرجع تاريخها الى الاسرة ١٨ ومنطقة التبينية وبها معبد الاسكندر الاكبر وهو المعبد الوحيد المشيد في الصحراء الغربية.

وكذلك المعبد العظيم شيد على مساحة كبيرة جدا من الحجر الرملي الجيد اما في منطقة الباويطي فيوجد بها مقابر يوسف سليم وبها ست مقابر أهمها مقبرة «با٠ان٠ننيتو» مقبرة «زدامون اف ايو عنخ» وهي منقوشة وملونة ومنطقة مقابر الشيخ سوبي وبها ثلاث مقابر ملونة أهمها مقبرة «ساتي وبد عشتار» ومنطقة الفروج ويوجد بها اضخم مقبرة ترجع للعصر البطلمي مخصصة لدفن الطائر ابيس، أما منطقة الحيز فيوجد بها مجموعة من الكنائس والقصور والمقابر وجبانات ترجع للعصر المتأخر والعصر الروماني، أما مقبرة بنايوتي فهي مقبرة فرعونية تم اكتشافها عام ١٩٣٨ وترجع الي عصر الاسرة ٢٦ وترجع الاهمية التاريخية لهذه المقبرة الى معرفة الاسلوب المستعمل في طريقة الرسوم والنقوش والخطوط الفرعونية بالمقابر والمعابد والقصور.

وبعد الغداء ونظام الشاي الواحاتي المعروف بثلاثة ادوار في كوب صغير، الفنجان الاول «ثقيل وسادة» أما الثاني فهو «مضبوط» والثالث «محلى بالسكر والنعناع».



ـ لعنة الفراعنة:

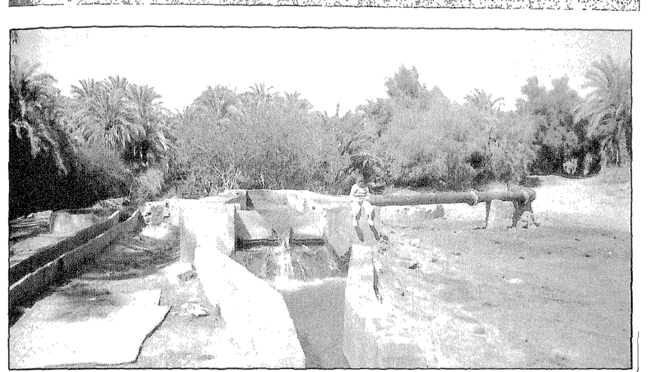
توجهنا في جولة الى المناطق الاثرية والسياحية برفقة محمد عيادي كبير مفتشي آثار الواحات، تخترق السيارة شوارع الواحات الواسعة معظم منازلها، مبنية بالطوب اللبن أو الحجر الرملي والصخور واخرى حديثة بالحجر الجيري الابيض.. كان اول مكان زرناه هو متحف الواحات الاثري، المكان حديث لكنه لا يتبع الاسلوب المتحفي الحديث وذلك بسبب قلة الامكانات لكنه يحتوي على كنوز ثمينة ونادرة جدا ما بين تماثيل الحكام الفراعنة على مختلف العصور ومقتنياتهم وقطع اثرية فريدة في نوعها، وبه اربع ممياوات لاسرة فرعونية، لرجل وامرأة وفتى وفتاة صغيرين تم اكتشافهم مؤخرا.

معظم محتويات المتحف تم اكتشافها على يد الاثريين من ابناء الواحات، ويضيف بانه قام بنفسه بعمل الحفريات ووجد هذه المقتنيات الاثرية وانها لا تقارن بما هو موجود تحت الارض من آثار كثيرة في المقابر والمعابد التي لم يبدأ البحث والحفريات فيها بعد.. ثم طلبت منه ان ارى إحدى هذه المقابر فتوجه بنا الى مقبرة «يوسف سليم» وهو اسم حاكم الواحات في عهد احتلال الانجليز لمصر ومازالت اطلال قصره قائمة حتى الآن.. صعدنا فوق هضبة ثم دخلنا الى غرفة وبها بئر بعمق خمسة أمتار تقريبا قال محمد عيادي تلك هي البوابة الرئيسية للمقبرة، هبطنا على درجات السلم الخشبي الى ارض المقبرة، مكونة من غرف عديدة يمينا ويسارا وغرفة داخل اخرى وعلى الجدران رسوم ملونة ومنقوشة تصور حياة المصريين ومماتهم وعمليات التحنيط والبعث والحساب ـ حسب تصورهم ـ ولكن لفت نظري وجود بعض الحفر في ثلاثة جدران وغياب بعض الرسوم يقول كبير المفتشين: للاسف الشديد سرقها اللصوص قبل انشاء منطقة تفتيش الآثار بالواحات وتم ضبطها.. ونرى غرف اخرى مليئة بالتوابيت الصخرية افرغها الرومان من محتوياتها واعادوا استخدامها.. هذه المقبرة تعبر عن عظمة المصريين القدماء وكيف قاموا بحفر هذه المقابر المتعددة وسط الصخور وبدقة متناهية لتعيش آلاف السنين، تلك واحدة من عشرات المقابر مختلفة الاشكال.

ويروي احد الخفر العاملين في هذه المقبرة قصة لعنة الفراعنة التي وقعت في مقبرة «الشيخ سوبي» اكثر من مرة فقبل انشاء وحدة الآثار بالواحات كان لصوص الآثار يأتون الينا من خارج الواحات وفي اكثر من مرة كلما حاول احد اللصوص دخول مقبرة الشيخ سوبي يصاب بصدمة تؤدي لوفاته في الحال ومازال حتى الآن عمال الحفريات قبل أن يدخلوا الى المقبرة يلقون بعض الحصوات أو الحجارة داخل المقبرة حتى يخرج «الرصد» كما يسمونها أو لعنة الفراعنة (حسب اعتقادهم).

ـ البشمو:

ثم توجهنا الى منطقة «البشمو» في قلب المدينة القديمة وهناك وجدنا العديد من السياح يلتقطون الصور لهذا المنظر العجيب.. هو انكسار ارضي وتجويف صخري يشبه الكهف، منخفض بعمق ٢٠ مترا وعندما تنزل الى هذا الكهف تجد به مصدرين للمياه يتدفقان لري الزراعات، الأول يأتي متسللا منذ آلاف السنين عبر التجويف الصخري، مياهه باردة، اما الثاني فتتدفق مياهه من باطن الارض وهي مياه ساخنة ويلتقيان في مسار ومجرى مائي واحد، هذا المنظر العجيب لا تملك امامه إلا أن تقول سبحان الله.

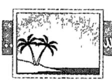


- واحد من آبار المياه الساخنة.

- منطقة المفتلا:

أما «المفتلا» فتقع في قرية «القصر» وهي عبارة عن هضبة رملية مرتفعة تطل على منطقة زراعات شاسعة بواد محاط بمجموعة من الجبال العالية وتمثل بانوراما للواحات.. يوجد بها معبد جنائزي فرعوني يرجع تاريخه للاسرة ٢٦ لكنه ليس بحالة جيدة وقد بدأت الحفريات به منذ فترة وستبدأ عمليات الترميم قريبا، وبجوار المعبد هناك ربوة عالية من الرمال البيضاء والصفراء وجدنا بعض الرجال يدفنون انفسهم وسط هذه الرمال حيث يقوم مرضى التهاب المفاصل أو الروماتويد يدفنون اجسادهم لمدة ساعة في منتصف النهار على مدى ثلاثة ايام وبعدها يشفى من مرضه.

المهم بعد هذه الجولة القصيرة التقينا في المساء في منزل محمد عيادي الذي أصر على أن يكون العشاء لديه حضر بعض الأهالي الذين اجمعوا على أن الواحات اصبحت منطقة جذب لابناء وادي النيل خاصة بعد استكمال المرافق بها لكنها مازالت محتفظة بطبيعتها الخاصة فأهلها يعيشون على الفطرة يتسمون بالتدين الشديد فانت ترى شوارعها خالية وقت الصلاة.. الجميع يترك ما بيده متجها الى المساجد المنتشرة في كل شارع ولهم عاداتهم في الافراح كالزواج والختان والمولد النبوي الشريف ومولد اولياء الله الصالحين والحج والمناسبات الدينية الاخرى، فالزواج يستمر الاحتفال به ثلاثة ايام وكذلك في حالات الموت يستمر العزاء ثلاثة ايام ايضا.. اهل الواحات يعملون بالزراعة حتى الذين يعملون في وظائف حكومية يذهبون بعد العمل الى حقولهم.. هناك بعض الصناعات التي تقوم على منتجات الواحات من المحاصيل مثل قمر الدين وزيت الزيتون وهناك صناعات يدوية مثل الملابس المطرزة.. مناخ الواحات دافيء في الشتاء حار جاف صيفا، نساء الواحات من



كبار السن مازلن يرتدين الملابس البدوية المزركشة والوشم على وجوههن، اما فتيات اليوم فيرتدين الملابس العصرية، فقد ذهبن الى القاهرة وتخرجن من كليات الطب والهندسة وغيرها.

▪ بئر المطار :

في اليوم التالي رافقنا محمد عيادي في جولة داخل المدينة وقراها توجهنا الى منطقة «بئر المطار» وتسمى بهذا الاسم لأنها كان بها مطار مدني وحاليا بدأ العمل في مطار جديد في مكان آخر على احدث الامكانات العالمية لاستقبال السياح.

وزيارتنا لهذا المكان ليست لهذا السبب فمنطقة بئر المطار هي سهل منبسط فسيح يقع اسفل جبال عالية، به بئر للمياه الكبريتية الساخنة وحمام سباحة وتمثل نواة للسياحة العلاجية وقد اقامت المحافظة عدة شاليهات حول هذا المكان لكنها مغلقة والمنطقة تحيطها زراعات كثيفة مليئة بالمحاصيل الحقلية المختلفة يتم نقلها الى القاهرة واخرى يتم تصديرها مثل البطيخ البعلي الذي ينمو بدون ري في قريتي الحارة والحيز.

▪ الدست والمغرفة :

ومنها انتقلنا الى منطقة قريبة منها وهي «القصعة» عبارة عن ثلاثة تجمعات سكانية تقوم حياتهم على الزراعة بها ايضا ثلاثة آبار كبريتية ساخنة يجاورها جبلان يعرفان باسم «الدست والمغرفة» وهي مكونات جبلية طبيعية تشبه في شكلها ادوات الطعام الدست والمغرفة وتقع بجوارها منطقة «المارون» الاثرية تحيطها الحشائش والزراعات التي تقوم على مياه الصرف حيث تنتشر عمليات صيد البط والغزال والطيور المهاجرة.

ونحن نتنقل بين القرى نرى الجبال تتخللها الوديان المملوءة بالنخيل والزيتون والاشجار المتشابكة تكون كتلا خضراء تعطي منظرا خلابا لا يضارعه اي منظر طبيعي مماثل بالوادي، وتمتاز قرى الزبو ومنديشة - سميت على اسم ابنة احد الحكام الفراعنة - والقبالة والحارة بوجود تلال صخرية ورملية في اجزاء كثيرة منها كما انها اعتمدت في العهدين القديم والحديث علي الزراعة التي تقوم على المياه الجوفية ومعظم آثارها تقوم حول هذه المنطقة الزراعية.

▪ الاستشفاء بالمياه الكبريتية :

وفي طريق عودتنا مررنا على العديد من العيون الساخنة التي تتصاعد منها الابخرة من شدة حرارتها فلا تستطيع ان تضع قدميك فيها مرة واحدة حتى لا يتوقف قلبك بل تدريجيا فهي تتدفق بل تندفع من باطن الارض على عمق لا يقل عن ألف متر، لفت نظري ان عددا من فلاحي الواحات العائدين من حقولهم يركبون الحمير المحملة بالبرسيم والغلال، لابد ان يمروا على احدى هذه الآبار ليستحموا فينزلون من على دوابهم ويسبحون في حوض كبير يشبه حمام السباحة في بئر «الشيخ احمد» واحد من هذه الآبار الساخنة تصل درجة حرارته الى ٦٥ درجة مئوية وسمي بهذا الاسم نسبة الى مقام الشيخ احمد وهو واحد من اولياء الله الصالحين.

فاذا اردت ان تشفى تماما من الروماتزيم عليك ان تأخذ حماما في هذه المياه كل يوم على مدى اسبوع - هكذا يقولون -

وتنتشر في ربوع الواحات البحرية ٥٥٠ بئرا للمياه متدفقة ذاتيا منها ما هو عذب ومنها الآبار الكبريتية المعدنية الساخنة والباردة مثل بئر عين حلفا

وبئر الجوج اللتان تصل حرارتهما ما بين ٤٥ ـ ٦٥ درجة مئوية.

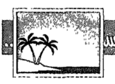
ـ عجائب الدنيا:

وبعيدا عن الآبار الساخنة هناك واحدة من عجائب الدنيا آبار منذ عهد الرومان مازالت تتدفق حتى الآن ونرى اثرا تاريخيا لبئر رئيسي يسمى «الهوبجة» يمثل انكسارا صخريا طبيعيا عميقا تجرى مياهه في باطن الارض على مسافة ٣كم ويضطر بعض الفلاحين من حين لآخر للسير مع المجرى تحت الارض طول هذه المسافة في نفق بعمق ١٥ مترا تحت سطح الارض وذلك لتطهير مجرى المياه وقد ساعدهم على ذلك وجود مجموعة من الآبار التي حفرها الرومان لغرض التهوية والنزول لتنظيف المجرى كلما حدث به انسداد ويصل مجرى المياه ليروي الزراعات بطول ١٥ كم وبئر آخر يسمى «ابوتليس».

وفي اليوم الثالث كان علينا ان نستيقظ مبكرا جدا لكي نذهب الى منطقة «الحيز» التي تبعد عن الباويطي ٤٨كم ومنها الى منطقة الصحراء البيضاء على بعد ١٤٠كم جنوبيا على نفس الطريق وقد نصحنا صاحب الفندق اذا كنا سنذهب الي الصحراء البيضاء علينا أن نأخذ احتياجاتنا من الغذاء والمياه لأنها منطقة خالية لا يسكنها احد.. وصلنا الي منطقة الحيز جنوب الواحات وهي تتكون من قرى «طبل امون ـ العزة ـ ريس ـ عين الشيخ» وكلها تقوم على الزراعة وتضم العديد من الآثار اهمها الكنيسة الكبرى وهي تحفة فنية ولكنها مصابة ببعض الانهيارات يرجع تاريخها للعصر الروماني وهناك عدد كبير من القصور والمعابد والمقابر ترجع للعصر الروماني والعصر المتأخر معظمها تحت البحث والحفريات، وكل يوم يكتشفون الكثير من هذه الآثار والمقتنيات والكنوز لمختلف العصور.

ذبح النخيل:

وبعد ان تجولنا في تلك القرى المختلفة لاحظنا انها مازالت تحتاج لمزيد من المرافق والخدمات والاهتمام من جانب الدولة، وقبل أن نترك القرية اصر عدد من الاهالي على ان نتناول الغداء معهم وقدموا لنا الذبائح واحتفوا بنا كثيرا واهل الواحات البحرية عموما عرف عنهم كرم الضيافة فهم بجانب نحرهم الذبائح مثل الغنم والماعز فانهم كانوا قبل ذلك يقدمون اغلى ما عندهم، فقد كانوا يذبحون نخله ويقدمونها لضيوفهم.. اقصد كانوا يقدمون عصير النخلة، وعصيرها هو الماء المتدفق من قلب الجمار بعد قطعه ويؤدي ذلك الى موت النخلة طبعا ويسمى هذا العصير بـ «اللابجي» ويتم جلب هذا العصير بعد ان يتم قطع الجمارة من قلب النخلة ويقوم بهذه المهمة احد المتخصصين فيها فيعلق إناء ـ وغالبا ما يكون الإناء من «اللاقطين» يشبه القرع العسلي بعد جفافه وتفريغه من محتواه ـ في رقبة النخلة طوال الليل فقط، ولمدة ثلاثة ايام أو اكثر ويجب ان يتناول المشروب «اللابجي» قبل ارتفاع الشمس في الضحى لانه بعد هذا التوقيت يتخمر من الحرارة فيسكر من يشربه، ولكن هذه العادة تقريبا انقرضت بعد ان افتى احد علماء الدين ان ذبح النخيل يعد قتلا للنفس لان النخلة تظل واقفة حتى تجف تماما، ويعد ذلك تضييعا للنعمة والرزق الكثير الذي تدره هذه النخلة من ثمار البلح من اجل شربة عصير.. فالمفروض ان يتم ذبح النخلة التي لا تثمر نهائيا وهي من الذكور أو توقفت عن انتاج التمر، لكن البعض كان اذا توقفت عن الانتاج في احد المواسم



يقوم بذبحها قال الشيخ: ان هذا يعد ازهاقا للروح..
كما ان البعض كان يذهب خفية ليشرب العصير بعد الظهيرة فأفتى الشيخ بتحريم قتل النخيل وشرب اللابجي.

كوكب آخر:

وتوجهنا جنوبا الى «الصحراء البيضاء» التي تبعد عن هذه المنطقة ما يقرب من ١٠٠كم قضيناها بين الجبال والتلال الرملية وعندما تقترب من المنطقة تشعر بالرهبة وكانك على ارض كوكب آخر غير كوكب الارض وأن هذه التكوينات هي على سطح القمر أو المريخ فالموقع هنا منعزل تماما عن الدنيا، عندما تتجول وسط الصخور تشعر وكانك في عالم من الاساطير.. هذا المكان بالفعل خلاب وساحر يسلبك عقلك وانت تطالع التشكيلات البيضاء والملونة من الحجر الجيري والطباشيري على شكل طيور واشكال مختلفة توحي لك بمناظر متعدده وتكونات فنية طبيعية، ما أبدع الخالق.

اما عندما تتحدث بصوت عال تسمع من يرد عليك من بعيد من بين هذه الصخور.. هل هذا المكان مسكون بكائنات اخرى كما يقولون؟ اخذت اتجول وابتعد شيئا فشيئاً عن رفاقي في هذه الرحلة الاسطورية.. سارفع صوتي قليلا وانادي على رفاقي «ياسين» .. سين سين سين سين سين ... عيادي ... دي دي دي دي ... انه صدى الصوت، نعم صدى الصوت، ولكنه يأتيني من اربعة اتجاهات ويتكرر مئات المرات بينها انقطاعات ربما يظل يكرر أو يقول كلاما آخر لا ادري وتظل الكلمة الواحدة تتكرر لمدة لا تقل عن ثلاث دقائق تقريبا.. رفاقي يقولون انه مسكون بالفعل وانا لم اعد متأكداً أهو صدى الصوت أم شئ آخر..

ان المكان يحتاج لدراسة وعناية واهتمام من جانب الدولة انه متحف مفتوح للنحت الطبيعي ويعد قبلة السياح الاجانب من كل مكان فهم يفترشون الرمال الناعمة يأكلون ويشربون ويتسامرون ومعهم بعض ابناء الواحات الذين يغنون على صوت الارغول والدفوف التي يجيدونها تماما.

يقول احد السياح من النمسا هذه المنطقة «وايت دزرت» لو وجدت في النمسا بهذا الخيال الرائع لا قيمت حولها القرى السياحية والفنادق ولحصلت على دعاية كبرى لجذب السياح من كل بلاد العالم.

السياح هنا ينصبون خيامهم ويبيتون ثلاث أو اربع ليال يتجولون ليل نهار وسط هذه الصخور الكثيرة يلتقطون لها صورا وقت الغروب ووقت الشروق، يتجولون وسط هذه التكوينات التي تدل على عظمة الخالق البديع وتلهب خيال أي شاعر أو فنان وعندما اقترب الغروب قررنا العودة وقد ملأت قلوبنا السعادة والدهشة ولكني كنت اشعر بشيء من الحزن مرجعه تلك الكنوز التي لم نستطع الحفاظ عليها أو استغلالها ويؤلمني اكثر هذه المقابر والمعابد التي تنتشر هنا وهناك خاصة تلك التي لم يتم اكتشافها بعد أو تسجيلها، تعرضت ومازالت تتعرض للسرقة من جانب لصوص الآثار الذين يأتون لها من على بعد مئات الكيلومترات متسللين ليلا يعرفون كيف يبحثون وكيف يهربون تاريخنا للخارج. وفي اليوم التالي كان موعدنا للعودة الى القاهرة وصخبها ولسان حالنا يقول اننا لعائدون مرة ومرات، لننسى هموم الدنيا التي سببتها لنا الحياة الحديثة خصوصا أننا أبناء هذه الواحات.

أبهـــا في قلـــوب ولاة الأمـــر

منذُ تأسيس هذه البلاد الطاهرة على يد جلالة الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود طيب الله ثراه، وولاة الأمر يحرصون على ترسيخ دعائم التواصل بين الراعي والرعية، ايماناً منهم بأن المجتمع السعودي أسرة واحدة، نسجت العلاقة بينهم على أساس من تعاليم الدين الحنيف، بوطنية راسخة وولاء مخلص ومحبة صادقة. فتتابعت بالترحاب جولاتهم على سائر مدن وقرى المملكة من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها، تحدوهم الرغبة المخلصة الى تلمس حاجة المواطن ودفع عجلة النهضة والبناء التي تصب في مجملها لخدمة هذا الوطن ومواطنيه.

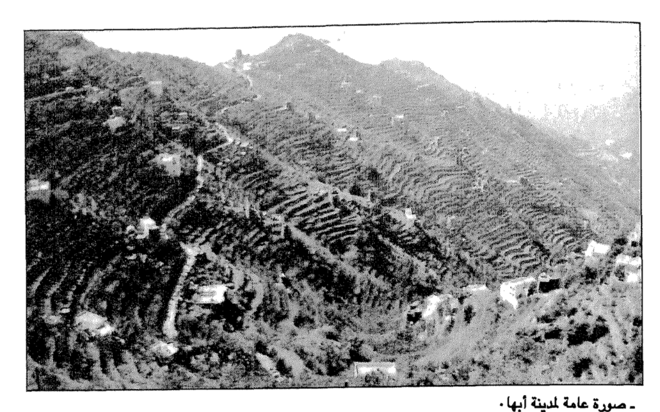
وفي أبها مكان بحثنا هذا ما كان للانطلاقة التنموية أن تنجح إلا بتوفيق الله أولا ثم بجانبين هامين، أولهما ما تحظى به كغيرها من مدن المملكة من رعاية ولاة الأمر واهتمامهم واستمرار متابعتهم وزياراتهم، وثانيهما نجاح الإدارة المتميزة التي يقود بها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز أمير منطقة عسير مسيرة الخير بالمنطقة في شتى مجالاتها واتجاهاتها فأمكن بذلك بناء قاعدة تنموية كبرى في المجالات التعليمية والصحية والسياحية والمواصلات والاتصالات والكهرباء.. وغيرها. وأهم من ذلك كله بناء الإنسان السعودي الذي يحظى بكل رعاية واهتمام.

ويشرّفني هنا أن أورد جانباً مما أمكن معرفته عن تلك الزيارات الملكية الكريمة ورعاية ولاة الأمر جزاهم الله عنا خير الجزاء، لإنسان هذه المنطقة فكان تتابع زياراتهم على النحو التالي:

الملك سعود:

كان أول ما حظيت به أبها من زيارات ملكية هما الزيارتين الملكيتين الكريمتين اللتين قام بهما جلالة الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - أولاهما في شوال عام ١٣٧٣هـ[١] وأصدر جلالته خلالها أوامرة بإنشاء مستشفى أبها العام، كما كانت زيارة جلالته تلك سبباً في إنشاء مطار بالمنطقة وتعبيد بعض الطرقات الترابية. أما الزيارة الثانية لجلالته فكانت في ربيع الأول عام ١٣٧٩هـ[٢] حيث دشن جلالته القصر الملكي بالقرعاء وكذا المستشفى العام الذي أمر به في زيارته الأولى[٣]، وكان جلالته قد زار المنطقة عام ١٣٥٢هـ عندما كان وقتها ولياً للعهد.

بقلم : أنور بن محمد آل خليل
- السعودية -



- صورة عامة لمدينة أبها.

الفيصل في أبها:

زار جلالة الملك فيصل - رحمه الله - المنطقة مرتين الأولى في مطلع شبابه وتحديداً في جمادى الآخرة عام ١٣٤٠هـ عندما أوفده والده جلالة الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن، على رأس حملة عسكرية، لإعادة الاستقرار بعد الأحداث التي عصفت بأبها حينذاك[٤]، وتمكن - رحمه الله - بحنكته المعهودة من إعادة الأمن والطمأنينة والاستقرار الى النفوس، ثم غادر الفيصل أبها ولسان حالها يتمثل بقول الشاعر[٥]:

لما استقر السلم في «أبها»
وزها الربيعُ ونوّر الوردُ!
تمت رسالة «فيصل» فدعا
إلى الرحيل، وأوعب الجند!
كالحلم مرَّ .. وعاد تصحبهُ
كلُّ القلوب، فهل له عوْدُ؟!

وفي رجب عام ١٣٩١هـ[٦] عاد الفيصل إلى أبها ملكاً كريماً زائراً، فخرجت عسير بعامة لاستقباله، والاحتفاء بمقدمه، وكانت هذه الزيارة من الأهمية بمكان، حيث غيرت وجه المنطقة بعد أن أمر رحمه الله باعتماد المبالغ اللازمة لشق الطرق وتمديد الكهرباء وإنشاء السدود وبناء المدارس والمعاهد، فكانت زيارته خيراً وبركة على أبها والمنطقة بعامة، وهنا استلهم الشاعر عبد الله بن علي بن حميد عظمة الزيارتين الأولى والثانية فقال[٧]:

مولاي أبها تحيي فيك فاتحها
بالأمس واليوم حيت فيك بانيها
تزهو بأبها حلاها عند مقدمكم
كغادة زادها حسنا تثنيها
وزاد من حسنها تتويج هامتها
بخالد فمنحت القوس باريها

وكان جلالته قد افتتح خلال تلك الزيارة مدينة الملك فيصل العسكرية جنوب مدينة خميس مشيط، وغادر الفيصل أبها وفي نيته القيام بزيارة أخرى



ـ الملك سعود ـ عليه رحمة الله ـ في زيارته لـ (ابها) في شوال ١٣٧٣هـ.



ـ الملك فيصل ـ عليه رحمة الله ـ في زيارته لـ (أبها) في شهر رجب ١٣٩١هـ.

ليرى ما أمر به من مشاريع قد نفذت، لكن القدر لم يمهله لاتمامها[٨]، رحم الله الفيصل وأسكنه فسيح جناته.

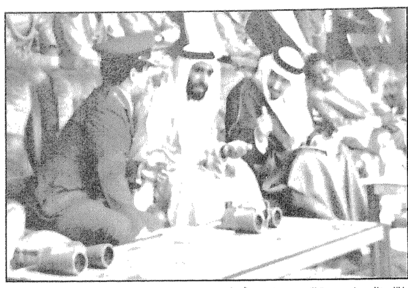
الملك خالد في أبها:

تواصلت يد الخير والعطاء الممتدة لكل أرجاء الوطن، فسعدت أبها بزيارتين ملكيتين من جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ الأولى في ١٣٩٦/٨/١٥هـ[٩]، والثانية في ١٣٩٩/٨/٢هـ[١٠]، وفي كلتا الزيارتين كان الوفاء والتلاحم بين القائد وشعبه متمثلا في أبهى صوره، من خلال الاستقبال الشعبي الكبير الذي اكتظت به ساحة البحار وطرقات المدينة، وكان جلالته قد شهد خلال زيارته الثانية مناورة «جند الله»[١١] التي أقيمت يوم الأربعاء ١٣٩٩/٨/٣هـ[١٢] بمنطقة القاعة شرق المدينة العسكرية وحضرها مع جلالته ضيوفه صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح، وصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، وصاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، والشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، ودولة رئيس وزراء الجمهورية العربية اليمنية السيد عبد العزيز عبد الغني[١٣] ـ الأسبق ـ ، ومن أهم المشاريع التي شملها جلالته برعايته الكريمة افتتاح مشروع كهرباء عسير المركزي التي غطت معظم مدن وقرى المنطقة.

الفهد في أبها:

منذ مطلع العقد الثامن من القرن الهجري الماضي والفهد ـ حفظه الله ـ يؤم أبها كلما سنحت الفرصة، فكانت زيارته الأولى عام ١٣٨٢هـ متفقداً لأحوال المنطقة، ومطمئناً على أهلها .. وفي ذي الحجة عام ١٣٩١هـ كانت زيارته الثانية لأبها ضمن

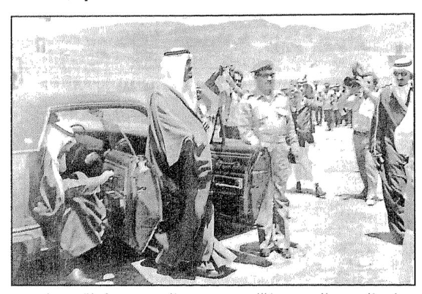
جـــولة في أنحــــاء المنطقـــــة الجنوبيـة[١٤]، وفي ربيع الآخر عام ١٣٩٤هـ قام الفهد وكان نائباً ثانياً لرئيس مـــــجلس الوزراء ووزيراً للداخلية بزيارته الثالثة لأبها دشن خلالها حفظه الله سد وادي أبها، الذي شكل للمدينة شريان حياة يروي ظمـــأ الحلوق وجـــفـــاف الزروع[١٥]، ثم تتـابعت بعـد ذلك زياراته الكريمة ورعـايتـه الدائمـة للمنطقة وأبنائها.



ـ الملك خالد ـ عليه رحمة الله ـ في زيارته لـ (أبها) ورعايته لمناورة (جند الله). ويظهر في الصورة سمو الشيخ زايد بن سلطان، وسمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، ودولة رئيس وزراء اليمن. وذلك في عام ١٣٩٩هـ.

ولي العهد في أبها:

سعدت مدينة أبها بعدة زيارات كـريمة من صـاحب السـمـو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز منذ العـقـد الثـامن من القـرن الهـجـري الماضي عندما قام سموه بجولة على بعض مدن المنطقة الجنوبية، كانت من ضـمنهـا مدينة أبهـا، ثم أتبـعهـا سـمـوه بزيارات أخـرى في العـقـد التاسع كان خلالها في معية إخوانه الملك فيصل والملك خالد والملك فهد.



ـ خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ حفظه الله ورعاه ـ في زيارته لـ (أبها) في ربيع الآخرة ١٣٩٤هـ.

إلا أن مطلع عام ١٤١٩هـ شهد حدثاً سـعـيداً لا ينسى إذ تنادى فيه أبناء منطقة عسير من كل مدينة وقرية من الجبال والسهول إثر سماعهم النبأ السار عن قيام صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز بزيارة تفقدية لأبنائه في منطقة عسير، فتوافد الجميع على مدينة أبها وأقاموا عشرات المخيمات استعداداً لاستقبال زائرهم الكريم.

وفي أجواء ربيعية ممطرة وصور وطنية رائعة، وصل سموه إلى مطار أبها ظهر يوم الأحد السابع من شهر محرم، ووسط آلاف المستقبلين شق الموكب طريقه بصعوبة بالغة ومشاهد الفرح المتبادل تنبض بعمق التلاحم الصادق بين القيادة والمواطن، ولا أبالغ إذ قدرت أعداد أبناء القبائل المشاركين في مراسم الاستقبال من المطار إلى قصر القرعاء مقر



ـ صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز في زيارته لـ (أبها) في المحرم ١٤١٩هـ، والى جانبه صاحب السمو الملكي الأمير سلطان، وصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل.

إقامة سموه بنحو ثلاثمائة ألف نسمة، توافدوا في إعلان عفوي يترجم الولاء الصادق والوطنية المخلصة، المترسخة في قلوب الجميع تجاه قيادتهم الحكيمة وهي مبادىء ثابتة وملموسة لدى كل أبناء الشعب السعودي في طول البلاد وعرضها[١٦]، وعلى مدى ثمانية أيام قضاها سموه بين أبنائه في المنطقة كان يتنقل من موقع لآخر يفتتح هنا مشروعاً، ويضع هناك حجر أساس لآخر، حيث افتتح حفظه الله محطة تحلية المياه وتوليد الكهرباء وخطوط نقل المياه من بلدة الشقيق على ساحل البحر الأحمر إلى منطقة عسير على جبال السروات، وذلك بطاقة تصديرية تبلغ (٨٣٫٤٠٠) متر مكعب من المياه العذبة يومياً كما أنها تنتج ٥٤ ميجاوات من الكهرباء، ويبلغ طول خطوط النقل من محطة الشقيق إلى خزان جبل خوير بأبها على ارتفاع (٢٫٢٩٧م) نحو ١٠٢كم[١٧].

كما افتتح سموه مشروع توسعة المحطة المركزية لتوليد الطاقة الكهربائية، التي ارتفعت قدرتها التوليدية لتصل إلى (٤٤٠) ميجاوات بنسبة زيادة قدرها (٨٣٪) وتضاعفت سعة المحطات التحويلية بنسبة ٣٠٠٪[١٨].

ثم وضع سموه حجر الأساس لمنشآت جامعة الملك خالد بأبها، والتي كان مقرراً تسميتها جامعة الأمير عبد الله، إلا أن سموه خلال الحفل أمر بإطلاق اسم أخيه جلالة الملك خالد على الجامعة تخليداً لذكراه العطرة.

وفي مدينة أحد رفيده وضع سموه حجر الأساس لطريق الأحد، المطار مدينة أبها، كما أمر سموه بشق العديد من الطرق الرئيسية الجديدة التي سيكون لها أثر كبير في انسياب حركة المرور بين مدن المنطقة.

وكان سموه قد شرّف مساء يوم وصوله الحفل الكبير، الذي أقامته إمارة منطقة عسير بالصالة الملكية بالخالدية، حيث احتوى الحفل على العديد من الفقرات البديعة، توَّجها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز بكلمة كانت في مجملها قطعة أدبية، تحمل أجمل صور البيان، وأنبل مشاعر التعبير، أردت أن أستشهد ببعضها فوجدت أن الاختصار لمثلها لا يجوز.. حاولت أن أصفها بما تستحق فلم أجد بلاغة ترقى لبلاغتها إلا أن أوردها كاملة لقيمتها الأدبية ومناسبتها التاريخية.. وها هي الكلمة كاملة كما تناقلتها القنوات الفضائية والإذاعية[١٩].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

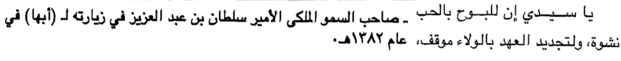


سيدي: صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني.

أصحاب السمو الأمراء.

أصحاب المعالي والفضيلة الإخوة الحضور.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..



- صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز في زيارته لـ (أبها) في عام ١٣٨٢هـ.

يا سيدي إن للبوح بالحب نشوة، ولتجديد العهد بالولاء موقف، وحين وددت أن أسجل نشوة الموقف هذه استعيا القلم، وأشفقت الكلمة من حمل الأمانة، فتلفت إلى ملهمة الشعر والفنون، شاعرة المدائن والقرى عروس المصانف أبها، فدنا الطير وغنى، وانتفض الورد ففاح شذا وعطرا، واهتز الشجر ورقص السحاب حباً وولاء يا سيدي.

يا سيدي لست بالذي يتطاول على لحظته، أو يغفل عن مواطىء قدمه، حتى أرحب بصاحب الدار في داره، ورب الأسرة بين أبنائه، فما هذه المنطقة إلا جزء من بلادك، وما أهلها إلا أسرتك، وأنت المضيف وغيرك الضيوف، ولكنها الفرحة أبت إلا أن تتشكل كلمة، وتبث حروفها بين يديك تغرد حباً وولاء يا سيدي.

يا سيدي هذه عسير قد جاءت جموعاً تتدفق، وسيوفاً تتألق، الشوق داعيها، والحب حاديها، تقدم الشكر والعرفان، يهتف بالحب إنسانها، فترد بالتأكيد جبالها، وفي لحظة الشوق العظيم امتزج الإنسان بأرضه، فاحتزمت الجبال طرقاً، نفذت بين أحشائها أنفاقاً، ونقلت على متونها جحافل العلم والعلاج، إلى كل قرية ومدينة، تنير العقول وتعالج النفوس، فتقهقر الجهل وتراجع المرض، وما أن استضاء الفكر بالعلم، حتى انبرى الإنسان السعودي يبني للمجد صروحاً، ويزرع للمستقبل أملا، ويسجل للتاريخ مثلا، فلم يعد أبهى من أبها ولا عسير في عسير. تزينت البلاد بالحدائق والغابات، يسترها رداء السحاب نهاراً، وتطوقها أساور الكهرباء ليلا، وامتدت كل قرية تصافح أختها، بيد من طريق وبرعشة من كهرباء، فدبت في كل واد وعرق حياة.. حياة تعين الشباب على مستقبل زاهر، وتمسح بيد الحنان مقلة عاجز فارتفعت الأكف دعاء ووفاء، حباً وولاء، يا سيدي.

يا سيدي إن للماء في هذه المنطقة قصة، ويشاء الله أن تكون قيادتنا كعادتها بطل الخير في كل قصة، فمنذ أعوام افتتح أخوك الملك المفدى بيده الكريمة سد أبها، وها هي يدك الكريمة اليوم تفتح مشروع تحلية مياه البحر، وكأنكما والقدر، وهذا الجبل الأشم، على موعد فتجتمع قمة العطاء مع قمة

الوفاء، وتلتقي على يمينك قطرة ماء السحاب مع قطرة ماء البحر، فتجري المياه دليل حياة، وترتفع الأكف دعاء ووفاء حباً وولاء يا سيدي.

وأخيراً وهذه لوحة عسير تكتمل ألوانها زهواً وسموا، تأبى أريحيتك السعودية العظيمة، إلا أن تؤطرها بعبق الكلمة، فكانت كلمة رجل الوطن على مستوى الوطن صحيفة الوطن، عشت يا سيدي رمزاً للوطن، في ظل أخيك خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز سلمه الله وأيده.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي مساء اليوم الثاني لزيارة سموه أقام أهالي منطقة عسير حفلا شعبيا كبيراً على شرف سموه، وذلك بساحة البحار وسط مدينة أبها.. ألقيت فيه العديد من الكلمات والقصائد الترحيبية بسموه الكريم، كما شاركت كافة قبائل المنطقة باستعراضات شعبية، رغم انهمار الأمطار منذ صباح ذلك اليوم، فكان الاحتفال من أروع ما شهدته هذه الساحة من احتفالات على مر الزمان، توافد إليها الشباب والشيوخ يحملون البنادق والسيوف في أيديهم والحب والولاء في قلوبهم.

قال شاعرهم في مطلع قصيدة له ألقاها في الاحتفال[٢٠]:

وفـدت عليك محـبة وولاء
تزجي إليك قلوبها البيضاء
آمالها معزوفة من فرحة
أشياؤها لا تشبه الأشياء
هذي عسير خيولها وثابة
حملت إليك سقاها والماء
حملت إليك جبالها بشموخها
وسهولها وتلالها الخضراء

وقبيل نهاية الاحتفال ترجل سموه من المنصة إلى وسط الساحة، حيث شارك أبناءه فرحتهم وأدى معهم العرضة المحلية.

وفي مساء يوم الثلاثاء أقام سموه حفل عشاء تكريماً لأبناء منطقة عسير، وفي اليوم التالي أقامت قيادة المنطقة العرض العسكري الكبير تكريماً لسموه، وبحضور صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز، وقبل مغادرته مدينة أبها متوجها إلى محافظة بيشة مروراً بالنماص وسبت العلايا وغيرها من المدن والقرى على طول الطريق، رعى سموه مساء الخميس الحادي عشر من شهر محرم حفل وضع حجر الأساس لمنشآت صحيفة الوطن، على طريق المطار فكان ذلك مسك الختام للمشاريع التي رعى سموه احتفالاتها في مدينة أبها.

سلطان الخير في أبها:

في شهر شوال من عام ١٣٨٢هـ قام صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز بزيارته الأولى لأبها، ليتفقد الأحوال ثم أتبعها سموه الكريم بزيارة أخرى في ربيع الآخرة عام ١٣٨٨هـ، وفي هذه الزيارة قام سموه بوضع حجر الأساس لمدينة الملك فيصل العسكرية[٢١]، ومنذ ذلك الحين والمنطقة تحظى بمكانة في قلب سلطان الخير، الذي لا يكاد يمضي عام إلا وقد اكتحلت عيناه برؤية إنسان ومكان هذه المنطقة، فتتوشح أبها وأهلها برداء السعادة، وتخرج لتبادل زائرها الشوق احتفاء

بمقدمه الميمون، ومنها نذكر على سبيل المثال لا الحصر زيارة سموه عام ١٤١١هـ. حيث شرف بعد عيد الفطر مهرجان النصر الذي أقيم بمناسبة تحرير دولة الكويت، وبعد عيد الأضحى من عام ١٤١٧هـ رعى سموه الكريم حفل افتتاح مشاريع الشركة الوطنية للتنمية السياحية في كل من أبها الجديدة والسودة والقرعاء.. وغيرها.

كما شرف سموه ضمن زيارته الكريمة في شهر ذي الحجة من عام ١٤١٨هـ حفل المنطقة الكبير المقام ابتهاجاً بعودة سموه من رحلته العلاجية سليماً معافى بحمد الله، وقد تبرع سموه خلال الحفل بمبلغ عشرة ملايين ريال لإنشاء كلية للسياحة بمدينة أبها[٢٢]، وهكذا تتابعت بالخير زيارات سلطان الخير الميمونة في كل عام.

بهذا العرض المختصر للزيارات الكريمة التي قام بها ولاة الأمر قادة الوطن لهذه المنطقة، نلمس عمق التواصل ومدى الاهتمام بسعادة وراحة الإنسان، على امتداد خارطة الوطن، فنجحت بذلك سياسة التواصل والباب المفتوح في تعميق المحبة والتلاحم، على كل النظم السياسية المصطنعة في الشرق أو في الغرب، لأنها سياسة مبنية على الحقوق المتبادلة بين الراعي والرعية، كما نظمها دستور هذه البلاد، كتاب الله الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الهوامش:

(١، ٢، ٣) ابن ماضي، مذكرات، تركي بن محمد الماضي، ص ٤٦١. ط ١، ١٤١٧هـ.

(٤) عبد الله بن إلياس، أوراق من تاريخ عسير، تحقيق الدكتور غيثان بن علي جريس، مجلة بيادر، عدد (٢٢)، ١٤١٨هـ.

(٥، ٦) من قصيدة للأستاذ منير العجلاني نشرت في المجلة العربية، العدد الافتتاحي، شعبان ١٣٩٥هـ.

(٧) عبد الله بن علي بن حميد، أديب من عسير، ص ٩٢، ط ١ ١٤٠٠هـ.

(٨) منير العجلاني، المجلة العربية، مصدر سابق.

(٩) مدينة الملك فيصل العسكرية، كتيب إعلامي ١٣٩٦هـ.

(١٠، ١١، ١٢، ١٣) نسخة من الشريط المصور لحفل الاستقبال يوجد منه نسخة بمكتبة الباحث.

(١٤) عسير في عام، إمارة منطقة عسير، مصدر سابق ١٣٩٢هـ.

(١٥) كتيب سد وادي أبها، وزارة الإعلام، مصدر سابق.

(١٦) كنت حاضراً لمعظم المناسبات والاحتفالات التي أقيمت ابتهاجاً بزيارة سموه وكنت أسجل أحداث الزيارة أولا بأول.

(١٧) كتيب عن مشروع محطة التحلية والقوى الكهربائية وخط نقل المياه، المؤسسة العامة لتحلية المياه صدر بمناسبة افتتاح المشروع.

(١٨) كتيب بمناسبة حفل افتتاح مشروع التوسعة، الشركة السعودية الموحدة للكهرباء بالمنطقة الجنوبية.

(١٩) يوجد بمكتبة الباحث المرئية نسخة من الشريط المصور للاحتفالات.

(٢٠) مطلع قصيدة للأستاذ علي آل عمر عسيري، ألقيت في حفل الأهالي.

(٢١) مدينة الملك فيصل العسكرية، كتيب إعلامي، مصدر سابق.

(٢٢) كان الباحث مشاركاً في الاحتفالات التي أقيمت على شرف سموه.

سَرْيَةُ الهوى إلى أبها

(زهرٌ ونحلٌ وفيلسوفٌ)

إنْ شفَّك الوجدُ فانهلْ من لمى أبها
فمنْ لماها الشِّفا للقُبلة الولهى

شمَّاء نشتاقُ قُرباً منْ مرابعها
ذات البهاء المباهي والذُّرى الأبهى

فيها أسودٌ دهاة في مآسدها
دلَّتْ عليها الظبا في نهجها معها[١]

فيها لكُلِّ حبيب روضة حفلتْ
بكُلِّ زاه على قدِّ الصِّبا زهَى

نادتْ فلبَّيتُ والأشواقُ تسبقُني
كالنحل يصدَى فيُلفي الروضة الأزهى[٢]

يعُبُّ منها فلا الأزهارُ مانعة
وإن تروَّى حبتهُ العبَّة الأشهى

وإن غدا ارتدَّ في دأب لمنهلها
فلا ترى الدَّأب من عزْمانه أوْهى[٣]

ولا ترى ثقلة السَّكران تثقلُهُ
ولا ترى غافياً أو عازفاً عنها[٤]

كأنَّما الرِّيُّ من أزهارها ظمأ
يشتدُّ ما اشتدَّ رشفُ الظَّامىء الشَّهَّا[٥]

* * *

ساءلتُ عن سرِّها المكنُون فابتسمتْ
صُغرى البراعم للكُبرى بأن سَلْها

فاشتدَّ سُؤلي كشأن الفيلسُوف متى
عناه شأن فلا يُلْهيه ما لهَى

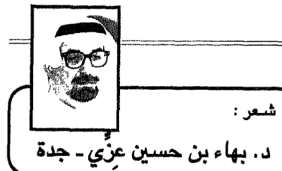
وكلَّما جئتُ كبرى افترَّ مبسمُها
كالسَّابقات وكانتْ في الدَّها أدْهى

تُغري بعذب رُضاب زدن لذَّتهُ
وقد تألَّفن نحلا لم يُفلْسفْها[٦]

وما أنا غيرُ صاد فيه لوعتُهُ
شبَّت فهمهم أن يا زهرُ علِّلْها

* * *

وإذ أبى الزهرُ، ذا نحلٌ يُعلِّمُنا
أسرار رضْب دراها لم يُعلِّمْها



شعر :

د. بهاء بن حسين عزِّي ـ جدة

نراه يخفقُ خفقاً فوق زهرته
كأنَّ بالخفق يجني سرَّها منها
والزهرُ يُخفي لأمر كُنْه لذَّته
بجدَّة يبده الشَّهَّا بها بدها[٧]
والنخل للزَّهر مُشتاقٌ بفطرته
يغشى الجبال له والغابةالتَّيْها[٨]
فهل سيشتاقُ زهراً إنْ تعشقهُ
أفضى إليه بكُنْه فيه أو أنْهى؟[٩]
فالعبُّ من زهرة أجدى لعاشقها
وإنْ تضنُّ بسرٍّ يكتُمُ الكُنْها
لها من الغيث سُقيا كُلِّ بُرعمة
والطعمُ من ربِّها تُعطاه أو تُنْهى[١٠]
ومُنتهى علمنا طعمٌ تجُودُ به
بكراً لدى الذوق فيه السرُّ ما شهّى

* * *

مفاتنٌ فيك أبها كيف أسرُدُها
وذا عذابي مع الزَّهر الذي زهّى
وأرضُك البكرُ للغرّاس مُنبتةٌ
من كل زوج بهيج فتنة أزهى
فيا ظما الشَّوق قد جئنا مرابعها
ولتبق مَعْنًا لرضب منهُ لا نَنْهي[١١]
وانصتْ لهمس المناجي من براعمها
أزهى فشقَّق من أكمامه البلْها
ما العبُّ إلا الشَّفا، فاقدمْ، تقولُ لنا
تلك البراعمُ، واهنأ.. أنت في أبها

الهوامش:

(*) هذه القصيدة من ديوان (ذو العصف والريحان) أهديها تحية لمدينة أبها الجميلة بمنطقة عسير.

(١) دلتْ عليها: تجرأت عليها في لطف ودلال.

(٢) يَصْدَى: يظمأ. ، يُلْفي: يجدُ.

(٣) عُزمانه: عزيمته.

(٤) ثقلة: فتورٌ يصيب الجسم.

(٥) الشهَّا: الشهَّاء.. الكثير الشهوة.

(٦) تألفن: إستملن.

(٧) يَبْدَهُ : يفجأ.

(٨) التَّيْها: التيهاء.. الأرض الواسعة التي قد يضلُّ فيها المرء.

(٩) الكُنْهُ: حقيقة الشيء وجوهره.

(١٠) أو تُنهي: أو تمنع.

(١١) لا ننهى: لا نكتفي (من الرُّضاب) ولا نشبع.

تحقيقات عرضية

**** هذه الصفحات، تصحيح وتعقيب على بعض ما جاء في بعض المطبوعات العربية من كتب وصحف ومجلات ٠٠ وكان الأستاذ الدكتور على جواد الطاهر ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ قد أثر مجلته المنهل بعدد وافر منها ٠سبق نشر الكثير منه ..
ويسعدنا أن نواصل نشر ما تبقى من هذه الأوراق٠**

«مجــــلات»

الأفق: ١٩٨٩/١٢/٧

ـ نقولا زيادة يروي ذكرياته: القاهرة ٠٠ ص ٣٢ «وكانت من المؤسسات النشيطة في المجال الفكري في القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر٠ والمجلة التى كانت تصدر عنها وهى «الرسالة» كانت واحدة من الصحف التى أخذنا عنها الكثير من أفكارنا» ـ كانت الرحلة في عطلة الشتاء لسنة ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤، وعلى الصفحة ٣٤ صورة لغلاف مجلة الرسالة٠

أ ـ لم تكن مجلة «الرسالة» تصدر عن لجنة التأليف والترجمة والنشر (ولن تكون)، انها مجلة يصدرها «فرد» واحد هو الاستاذ أحمد حسن الزيات٠

ب ـ أما المجلة التى صدرت عن «لجنة التأليف» فهي الثقافة، وقد صدرت متأخراً عن ذلك التاريخ (صدرت في ٣ يناير من سنة ١٩٣٩)٠

الوطن العربي: ١٩٨٩/١٢/١٥

ـ ص ٤٧ في سؤال موجه الى امرأة: «كتاب قرأتيه وأعجبك» الصحيح: قرأْتِه ـ والحال تتكرر في المقابلات هذه الأيام؟!

الحوادث: ١٩٨٩/١١/٢٤

ـ ص ٦٧ «حاول٠٠ أن يكشف قيم جديدة»: قيماً٠

اليوم السابع: ١٩٨٩/١٢/١٨ ص ٣٥ «يبدأ الشباب شاعراً، ثم يتحول الى ناثر» د٠ على شلش ـ العراق٠ الصحيح: د٠ على شلش ـ مصر٠

ص ٣٧ «الرومانطيقية ٠٠ الرومانتيكية» كلمة واحدة وردت بلفظين والمتحدث واحد، وفي فقرة واحدة٠

الجيل: كانون الأول ١٩٨٩

ص ١٥١ «أمثال الشعوب في الزواج»:

(الزواج كالقلعة المحاصرة، من في الخارج يرغب في الدخول، ومن في الداخل يتمنى الخروج) ـ «عربي» ليس للعرب هذا المثل! فمن أين جاءت نسبته اليهم؟!

كل العرب: ١٩٨٩/١٢/٢٥

ـ «شقيقه» ، «شقيقي»: اخوه، أخي ـ فقد حسن التمييز بين الشقيق والأخ، والشقيق من كان أخاً من الأم والأب، والأخ من كان من أحدهما٠

المنار: شهرية، باريس ـ القاهرة، كانون أول ١٩٨٩

ص ١٥٥٠ «مدرسة فرانكفورت (٠٠٠) تبدو الكتابة عن هذه المدرسة مهمة صعبة، بالنظر الى غزارة إسهاماتها، وتباين وجهات النظر حولها (٠٠٠) ناهينا عن توالى أكثر من جيل»:

ناهيك من توالى أكثر من جيل،
ناهيكم من توالى أكثر من جيل ـ



بقلم: د٠ على جواد الطاهر
« رحمه الله »

الذي يلي «ناهيك» من حروف الجر هو الحرف «من».

كل العرب: ١٩٩٠/١/١

ـ ص ٣٦ «... خطاب ... ينحى منحى ...»: ينحو منحى.

كل العرب: ١٩٩٠/١/٨

«... السوريالية ... اندريه بروتون .. في عام ١٩٣٠ كان لقاؤه بـ «نادجا» التى أعطى اسمها لقصيدته الشهيرة: لقصته. اذا كانت شهيرة، وهي كذلك، فهل قرأتها لتسميها هكذا: قصيدة؟ انها قصة.

الوطن العربي: ١٩٩٠/١/١

يقول الدكتور عبد الوهاب رواح: لدى دراسة الأسماء اليمنية تبين أن خمسة ملايين يمني، وهو تعداد اليمن قبل الثورة، كانوا يتعاملون بمئة اسم فقط لا غير.

المصور: دار الهلال، القاهرة ٢٣ جمادى الأولى ٢٢/١٤١٠ ديسمبر ١٩٨٩

ص ٦٨ «.. ترجمة (الف ليلة وليلة) باعتبارها نموذجاً للأدب العربي في مصر، ونشرت لأول مرة بالفرنسية في كلكتا بالهند عام ١٨٣٨م وترجمت بعد ذلك للانجليزية عدة مرات أهمها ترجمة ريتشارد بيرقون» ـ د. محمد عناني الاستاذ بآداب القاهرة ورئيس تحرير مجلة المسرح، نشرت لأول مرة بالفرنسية في باريس ١٧٠٤ ـ ١٧١٦.

الوطن العربي: ١٩٩٠/١/٢٦

«مجلة (أدب) اللبنانية التي كان يرئس تحريرها يوسف الخال»

يرئس : يرأس. والذي أعرفه جيداً أن لبنان ـ وحدها ـ تخطىء في هذا الفعل فتكتب «رئس يرئس» وهو خطأ صحيحه: رأس يرأس. ولذا عجبت ـ قليلا ـ أن أرى الخطأ على قلم مصري!.

الثقافة العالمية:

(تصدر دورية كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت) العدد (٥٠)، السنة التاسعة، جمادى الآخرة ١٤١٠/ يناير ١٩٩٠.

١ ـ ص ١٦٠ «يدرسون جميعهم مواداً وحده» : موادَّ لأنها ممنوعة من الصرف.

٢ ـ ص ١٧٣ «جورج سان» الاسم المستعار للكاتبة الفرنسية المشهورة . اللفظ صحيح، ولكن سين «سان» أقرب الى الصاد، واعتدنا أن نكتب الاسم بالعربية: جورج صاند متابعة للفظ الحروف التى تكونه (لا اللفظ الفرنسي) SAND .

البيان: (مجلة فكرية شهرية محكمة، تصدرها رابطة الأدباء في الكويت)

العدد ٢٨٧، فبراير ـ شباط ١٩٩٠/ جمادى الثاني ١٤١٠هـ.

١ ـ جمادى الثاني: جمادى (وهي مؤنثة) الآخرة.

٢ ـ ص ٨٦ «كان سليمان فتى معذبا، يسوح في الأرض بلا وطن»: يسيح.

المصور: دار الهلال ، القاهرة ٢٣ جمادى الأولى ١٤١٠/ ٢٢ ديسمبر ١٩٨٩.

١ ـ ص ٥٩ يقول رجاء النقاش بعنوان: «لماذا يا «لوسي»: «.. لقد وقع في يدي منذ أيام كتاب صدر حديثا في طباعة أنيقة عن مكتبة «المحبة».. عنوانه: «الأصالة والمعاصرة في فكر طه حسين»، ومؤلفة الكتاب «لوسي يعقوب» .. وقعت عيناي على فصل عنوانه «المعارك السياسية والأدبية في حياة طه حسين»

ومنذ السطور الأولى لهذا الفصل تذكرت أن هذا الكلام ليس لصاحبة الكتاب، ولكنه كلام كتبته في دراسة لي بعنوان «طه حسين والأحزاب السياسية» والدراسة منشورة في كتابي «أدباء معاصرون» الذي صدرت منه ثلاث طبعات منذ سنة ١٩٦٨ إلى الآن، ومن دراستي عن طه حسين نقلت الكاتبة خمس صفحات كاملة الصفحات التى تبدأ في كتابها من صفحة ٦٥ الى صفحة ٧٠.

وقد تصورت أن الكاتبة سوف تنسب هذه الصفحات العديدة الى كاتبها الأصلى (٠٠٠) ولكنها لم تفعل شيئا من ذلك بل نسبت الصفحات المنقولة كلها الى نفسها.

ولصوص الثقافة يفعلون ذلك بي وأنا حي أرزق، كما أنني أحمل قلمي في يدي وأكتب كل اسبوع في مجلة معروفة وأستطيع أن ادافع عن نفسي ضد هؤلاء اللصوص فكيف يكون الحال مع أصحاب الأقلام الذين رحلوا عن الدنيا ولم يعودوا قادرين على رد عدوان اللصوص على جهودهم الفكرية المختلفة (٠٠٠).

«ولا حل لهذه الظاهرة التي انتشرت في بلادنا في السنوات الأخيرة إلا إعادة النظر في قوانين النشر وتشديد العقوبة على السرقات الأدبية والفكرية (٠٠٠) ان الضمير معدوم عند بعض الذين حملوا القلم في غفلة من الزمان».

كل العرب: ١٩٩٠/١/٢٩ ـ ٣ رجب ١٤١٠

ص ٥٢.

١ ـ «الخروج من آسار» وتكرر: الصحيح: أسار.

٢ ـ «الكتاب المترجم للعربية «الكتابة والاختلاف»: المترجم الى العربية.. الكتابة والاختلاف.

٣ ـ «حتى لو يكن هذا المفهوم موجوداً»: اما ان يكون الصحيح حتى لو لم يكن، واما حتى لو يكون.

الأفق: ١ شباط ١٩٩٠

«نجد حضورها.. ليس فقط في الشعر.. بل في القصة والرواية أيضا»: «نجد حضورها في القصة والرواية كما (نجده) في الشعر.

اليوم السابع: باريس ١٥ كانون الثاني ١٩٩٠.

١ ـ ص ٣٥، محمود الغبطة: محمود العبطة (والخطأ مطبعي)

ـ مطوله «تحمل عنوان حفار القبور..» مطوله بعنوان .. ، أو عنوانها.

ـ «السياب لم ينعى مدينته»، لم ينع.

٢ ـ ص ٣٦ «دراسته أعابت الكثير من الآراء»: عابت، الفعل ثلاثي، متعد .

ـ «البحث.. ليس تأنق في البناء»: ليس تأنقا.

٣ ـ ص ٣٩ « ... لم يريد أن »: لم يُرِد.

لوتس: (مجلة اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا) العدد (٧٠) ١٩٨٩.

الافتتاحية: « ... لكن ذلك كله لن يدفع سوى الى مزيد من التساؤل حول المصير».

التعبير «لن يدفع سوى الى ..» غير عربي. أهون منه: «.. لن يدفع الى سوى مزيد..» اذا كان لابد من استعمال «سوى» هنا. وإلا فالأنسب استعمال إلا»: ... لن يدفع إلا الى مزيد. وكثر الكلام على «حول» الواردة فهي ترجمة عن اللغات الأوربية، وتجعل «التساؤل» المطلوب بعيداً عن صلب المصير، ويكفى أنه «حوله» وليس عنه.

الأقلام: بغداد، آذار ١٩٩٠

ـ ص ١١٨ «وعلى عالم الأثنوغرافيا أن لا يسوح في المناطق الأخرى».

صحيح «يسوح»: يسيح « ... ساح في الأرض يسيح سياحة..»

والجمع: سُيّاح بضم السين وتشديد الحاء.

المرأة: بغداد آذار ١٩٩٠

ص ١٢ «من يستقرىء صفحات المجد.. يجدها»

صحيح : يستقرىء : يستقري (بالياء، ومن غير همزة) ـ والفعل الماضي: استقرى يستقري.

الغريب

شعر : على أحمد الرفاعى
- جازان -

ساطتني بوحي من روابيها
هل أنت لم تبلغ مراميها
وكم نظرت إلى الدنيا وزخرفها
فلم أشاهد غير راغب فيها
بحر يموج بالأهوال منزعه
قعر المحيط لم تبلغ أقاصيها
والناس كالزرع والأيام تحصده
جنح البعوضة وزناً لا تساويها
فكن غريبا فما الدنيا بدائمة
فكم أطاحت بمن عمروا صياصيها
قرنٌ .. يمر كالحاظ ثانية
والنفس لا تدرك الساعات تطويها
من عاش غراً فالأيام توقظه
متى تقضت أعلاها ودانيها
والطفل كالشيخ فالأجداث تجمعهم
ولا اختلاف إلا في أساميها
بعد الممات سؤال من يجاوبه
نال الجنان بفوز في أعاليها
وصلِّ ربي على المختار سيدنا
محمد الهادي خير ذاكر فيها

نقض مطاعن في القرآن الكريم

تأليف الأستاذ : محمد أحمد عرفة

ظهر هذا الكتاب الرائع ليدفع باطلا يتجه الى كتاب الله عز وجل، وقد أحسَّ كاتب هذا الطعن أن نشره بين الناس سيعيد عليه صيحة عاتية لاقى مثلها حين قام بموقف مشابه، فرأى أن يمليه على طلاب كلية الآداب بمصر، ليمكنه التنصل منه عند الحساب الجنائي، ولكن الطلاب مخلصون لدينهم، وقد عرفوا مكامن الخطر فيما يلقى عليهم، فدفعوا بمذكراتهم الى العلماء، ودوَّى دويها في الصحف، فقامت الرجفة الثانية.

على أن أهم ما نشير إليه قبل الحديث عن كتاب (نقض مطاعن في القرآن الكريم) أن كثيرا ممن أرخوا للدكتور طه حسين قد أصرّوا على تجاهل هذا الحدث، وجعلوا يتحدثون عن الضجة الأولى، وكأنها السبب المباشر فيما جدّ من نقله من الجامعة، وهو خلط متعمد ينكره الواقع الفعلي، كما أنهم تجنوا على رجل بارز من دعاة الفكرة الاسلامية فجعلوه رجعيا مأجوراً صنيعة وضع سياسي، وهذا ظلم آخر يجب أن نكشف عنه، لأن للحق سلطانا لا يقهر، وقد ذهبت رجال هذه المعركة إلى دار البقاء جميعا، وعلى الباحث أن يحدد النقاط في أمور ملموسة كيلا يتيح لغيره منفذاً للتدليس والادعاء.

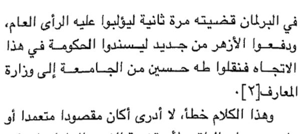
لقد كتب الأستاذ سامي الكيالى صاحب مجلة الحديث كتابه (مع طه حسين) ليطمس الحقيقة الثانية، وقد قال إنه رجع إلى أوثق المصادر، وكان الدكتور طه عند صدور الكتاب وزيراً للمعارف، فساعد ذلك على رواج ما كتب، وتعدد طبعاته، ولكنه تحدث عن فصل طه حسين من الجامعة في عهد اسماعيل صدقى بما يدل على أن ذاك الفصل كان نتيجة الرجة الأولى بشأن كتاب الشعر الجاهلى، وهذا باطل، لأن الدكتور لم ينقل من الجامعة بسبب كتاب الشعر الجاهلى بل عاونه أصدقاؤه المسئولون حينئذ على البقاء، ثم أحدث فتنة أخرى تجاهلها الأستاذ الكيالى تماماً وتجاهلها جلُّ من كتب عن طه حسين حين اقتفوا أثره، وبذلك أسدلوا الستار عن المأساة الأليمة التى أدت إلى فصل الدكتور طه حسين من الجامعة، والتى بسببها ألَّف الأستاذ الكبير الشيخ محمد أحمد عرفة كتابه (نقض مطاعن في القرآن الكريم) الذى نخصه بهذا الحديث: والأستاذ عرفه - رحمه الله - كان عضواً بجماعة كبار العلماء بالأزهر، ومن أعلام الفكر الإسلامى الحديث[١].

يقول الأستاذ الكيالى (لقد أثار الأستاذ عبد الحميد سعيد في البرلمان - وكان رحمه الله وغفر له - من أئمة الرجعية في مصر، أثار قضية كتاب (في الشعر الجاهلى) من جديد، وكان على رأس الحكم اسماعيل صدقى باشا، وكان وزير المعارف محمد حلمى عيسى، ولم تكن الأمور بينه وبين الدكتور طه على ما يرام، لاختلاف نظرهما في كثير من قضايا الفكر، ومن جهة أخرى فقد كانت نزعة الدكتور طه حسين السياسية تناقض نزعة الحكومة، وأراد صدقى باشا أن يستخدم أدب طه حسين في دعم سياسته فأبى ذلك، وكان هذا الرفض من العوامل التى حدثتْ بالحكومة أن تدفع نوابها الرجعيين أن يثيروا



بقلم: أ. د. محمد رجب البيومي
عضو مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة

جمادى الأولى والآخرة ١٤٢٠ هـ - سبتمبر وأكتوبر ١٩٩٩م



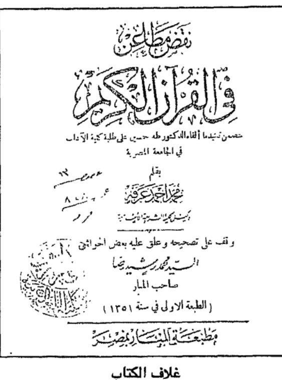
في البرلمان قضيته مرة ثانية ليؤلبوا عليه الرأى العام، ودفعوا الأزهر من جديد ليسندوا الحكومة في هذا الاتجاه فنقلوا طه حسين من الجامعة إلى وزارة المعارف[٢].

وهذا الكلام خطأ، لا أدرى أكان مقصودا متعمدا أو جاء عن جهل بالواقع، لأن قضية الشعر الجاهلي لم تكن مجال سؤال الأستاذ عبد الحميد سعيد، بل كان السؤال خاصا بما هو أوجع وأنجع كما سنبينه في هذا المقال، كما أن الأستاذ المجاهد عبد الحميد سعيد، لم يكن رجعيا من أتباع الوزارة، ولكنه كان مستقلا لا ينتمى إلى حزب الحكومة وهو بعد رئيس جمعية الشبان المسلمين، وصاحب الجهاد الإسلامي العظيم، إذ تطوع في شبابه مجاهدا في حرب البلقان مع جيش الخلافة الإسلامية، ثم تطوع مجاهداً في ليبيا حين داهمها الطليان، وأبلى بلاء حسنا بجسمه وعقله معا، ثم مازال صوت الإسلام في كل معركة تقوم بينه وبين المستعمرين في شتى بلاد الإسلام، وبطل كبير مثل هذا البطل لن يكون صنيعة وزارة غير شعبية ولكنه مضى على سننه في الغيرة على الدين وحقائق القرآن! وإذا كان المجاهد المهاجر إلى ساحات الخطر الحربي في وجوه الأعداء رجعيا، فهل يكون القاعدون عن نصرة إخوانهم تقدميين وأحرارا أولى فكر وزعامة! أهون ما يقال عن الأستاذ الكيالى أنه لم يعرف شيئا عن البطل الباسل عبد الحميد سعيد، كما لم يعرف شيئا عن سؤاله البرلماني، فلم يكن باحثا ولكنه مخبر صحيفة يسمع كلاما فينقله دون تصحيح.

إن نص البيان الذى ألقاه الدكتور عبد الحميد سعيد يدور حول الأسلوب القرآني، كما يراه طه حسين، وقد جاء في البيان ما يلي[٣]:

١ ـ ان في القرآن أسلوبين متعارضين لا تربط الأول بالثاني صلة ولا علاقة، مما يدفعنا إلى أن هذا الكتاب قد خضع لظروف مختلفة، فمثلا نرى القسم المكى منه يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة كما نشاهد أن القسم الثانى وهو المدنى تلوح عليه أمارة الثقافة والاستنارة.

٢ ـ القسم المكى ينفرد بالعنف والشدة والقسوة والتهديد مثل، (تبت يدا أبى لهب) ـ (فصبَّ عليهم ربك سوط عذاب) ـ (كلا لو تعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم) كما ينفرد بالهروب من المناقشة مثل (يا أيها الكافرون لا



غلاف الكتاب

أعبد ما تعبدون)، ويمتاز بتقطع الفكرة واقتضاب المعانى، والخلو التام من التشريع، ويكثر فيه القسم بالشمس والعصر والنجوم والضحى الى آخر ما هو جدير بالبيئات الجاهلة الساذجة التى تشبه مكة تأخراً وانحطاطا، أما القسم المدنى فهو هادىء لين وادع يقابل السوء بالحسنى ويناقش الخصوم بالحجة الهادئة مثل (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)».

٣ ـ يمتاز القسم المدنى بأحكام الشريعة كالمواريث والوصايا والزواج والطلاق ولا شك أن هذا أثر واضح من آثار التوراة والبيئة اليهودية التى ثقفت المهاجرين ثقافة واضحة يشهد بها هذا التغير الفجائى الذى ظهر على أسلوب القرآن. أما طول الآيات في هذا القسم فجلي ظاهر، وأما أفكاره فهى منسجمة متسلسلة ترمى أحيانا إلى غايات اجتماعية وأخلاقية، وعلى الجملة فما في هذا القسم المدنى من الهدوء والمنطق والتشريع والتقصي والتاريخ يدل دلالة صريحة على أن الظروف التى أحاطت بهذا الكتاب إبان نشأته قد تطورت تطورا قويا!

٤ ـ هناك حروف غير مفهومة بدئت بها بعض السور مثل طس، وكهعيص، حم، عسق. فهذه كلمات ربما قصد منها التهويل أو إظهار القرآن في مظهر عميق مخيف، أو

هى رموز وضعت لتميز المصاحف المختلفة، التى كانت موضوعة عند العرب، فمثلا كهعيص رمز لمصحف ابن مسعود، وطس رمز لمصحف ابن عمر، ثم ألحقها الزمن بالقرآن فصارت قرآنا.

هذه هى الآراء الشاذة التى سببت سؤال الدكتور عبد الحميد سعيد، وتحتم بعدها نقل الدكتور طه حسين إلى وزارة المعارف، وهى آراء أثارت معركة مدوية في الأمة المصرية على صفحات الجرائد أمدا طويلا، وقام كبار العلماء والأدباء بتفنيدها على صفحات أمهات الجرائد، وممن بددوا شبهاتها الضالة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار، والأستاذ محمد لطفى جمعة، والأستاذ عبد العظيم الزرقانى وغيرهم، ولكن الباحث العلامة الكبير الأستاذ محمد أحمد عرفه أفرد لها كتابا خاصا تناولها بالبسط الحميد في التفنيد، وأضاف إلى كتابه مقالات أخرى كان قد نشرها في نقض آراء أخرى للدكتور طه حسين حتى بلغ كتابه مبلغا قويا في الكم والكيف معا مع مقدمة شافية للسيد محمد رشيد رضا صاحب المنار استغرقت احدى وثلاثين صفحة! أفيعقل بعد هذا كله أن ينسى مؤلفو تاريخ الدكتور طه حسين هذه المعركة الصاخبة، ويجعلوا ما تم من نقله الى وزارة المعارف كان بسبب معركة (الشعر الجاهلى) وفي أى عالم نعيش؟ إن تجاهلنا الحق المرير، وقمنا مع ذلك بتجريح علم من أعلام الإسلام في هذا العصر هو الأستاذ الدكتور عبد الحميد سعيد، ومكانه في أمته الإسلامية الكبرى راسخ مكين.

بدأ الأستاذ محمد عرفه كتابه بمقدمة موجزة تحدد موضوعه، ثم اتبعها بنص السؤال البرلمانى الذى تقدم به الدكتور عبد الحميد سعيد، وأتى بعد ذلك بتفصيل شاف لتفنيد كل ما أرجف به الدكتور طه حسين، ومثل هذا المقال لا يستطيع أن يلخص مهما أوجز واكتنز كل ما قال الأستاذ الناقض الناقد، ولكننا نأتى بفقرات صائبة تكفى وحدها لهدم هذه الأباطيل.

ففي مجال القول بأن القسم المكى من القرآن جاء خاليا من المنطق على عكس القسم المدنى، بدأ الأستاذ مؤكداً أن القسمين معا يشتملان على المنطق العقلى المقنع، وإذا اعترف طه حسين للقسم المدنى بذلك، فأدلة القسم المكى موفورة، وطه حسين قد هدم رأيه حين استشهد بقوله تعالى {لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا} على أن الآية تعتمد على المنطق لأنها مدنية مع أن الحقيقة أن السورة مكية، والآية مكية، فهل رأيت أبلغ في نسف هذا الرأى مما استشهد به الطاعن نفسه! أما أمثلة الأدلة العقلية للبرهان المنطقى في السور المكية فقد نقل الأستاذ عرفه بالتحليل الشافى أمثلة لها مثل مفتتح سورة (ق) المكية التى تؤكد البعث الأخروى ببراهين عقلية حتى انتهت إلى قوله تعالى {أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد} ومثل آيات سبأ المكية التى تبتدىء بقوله تعالى {وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد} إلى آيات ساطعة من سور الإسراء والقيامة .. وكلها ذات حجج قطعية لا تقبل الدفع! هذا عن الحجاج في مسألة البعث. أما في مسألة وجود الله. فقد أتى الأستاذ عرفة بعدة شواهد من مثل قوله تعالى في سورة النبأ المكية {ألم نجعل الأرض مهادا - إلى قوله - وجنات ألفافا} مع نظائر أخرى من سور عبس والفرقان والغاشية وكلها مشفوعة بتحليل ملزم يخشع له كل ذى عقل وقلب ولا سبيل هنا إلى تلخيصه، وهكذا برع الناقد فيما جاء به من أمثلة للأدلة العقلية على الوحدانية، وثواب المتقين في العاقبة، وقد استغرق نقض هذا الاعتراض الأول ثلاثاً وعشرين صفحة من صفحات الكتاب، كلها عجب عجاب!

أما الطعن الثانى الخاص بالقول بأن القسم المكى من القرآن يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة كالعنف والشدة والسباب والوعيد، فقد نقضه الناقد مستشهداً بعشرات الآيات العاصفة بما ذهب إليه الدكتور طه حسين مبيناً فساد تفكيره فيما فهمه عن سورتى المسد والعصر وغيرهما حتى إذا بلغ المقطع الصائب في ذلك بيَّن ما في آيات القسم المكى من اللين والسماحة والعفو على عكس ما قرره طه حسين ناقلا عن حفدة الاستشراق، وجاءت الآيات التى اختارها الأستاذ محمد أحمد عرفه من سور الشورى وفصلت والحجر هادمة لكل ما قرره الدكتور، ولم يغفل الأستاذ عرفة الإشارة إلى أن الوعيد ضرورى في الرسالات جميعها، وقد جاء في القسم المدنى كما جاء في القسم المكى، فقصره على القسم المكى تعمد مغرض لا يلجأ إليه باحث محايد.

وفي مجال الرد على قول الدكتور طه إن القسم المكى يمتاز بتقطع الفكرة، واقتضاب المعانى، أتى الناقد

بروائع الأدلة التى تثبت بطلان هذا الادعاء، وقد استشهد بسورة الأنعام المكية ملخصا عناصرها ليثبت ما بها من تسلسل المعانى واطرادها قائلا في ختام ذلك[٤].

«فأين تقطع الفكرة؟ واقتضاب المعاني؟، أليست متسلسلة منتظمة آخذا بعضها بعضد بعض، تنتظمها وحدة الغرض، واتحاد الموضوع».

وكم من عائب قولا صحيحا ... وآفته من الفهم السقيم[٥]

أما الحكمة في خلو القسم المكى من التشريعات فظاهرة لمن يعرف تاريخ الدعوة المحمدية، وقد أفاض الأستاذ عرفه في إيضاح هذه الحكمة وما كان أبرعه حين قال (هل كان الناقد يريد أن يفرض على كفار مكة أحكام المواريث، والزواج والطلاق وهم ينازعـــون في أصل العقيدة، وفي أن محمدا رسولٌ!! على أن القسم المكى لم يخل من بعض التشريع ولكنه إجمالى لم يحن وقته بعد للشرح والتفصيل)».

وحديث المعترض على القسم بالمخلوقات الكونية كالشمس والقمر والعصر والنهار والليل بعيد عن النظر البيانى للأسلوب الأدبى الذى يقتضى تأكيد المعانى بكل ما يضمن هذا التأكيد، ومن بينه القسم، وهو ما أغفله المعترض.

ونأتى إلى ما هدف إليه الدكتور من أن ما توهمه من الفرق بين القسم المكى والقسم المدنى قد جاء بتأثير اليهود!! وكأن الرسول {صلى الله عليه وسلم} قد ألّف القرآن الكريم من عنده (كبرت كلمة) وتعلّم من أهل الكتاب بالمدينة ما دفعه إلى مسلك مغاير في أسلوب القرآن!!

وهذا ما قاله غلاة الحقدة من المبشرين ينقله أستاذ كلية الآداب إلى الطلبة الجامعيين، وكأنه حق صريح! ننتقل الى هذا الهدف المنكر لنرى الأستاذ عرفه، يثبت أن اليهود كانوا عداة الدعوة في المدينة، وقد وصمهم القرآن بسوءات أليمة وفي نصوص صريحة ذكرها الأستاذ مستقصيا، وقد عابهم بفقد الأمانة واستحلال الكذب والحسد، وبأنهم بدلوا دينهم حين قالوا إن عزير ابن الله، فكيف تكون هذه منزلة اليهود لدى رسول الله ثم يتتلمذ على أيديهم، وينقل عنهم ما يقولون! والآيات التى ذكرها الأستاذ عرفة في هذا المجال ذات قمع عاصف ودفع شديد.

أما الحروف التى ابتدأت بها بعض السور فقد كشف عن مرماها الأستاذ عرفة بما نعلمه جميعاً مما قاله السابقون وبما فتح الله عليه به من رأى، وقد بين أن حديث هذه الحروف قد نقله طه حسين عن المستشرق جرجيس سايل، دون أن يشر إليه، إذ ذهب المستشرق إلى أنها أحرف وضعها كُتاب محمد من عند أنفسهم! وقد ألصقت بالسور لتدل على أسمائها! فنقل ذلك الدكتور دون بحث.

هذا ما يتعلق بافتراءات الأسلوب القرآنى، وقد كشفها الأستاذ في كتابه، ثم اتسع القول لموضوعات أخرى شملت أكثر من نصف الكتاب، وكلها ردود مفحمة سبق أن كتبها الأستاذ محمد عرفة منذ فتنة الشعر الجاهلى ونشرها في الصحف من قبل، ومن أبرعها ما جاء تحت عنوان (منهج الدكتور طه حسين العلمى في البحث) وتحت عنوان (طه حسين يسرق طعونه في القرآن من كتب المستشرقين) وهو باب يجب أن يقرأه من يريد أن يعرف كيف جاء طه حسين بانحرافاته في كتاب الشعر الجاهلي، وتحت عنوان (السياسة الإلحادية في التعليم) وغيرها. مما يدل على سعة محيطه بكل إفك طارف أو تليد.

عرف القارىء إذن رسالة هذا الكتاب الرائع حقا، وقد ذاع ذيوعاً حميدا في الدوائر الأزهرية بخاصة، والدوائر الإسلامية بعامة، وكان المظنون فيمن يؤلفون الكتب عن الأعلام المعاصرين أن يستقصوا كل ما قيل في أمورهم، ولكنهم يمدحون ولا ينقدون.. ويزيدون فيتهمون الدعاة المجاهدين بالرجعية والجمود! على أن الدكتور طه قد رجع عن أكثر هذه الأقوال في كتاب جيد حقا هو كتاب مرآة الإسلام، وسأتحدث عنه ليمحو ما سلف من الأراجيف.

الهوامش:

(١) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين/ ج ١ ص ٥٢١ وما بعدها للدكتور محمد رجب البيومي.

(٢) مع طه حسين للأستاذ الكيالي ص ٦٨ سلسلة اقرأ.

(٣) نقض مطاعن للاستاذ محمد عرفة ص ٤٠.

(٤) نفسه ص ٦٧.

عتيبة بن مرداس

ذكر عنه أنه شاعر مقل غير معدود في الفحول، كما قيل عنه إنه كان هجَّاءً، خبيث اللسان بذيئا[١]، ولعل هذا كان وراء أفول نجمه، وعدم سطوعه في هذه الفترة، التي كانت مؤهلة لأن تضيء الذين عندهم استعداد لذلك، فهو لم يكن صاحب مواقف في الجاهلية، وفي الإسلام، ولهذا رضى أن يعيش في الظل، ولعله كان يساعد على ذلك، فمع أنه لم يكن من «بني فسوة» إلا أنه رضى بهذا الاسم حتى أصبح علماً عليه، فقد قدم عليه ابن عم له من الحج، وكان من أهل بيت يقال لهم: بنو فسوة، فلما رآه قال: كيف كنت يا بن فسوة، فما كان من ابن عمة إلا أن وثب مغضباً وقال: بئس لعمر الله ما حييت ابن عمك الذى قدم عليك من سفر، ونزل دارك، فقال عتيبة مستحييا: لا تغضب يا ابن عم، فإنما مازحتك، فلما استرسل ابن عمه في الغضب قال له: أنزل وأنا أشتري منك هذا الاسم فاتسمَّى به، وظن أن ذلك لا يضره فقال ابن عمه: لا أفعل أو تشتريه منى بمحضر من العشيرة، وظن أن ذلك لا يضره، وقد تمت عملية البيع والشراء ببرد وجمل وكبشين، وكان أن زال هذا الاسم عن ابن عمه، وغلب عليه، وكان أن فتح ـ بسذاجته على نفسه باباً دخل منه بعض الشعراء الذين ولعوا بهجائه، كقول واحد منهم:

أودى ابن فسوة إلا نعته الإبلا

وقد كان معنى هذا أنه كان بارعاً في وصف الإبل لأنه كان أوصف الناس لها وأغراهم بوصفها، فليس له كبير شعر إلا وهو مضمن وصفها.

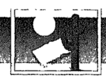
وقد كان من الطبيعى لهوانه على نفسه ولبذاءته، ألا يقترب من القمم الكبيرة في عصره، أو يشارك في الأحداث التى كانت تفرض نفسها على العصر، فهو لم يقترب إلا من عبد الله بن العباس حين كان عاملا لعلى بن أبى طالب على البصرة، فقد حسب أنه كأمراء البصرة الذين سبق له أن يذهب إليهم مادحا، ولكن عبد الله بن العباس لم يكديراه حتى قال له: ما جاء بك إليّ يا ابن فسوة؟ فقال له: وهل عنك مقصر أو وراءك معدى؟ جئتك لتعيننى على مروءتى، وتصلُ قرابتى، فقال له عبد الله بن عباس: وما مروءة من يعصى الرحمن، ويقول البهتان، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل؟ والله لئن أعطيتك لأعيننك على الكفر والعصيان، انطلق فأنا أقسم بالله لئن بلغنى أنك هجوت أحداً من العرب لأقطعن لسانك، وحين أراد أن يردّ، منعه من حضر هذا اللقاء، أما ابن عباس فقد حبسه يومه، ثم أمر بإخراجه عن البصرة.

وقد ضاقت في عينيه الدنيا، فوفد إلى المدينة بعد مقتل على، وقد لقى هناك الحسن بن على، وعبد الله بن جعفر، فأحبا أن يقفا على ما كان بين ابن عباس وبينه، فقص عليهما قصته، وأرضياه، فمدحهما وقص رحلته مع ابن عباس.

أتيت ابن عباس فلم يقض حاجتى
ولم يرج معروفي ولم يخش منكرى
حُبِسْتُ .. فلم أنطق بعذر لحاجة
وسد خصاص البيت من كل منظر
وجئت وأصوات الخصوم وراءه
كصوت الحمام في القليب المغور
وما أنا إذ زاحمت مصراع بابه
بذى صولة ضار ولا بحنوّر

وبعد أن ذكر أن ابن عباس كان مشغولا عنه بزوجه شميلة بنت جنادة، نراه يدخل في مدح الحسن، وابن جعفر فيكمل.

بقلم : أ . د . عبده بدوي
ـ مصر ـ



فليت قلوصي عُرِّيت أورحلتها
إلى حسن في داره، وابن جعفر
.. الى ابن رسول الله يأمر بالتقى
وللدين يدعو، والكتاب المطهر
إلى معشر لا يخصفون نعالهم
ولا يلبسون السِّبْتَ ما لم يُخَصَّر
فمازلت في التَّسيار حتى أنختها
إلى ابن رسول الأمة المتخيَّر
فلا تدعُني إذ رحلت إليكم
بنى هاشم أن تُصدروني بمصدر

ولقد كانت بذاءة لسانه تسبقه عند بعض الذين كان يتعرض لمدحهم، على نحو ما نعرف من قدومه على ابن عامر بن كريز، فحين استأذن في الدخول عليه قال: والله ما تسأل بحسب ولا دين ولا منزلة، وما أرى لرجل من قريش أن يعطيك شيئا، وأمر به فلكز وأهين، فقال عتبة في ذلك شعرا، ولكن كان هناك من خوَّفه من لسانه، فكان أن أمر برده، فقد قالوا عنه: هذا شاعر فارس، وشيخ من شيوخ قومه، واليسير يرضيه، فقال: ردوه، وحين رُدَّ قال له: إيه يا عتيبة أردد عليَّ ما قلت، فقال ما قلت إلا خيرا، قال: هاته فقال: قلت:

أتعرف رسم الدَّار من أم معبد
نعم فرماك الشوق قبل التجلد

إلى أن قال:

فتى يشترى حسن الثناء بماله
ويعلم أن المرء غير مُخلَّد
إذا ما ملمّات الأمور اعترينه
تجلَّى الدُّجى عن كوكب متوقد

فتبسم ابن عامر وقال: لعمرى ما هكذا قلت، ولكنه قول مستأنف، وأعطاه حتى رضى. ومع أنه حاول أن يشارك في بعض الخصومات القبلية إلا أن هذه المشاركة كانت على هامش هذه الحياة، بل إن بعض كرماء العرب قد انصرف عنه على حدّ ما نعرف من سؤاله عبد الله بن عامر أن يُرْعيه كما كان يفعل مع الآخرين، ولكن عبد الله أبى عليه ذلك، ومنعه وطرد إبله، ويقال إن القبائل كانت تستهزىء به، فحين نزل ببنى سعد بن مالك وكانت معه جارية يقال لها جوزاء نراهم يسخرون منه، ويسرقون ثيابه وثياب جاريته، فلم يملك إلا أن يستعدى قبيلته على هذه القبيلة، وأن يهجوها فيقول فيما يقول:

إذا ما لقيتُ الحيَّ سعد بن مالك
على زم فانزل خائفا أو تقدم
أناس أجارونا فكان جوارهم
شعاعا كلحم الجازر المتقسم
لقد دنست أعراض سعد بن مالك
كما دنست رجل البغى من الدم
لهم نسوة طُلّسُ الثياب مواجن
ينادين من يبتاع عوداً بدرهم
إذا أيِّم قيسيةٌ مات بعلها
وكان لها جار فليست بأيِّم

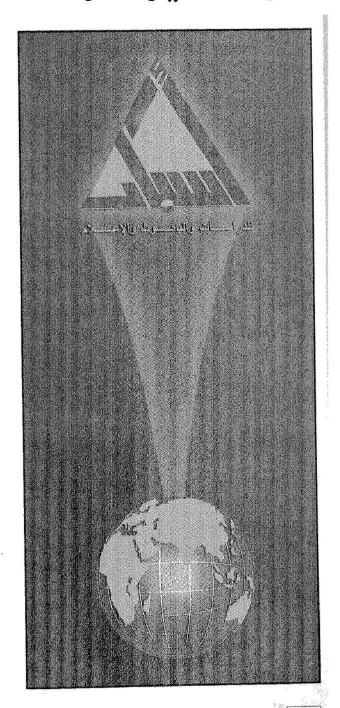
وإذا كان صاحب الأغانى قد وقف عند صوت له، فان ابن الأعرابى كان يستحسن أبياتاً له ويستجيدها وهي:

منعمة لم يغذها أهل بلدة
ولا أهل مصر فهى هيفاء ناهدُ
وأهوت لتنتاش الرواق فلم تقم
إليه، ولكن طأطأته الولائد
قليلة لحم الناظرين يزينها
شباب، ومخفوض من العيش بارد
تناهى إلى لهو الحديث كأنها
أخو سقم قد أسلمته العوائد
ترى القرط منها في قناة كأنها
بمهلكة لولا البرا والمعاقد

فهو يجيد الوصف بكلمات قليلة، ويتوصل إلى الصور الموحية، من غير إغراب، وبخاصة حين يتوصل للحديث عن المرأة المترفة الثرية، ولكن ظل على هامش الفترة التى عاش فيها، ذلك لأنها كانت فترة ريَّانة تحمل الناس على أن تكون لهم مشاركة في الحياة من حولهم، أما الذين أغضوا أعينهم، واكتفوا بأن يدُرُوا حول أنفسهم، فقد كان من الطبيعى أن تركلهم الحياة، ليس في الفترة التى عاشوا فيها فقط، ولكن في كل العصور.

حوار مع الأستاذ/ المدير العام لأسبار عبد الله بن محمد البسامي

أسبار للدراسات والبحوث والإعلام ومشاريع الرصد الحضاري للمملكة



حركة التنمية الشاملة في المملكة تستلزم الكثير من نقاط الرصد لأضواء التطور عبر الزمن، فالمجتمع يتطور وفقاً للتقدم العلمي وأساليب الحياة والثقافة والفكر والأدب، وكل ذلك يحتاج إلى رصد، وهذا الرصد يفيد الأجيال القادمة كما يفيد الجيل الحالي وهو نوع من الاخلاص لأجيالنا التي ستأتي في المستقبل، وفائدته للجيل الراهن تكمن في لحظات التقويم للذات وحسن اتخاذ القرار من قبل الجهات المعنية، وفي مجتمعنا السعودي الكثير من الفعاليات الإنسانية التي تستحق الرصد والتسجيل، ونحن من خلال هذا اللقاء مع الأستاذ عبد الله بن محمد البسامي مدير عام دار أسبار للدراسات والبحوث والإعلام سنسلط الضوء على مختلف جوانب نشاطات هذه الدار تعريفاً للقارئ العربي في كل مكان بما تم إنجازه وما سيتم بإذن الله تعالى.

** في البدء حبذا لو عرفتم القارئ بدار أسبار للدراسات والبحوث والإعلام، والنشاطات الأساسية التي تقوم بها، التي تميزت بالروح الوطنية والأهداف السامية التي تصب في روافد التنمية الشاملة في المملكة؟.*

** أنشئت دار أسبار للدراسات والبحوث والإعلام

إعداد: عقيل بن ناجى المسكين
ـ السعودية ـ



الحكومية والأهلية في مجال الدراسات والبحوث واستطلاعات الرأي.

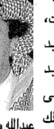
وتعتمد خدمات أسبار كليا على البحث العلمي. فقد بادرت بتشكيل هيئة علمية لتكون الأولى من نوعها في المملكة العربية السعودية. تضم هذه الهيئة نخبة من المتخصصين المتميزين علميا للإشراف على المشروعات العلمية التي تقوم الدار على إعدادها وتنفيذها. كما تعتمد أسبار كذلك على شبكة واسعة من الخبراء والدارسين والباحثين في مختلف الحقول. وتتعاون الدار أيضا مع العديد من مراكز المعلومات ومعاهد البحوث في الداخل والخارج.

وتشمل نشاطات أسبار ما يلي:

أولا: الدراسات الاستراتيجية:

يحتاج صناع القرارات في جميع المجالات الى معلومات وفيرة وموثوق بها لاتخاذ قراراتهم. فالإدارة الحديثة لا تحتمل القرارات اللحظية المرتجلة، فلابد للقرارات من أن تقوم على معرفة دقيقة للواقع، وعلى ضوء تصورات واضحة للمستقبل.

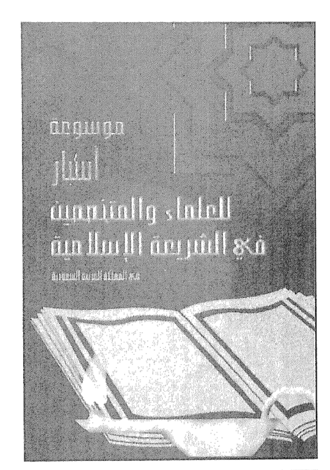
من امكانات وخبرات، تستطيع أن تسهم في ترشيد القرارات عن طريق تحديد البدائل المتاحة القائمة على الدراسة العلمية المتأنية ولذلك جعلت من مهامها الأساسية تقديم هذه الخدمة لصناع القرار.

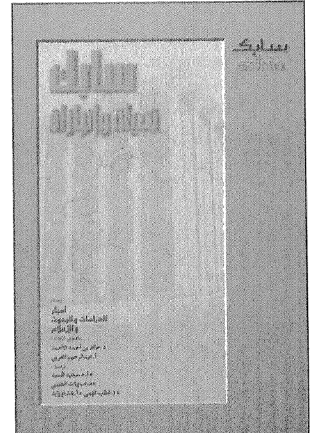

عبدالله بن محمد البسامي


عقيل المسكين

ثانيا: البحوث واستطلاعات الرأي:

تقوم أسبار بإجراء الاستطلاعات والبحوث وفقا لاحتياجات الجهات المستفيدة وهي توظف مختلف المناهج البحثية، الكمية والكيفية، والوسائل المناسبة لجمع البيانات وتحليلها وعرضها، واستخلاص نتائجها، وتقوم بشكل خاص بإجراء البحوث التسويقية المختلفة لجمع وتحليل المعلومات عن حركة السلع والخدمات واختبارات السوق.





ثالثا: التوثيق:

تضطلع أسبار حاليا بإعداد مجموعة من الكتب التوثيقية والإعلامية، للأجهزة الحكومية والأهلية، ومن بينها:

- المملكة العربية السعودية ٠٠ الأرض والإنسان والحضارة٠
- سابك ٠٠ عشرون عاما من العطاء٠
- الخدمات والمرافق الصحية والطبية بالمملكة العربية السعودية٠
- عرائس الصحراء ٠٠ قصة التنمية العمرانية في المملكة العربية السعودية٠
- مسيرة الإعلام في المملكة العربية السعودية٠
- صناديق التنمية السعودية وآثارها التنموية٠
- كتب تعريفية عن المناطق الإدارية في المملكة العربية السعودية٠

رابعا: المعاجم والموسوعات:

- أصدرت أسبار مؤخرا «معجم أسبار للنساء السعوديات»، وتعكف حاليا على إصدار عدد من المشروعات الرائدة في مجال المعاجم والموسوعات، وهي:

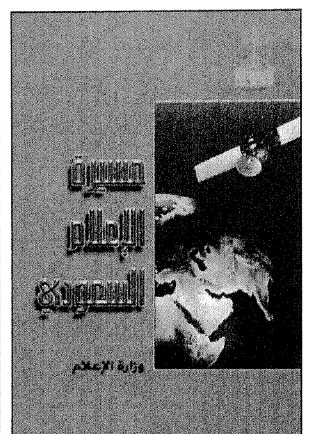
* موسوعة أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية٠
* موسوعة أسبار لرجال التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية٠
* معجم أسبار للأطباء والطبيبات «السعوديون»٠

خامسا: الاستشارات:

يتوفر لدى أسبار من الخبراء والإمكانيات ما يؤهلها لتقديم أنواع متعددة من الاستشارات مثل تخطيط الحملات الإعلامية والإعلانية وقياس أدائها وتقييمها خلال مراحل التنفيذ وبعدها، والتخطيط لحملات التوعية العامة٠ كما يمكنها تقديم الاستشارات للشركات والمؤسسات لمساعدتها على

إبراز اسمها وتحسين صورتها الذهنية لدى جمهور المستهلكين أو المساهمين. وهي تقدم كذلك خططاً لتطوير إدارات العلاقات العامة، واستشارات فنية وإعلامية لتطوير الإصدارات الإعلامية في القطاعين الحكومي والخاص.

وقد بدأت أسبار باكورة عملها الاستشاري من خلال تنفيذ (مشروع الدراسات التأسيسية لإصدار (صحيفة الوطن اليومية بمنطقة عسير) بتكليف من صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير. كما تنفذ أسبار في الوقت الحالي مشروع إعادة هيكلة وتحديث أداء الشركة الشرقية للصحافة والطباعة والإعلام.

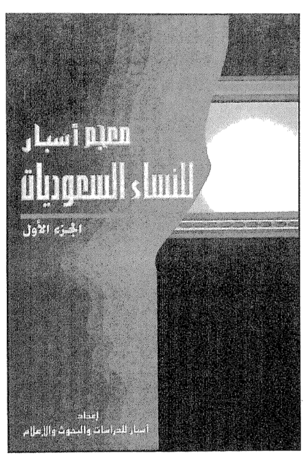


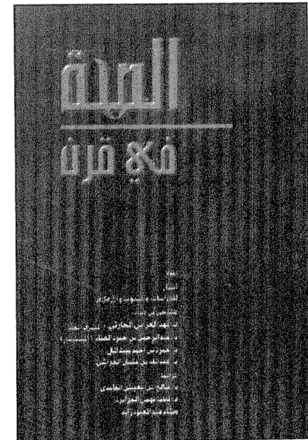
**** عمل المعاجم والموسوعات يتطلب استعدادات جيدة وعاملين على مستوى عال من الكفاءة ومن مختلف التخصصات، وفي السنوات الأخيرة بدأت تظهر في المملكة دور تقوم بأعمال هذا النوع، ترى أين موقع «أسبار» من خارطة هذه النشاطات العلمية؟ وبماذا تميزت عن غيرها من الدور؟.***

** تحتل أسبار موقعاً متميزاً في خارطة هذه النشاطات العلمية، وقد استفادت أسبار من التجارب السابقة، وحاولت أن تتميز من خلال اعتمادها التوثيق العلمي في تلك المعاجم والموسوعات، بالإضافة الى الشمولية، وعلى سبيل المثال فإن «معجم أسبار للنساء السعوديات» لم يركز فقط على المرأة السعودية الكاتبة والأديبة مثل الكتابات السابقة، بل إنه غطى شرائح نسوية أخرى أسهمت بدور هام في الحياة الاجتماعية والتعليمية، والاقتصادية، والفنية. وبهذه الشمولية يقدم المعجم للقاريء العربي صورة عن الواقع المشرق للمرأة السعودية والدور البناء الذي تقوم به في مختلف المجالات.



**** كيف بدأت فكرة «معجم أسبار للنساء السعوديات»؟ وما هي الصعوبات التي قابلتكم حتى تم***





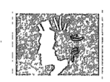
اكتماله وطبعه؟ وما رد فعل الجمهور والجهات المستفيدة من هذا المعجم؟.

** بدأت فكرة إصدار معجم متخصص عن النساء السعوديات، عندما لاحظت أسبار القصور الواضح في المعلومات المتوفرة عن المرأة العاملة في المملكة العربية السعودية، في مرحلة تتطلب التوثيق وإبراز جهود المساهمين في تنمية الوطن رجالا ونساء، ويهدف المعجم إلى إبراز مساهمة المرأة السعودية في مختلف مجالات الحياة العلمية والعملية، وتوثيق السير الذاتية لمجموعة كبيرة من النساء السعوديات العاملات في القطاعات الحكومية والأهلية كما يهدف إلى توفير المعلومات الأوتوبيوجرافية الموثقة، لمساعدة الباحثين ومراكز البحوث. وقد واجهت أسبار عقبات عديدة في مرحلة جمع المعلومات وأهمها عدم تجاوب بعض الجهات والشخصيات النسائية، ونقص المعلومات في بعض التراجم، ولم تقف هذه العقبات عثرة في طريق صدور المعجم، وذلك لأن إيمان أسبار بأهمية المشروع وفائدته جعلها تتحمل كافة المشاق لإنجاز العمل.

وقد صدرت الطبعة الأولى من المعجم مؤخراً، وحظيت بترحيب كبير من الجمهور والباحثين والشخصيات العامة الرجالية والنسائية.

**** وماذا عن «موسوعة أسبار لرجال التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية؟ وهل ستشمل السنوات الأولى من ظهور التعليم في المملكة حتى العصر الحاضر؟ أم ستقتصر على التعليم في السنوات الأخيرة؟.***

** ترمي الموسوعة إلى توثيق سير رجال التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية ممن أسهموا بجهودهم وخبراتهم الطويلة وخدموا أبناء أمتهم من خلال عملهم في مجالات التربية والتعليم المختلفة، وذلك بهدف تكريم تلك الشريحة العريضة من أبناء المجتمع والتعريف بإسهاماتهم المتميزة: العملية، والفكرية. كما تهدف الموسوعة إلى إثراء المكتبة في المملكة العربية



السعودية والمكتبة العربية بصفة عامة بمرجع متميز في هذا المجال، وإبراز دور الدولة السعودية في بناء الإنسان السعودي، ولن تقتصر الموسوعة على التعليم في السنوات الأخيرة، بل ستتطرق إلى الأفراد الذين قاموا بأعمال ريادية في بدايات مسيرة التعليم في المملكة العربية السعودية بصرف النظر عن تخصصاتهم ومؤهلاتهم العلمية، كإقامة مدارس أو حلقات ودروس في المساجد والبيوت.

**** متى ستصدر «موسوعة أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية»؟.***

** دخلت الموسوعة مرحلة إعداد الكشافات العلمية المتخصصة والمراجعات النهائية، لتأخذ طريقها للطباعة خلال الأشهر القليلة القادمة إن شاء الله. والمعروف أن هذه الموسوعة تعمل على حصر تراجم العلماء والمتخصصين في العلوم الشرعية منذ فتح الرياض (١٣١٩هـ) إلى يومنا هذا، ممن تنطبق عليهم معايير خاصة حددتها الهيئة العلمية في أسبار.

**** وكيف سيتم تناول موضوع «معجم أسبار للأطباء والطبيبات في المملكة العربية السعودية»؟.***

** يقوم المعجم برصد الكوادر البشرية، رجالا ونساء، في مجال الطب، وتوثيق سيرهم الذاتية، وتخصصاتهم، والجهات التي يعملون بها، والجامعات والكليات التي تخرجوا منها، في الداخل والخارج. ويهدف هذا المعجم بالإضافة إلى الجانب التوثيقي إلى تسهيل عمليات البحث عن الأطباء والطبيبات، لخدمة المواطنين، وتوفير قاعدة بيانات مصنفة، تساعد شركات صناعة الأدوية والأجهزة، وموزعيها داخل المملكة وخارجها للوصول الى الأطباء وإعلامهم بالمستجدات الطبية. كما يشرف على تنفيذ مراحل المشروع فريق عمل من المتخصصين في المجال الطبي حسب خطة زمنية وعملية متكاملة. كما أن هناك

إضاءة

- أ. عبد الله بن محمد البسامي.
- حاصل على مؤهل ماجستير في الإدارة المكتبية، والبكالوريوس في الإدارة العامة.
- عمل بمعهد الإدارة العامة بالرياض منذ عام ١٤٠٩هـ معيداً ثم مدرساً فمحاضراً في الإدارة المكتبية حتى بداية عام ١٤١٧هـ حيث أعير من معهد الإدارة العامة للعمل مديراً عاماً لـ أسبار للدراسات والبحوث والإعلام حتى تاريخه.

مساعدين ومراسلين ميدانيين يتولون مهمة جمع المعلومات.

**** وهل هناك مشاريع أخرى من هذا النوع؟ وما هي طبيعتها؟.***

** هناك بالفعل مشاريع أخرى تجري دراستها حاليا وسيتم الإعلان عنها بمجرد موافقة الهيئة العلمية في أسبار على البدء في تنفيذها.

* يلاحظ تركيز أسبار على التراجم لأشخاص الكفاءات السعودية (علماء شريعة - رجال تربية وتعليم - أطباء وطبيبات)، فهل هناك مواضيع أخرى ذات منطلقات اجتماعية - اقتصادية - سياسية - أدبية ... الخ. سيتم التطرق إليها في مشاريع قادمة لـ أسبار؟.

** هناك مشاريع متعددة في مختلف المجالات تعتزم أسبار القيام بها في المستقبل وهي تدخل في نطاق نشاطات أسبار السابق توضيحها. وتخضع تلك المشاريع لدراسة الهيئة العلمية في أسبار.

تجربتي في الصحافة



(١٣٢٤هـ - ١٤٠٣هـ)

عبد القدوس الانصاري[*]
مؤسس مجلة المنهل

معنى التجربة لغويا:

ذكر اللغويون أن معنى التجربة هو اختبار الامور ومعرفتها .. قال الاعشى:

كم جربوه فما زادت تجاربهم
أبا قدامة الا المجد والفنعا

و«الفنع» هو كثرة المال والفضل والزيادة وحسن الذكر.

وقال اللغويون: تقول هذا رجل مجرب - بكسر الراء المشددة - بمعنى مختبر للأمور وعارف بها .. وقالوا يصح أن يقال: مجرَّب - بفتح الراء المشددة - من جُرب - بضم الجيم اي اختبر وعرف ما عنده.

تجربتي الصحافية:

إن تجربتي الصحافية هي محصول السنين التي مارست فيها الصحافة الادبية والعلمية وغير الادبية والعلمية.

لقد بدأتُ في ممارسة شؤون الصحافة فعلا في عام ١٣٥٥هـ - ١٩٣٧م وذلك بعد صدور الامر الملكي الكريم من المغفور له الملك الراحل مؤسس هذه المملكة وباني مجدها الحديث وموحد شملها تحت راية التوحيد الغراء: عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه، وكان أمره المشار اليه يقضي بالموافقة على طلبي اصدار مجلة المنهل الشهرية الأدبية العلمية الاسلامية بالمدينة المنورة.

وجدير بالذكر بالمناسبة أن المنهل صدر يومئذ ولم يمض على تأسيس الدولة العربية السعودية سوى عشرة اعوام، فهي من هذه الناحية قد واكبت حياة المملكة منذ آوائل عهدها.

وكان اصدار المنهل في ذلك الوقت الذى لم نستكمل فيه الوعي الادبيَّ تجربة مغامرة، ما كان كثير من الناس يخال أو يتخيل لها النجاح والاستمرار، حتى مُصدرها نفسه كان من هؤلاء .. ولكن اذا اراد الله امراً فلا راد لارادته إنه يفعل ما يشاء وهو اللطيف الخبير.

وحقا اقول إن صدور مجلة ادبية في ذلك الظرف وفي المدينة المنورة كان امرا صعبا، ومركبا غير وثير، وطريقاً غير معبد. ولكن قافلة مجلة المنهل سارت في الطريق الوعر ودعست الاشواك، ومرت بعقبات ومازالت في مسيرتها حتى فتح الله للبلاد عهدا مجيدا زاهرا هو العهد الفيصلي المديد فحثت البلاد الخطى واسرعت الى الامام.. وكيف لا وقد اصبحت البلاد حدائق خُضراً، نضرا، ترفل في حلل فضفاضة من التقدم والنهوض وتطاول العمالقة وتصبح قطب رحى كثير من أرجاء العالم، وشقت الطريق الى العلم، فبنت

المدارس العديدة والمعاهد الوفيرة والجامعات الكبيرة، وأدخلت التعليم الى النصف الثاني من اهل الوطن العزيز، واصبح كل شيء مزهرا، ينبئ بنفسه عن تطوره المجيد.

والصحافة السعودية نالت قسطا وافراً من التجدد والتجديد، وقد تولدت منها الصحافة اليومية التي كانت حلما من الأحلام.

ممارسة أنُف:

كانت لي هواية أدبية منذ سن المراهقة، وفي أول عهد الشباب، نشرت لي مقالات وكلمات في العديد من الصحف والمجلات العربية في خارج المملكة.. مثل الأهرام، والمقتطف، والسياسة الأسبوعية، ومجلة الشرق الأدنى بمصر، ومجلة المرشد العربي بالاذقية وغيرها.. كما نشرت لي في جريدة صوت الحجاز عدة مقالات.

وكان مجلس الشورى قد طلب في المعاملة الخاصة باعطائي رخصة باصدار مجلة المنهل آثاري الادبية فقدمت له تلك المقالات المنشورة في تلك الصحف والمجلات، كما قدمت له ما كنت نشرته في صوت الحجاز وقد وافق ووافقت حكومة جلالة الملك المعظم على اعطائي تلك الرخصة وصدرت موافقة جلالته على الرأي الذي قدره مجلس الشورى حسب ما أشرت اليه آنفا.

وكانت ممارستي الفعلية للصحافة في رئاسة تحرير مجلة المنهل وادارة شؤونها. ولم اكن قد تمرنت على ممارسة فن الصحافة قبل دخولي تجربة اصدار مجلة المنهل. لذلك لاقيت بعض المعاناة فيما يتعلق بترتيب موضوعات المجلة واعطائها مسحة من الجمال، والتنسيق الفني الذى لابد منه لكل مجلة تريد أن تحتل مكانا تحت الشمس في عالم العصر الحاضر، وكنت أدرس ذاتياً اعداد المجلات الموجودة في العالم العربي اذا ذاك كمجلة الهلال والمقتطف والزهراء وغيرها، وأستفيد من دراستي لها الإلمام العام باسلوبها ومنهجها في تلقي الموضوعات وفي طريقة نشرها ووضع العناوين المسترعية لأنظار القراء لها، وكيفية طبعها وكتابة عناوين المقالات المهمة ووضع الفهارس وتنويع الموضوعات ونشر الأهم فالأهم، والاجذب لانظار القارئين فالأجذب، وهكذا دواليك.. هذا الى ادارة شؤون المجلة الادارية والمالية.

الطاقة الفكرية المتزنة تهبُ التجارب القيمة:

هذا وقد علمتني الحياة والتجارب أن الطاقة الفكرية المتزنة تهبُ التجارب والطاقات الصغيرة والكبيرة.. وكما قال ابو الطيب:

على قدر اهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

واعاظم العلماء واكابر المخترعين، ولدوا من الطاقة الفكرية الكامنة في تلافيف أدمغتهم الكبيرة اختراعاتهم، وكانوا عند بداية مراحل اختراعاتهم يستندون الى طاقاتهم الفكرية الموهوبة، والحزم والاقدام في سبيل تحقيق أحلامهم الكبيرة.. ولدينا شاهد عيان في العصر الحديث ألا وهو: المخترع اديسون.. الذى لم يصل الى مستوى عال من الثقافة ولكنه أصبح بفضل طاقاته الكامنة وبسبب جهوده المتتالية من أعظم مخترعي العالم الحديث.

ولو شئنا أن نذكر في هذا الميدان كبار رجال العلم والصحافة في عالمنا الحديث لما كفانا مجلد أو مجلدات. ولكن مالا يذكر كله لا يهمل كله.

من قصص التجربة الصحافية:

لعل من المناسب أن اذكر هنا قد
لي ابان صدور اوائل اعداد المنهل..
تدل عليه على أن رئيس التحرير دائم
وبخاصة اذا كان مبتدئا في هذا الميدا
لقد رحلتُ من المدينة الى بلد مـ
المرحوم السيد محمود احمد ونجلا
حبيب محمود احمد، وذلك بقصـ
والتفسح.. وكان سفرنا بسيارة الس
الله ودخلنا البلد الذى نقصده فقـ
والتكريم من الوجهاء والاعيان هنالك.
ثم عدنا الى المدينة مغمورين با

ثمار هذه الرحلة السعيدة. وأعددتُ موضوعات العدد التالي من المنهل، وصدر، وفيه الرحلة وقد أدخلت فيها - تطعيما ادبيا - قصيدة عصماء لشاعر مدني قديم يصف فيها بعض هوامٍّ هذا البلد التي أقضت مضجعه.. وصفاً ادبيا رائعاً. واطلع الاخوان اهل البلد الذى استضافنا على القصيدة في العدد، فثارت ثائرتهم واعتبروا ذلك مقصودا به سمعة البلد نفسه.. وانهالت رسائل الاحتجاج من الاصدقاء منهم على ادارة المنهل، وعلى فضيلة السيد - محمود احمد .. وهالنا الأمر الذى لم نكن ننتظر حدوثه. وقد اعتذرتُ لهم واعتذر لهم عني ايضا - فضيلة المغفور له السيد محمود أحمد، فهدؤوا ثم عادت المياه الى مجاريها.. بعد أن أثارت القصيدة زوبعة ما كنتُ إخال انها ستثيرها بحال من الأحوال، وما كنت نشرتها الا من باب التطعيم الادبي المجرد وكنت خالي الفكر من أي معنى آخر أو مرام آخر مُلتو أو غير مُلتو.

لقد اختزنت الذاكرة هذه القصة أو هذه التجربة المريرة.. اعواما عديدة ولا تزال تحتل مكانها في الفكر حتى اليوم.. وما عدتُ بعدها لمثل هذا الصنيع - فالسعيد من اتعظ بأعماله واقواله قبل أي شيء آخر.

ولقد أرشدتني هذه التجربة الى أن ادقق الفكر في كل موضوع ينشر بالمنهل من جميع جوانبه الداخلية والخارجية حذراً من أن ينفلت الى عالم النشر في المنهل مالا يحسن نشره فيه.

مهمة التجرد:

اقصد بالتجرد هنا تجرد المحرر أو رئيس التحرير من الحزازات الشخصية الملازمة للبشر حينما يكتب عن شخص أو عمل أو اي شيء آخر، حتى يعطي الموضوع المكتوب فيه حقيقة ابعاده ومستواه ومزاياه وغيرها من غير ان يقحم حزازاته الذاتية وانفعالاته الشخصية فيه، فينحرف في مساره الى شيء آخر ويتشوه وتتبدد عند ذلك الفائدة المتوخاة من الكتابة.

إن هذا التجرد من أهم الأسباب الداعية لنجاح الكاتب عامة والمحرر ورئيس التحرير خاصة.. إذ لا يمنح ما يستحق الذم، ولا يذم ما يستحق المدح، ولا يفسد قضية بمجرد أن له ميولا سلبية حيالها، ولا يشتط في النقد حتى يصل به الى العظم.. وإنما ينقد نقدا موضوعيا سمحاً لا يعتريه جفاف أو جنف أو سخف أو هوى مكشوف أو مستتر.

هذه الحقيقة جعلتها ضمن تجاربي الصحافية، فتوخيتُ بقدر الامكان أن أزاولها. ولا أقول إني نجحت في رغبتي، ولكني أقول اني كثيرا ما ألجم قلمي بلجامها، وأكفكف من عنفوانه، وأحد انفعاله، وأمسك بزمامه حتى لا يثير الغبار عليَّ ويلقي الحجارة الضخمة أمامي في سبيل هواه.

وطالما دعوتُ في مجلة المنهل إخواننا الكتَّاب ورؤساء التحرير الى اعتناق هذه الفكرة المستقيمة النافعة الرافعة، وطالما نقدوني وحملوا عليَّ من أجل هذا المبدأ الذي أحاول تطبيقه على نفسي أولا وادعو غيرى الى تنفيذه ثانيا. فصبرتُ وتحملتُ عناء ما يرمونني به حتى وضح الحق المبين أخيراً واشرقت شمس العرفان والاقتناع في أذهانهم بهذا الزمان.

والواقع انه مرت على ادبنا الحديث فترة قاسية حملت فيها الفؤوس لدق الاعناق وحطم الرؤوس.. ثم خفت حدة الحملة تدريجيا حتى انها لتكاد تتلاشى اليوم، وحتى لم يبق فيها سوى تحركات صغيرة غير وفيرة.. وطالما وجَّه الاصدقاء النصيحة اليَّ من قبل، بان أدع هذا الطريق الشاذّ، وألتزم بما التزم به الزملاء ليزداد الاقبال على مجلة المنهل، وليزداد انتشارها، فامتنعتُ عن الاستجابة مصمما على بقائي في موقفي حتى يأذن الله بالفتح أو أمر من عنده.

هذا ولعل الباعث على استعمال النقد الشخصي العنيف ناشيء من الاستجابة للعواطف الشخصية من حب وكره.. وحسد وحقد دفين، والظّن بان إشهار سلاح النقد العنيف يقضي على المنقود، ويجعله عظيما رميما وهيكلا مجردا وهباء منثوراً. وقد ثبت واقعياً ان هذا وهم من الأوهام.

الاعتدال:

من تجربتي الصحافية أن الاعتدال سيد الأحوال.. خير فصول السنة الربيع، وخير الرجال من كان معتدلا بسيرته، وخير الامور اوساطها.

قد كانت تجربتي الصحافية ما ذكرته آنفاً.

ومازلت أحاول التقيد بالاعتدال فيما اكتب وأنشر، وليس معنى هذا تمكني الكامل من ناصية الاعتدال. فالانسان بشر وقد تدفعه عواطفه الجامحة حيناً الى مالا يروق له عقليا، ورئيس التحرير الناجح هو ذلك الذي يلتزم الاعتدال في سائر الأحوال.

تلك جريدة الاهرام عُرف عنها الاعتدال فيما سبق من الازمان، وكان نجاحها معروفا. وتجربتي أن الاعتدال هو المحور لنجاح رؤساء التحرير والمحررين ذلك النجاح الراسخ المكين.

ثقافة رئيس التحرير:

تأملت رؤساء التحرير الناجحين فوجدتهم مثقفين ثقافة تتراوح بين العالية والمتوسطة.

فتبين لي من ذلك انه لابد لرئيس التحرر من أجل نجاحه أن يعبَّ من أنهار الثقافة ما يجعله متمكنا من أن يهب قراءه، علماً مصقولا، وادبا منخولا ورأيا معقولا، وخبراً صادقا وتحليلا مقبولا.

ان هذه التجربة الصحافية أذكر اني كنت خاطبت بها معالي وزير الاعلام السابق حينما جمع رؤساء تحرير المجلات والصحف ليبحث معهم الأسباب الدافعة الى نهوض الصحافية كما يرتجى.

انما ينشره رئيس التحرير بقلمه أو ما يجيز نشره هو معروض دائما تحت مجهر الفحص والنقد البناء والهدَّام لدى القراء.

العقبات في الطريق:

لقد علمتني تجربة الحياة والصحافة أنه لا يمكن أن يستمر جريان الحياة على وتيرة واحدة، ولابد من وجود عقبات وانفراجات ولابد من تجريد الهمم والافكار لمكافحة الأزمات..

من هذه العقبات ما هو مادي ومنها ما هو معنوي.

إن الانسان مخلوق (في كبد) كما نص عليه الذكر الحكيم.

أين هو المنهج الأفضل؟

ثم اين هو المنهج الأفضل في الصحافة؟ هل هو في حسن اختيار الموضوعات؟. أم في تنوعها أم في ارتفاع مستواها أم في هبوطه الى أذواق عامة القراء، أم في حسن الإخراج؟ وهل هو في التخصص أو الشمول؟ أو في الاناقة أو البساطة؟.

على ضوء هذه الاسئلة كنت دائما أبحث عن المنهج الأفضل، بالنسبة للمنهل، وقد قلَّبْتُ النظر في عديد من المجلات المعاصرة. تأملتُ المقتطف الذى كانوا يلقبونه بشيخ المجلات العربية. فبدا لي علميا جافا رتيب المنهج والاخراج.. وتأملت مجلة الهلال فاذا بها طرية هشة خفيفة الظل والاثمار.

وتأملتُ مجلة الرسالة فاذا بها دسمة رتيبة السمات. ودققتُ النظر في مجلة الشرق الأدنى فاذا بها دانية الثمار منوعة الموضوعات جميلة المظهر والمخبر، وكانت المادة تعوزها.

وأعملتُ الفكرة في مجلة السياسة الاسبوعية فاذا بها روضة غناء تنقصها العنادل الصادحة. وتأملتُ مجلة البلاغ الاسبوعي فإذا بها عامرة بالكنوز ولكنها كانت تتغذى من حزب مُعَيَّن. وتأملتُ مجلة الاديب اللبنانية فاذا بها طاقة من طاقات الأدب الحديث، ولكنها فردية كالمنهل تحتاج الى غذاء دسم يمنحها نشاطاً أكبر. وتأملتُ مجلة المختار من (ريدرز دايجست)، فاذا بها تقدمية في المخبر، ولم تستمر لأنها كانت تتنفس في غير جوها الاصيل.

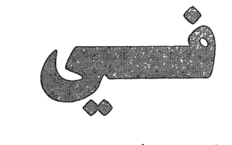
ونظرت مجلة العربي الكويتية فاذا بها حديقة أنيقة فيها من كل فاكهة زوجان، وطيور مغردة، وأزهار متفتحة. وبعض نباتات تحتاج الى بعض تشذيب وتهذيب.

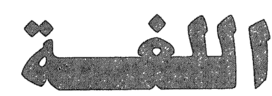
ثم خرجت من كل هذه التأملات التجريبية بنتيجة هي أن المنهل ينبغي أن يحمل بين دفتيه أحسن ما في كل مجلة من تلك المجلات، وفي هذا الجو كان مولد شعارها الذى هو: (الى الأمام على الدوام).

تلك الوان من تجربتي الصحافية قدَّمتها في هذه العجالة العابرة، مؤملا أن يكون فيها بعض النفع المنشود لرجال الصحافة ان شاء الله.

(*) هذا الموضوع: واحد من مجموعة المحاضرات التى ألقاها الاستاذ عبد القدوس الانصاري - عليه رحمة الله ورضوانه - ولم يسبق نشرها، وهي ضمن أوراقه المخطوطة.







الفرق بين الفرح والسرور:

إن علماء اللغة وخاصة الذين عنوا ببيان الفرق بين الكلمات، رأوا أن كل كلمة إذا وضعت في مكانها فانها تعطى للسامع وللقارىء ذوقاً لغوياً لا يحسه لو وضعت كلمة أخرى مكان تلك الكلمة، ولو كانت مرادفة لها فيما يبدو، والذي لا يدري الفرق بين الكلمات. تمر عليه المترادفات فلا يفطن لها ولا يميز بين ما فيها من دقيق التباين.. ومن ذلك، هاتان الكلمتان، الفرح والسرور.

ولقد وجدت هاتان الكلمتان في الكتاب والسنة على طريقتين:

إحداهما: أن كل كلمة من الكلمتين (الفرح والسرور) وضعت في مكانها الصحيح الذي لو غيرت فيه الكلمة لما أعطى النظم اللذة اللغوية.

وثانيهما: أنه قد تستعمل كل كلمة في مكان الأخرى حين يكون المعنى واضحاً جليا.

«والعرب من معهودهم ـ أنها لا ترى الألفاظ تعبداً عند محافظتها على المعانى ـ وان كانت تراعيها أيضا ـ فليس أحد الأمرين عندها بملتزم ـ كما يقول ذلك العلامة الشاطبي في كتابه الموافقات في أصول الاحكام[١] ثم يقول:

بل قد تبنى على أحدهما مرة، وعلى الآخر أخرى، ولا يكون ذلك قادحاً في صحة كلامها واستقامته ـ والدليل على ذلك أشياء:

أحدها: خروجها في كثير من كلامها عن احكام القوانين المطردة، والضوابط المستمرة وجريانها في كثير من منثورها على طريق منظومها وإن لم يكن بها حاجة. وتركها لما هو أولى في مراميها، ولا يعد ذلك قليلا في كلامها ولا ضعيفا.

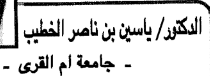
والثاني: أن من شأنها الاستغناء ببعض الألفاظ عما يرادفها أو يقاربها، ولا يعد ذلك اختلافا ولا اضطرابا إذا كان المعنى المقصود على استقامة.

والكافي من ذلك نزول القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف. وفي هذا المعنى من الأحاديث وكلام السلف العارفين بالقرآن كثير.

وقد استمر أهل القراءات على أن يعملوا بالروايات التى صحت عندهم مما وافق المصحف، وأنهم فى ذلك قارئون للقرآن من غير شك ولا إشكال، وإن كانت بين القراءتين ما يعده الناظر ببادىء الرأي اختلافا في المعنى، لأن معنى الكلام من أوله إلى آخره على استقامة لا تفاوت فيه بحسب مقصود الخطاب. (كمالك وملك)[٢] (وما يخدعون الا أنفسهم) (وما يخادعون إلا أنفسهم)[٣] (لنُبوأنَّهم من الجنة غرفا) (لنثوينهم من الجنة غرفا)[٤] إلى كثير من هذا، لأن ذلك لا تفاوت فيه بحسب فهم ما أريد من الخطاب.

وهذا كان عادة العرب. ألا




الدكتور/ ياسين بن ناصر الخطيب
- جامعة أم القرى -

ترى ما حكى ابن جني عن عيسى بن عمر وحكى عن غيره أيضا، قال، سمعت ذا الرمة ينشد:

وظاهر لها من يابس الشخت واستعن
عليها الصبا واجعل يديك لها ستراً

فقلت: أنشدتني من بائس: فقال: يابس وبائس واحد، فأنت ترى ذا الرمة لم يعبأ بالاختلاف بين البؤس واليبس، لما كان معنى البيت قائماً على الوجهين وصواباً على كلتا الطريقتين.

وقد قال في رواية أبي العباس الأحول: البؤس واليبس واحد، يعني بحسب قصد الكلام لا بحسب تفسير اللغة. انتهى كلام الشاطبي ثم ذكر كلاما طويلا جميلا في هذا المقام تركناه طلبا للاختصار.

ونعود إلى الفرح والسرور لنرى ما الفرق بينهما؟

من أحسن من ذكر الفرق بين الكلمتين: الفرح والسرور، المناوي عند قوله {صلى الله عليه وسلم} «إن في الجنة داراً يقال لها الفرح» فقال: الفرق بين الفرح والسرور، أن السرور انشراح الصدر بلذة فيها طمأنينة الصدر عاجلا أو آجلا.

والفرح. انشراح الصدر بلذة عاجلة غير آجلة وذلك في الملذات البدنية الدنيوية، وقد يسمى الفرح سروراً وعكسه لكن على نظر من لا يعتبر الحقائق، ويتصور أحدها بصورة الأخرى[٥].

وانظر الى كلام ابي هلال في الفروق[٦] حيث قال: الفرق بين السرور والفرح. أن السرور لا يكون إلا بما هو نفع أو لذة على الحقيقة، وقد يكون الفرح بما ليس ينفع ولا لذة كفرح الصبي بالرقص والعَدْو والسباحة وغير ذلك مما يتعبه ويؤذيه ولا يسمى ذلك سروراً ألا ترى أنك تقول الصبيان يفرحون بالسباحة والرقص.. ولا تقول يسرون بذلك.

ولكي يزيد الأمر وضوحا جاء أبو هلال العسكري بنقيض الكلمات فقال: ونقيض السرور: الحزن. ومعلوم أن الحزن يكون بالمرازي - جمع رزية - فينبغى أن يكون السرور بالفوائد وما يجرى مجراها من الملاذ.

ونقيض الفرح: الغم، وقد يغتم الانسان بضرر يتوهمه من غير أن يكون له حقيقة وكذلك يفرح بما لا حقيقة له...

ويقول الفيومي[٧]: الفرح لذة القلب بنيل ما يشتهي.

والقرآن الكريم والسنة النبوية مليئان بالآيات التى تبين الفرح والسرور، وقد يفهم الانسان معنى الآيات إذا فهم معنى كل من الكلمتين: الفرح والسرور على حقيقتها.

يقول الله تعالى {فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وقالوا: لا تنفروا في الحر، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون}[٨].

فأنت ترى أن هؤلاء فرحوا بلذة عاجلة لخوفهم من الموت في الجهاد فكانت النتيجة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا.

وقال تعالى {فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون. فَقُطعَ دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين}[٩].

فهؤلاء ذكرّهم قومهم فعملوا به ثم لما نسوا ما ذُكروا به انحرفوا عن الهدى ففتح الله عليهم الدنيا - أبواب كل شيء - ففرحوا بها فأخذهم الله بغتة، لأن فرحهم لم يكن إلا بتلك الدنيا التي فتحها الله عليهم استدراجا كما هي مفتوحة اليوم على الكافرين.

ويقول عز وجل {الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وفرحوا بالحياة الدنيا، وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع}[١٠].

فهذا الفرح فرح في غير محله إذ هو فرح بما في الحياة الدنيا من زخارف ومتاع زائل، ولقد نصح قوم قارون نصحوا قارون، فقالوا له عندما رأوه يتكبر

عليهم ويتعالى على نبي الله موسى عليه السلام، بسبب المال الذى تنوء بحمله العصبة أولو القوة {إذ قال له قومه لا تفرح، إن الله لا يحب الفرحين}[١١].

ويتحدث الله تعالى عن الكفار ويبين ما في قلوبهم من غل على المؤمنين ثم يقول {إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها}[١٢].

فهذا الفرح وبال عليهم، لكنه لما كان لذة لقلوبهم عاجلا سمي فرحاً.

وأما الآيات التي فيها ذكر للسرور فمنها قوله تعالى: {إنَّا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا. فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا}[١٣].

فهؤلاد الذين بهذه الصفة يلقون يوم القيامة هذا الجزاء الوافر العظيم. فهو سرور حقيقى بنفع حقيقي.

وكذلك قوله تعالى {فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسروراً}[١٤].

وقد يأتي السرور على أساس لذة عاجلة كقوله تعالى {وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا، إنه كان في أهله مسروراً}[١٥].

فهو كان مسروراً بمتاع الدنيا الذي كان عنده وعند أهله فهو سرور بعاجل الدنيا لا ينفع يوم القيامة، وقد جاء أيضا في مقابلة سرور المؤمن.

فالسرور إذن - كما قلنا - انشراح الصدر بلذة فيها طمأنينة الصدر عاجلا أو آجلا لكن الفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة غير آجلة. لكن كما قلنا فان القرآن الكريم يسير على طريقة العرب في تخاطبهم فهو قد يضع الكلمة مكان الأخرى لعلة قد تظهر للناس وقد تخفى.

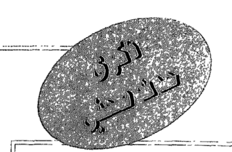
فمثلا قوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون[١٦] فهذا الفرح الذى هو بسبب فضل الله ورحمته فرح حقيقي في الدنيا والآخرة، ولكنه لما جاء عند بيان ما ينال الكفار من عذاب بسبب كفرهم حيث سبق هذه الآية قوله تعالى: {قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون}[١٧].

ناسب أن يكون فرح المؤمنين حقيقياً وفرح الكافرين صوريا - عاجلا -

ومعلوم أن القرآن الكريم يستعمل إحدى الكلمتين مكان الاخرى كما ذكرنا في كلمة سرور، وكذلك قوله سبحانه عن الشهداء {فرحين بما آتاهم الله من فضله}[١٨] فهو فرح حقيقي.. والله اعلم.

الهوامش:

(١) الموافقات للامام الشاطبي. أبي إسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي/ ت ٧٩٠هـ ٢/٥٦.
(٢) الفاتحة.
(٣) البقرة الآية/٩.
(٤) العنكبوت الآية/ ٥٨.
(٥) نقله الشبراملسي في حاشيته على نهاية المحتاج ٦/ ٣٦٩.
(٦) ص ٢١٩.
(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي للعلامة احمد بن محمد بن على المقري الفيومي ت ٧٧٠هـ ٢/١٢٠ مادة فرح.
(٨) التوبة الآية/ ٨١ - ٨٢.
(٩) الانعام الآية/ ٤٤.
(١٠) الرعد الآية/ ٢٦.
(١١) القصص الاية/ ٧٦.
(١٢) آل عمران الآية/ ١٢٠.
(١٣) الانسان الآيتان ١٠ - ١١.
(١٤) الانشقاق الآيات ٧ - ٩.
(١٥) الإنشقاق الآيات ١٠ - ١٣.
(١٦) يونس الآية / ٥٨.
(١٧) يونس الآية / ٥٠.
(١٨) آل عمران الآية/ ١٧٠.



مجلة الشرق تتخطى عامها الثاني والعشرين

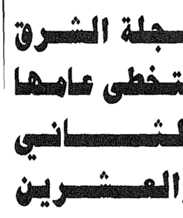
هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، .. وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبداً.

ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها.

ونظرا للدور البناء والمؤثر الذى تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر - فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره.

وفي هذا الباب سنلتقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتبعة نشأتها وتطورها.





- غلاف العدد الأول لمجلة «الشرق».

في مثل هذا الشهر جمادى الأولى من العام ١٣٩٨هـ، وتحديدا في اليوم السابع والعشرين منه.. الموافق الرابع من مايو ١٩٧٨م - صدر العدد الأول من الزميلة مجلة «الشرق» وهي مجلة أسبوعية سياسية اجتماعية تصدر عن الشركة الشرقية للطباعة والصحافة والاعلام بالمملكة العربية السعودية - الدمام

ومجلة «الشرق» بدأت بالحماس لفكرة إصدار مطبوعة صحفية تبرز الوجه الاقتصادي والاجتماعي للمنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، وتساهم في دفع عجلة التطور والتنمية بالمملكة ومؤازرة سياستها التى ترتكز على الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وإزكاء روح التضامن الإسلامى في العالم الاسلامي.

ولادخال الفكرة حيز التنفيذ، اجتمع رهط من رجالات المنطقة منهم الشيخ تركي العطيشان (يرحمه الله) والشيخ سعيد بن على غدران، والشيخ سعد المعجل والشيخ احمد بن عبد الرحمن الغامدي، والشيخ زيد المليحى، والشيخ احمد عوض الغامدي.. وغيرهم ورصدوا الأموال اللازمة لإصدار هذه المطبوعة.

وبعد استصدار موافقة وزارة الإعلام أشرق صبح مجلة «الشرق» وصدر العدد الأول منها في التاريخ آنف الذكر والذى كان «أول الغيث» حيث توالت الأعداد أسبوعيا.. تسير بخطى واثقة بين زميلاتها من المجلات والصحف السعودية.

وعلى طريق التطور - وبعد اختيار معالى الأستاذ/ زايد بن فهد السكيني لرئاسة مجلس إدارة الشركة الذى رسم خطة تطويرية طموحة تشمل الإدارة والمطابع والتحرير، وزيادة رأس المال - استحدثت الشركة مطابع جديدة متطورة، وأدخل الحاسوب في أعمال الادارة والتحرير، وتم توظيف كفاءات سعودية في الادارة والتحرير مما أعطى للمجلة ثوبا جديدا، وارتفع بالمضمون الاعلامي.

- الدكتور سعيد بن عطية أبو عالي - رئيس تحرير مجلة الشرق.

وقد تعاقب على رئاسة تحرير مجلة «الشرق» كفاءات وطنية كان لكل منهم أثره في المجلة.. وان كان لكل منهم أسلوبه الخاص إلا أنهم التقوا جميعا على هدف النهوض بها ووضعها في المكان اللائق بها بين مجلات وصحف المملكة.

والمنهل بكل منسوبيها تزف التهنئة إلى كل منسوبي الزميلة «الشرق» بمناسبة مرور اثنين وعشرين عاما.. راجين لها دوام التقدم والازدهار.

اعداد : يعقوب السيد حسنين



بالإذن يا خليل (٣):

- ان الصراع بين انصار المدرسة التى تعتقد أن مصدر الشعر هو العقل وانصار المدرسة التى تزعم ان الشعر مصدره القلب سوف يحسم لصالح المدرسة التى تقول ان شعر الحداثة مصدره الجهازالهضمي.
- شعر الحداثة سلاح ذو حدين كلاهما موجه لقلب المتلقى.
- شعر الحداثة عمل عدوانى موجه ضد الآخرين.
- شاعر الحداثة شاعر ما لم يتكلم.
- امتلأ الشعر بالزحافات والعلل حتى اصبح زحافاً وعلة بهما بعض الشعر.
- الشعر اغنية يسلى بها الشاعر وحدته عندما يكون في جمع من الناس.
- تعميماً للفائدة لم ينشر شعره في ديوان.
- حق قول شعر الحداثة مكفول لكل مجنون «منظمات حقوق الانسان».
- الشاعر الحداثى هو ذلك الرجل منكوش الشعر.
- المجنون هو الوحيد القادر على فهم شعر الحداثة لانه هو الذى يبدعه.
- «اخرس وإلا قذفت بك من اعلى السلم» بيت شعر انجليزى معرّب.

الطبيب النفسي الجيد هو الذى يقول للاعور «يا أعور» في عينه العوراء التى لا يسمع بها بعد أن يكون قد امّن لنفسه طريق الهروب.

قسمة ضيزى:

امتطيت جواد القوافي العجوز وامسكت بسيف العروض الخشب/ وقلت انا شاعر قالوا لن تجوز صراطاً تسّاقط عليك فيه الشهب/ اتقول شعراً في عيد النيروز لم نعد نحفل بهذا اللعب/ نحن لا نعشق سوى الابريز ويضيع عمرنا في هذا الطلب/ نحن لا نشرب سوى النبيذ ويلعق شاعرنا الحبب/ لن تستطيع بنا أن تلوذ فامش قبل ان يصيبنا الغضب/ لن تستطيع بنا ان تعود فامش قبل ان يصيبك العطب/ ليس للشاعر عندنا من نفوذ وان لبس ثوباً موشّى بالقصب/ فلتذبح العجل الحنيذ وان لم تفعل فاجمع الحطب/ افضل من شعر لن يفوز بدرهم وان مدحت اغنى العرب/ قلت انا اقرض الشعر العزيز قالوا انت شاعر بالتعب/ انا اتغزل في جمال الفيروز قالوا انت شيء يثير العجب/ قلت انا شاعر قالوا (أراجوز) يضحك منك الناس بلا سبب.

أمة شاعرة:

يقول المثل العامى «كله عند العرب صابون» كناية عن ان كل شيء عند العرب شعر فالصابون يغسل الادران والشعر يغسل الاحزان.

بالاذن يا خليل (٤):

- استدراك على الشيخ الجليل الخليل بن احمد الفراهيدي.
- عمود الشعر العربي تحول مع الحداثة الى خازوق الشعر العربي.
- الشاعر الحداثي هو الذى يتكلم عن الماء الجاف والهواء المكعب واريج الاسمنت المسلح.
- الشاعر الحداثى ليس مزدوج الشخصية وانما مربعها.
- لا يعرف الشعر الا من يكابده.. ولا الرواية الا

د. عبدالغني عبدالحميد رجب
- مصـر -

من يعانيها» قارىء يعاني من قراءة الشعر الحديث والرواية الحديثة.

- الشعر الحداثي ضرورة وانا ادرى لماذا: لكي يزجي الشعراء وقت فراغهم ولكي يتكسب الشعراء من الشعر ولكي يجد باعة البطاطا المشوية أوراقاً يلفونها بها.

- من الماضي لم تكن هناك مشكلة فقد كان هناك امير واحد للشعر اما الآن فهناك الف امير، وأمير لكن بلا إمارة.

- الشعر الحداثي مملوء بالعواطف .. التي ليس لها محل من الاعراب.

- القصيدة الحداثية تنمو من داخلها .. نموا شيطانيا سرطانيا.

- الشعر الحداثي يجمع تهور الشباب .. مع عجز الشيوخ.

- الشعر الحداثي متطور عن الشعر القديم بمليون سنة قبل الميلاد.

- عندما شرح شاعر الحداثة قصيدته وجدتها اصبحت اكثر غموضاً عن ذى قبل.

قراءة جديدة في التراث:

- ان بروميثيوس سرق النار لكي يشعل سيجاره.

- ان ارخميدس خرج من الحمام عاريا يصيح «وجدتها وجدتها» فأصيب بنزلة برد حادة.

- تمكن بافلوف من تعليم الكلب ان يفرز لعابا عند سماع الجرس هل يمكنه ان يعلم الجرس افراز اللعاب عند سماع نباح الكلب. هنا تكمن العبقرية الحقيقية.

- اذا كنا قد انحدرنا من سلالة القرود كما يدعى داروين فلماذا نحاول الصعود اليها مرة اخرى؟

- انك تستطيع ان تصبح فيلسوفاً كسقراط اذا كنت تعيساً في زواجك مثله.

- هل سقطت التفاحة على رأس نيوتن؟ لماذا لم يأكلها ذلك الاحمق بدلا من ان يصدع رؤوسنا بما اسماه الجاذبية الارضية، اكيد ان الأمر سيختلف لو سقط حجر على رأسه بدل التفاحة.

- كيف كانت الارض تجتذب الاشياء قبل اختراع الجاذبية الارضية على يد المدعو نيوتن؟.

- كيف كان يحدث التطور قبل اختراعه على يد السيد داروين؟ ان نظرية التطور ستظل نظرية ما لم تثبت عملياً وثبوتها يتمثل في ايجاد الحلقة المفقودة بين القرد والانسان أما نظرية التدهور فهى ثابتة علميا فهناك دائماً الحلقة الموجوده بين الانسان والقرد.

- تحذير لفرويد: تدخين الغليون يؤدىٰ الى سرطان الفك.

- الافعى هيدرا هل هى زوجة هرقل والتى كلما هشم لها رأساً نما مكانه رأسان.

- هل ما زال سيزيف يحمل الصخره وهل مازال بروميثيوس ينهش كبده، اشك في ذلك.

- من يبيعنى بكبدى السليمة كبداً ذات قروح ويأخذ فرق السعر.

- انا وقبلى الطوفان.

- إن غدا لناظره بعيد اذا كان الناظر يتمتع ببعد نظر.

- ثبت ان البعير هو الذى قصم ظهر القشة علميا.

- اعلن صاحب الشرطة ان الفردوس المفقود جارى البحث عنه.

- من الذى يعلق في رقبة الجرس قطاً؟

- اذا اتتك مذمتى من كامل فهى الشهاده لي بأنى ناقص.

- كان حل اللغز في اسطورة اوديب هو الانسان، الآن حل اللغز هو الكومبيوتر.

- لبست جلد النمر لاعدائى.. لكنه كان قصيراً جداً.

- كل القصص الخالده كتبها اناس آخرون - حتى قصة المرأة التى اكلت ذراع زوجها.

- شهرزاد هي اول طبيب نفسانى في العالم فقد تمكنت من علاج شهريار ومنعه من قتل النساء.

- ماذا كان يفعل المريض النفسانى قبل اختراع العقد النفسية على يد المدعو فرويد؟.

- تقع جزائر واق الواق في كتاب الف ليلة وليلة.

- في العصر الحاضر لا يمكنك ان تقوّم العود الا بعد تقويم ظله اولا.


رسالة
من العقاد
.. الى السيدة الجميلة
نظرة
فى
عالم
الحب
الحوار بين الأديان
١١٨
أوراق زوجية
لها
هي
مجلة شهرية ذات أداء متخصص تخاطب عقل المرأة ووجدانها

الحوار بين الأديان
(رؤية إسلامية لتصحيح المفهوم)

لقد عرفت البشرية في تاريخها الطويل مراحل ومناحى متعددة في كل مرحلة تصل بها الى نتائج، منها المأساوى الدموى، ومنها ما كان يمثل فترات استرخاء كونى، باعتبار أن تاريخ البشرية - كما حاول بعض فلاسفة التاريخ أن يصفه - «بأنه تاريخ بحيرات دموية مع فترة استراحة منذ قابيل وهابيل».

فإذا ما تبينا المفهوم الروحى الخالد نجده يختفى أو يتوارى ليظهر من جديد، ولهذا وفيما يعنينا القرن العشرين، قد شاهد عصرنا مراحل دموية رهيبة وفترات استراحة محدودة، الحرب العالمية الأولى بدمويتها، والحرب العالمية الثانية بنهايتها النووية المرعبة، كما يعرف الجميع ذلك.

والآن وقد تغيرت طبيعة العلاقات بين الدول على ضوء ما حدث في السنوات الأخيرة من تفكك كيانات عظمى، وتراجع كيانات عظمى، وقد حاول البعض أن يصل به الوصف الى حد القول «أن عالمنا الآن يتحكم فيه القطب الأوحد».

هذه مقدمة نراها ضرورية، ولابد منها نذكرها في بداية سطورنا، والذى يهمنا ونركز عليه في طرحنا هذا ما رأيناه ولاحظناه في السنوات الأخيرة من محاولات دائبة لتبنى الحوار بدلا من المواجهات الدموية بين الدول وبين بعضها، وهل هذا جاء نتيجة أن الإنسان أضحى يخشى عاقبة التدميرات للأسلحة المطلقة نووية كانت أم هيدروجينية أم بيولوجية إلى آخره؟!.

أم هل مل الإنسان في النهاية أن يحيا في الوقت الضائع، أن يركز علي ما ينفعه بحق، وينفع الناس من حيث المصالح بمعنى (الاقتصاد) وإعطاء أولوية في نفس الآن لمحاولة احتواء ما أمكن من النزاعات والصراعات؟!.

إن الباقى للإنسانية وهى تنهى القرن العشرين وتدخل الى القرن الواحد والعشرين هو الحوار، الحوار الجاد الواعي، الحوار الذى يجب أن يتمتع بمصداقية من منظور القيم الروحية والانسانية المتوارثة.

وإذا أردنا أن نتحدث عن هذا الحوار وهل هو حوار أحادى أم متعدد؟ وماذا يقصد بحوار دولي أي بين الدول؟ نقول: الحوار الآن متعدد، وليس أحادياً، بل متشعب، فهناك الحوار بالمفهوم السياسى والدبلوماسى، ويحتكم فيه لمعيارية المعاهدات والمواثيق الدولية و«الشاطر» فيه له الغلبة، وهناك حوار آخر وهو حوار اتخذ كمعيارية له، «الموضوعية العلمية» بمعنى أنه حوار علمى فعال ينظر الى القضايا المطروحة نظرة موضوعية مالها وما عليها، ويحتكم أساساً للواقع المعاصر الكائن ليصفه، ويستنطقه كتوطئة أو بداية للتعرف على أسبابه وعلاقاته، ليصل في النهاية الى استنتاج يجسد الممكن ما أمكن تمشياً مع متطلبات الواقع، فلا سائد فيه ولا مسود، ولا خلفيات، أى أن الشعوب في الواقع تنتمى الى حضارات وثقافات متعددة، ومن الطبيعى جداً أن توجد معاً لما فيه خيرية ونفع ومصلحة الجميع، وهنا يقترب الحوار العلمى الموضوعى من الحوار الأصيل.

ونأخذ الإسلام هنا كمثال حينما جعل غاية التعايش والتفاهم بين الشعوب والقبائل هو التعارف والتفاهم لا التقاتل والتباغض.

قال سبحانه وتعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير} (الحجرات/ ١٣).

ونضع الحوار السياسى والاقتصادي جانباً ونتركه للساسة والدبلوماسيين فهذا مجالهم لكى يطرحوا القضايا على مستوى القوانين الدولية والمنظمات المعنية.

كما نترك جانباً الحوار العلمى البحت بين الحضارات والثقافات ولا داعى لأن نركز عليه الآن، لأن هذا يتطلب منا أحاديث وكتابات متعددة.

ونكتفى في هذه السطور بالنوع الثالث من الحوارات وهو الحوار الذى ينطلق من منظور روحي،

اسماء أبو بكر محمد
- مصر -



ويحتكم إليه في النهاية وبخاصة بين الأديان السماوية الكبرى.

هذا الحوار حالياً كما نلاحظ من اللقاءات التى تتم بين رجال الدين من هنا وهناك، ومحاولات التقريب بين وجهات النظر المختلفة، ونأمل أن تشكل هذه الحوارات أرضية تخفف من حدة المنازعات والصراعات الكونية التى نشهدها.

وبلا شك ان مرحلة الحوار حالياً والتى بدأت تشق طريقها إلى الكون كبديل للصراعات والمنازعات الدموية، وتزكية هذا البديل بالتفاهم الواعى والحد من التسلح بأسلحة الدمار الشامل، أو الغائها تماماً، كما نلاحظ الآن من محاولات، والتساؤل المطروح في الساحة الدولية حول التجارب النووية التى تجرى في بعض المناطق وما تشكل من قضايا بين الدول كانت موضع أخذ ورد مؤخراً.

وبكل موضوعية تأتى قضية النية في البداية، ما دامت البشرية اتخذت من الحوار أو العودة إلى الشعار الأسمى للإنسان المتسامى بإنسانيته فلابد من المصارحة والمصداقية، وهذا ما نأمله ونتمناه.

وكل إنسان موضوعى يرى في موقف أمتنا ودعوتها الى تصفية اسلحة الدمار الشامل في المنطقة أنه يشكل في حد ذاته مصداقية للحوار.

ونأمل من الدول العظمى حينما تطرح قضية تبنى التصفية الشاملة لقوى التدمير النووى أن تكون من أوائل الدول التى تستجيب وتنفذ في موضوعية رافعة قيم التسامح والمساواة والعدالة.

إن قضية الحوارات بين الأديان الكبرى ستظل قائمة، ليس هناك تناقض في الوحدة وميادينها الخالدة، وانما هناك تناقض بين الفئات البشرية التى زعمت أو ارادت أن توظف هذه المبادىء الوحدوية لصالحها ومصالحها الخاصة، والتاريخ ومراحله المختلفة على ذلك شهيد.

لهذا نرى أنه قد آن الأوان لأن نركز في هذه الحوارات على إعادة النظر في توجهات النيات البشرية التى تتزيا بهذه المبادىء الخالدة، أن تكون نعم الأرضية الحقيقية لتعميق التفاهم والتعارف بين الشعوب والقبائل، ومحاربة جميع أنواع الزيغ والتعصب واليأس، وإلباس المصالح لباس التقديس، ومن ثم فحينما وضع القرآن الكريم معيارية لالتقاء الشعوب والقبائل من أجل التفاهم والتعارف، أكد على أهل الكتاب الدعوة الى كلمة سواء.

قال سبحانه وتعالى: {قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون} (آل عمران/ ٦٤).

اذن ما نريده الحق والخير، ما نريده كلمة سواء، لا سائد فيها ولا مسود، وهذا ما نطلبه ونريده ونركز عليه، ونستسمح من يخالفنا في الرأى ولا يحترم الرأى الآخر، والحقيقة لا تكون ولا تتواجد ولا تصح أبداً إلا من احترام الرأى الآخر، فالإسلام دائماً وأبداً هو دين القلب المفتوح، والفكر المفتوح، لا مكان فيه للتعصب أو الإنغلاق.

ونحن نقر بوجود تيارات متحرفة ضالة، وهذه التيارات المنحرفة عن الاسلام لها خلفيات تاريخية وسياسية ومذهبية في عصور الاسلام المختلفة، والمعيار الذى يقاس به مدى انحراف أو عدم انحراف هذه الاتجاهات كان دائماً متمثلا في الاساءة الى مصدرى الاسلام وهما: القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، والاسلام برىء كل البراءة من هذه التيارات الهدامة.

وقد أقر الغرب قبل الشرق أن الاوساط العلمية في عصر ازدهار الحضارة الاسلامية قد شهدت تسامحاً منقطع النظير، وأن النقاش العلمى الموضوعى كان هو اساس التعامل بين أهل الفكر بوجه عام.

وموقف الاسلام من حرية الفكر أو حرية البحث العلمى أو حرية الاعتقاد موقف متسامح إلى أبعد الحدود، ولكن الإسلام في الوقت نفسه حريص كل الحرص على حماية معتقدات الناس ومقدساتهم وقيمهم من أى اعتداء عليها، فمثل هذا الاعتداء يمثل اعتداء على حقوق الإنسان فرداً أو جماعة، فكل إنسان له أن يعتقد لنفسه ما يشاء، وليس لأحد سلطان عليه في ذلك، ولكن الأمر المحظور اسلامياً هو الترويج لأفكار هدامة من شأنها أن تثير البلبلة والقلق والإضطراب بين الناس، وتؤدى الى اثارة الفتنة، وتعود بالضرر البالغ على النظام العام للمجتمع.

إننا نرى أن البشرية الآن تسير في طريق الحوار، ومحاولة تجاوز المنازعات المهلكة، بالحوار والحوار فقط يمكن لنا أن نضيف ونعمر ونبنى، ولكن يشترط النية والمصداقية، يشترط القول مع العمل الفعال حتى نتحاشى مقت الله وغضبه علينا وذلك حينما خاطب كل المؤمنين في قوله سبحانه وتعالى: {يا أيها الذين آمنوا لمَ تقولون ما لا تفعلون، كَبُر مقتاً عند الله أن تقولوا مالاتفعلون} (الصف/ ٢ـ ٣).

والله سبحانه وتعالى هنا خص المؤمنين بالخطاب فهل لنا أن نعي ذلك ونفهمه؟!.

نظرة في عالم الحب

الحب .. العشق .. الغرام .. معبودات إنسان هذا العصر.؟ هل هي مفردات ذات معنى واحد تغني عنها جميعا كلمة واحدة هي كلمة الجنس.؟ هل يمكن أن يكون ما نعتبره من دلائل الإنسانية والشاعرية هو نفسه دليل الحيوانية والانحطاط.؟ وهل يشترط الحب للزواج.؟!!

لماذا ينتهي كل حب بخيانة أو فتور، وهل يعني ذلك أن الحب برمته سراب؟؟.

اسئلة تتردد على ذهن كل إنسان يعيش تناقضات عصره بين ما يعرض على شاشات التلفاز والسينما، وفي كلمات الأغاني، وبين تعاليم دينه، إن كان له دين أو تقاليده إن كان من أهل التقاليد.

ولنتمكن من الإجابة عن هذه الأسئلة يتوجب علينا الطيران لعالم الخيال، الى حياة لا يسود فيها إلا الحب والعشق والغرام.. قد تبدو لنا هذه الحياة للوهلة الأولى قمة المثالية ولكننا لو دققنا النظر قليلا لوجدنا عجبا عجابا.. لوجدنا شابا يعشق فتاة ويستعد لفدائها بروحه، وتراه يسير في الطرقات ولهانا سكرانا من أثر «سحر عينيها» وما يلبث أن يقطف الثمرة المحرمة ليكتشف بعد شهر أو اثنين أن حبه كان سرابا وأنه قد وقع ضحية خيانة أو سوء اختيار، ليعجل في البحث عن حب جديد.

ولوجدنا الزواج والأسرة المستقرة أندر من كل نادر..

فالحب كائن متقلب.. لا يرسو على حال ولا يقر على قرار.

ولو فرضنا أن تم الزواج في ذلك المجتمع واستمر معه اشتعال نار الحب (رغم أن هذا مستحيل)، فمن ذا الذي يعذب نفسه من غرامه لزوجته والتأرق لوصلها وهجرها وهي أمامه ليل نهار، لو فرضنا جدلا علاقة كهذه لرأينا الغيرة الجامحة والحزن الدفين والاضطراب المستمر، ولصار لدينا شعب من ضحايا حرب القلوب.. لا يقومون بواجب ولا يبدعون في عمل.. ولصار الانتحار الحل الأسهل لكل صدمة عاطفية وعلاقة فاشلة.. بالاضافة إلى الجنس المتأجج في النفوس والذي بسببه تدمر الأسرة ويضيع الأطفال.

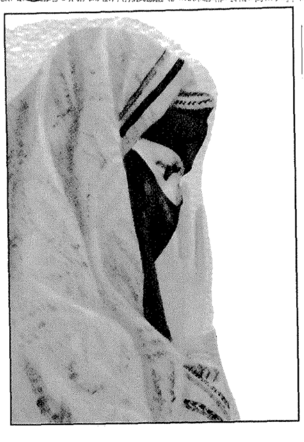
نور البار
- جدة -

هذا هو ما يتسبب به الحب المشتعل في المجتمع.. هذا هو ما يسببه حب النظرة الأولى الذي هو بعبارة أخرى شهوة من النظرة الأولى.

ولكن هذا لا يعني أن الحب كلمة بلا معنى وأنه يمكن الغاؤها من قواميس اللغة.. فالحب كلمة خالدة ذكرت في القرآن الكريم لاثبات علاقة خالدة هي علاقة العبد بربه «فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه» {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}.. والعلاقة الخالدة تحتاج أطرافا خالدة.. وهي روح الإنسان، ورحمة الرحمن.. فهنا تستمر العلاقة بين الأصل والفرع، بين البعض والكل إلى مالا نهاية.

أما العلاقات الإنسانية الأخرى بين أم وطفل.. بين صديق وصديق.. وبين زوج وزوجة، فهي مزيج من العطف والتآخي والمودة والرحمة.. فالعلاقة بين أي طرفين لا تستمر إلا بهذه المشاعر ولهذا لم يذكر القرآن العشق بين الزوجين مرة واحدة بل ذكر المودة والرحمة والسكن، ولا يمنع هذا ما نراه أيام الخطبة من حب جياش هو بمثابة هدية من الله للعروسين ليقدرا على التعايش سويا مع اختلاف بيئاتهما.

ولم يذكر القرآن الكريم كذلك الغرام بين الأصدقاء قط بل ذكر مكانه التآخي بما يشمله من إيثار ووفاء وحفظ عهد.. وهذا لا يناقض



ذكر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله (رجلان تحابا في الله)، فلفظة الحب هنا لا تعني ذلك الغرام الذي يهز كيان الإنسان بل يعني الميل الطبيعي بين فردين يساندان بعضهما في الطريق إلى الله.

كما أن القرآن لم يذكر الحب بين الأم وابنها بل ذكر التواضع والإحسان واللين والبر دون أن ينفي ذلك قوة هذه العلاقة.

وأخيرا.. أفلا ترون معي أننا نظلم كثيرا أرقى كلمة في الوجود تلك التي بسببها جئنا جميعا الى هذا الكون.

المرأة العاملة

مع تطور المجتمعات وارتقاد التعليم ونهضة الإصلاح الفكري والنمو الثقافي، ونهضت معظم المجتمعات واستفادت من ازدهار العلم وتطور التربية وجاء جيل متعلم مثقف يساهم في بناء مجتمعه، جيل يشمل كفاءة الرجل والمرأة، ينسق جهودهما لما هو خير وتستمر كفاءتهما الفكرية والثقافية للارتقاء بالمجتمعات وازدهارها.

هذا ما نلمسه فعلا في هذه النهضة الوثابة والنجاح الواضح لقطاع التعليم في بلادنا وفي العالم.. ووجود هذه الطاقة البشرية التى نمت نتيجة ذلك وكوّنت منجزات حضارية ومكاسب شخصية للمرأة هي من احق حقوقها نتيجة للدور المتبادل الفعّال بين الفرد ومجتمعه، عطاء متكافئاً متوقعاً أثرى كلا الجانبين المرأة والرجل.

وأركز هنا وفي هذا المجال على تعلم المرأة وخروجها للعمل .. وتلك الدعامة النفسية التي تتميز بها المرأة الناجحة العاملة التي تسعد بمردود اجتماعي ونفسي مادي لجهدها وخدمتها للمجتمع.

لا شك انها صورة رائعة اذا خلت من الشوائب وبعض الطفيليات اذا جاز هذا التعبير.

فليس العيب في العمل، فالمرأة قد ساهمت بالأعمال اللائقة ونجحت نجاحاً باهراً منذ عهد الرسول {صلى الله عليه وسلم} وعلى مر العصور، اقول إن هذا الواقع واقع جميل يؤكد كفاءة المرأة وقدرتها المميزة على بناء نفسها وإثراء مجتمعها.

إنما المؤلم فعلا ان تتحول هذه الصورة الرائعة الى مستنقع للمشاكل.. وبؤرة سيئة للخلافات الزوجية وغير الزوجية.. فمن الأزواج والآباء من يساهم بتصرفاته وجشعه على خلق نكسة لنجاح المرأة! عندما يهيء له فكره القاصر الاستيلاء على مكتسبات المرأة أو القاء معظم المسؤولية المادية عليها.

المرأة في اعتقادي: تسعد بانضوائها تحت جناح زوجها وإن تكن اغنى منه مادة أو أوسع منه ثراء أو متساوية معه، فالمرأة تعودت وهذا لا يعيبها في شيء، تعودت الحماية والرعاية في الأجواء الطبيعية الإسلامية التى اهدتها الأخلاق والمبادىء الشرعية لها.

الرجل الشهم الكريم تسعد به زوجته باذلا النفس والنفيس لإسعادها بدافع الرجولة الحقة والخلق القويم والفطرة العربية والنخوة المتأصلة

هند هرساني
- جدة -



في كل الأفاضل من الرجال.. وهذا السلوك انما هو ترجمة فعلية لمشاعره نحوها.. ومسؤوليته تجاهها.

هذا هو الرجل العربي المسلم.. كما عرفناه في آبائنا واجدادنا رحمهم الله تعالى، ونعرفه في كثير من نماذج الرجال اليوم.. بذل وعطاء وحماية ورعاية.. دون مقابل.. حتى تتزوج الفتاة منًّا وتنتقل الى بيت كريم.. ورعاية زوج حنون وتغدو امرأة محظوظة تشملها الرعاية الحقة في كل مراحل العمر ومراحل الحياة.. الأب، الأخ الزوج، هؤلاء هم الرجـــال الذين عرفناهم.

وظاهرة مرضية تفشت لدى بعض الرجال في استنزاف موارد زوجاتهم المالية ومصادرة استقلالهنَّ الذي أقرَّه الدين الحنيف.

ولا اتجاهل مبدأ التوافق الفكري والمادي المسبق بين الزوجين وعلى الظروف الموجبة التى تحض المرأة أو الزوجة بمعنى أدق وتستحث مروءتها في مدِّ يد العون للزوج.

ولكنى أيضاً أركز على سلبيات بعض الأزواج.. واركز اكثر على احساس الزوجة بالسعادة والاكتفاء النفسي عندما يبذل زوجها الكريم كل ما بوسعه مادياً ونفسياً لتوفير السعادة - قدر المستطاع - لأسرته.

إنه احساس رائع دافيء تتشبع بروعته مشاعر المرأة عندما تحس انها تحت رعاية زوج كريم محب، فهذا شرف لها.. يترجم فعلا حب الزوج لزوجته.



إن الوضع الطبيعى من الرجل للمرأة أن يعطيها دوماً وفي كل الأحوال.. ليس لضعف فيها ولكنه تحقيق المحبة وليس لواجب محتم عليه ولكنه تحقيق لمبدأ القوامة التي حددها الشرع.

فأين نحن، هل حققنا نجاحاً أو تميزاً على آبائنا والجيل السابق بما توفر لنا من مادة وخير كثير أم اننا نعاني من خسارة في المبادىء والعرف وتلك العلاقات الحميمة من أجل ماديات قلبت الحقائق وغيرت المثل؟.

أوراق زوجية

١٠١١ ـ أبو عواد:

تحرص المرأة على معرفة الطريق إلى قلب الرجل رغبة في اغرائه ومن ثم السيطرة عليه، لا حبا في ارضائه. وتكون النتيجة غالباً عكسية. بدليل أن معظم المطلقات كنّ يعرفن تماماً الطريق الى قلوب أزواجهن، غير ان الاستثمار كان في الممنوع وبالتالي خسرن الصفقة.

١٠١١ ـ أم عمرو:

عندما يفشل الزواج تعرف أن رجلا وأمرأة فشلا في تكوين زيجه ناجحة، الفشل ليس صفة للمرأة وحدها في هذه الحالة.

١٠١٢ ـ أبو عواد:

«الحب» بلغة الحسابات أصبح شيئا «مستهلكاً» وقيمته الدفترية «صفر» اذا جاز هذا التعبير، فقد حط من قيمته سماسرة العواطف والمشاعر الجاهزه والمتسكعين على أرصفة المراهقة.. وقد تكون لغة الاحترام والتقدير والتضحية ـ ان وجدت ـ اكثر تأثيراً وأبلغ من أي كلمة.

١٠١٢ ـ أم عمرو:

نحن الذين نصنع معاني الكلمات فلو اعطينا كلمة الجد معناها الشامل الصحيح لتحولت إلى نافورة عطاء لا ينفد.

١٠١٣ ـ أبو عواد:

لا تلوموني .. إنّ بعض الزوجات أحياناً تستحق أن تصفع.. لماذا؟ لسبب بسيط جدا.. وهو أنها في نقاشاتها مع زوجها تخرج عن حدود اللياقة الأدبية وتكسر حاجز الاحترام ولا تتورع أن تزجره أو تنهره كما لو كان طفلا صغيرا يعبث بدميته فيكسرها، أو من بقايا العبيد في سرايا والدها الباشا!!

١٠١٣ ـ أم عمرو:

لقد توقفنا منذ زمن عن ضرب الأطفال في المدارس. كيف إذاً نقبل أن يصفع الزوج زوجته؟.



١٠١٤ ـ أبو عواد:

كم هنّ تافهات أؤلئك اللواتى يبالغن في تزوير الوجه والرموش والحواجب والأظافر ويتكلفن في مشيتهن اعتقاداً منهن أن الأنوثة مجرد قشرة ومساحيق وألوان ورائحه بارفان.

١٠١٤ ـ أم عمرو:

المسألة كلها عرض وطلب، فإذا كان المشترى تافها كان البائع اكثر تفاهة.

١٠١٥ ـ أبو عواد:

تتباهى بـ شعر بنت أختها وهي مصلعه!!

١٠١٥ ـ أم عمرو:

واذا لم تتباهى المرأة بشعر بنت أختها قلنا تغار منها. التباهى أخف من الحقد.

١٠١٦ ـ أبو عواد:

عندما تصبح غيرة الزوجة عمياء يضحي قلب الزوج مبصراً..

١٠١٦ ـ أم عمرو:

الغيرة العمياء تنتج من سلوكيات الزوج التى لا تراعى مشاعر زوجته حتى تفقدها



صوابها. على الزوج هنا أن يراجع نفسه قبل أن يلوم زوجته.

١٠١٧ ـ أبو عواد:

يكره الرجل في زوجته لجوءها الى الدموع والبكاء عندما تضع نفسها في موقف أمامه تستحق العتاب الذي قد يصل الى الايلام.. ويتمنى عليها فقط في هذه اللحظة على الأقل لو تمالكت أعصابها واعتذرت عن خطئها لتنهي بذلك الموقف.. بدلا من الدموع والبكاء ثم الانزواء والاعتكاف، وإعمال السنارة في وجهها لحياكه «تكشيره» تزيد بها الطين بله.. ويصبح الخطأ خطأين والجرم جرمين.

١٠١٧ ـ أم عمرو:

ولماذا لا تكون دموع الزوجة تعبيراً عن أسفها وحزنها، ونتركها تغسل قلبها وعقلها بهذه الدموع.

١٠١٨ ـ أبو عواد:

«المادموزيل»، «الهانم»، «المس»، «الآنسة»، «السيدة»، «الليدي».. تتعدد الأسماء والشّرك واحد.

١٠١٨ ـ أم عمرو:

واذا كانت أسماء آنسة وسيدة وهانم... الخ، أسماء أخت أو أم أو ابنة هل تصبح جميلة هنا، وهل تعتبر شركاً. اليس للأسماء مدلول واحد.

١٠١٩ ـ أبو عواد:

الأول: متى تنام «حيطة» الرجل؟

الثاني: عندما يستيقظ «ضمير» المرأة.

١٠١٩ ـ أم عمرو:

الحيطة لا تكفل وقاية كاملة، على الزوج أن يختار جيداً ويثق.

١٠٢٠ ـ أبو عواد:

العروس الجاهلة هي التي ترفع سماعة الهاتف لتنقل لأمها أو لصديقتها ـ على الهواء ـ ملاطفات وتذلل عريس الغفلة!! أو توثبات وحش الشاشة مع الاعتذار للفنان ـ فريد شوقى ـ

١٠٢٠ ـ أم عمر:

لا حرج على الجاهلات. الحرج على من يفضلونهن زوجات على غيرهن من المتعلمات خوفاً من عقولهن.

١٠٢١ ـ أبو عواد:

انها أخف من حبة الخردل!! أتدرون من هي؟ تلك التى تسارع لمقابلته وكل معرفتها به مكالمة هاتفية انتهت لتوّها من استقبالها من ساقط!.

١٠٢١ ـ أم عمر:

العلاقات الصحيحة تأخذ مكانها في الضوء والخفافيش وحدها هي التى تعيش في الظلام.

١٠٢٢ ـ أبو عواد:

نؤمن يا سيدتي بكل ما جاء به نبينا الكريم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم، وهذا الضلع الاعوج نحرص على التعامل معه برفق ولا نجرؤ على تقويم اعوجاجه حتى لا ينكسر غير أننا نعمل كل ما بوسعنا وباللين أيضا حتى لا يتفاقم اعوجاجه وتصبح الصفة موصوفاً والموصوف صفة فهل تراني على صواب..؟!

١٠٢٢ ـ أم عمر:

النساء شقائق الرجال واذا علمنا المرأة صارت عالمة وحكيمة يستند الى رأيها والى حكمتها. وكلنا نعرف ذلك في امهاتنا فهل امهاتنا من جنس النساء وزوجاتنا من جنس آخر.

رسالة من العقاد إلى السيدة الجميلة

حبيبتي هنومة:

رسالتي إليك عتاب واعتراف معا.. وما أشق العتاب على النفس لأنه مراجعة فيها اتهام وفيها اعتذار، وفيها ابتعاث لأسباب الشقاق والخلاف مما قد يؤدي الى احتدام الخصام فيصير اشد لفحاً وأمضّ إيلاما فيزداد التنائي والجفاء.

أعتب عليك يا حبيبتي أنك لا تصبرين على العتاب فأنت تجفلين منه وتسرعين بالاحتماء بدلالك تارة ويحبى لك تارات ومرات. ولطالما طمأنتك ألا تحزني ولا تخافي من كلمات عتبي وتثريبي.. فَلِمَ تخافين إذن؟ ومِمَّ تخشين؟

تخافين العتاب؟ فلا تخافي
وترجين المآب غدا فتوبي
فديتك هل رأيت فتى محبا
يضن بما رجوت على حبيب
تعالي واطمعي بالصفح مني
أليس الصفح من شيم الأريب
وإن أسلفت لي ذنبا فإني
أحب الله غفار الذنوب
أرى هجريك من غضب عقابا
أكابده وما أنا بالمريب
فإن أنا جدت بالحسنى فإني
أجود بها على قلبي الغضوب

ثقي يا حبيبتي هنومه أنني إن كنت أكره كثرة العتب واللجاج فيه والتماس أوهن الأسباب إليه إلا أنني لا أرضى بالتجني عليّ والادعاء بما لم أقترفه أو تهجس به هواجسي وتستعر به ظنوني.. فالتجني يغري المرء بالشك ويزين له أسباب الإيمان به وكأنها حقائق لا تقبل النقاش أو الارتياب. فأحيانا تقولين إنك جئت إليَّ فلم تجديني رغم الموعد الذي كان بيننا والذي حددناه بساعته ومكانه.. وإنني أدهش لهذا التجني، فالذي أنا على يقين منه أنه لم يحدث أن ضربت لك موعداً لمقابلتي أو زيارتي ثم تغافلت أو شغلني شاغل عنه. لأنه ليس من شاغل لي سواك، ولا حبيب أنا حفيٌّ بلقائه إلاك..

فكيف أسهو، أو كيف أتشاغل عنك؟ إن هذا محض افتراء، بل محض اختلاق.. أنت بهذا تتجنين عليّ، فلماذا التجني وهو يأتي بما لا يشتهي المحبون، ويوصلهم إلى مالا يرغبون الوصول إليه؟

إلام التجني؟ أوشك القلب يبردُ
وكاد معين العذر ينأى وينفد
وأصبح إيمان بحبك دانيا
إلى الشك منه كلُّ ما كان يبعد
هبيني امرءاً في قبلة الوحي قائما
طوال الليالي قانتا يتهجد
رأى قبساً يعتاده ثم أطبقت
عليه ستور فهو لا يتوقد
ونادى ولا من يستجيب نداءه
وضل ولا من في الدياجر يرشد
ألا يعتريه الشك والشك قاتل
ألا يحتويه اليأس واليأس ملحد؟

حبيبتي هنومة:

كان تجنيك عليَّ سببا في سهادي وأرقي، فتجافى جنبي عن وثير الفراش وكأنه رمضاء.. فصار الأرق أخلص أنيس لي.. ولو كان أرقاً لدَيْن أو لقضاء حق أو لضياع عرض لهان الخطب ولكنه أرق الجوى الذي استبد

بقلم: محمد عبدالواحد حجازي
- مصر -



بشعورى وتصورى، بل واستبد بأمانيّ ومستقبلى الذى أتشوف إليـه، أرق سببـه تجنيكِ علىّ ٠٠ وعزت عليّ نفسي٠٠ أنا؟ يتهمنى حبيبى، وصفيّ روحى ونجيّ وجداني؟ عزت عليّ نفسى وكدت من شدة وجدى وضرام الانفعالات التى التهبت بها مشاعرى أن تشرق عيناى بالدموع٠٠ وأنا كما تعلمين رجل قريب دمع العين٠٠ ولكن دموعى حرمتنى جميل العزاء فتحدتنى لأول مرة٠٠ وبكأن قلبى هو الذى أوعز إليها بعصيانى٠٠

ساءلت ذاتى ٠٠ ساءلت روحى ٠٠ أجل، ساءلت: أين الدموع؟

يا غـــزير الدمـــوع! أين الدمـــوع؟
كم تريد البكى ومـــا تســـتطيع
كـــيف سلواك والفـــؤاد بما يُســـ
ـليه في فـاجـعــاته مــفــجــوع
لهف نفــســى عليك يا قلب يـأبى
فـــيك إلا الكمـــون داء وجـــيع
عـــبـــراتٌ ، برء الجـــوى لو أريقت
وســـمـــام حـــتى تراق نقـــيع

حبيبتى هنومة:

أما الاعتراف فربما كان جانبه أخطر لأنه ألصق بالأسرار ومكامن اللاشعور، ولأن المرء فيه يلزم ذاته فيجسد حياته الباطنة في صورة قد تكون عرضة للمدح أو الذم٠٠ وقبل أن أعترف لك أحب أن أذكرك بأن قد سبق لك أن حاولت إغرائى بالاعتراف فقلت إنك تستطيعين أن تطلعى على ما بصدرى من «الفنجان»؛ عجبا من ألمعيتك ياميّ٠٠ تقولين:

أتؤمن بالفنجـــان! لا ياصـــديقـــتي
بثـــغـــرك الفنجـــان أصـــدق إيمان
إذا هو أعطانى الســـعـــادة فلتكن
بنوعتهـــا في الكأس أو سـؤر فنجـــان
وإن يكن المغـــزى هناك خـــرافـــة
فـثـغـرك صدق في ابتسـام وتبيـــان
وفي كـــوثري من رضـــاب مـــعطر
وفي جـــوهرى من ثناياه فـــتـــان

أرأيت إذن يا حبيبتى بأى فنجان أؤمن، ولأى فنجان أعترف؟ ومع ذلك فإنى أزيد اعترافاً، وأزيدك عرفانا:

أعترف بأننى كنت أطمع في أن أجعلك شيئا آخر في العقل والفكر والروح؛ ولكنك كنت تضيقين ذرعاً بما أرسمه لك من منهاج تعليمى وكأننى كنت أكرهُك على أن تلقى بنفسك في البحر٠٠

وأعترف بأننى كنت مزاجا ربما لم تسمعى عنه من أحد، وهو أننى كنت بين العاشق والأستاذ؛ أحبك وفي نفس الوقت آخذ بيدك لترتفعى إلى سماء فكرى كى تفهمى عنى ما أريد٠٠

وأعترف بأننى كنت على علم بتحركاتك كلها لا يخفى عليّ شيء منها٠٠

وأعترف بأننى كنت أسألك: أوفيّة لي؟ فكنت أجيب عنك: كلا٠٠

وأعترف بأننى أحيانا كنت ألوم نفسى لأن الخريف عشق الربيع٠٠

وأعترف بأننى وصفت هذا الحب ذات يوم بأنه حب أحمق، وقلت إن افتتاننا بهذه الفتاة الصغيرة هو العجب العجاب٠٠

وأعترف بأن أصدقائى كانوا يعجبون من حبى لك حتى إن بعضهم أسرّ إليّ قائلا: كيف تنسجم مع هذه الفتاة الصغيرة؟ كيف تتفاهم مع فتاة لم تحصل إلا على شهادة الابتدائية؟ فكنت أضحك وأقول: وأنا أيضا لم أحصل إلا على شهادة الابتدائية٠ انتظروا عشر سنوات وسوف تجدونها طه حسين!!

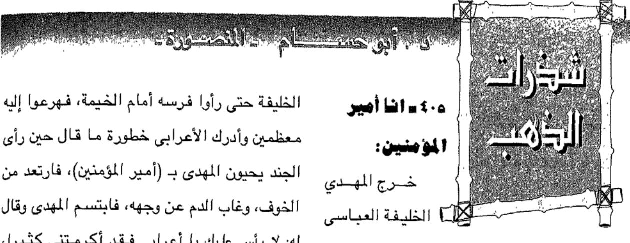
أما اعترافى الأكبر فهو اعترافى بحبك يا هنومه٠٠

إيه يا هنومة:

هذا اعـــتـــراف يا مليـــحـــ
ـــة فــاغـــفـــرى ذنبي المعـــاد
أنـا إن خـــدعـــتك فـــاعلمى
أن الخـــــداع إلـى نـفـــــاد
فـــخـــذى الحـــقـــيـــقـــة كلهـــا
منـى عـلـى رغـم الســـــداد
قـلـبى فـــــداك، الـقـلـب بـيـــ
ـــن يديك مـــسلوب القـــيـــاد
أنت الأعـــــز من الحـــيـــا
ة ، ومـــا الحـــيـــاة بلا وداد
بـخـلتْ ببـــعـــض مـــرادهـا
ومـنـحــــتـنـى كـل المـراد

* * *

هـذا اعـــتـــرافى يـا مليـــحـــ
ـــة لـيـس يـنـقـص أو يـزاد
حـــــصنى أبـوح بـســـــره
لك وهـو مـــرفـــوع العـــمـــاد
وأريـك كـل مـــقـــاتـلى
وأخـــون نـفـــسـى في الجـــهـــاد



٤٠٥ - أنا أمير المؤمنين:

خرج المهدي الخليفة العباسى إلى النزهة في الصحراء مع نفر من حاشيته، وقد تفرقوا في البادية جماعات، فنزل المطر غزيرا على نحو غير معهود، وركب المهدي فرسه لينجو من الوابل المتقاطر، فجمح به بعيداً عن صحابته، وأطلَّ الخليفة فوجد خيمة يخرج منها دخان، وقد بلله المطر حتى أغرقه، فالتجأ إلى الخيمة فوجد أعرابيا يستدفىء، فتقدم إليه طالباً أن يشركه في الدفء ريثما تجف الثياب، ورحب الأعرابى عن سماحة، وقدم لأمير المؤمنين قعبا مملوءاً باللبن فشرب وحمد الله، ثم قال للأعرابى حين سأله عن حاله: أنا من خدم أمير المؤمنين، فقال الأعرابى: بارك الله في موضعك، ولم يزد، فانتظر المهدى قليلا ثم قال: أترى عليَّ هيئة الخدم؟ فقال الأعرابى لا؟ قال أنا من قواد أمير المؤمنين، فنظر اليه طويلا ثم قال: رحبت بلادك وطاب مرادك، وكأن المهدى أراد أن يدهش الأعرابى فقال له، لست من قادة الجيش، ولكنى أنا أمير المؤمنين، فوقف الأعرابى صائحا: إليك عنى يا شيخ، فإننى أخشى أن تقول بعد ذلك أنا رسول الله ومبعوث من السماء! والله لن تستدفىء معى، هيا، وكان الجند يبحثون عن الخليفة حتى رأوا فرسه أمام الخيمة، فهرعوا إليه معظمين وأدرك الأعرابى خطورة ما قال حين رأى الجند يحيون المهدى بـ (أمير المؤمنين)، فارتعد من الخوف، وغاب الدم عن وجهه، فابتسم المهدى وقال له: لا بأس عليك يا أعرابى فقد أكرمتنى كثيرا، وأمر له بمال وكسوة وسأله عن أولاده وأقاربه، فمنحهم جميعا.

٤٠٦ - القيصر بطرس:

أراد قيصر روسيا الأكبر، أن يقف على صناعة السفن الحربية الكبيرة بنفسه في هولاندا، فأعلن أنه سيقوم بزيارة سياسية لإحدى العواصم الأوربية تستغرق ستة أشهر، ثم لبس لباس التنكر، واتجه الى أكبر مصنع ذاع صيته، وقدم طلباً للالتحاق به عاملا يأخذ أجره اليومى ودأب على العمل في دراية تامة يستوعب بها كل الخبرات الخاصة بالمتطلبات الصناعية لينقلها الى بلاده، وقد شاهد عاملا روسيا يشتغل بالمصنع، فصاحبه برفق، لأنه أحد مواطنيه، وقد لمس من جده وإخلاصه ما قرَّبه إلى نفسه، فسأله بعد أن توثقت صلاتهما الأخوية إلى درجة عالية.

لماذا تركت روسيا، وجئت الى هولاندا؟ فقال صديقه: واسمه ستانمتز: لديّ سرٌّ خطير أخشى عاقبة التصريح به، فقال القيصر: أنا صديقك،

وسأحفظ سرك فلا تخف، فقال صاحبه: لقد كنت جنديا في جيش القيصر، وفي ليلة شاتية تقدمت مع رفقتي في مهمة حربية، فرأيت سدا من الثلج يعترضني، وتثلجت أقدامي فارتميت وأغمي عليَّ، وبعد أن أفقت في الصباح وجدتني وحدي، لأن زملاء الكتيبة قد رحلوا دون أن يعرفوا إغمائي، فخفت أن أرجع الى القائد فيعدني هاربا، ويحكم عليّ بالإعدام الفوري، فصممت على الهروب، وتركت والدتي وخطيبتي كاترين وحيدتين دون عائل، وأنا في أشد النكد حين أتصور حالتهما المعيشية بعدي.

قال القيصر، سأسافر عن قريب دون خوف، إذ لست هاربا أنتظر الحكم، وسأصحبك معي، لأعرف منزلك في ضواحي العاصمة، وإذا استطعت أن أجد وساطة للعفو عنك فعلت، وإلا حضرت الى منزلك وأمرتك بالعودة ثانية الى هولاندا بعد أن ترى أمك وخطيبتك، فقال: ستانمتز، وإذ ذاك تساعدني على أن يسافرا معي سرا إلى هولندا لنعيش هنا جميعا في أمان، فأعلن موافقته.

جاء موعد السفر ورحل الصديقان، فاتجه القيصر المتنكر الى منزل صاحبه أولا وشاهد من بؤس الوالدة والخطيبة ما آلمه، ثم اتفق معه على أن يزوره بعد يومين! فأغلق العامل المسكين منزله عليه، وكمن فيه كيلا يعلم بحضوره أحد.

وبعد يومين حضر القيصر في غير ثياب الامبراطورية، ودقَّ الباب فدخل في هدوء، وقال لصاحبه هيّا، لقد صدر أمر بالعفو عنك، فقال له «ستانمتز» أنت تمزح يا بطرس، ليس الأمر بهذه السهولة، فقال القيصر: صدقني، فقال: أنا مرتاب.. ومضت لحظة، فسمع العامل ضجة حول المنزل، ونظر من ثقب فوجد لفيفاً من الحرس الامبراطوري، فقال لصاحبه: لقد وقعت: لابد أن أحداً رآني دون أن أعلم وأبلغ البوليس، وارتعشت مفاصله في رعدة، ففتح القيصر الباب، ودخل رئيس الحرس وقد كان من قبل قائد الكتيبة التي هرب منها العامل المسكين فلما رآه: قال للقيصر، هذا جندي خائن وقد حكم عليه بالاعدام يا مولاي!

فقال القيصر: لقد عفوت عنه، فاحنى القائد رأسه وقال في خضوع: أمر جلالتكم! ودهش العامل، وحار فيما يشاهد، ثم أكبَّ على قدم القيصر وهو يقول أشكرك يا مولاي، فابتسم القيصر، وقال: أنت الآن البارون ستانمتز الرئيس العام لمصانع السفن البحرية، وخطيبتك هي البارونة كاترين، وأمك أم البارون ستانمتز، فخذ هذه الأموال لتهيء أسرتك، وتنتقل غدا الى القصر الخاص بك في موسكو، وقد اعددته قبل أن تجيء إليه في الغد.

لم يدر ستانمتز أهو في حلم أم في يقظة، ودخل الى أمه يتحدث حديث الذاهل المستغرب!.

٤٠٧ ـ امبراطور ألمانيا:

كان جوزيف الثاني امبراطور ألمانيا يستقل في بعض أيام عام ١٧٧٠ عربة مقفلة ذات مقعدين، وكان يقودها بنفسه في ملابسه التنكرية بعيداً عن الزى الرسمي، فتدفق المطر على غير انتظار، ولكن الامبراطور لم يعبأ به، فاعترضه في طريقه جندى من رتبة الملازم الثانى وأوقفه، ثم طلب منه أن يسمح بركوبه في المقعد الثاني جوار الامبراطور دون أن يعلم من هو؟ وأذن جوزيف الثانى للشاب أن يركب معه ثم بدا له أن يسأله، من أنت؟ فأجاب أنا ضابط في جيش جلالة الامبراطور؟ فقال له، ومن أين أقبلت؟ فأجاب الضابط دون تحفظ، كنت أتناول الغداء مع صديق لى يشتغل حارس صيد في حقول جلالة الامبراطور، فقال جوزيف؟ وماذا أكلتما؟ فرد الضابط: أكلنا ديكا سمينا من مزارع الامبراطور، أخذه الحارس من مزارعه؛ فسكت الأمبراطور قليلا ثم سأل: ألا توجد ديوك سمينة في غير مزارع الامبراطور؟ فقال الضابط، قد يتكلف الحارس ثمنها، أما حقول الامبراطور فتحت يده، يأخذ سرا ولا يحاسبه أحد.

استمرت العربة في السير، وزاد تدفق المطر، فسأل الامبراطور عن منزل جليسه في أى مكان؟ فقال له: سأنزل قريبا كيلا أتعبك يا سيدى؟ فأصرّ الامبراطور على أن يمضى به إلى منزله مهما ازدادت شدة المطر، وسارت العربة حتى بلغت منزل الضابط، وحين هم بالنزول سأله جليسه في غير كلفه؟ من أنت حتى أبدأ صداقتى معك؟ فقال الامبراطور: أنا من رجال الجيش؟ فردّ الضابط ملازم أول مثلى؟ فقال أرفع من هذا! فنظر الضابط مليا ثم قال: أميرلاى؟ فقال الامبراطور: أرفع من هذا؟ فاستغرب الضابط وسأل: اذن تكون (مارشال) وهو يظن أنه ارتفع به إلى أقصى رتبة في الجيش فقال الامبراطور، أرفع من هذا، فدقق الضابط في ملامح صاحبه ثم صرخ مرتمياً على الأرض: جلالة الامبراطور!! فابتسم جوزيف الثانى وقال في ملاطفة: وسائق عربتك اليوم! فأفحم الضابط، ولم يستطع المسير، فقال له الامبراطور: لا تخش شيئا على صديقك الحارس، حين سرق الديك من حقولى! فقد سامحته ولن أسأل عن اسمه، ثم صافحه باسما، وقال في ابتسام: وداعاً يا بنى.

وكان ذلك موقفا لا ينساه الضابط الملازم!

٤٠٨ ـ وفي مصر:

هذه حادثة واقعية، جرت في مصر في الربع

الأول من هذا القرن، وعلم بها أحد المؤلفين فكتبها لتصبح قصة سينمائية، وهي حقيقة ماثلة، وقد كان بطلها في القصة السينمائية محمد عبد الوهاب.

كان أحد الباشوات الكبار، يأخذ على ولده الوحيد، عدم خبرته بالحياة، واكتفاءه بالدروس التي تلقاها بالمدارس، ويخاف عليه أن يرث أرضه ثم لا يستطيع استثمارها! فصمم أن يوظفه في بنك مالي ليتصل بالناس، ويعرف كيف تتعارض الرغبات، وتضيق المآزق، ثم تنتهي بالحلّ فيستفيد من التجارب، ويقابل العيش مجربا.

وكان ما أراد الوالد، والتحق موظفا بالبنك الذي اختاره أبوه، وطلب الباشا من مدير البنك أن يعامل ولده معاملة أي موظف ناشيء دون محاباه، وأن يؤاخذه إذا قصَّر، دون أن يغتفر شيئا من أخطائه، وكان من المصادفة أن تأتي إلى البنك كريمة ثرى كبير من أصدقاء والده، وأن يكون تعاملها من الشباك الذي يديره الشاب فأعجبت به، بعد تكرار التعامل، وتوالي الزيارات، وصممت على أن يكون زوجها المنتظر وما كادت تفاتح والدها حتى زمجر وغضب، وأنكر أن يتزوَّج كريمته موظف صغير لا يملك غير راتبه الضئيل، وليس من أسرة ذات محتد، وصممت الفتاة وصمم أبوها على الرفض، وكان الشاب يبادلها الحب كأعنف ما يكون التبادل، دون أن يفصح لها عن مركزه العائلي ومنزلة أبيه، غير أنه بعد ثلاث سنوات من عمله قد كسب من المهارة ما جعل والده ينهي وظيفته، ويسأله عن فتاة أعجب بها ذات أصل كريم ليختارها زوجة له، فرجاه أن يوافق عل اقترانه بحبيبته، ورحب الوالد لأنه صديق أبيها، ويعرف مكانته، ثم سارع الى خطبتها فرحب والدها، وأصرت الفتاة على الرفض، لأنها وهبت قلبها لإنسان آخر وستظل وافية له، وحار الوالد ماذا يصنع؟ ثم بدا له أن يرجوها كي توافق على رؤية الخاطب الجديد فقط، ولها أن ترفضه إذا لم يحز قبولها عن اقتناع، فوافقت، وقد صممت على الرفض مهما بلغت مكانة الخاطب وثروته ومنزلة أبيه، ثم حانت الساعة المنتظرة، فتقدمت عابسة ساخطة لتقضي دقائق كريهة وتنصرف! ولكنها فوجئت، حين وجدت الخاطب حبيبها، وأباها يرحبّ به وبوالده، فاندفعت تصافحه ودموع الفرح تتساقط من عينها وعينه! أليست هذه مفاجأة أيضا؟ ومفاجأة مذهلة!.

٤٠٩ ـ عجائب :

يقول الشاعر العربي

على أنها الأيام قد صرن كلها
عجائب حتى ليس فيها عجائب

الإسلام ٠٠ والثمار الفكرية !!

يطلق بعض العلماء الأوربيين على الثمار الفكرية الإسلامية إسم: «التراث العربى» ونحن نخالفهم في هذا الإطلاق٠٠ لأننا نرى أن هذه الثمار العقلية٠٠ هى وليدة الإسلام٠٠ وليست وليدة الفكر العربي المحض٠٠ وآية ذلك أننا إذا ألقينا نظرتين متمعنتين٠٠ إحداهما على الأمة العربية قبل الإسلام٠٠ والأخرى عليها بعد ظهور الإسلام٠٠ ألفيناها في الحالة الأولى مجدبة قاحلة٠٠ وفي الثانية مخصبة مزهرة٠

فلو أن هذه الأفكار كانت عربية٠٠ ولم تكن إسلامية٠٠ لعثرنا على عناصرها الأولى في البيئات العربية قبل إشعاع القرآن عليها!!

أما ما يذكره أنصار الفكرة المعارضة٠٠ من أنه كان للعرب قبل الاسلام تأملات في أسرار الكون٠٠ وآراء حول نشأته ومصيره٠٠ كتلك التأملات التى أثرت في شعراء العصر الجاهلي٠٠ أو كتلك الدهرية التى نبأنا القرآن الكريم بأن بعض العرب كانوا يدينون بها٠٠ إذ عارضوا فكرتى الخلق والبعث بقولهم: {ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر}٠٠ أو {ءإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءإنا لمبعوثون}٠٠ أو {من يحيى العظام وهى رميم}٠

فإننا ندفع القسم الأول منها بأنه ليس عربيا٠٠ وإنما هو مزيج من الافكار الدخيلة التى حملها المسيحيون إلى بلاد العرب٠٠ متأثرين فيها بالطوابع الفلسفية المختلفة التى طبعت بها المسيحية في روما وبلاد فارس وغيرهما!!

وأما القسم الثانى من هذه التأملات٠٠ فنحن نقرر أنه لا يزيد على كونه أفكارا عامية حسية٠٠ اقتطعتها العقلية العربية الساذجة من مشاهدتها الأجسام الإنسانية تتفكك٠٠ كأجسام بقية الحيوانات٠٠ ثم تتحول إلى تراب يختلط بالرمال ويتلاشى فيها!٠

ولما كانت لا تتعقل سمو الإنسان على بقية الكائنات الأخرى ولا تخصه دونها بنفس علوية خالدة٠ لا تخضع لحظ البدن٠٠ فقد استنبطت أن مصيره كمصيرها سواء بسواء٠٠ وليس هذا تأملا في أسرار الكون٠٠ وإنما هو عجز عن التأمل٠٠ ووقوف عند المرتبة السلبية الساذجة٠٠ التى لا ترسل شيئاً من أشعة العقل إلى ما وراء المشاهدة المحسوسة!!

كان العرب في جاهليتهم أمة بدوية رحالة٠٠ تنتجع مساكب الغيث٠٠ وتستوطن منابت الكلأ٠٠ فشغلتهم هذه المشقة العنيفة٠٠ في سبيل تحصيل لقمة العيش٠٠ وجلب القوت٠٠ عن التأمل في أسرار الكون٠٠ والطموح إلى معرفة نشأته ومصيره٠

أما أخلاقهم وطباعهم٠٠ في ذلك العصر الجاهلى٠٠ فقد كانت مزيجاً من حسن السجايا وقبيحها٠٠ فكما كان من طباعهم:

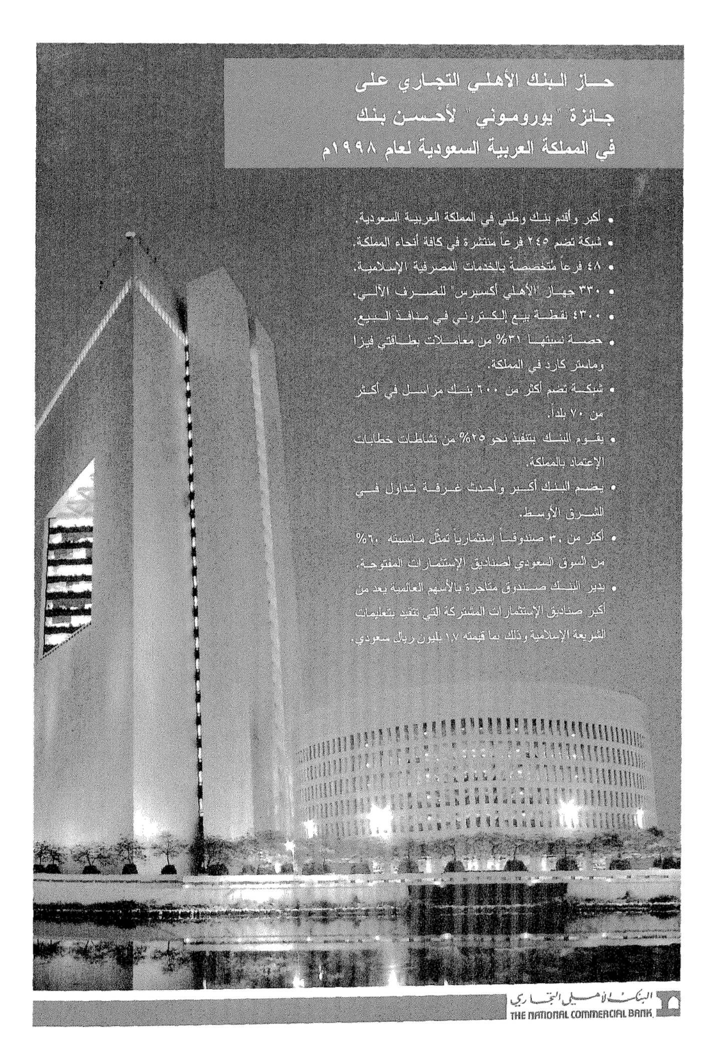
بقلم : عبدالكريم عبدالله نيازي
ـ مكة المكرمة ـ

السخاء·· وإيواء الضيف·· والشهامة·· والإباء·· والشجاعة·· وقوة الشكيمة·· والصبر على المكاره·· كان مما اشتهروا به أيضاً: الغلظة·· والقسوة·· وسرعة الغضب·· والعنجهية المغالية·· وإتلاف ما تصل إليه أيديهم من مال·· دون التفكير في نتيجة تصرفاتهم·· ووأد البنات خوفاً من الفقر والعار·· وأما تشريعاتهم فكان يكتنفها نوع من الهمجية لا يعرف لها نظير إلا لدى الأمم المتوحشة·· وأما ديانتهم فكانت وثنية جافة·· لا روح فيها ولا حياة، تسير فيها العبادة على نسق لا يسيغه العقل·· ولا يؤيده المنطق·· أو الذوق السليم·

وبالإجمال كانت حياتهم الإجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية مضطربة اضطراباً يؤذن بالخراب والدمار·· يشتعل أوار الحرب بين قبيلتين·· ويستمر أعواماً طوالا تزهق في أثنائها مئات الأرواح·· وتيتم مئات الأطفال·· وتؤيِّم مئات النساء·· وكل ذلك من أجل سباق حصانين·· أو من جراء كلمة نابية·· تنبس بها شفتا شاب متسرع·· أو ما شاكل ذلك·

فلما شاءت الأقدار أن تنقذ هذا الشعب من تلك الوهدة السحيقة التى هوى فيها·· تفضلت عليه بالإسلام·· ذلك الدين الذى صدع به من هذه الأمة رجل هو من أنبل أسرها·· وأعرقها مجداً·· فقد كان محمد صلى الله عليه وسلم خير ثمرة·· لخير شجرة·· نبتت في شبه جزيرة العرب·· ثم أيده الله سبحانه وتعالى بذلك الكتاب الكريم·· الذى يقول في وصفه أحد المستشرقين المنصفين: «كفى هذا الكتاب مجداً وجلالا·· أن الأربعة عشر قرناً التى مرت عليه·· لم تستطع أن تجفف أسلوبه·· بل لا يزال غضاً·· كأن عهده بالحياة أمس»·· والذى تحدى أعداءه على طول الخط·· أن يجاروا أقصر سورة منه في ميدان الفصاحة والبلاغة·· اللتين كانتا كل ما امتاز به العرب من موهبة·· فأعلنوا عجزهم·· وسلموا الراية لصاحب هذا الدين الجديد·· وأخذوا يأتمرون بأمره·· وينتهون بنهيه·· وهو في كلتا الحالتين يعلن أنه لا ينطق عن الهوى·· ولا يصدر إلا عن وحى أو إلهام·· من أحكم الحاكمين·· وأعلم العالمين بالخير والمصلحة·· فكان من الطبيعى أن تقودهم هذه التعاليم الراقية إلى النظام العمرانى·· والرفعة الإجتماعية·· والكمال الأخلاقى·

وهذا هو الذى كان بالفعل·· فلم يكد الإسلام يبسط جناحيه على جزيرة العرب·· حتى رأب صدعها·· ولمَّ شعثها·· وجمع كلمتها·· ووحد صفوفها·· وأخذ يضرب بيد من حديد على كل أسباب الفشل والشقاق·· من عادات العرب وتقاليدهم الهمجية الأولى·· ونشر فيهم روح العدالة والشورى والسلام·· وأعلن فيهم أن الإسلام قد سوى بين رفيعهم وضعيفهم·· لأن بنى الإنسان جميعاً سواسية كأسنان المشط·· لا فضل لأحد منهم على الآخر إلا بالتقوى والاستقامة [إن أكرمكم عند الله أتقاكم]·· وحرم عليهم التمسك بتلك العصبية البربرية·· فلما تغلغلت في نفوسهم هذه التعاليم·· خلقتهم خلقاً جديداً·· وكونت منهم خير أمة صالحة·· لا للحياة فحسب·· بل لبسط سلطانها·· ونشر دينها في المعمورة بأسرها·· وقد نشرته فعلا في قارتي آسيا وأفريقيا·· وجزء عظيم من قارة أوربا·



حاز البنك الأهلي التجاري على
جائزة "يوروموني" لأحسن بنك
في المملكة العربية السعودية لعام ١٩٩٨م
• أكبر وأقدم بنك وطني في المملكة العربية السعودية.
• شبكة تضم ٢٤٥ فرعاً منتشرة في كافة أنحاء المملكة.
• ٤٨ فرعاً متخصصة بالخدمات المصرفية الإسلامية.
• ٣٣٠ جهاز "الأهلي أكسبرس" للصرف الآلي.
• ٤٣٠٠ نقطة بيع إلكتروني في منافذ البيع.
• حصة نسبتها ٣١% من معاملات بطاقتي فيزا وماستر كارد في المملكة.
• شبكة تضم أكثر من ٦٠٠ بنك مراسل في أكثر من ٧٠ بلداً.
• يقوم البنك بتنفيذ نحو ٢٥% من نشاطات خطابات الإعتماد بالمملكة.
• يضم البنك أكبر وأحدث غرفة تداول في الشرق الأوسط.
• أكثر من ٣٠ صندوقاً إستثمارياً تمثّل مانسبته ٦٠% من السوق السعودي لصناديق الإستثمارات المفتوحة.
• يدير البنك صندوق متاجرة بالأسهم العالمية يعد من أكبر صناديق الإستثمارات المشتركة التي تتقيد بتعليمات الشريعة الإسلامية وذلك بما قيمته ١,٧ بليون ريال سعودي.
البنك الأهلي التجاري
THE NATIONAL COMMERCIAL BANK


Bibliotheca Alexandrina
0531212